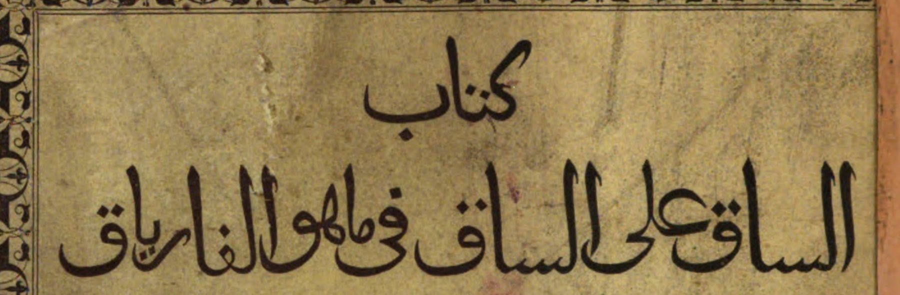


او

ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام

تاليف العبد الفقير الى ربه الرزاق فارس بن يوسف الشدياق

تاليف زيد وهند في زمانك ذا   اشهى الى الناس من تاليف سفرين
ودرس نورين قد شُدّا الى قرن   اقنى وانفع من تدريس حبرين

طبعه بنفقته العبد الفقير الى رحمة ربه الموفّى رافائيل كحلا الدمشقي
وذلك في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية ١٢٧٠ هجرية

LA VIE ET LES AVENTURES
DE FARIAC

RELATION DE SES VOYAGES

AVEC SES OBSERVATIONS CRITIQUES

SUR LES ARABES ET SUR LES AUTRES PEUPLES

Par FARIS EL-CHIDIAC

PARIS
BENJAMIN DUPRAT, LIBRAIRE DE L'INSTITUT,
DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE, DES SOCIÉTÉS ASIATIQUES DE PARIS, DE LONDRES, DE MADRAS ET DE CALCUTTA, etc.
Rue du Cloître-Saint-Benoît, n° 7.
1855

LIBRAIRIE G. P. MAISONNEUVE
198, Boulevard St-Germain, PARIS (VIIe)

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب
الساق على الساق
في ما هو الفارياق

Digitized by Google

Montmartre. — Typographie de PILLOY et Comp.

Digitized by Google

كتاب

الساق على الساق في ما هو الفارياق

او

ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام

تاليف العبد الفقير الى ربه الرزاق فارس بن يوسف الشدياق

تاليف زيد وهند في زمانك ذا اشهى الى الناس من تاليف سفرين
ودرس ثورين قد شُدّا الى قَرَن اقنى وانفع من تدريس حبرين

طبعه بنفقته العبد الفقير الى رحمة ربه الموقى رافائيل كحلا الدمشقي
وذلك في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية ١٢٧٠ هجرية

LA VIE ET LES AVENTURES

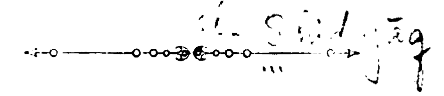
DE FARIAC

RELATION DE SES VOYAGES

AVEC SES OBSERVATIONS CRITIQUES

SUR LES ARABES ET SUR LES AUTRES PEUPLES

Par FARIS EL-CHIDIAC



PARIS
BENJAMIN DUPRAT, LIBRAIRE DE L'INSTITUT,
DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPERIALE, DES SOCIÉTÉS ASIATIQUES DE PARIS, DE LONDRES, DE MADRAS ET DE CALCUTTA, etc.
Rue du Cloître-Saint-Benoît, n° 7.
1855

LIBRAIRIE G. P. MAISONNEUVE
198, Boulevard St-Germain, PARIS (VIIe)

Digitized by Google

Digitized by Google



فهرست الكتاب

الكتاب الاول

(RECAP)

2274
.87678
.381

7-17-58 F.F. Grant

Digitized by Google

الكتاب الثاني

Digitized by Google

الكتاب الثالث

Digitized by Google

صفحة

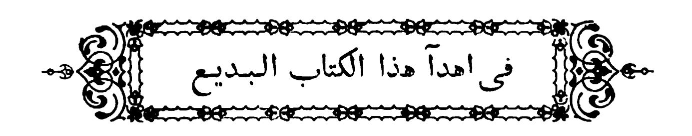
Digitized by Google

الكتاب الرابع

Digitized by Google

انتهت فهرست الكتاب

Digitized by Google



الحمد لله

لما جرت عادة المولفين من الافرنج ان يهدوا مولفاتهم الى من تميّز فى عصرهم بالفضائل والمحامد ورُويت عنه مآثر جليلة فى اكرام العلم واهله رايت هنا ان احذو حذوهم فى اهدآ هذا الكتاب البديع الى الجناب المكرم الخواجا بطرس يوسف حوّا المقيم بلندرة اذ كان قد اتصف فى عصرنا هذا بالمزايا الحميدة التى يتحلّى بها مدح كل مطرئ وقول كل مولّف وهو الان كبير هذا البيت المشهور من قديم الزمان بالحسب والفخر ورفعة القدر وكثيرا ما اعان على تحصيل الفضايل وامدّ بنى جنسه وغيرهم بما افازهم بمنتهى الامال وادرك بهم منتأى الاوطار فانثنوا عنه حامدين وعلى آلائه شاكرين هذا وان يكن مقامه الكريم يجلّ عن بعض جُمَل فى الكتاب لكنه فى الجملة جدير بان يختص به فالمرجو منه قبوله واجارته وترويجه واجازته فان الحقير بالانتمآ اليه يعود جليلا والناقص يكتسب تكميلا *

من الداعى لجنابه
فارس الشدياق

Digitized by Google

والانبساط نحو الابتحاح والبداح والبراح والابطح وللابلنداح والجحّ والرحرح والمرتدح والرَوح والتركح والتسطيح والمسفوح والمسمح فى قولهم ان فيه لمَسْمَحًا اى متسعا والساحة والانسياح والشُدحة والشرح والصفيحة والصلدح والاصلنطاح والمصلفح والطح والمفرطح والفشح والفطح والفلطحة الى آخر الباب *ويلحق به الفاظ كثيرة خفية الاتصال لا تدرك الا بامعان النظر نحو الاسجاح والتسريح والسماحة والسنح * ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخداة والتيد والثأد والثعد والمثمعد والمثمغد والثوهد والثهمد والخبنداة والخود والرادة والرَخودة والرهادة والعبرد والفرهد والاملود والفلهود والقرهد والقشدة والمأد والمرد والمغد والمَلَد الى اخر الباب * ويلحق به من الامور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد وغير ذلك * وربما عادلوا فى بعض الحروف اى راعوا فيها الاكثار من النقيض فان حرف الدال يشتمل ايضا على الفاظ كثيرة تدل على الصلابة والقوة والشدة * وذلك نحو التأدّد والتاكيد والتاييد والجلعد والجلمد والجمد والحديد والسحدد والسخدود والسمهد والتشدد والصفد والصلد والصلخد والصمغد والعجرد والتعجلد والعرد والعِربدّ والعرقدة والعصلد والعطوّد والعطرّد والعلد الى آخره * ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو اَرَم وازم وثَرِم وثلم وجذم وجرم وجزم وجلم وحذم وحذلم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخزم وخضم الى اخر

Digitized by Google

الباب * ويلحق به من الامور المعنوية حَمّ الامر اى قُضى وحرم وحتم وحزم فان معنى القطع ملحوظ فيها * ويكثر فى هذا الحرف ايضا معنى الظلام والسواد * ومن خصائص حرف الهآ الحمق والغفلة والرث. اى قلة الفطنة نحو أَلِه وأَمِه وبله والبُوهة ونفه والتَّوه والدله والسَّبَه وشُده لغة فى دُهش او مقلوب منه وعُتِه وعَلِه وعمه ونمه ووَرِه وقس على ذلك سائر الحروف * ومن هذا الغريب ايضا كون بعض الصيغ يختص بمعنى من المعانى نحو اجرهدّ واسمهرّ وكل ذلك مشار اليه فى هذا الكتاب فينبغى التفطّن له * وقد طالعت كتاب المزهر فى اللغة للامام السيوطى رحمه مما ذكر فيه خصائص اللغة نقلا عن الامام اللغوىّ ابن فارس فلم اجده تعرّض لهذا النوع بل ربما اورد من الخصائص احيانا ما لا ينبغى ايراده كجعله مثلا اطلاق لفظة الحمار على البليد منها * ومن ذلك الغريب النوادر من الالفاظ وذلك نحو قولى اكهى فى صفة الرجل المتقرقف من البرد قال فى القاموس اكهى سخّن اطراف اصابعه بنَفَس * ونحو العنقاش للذى يطوف فى القرى يبيع الاشيآ * والضوطار وهو من يدخل السوق بلا راس مال فيحتال للكسب * والذُنابة اى بقية الدَين * وثرمل يقال ثرمل الطعام لم يحسن اكله فانتشر على لحيته وفمه * ويتكظكظ وهو ان ينتصب الانسان عند الاكل قاعدا كلّما امتلا بطنه * ونحو الجلهزة والتلحّز والوَذم والارغال وغير ذلك مما فُسّر بعضه وترك الباقى فرارا من تكبير

Digitized by Google

جرم الكتاب * والامر الثانى ذكر محامد النسآء ومذامهن فمن هذه المحامد ترقي المرأة فى الدراية والمعارف بحسب اختلاف الاحوال عليها كما يظهر مما اثرت عن الفارياقية * فانها بعد ان كانت لا تفرق بين الامرد والمحلوق اللحية وبين البحر الملح وبحر النيل تدرّجت في المعارف بحيث صارت تجادل اهل النظر والخبرة وتنتقد الامور السياسية والاحوال المعاشية والمعادية فى البلاد التى رائها احسن انتقاد * فان قيل انه قد نقل عنها الفاظ غريبة غير مشهورة لا فى التخاطب ولا فى الكتب فلا يمكن ان تكون قد نطقت بها * قلت ان النقل لا يلزم هنا ان يكون بحروفه وانما المدار على المعنى * ومن تلك المحامد ايضا حركات النسآء الشائقة وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصوّر منها شى الّا وذكرته فى هذا الكتاب لا بل قد اودعته ايضا معظم خواطرهن وافكارهن وكل ما اختصّ بهن *





الحمد لله تعالى على ما اسبغ من نعمه علينا ووالى وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الحافظ الموقّي رافائيل كحلا الدمشقي انى لما طالعت هذا الكتاب المسمى بالساق على الساق رايته قد اشتمل على فوائد جزيلة من سرد الفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس باسلوب رائق معجب وتمهيد شائق مطرب وخصوصا لاشتماله على اخص ما يلزم معرفته من الآلات والادوات واستيفائه لجميع اصناف الماكول والمشروب والمشموم والملبوس والمفروش والمركوب والحلى والجواهر مما لم يوجد فى كتاب غيره على هذا النمط وما أُغفل من تلك الاشياء فى بابه وهو قليل فقد ذكره المولف فى الجدول المبيّن للالفاظ المترادفة وقد رأيت من محاسن هذا الكتاب ايضا انه اشتمل على نثر ونظم وخطب ومقامات وملاحظات حكمية وانتقادات فلسفية ومطارحات وكنايات وتوريبات وتوريات ومحاورات وعبارات مضحكة كيلا يملّ القارى من مطالعته المرة بعد المرة * فمن ملح تلك المحاورات ما ذكر فى الفصل



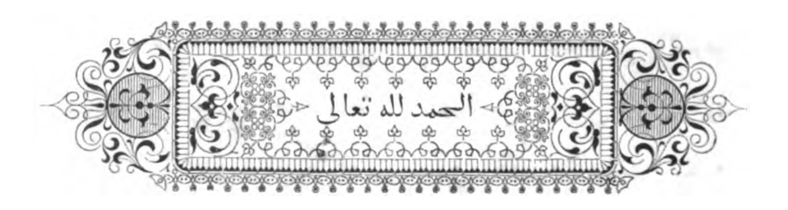
التاسع من الكتاب الاول وفى الفصل الثامن عشر والعشرين من الكتاب
الثالث وفى الفصل الثانى من الكتاب الرابع وفى الفصل السادس منه
وفى الفصل العاشر وفى غيره ومن الكنايات ما ذكر فى الفصل الثامن عشر
من الكتاب الاول وفى الفصل العشرين وفى خطبة الكتاب الثانى وفى
الفصل الخامس منه وفى مواضع اخرى كثيرة فاما التوريات فانها لا تكاد
تحصى كثرةً فالمرجو من مطالعه ان يتصفّحه برويّة واعمال نظر ليتبيّن
خفيّ ما اودع فى فصوله المفصلة من النكات والمحاسن * ومن محاسنه ايضا
انه اذا ذكر شيا استوفى كل ما امكن ان يقال فيه وراعى النظير له من جميع
طرقه وبالجملة فانى اتجاسر على ان اقول ان المولف قد فتح باب
هذا الاسلوب الغريب فى التاليف ثم ما لبث ان قفله فلا يمكن تحدّيه
من بعده لان الكتاب انطوى على اشهر ما يروم القارى معرفته من غرائب
اللغة * هذا ولما رايت ما فيه من جمّ الفوائد الادبية والنوادر اللغوية
وثبت لديّ انه يكون مقبولا لدى اهل العلم والذوق الصحيح استخرت
الله فى طبعه واشتهاره ليعمّ نفعه ويسهل تحصيله فاما ما يظهر منه فى
بادى الامر من الاساآة فى حق اشخاص صرّح المولف باسمآئهم فقد
كنت اود لو ان هذه الاسمآ لم تكن شيا مذكورا الا انه اشترط عليّ قبل
الشروع فى الطبع ان لا انقص منه شيا كما انه اشترط ذلك ايضًا على
جميع القارئين واليه اشار فى الفاتحة بقوله او ترتأى استعماله

محذوفا * فرايت ان قليل اللوم الذى ينشأ عن اثبات تلك الاسماء بالنسبة الى كثرة الفوائد التى تحصل منه غير مانع من اشتهاره وقبوله فدونكه ايها المطالع تحفة مبتكرة لم يسبق اليها وهدية نفيسة يجب الحرص عليها فامعن عند تلاوتها النظر وادم عليها الفكر لتبرز لك محجّبات معانيها وتنجلى عليك مُحجّبات مبانيها ولا تعاملها معاملة ما سواها مما قد اشتهر فانها بِدْع عزّ عن ان ينظّر * ثم انّا نعتذر اليك عن بعض غلطات وقعت فى الطبع غالبها مقصور على شكل الفاظ غير مشهورة على انها قليلة جدّا ولا توجد فى جميع النسخ المطبوعة فانّا تداركنا بعضها بالاصلاح وقلّ ان يوجد كتاب فى غريب اللغة خاليا من ذلك. فالمامول من كرمك ان تقابلها على جدول التصحيح وتصلحها بالقلم والمولف معترف بالقصور والاعتراف يمحو الاقتراف وليس الكامل الّا الله وحده ومنه نستمد المغفرة والمعونة *



a

Digitized by Google



فاتحة الكتاب

هذا كتابى للظريف ظريفا — طَلِقَ اللسان وللسخيف سخيفا

اودعتُه كَلِمًا والفاظا حلت — وحشوتُه نقطا زهت وحروفا

وبداهةً وفكاهة ونزاهة — وخلاعة وقناعة وعُزوفا

كالجسم فيه غيرُ عُضوٍ تعشق المستور منه وتحمد المكشوفا

فصّلته لكن على عقلى فما — مِقياس عقلك كان لى معروفا

قعّرته بمحافر الافكار كى — يسع الكلام وسُمته تجويفا

لفّقته وخصفته بيدى فقل — نِعمَ الكتابُ ملفّقا مخصوفا

افرغت فيه كل حبرٍ راقَه — وله بريت من اليراع الوفا

وكانما بيديّ قد نمّقته — حتى اتى مستحكما مرصوفا

ألّفته والليل اسود حالك — فلذاك جآء مسخّما مسجوفا

نبّلته لك دون طاهى القوم بالرّ — بلات فهى تزيل منك خُلوفا

ونُصِحّ ما بك من طُلاطِلَة ومن — ضَرَسٍ فتلْقم بعد ذاك الفوفا

يُغنيك عن مَين الطبيب وسَحْله — ما من جراه تخازم الحتروفا

قد انبتت غَضراء ارض سطوره — روضًا وجنّاتٍ تروق وريفا

Digitized by Google

فتشمّ منها عَرْف كل رِبَحْلة | دَهْسآء يفتن حسنها الغطريفا
وترى الملعّظة الشِناط بجنبها | والفارض القِرطاس والسُرعوفا
ووراءها وامامها مُرمُورة | وغُرانقٌ ما ان تزال أنوفا
واذا بدت لك من خلال حزُوفه | رُدُح وثائر فاخطبنّ رَشوفا
فاذا عجزتَ عن المؤنة واستقلا | تَ وجدت فى اعقابهن الهيفا
فاختر هداك الله ما تهوى ولا | تتراخ عن ان تُدْرِك الحرنوفا
غيرى من الوصّاف فى ذا صنفوا | لكنهم لم يحسنوا التصنيفا
اذ كان ما قالوه مبتذلا ولم | يتقصّ منهم واصف موصوفا
لكن كتابى او انا بخلاف ذا | نكفى الحفىّ الحدّ والتعريفا
لا عيب فينا غير انك لا ترى | صنوا لنا فى فنّنا وحريفا
فهو اليتيم المستحيل إخآؤه | وهو الفريد فكن عليه عطوفا
الفضل لى ولصاحب القاموس اذ | من لُجّه قولى غدا مغروفا
حبلتْ به راسى خلافا للنسا | عاما وكل العام كان خريفا
لكن تولّد فى ٣ اشهر | وحبا على عُجَل وشبّ لطيفا
لم ادرِ هل رَجَلْته او مخطته او | بصقته او القته ثمّ كنيفا
عانيت فيه من الزحير اجارك السمولى عنآء لا يُكال جزيفا
وقطعت سُرّته على اهل الحِجى | وعلى اسمهم لا يبرحنّ موقوفا
ما كان من ظئر له عندى سوى | فكرى ومع ذا خلته مسروفا
قِدْمًا عليه توجهت نفسى ولم | يكُ شوقها عن نحوه مصروفا
ورشحتُ لذّاتٍ قُبَيل نتاجه | حتى اذا باشرت عدت نَشوفا
اولدت لى ولدين لا لك ثم ذا | لك ثالثا لا لى فَعُلْهُ القُوفا
عهدى الى ولدىّ ان يتحدّيا | اسلوبه وبدفّتيه يُطيفا

ليؤمّناه من الحريق اذا احتمى ... احد عليه لكونه جريفا

انى بريء منهما ان يعدلا ... عنه ويتّخذا عليه حليفا

مَن كان يرغب فيه فهو موفّق ... اوْ لا فقد ضلّ السبل وايفا

في الليل يسمع منه غطغطة يطيـــب نعاسه بدوامها وجيفا

ولرُبّ نور ساطع يغدو اذا ... قابلته يوما به مكسوفا

وكبير بطن ضاق عنه وفاتك ... ذى شِرّةٍ عنه يخيم ضعيفا

كالزئبق الفرّار ينظره ولا ... يسطيع يُمسك من قفاه صوفا

يهوى هوىّ الريح في الوادى اذا ... ما هِيج ثمّ يُستتم الشُنعوفا

هو خير داجٍ للذى لم يرضَ من ... لُعَب الزمان ولهوه خذروفا

ان تتلُه يطربْك حسن بُغامه ... او تُلغه يُسمِعْك منه عزيفا

فيه ترى في البرد مشتى ثم إن ... ثارت نجوجاة السّهام مَصيفا

واذا ثقلتَ من الطعام وغيره ... تلقى به من ثقلة تخفيفا

واذا اتخذت حديقةً فاغرس بها ... منه كُلَيمات تزدك قُطوفا

تغنيك عن نصب الخيال بها فلو ... اضحى شِظاظا لصّها لأخيفا

انى ضمنتُ لك القُدور فما تُرَى ... من بعده عُزها ولا منجوفا

كلّا ولا مستثقِلا نوما ولا ... أرقا ولا تشكو صَدًى وعُجوفا

لا تُنقدمنّ على ركوب الصعب ان ... لم تتخذه صاحبا ورديفا

حتى اذا تُعتعت اصبح عاصما ... لك أن تزل فتخطئ الخرـــ فا

انى لأعلم والسداد يدلّنى ... أن الجناب يرَى الأبيل مخيفا

فاخفِه انت بكل حرف باتر ... قد خُطّ فيه يكفّ عنك كفيفا

هو حصرم في طَرْف مَن يغتابه ... ما زال ان ذُكِرَ اسمه مطروفا

وهو الحديد القاطع الماضى الذى ... يبرى العظام ويحسم الشرسوفا

Digitized by Google

ان شئت تلبسه على علّاته فاهنأ به أَوْ لا فدعه نظيفا
ولقد اجزتك سفّه او لَعْقَهُ او ان تُخَفِّ قَيْئاً فخذه مدوفا
لكن حذارِ من الزيادة فيه او ان ترتأى استعماله محذوفا
اذ ليس فيه من محلّ قابل للحذف او لزيادة تثقيفا
لو كان يُعشَق جامدٌ لجماله لغدا الورى طُرّا به مشغوفا
ولَئن نزحتُ عن الانام فانه يمشى اليه حيث كان زحوفا
واذا تخاصم كاذبان فلحية الاشقى يغادر شعرها منتوفا
حتى كأنّ الشَعر من لَحيِيهما قطن الحشايا ناعما مندوفا
وحياة راسك ان راسى عارف انى به لن استفيد رغيفا
كلّا ولا اقطا ولا حَشَفا ولا خزّا على وتدى ولا كرسوفا
لكن بقرنى حكّة هاجت على انى اعالج مرة تاليفا
من كان يُؤجَر كى يولّف خطبة فهو الخليق بان يُعدّ عسيفا
ما راجَ من قولى فخذه وما تجدْ من زائف فاتركه لى ملفوفا
لابدّ أن تجد الصيارف مرّة بين الدراهم درهما مزيوفا
ولربّ دينار يجرّ اليك مَن تهوى بلحيته وليس مشوفا
لا يعلقن بزجاج عقلك ما ترى فيه من الصدأ القديم كثيفا
من كان فى بلد لطيفا طبعه يجد الغليظ من المحبّ لطيفا
لا ترفسن ما سَرّ منه لاجل ما قد سآء بل لا تُولِهِ تافيفا
ان المصنف لا يكون مصنّفا الا اذا جعل الكلام صنوفا
او ليس ان الضرب مثل الصنف فى المعنى وقرع عصا اليه أُضيفا
حاشاك ان تقضى علىّ تهافتا من قبل ان تتحقق التوقيفا
فتقول قد كفر المولف فاحشدوا ياقوم صاحبكم اتى تجديفا

فتهيجَ ارباب الكنائس هَيجة — شُؤمى فيخترطوا عليه سيوفا

بينى وبينك من صِلات مودّة — ما يقطع التفسيق والتسقيفا

لا تزبئرّ الى القتال ولا الى الشــــكوى ولا تك بيننا قِذّيفى ا

ان كنتُ احسانًا اتيت فدونك التــحبيذ لى او لا فلا تقذيفا

لا يُشتَمنّ ابى ولا امى ولا — عرضى ولا تك لى بذاك اليفا

اثمى على انفى يناط مدلدلا — ما ان يُصيبُ من العباد انوفا

ولربّ فِسّيق اللسان مُباذئٍ — يغدو وقد فسق العفيف عفيفا

ونزيه نفس ان يزر ذا زوجة — ويكون ان ضحكت له عِتريفا

كَلِبُ الكواعب ليس يُعدى غيره — ودواؤه كُعْبُ يليه مَنُوفا

ماذا على مُهدٍ الى اخوانه — شيا الذّ من المدام طريفا

سهر الليالى مُحكما تفصيله — وهمُ رقود يُحكمون بجخيفا

ارايت ذا كرم يردّ هدية — ويسوم مهديها له تعنيفا

او ليس ان الدهر اصبح مازحا — يَهذى وياتى المضحكات جنوفا

فاشتقّ من خَرْف الجنى خَرِفا ومن — خَصَفٍ تَنهى الاظفار منه حصيفا

دع عنك تعبيس الاسود وكن اخا — لابى الحُصَيْن مراوغا يَهْفوفا

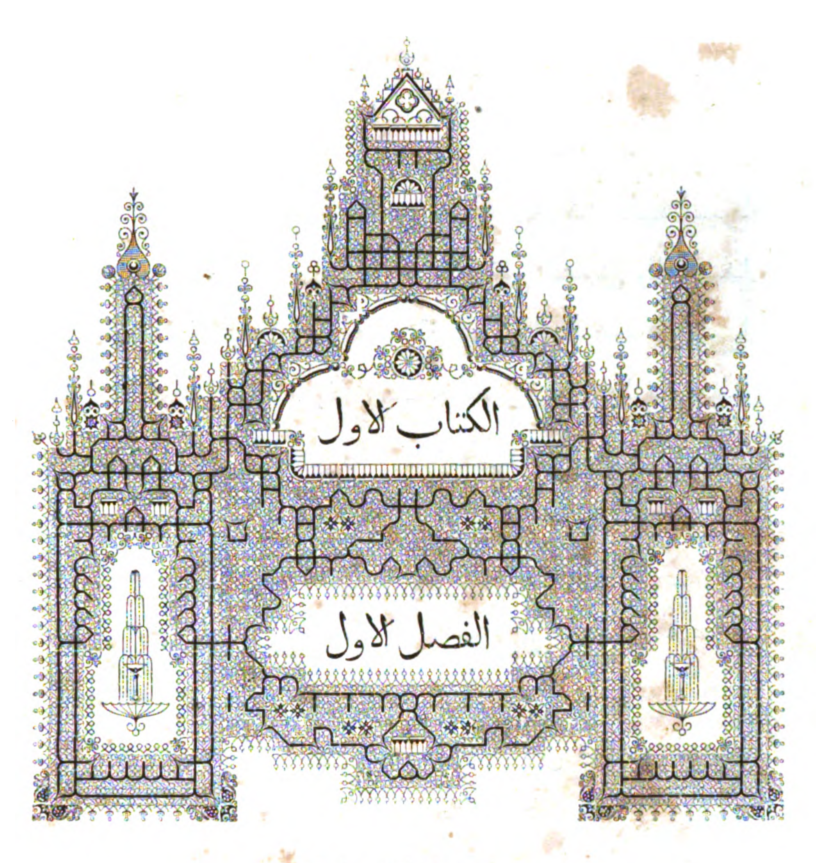
من اضحك السلطان صوت رُدامه — فهو الذى فى الناس عُدّ عريفا

تمت بهذا البيت فاتحتى وقد — صيّرته لبنائها تسقيفا

لا تقرأنْ من بعده شيا ولو — كُلِّفتَ حرفا واحدا تكليفا

فتكون قد أزلقتَ ثم تجاوزتْ — بك رجلك اليسرى له تاريفا

انى ارى كالريب فى اذنيك عر — ف نصيحتى راحت سدى وطليفا



فى اثارة رياح

مه صه اسكت اصمت انصت أيبس إعقَم اسمع ائْذن اصِخ اصغَ اعلم انى شرعت فى تاليف كتيّبى هذا المشتمل على اربعة كتب فى ليالى راهصة ضاغطة احوجتنى الى الجوار قائما وقاعدا حتى لم اجد لصُنبور افكارى ما يسدّه عن ان يتبعّق على ميزاب القلم فى وجوه هذه الصحائف * فلما رايت القلم مِطواعا لاناملى والدواة مطواعا للقلم قلت فى نفسى لا باس ان اقفو القوم الذين بيّضوا وجوههم بتسويد الطروس فان كانوا قد احسنوا فانا أعدّ ايضا من المحسنين * وان كانوا قد اساآوا فلعل عدد كتبهم يحتاج الى تكملة فيكون كتابى على كل حال متّصفا بالكمال * لان ما كمّل غيره كان جديرا بان يكمل نفسه * فمن ثم لم اتوقف فيما قصدته ولم انحاش ان اودعه من الالفاظ الشائقة الرائقة والمعانى الفائقة الآفقة كل ما خَقّ على

Digitized by Google

السمع * ولذّ للطبع * مع علمي انه لا يكاد مُولِّفٌ يعجب الناس جميعا * وكاني بمتعنّت يقول في نفسه او لغيره لوكان المولف اجهد قريحته في تاليف كتاب مفيد لاستحق ان يثنى عليه * لكنني اراه قد اضاع وقته عبثا بذكر ما لا ينبغي ذكره حينا * وحينا بذكر ما لا يجدى نفعا * والجواب عن الاول * ومحترسٍ من مثله وهو حارسٌ * وعاد الحَيْسُ يُحاس * وخذ من جِذْع ما اعطاك * وشحمتي في قَلْعي * واهتبِلْ هَبَلك * وعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ * وعن الثاني * اربَعْ على ظَلْعك * وارقَ على ظلعك * وارقأ على ظلعك * وقِ على ظلعك * وكاني بآخر يقول حديث خرافة ياام عمرو * وجوابه وكم من عائب قولاً سليما * ثم كاني بجوقة عظيمةٍ من الجَلاذيّ والنهاميّين والانهمة والوَقفة والوَفهة والوهفة والابيلين والزرازرة والقمامسة وامامهم الجاثليق الاكبر وامام هذا العَسْطوس الاعظم وهم يضجون ويعجون ويجأرون وينعرون ويلجبون ويصخبون ويزأطون ويلغطون ويتقترون ويتوغرون ويتوعدون ويتهددون ويتذمرون ويتنكرون ويتنمرون ويتشذرون ويتشزرون ويتغذمرون وينحمون وينهمون ويلغمون * فاقول لهم مهــــلا مهـــــلا انكم قضيتم عمركم كله في حرفة التاويل فما يضركم لو اوّلتم ما تنكرونه في كتابي من اول وهلة * وتمحّلتم كما هو دابكم لان تجعلوا منه حسنا ما يظهر قبيحا ومستظرفا ما يلوح من خِلال عبارته فاحشا * فان ابا نواس قد اوجب عليكم ذلك مذ مئين من السنين بقوله

لا تحظر العفو ان كنت امرأً ورعا   فانّ حظركه بالدّين ازراء

وبقوله

كن كيفما شئت ان الله ذو كرم   وما عليك اذا اذنبت من باس

الا اثنتين فلا تقربهما ابدا   الشرك بالله والاضرار بالناس

Digitized by Google

فاما ان قلتم ان عبارته صريحة بحيث لا تقبل التاويل * فاقول لكم انكم بالامس كنتم تخطأون وتحصرمون وتهرأون وتلحنون وتلكنون وتغلطون وتوهمون وتتهكون وتلبكون وتلتكون وتلفتون وتعصدون وتخلطون وتخطلون وتهذون وتهذرون وتحصرون وتلخون وتلخلخون وتعجمون وتجعمون وتفدمون وتلفون وتبلتعون وتلهيعون وتلغلغون وتلقلقون وتقلقلون و... وتثرثرون وتحصرون وتفرفرون وتجمجمون وتمجمجون وتغمغمون وتمغمغون وتتعتعون وتتغتغون وتشعشعون وتشغشغون وتبعبعون وتبغبغون وتوتغون وتضغضغون وتعيون وتفههون فمتى جاءكم العلم حتى فهمتموها * وان قلتم ان بعضها وهو السيئ مفهوم وبعضها غير مفهوم * قلت لعلّ ما لم تفهموه هو من الحسنات التي تذهب السيئات فلا ينبغي لكم على اية حالت كانت ان تحرقوه * ولعمري لو لم يكن من شافع لقبوله واجرائه عند الادباء وعندكم انتم ايضا مجرى كتب الادب سوى سرد الفاظ كثيرة من المترادف لكفى * بل فيه من ذكر الجمال واهله ادام الله عزهنّ ما يوجب اعظامه وتقريظ مولفه حيّا ثم تأبينه بعد مفارقته اياهن برغم انفه * على انى اعرف كثيرا من الوفهة الكرام المشهود لهم بالفضل بين الانام لا يتحرّجون من قولهم شي مجمجَ وشي متدملك وشي مفرّم وشي ازيَبّ وشي مُهدِف وشي قازح وبَكّبَك * ومن ذكر الكَعثَب والكثعب والكثعم والجُلّهوم والعَرْكَرك والاكثم والاختم والخشيم والحَزنْبَل والدِعْكَنّة والجُدجُد والنّيزج والبَوْص والنامة والبُلْغُص والقَلْذم والاكبس والضُرالمىّ والعُمارطىّ والحَضْر والهَيْذَب والمَحلوس والبُوص والعِضْرط والعُضارطىّ والجميش والجمشاء والبدّاء والفَشُوش واللّطعاء والمَهْلوسة والمرصوفة والمستودفة والجالقة والحارقة والخَبُوق والخَقوق والغَقوق

Digitized by Google

والرَبُوخ والمُخَرْبقة والسَلَقْلَق والشَّقآ والمُتلاحِة والنجام والنجوم والاَثوم والشريم والهَوْجَل والمَتْكآ والحَلقيَّة والمرفوغة والمَصوص والمِنفاص والمِيْراص والعَضوص والمِنخار والشفيرة والزَّخاخة والبَخاخة والجُحْنة والسَفلَّج والعَنْبلة والجَليبع ومن العِلَّوْز والقُنب والنَوف والخُنثب والاَيَّل والبَيْظ والشُعْرُوزين والجِتار والاَشْعَر والطَبَق والاسكتين والحسكلتين والعُتُل والقُحقُح والمأنة والجُعْب والطِرْث والعكبز والمعجرم والعُجارِم والوَبيل والفَنجليس والفِلطيس والحَطاط والكوتعة والجُوفان والمَتْك والحوقلة والكوشلة والقُصْعة والدُلعة ومن الاقماد والتوثيد والاستعناد والتفنشج والشَمْذ والفَهْر والإفهار والوجس والنشنشة والاستخلاط والتشيّط والهُكاع والفَخة والسَغْم والإكسال والذعم والزَجْل والهُقُق والنَيْطل والعُتْر والطَرُوح والعجيز والفِنجِر والاختصار والترفّغ والإصفآ والعَصْد والحَمَق والتعفيل والتبازخ والعَرْوة والإسْواع والبِساع والإلهاط والعَصْد والرَفْغ والعَفَل والقَرْنة والكَيْن والطَوطَوة ومن ذكر الإرزَب والبَزْباز والفاعوسة والخُرنوف والمشرح والغُضارطيّ والمَصوص والخاق باق والزردان والطَنْبريز والفَلْهَم والقبْقاب واللُهْموم والنَجُوم والمَزَخة والنُغنغ والخَشنَفَل والمُعَزنِفط والمقرنفط والفُوق والقوق والرَكوَة والقحفليز والعَفلَّق وغيرذلك من ادوات النصب ومن البنُودة والجِعبّي والحَذافة والمِخذفة والمُخذقة والخَوارة والخَفاقة والعَزاقة والمِجسّة والمحشّة والخُبَنْفثة والرَماعة والصَمارَى والرَثِم والطِبّيخة والحَمآ والعَوآ والعَزْلا والجَعْمآ والسَحْمآ والفُنقصة والفُرقعة والصَقارة والنَبور والنباعة والنبّاغة والوبّاعة والجَوّانة والخَوّانة والصوانة والبُرعث والبعثط وغيرذلك من ادوات الجزم ومن الاذاف والبيّزار والجُمَيح والجعثوم والاَذلعيّ والحَوقل والمِطوَل والزُلنقطة والخَدَرْنق والسحادل والصَبيز والعُلعُل

والدَّوْقل والقُسْطَبيْنة و الفِنْطيس والشاقول والقَهْبَلِيس والعَرْدَل والقَصْطَبير والجُزاجز والقِرْميلة والمُتمّر والدَّوْسر والسَّمَهْدر وغير ذلك من ادوات الجرّ ومن ذحّ وذحا ودحّ ودَحْبَى ورصع ورطأ وشفتن وشكز وصهز وطعز وطخ وعزط وعزلب وقرفط وقنطر وقسبر وقحطر وقمطر ولطز ولمج ولمذ ومشق ومتر ومهج ومعج ونيرج وزخزخ ودعظ .
وكنت احلق في وجوههم عند ذكرهم ذلك فلم اكن ارى عليها حمرة الخجل ولا صفرة الوجل . بل كانت ناضرة مستبشرة مبتهجة مسفرة .
فان أبي المنكر إلّا عنادًا وتقاضاني جدول اسمآئهم قلت له هاك اوله يبتدي بالالف وآخره باليآء . فاحسبوني اذًا وافهًا من هولآء . ثم ان شرطي على القاري ان لا يُسْطر شيا من الالفاظ المترادفة في كتابي هذا على كثرتها . فقد يتفق ان يمر به في طريق واحدة سرب خمسين لفظة بمعني واحد او بمعان متقاربة . والّا فلا اجيز له مطالعته ولا اهنوّه به .
علي اني لا اذهب الى ان الالفاظ المترادفة هي بمعني واحد والّا لسموها المتساوية وانما هي مترادفة بمعني ان بعضها قد يقوم مقام بعض . والدليل على ذلك ان الجمال مثلاً والطول والبياض والنعومة والفصاحة تختلف انواعها واحوالها بحسب اختلاف المتصف بها فخصّت العرب كل نوع منها باسم ولبُعد عهدهم عنا تظنيناها بمعني واحد . وقس علي ذلك انواع الحلي والماكول والمشروب والملبوس والمفروش والمركوب . لا بل عندي ولا اخشى من ان يُقال اوّلك عندٌ انه اذا كان اسمان مشتقين من مادة واحدة وكانا يدلان على معنى واحد كالنجوج والنجوجاة مثلا للريح الشديدة المرّ فلا بد وان يكون الاسم الزائد في اللفظ زائدًا في المعني ايضا . فان شئت اذعنت اولا فعاند . هذا واني قد الفته وماعندي من الكتب العربية

شى اراجعه واعتمد عليه غير القاموس . فان كتبي كانت قد فركتني فاعتزلتها . غير ان موسه رحمه لم يغادر وصفًا فى النسآء الّا وذكره . فكانه كان الُهِم ان سياتى بعده من يغوص فى قاموسه علىّ جمع هذه اللآلئ فى مولف واحد متنسق لتكون اعلق بالذهن وارسخ فى الذكر . ولولا اني خشيت غيظ الحسان علىّ لكنت ذكرت كثيرا من مكايدهن وحِيَلهن ومِحالهنّ لكنني انما قصدت بتاليفه التقرب اليهن وترضّيهن به . واني آسف كل الاسف على انهنّ غير قادرات على فهمه لجهلهن القرآءة لا لعوص العبارة . اذ لا شي يصعب على فهمهن مما يوول الى ذكر الوصال والحبّ والغرام . فهن يستوعبنه ويتلقفنه من دون تلعثم ولا قصور ولا تَرَج . وحسبى ان يبلغ مسامعهن قول القائل ان فلانا قد الّف فى النسآء كتاباً فضّلهن به على سائر المخلوقات . فقال انهن زخرف الكون . ونعيم الدنيا وزهُاها . وغبطة الحيوة ومناها . وسرور النفس ومشتهاها (١) وعلق القلب . وقرة العين . وانتعاش الفوأد . ورَوْح الروح . وجلآء الخاطر . وتعلل الفكر . ولهو البال . وجنّة الجنان . وانس الطبع . وصفآء الدم . ولذة الحواس . ونزهة الالباب . وزينة الزمان . وبهجة المكان والباءة . بل اقول غير متحرّج عُرف الالاهة . اذ لا يكاد الانسان يبصر جيلة الّا ويسبّح الخالق . بذكرهن يلهج اللسان . ولخدمتهن تسعي القدم . وتتحمل الاعبآء . وتتجشم المشاق ويهون الصعب . ويتجرع الصاب . ويقاسي الضرّ . ولرضائهن يذل العزيز . ويبذل النفيس . ويذال المصون . وان خَلاق الرجل من دونهن حرمان . وفوزه خيبة . وهنآه تنغيص . وانسه وحشة . وشبعه جوع . وارتوآه ظما . ورقاده ارق . وعافيته بلآء . وسعادته شقاوة . وطوبى له كالزقوم . والتسنيم كالغسلين . فاذا قدّر الله بلوغ هذا الخبر المطرب سماع احدى سيداتى هولآء الجميلات

(١) حاشية قد غلط الفيروزابادي فى اشتقاقه الشّرية من السّرّ للجماع بل اشتقاقها من السّر بمعنى السرور

وسرت به وفرحت . ورقصت ومرحت . رجوت منها وانا باسط يد الضراعة ان تبلغه ايضا مسامع جارتها . واملت من هذه ايضا ان تطالع به صاحبتها حتى لا يمضى اسبوع واحد الا ويكون خبر الكتاب قد ذاع فى المدينة كلها . وكفاني ذلك جزآء على تعبى الذي تكلفته من اجلهنّ . أَلَا وَلْيَعْلَمن انى لـو استطعت ان اكتب مديحهن بجميع اصابعى وانطق به بكل من جوارحي لما وفيّ ذلك بمحاسنهن . فكم لهن عليّ من الفضل حين يَبْدُوْن في افخر الحلل . ويمسن باحسن الحليّ . ونظرن اليّ شافنات * حتى ابت الى حفشي وانا اتعثر بافكاري وخواطري . فما كادت يدي تصل الى القلم الا وقد تدفقت عليه المعانى وساحت على القرطاس . فاورثنني بين الناس ذكرا وفخرا . ورفعن قدرى على قدر ذوي البطالة والفراغ . نعم ان من بينهن من نَفِست عليّ بطيفها فى الكرى * ولكنها معذورة فى كونها لم تكن تعلم انى اتكلف النوم * بعد ان رات عينى من جمالها ما يبهر العقل ويبلبل البال . فاما اذا تعنّت عليّ احد بكون عبارتى غير بليغة . اي غير متبلة بتوابل التجنيس والترصيع والاستعارات والكنايات . فاقول له انى لمّا تقيدت بخدمة جنابه فى انشآء هذا المولف لم يكن يخطر ببالى التفتازانى والسكاكى والامدي والواحدي والزمخشري والبستى وابن المعتز وابن النبيه وابن نباتة . وانما كانت خواطري كلها مشتغلة بوصف الجمال . ولسانى مقيّدا بالاطرآ على من انعم الله تعالى عليه بهذه النعمة الجزيلة . وبغبطة من خوّله عزّ وجلّ عزّة الحسن وبرثآء من حرمه منه . وفى ذلك شاغل عن غيره . على انى ارجو ان في مجرد وصف الجمال من الطلاوة والرونق والزخرفة ما يغني عن تلك المحسّنات استغنآء الحسنآء عن الحليّ ولذلك يقال لها غانية . وبعد فانى

Digitized by Google

قد علمت بالتجربة أن هذه المحسنات البديعية التى يتهوّر فيها المولفون كثيرا ما تشغل القارى بظاهر اللفظ عن النظر فى باطن المعنى . ولعمرى انه ليس في هذا الكتاب شي يُعاب سوي وجدانك الفارياق فيه تارة يحشر في سرب الغواني . وتارة يدمق عليهن وهن آمنات في حجالهن او في حديقة او فى زاوية او على السرير. ولكن لم يكن لى بدّ من ذلك. اذ الكتاب موضوع على قص اخباره وعلم احواله * فقد بلغنى ان كثيرا من الناس انكروا وجود هذا المسمى فقالوا انه من قبيل الغول والعنقآء * وبعضهم قال انه كان قد ظهر مرة فى الزمان . ثم اختفى عن العيان . وذهب غير واحد الى انه مُسخ بعد ولادته بايام . ولم يُعلَم باى صورة تلبّس والى اى شكل استحال . وزعم قوم انه صار من جنس النسناس . واخرون من النَسانس . وقال غيرهم انه صار من نوع الجن . واثبت بعض انه استحال امراة . فانه لما راى ان المراة اسعد حالا من الرجل فى هذه الدنيا المسماة دنيا النسآ كان لا يبيت الا وهو جائر الى ربه بالدعآء لان يصيره انثى . فتقبّل الله ذلك منه وهو على كل شي قدير * فرايت والحالة هذه من بعض ما يجب عليّ ان اعرّف هولآء المختلفين فيه بحقيقة وجوده على ما فطر عليه. ما عدا التغيير الذى عرض له من جهد المعيشة وسو الحال ومقاساة الاسفار ومخالطة الاجانب والاحتكال . وعلى الخصوص من تلفيع الشيب والمجاوزة من حد الشباب الى سن الكهولة . فاذ قد علم ذلك فاقول

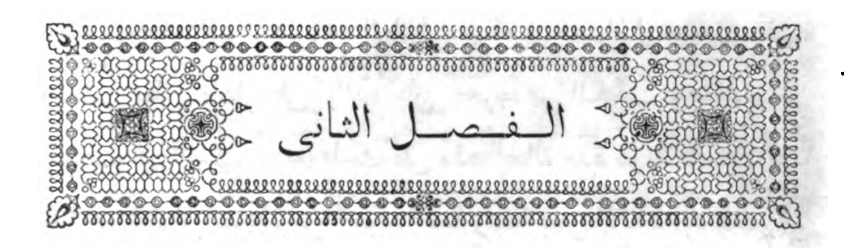
كان مولد الفارياق فى طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدي او التيس والسرطان ماشٍ على قرن الثور . وكان والداه من ذوي الوجاهة والنباهة والصلاح (مَرْحَى مرحى) الا ان دينهما كان اوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (بَرْحَى برحى) وكان لطبل ذكرهما دويّ يُسمع من

بعيد . ولزوابع شانهما عجاج ثناء يثور فى الجبال والبيد . ولتكرير العفاة عليهما واعتشاء الوفود لديهما . تعطّلت سبل دخلهما . ونزحت بئر فضلهما فلم يبق فيها الّا نزازات يلقى فيها المخفق المحروم سدادا من عوز * فكانا يجودان به ايضا من عوز السَداد (وهّ وه) فلذلك لم يعد فى طاقتهما ان يبعثاه الى الكوفة او البصرة ليتعلم العربية . وانما جعلاه عند معلم كتاب القرية التى سكنا فيها (ويح ويح) وكان المعلم المذكور مثل سائر معلّمى الصبيان فى تلك البلاد فى كونه لم يطالع مدة حياته كلها سوى كتاب الزبور وهو الذى يتعلمه الاولاد هناك لاغير (افّ اف) وليس قولى انهم يتعلمونه موذنا بانه يفهمونه . معاذ الله . فان هذا الكتاب مع تقادم السنين عليه لم يُعد فى طاقة بشر ان يفهمه (غُط غط) وقد زاده ابهاما وغموضا فساد ترجمته الى اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي والمعمّى (رُطْ رط) وانما جرت عادة اهل تلك البلاد بان يدرّبوا فيه اولادهم على القراة من غير ان يفهموا معناه . بل فهم معانيه عندهم محظور (تُفّ تف) وكما انهم لايفهمون معنى حآ وميم وقاف مثلا . فكذلك لا يفهمون عبارة الكتاب المذكور اذا قراوها (طِيْخ طيخ) والظاهر ان سادتنا روسآ الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهم المساكين ان يتفقّهوا اويتفقّحوا . بل يحاولون ما امكن ان يغادروهم متسكعين فى مهامه الجهل والغباوة * (أعْ اع) اذ لو شآوا غير ذلك لاجتهدوا فى ان ينشئوا لهم هناك مطبعة تطبع فيها الكتب المفيدة سوآء كانت عربية اومعرّبة (سُرّ سر) فكيف ترضون ياسادتنا الاعزة لعبيدكم الاذلة ان تربي اولادهم فى الجهل والعَمَه * (عزوى عزوى) وان يكون معلّموهم لايعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافية ولا شيا غير ذلك مما لابدّ للمعلم من معرفته (تُعزّى تعزى) فكم لعمري من

ملكات براعة وحذق منّ الله تعالى بها على كثير من هولآء الاولاد • غير انه لفقد اسباب العلم وعدم ذرائع التاديب والتخريج طُفِئت جُذوتها فيهم على صِغَر. بحيث لم يمكن ان يشقبها بهم نتف التحصيل على كِبَر (أوه اوه) هذا وانكم بحمد الله من المتمولين المثرين . لا يعجزكم ان تنفقوا كذا وكذا كيسًا على انشآء مدارس وطبع كتب مفيدة (إيه ايه) فان لبطرك الطائفة المارونية دَخلا له وقع عظيم . وقدر جسيم . بحيث يمكنه ان يحيي به قلوب طائفته هذه التارزة التى لا همّ لها فى المنافسة والمباراة في شي بين من سبقوهم الى كل علم وفضل (هَيس هيس) وانما هَمّهم ان يتعلموا بعض قواعد في نحو اللغتين العربية والسريانية لمجرد العلم بها فقط من دون فائدة (آه اه) اذ لم يُعلَم الى الان ان احدا منهم ترجم كتابا او كراسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا ان البطرك امر بطبع كتاب لغة فيهما (تِغ تغ) ولو انه انفق نصف دخله فى كل سنة على تحصيل اسباب العلم بدل هذه الولائم والمآدب التي يهيّئوها لزوّاره • او لو كان كلّ من الامرآء والمشايخ الكرام ينفل شيا معلوما في كل سنة لاجل هذه المصلحة الخيرية . او لو بعث من قِبَله الى البلاد الافرنجية وكلآء يجمعون من ذوي الخير والاحسان فيها مبلغا يخصصه بما نحن بصدده . لاجد كل من في الشرق والغرب فعله (جَخ جخ) ولكن اذا تعنّى احد سادتنا هولآء لان يبعث الى اخوانه الافرنج حنا او متى او لوقا لجمع المال فانما يبعثه لبنآء كنيسة او صومعة (آح اح) مع ان الانسان مذ يولد الى ان يبلغ اثنتى عشرة سنة لا يمكنه ان يدرك شيا على حقيقته من جهة الكنيسة والصومعة . ويمكنه في خلال ذلك ان يتعلم ما يفيده في مدرسة او كتّاب (ثُع ثع) فهل تَعِدونني ياسادة بانشآء مكاتب وطبع كتب حتى لا اطيل عليكم هذا الفصل . فان بقلبي منكم لحزازات حاكّة وبصدري

عليكم ملامات صاكّة (اَخ اخ) لان خليصي الفارياق في دولتكم السعيدة لم يمكنه ان يتعلّم في قريته غير الزبور . وهو كتابٌ حشوه اللحن والخطا والركاكة (اخ اخ) لانّ معربه لم يكن يعرف العربية وقس عليه سائر الكتب التي طبعت في بلادكم وفي رومية العظمي (هُع هع) ومعلوم ان الغلط اذا تاصّل في عقل الصغير شبّ معه ونمى فلم يعد ممكنا بعدُ قلعه . فهل من سبب لهذا الشَيْن والعيب سوى اهمالكم وسوْ تصرفكم في السياسة المدنية والكنائسية (اُفّوه افوه) اتحسبون ان الركاكة من شعائر الدين ومعالمه وفرائضه وعزائمه. وان البلاغة تفضي بكم الى الكفر والالحاد. والبدعة والفساد (مِطْغ مطغ) ام حسبتم ان تلك الابيات العاطلة . قد افحمت ذلك المسلم العالم عن المجادلة والمناضلة . (يَعّ يع) امابعروقكم دم يهيجكم الى حبّ الكلام الجَزْل الفَخْم . والى البلاغة والبِلّة. ونسق العبارة على موجب القواعد المقرّرة . والافصاح عمّا يخطر ببالكم دون الحشو المخلّ . ولا الاعتراض المملّ . والتعقيد المعلّ . ولا الخلاّ المسلّ . وقولكم في جوز الجملة الخ . وجعلكم الفعل الثلاثي رباعيا وبالعكس . واستعمالكم ما يتعدي منه بالبا متعديا بفي وبالعكس. واجرائكم المتعدّي لازما وبالعكس . والمهموز معتلّا وبالعكس وعدم فرقكم بين اسمي الفاعل والمفعول . فتقولون هم محسودون مني اي حاسدون لي وما اشبه ذلك (قَدْ قد) وليس كتابي هذا درّة الشين . في اوهام القسيسين حتى استوعب فيه ذكر اغلاطكم واوهامكم (اَيْحي ايحي) وانما المقصود من ذلك ان ابين لكم انّ ادمغتكم قد سُقّيت اللحن والركاكة من وقت ذهابكم الى الكتّاب وقراتكم فيه كتاب الزبور الى ان تصيروا كَهْلاً ثم شيوخا (دِخ دح) وانه ما دمتم على هذه الحال فلن يرجى لكم من إبلال (وَيْب ويب) ثم ان الفارياق اقام عند معلمه ريثما ختم الكتاب

المذكور. وبعد ذلك اوجس منه المعلّم ان يربكه فى مسائل تصعب عليه فينفضح بها . فاشار على والده بان يخرجه من الكتّاب ويشغله بنسخ الكتب فى البيت (بَه به) فلبث على هذه الحالة مدة طويلة فاستفاد منها ما امكن لمثله ان يستفيد من تجويد الخط وحفظ بعض الالفاظ (بَدّ بد) وكان اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليد . فعندهم ان مَن يكتب خطّا حسنا هو الذى افق بين اقرانه في الفضل . ومع اشتهار ذلك فلم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتّاب الّا من بذأت العين خطّه وعاف الذوق السليم كلامه (عِيط عيط) اشعارا بان الحظّ لا يتوقف على الخطّ . وان ادارة الاحكام . لا تفتقر الى تهذيب الكلام . (نُع نع) وان كثيرا قد نالوا المراتب السامية. والمناصب السنية وهم لايحسنون توقيع اسمهم الشريف (حَسّ حس) غير ان الفارياق لم يكن قرير العين بهذه الحرفة . اذ كان يعتقد ان الرزق الذى ياتى من شقّ كشِقّ القلم لايكون الا ضيّقا (وَىّ وى) نعم ان كثيرا من الناس قد نالوا العيش الواسع الهنى . والخير المتتابع الوحي . من مورد هو بالنسبة الى شق القلم رحب لكنه بالنسبة الى شرههم وسرفهم ضيّق (واه واه) غير ان الفارياق وقتئذ كان غرّا لا تجربة له ولاخبرة . فكان يحكم على البعيد بالقريب . ولا شى اقرب الى عين الكاتب من لسان قلمه وعارض قرطاسه . او ادنى الى قلبه من الكلام الذى يكتبه واللبيب من قنع بالحرفة التى يتعاطاها ولم يشق عليه امت الشق ولم يشرئبّ الى ما ليس يحسنه (شُع شع) .



الفصل الثانى

فى انتكاسة حاقية وعمامة واقية

قد كان من طبع الفارياق كما هو داب جميع الاحداث ايضا ان يحاكى في الزى والاطوار والكلام من كان متميزا في عصره بالفضل والدراية. وانه راى ذات يوم قرزامًا معتمًا بعمامة كبيرة مدورة. وكان هذا القرزام يُحسَب وقتئذ من فحول الشعرآء. فاحب الفارياق ان يكون له مثل هذه العمامة على صغر راسه. فكان اذا مشى يميل راسه منها يَمنةً ويَسرةً كالقاضى الذى يخرج في الاسواق بعد صلوة الجمعة ويسلّم على الناس. واتفق ان اباه سار مرة الى دار الحاكم واستصحبه معه واركبه مهرة له. وكان هو راكبا حصانا. فمكثا هناك اياما. فعنّ للفارياق يوما من الايام ان يركض المهرة في الميدان وكان الحصان مربوطا في جانب. فاجرى المهرة نصف شوط حتى اذا قابلت مربط اليفها التفتت اليه كالمشيرة انّ فارسها غير جدير بركوبها بين جياد الامير. فما كان من الفارياق الا ان سقط على امّ راسه* واقبلت المهرة تجرى الى الحصان وغادرته مجندلا على الجَدالة. ولو كان فارسًا مُجيدا لما تركته على تلك الحالة بل كانت تنتظره حتى يقوم* ثم انه قام بعد ذلك يحمد الله على كبر عمامته فانها هى التى وَقَتْ رأسه عن احدى الشجات العشر وهى القاشِرة الحارِصَة

Digitized by Google

الباضعة الدامية المُتلاحِمة السِمحاق المُوضِحَة الهاشِمة المنَقِّلة الآمّة الدامِغة ولكنه قام محـقـوّا ويومـئـذ عرف ان لكبر العمامة فضلا ومزيّة . وظن ان اتخاذ العمائم الكبيرة عند اهل بلاده انما هى لوقاية رؤسهم فقط لا لتحسين وجوههم . فان العمامة الضخمة تخفى محاسن الوجه وتشوه الوجه الصغير فضلا عن كونها توجع الراس وتمنع صعود الابخرة من مسامّه كما نصّ عليه الساعُور الاكبر . فان قيل اذا كان سبب اتخاذ العمائم الكبيرة انما هو لوقاية الرؤس لا للزينة والتحسين فما بال الذين يرقدون ليلًا يتعممون . فهل يخافون ان تتدحرج رؤسهم عن مصادغهم فيسقطوا في مهواة في بيتهم . مع ان فرشهم تكون على الارض . قلت ان منشا هذه العادة هو ان نسآ تلك البلاد يتخذن في رؤسهن هذه القرون التى يقال لها هناك طناطير . وهي تكون من فضة اوذهب في طول الذراع وغلظ الرسغ . فاذا بات الرجل مع امراته حاسر الراس او كان على راسه غطآء رقيق لم يأمن ان تنطحه بقرنها على قرنه فتمنيه باحدي الشجاج المذكورة . فان ابيت الا اللجاجة وقلت ما سبب هذه القرون الحسّية . هل هى دليل على التذكير بالقرون المعنوية عند مخالفة الرجل لامرأته . او عند تقتيره عليها . او اجفاره عنها . او هى من قبيل الزينة او من بطر النسآء وشرههن بحيث اذا شممن رائحة الايسار من ازواجهن رأين ان كل مُجَسّ من اجسامهن قَمِينٌ بنالحَلْى والزينة . اذ كنّ يعتقدن ان المستور منها عن عيون الناس غير مستور عن عيونهن وعيون بعولتهن . وان كان في المسألة خلاف عظيم . وتحليل وتحريم . وان في التزيّن بحلى غير ظاهر للذّة عظيمة . فانّ مجرد العلم باحراز شى ثمين يسرّ صاحبه . كما لو احرز انسان كنزا في حرز محجوب فا نه يفرح به من غير ان ينظر اليه . قلت اما التذكير

بالقرون المعنوية فغير مظنون في نسآء تلك البلاد لكونهن من ذوات العِرض والتصاون . ولا سيما نسآء الجبل . وفضلًا عن ذلك فانّ هِراوة الزوج ومقامع اهله واهل امراته وعيون الجيران ايضا تمنعها عن الاتصاف بالصفة الزوجيّة التامّة . اما في المدن فان هذه الصفة اقوى وافشى . وانما كان اتخاذ هذه القرون فى الاصل مناطا للبراقع . وكانت في مبداها صغيرة قصيرة ثم طالت وكبرت بطول الزمن وكبر الدينار . وكلّما زاد ايسار الرجل وماله زاد قرن امراته طولا وضخامة . وهنا فائدة لا بدّ من ذكرها . وهى ان لفظة القرن من الالفاظ التى اشترك فيها جميع اللغات كالصابون والقطّ والمزج وغيرها . وقد شهرت عند جميع المولفين بانها كناية عن كذا وكذا من طرف الزوجة فى حق زوجها . الّا عند المولفين من اليهود فان الصفة القرنيّة في كتبهم من الصفات الحميدة . ولذلك فكثيرا ما تسمع فى كتاب الزبور ارتفع قرنى وانت رافع قرنى وانى انطح بقرنى وما اشبه ذلك * وفى كلا الاستعمالين غموض وابهام . امّا غموض استعمال القرن عند المولفين من غير اليهود كنايةً عن خيانة المراة زوجها فلانّ هيئة القرن لاتدل على عضو مخصوص من اعضآ الانسان . وحقيقته ايضا لاتدل على حيوان مخصوص . فان الثور والوعل والتيس والكركدن في ذلك سوآء . ولفظه كذلك غير مشتق من فعل يشير الى خيانة اوضمد . فما علّة هذا الاستعمال . وقد استفتيت فى هذه المسٔلة المشكلة كثيرًا من المتزوّجين المجرّذين . فكلّهم كان يتخيّف الوانا عند سؤالى له . ويجمجم في كلامه ويقوم من عندى وقد خجل ووَجُم . فانْ فتح الله الان على احد ممن يطالع كتابى هذا فى فهم حقيقة ما يراد من هذا الحرف عرفا واصطلاحا . وفى بيان سبب استعماله كناية عن الضمد فليتفضل

بالجواب منّةً واحسانا . فاما استعماله من مولفى اليهود كناية عن العزّة والقوّة والمنعة والغلبة فانه يرد عليه ما ورد على الاوّل من ان كثيرا من الحيوانات قد اشترك فيه . ومنها ما هو غير ذى قوة ولا باس . فانظر اختلاف الناس فى لفظة واحدة ومعنى واحد . امّا العمامة فان اشتقاقها فيما ارى من عمّ بمعني شَمِل لانها تعمّ الراس وهى على اشكال مختلفة . فمنها الحلزونىّ والكعكى والاطارى والمكوّرى والمقوّرى والقُمقُورىّ والقِرْطَلّى والقَعْبَلى . وكلها على اصنافها احسن من هذه الاجران التى تلبسها روساء المارونية فى الدّين فلينظروا وجوههم فى مرآة جليّة .





الفصل الثالث

فى نوادر مختلفة

كان للفارياق ارتياح غريزى من صغره لقرآة الكلام الفصيح واعمان النظر فيه ولالتقاط الالفاظ الغريبة التى كان يجدها فى الكتب . فان اباه كان قد احرز كتبا عديدة فى فنون مختلفة . وكان اى الفارياق يتهافت منذ حداثته على النظم من قبل ان يتعلم شيا مما يلزم لهذه الصنعة . فكان مرة يصيب ومرة يخطئ . مع اعتقاده ان الشعرآء افضل الناس وان الشعر اجلّ ما يتعاطاه الانسان * فقرا يوما فى بعض الاخبار عن شاعر كان فى حداثته ابله مغفّلا ثم صار امره الى ان نبغ فى نظم القصائد المطوّلة واجاد . فممّا حُكى عنه انه سكر يومًا فقعد فى نحو ناموس(1) وجعل يخطب منه خطبة ابي العِبَرطرد طبك طلندى بك نك يك من البلوعة * وانه اراد يوما ان يتسوّر حائطا ليتناول من بعض الثمر فوقع فى فخ كان قد نصبه صاحب البستان للحيوانات . وانه قال يوما لامّه ان عند فلانة خادمة نظيفة غسلت اليوم باب دارها فجآء اسود يلمع . وانه راى يوما صبيّا قد قلع احد اضراسه فسار واقترض درهما وقال للحجّام اقلع ضرسى انا ايضا فانه غير قاطع فى الاكل . ولعلّ ينبت لى فى مكانه ضرس احدّ منه . وقيل له يوما قد دُوّنت عنك حكايات من حمقك

(1) حاشية قد وَهم المطران جرمانوس فرحات فى قوله فى كتابه باب الاعراب التامور الوعآء والنفس والقلب وصومعة الراهب وقانون الرهبنة وعبارة اصله وصومعة الراهب وناموسه فتوهم ان الناموس هنا بمعنى القانون او الشرع على ما اشتهر فى عرف النصارى ومراد صاحب القاموس المعنى الاصلى وهو القُترة والعامّة تقول ناووس وما اشتهر عندهم فهو امّا تجوّز عن صاحب السر او هو يونانى معرب

Digitized by Google

كثيرة فقال بودّى لو ان احدا يقراها علىّ لاضحك . ومرض اخوه يوما فقال ابوه لزوجته قد اضره الطعام الذى اكله امس . فقال نعم قد اضره الاكل والخادمة معًا . فقال له ابوه ما مدخل الخادمة هاهنا . فقال لعلها اعطته ما لم يجبّ . ورات امه على ثيابه دمًا فقالت له ما هذا الدم . قال قد وقعت فجرى دمى وهو احسن . فقد يقال من وقع وجرى منه دم صحّ وتقوّى . وجرح يده بسكين فرمى بها وقال هذه السكين لاتساوى شيًا . فقال له ابوه لوكانت كذلك لما جُرحَت يدك . فقال كل انسان يجرح يده فى الدينا سوآء كان بسكين اوغيرها . وقال مرّة قد رايت فى السوق جبنا ابيض كالزفت . وقيل له لمَ لا تغسل يدك قال اغسلها فتعود وسخة فى الحال . ولست اقدر على تنظيفها لكون دمى وسخا . وراى ذات يوم رجالا مصلوبين فقال لامّه ياامّ اذا عاشت هولآ الرجال ايضا افيقدر الذين صلبوهم على صلبهم مرةً اخرى . وكان قوم يسالون عن منزل شخص فقال انا اعرف مقره . قيل كيف عرفته . قال قد رايت الرجل يمشى فى السوق على رجليه . وقال يوما من الثمانية الى التسعة يمضى الوقت اسرع من الستة الى السبعة . وقيل له اتحب اللحم اكثرام السمك قال اظن انى احبّ هذا اكثر . وقال له ابوه اذا كنت تغيب عنا افتحسن ان تكتب لنا كتابا . قال نعم اكتبه واجى به اوصله اليكم . وسمع اباه يثنى على خزّ اشتراه وكان به فرحا . فقال قد كانت ساعة سعيدة انكم لم تشتروه . وراى اباه يكتب كتابا فقال له هل تستطيع ياابت ان تقرا ما تكتبه . فقال له كيف لا وانا الذى كتبته . قال اما انا فلا استطيع . وراى اباه يتاسّف على طير فقده . فقال له بارك الله فى الساعة التى طار فيها . فقال له يا احمق انّا نتاسف على فقده . قال ولمَ لم تبنِ له دارا * قال أَوَ يُبنَى للطائر دار .

قال انما اعنى عودين يجعلان من هنا ومن هناك . ووصف مرة حيوانات رآها فقال ورايت ايضا خنزيرا اكبر منى * وشكا وجعًا فى رجله فقال ليت هذى الرّجل تبلَى . وكان ابوه يفسر له معنى انـقـذ بان قال له اذا وقع احد فى النار مثلاً وذهبتَ واخرجته منها فذلك هو الانقاذ * قال ولكنه قد احترق فكيف انـقـذه . وعلى فرض انى وضعت هذا السفّود فى النار ثم اخرجته منها افيكون ذلك ايضا انقاذا . وفسّر له يوما آخر معنى يلوم فـقـال اذا ابطا عليك شخص فى شى وقلت له لمَ ابطأت لم تكاسلت فذلك يكون لومًا . فقال واقول له ايضا لم كبرت لم صغرت لم قَصُرت . ولامـتـه امّه على نخره عند الكلام فقال لها الا لا تلومينى ولكن لومى روحى . واراد ابوه ان يخرج فى يوم ماطر ثم عدل خوفا من المطر . فقال لامـه ياماه من عمّ الله انّا لم نخرج اليوم فان الهوآء كان طيبا . واشـتـرت له امّه ثوبا فلما فصّلته قال لها أوَيزول لون هذا الثوب . قالت لا ادرى . قال ارجو ان يزول فلعله يصير احسن . وقالت له اوان الشتآء وهو لابس قميصا فـقـط البس ثوبك فوق القميص . فقال لها لا لانى ابرد به اكثر . ولامه ابوه على قرآئه بصوت صلق فقال له لمْ هذا الصلق فى القرآة قال لا اقدر ان اصرخ اكثر . وخفى عليه يوما معنى الزيارة فقالت له امّه اذا سرتُ اليوم الى السيدة فلانة لانظرها فـقـد زرتـها . قـال قد فهمت انك تسيـرين اليـهـا كى تخدعيها . وقالت له امه ان فلانة التى كانت تحسن اليك قد ماتت فسكت ساعة ثم قال . قد حزنت عليها كما حزنت على موت امّى . الله يبعثها الى الجنة هى وزوجها حالاً . وقال يوما لوالده ان معلمنا اليوم قد اشترى قضيبا ليضرب به الاولاد ولكنهم يغضـبونه عمدا حتـى يضربهم به فينكسر فـاستريح انـا ايضـا . وقال لامه وقد مرضت اذا جئـنـاك بالطبـيـب ولم يـشـأ الله

Digitized by Google

ان يشفيك فما الحاجة الى دوآء . وقال لها مرة اخرى استعملى هذا الدوآ فلعلك تمرضين . واراد يوما ان يوقد النار فقال اردت ان اطفئها فما انطفأت . وقالت له امّه سِرْ الى فلانة وقل لها لاى شى تخافين من امى انما هى بشر من بنى آدم مثلك . فقال اقول لها تقول لك امى لاى شى تنفرين منها انما هى من بنى الحيوانات مثلك .
وقال مرة فى شى اعجبه تبارك الله من كل عين . وقيل له يوما ان فلانا يريد ان ياخذك الى مدرسته ليعلمك . فقال بعثه الله الى الجنة . قال له ابوه اتريد ان تميته . قال فكيف اقول اذًا . قال قل اطال الله عمره . قال طوّله الله . وقال لامه اتعطيننى الليلة من تلك الحلوآء . فقالت له ان عشنا الى الليلة . قال نحن نعيش الى غد فكيف لانعيش الى الليل — انتهى — فطالع بذلك احد الالبّا فى بلاده وقال له قد ظهر لى ان هذا كلام ابله ماموه . او مدلّه بُوّه . او مسمّه مسبوه . او عَمِه مشدوه . او نَمِه معتوه . فكيف صار بعد ذلك شاعرا . فقال له يحتمل ان كلامه هذا كان قد تعمده ليضحك به ابويه . او انه كان بليد البادرة ولكنه حديد الفاكرة . فان من الناس من يدهش للسوال فلا يكاد يجيب الا خطا . فاذا اعمل فكره فى خلوة احسن كل الاحسان . او انه قصد بذلك ان يكون نَبُّها مشهورا بين الناس ولو بحماقة ورقاعة . فان اكثر الناس يحاول الشهرة باى وجه كان . فمنهم من يتعاطى الترجمة للكتب والتعليم وهو لا يدرى شيا . ولكنه يفرح بان يضع اسمه فى اول الكتاب . وبان يحشّيه بعبارات ركيكة واقوال سخيفة من عنده . او بان يُروَى عنه فيقال قال فلان كذا وكذا ويكون قوله خطا وهذرا . ومنهم من يتربع فى صدر المجلس بين اخوانه واقرانه ويطفق

Digitized by Google

يحكى لهم حكايات عن بلاد بعيدة ويخلط كلامه ببعض الفاظ تعلمها من لغة العجم . فيقول لهم مثلا صان فاصون . وپاردون موسيو . ودنكوى . وڤارى ول . اشارةً الى انه اطال السياحة فى بلاد فرنسا وايطاليا وانكلترة وتعلم لغاتهم وهو يجهل لغته التى نشأ عليها . ومنهم من يتخذ له عمامة كبيرة يضاهى بها بعض العلمآء . فان كبر العمامة يدل على كبر الراس . وكبر الراس يدل على جودة العقل وصواب الراى . ومنهم من يتكلف محاكاة لهجة مّا ممن عرفوا بالفصاحة فتراه يتشدّق ويُجعِّم ويستعمل الفاظا فى غير محلها . وبعدُ فلا ينبغى ان يكون الشاعر عاقلا او فيلسوفا . فان كثيرا من المجانين كانوا شعرآء . او كثيرا من الشعرآء كانوا مجانين . وذلك كابى العِبَر وبهلول وعليان وطويس ومزبّد . وقد قالت الفلاسفة ان اول الهوس الشعر واحسن الشعر ما كان عن هوس وغرام . فان شعر العلمآء المتوقّرين لا يكون الّا مقرزَمًا . فلما سمع الفارياق ذلك زهد فى الشعر ورغب عنه الى حفظ الالفاظ الغريبة . لكنه لم يلبث ان رجع الى خلقه الاول . وذلك ان اباه اخذه معه الى بعض القرى البعيدة ليجبى المال المضروب على سكانها الى خزنة الحاكم . فانزله اهلها منزلا كريما . وكان بالقرب من منزله جارية بديعة الجمال . فجعل الفارياق على صغره ينظر اليها نظر المحبّ الرانى جريا على عادة الاغرار من العشاق . من انهم يبتدئون العشق فى جاراتهم استخفافا للطلب واستشفاءا بالجاريّة . كما ان عادة الجارات تهنيد جيرانهنّ وتغميرهم اشارة الى انه لا ينبغى البحث عن الطبيب البعيد اذا امكن التداوى عند القريب . غير ان المحنكين في الحب يبعدون فى الطلب ويرودون انزح منتجع . لانهم لما جعلوا دابهم وديدنهم اشباع النفس من هواها كان عندهم السعى فى

ذلك فرضا واجبا . ووجدوا فى الابعاد والنصب لذة عظيمة . اذ من فتح فاه رجآء ان تتساقط الاثمار فيه لم يعدّ الّا مع العاجزين . والحاصل ان الفارياق هوى جارته لانه كان غِرّا . وانها هى استهوته واطمعته لكونها جارة . ولان منزلته من حيث كونه مع ابيه كانت تميل الناس اليه . غير ان مدة اقامته هناك لم تطل . واضطر الى الرجوع مع ابيه وقد بقى كلفا بالجارية . فلما حان الفراق بكى وتحسّر وتنفّس الصُعُدآ . ونخزه الوجد لان ينظم قصيدة يعبّر بها عن غرامه . فقال من جملة ابيات

افارقها على رغمٍ وانى اغادر عندها والله روحى

وهى اشبه بنفس شعرآء عصره الذين يقسمون ايمانا مغلظة بانهم قد عافوا الطعام والشراب شوقا وغراما . وسهروا الليالى الطويلة وجدا وهياما . وانهم ناسمون وقد ماتوا وكفّنوا وحنّطوا ودفنوا . وهم عند ذلك يتلهّون بايّ لَهْوة كانت . ثم انه لما اطّلع ابوه على تلك الابيات الفراقية لامه عليها ونهاه عن النظم . فكانّما كان قد اغراه به . فان من طبع الاولاد فى الغالب الخلاف لما يريده منهم ابآوهم . ثم انه فصل من تلك القرية حزينا كئيبا متيّما مفتونا .


Digitized by Google



الفصل الرابع

في شرور وطنبور

-○○○○○-

قد كان ابو الفارياق آخذا في امور ضيّقة المصادر. غير مامونة العواقب والمصاير. لما فيها من القآء البغضة بين الروس. وشَغْب اهل البلاد ما بين رئيس ومرؤوس. فقد كان ذا ضَلع مع حزب من مشايخ الدروز مشهور بالنجدة والبسالة والكرم. غير انهم كانوا صِفْر الايدى والاكياس والصندوق والصوان والهِمْيان والبيوت. ولا يخفى ان الدنيا لمّا كان شكلها كُرَويًّا كانت لا تميل الى احد الّا اذا استمالها بالمدوّر مثلها وهو الدينار. فلا يكاد يتمّ فيها امر بدونه. فالسيف والقلم قائمان في خدمته. والعلم والحُسن حاشدان الى طاعته. ومن كان ذا بَسْطة في الجسم وفضل في المناقب فلا يفيده طُوله وطَوله بغير الدينار شيا. وهو على صغر حجمه يغلب ما كان كبيرا ثقيلا من الاوطار ولُبانات النفس. فالوجوه المدوّرة المدنّرة خاضعة له أيانَ بَرَزَ. والقدود الطويلة منقادة اليه كيفما دار. والجباه العريضة الصليتة مكبّة عليه. والصدور الواسعة تضيق لفقده. فاما ما يقال من ان الدروز هم من ذوى الكسل والتوانى وانهم لا ذمّة لهم ولا ذِمام فالحقّ خلاف ذلك. اما وسمهم بالكسل فأحْرى ان يكون ذلك مدحًا لهم. فانه ناشى عن القناعة والنزاهة والزهد. غير ان الصفات الحميدة التى يتنافس

Digitized by Google

فيها الناس متى جاوزت الحدّ قليلا التبست بنقيضها . فالافراط في الحلم مثلاً يلتبس بالضعف . وفي الكرم يلتبس بالتبذير . وفي الشجاعة بالتهور والمغامرة . لا بل الافراط في العبادة والتديّن يلتبس بالهوس والخَبال . هذا ولماكانت الدروز مفرطين في القناعة اذ لا ترى من بينهم احدا يقتحم القفار ويخوض البحار في طلب الإزآء (١) وفي التانّق في الملبوس والمطعوم . ولا من يُسِفّ للامور الخسيسة ويدنّق فيها . او من يباشر الصنائع الشاقة . ظُنّ فيهم الكسل والتواني . ومعلوم انه كلما كثر شره الانسان ونَهَمه . كثر نصبه وكدّه وهمّه . فالتجار من الافرنج على ثروتهم وغناهم اشقى من فلّاحي بلادنا . فترى التاجر منهم يقوم على قدميه من الصباح الى الساعة العاشرة ليلاً . واما ان الدروز لا عهد لهم ولا ذمّة فانما هو محض افترآء وبهتان . اذ لم يُعرَف عنهم انهم عاهدوا بشي ثم نكثوا به من دون ان يحسّوا من المُعاهَد اليه غدرا . او ان اميرا منهم او شيخا راى امراة جاره النصراني تغتسل يوما فاعجبته بضاضتها و بَتيلتها وبُوصها . فبعث اليها من تملّق لها او غصبها * وانت خبير بان كثيرا من النصارى عائشون في ظلهم . ومستأمنون في حماهم . وانهم لو خيّروا ان يتركوا مستأمنهم هذا ليكونوا تحت أمْن مشايخ النصارى لَأَبَوا . وعندي ان من كان يرعى حرمة الجار في حرمته كان خليقا بكل خير . ولم يكن ليخونه في غيرها . فاما ما جرى من التحزّب والتالّب بين طوائف الدروز وغيرهم فانما هي امور سياسية لا تعلّق لها بالدِّين . فبعض الناس يريد هذا الامير حاكما عليهم وبعضهم يريد غيره . وكان ابو الفارياق ممن يحاول خلع الامير الذى كان وقتئذ واليًا سياسة الجبل . فانحاز الى اعدآئه وهم من ذوى قرابته فجرت بينهم مهاوش ومناوش غير مرة . وآل الامر بعدها الى فشل اعدآء

(١) الإزآء هو سبب العيش او ما يتسبب من رغده .

Digitized by Google

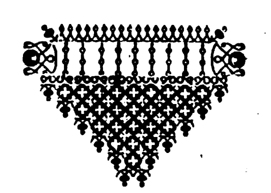
الامير. ففرّوا الى دمشق يلتمسون النجدة من وزيرها فوعدهم ومنّاهم . وفى تلك الليلة التى فرّوا فيها هجمت جنود الامير على وطن الفارياق. ففرّ مع امّه الى دار حصينة بالقرب منها وهى لبعض الامرآء . فنهب الناهبون ما وجدوا فى بيته من فضة وآنية ومن جملة ذلك طنبور كان يعزف به اوقات الفراغ . فلما ان سكنت تلك الزعازع رجع الفارياق مع امه الى البيت فوجداه قاعا صفصفا . ثم رُدّ الطنبور عليه بعد ايام . فان من نهبه لم يجد فى حمله منفعة ولم يقدر ان يبيعه اذ العازفون بالات الطرب فى تلك البلاد قليلون جدا . فاعطاه لقسيس تلك القرية كفّارة عما نهب . فرده القسيس على الفارياق . وكانّى بمعترِض هنا يقول ما فائدة هذا الخبر البارد . قلت ان وجود الطنابير فى الجبل عزيز جدّا كما ذكرنا . فان صنعة الالحان والعزف بالملاهى يَسِمُ صاحبهما بالشَّيْن . لما فى ذلك من التطريب والتصبّى والتشويق . والقوم هناك يَغْلُون فى الدّين . ويحذرون من كل ما يلذ الحواسّ . ولذلك لا يشآؤن ان يتعلموا الغنآء والعزف باحدى الات الطرب . اويستعملوها فى معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخهم الافرنج . خشية ان يُفضى بهم ذلك الى الالحاد . فعندهم ان كل فن من الفنون اللطيفة كالشعر والايقاع مثلا والتصوير مكروه . ولكن لو انهم سمعوا ما يتغنّى به فى كنائس مشايخهم المذكورين من الموشحات . او ما يُعزَف به على الأرغن من اللحون التى وَلِعَ الناس بها فى الملاعب والمراقص ومحالّ القهوة استجلابا للرجال والنسآ . لما راوا فى الطنبور اثما . فان الطنبور بالنسبة الى الارغن كالغصن من الشجرة او كالفخذ من الجسم . اذ لا يُسمَع منه الا طنطنة وفى الارغن طنطنة ودندنة وخنخنة ودمدمة وصلصلة ودربلة وجلجلة وقلقلة وزقزقة

Digitized by Google

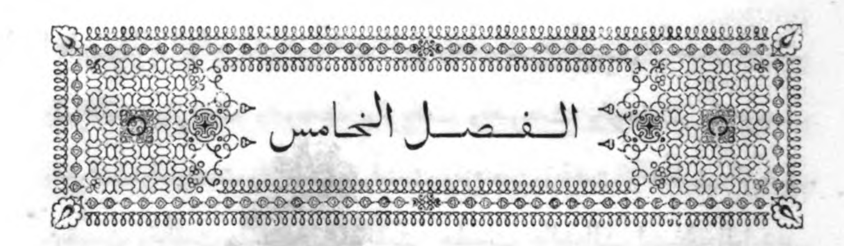
ووقوقة وبقبقة وفقفقة وطقطقة ودقدقة وقعقعة وفرقعة وشخشخة وخشخشة وجرجرة وغرغرة وخرخرة وقرقرة وبربرة وطبطبة ودبدبة وكهكهة وقهقهة وبعبع وبعبعة وزمزمة وهمهمة وححمة وغطمطمة وتاتاة وداداة وضاضاة ويايا وقاقا وصُهْصُلق و جُلُنْبُلَق وغطيط وجخيف وفحيح وحفيف ونشيش ورنين ونقيق وطنين وعجيج وازيز ودوى وخرير وازيز وهرير وصريف وصرير وشخب وصيّئ ومُوا وغاق غاق وغِقٍ غق وطاق طاق وشيّب شيب ومِي مِي وطِيخ طيخ وقَيِّق قيق وخازِباز وخاق باق . فاين هذا كله هداك الله من طن طن . فان قيل ان الرغبة عن العزف به انما هو لكونه يشبه الألية . قيل فما بال النسا يدخلن الكنائس وعلى رؤسهن هذه القرون الفضة وهي تشبه فنطيسة الخنزير اجلّك الله عن ذكره . وفنطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره تشبه كذا وكذا . فقد تبيّن لك ان اعتراضك غير وارد . وان ذكر الطنبور كان في محلّه . فان ابيت الّا العناد وتصدّيت لان تخطّئنى وتتعقبنى بزلة قلم وبغير زلة . ورمت ان تبدى للناس براعتك في الانتقاد علىّ فانى امسك عن اتمام هذا الكتاب . ولعمرى لو انك علمت سبب شروعى فيه وهو التنفيس عن كربك وتسلية خاطرك لما فتحت فاك علىّ بالملامة في شي . فقابل الاحسان اصلحك الله بالاحسان واصبر علىّ حتى افرغ من غزل قصتى . وبعد ذلك فان عنّ لخاطرك ان تلقى بكتابى في النار او الما فافعل . ولنعد الان الى الفارياق فنقول انه اقام مع والدته في البيت يتعاطى النساخة . وانه لم يلبث ان ورد عليه نعى والده في دمشق . فتفطر قلبه لهذا الفجع ووّد لو بقى الطنبور عند ناهبه * وكانت امّه تنفرد في كل صباح وتندب زوجها وتتحسّر عليه وتذرف المدامع لفقده . فانها كانت من الصالحات المتحببات لازواجهن

Digitized by Google

عن خلوص وداد وصدق وفآء . وكانت تظنّ ان ابنها لا يراها في انفرادها حتى لا يزيد حزنها برؤيتها اياه يبكي لبكآئها . لكن الفارياق كان ينظرها في خلوتها ويبكي لوحشتها ووحدتها اشدّ البكآء . فاذا رجعت كفكف عبراته وتشاغل بالكتابة او بغيرها . ومذ ذلك الوقت عرف انه لا ملجا له بعد الله غير كدّه فعكف على النساخة . غير ان هذه الحرفة مذ خلق الله القلم لا تكفي المحترف بها ولاسيما في بلاد لوَقْع قرشها طنين ورنين . ولرؤية دينارها تكبير وتعويذ الا ان ذلك جوّد من خطّه ورقّق من فهمه .



Digitized by Google



الفصل الخامس

في قسيس وكيس وتحليس وتلحيس

-○✕✕○-

من قرا آخر الفصل المتقدم ثم اتاه خادمه يدعوه للعشآ فترك الكتاب وقام يستقبل الكاس والطاس والقدح والكوب مما اختلفت اشكاله وتفاوتت مقاديره . ثم اقبلت عليه اخوانه يسامرونه فمنهم من قال له انى ضربت اليوم جاريتى ونزلت بها الى السوق على عزم ان ابيعها ولو بنصف ثمنها * وذلك لانها اجابت سيدتها جوابًا سخيفا . ومنهم من قال له وانا ايضا ضربت ابنى اشد الضرب لانى رايته يلعب مع اولاد الجيران ثم حبسته في الكنيف وهو باقٍ الى الان فيه . وبعضهم قال وانا ايضا حرّجت اليوم على زوجتى بان تطلعنى على جميع ما يخطر ببالها ويخلج صدرها من الافكار والهواجس . وبما تحلمه ايضا في الليل من الاحلام التى تنشا عن امتلآء الدماغ من بخار الطعام . او من دخان الغرام قبل النيام . وقلت لها ان لم تخبرينى باليقين اضريت بك ابانا القسيس فيكفّرك ويحظر عليك ثم يستخرج منك كل ما تكتمين وتضمرين . ويطّلع على كل ما تسترين وتخفين وتصونين . وعلى ما تحذرين منه . وتحرصين عليه وترتاحين له وتميلين اليه وتكلفين به . وقد خرجت من دارى غضبان متنمّرا وجزمت بان لا اصالحها الا اذا كانت تقصّ علىّ احلامها . وبعضهم قال ان مصيبتى في بنتى

Digitized by Google

اعظم . وذلك انها بعد ان تمشّطت اليوم وتعصّبت وتعطّرت وتطيّبت وتطوّست وتبرقشت وتزيّنت وتبرّجت وتزيّغت وتضرّجت وتزخّفت وتزبرجت وتشوّفت وتسرجت وتنقشت وترقّشت وتزهنعت وبرّقت وتحفّلت وتزوّقت وتقيّنت وتزلّقت وتزبرقت وتالّقت جلست بالشباك لتنظر الواردين والصادرين . فنهيتها عن ذلك فانصرفت ثم خالفتنى فرجعت الى موضعها . واوهمتنى انها تخيط هناك بعض ملبوس لها . فكانت كلّما غرزت بالابرة غرزة تنظر نظرتين . فقمت اليها مستشيطا غيظا وجبذتها بشعرها الذى مشطته وضفرته وعقصته فطلع بيدى منه خصلة وها هى معى . وهيهات ان تنتهى عن غيّها و لو نتفتُ شعرها كله . فانها كالمهرة الجامحة بغير عنان . لا يردّها لكْم بالاكف ولاضرب بعيدان . نعم ان من ملأ أعصاله بالوان الطعام . واذنيه بمثل هذا الكلام . فلا بد وان يكون قد نسى ما جرى على الفارياق من الوقوع الحسّى والمعنوى . ومن فجعه بنعى ابيه . ومن اقباله على نسخ الكتب واكتسابه من ذلك جودة الخطّ فمن ثم اضطررت الى الاعادة . وازيد هنا ان اقول . انه لما شاعت براعته فى النسخ ارسل اليه من اسمه على وزان بعير بيعر يستدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان يحدث فى زمانه . وليس الغرض من ذلك افادة احد من العالمين . وانما كان امساكا للحوادث من ان تنفلّت من مدار الايام . او تنفك من سلسلة الاحوال . فانّ كثيرا من الناس يرون ان احضار الماضى وجعله حالا منظورا من الامور العظيمة . ولذلك كانت الافرنج حِراصًا على تقييد كل ما يقع عندهم . فخروج عجوز من بيتها صباحا وعودها اليه فى الساعة العاشرة وهى تقود كلبًا لها . والريح عاصفة والمطر واكف لا يفوت اقلامهم . ولا يَعدو خواطرهم . ففى مقدّمة ديوان لامرتين اعظم شعرآء الفرنساوية الموجودين

في عصرنا هذا وهو الديوان الذى سمّاه التامّل الشعرىّ ما ترجمته . وكانت العرب يدخّنون التبغ في قصبات لهم طويلة وهم ساكتون وينظرون الى الدخان متصاعدا كاعمدة زرقآء لطيفة الى ان يضمحل في الهوآء اضمحلالا يشوق الرآى . والهوآء اذ ذاك شفّاف لطيف . الى ان قال . ثم ان صحبى من العرب جعلوا الشعير في مخالٍ من شعر المعزى ووضعوها في اعناق الخيل وهى حول خيمتى . وارجلها مربوطة في حلق من حديد وهى غير متحركة . وروٗسها مخفوضة الى الارض مظللة بنواصيها الشعثة . وشعرها اشهب برّاق يخرج منه دخان تحت اشعة الشمس الحامية . وكانت الرجال قد اجتمعت تحت ظل زيتونة من اعظم ما يكون . وفرشوا تحتهم على الارض حصيرا شاميا واخذوا في الحديث والحكايات عن البادية وهم يدخنون التبغ . وينشدون اشعار عنتر وهو من شعرآء العرب الذين اشتهروا بالحماسة والرعاية (اى رعاية البهائم) والبلاغة وقد بلغت اشعاره منهم مبلغ التنباك في الاركيلة . وحين كان يرد عليهم من الابيات ما يوٗثر في حسّهم اكثر كانوا يرفعون ايديهم الى اذانهم ويطرقون بروٗسهم ويصرخون تارة بعد تارة الله الله الله . الى ان قال في وصف امراة رآها تبكى عند قبر زوجها . وكان شعرها مسدلا من عند راسها ملتفّا عليها ومماسّا للارض . وكان صدرها مكشوفا كله على ما جرت به العادة عند نساء تلك البلاد من بلاد العرب . وحين كانت تتطاطأ للثم صورة العمامة على رِجام القبر او تصغى اذنها اليه كان ثدياها البارزان يمسّان الارض ويرسمان في التراب شكلهما كالقالب . اه صفحه ٢٤ وسائر هذه المقدمة على هذا النمط مع انه سمّاها مقدور الشعر . اى ما قدّره الله تعالى على الشعر والشعرآء . وفى رحلة شاطوبريّان الى اميريكا وهو ايضا من اعظم شعرآء عصره ما صورته . وكان منزل رئيس الدول

المتحدة عبارة عن دار صغيرة مبنية على اسلوب الانكليز فى البنآء . من دون خفرة عندها من العسكر ولا حشم داخلها . فلما قرعت الباب فتحت لى جارية صغيرة فسالتها هل الجنرال فى البيت . فاجابت نعم . فقلت ان عندى رسالة اريد ان ابلّغه اياها . فسألتنى عن اسمى وصعب عليها حفظه فقالت لى بصوت منخفض ادخل ياسيّدى . (واورد هذه العبارة باللغة الانكليزية وهى (Walk in sir) تنبيها على معرفته لها) ثم مشت امامى فى ممشى طويل كالدهليز . ثم دخلت بى الى مقصورة واشارت الىّ ان اجلس فيها منتظرا الخ صفحه ٢٥ . وفى موضع اخر . انه راى بقرة عجفآء لامرأة من هند اميريكا . فقال لها وهو راثٍ لحالها . ما بال هذه البقرة عجفآء . فقالت له انها تاكل قليلا . واورد هذه العبارة ايضا باللغة الانكليزية وهى (She eats very little.) وفى موضع اخر ذكر انه كان يرى كِسَف السحاب بعضها فى شكل حيوان وبعضها فى شكل جبل اوشجرة وما اشبه ذلك . فاذ قد عرفت هذا فاعلم ان اعتراضك علىّ فى ايراد ما هو غير مفيد لك لكنه مفيد لى لا يكون الّا تعنّتا . فان هذين الشاعرين كتبا ما كتباه ولم يخشيا لومة لائم ولم يعترض عليهما احد من جنسهما . وقد اشتهر فضلهما وصيتهما حتى ان مولانا السلطان ادام الله دولته اقطع لامرتين فى ارض ازمير اقطاعات عظيمة . ولم يُسمع عن ملك من ملوك الافرنج انه اقطع شاعرا عربيا او فارسيا او تركيا مقدار جريب واحد فى ارض عامرة . ولا غامرة . فاما كون وزان بعير ببعر قد حاكى الافرنج فى تاريخه وهو عربى وابواه ايضا عربيّان وعمّه وعمته كذلك عربيّان . فمما لم اتيقّنه الى الان . ولعلى اعلمه بعد انجاز هذا الكتاب فاخبر به القارى ان شآ الله . وانما ارجو انه اى القارى لا يقطع قراته لجهله سبب هذه المحاكاة وان يكن العلم به مهمّا .

Digitized by Google

ودونك مثالا مما كان يكتبه الفارياق فى اساطير بعير بيعر . فى هذا اليوم وهو الحادى عشر من شهر اذار سنة ١٨١٨ قصّ فلان ابن فلانة بنت فلانة ذنب حصانه الاشهب بعد ان كان طويلا يكنس الارض . وفى ذلك اليوم بعينه ركبه فَكَبَا به . فان قلت ما سبب النسبة الى الام دون الاب . قلت ان بعير بيعر كان من المتدينين المتورّعين المتّقين . فنسبة الولد الى امّه اصحّ واصدق من نسبته الى ابيه . فان الامّ لاتكون الا واحدة بخلاف الاب . ولكون الجنين لايمكنه الخروج الّا من مخرج واحد . ومن ذلك . اليوم نُظرت سفينة فى البحر ماخرة فظُنّ انها بارجة قدمت من احد مراسى فرنسا لتحرير اهل البلاد . لكنه عند التحقيق ظهر انها انما كانت زورقا مشحونا ببراميل فارغة . وكان سبب قدومه للاستقآء من عين كذا . فان قيل ان هذا خلاف المعهود . فان من شأن الكبير ان يبدو للعين عن بُعد صغيرا لا عكسه . قيل ان الانسان اذا اعطى نفسه هواها راى الشئ بخلاف ما هو عليه . فمن احبّ مثلا امراة قصيرة لم يرَبها قِصَرا . ومن خلا بمحبوبته فى قترة راها اوسع من صرح بلقيس . وبعدُ فانّا نرى النور الصغير عن بُعدٍ كبيرا . فلا غرو ان يبدو الزورق بارجة او شُونة . فان القوم هناك مازالوا يحلمون بان رؤسهم قد تبرطلت ببراطل الفرنساوية ولحموا عِرضهم بعرضهم حتى يروا نسآهم كما قال الشاعر

تصيد ظبآونا الأُسُد الصوارى ... بلحظ او بلفظ فى المسالك
وغزلان الفرنج تصيد ايضا ... بذَيْن معا وبالايدى كذلك

وكان بعير بيعر سُتْهمًا جَعْظَرًا أُحزُقّة . لكنه كان حليما يحب السلم والدّعة . وكان من التغفل على جانب عظيم . فكان مفوّضا اموره المعاشية الى رجل

لئيم شرس الاخلاق عَيْدَه به كِبر وعُنْجُهيّة وعجرفة وتفجّس وغطرسة. وكان تمضى عليه الساعة والساعتان وهو لا يبدى ولا يعيد. فيظن الغِرّ انه معمل فكره فى تدبير الدُوَل. او تلخيص النِحَل. فقد جرت العادة بان الرجل اذا كان ذا منزلة رفيعة فان كان عييّا مفحما عُدّ رزينا وقورا. وان يك مهذارا عدّ نصيحا. فاما اموره المعاديّة فانها كانت تعلو وتسفل وتضوى وتجزل وتُفتَق وترتق بتدبير قسيس ذى دعابة وفكاهة وبشاشة وهشاشة. قصير سمين. ابيض بدين. وكان هذا القسيس الصالح قد تمكن من حريمه تمكّنا لا يباريه فيه النسيم. والقى عصاه عند احدى بناته وكانت ذات وجه وسيم. ومنطق رخيم. وكانت تزوّجت برجل قد جُنّ وتخبّل فخلّته وجنونه واعتصمت بعقوة ابيها فكان القسيس آمرًا عليها مطاعا. ناهيا وزّاعا. فكانت كلما دخل فيها شى اوخرج منها شى تطالعه به لانها كانت ممن قَفَط قُطرَى الدّين والدنيا معًا. وكانت تعترف له بجرائرها فى الخلوة. وهو يسالها عن كل زلة وهفوة. فيقول لها هل تتذبذب ألياك ويترجرج ثدياك عند صعودك الدرج او عند المشى. وهل يحدث فيك هذا الارتجاج من لذة. فقد ورد فى بعض الاخبار ان بعض الجلامطة كان يرتاح الى اى ارتجاج كان. حتى كان كثيرا ما يتمنى ان تتزلزل الارض من تحته. وتمور الجبال من فوقه. وهل يُمثّل لك فى الحلم ضجيع يكافحك. وخليع يصافحك اذ لا فرق عند الله بين اليقظة والمنام. وان اعظم الحقائق انما بُنى على الاحلام. وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتهيت ان تكونى خُنثَى. اى ذكرا وانثى. لا لا ذكر ولا انثى كما تقول العامة.

Digitized by Google

فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربّانيين الراتين . وغير ذلك من المسائل التى يضيق عن تفصيلها هذا الفصل . وكان ابوها لايسيئ به الظن لما تقرر عنده من ان كل من لبس السواد فهو من الفاطمين اهوآهم عن اللذات . الخاصين انفسهم عن الشهوات . حتى انه نظر يوما فى بعض الكتب هذا البيت وهو

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها   أفاويقَ حتى ما تدرّ لنا ثعل

فظن انه تعريض بهم وتلميح اليهم . فامر باحراقه فأُحرق وذُرّى رماده . وراى يوما آخر بيتين فى كتاب آخر وهما

ما بال عينى لا ترى من بين مَن   لبس السواد من العباد نحيفا

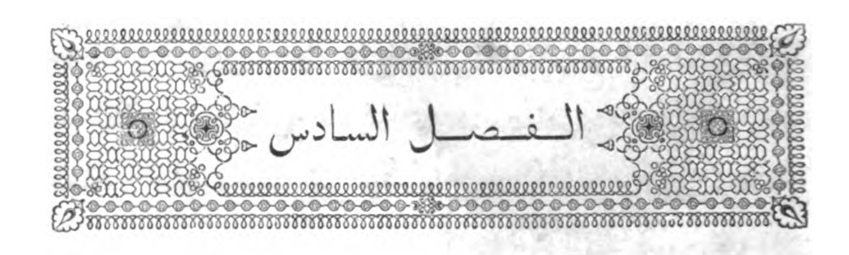
ما كان من لحم وشئ غيره   فيهم فاصلب ما يكون وقوفا

فامر ايضا باحراق الكتاب . وبعث جواسيس فى البلد يتجسّسون عن مولفه ونودى فى الروابى والوهاد . ألا من دلّ على مولف كتاب كذا فانه يُجزى احسن الجزآء . ويرقى الى رتبة سنية . فلما سمع المولف بذلك اضطر الى الاختفآء مدة حتى نُسِى اسمه . فان قلت ان هذا الفعل خلاف ما وصفته به من الحلم . قلت ان عادة اهل تلك البلاد ان الحلم يكون محمودا فى كل شى الا فى امرين حرمة العِرض وحرمة الدين . فان الاخ لَيُبسِل اخاه الى الهلكة من اجلهما . ثم ان الفارياق اقام عند هذا الحليم مدة لم يحصل فيها على طائل . وكانت نفسه عزيزة عليه فلم يرد ان يسأله . فمن ثمّ جمع ذات ليلة حطبا وتبنا كثيرا واطلق فيهما النار فانبعث اللهيب نحو مقصورة بعير بيعر . فظن ان النار قد سرت فى قصره . فاستوشى القيام والقعود فاقبلوا يتسابقون الى موضع النار . فراوا عندها الفارياق يزيدها من الحطب الجزل . فسالوه عن

Digitized by Google

ذلك فقال ان هذه النار من بعض النيران التى تنوب عن اللسان . وان لم يكن لها صورة لسان . ومن فوائدها انها تنبّه الغافلين . وتنذر الباخلين . أنّ وراها لقولا شديدا . ولسانا حديدا . فقالوا ويحك انما هى من بدعك أوَيكلّم احد بالنار . لقد سمعنا ان الانسان يكلم غيره ببوق او بقرع عصا او باشارة اصبع او بغمز عين او برمز حاجب او برفع يد من عند الابط . فاما بالنار فبدعة وضلال . وكادوا ان يبدّعوه ويكفّروه وينسبوه الى التمجّس ويطرحوه النار ٭ لولا انّ قال قائل منهم . ردّوا الجواب على مرسلكم . ولا تفعلوا شيا عن تهوّك . فلما اخبروه بما راوا وسمعوا . استرآه واستنطقه عن ذاك الاجيج . فقال اصلح الله المولى . وزاده فضلا وطَوْلا . قد كان لى كيس لا ينفعنى ولا انفعه . وللاكياس ولما جاء على وزنها ورويّها عادة مخالفة لسائر العادات . وهى انها اذا خفّت ثَقُلت . واذا ثقلت خفّت . فلمّا خفّ كيسى في جوارك السعيد اى ثَقُل احرقته بهذه النار . وانما جعلتها عظيمة هكذا لانى كنت اتوهمه كرضوى في جيبى . حتى انه كثيرا ما منعنى عن النهوض والخروج لحاجة مهمّة . فلما سمع قوله ضحك من خرافته ورضخ له من كفّه الجامدة شيا يقابل ما كتبه له الفارياق في اسفاره فى الخساسة . فاقبل يحنبش الى بيته وآلى ان لا يكتب شيا بعد ذلك الّا ما طاب موقعه . وجل نفعه . رجاء ان تكون الاجرة على قدر العمل . وهيهات فان اكثر الناس نفعا وشغلا . اقلهم اجرا وجُعْلا . ومن لم يحسن الا التوقيع . أحلّ المحل الرفيع . ولُقِمت يده وقدمه كما يلقم الثدىَ الرضيع .

Digitized by Google



الفصل السادس

في طعام والتهام

بينما كان الفارياق راسه ورجلاه في البيت كان فكره يصعّد في الجبال . ويرتقي التلال . ويتسوّر الجدران . ويتسنّم القصور ويهبط الاودية والغيران . ويرتطم في الاوحال . ويخوض البحار . ويجوب القفار . اذ كان اقصى مراده ان يرى منزلا غير منزله . وناسا غير اهله . وهو اول عناء الانسان في حياته . فعنّ له ان يزور اخا له كان كاتبا عند بعض اعيان الدروز . فسار وحقائبه الاماني . فلما اجتمع به وراى ما كان عليه القوم من الخشونة والتقشف ومن الاحوال المغايرة لطباعه . انكر بعضها ووطّن نفسه على تحمل البعض الاخر . ولم يشا وشك الرجوع من دون تقصّي معرفتهم . ولو كان رشيدا لصرَف نفسه عن هواها من اول يوم . اذ ليس من المحتمل ان اهل مدينة او قرية يغيّرون اخلاقهم وما ربوا عليه لاجل غريب دخل فيهم . ولا سيما اذا كانوا شياظمة ذوي بسطة وباس . وكان هو قميئا . ولكن الانسان كلما قلّ شغله كثر فضوله . فلا يكتفي بمجرد ما يسمع باذنه حتى يرى بعينه . وكان الفارياق كلما زاد بهولآء القوم خبرة ونقدا . زاد اعراضا عنهم وزهدا . لانهم كانوا غلاظ الطباع . بهم جفاء وافظاع . وسخى الوساد والملبوس . ملازمي الضَفَف والبوس . واقذرهم كان طباخ الامير . فان

قميصه كان انتن من المِمحاة . وقدميه اقلتـا من الوسخ ما لا تكاد تكشطه عنـه المِسحاة . وكانوا اذا قعدوا للطعام سمعتَ لهم زمزمة وهمهمة . وقعقعة وطعطعة . فخلتهم وحوشا على جيفه . يشرملون ويرمّطون وينهسون ويتعرقون ويتمشّشون ويتلمّظون ويتمطّقون ويلوسون ويلطعون ويتنطّعون وكل ذلك في فرشطةٍ خفيفـة . فكنت ترى في جبهة كلٍ منهم مضمون ما قيل مَن لَفْلَف . لم يتـقصّف . فاذا قاموا رايت الأُرزّ مزروعا في لحاهم . والوَضَر متقاطرا من كساهم . فكان الفارياق اذا آكلهم قـام جوعانا . ومعت عليه امعآؤه في الليل.فبات سهـرانا . فكان يقول لاخيه عجبًا لمن يعاشر هولآء الناس . من الاكياس. ما الفرق بينهم وبيـن البهائم .سوى باللحى والعمائم . لا جرم انهم عائشون في الدنيا لسدّ بصائرهم وافكارهم . ولفتح افواههم وادبارهم . لا يكاد احد منهم يظن ان الله تعالى خلق بشرًا الّا وكان دونه . وما يدرون ان الانسان ليس له بمجرد النطق فضل على العجماوات . ومزية على الجمادات . فان الكلام انما هو مادة لصورة المعاني . ولا تنفع المادة وحدها اذا لم تُحلّ فيها الصورة التي هي الوجود الثاني . وقد يقـال ان الرقين . تغطّي أَفْن الافين . وهولآء قـد حُرِموا من العقل والنَعمة . ورضوا من الكون كلـه بالنَسمة . كيف تطيق ان تعاشر هولآء الهَمَج . وفضلك بيـن الناس قد بلج . فقـال له اخوه ان كثيرا ليحسدونني على مكانـتـي عند الامير . واني لكيد حسّادي اصبر على العسير. كما قيل

وكم اشيـآ يحسبها انـاس   لفـاعلها نعيـما وهي بوسُ
ولولا أن يكيد بها حسـودا   لانكـر ذكـرها وبـه عبوسُ

وفضلاً عن ذلك فان القوم ذوو نخوة ومروة . وشهامـة وفتوّة . وانهم وان

يكونوا سيئي الادب على الطعام . فهم متادبون في الفعال والكلام . لا ينطقون بالخنى . ولايُعرَف بينهم لواط ولا زنا . غير ان الفارياق كان يرى الأدَب كله في المأدبة . فكانّه كان قد تخرّج على بعض الافرنج او كان له فيهم نسبة . فمن ثم استدعى بقريحته على هجوهم فلبّته . ونادى القوافي لوصفهم فاجابته . فنظم فيهم قصيدة بيّن فيها سوء حالهم . وخشونة بالهم . من جملتها

في ثغر كلٍّ منهم سكّينه   وسلاحه الماضي فأيْن المُطْعِمُ

ثم عرضها على اخيه وكان مشهودا له بالادب . وعلم لغة العرب . فاستحسنها منه على صغر سنّه . واعجب ببراعة فنّه . ثم لم يلبث ان اشتهر امرها . وشاع ذكرها . وذلك لان اخاه من شدة اعجابه بها تلاها على كثير من معارفه فبلّغها بعض الحسّاد . الى امير الناد . وكان هذا المبلّغ نصرانيا فان الحسد لايكون الا عند النصارى . مع ان كثيرا ممن تليت عليهم من الدروز كانوا داخلين في عداد المهجوّين . فلما سمع الامير بذلك استاء جدّا وقال لاخيه . تالله لقد جاء اخوك امرا فريّا . كيف يهجونا وهو ضيفنا وقد انزلناه منزلا كريما . وسقنا اليه رزقا عميما . لعمر الله لئن لم يتدارك هجوه بقصيدة مدح لأغيظنّه . وكان هذا الامير متصفا بصفات العرب في الفروسة والنجده . وفي شرآء الحمد جهدَه . غير انه كان يَكِل الامور الى المقدور . ولايهمه ترتيب حاله . والنظر في مآله . ثم خشي من ان يكون هذا الوعيد ادعى الى زيادة الهجو اذا فصل عنه الفارياق وهو مغيظ . فراى ان الاغضآء . اجلب للارضآء . وان التملّق . اوفق للتلفّق . فمن ثم سارّ صديقا له من علمآء ملته . وفُضَلا نحلته . ان يصنع مادبة ويدعوه اليها والفارياق واخاه . فلما جمعهم النادي . وجيء بالحلوآء على اطباق كالهوادي . اقسم الامير

Digitized by Google

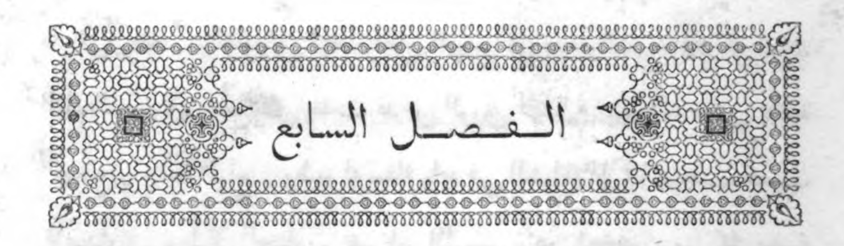
قائلا والله لا اذوقن من هذا شيا او ينظم ابو دلامة يعنى الفارياق بيتىَ مديح ارتجالا . فابتدر وقال بديها

قد كاد طبع ابى دلامة انه يهجو لان الهجو وفق جنانه
لكنّما هذا الخبيص نهاه اذ مُزِجت حلاوته بمرّ لسانه

فجُنَّ الحاضرون استحسانا لهما . حتى ان الامير لم يتمالك ان صافح الفارياق وقبّله بين عينيه فانعقدت بذلك الموادعة ورجع كلّ راضيا . وقفل صاحبنا الى بيته . وآلى ان لا يعقد فيما بعد ناصيته بذنب احد من كبرآء الناس . وان يسدّ اذنيه عن صوت صيتهم وان غلب على الاجراس .



Digitized by Google



الفصل السابع

في حمار نهّاق وسفر واخفاق

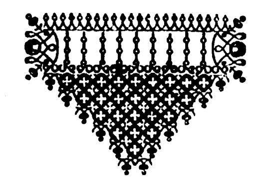
ثم لبث الفارياق يتعاطى حرفته الاولى وملّ منها ملل العليل من الفراش * وكان له صديق صدوق يراقب احواله * فاجتمع به مرة وخاضا في حديث افضى الى ذكر المعاش * والتظاهر بين الناس باحسن الرياش * فقرّ راى كلّ منهما على ان الانسان في عصرهما لا يُعدّ انسانا بفضله ومزيّته * بل ببزّته وزينته * وان الناس المولودين من الخزّ والحرير والقطن والكتان المعلقين في اوتاد حوانيت التجار اعظم قدرا من الناس الماشين العارين عنها * وان المرء اذا كان ضيّق الصدر والراس * بحيث يكون واسع السراويلات واللباس * كان هو النبه الافق المشار اليه بالبنان * المحمود بكل لسان * فاجمعا رايهما على ان يستبضعا بضاعة ويقصدا ترويجها في بعض البلاد استطلاعا لحال اهلها وتفرّجا من كرب بالهما * فاكتريا حمارا لحمل البضاعة وهو لا يستطيع حمل جثته من الهُزال والضّوى فضلاً عن عِلاوته * ولم يكن قد بقي فيه شي شديد سوى نُهاقه وزُقاعه * فالاول للاستعلاف * والثاني لمن ينخسه او يلقي عليه الاكاف * ثم سارا وهما يفصّلان ثوب النجاح على قامة الآمال * ويقدّران بساط الفوز على نُدْحة الاجال * فما بلغا طِيّتهما الا والحمار على شفا جُرف

هارٍ من رَمَقه . والفارياق ايضا زاهق الروح من تعبه وقلقه . نادم على ترك القلم الضئيل . معما كان ينفث به من الرزق القليل . ويومئذ عرف عاقبة الجَشَع . وتَبِعَة الرَّتَع . وظهر له سَفاه رايه فى الشراهة الى ما يوجب نَصَب الابدان . وبَلْبال الجَنان . غير ان اللبيب من استخرج من كل مضرة منفعة . ومن كل مفسدة مصلحة . حتى ان فى فقد الصحة لنفعًا لمن رشد . وخيرا لمن قصد . اذ العليل وهو ممدود على وساده . تنقصر نفسه عن التمادى فى فساده . وفى شهواته المنكرة واهوائه الموبقة . فتقوى بصيرته والمرض ناهكه . ويملك سداده والالم مالكه . ويُرضى الله والناس بما هو سالكه . وهكذا كانت حال الفارياق . بعد مقاساته تلك المشاقّ . فانه لما احسّ بضنك السفر . ولقى منه ما لقى من الضرر . تبيّن له ان شق القلم اوسع من حقائب البياعه . وان سواد المداد ابهى من الوان البضاعه . وان فى ترويج السّلعة . لمَعَرَّةً دونها معرّة الغُدّة والسِّلعة . فجزم بانه عند الاياب الى وطنه . يرضى بليّن العيش وخشنه . ولا يبالى ان لم يكن ذا شارة رائعة . او طَلالة رافعة . او معيشة واسعة . بحيث لا يجوب امصارا . ولا يتلو حمارا . اما وصف الحمار على اسلوبنا معاشرَ العرب فانه كان زبونا بليدا . حرونا عنيدا . تارزا قديدا . لا يكاد يخطو الا بالهراوه . واذا راى نقطة ماء فى الارض ظنّها بحرًا ذا طُفاوه . فاجفل منها اجفال النعام . ووَجل كما يُوجَل من الحِمام . واما على الطريقة الافرنجية فانه كان حمارًا ولد حمار وامّه أتان من جيل كلهم حمير . وكان لونه يضرب الى السواد . ومسّ شعره كمسّ القَتاد . مصلّم الاذنين ولا نشاط . اعسم الرجلين بادى الامِّعاط . ادرم أفْوَه . أدْلَم اقره . يفركح فى بشّه . ويرفس عند نخسه . ويكوف ويتمرغ . ويشغ ويبدغ .

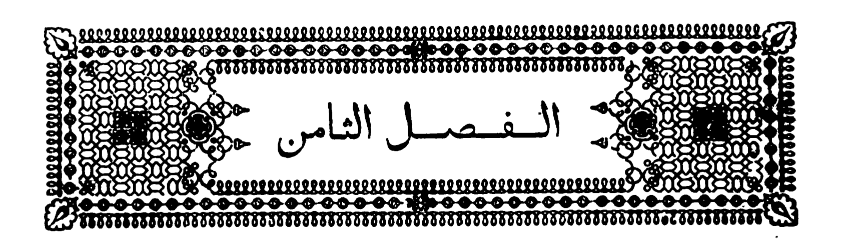
لا تحيك فيه العصا . ولا يعمل فيه الزجر اذا عصى . ولا يتحرّك الا اذا احسّ
بالعَلَف وان يكن زؤانا . ولا تظهر فيه الحيوانية الا اذا راى اتانا . فيريك
ح سُموًّا واستنانا . ونشاطا وصَمَيانا . حتى كثيرا ما كان يقلب حمله .
ويفسد عِدله . وفيه خَلّة اخرى وهى انه كان دائم الاحداث على قلة اعمال
ضرسه ا مواصل الغَفْق فى النجوة والخفض زيادة على نحسه . فان منشأه
كان فى بلاد يكثر فيها الكرنب والفجل والسلجم . واللفت والقنبيط
كبعض بلاد العجم . فلهذا اعتاد على اخراج هذه الرائحة من صغَره . وزادت
فيه بازدياد عمره . فكان لابدّ للماشى خلفه من سدّ انفه . والاكثار
من أُفّه . وفى كلا الوصفين فان رفقة هذا البهيم . لم تكن اقلّ اذى
من السفر الاليم . وانه بعد جولان عدة قُرى . ليس فيها من ماوى ولا قِرى .
وبعد مجادلات مع الشارين طويلة * ومحاولات ومصاولات وبيلة .
قنع الفارياق وشريكه من الغنيمة بالاياب . ورضيا باللّفآ والعود
الى المآب . وعلما ان البئر الفارغة لا تمتلى من الندى . وان التعب
فى تجارتهما يذهب سُدى . فتسبّبا فى بيع البضاعة بقيمتها .
كيلا يشمت بهما من ينظرهما راجعين بماهيتها . وباتا تلك الليلة خاليى
البال . من القيل والقال . فان من الناس من لا يعجبه شرآء شى الّا بعد
تقليبه . وبعد تحميق بائعه وتكذيبه . فلا بدّ للبائع من ان يكون
عن مثل هولا متصامّا متغافلا . متعاميًا متساهلا . وتلك خلّة لم تكن
فى الفارياق ولا فى صاحبه . فان كلّا منهما كان يحاول استمالة الكون
الى جانبه . ثم انهما رجعا بثمن البضاعة وبالحمار وسلّما المال لصاحبه .
فعرض عليهما سلعة اخرى فأَبَيا . وتواعدا ان يجتمعا مرة اخرى للشّركة

Digitized by Google

في مصلحة اهمّ. وآثرا ان تكون في البيع والشرآء . وقد جرت العادة بين الناس بانه اذا تعاطى احد عملا ولم ينجح به اوّل مرّة لجّ به الشَرَه الى معاطاته مرة اخرى . اذ ليس احد يرضى لنفسه نحس الطالع وشُؤم الجَدّ . وانما ينسب حُرفَه فيما احترف به الى بعض عوارض وطوارئ حدثت له . فيقول في نفسه لعلّ هذه العوارض لا تقع هذه المرّة . وعلّة ذلك كله اعتماد الانسان على رشد نفسه . وثقته بسعيه والركونُ الى حدسه . وقد تهوّر في ذلك كثير من الخلق * واكثرهم جنى على نفسه في التهافت على الرزق .



Digitized by Google



في خان واخوان وخِوان

ثم انه بعد مذاكرة طويلة بين الفارياق وصاحبه قرّ رايهما على ان يستاجرا خانا على طريق مدينة الكعيكات . حيث ترد القافلة منها الى مدينة الركاكات . فاستبضعا ما يلزم لهما من المِيرة والأَدَوات ولبثا فيه يبيعان ويشتريان بما تيسّر لهما من راس المال وذنبه . فلم تمضِ عليهما برهة وجيزة حتى انتشر صيتهما عند الواردين والصادرين . وعرف رشدهما جميع المسافرين . فكان الناس يقصدونهما لاقتصادهما . وكثيرا ما انتاب خانهما اهل الفضل والبراعة . والوجاهة والاستطاعة . حتى كأنّه كان حديقة يتفرّج فيها المكروب . وعادة اهل ذلك الصقع انهم لا يكادون يجتمعون في محل الّا ويتنازعون كاس البحث والمناظرة . ويخوضون في امور الدنيا والاخرة . فان اثبت احد شيا نفاه الآخر . وان استحسنه استهجنه وزعم انه من المُنكَر . فيتحزب القوم احزابا قِدَدا . ويمتلئ المكان صخبا وإِدَدا . وربما انتهى البحث الى التفاخر بالنسب . والتكاثر بالحسب . فيقول احدهم مثلاً لقرينه . اتردّ عليّ وأبي نديم الامير وسميره واكيله وشريبه وجليسه وانيسه وخصيصه ونجيّه . لا يقضي ليلة من الليالي الّا ويستدعي به لمسامرته . ولا يحكم بشي الا بعد مشاورته . وقد عُرِف اهلي من قديم الزمان بانهم سُفرآ البلاد . ونواميس

Digitized by Google

الامجاد . وما احد من الناس ماجَدَهُم ولا شارفهم ولا كاثرهم ولا فاخرهم ولا فاضلهم الا وعاد ممجودا ومشروفا ومكثورا ومفخورا ومفضولا . وربما أُعمِلت بعد ذلك الهراوات . وقامت مقام البيّنات . فيتنمّر منهم من لم يكن يتنمّر . ويعربد من سكر ومن لم يسكر . فينتهي الامر الى امير الصُقع . فيبعث عليهم مصادرين ذوي صُقع . وويل لمن يكون قد ذكر اسم الامير وقت الجدال . فان عفوه حينئذ من المحال . فاما في الحوادث العظيمة فان المتعدّي اذا فرّ من القِصاص أُخِذ بذنبه احد اهله او جيرانه . او ماشيته او ماعونه وقُطع شجره واحرق منزله . غير ان زمرتنا هذه لم تكن تتعدّى حدّ الجدال الى القتال . فان الفارياق وصاحبه كانا يقومان فيهم مقام فَيْصَل . فمن هذه الحيثية كثرت الوفود عليهما . وكثيرا ما بات عندهما اصحاب العيال والراح عليهم دائرة . والاغاني متواترة . والوجوه ناضرة . والعمائم متطايرة . فكان ذلك داعيا الى خصام النسآء مع بعولتهن . ومن طبع النسآء عموما انهن اذا علمن أنّ احدًا يعوق ازواجهن عنهن اضمرن ان يتقربن الى ذلك العائق ببعض حيلهن . فان كان ممن يُعْشَق صفقن له حالا على المقايضة والمبادلة أَخْذًا بثارهنّ . فجعلن من كل عضو منه بعلا . ومن كل شعرة خِلًّا . وان كان ممّن تبذاه العين رمَيْنَه بداهية وتحيَّلن في خلاص بعولتهن منه وردّ بضاعتهن اليهن . غير ان نسآ تلك البلاد لا يخاصمن بعولتهن وهن مضمرات خيانتهم او مستحلّات استبدالهم . فانهن رُبّين على محبة ابآئهن وعلى طاعة بعولتهنّ . وما خصامهنّ لهم الا عتاب . وكم في العتاب من لذّة . ولم يُسمَع عن واحدة منهن الى الان انها خاصمت زوجها لدى حاكم شرعيّ او امير او مطران . مع ان كثيرا من هولآء الاصناف الثلثة يتمنّون ذلك في بعض الاحوال . اما

Digitized by Google

للافتخار باجرآء العدل والانصاف فى رعيتهم او لعلّة اخرى . ومن طبع هولآء المخلوقات المباركات سلامة النيّة وصفآء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور . فترى المراة منهن متزوّجة كانت او ثيّبة تجلس الى جانب الرجل وتاخذ بيده . وتلقى يدها على كتفه وتسند راسها على صدره وتبسم له وتؤانسه فى الحديث . وتتحفه ببعض ما تصل اليه يدها . كل ذلك عن صفآء نية وخلوص مودة . واحسن ما يرى فيهن البلاهة والغريّة فانهما فى النسآء خير من النُكر والدّهاء . هذا اذا كان فى غير ما يشين العرض وينتهك الحرمة . فاما فى وقت الجِدّ فلا تصح البلاهة . هذا ولما كان من دابهن ان يكشفن عن صدورهن ولا يرفعن اثدآهن من صغرهن بشى . كان اكثرهن هُضّلًا اى ذوات اثدآء طويلة . واكثرهن يعتقد ان فى طول رضاع الولد زيادة صحّة له . فمنهن من ترضع ولدها عامين تامّين . ومنهن من تزيد على ذلك . فامّا محبتهن لاولادهن ورفقهنّ بهم وشوقهن اليهم فيجلّ عن الوصف . واعرف كثيرا من البنات كنّ يبكين يوم زواجهن على فراق ابآئهن وامهاتهن واخوتهن كما يبكى غيرهنّ فى المأتم او اشدّ . فاما ما يقال من ان البعولة ياكلون وحدهم دون نسآئهم فكلام لا اصل له . وانما يكون ذلك اذا كان عند الرجل ضيف غريب حتى لو اراد حينئذ ان تقعد امراته مع الضيف لتاكل معه لأبت ورات ان ذلك يكون استخفافا بها وانتهاكًا لحرمتها . وفى الجملة فانهن لايُعْنَين بشى الا بالجهل وهنّ فى ذلك معذورات . فاما الجاهلات من الافرنج فانهن يُضِفن الى الجهل مَكْرًا وخُبْثًا . وناهيك بذلك من سُبّة . وانى ليحزننى جدّا ان اسمع أنّ هولآء المحبوبات قد مللن من هذه الفضائل وتخلّقن باخلاق اخرى *

Digitized by Google

فيجب عليّ والحالة هذه ان اغيّر ما وصفتهن به من المحامد . او أن اذن للقارى في ان يكتب على الحاشية كذب كذب كذب او هذين البيتين .

ان النسآء حيثما كنّ سوى يملن من حيث اتاهنّ الهوى
لا يغرُرَنَّ الغِرّ منهنّ تُقى ولا هُدى ولا نُهى ولا حيا

او هذين

سِرُّ مُضْرِبُ الارض في طول وفي عَرْض ترَ النسآء يبعن العِرْض كالعَرْضِ
بالرِجل يصفقن عند البيع لا بيَد وكلّ قاضٍ على تسجيله يُمضِي

او هذين

واذا رأيت من الخرائد غادةً تبدو وتخفى فارجونّ وصالها
واذا دعتك لحاجة عنّت لها لتكون قاضيها فرجّ مبا.......

او ما قاله دعبل

لا يُؤْيسنّك من مخدَّرة قولٌ تغلّظه وانْ جَرَحا
عُسر النسآء الى مُياسَرة والصَعْبُ يمكن بعد ما جمحا

واعلم ان البلاد التي يُتَّجر فيها بعرض النسآء بغير مانع الّا بمكس عليه قليل يدفع لبيت المال لبنآء معابد وغيرها دون اعتبار لقول من قال أُطْعمة الايتام الخ يقلّ فيها التغزل بهن . فانّ الرجل هناك ايّان خطر بباله ان رؤية الوجه الصبيح تنفي همّه وتزيل بلباله . وتخفف اثقاله . وتنفّس عنه كربه وتجلو صدا قلبه وتصفي دمه . خرج فوجد ضالّته تنتظره ورآ الباب . فلا يحتاج عند ذلك الى شكوى وعتاب وتواجُد . والى قوله أَرَق على ارق ومثلي يارق . وكفى بجسمي نحولًا انني رجل . وذبت وجدا وغراما ونحو ذلك .

Digitized by Google

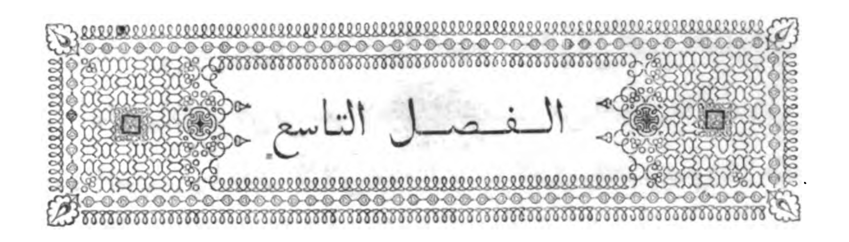
فاما البلاد التى يُحظَر فيها هـذا الاتّجار فتجد الكـلام فى النسآء متجاوزا بـه ورآ الحدّ . ولذلك كان فى شعر الافرنج الاقدمـيـن من المجون ما تجده فى كتب العرب . وما ذلك الّا لانّ هذه البيـاعة كانت وقتئذ ممنوعـة . فلما كثرت قلّ عندهم المجون . اما فى الجبل فانك لا تجد لهم بياعة ولا مجونا . وحكى عن الفارياق انه هوى واحـدة من اولئك اللاى كن يترددن عليه ولم يكن يحظى منها الا بلثم اخمصها فكان اذا اصبح يقول لصاحبه

ان المقبِّلَ رجلها لَيجلُّ عن ... تـقـبـيـل راحـة قسّه واميـرهِ

هنّ الفواتن للخلىّ فشعرة ... منهنّ خيـرٌ من كنوز غُروره



Digitized by Google



الفصل التاسع

في محاورات خانية . ومناقشات حانية

-೦೦೦೦-

لاباس في ان نذكرهنا مثالا لما كان يقع بين تلك الزمرة من المحاورات
فنقول . اجتمعت زمرتنا هذه مرة والكاس تدار عليهم . والسرور يرقص بين
يديهم . فقال افصحهم مقالا . والدّهم جدالا • اىّ الناس فيما علمتم انعم
بالاً . واحسن حالا . فقال مَن بيده الكاس هو من كان على مثل هذه
الحالة . وفى راحته ذى الآلة . فقال له ليس ذلك على الاطلاق . ولم
يقع عليه اتفاق . فان هذه الحالة لا يمكن كونها دائمة . فتكون غبطتها
غير تامّة . وانما هى بعض من كل . وجز من جُلّ . وبقى النظر فى الباقى .
ولا خفا آن مداومة المدام . تورث السقام . وتُنقّهى عن الطعام . ولذلك
سمّيت القهوة . ولا يعتادها انسان الا حلّت به الشقوة . فقال آخر ان
انعم الناس بالاً امير يجلس على اريكته . وتحفّه جماعة من حشمته وحفدته .
ياتيه رزقه رغدا . ويكفيه رازقه فى المعيشة جهدا . فاذا اوى الى حريمه خلا
بازهر امراة على اوطأ فراش . فصدق فيه قولهم . اعجب الاشيآء وَثْر على وِثْر .
هذا وانّ اَكْلَه المُزَازَمة . وثيابه الناعمة . وامره مطاع . وحكمه مقابل بالاتّباع .
فقال بعضهم ليس الامر كذلك . وما الحقّ فيما هنالك . فان الامير لا يخلو
بامراته الا وهو مشغول الخاطر . مكدّر السرائر . اذ لا يزال يفكر فى كونه مخونا

Digitized by Google

بماله . مغشوشا من عمّاله . ياكل رهطه زرقه ويذمونه . ويأتمنهم فيخونونه . ويعطيهم فيبخّلونه . وهو مع ذلك مرصود منهم فيما يفعله . منتقد عليه بما يتعمّله . وانه لَيودّ السفرولا يتاح له . ويتمنّى رؤية غير بلاده ولا يدرك امله . فهويحسد من يمشي في الارض سُبُهْللا . ويغبط من يعتسف الطريق ضَلَلا . فقام بعض النقّاد . وقال سمعا يااهل الرشاد . ان اسعد خلق الله راهب لزم كتابه في صومعته . وتفرّغ عن الشغل بعقاره وضيعته . فهو ياكل من ارزاق الناس . ويعوضهم عنه دعاء يطفح من أصمار الكاس . ويغنيهم في الدياجي عن النبراس . ويركب ما لديهم من النجائب . فهو كما قيل آكل شارب راكب . ثم ما عليه بعد ذلك ان خرب الكون اوعُمر . وان مات الخلق او نُشِر . فقال بعض ذوي الرشاد . ما هذا القول من السداد . فان الراهب وامثاله اذا راى الناس مقبلين على اعمالهم . مشتغلين باشغالهم . لم يرضَ الدناءة لنفسه ان يعيش من كدّهم . ويستريح على تعبهم وجهدهم . ويتحيّن اوان رفدهم . بل يود لو كان شريكا لهم في اتعابهم . احرى من ان يكون شريكا في مصوناتهم . هذا اذا كان نزيه النفس . كريم القنس . صادق السعي . ضابط الوعي . ثم ان له عند رؤية الرجال مع نسائهم واولادهم لَغُصّات . وحَسرات وأيّ حسرات . ولا سيما اذا خلا في الصومعة . وراى ان سِمَنه ذاهب سدًى من غير منفعة . وان غيره ممن اضواهم الكدّ والنصب . واجاعهم الجهد والتعب . اقدر منه على بلوغ الارب . مما اصطلح عليه سائر خلق الله من عجم وعرب . فقال من استصوب مقاله . وارتاح لما قاله . هذا لعمري هو الحق المبين . فان الراهب ومن اشبهه حريّ بان يُعدّ مع الشقيين . وانما يظهر لي ان اسعد الناس عيشا هو التاجر يقعد في حانوته بعض ساعات من يومه . فيكسب بأيمانه المُغلّظة في ساعة واحدة ما ينفقه

في شهره . يجعل الكاسد من سلعته بتكرير كلامه نافقا . والمكروه شائقا . والدون فائقا . ثم هو ان أوَى الى منزله ليلا . اصاب في خدمته دعد وليلى . فهو في نهاره كسّاب للمال . وفي ليلته منفقه على رَبّات الحجال . فقال من انتقد كلامه . وتبيّن ذامه . ان التاجر لا تمكن له هذه العيشة الراضيه . ولا تهنّؤه هذه النعمة الوافية . الا اذا كان قازبا ذا معاملات في البلاد القاصية . وركوب للاخطار . واقتحام للاوطار . ومتى كان كذلك نقص من رغده . وافر تجشمه وكدّه . ونغّص من لذّاته . تعدّدُ بُغيّاته . وملأ خاطره اشجانا . ما حاوله ليرضى به زبونا واخوانا . فكلما هبت ريح خشي على سلعته في البحر . وكلما جُشِرَ صبحٌ اوجس من ورود قادم يخبره بشر . او مألكة تنبى عن تَلَف وخُسْر . وكَساد وحظر . فهو لا يزال في اعمال نظر . وتجرّع اسف وكدر . فقال بعض السامعين . انك لمن الصادقين . اما انا فلا اودّ ان اكون ذا اتّجار . ولو ربحت في كل يوم مئة دينار . لما يعقب هذه الحرفة من القيل والقال . والتكذيب والمحال . والمحاولة والمكر . والمداهاة والنُكر . فضلا عن اقتصاري في الحانوت ربع عمري . ولا علم لي بما يجري في وكري . فلعلّ رقيبًا يخالفني الى داري . وانا اذ ذاك اكذب على الشاري واماري . واجامل واداري . ففي عنقي حبل الاثم بما افعل في مُحتَرَفي . وبكوني صرت وسيلة لارتكاب الحرام في مألفي . وانما اظن ان احق الناس بان يغبط على عيشته . ويبارك له في حرفته ومهنته . انما هو الحارث الذي يسعى لنفع نفسه ولغيره فيما يحرثه . فيكسب به صحة بدنه ومؤنة عياله وذلك خير ما يبرّثه . وان زوجه تراوحه على عمله . وترفق به في عُسْره وعَطَله . ان مرض مرّضته بنفسها وقامت بامر مربعه * وان غاب رعت له ذمّة وباتت تنتظر وشك مرجعه . هذا والتعب يستطيب طعامه .

Digitized by Google

ويستحلي نيامه . الا ترى ان اولاد ذوى السعي والكدّ . اصح ابدانا واذكى
فهما من اولاد ذوى الترفّه والجِدّ . وما ذلك الا لانهم يرقدون عن نُعاس
وياكلون عن جوع ويشربون عن ظما . فاجابه اقرب مُنْ وَلِيَهُ . انَّ فيما قلت
لَنظرا ٠ فانك لم ترَ الصورة الّا من جهة واحدة وفاتتك الجهة الاخرى .
فلعمرى ان الحارث مع كدّ بدنه . اسير همه وشجنه . وضجيع قلقه وحزنه . اذ
هو عبد العناصر . ورقيق الحوادث والاكابر . ان عصفت ريح خشي على ثمرة ان
يتساقط فيسقط قلبه معه . وان كثر المطر اوقل وجل من ان يتلف مازرعه . وان مات
كبير في بلده . اشفق من كساد ما تحت يده . وان يكن ذا بصيرة وحِجى . ساءه
ما يرى اهله فيه من العُرى والوَجى . والذُلّ والاستكانة . والابتئاس والمَهانة .
وتحسرهم على الطيّب من الماكول . والناعم من الملبوس . وعلى كونه لا يحسن
تربية ولده كما يشا . ولا يمكنه رؤية بلد غير الذى فيه نشا . فهو مهده
وقبره . وسجنه وجُحْره . ومع ذلك فهو غرض لاغراض امامه فى الدين . وعصا
يتوكأ عليها من هو فوقه من المثرين . والسائدين والمُسَيْطرين . فما يكاد
يتخلص من ورطة احدهما الا ويقع فى شرك الآخر . ولا يفوته شرّ الا
واستقبله شر اكبر . وهو مع اِصْره وجهله . لا يجد مُخْلَصًا له ولا لاهله . ولو
انه رام ان ينهج لاهله منهجا ارتضاه لنفسه واستصوبه . ولم يك على وفق
مرام اِمامه واميره او آخر ذى مرتبة . لم يامن غُرامة منهما او حسم عُرْقُبة . او
قصم رقبة . ولم يلبث ان يرى اصحابه له اعدآ . واخدانه اَلِدّآ . فهو على هذا
رهين الخضوع . واسير القنوع . فقال قرين له . وقد صدق على ما فصّله . نعم ان
هذا لهو الحق الواضح . وما بعد الرقّ ذل فاضح . وانى ارى بعد امعان
النظر والتروى . والتحقق والتحرّى . ان اسعد الناس حالا . رجل رزقه الله مالا .
واصلح له بالا . فجعل دابه السفر فى البلاد الغريبه . والمشاهدة للكائنات

Digitized by Google

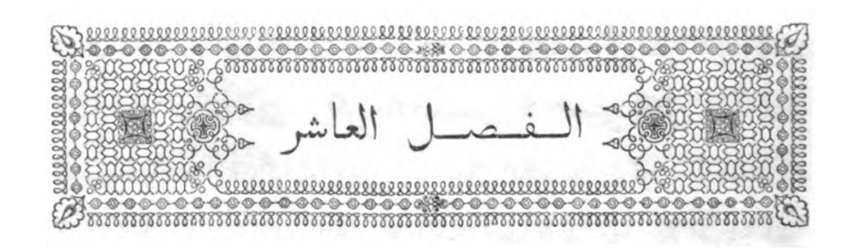
العجيبة . فهو كل يوم فی شان . ولد فی كل مَعان . اوطان واخوان . فقال قائل قد استوعب فحوی مقاله . واعتقد ما ذهب اليه انّه من فَنَده وضلاله . لقد زغت قصدا . ولم تقل رشدا . اوليس المتعرّض للسفر . بُلُوعناء وخطر . اذ كثيرًا ما يمنيه بامراض شديدة . تغييرُ الهوآء عليه والاحوال غير المعهودة . واضطرارُه اَن يطعم ما يعافه . ويشرب ما به ادنافه . فيكون آكلا لما ياكل بدنه . ويُذهب وَسَنه . هذه الافرنج تاتی الی بِلادنا فينغّصهم عدم وجود الخنزير فيها . وخلوها عن السلاحف والارانب وما يضاهيها . اذ يزعمون انهم يخلطون شحم الخنزير ودمه فی كل صُبة وحُسُوّ وحَلْوآء . ويتخذون من لحم السلاحف مرقا به شفآء من كل دآء . ويعيبون علينا ان لبننا غير ضَيّح ولا ممذوق . وخبزنا مملوح وطعامنا غير مزعوق . وان مآءنا غير ممزوج بالجير . وخمرنا غير مصبوغة بالعقاقير . وانّا نذبح الحيوانات ذبحا ونأكل لحمها غريضا . وهم يخنقونها خنقا وياكلونه دائدا انيضا . وان جوّنا غير ذی دُجْن . ومطرنا غير دائم الهَتن . وان سمآءنا غير مُخْلِسة . وارضنا غير مطلّی وجهها بالرجيع والروث وسائر الاشيآء المنجّسة . فبُقولُنا غير مسيخة . واثمارنا غير مايخة . وان شتآءنا لا يدوم ثلثی العام . وصيفنا لا يُسمَع فيه رعد ذو إرزام . فاذا جآء احدهم الی بلادنا ليتعلم لغتنا ومكث بين اظهرنا عشر سنين . ثم رجع وهو فيها من اجهل الجاهلين . احال الذنب علی الهوا . فقال انه مُنی منه بالحمّی والجَوَی . او بالاسهال المفرط . والسعال المقنط . هذا وان من جهل لسان قوم وهو فيهم . لم يمكنه ان يعرف عاداتهم واخلاقهم واستوی عنده ظاهرهم وخافيهم . فيری عندهم ما يری دون علم . ويسمع ما يسمع من غير فهم . فلم يكن لذی السياحة بُدٌّ من اتّخاذ ترجمان . واعتماده عليه فی كل خطب وشان . ولا يلبث ان يسیئ به الظن . ويری ان له عليه

المَنّ . ولو انه حاول ان يستغنى عنه لفاته معرفة الاحوال . وبات بين القوم ذا وحشة وبلبال . وربما حن الى رؤية اهله . والاجتماع بشمله . فأذنفه الحنين . واضناه بَيْنُ الخَدِين . وانما يطيب السفر ما اذا اتفق انسان مع نِدٍّ له نَوِيّ . وصديق نجيّ . وكانا عارفين بلغات كثيرة . وقلوبهما خالية من علاقة الحبّ بالقلب والبصيرة . وهيهات ان يتفق اثنان على راى واحد . وان تتمّ لذة من دون مانع جاهد . وهمّ عاصد . فقال اقل الحاضرين رشدا وفضلا . واكثرهم هزلا . ياقوم . انى قائل قولا ولا لوم . ان اسعد الناس واحظاهم . واترفهم وارضاهم . البغيّ الجميلة التى تفتح بابها لقاصدها . وتبيح نفسها لمراودها . فانها تغتنم انس زائرها وماله . وتتبلّه بحبها حى يرى ذلّه فيها عِزّا له . ومتى تمكنت من نفر يبذلون لها العَين . ويكفونها مؤنة الاطيبين . فلا تحتاج بعدها الى البحث عن مراود فى المسالك . والتعرّض للمكاره والمهالك . فاذا هى شاخت وجدت مما ادّخرته فى صبائها ما تنفق منه عن سعة . وما تكفّر به عن سيّئاتها السالفة فتعيش فى دعة . ويثنى عليها الناس بالتوبة الناصعة . والمعيشة الواسعة . والانسان . مطبوع على النسيان . لا يبالى الّا بما هو كائن لا بما كان . ولا سيما اذا كان الحاضر يجدى نفعا جزيلا . ويُسْرًا مأمولا . وكفى بائمّة الدين اذا نالوا منها العطايا الوافره . والصلات المتواترة . ان ينشروا عليها احسن الثنا . ويبرّوها من كل فحش وخنى . فلها منهم على كلّ صلة صلوات . وعلى كل دعوة دعوات . فمن مارانى فى ذلك فليسال قرينته . ويكظم ضغينته . ريثما اقيم له على ذلك البراهين . ممن غبر وبقى من العالمين . فلما سمعت الجماعة دعواه . ولحنت مغزاه . ضحكوا من هُذَيانه . وراوا ان الجواب على بُهتانه . على طريقة الجدال انما هو من وضع الشى فى غير صِوانه .

فاضربوا عنه صفحا . وقالوا له قبحا لرايك وشقحا . فلوكان اهل صقع على رايك لفسدت الارض . وبار العِرْض ولم يبق من الصلاح اثر ولا بَرْض . وانما اللوم على الكاس التى ذهبت بلبّك . وكشفت عن فساد مذهبك . وقبح أربك . ولعلك تهتدى الى الرشاد . اذا افقت من خُمارك . وتبيّن لك فظاعة هترك واستهتارك . فراى ان السكوت له اسلم عاقبة من المحاورة والمجاوبة . والمناقرة والمغاضبة . وان الجمهور يغلب الفرد . وان كانوا على ضلال وكان هو على هُدًى وقصد . فاستوفى تفنيدهم . وخشى وعيدهم . وتفرقوا ولم يجمعوا رايهم على اىّ الناس اسعد . واىّ عيش ارغد . اذ راوا دون كل حرفة نُغصا . ومع كل حالة غُصَصا . وفي كل اكلة مَغَصا . وقد فاتهم من احوال الناس كثير مما ضاق وقتهم عن ذكره . كما ضاق هذا الفصل عن احصآ كل ما اوردوه وعن حصره . فقف على هذا القدر الذى ذكرته . وسر معى الى استئناف قصة مَن غادرته . وعليكم السلام .



Digitized by Google



الفصل العاشر

في اغضاب شوافن ، وانشاب براثن

السجع للمولف كالرجْل من خشب للماشي، فينبغي لي ان لا اتوكا عليّه في جميع طرق التعبير لئلا تضيق بي مذاهبه ، او يرميني في ورطة لا مناص لي منها ، ولقد رايت ان كلفة السجع اشق من كلفة النظم ، فانه لا يشترط في ابيات القصيدة من الارتباط والمناسبة ما يشترط في الفقر المسجعة ، وكثيرا ما ترى الساجع قد دارت به القافية عن طريقه التي سلك فيها حتى تبلغه الى ما لم يكن يرتضيه لو كان غير متقيد بها ، والغرض هنا ان نغزل قصتنا على وجه سائغ لاى قارى كان ، ومن احب ان يسمع الكلام كله مسجعا مقفى ومرشحا بالاستعارات ومحسنا بالكنايات فعليه بمقامات الحريري اوبالنوابغ للزمخشري ، فنقول ان صاحبنا الفارياق بعد اقامته مدة على الحالة التي ذكرناها ، جرى بينه وبين جده من النزاع والمناقشات ما اوجب عليه ترك ما كان فيه واقتفاء طريق اخر من طرق المعاش ، فتاح له ان يكون معلما لاحدى بنات الامرا وكانت ذات طلعة بهية ، وشمائل مرضية ، تامة الظرف ، ناعسة الطرف ، ولكن ليس المراد بذلك انها كانت لاتبصر من يحبها كما يكون من به نعاس ، وانما المعنى انها ذابلته ، حتى ولا هذه العبارة مفصحة عما اريد ان اقوله ، فانها توهم انها

Digitized by Google

كانت ذابلة مع انها كانت غضة بضة . بل المقصود ان نقول انها كانت كانها تنظر عن تحشيف . ولكن مادة حشف لا تعجبني . فان فيها معاني اليبوسة والخساسة والرداءة وشي اخر تجل الملاح عن ذكره . بل المراد انها كانت تكسر جفنيها عند النظر . ولا الكسر ايضا لائق بها . فلا ادري كيف الحن للقاري ما اردت . ولعل الاوفق ان يقال انها كانت ترمي بسهام عن عينيها . ولم يكن صغر سنها مانعا من تتبيل من ينظرها . فان القلب يعلق بهوى الصغيرة الجدّاء . كما يعلق بهوى الكبيرة الوطباء . اذ ليس كل عشق مودّيا الى الدّعارة . فقد عشق الناس الرسوم والاطلال والاثار . والاشكال والديار . ومنهم من عشق لرؤيته كفّا مخضّبا او عقيصة شعر او ثوبا او سراويلات او تكة ونحو ذلك . واعرف من احب هرة امراة . فكان يلاعبها ويخيّل له الغرام انه ملاعب صاحبتها . وكثيرا ما كانت تنشب فيه اظفارها وتدميه . وهو يستعذب ذلك ويستحليه . اما لاستعذاب العذاب في هوى المحبوب . او لاعتقاده انّ مداعبة النسآء ايضا لا تخلو من خدش وادمآء . فكون الجرح منهن اصالة او وكالة انما هو شي واحد . وقد سئل احد العشّاق عن مبلغ الوجد منه فقال كنت ارتاح للريح اذا مرّت على نتن مقبلة من صوب المحبوب . هذا وان عشق اهل تلك البلاد اكثره على هذا النمط . اى ان العاشق منهم يكلف باثر من محبوبه كمنديل او زهرة او رسالة وخصوصا بنصّة شعر فيشمّه ويضمه ويقبله ويقلبه ويعانقه كما قيل

الشِّعر مثل الشَّعر داعية الهوى والشَّعر مثل الشِّعر ذُخْر يُذخَر
من غاب عنك فليست تنظره سوى بالشِّعر او بالشَّعر وهو الاكثر

فان قيل انهم انما عشقوا ذلك طمعا في وصال الحبيب الذي تفضّل

بهذه النعم لا كلفا بها من حيث هى هى . قلت ما المانع من ان تعشق الصغيرة طمعا فى ان تصير كبيرة . ما اضيق العيش لولا فُسْحة الامل . ورُبَّ أمَل احلى من فوز . وقد علم اهل الدراية أنَّ مَن حَرمَه الله من الجمال لغاية لا يعلمها الا هو عوَّضه عنه زيادةً قصاص له بحدّة الفكر والبصيرة وشدة التصوّر والتخيّل ودقة الحَدْس فيكون اسرع الى العشق واكثر حرصا على اهل الجمال . اذ الانسان كلّما بعد عن الشى المقصود كان توقانه اليه اكثر وتولّعه به اشدّ . والمراد من ذلك كله ان نقول ان الفارياق كان يعلم من صغره انه بمعزل عن الجمال . وانه من صبآئه كان يعظّم اهله ويمزّيهنّ على غيرهنّ وان القبيح معذور على عشق المليح كما قال الشاعر .

وقالوا ياقبيح الوجه تهوى مليحا دونه السُمْر الرقاقُ
فقلت وهل انا الا اديب فكيف يفوتنى هذا الطباقُ

قالوا . او اقول انا عنهم . وقديكون عشق الصغير كبيرا كما يكون عشق الكبير صغيرا . فان الصغير لماكان غير ذى رشد يردّه عن الاسترسال والتمادى فى هواه كان هذا الاسترسال معقبا للجموح دون حد . الا ترى ان الصغير اذا اولع بشى من اللعب واللهو فانه يتهتك فيه وينهمك غاية ما يكون . فكيف به اذا جنح الى شئ هو اقوى من كلّ ما يستميل الطبع ويشوق النفس . نعم ان الكبير يُقدر منافع ما يقصده من معشوقه اكثر من الصغير ولذلك يكون حرصه عليه ابلغ وطلبه له اكثر . غير ان عزّة نفسه وسَوْرة طباعه ونُهْيته قد تمنعه من ان يسلّم عنان مشيئته للهوى . فيكون فى طريق ميله وتوقانه تارة مقدّما رجلا وتارة موخرا اخرى .

Digitized by Google

والصغير متى ما استرسل استسهل * وبعد فقد نذرت على نفسي ان اكتب كتابا * وان اودعه كل ما راق لخاطرى من القول سديدا كان او غير سديد * فانى اعتقدت ان غير السديد عندى قد يكون عند غيرى سديدا كما تحقق لدى عكسه * فان شئت فأذعن او لا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف * والحاصل ان الفارياق لبث يعلم سيّدته الصغيرة وجعل من دأبه ان يتودّد اليها باغضآء النظر على اصلاح غلطها * بل لم يكن يرى ان صاحبة هذا الجمال يجوز ردّها فتاخّرت هى فى العلم وتقدم هو فى الهوس * فمما قال فيها *

بروحى مَن اعلّمه وقلبى اسير هواه لن يسطيع صبرا
اغار عليه وجدا من حروف يفوه بها فتلثم منه ثغرا

والحمد لله على كون اللغة العربية خالية عن الپآء الفارسية والڤا الافرنجية والا لزادت غيْرة صاحبنا وربما كان ذلك سببا فى جنونه * فان الغيرة والجنون يخرجان من مخرج واحد كما افاده المشايخ الراسخون فى الزواج * وهنا دقيقة وهى ان بعض العتاول جمع عَتْول وهو من لا خير عنده للنسآء يستثقل المونث فى الغزل والنسيب فيجعله مذكرا وبعضهم يضمره * وعليه قول الفارياق اعلّمه * والظاهر ان المقدّر فى ذلك لفظة شخص * فياليت هذا الحرف كان فى لغتنا موّنثا كما هو فى الفرنساوية والطليانية حتى لا يجد الناسب مُحيْدا عن التانيث * فاما تعليم نسآء بلادنا القرآة والكتابة فعندى انه محمدة بشرط استعماله على شروطه * وهو مطالعة الكتب التى تهذّب الاخلاق وتحسن الاملآء * فان المراة اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكايد واختراع الحيل

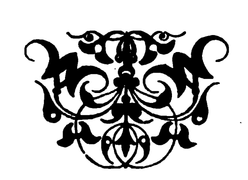
Digitized by Google

كما سياتى ذكر ذلك * ولا باس للمتزوّجات بقرآة كتابى هذا وامثاله * لانه كما ان من الوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هى الوان الكلام * والظاهر ان اللغة العربية شُرَك للهوى اذ يوجد فيها من العبارات الشائقة المتصبّية ما لا يوجد فى غيرها * فمن قرأت مثلا فى شرح المشارق لابن مالك ان مراتب العشق ثمانية ادناها الاستحسان وينشأ عن النظر والسماع ثم يقوى بالتفكّر فيصير مودّة وهى الميل للمحبوب (اى المحبوبة) * ثم يقوى فيصير محبة وهى ائتلاف الارواح * ثم يقوى فيصير خُلّة وهى تمكّن المحبة فى القلب حتى تسقط بينهما السرائر * ثم يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلوّن ولا يداخله تغيّر * ثم يقوى فيصير عشقا وهو الافراط فى المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن المعشوق (اى المعشوقة) * وانه يقوى فيصير تتيّما وفى هذه الحالة لا ترضى نفسه سوى صورة معشوقه (اى معشوقته) * ثم يقوى فيصير ولهًا وهو الخروج عن الحدّ حتى لا يدرى ما يقول ولا اين يذهب وحينئذ تعجز الاطبآء عن مداواته * قلت وان من انواعه ايضا الصبابة وهى رقّة الهوى والمشوق * والغَرام وهو الحب المستأسِر * والهُيام وهو الجنون من العشق * والجَوى وهو الهوى الباطن * والشوق وهو نزاع النفس * والتَوَقان وهو بمعناه * والوجد وهو ما يجده المحبّ من هوى المحبوب (اى المحبوبة) * والكَلَف وهو الولوع * والشغَف وهو اصابة الحُبّ الشَغاف اى غلاف القلب او حجابه او حبّته او سُوَيداآءه * والشَعَف وهو ان يغشى الحبُّ شَعَفة القلب وهو راسه عند معلّق النِياط منه * والشَعْف وهو بمعناه * والتدليه وهو ذهاب الفواد عشقا * لم تتمالك ان تحس بهذه المراتب السنية كلها حالا بعد حال * بخلاف لغات العجم فانها لا يوجد فيها الّا لفظة

Digitized by Google

واحدة بمعنى المحبّة يطلقونها على الخالق والمخلوق * وقد يظهر لي ان كثيرا من الصفات المحمودة في الرجال تكون مذمومة في النسآء كالكرم مثلا فان كرم الرجل يغطّي جميع عيوبه وهو مذموم في المراة * وقس على ذلك النكر والدهآ والاطرا والفروسة والشجاعة والحماسة والصلابة والخشونة والهمّة الى المراتب السامية والامور الشاقة والاسفار البعيدة والنيّات النائية والمطامع المتعذرة وغير ذلك * والعلّة في ذلك كون المراة تميل بالطبع الى الشطط ومجاوزة الحدّ * ودليله في من تميل الى العبادة والنسك فانها لا تقف في ذلك على أمَد بل تتمادى فيه حتى تتهوّس وتتخبّل فتدّعي المعجزات والكرامات وتعمد الى الرؤى والاحلام ويُخيّل لها انّ ملكا يناجيها * وهاتفا يناغيها * وانها تقيم بدعائها الاموات * وتحيي الرُفات * وربما قتلت اولادها على صِغَر ابتغآء دخولهم الجنة بغير حساب * او ولدت توأمين فادّعت انهما من غير اب * وفي من مالت الى الهوى فانها تترك اباها وامها اللذين ولداها وربّياها وتقبل تجري في اثر رجل لا تعرف من صفاته شيا سوى كونه ذكرًا * فكل ما كلفت به المراة كانت فيه اكثر تماديا من الرجل * فكلفهنّ بالقرآة لا ادري اين يكون مصيره * والحامل لها على هذا الغلو والشطط انما هو معرفتها من نفسها انها اقوى على اللذّات من الرجل * فزيادة اطاقتها لذلك زادت في تماديها فيه * ومنه سرى في غيره من الاطوار والشؤون والاحوال الطارئة وفي بعض الغريزية ايضا * وذلك كالكلام والضحك والسَبْح والحركة * وما قلّ منه فيها في بعض الاحوال فانك تراه زائدا في البعض الاخر زيادة فوق القياس * ولعل كلامي هذا يسو النسآء اذا سمعن به وهنّ بين الرجال * لكنني اعلم عين اليقين انهن يضحكن له في اكمامهنّ استحسانا

وتعجبا * حتى كانى بهن يحسبن انى عشت برهة من الدهر امراة حتى امكن لى معرفة سرائرهن ثم مسخنى الله تبارك وتعالى رجلا * او انى علمت ذلك من هند وسعاد وزينب وميّة حين كنت اشبّب بهنّ وانا فتًى واكذب عليهنّ بقولى لهن انى حُرمت الكرى * واجريت على نواهنّ عِبَرا * وانى قد فُتن لبى * وفارقنى قلبى * لا جرم انه لم يفارقنى قط * ولو فارقنى مرة لما رجع الىّ ابدا * لانى طالما ادخلت عليه هموما واحزانا لم تكن لِتُهمّ احدا من الناس فى بلادى * اذ كنت احزن لتعصّى معنى من المعانى علىّ واحاول اختراع شى من البديع لم يكن احد سبقنى اليه * ظانّا انه يقوم للناس مقام هذه المخترعات التى يُزهَى بها الكون عصرنا هذا فلم يتهيّا لى فكنت ابيت الليل فى ياس وكرب * معاذ الله لم تكلّمنى وما كلّمت هند وانما عرفت ما عرفت من الاحلام الصادقة اذ كنت ابيّت وانا مخلص لله الانابة والقنوت * فان لم يصدّقننى فليبتن ليلة او ليلتين تائبات قانتات مثلى وانا ضامن لهن انه يهبط عليهن من الاحلام الصادقة ما يوقفهن على امور الرجال *



Digitized by Google



الفصل الحادى عشر

في الطويل العريض

فلنرجع الان الى الفارياق فانه هو ايضا رجع الى حرفته وهى النساخة وان كان ذلك على غير مراده * واتفق اذ ذاك ان فتيين من امرآء ذلك الصقع ارادا ان يقراا النحو على بعض النحاة وكان الفارياق يحضر الدرس وهو مكبّ على النسخ * وكان احد التلميذين بطيئا عن الفهم سريعا الى الجواب * يتثآب ويتمطّى * ويَتَغرّض ويَتحطا * ويتناعس ويتقاعس * ويتفاسأ ويتعاطس * واذا خُيّل له انه فَهِمَ مسئلة حكّ تحت ابطه * وشمّ رائحتها وكرف ثم تمطّق كما يتمطّق من اقطه * ثم عربد من افتتانه * وسلق مَن وَلِيَه بلسانه * وقال الا قُبحًا لذوى الخواطر البليدة * والفطن البعيدة * كيف لا يتعلم الناس كلهم فن النحو * وهو اسهل من حكّ ما تحت الحَقْو * اما والله لو كانت العلوم كلها مثله * لما غادرت منها كبيرا ولا صغيرا الا واستوعبته كله * لكنى سمعت ان النحو انما هو مفتاح للعلوم ولا يعدّ منها فلا بدّ وان يكون غيره اصعب منه * فقال له معلمه لا تقل هكذا بل النحو اساس العلوم وكل العلوم مفتقرة اليه افتقار البنآء الى الاساس * الا ترى انّ اهل بلادنا لا يتعلّمون سواه ولا يعرّجون على غيره * وعندهم ان من تمكّن منه فقد تمكّن من معرفة خصائص الموجودات كلها * ولذلك

Digitized by Google

لا يولّفون الا فيه * وانما يحصل الخلاف بينهم فى تقديم بعض الابواب على بعض * وفى توضيح ما كان مبهما منه بادلّة وشواهد * واختلفوا ايضا فى الشواهد فمن قائل انها مفتعلة ومن قائل انها ضرورة او شاذّة بيد ان المآل واحد * وهو ان العالم لا يسمّى عالما الا اذا كان متمكّنا من النحو مستقصيا لجميع دقائقه * ولا يكاد يستتبّ امرًا به * ولو قلت مثلا ضرب زيد عمر من غير رفع زيد ونصب عمرو فما يكون ضَرْبُه حقاً ولا يصح الاعتماد على هذا الاخبار * فان حقيقة فعل الضرب متوقفة على علم كون زيد مرفوعا * وجميع اللغات التى ليس فيها علامات الرفع فهى خالية عن الافادة التامة * وانما يفهم بعض الناس بعضا من دون هذه العلامات عن دربةٍ او اتّفاق * فلا معوّل على كتبهم وان كثرت ولا على علومهم وان جلّت * وانى وان كنت قد لقيت منه عَرَق القربة وكثيرا ما بت وبالى مشغول بِعُقْلة من عُقَله وبداهية من عراقيله * فكنت آرق ليلى كله ولا اهتدى الى وجه الصواب فيما عوص علىّ من ذلك * الاّ انى أستفدت منه فائدة عظيمة جعلتنى ممنونا لبنت ابى الاسود الدُؤَلى اَبَد الدهر فانها هى التى كانت سببا فى استنباطه * (قلت وكذا سائر البدائع كان اصل استنباطها مسبّبًا عن النسآ) فقال له التلميذ ما هذه الفائدة يااستاذى * قال قد طالما كان يخامرنى الريب فى قضية خلود النفس * فكنت اميل الى ما قالته الفلاسفة من انه كل ما كان له ابتدآء فهو متناهٍ * فلما رايت النحو له ابتدآء وليس له انتهآء قست النفس عليه فزال عنى والحمد لله ذلك الابهام * ومثله او اكثر منه فى الصعوبة فنّ المعانى والبيان * فقال له التلميذ لم اسمع بذكر ذلك قطّ * قال اما انا فقد سمعت

به وأعرف ما يشتمل عليه * وهو المجاز والكناية والاستعارة والتورية والترصيع وغير ذلك مما ينيف على مئة نوع * وبيان ذلك مفصّلا * يستفرغ أجلا * وربما قضى الانسان عمره كله فى علم الاستعارات وحدها ثم يموت وهو جاهلها * او يكون قد نسى فى آخر الكتاب او الكتب ما عرفه فى اوله * وذلك انّ من اخترع هذا العلم الجليل لم يكن سلطانا حتى يمكنه اجبار الناس جميعا على متابعته ومشايعته * بل كان فقيرا فأُولع بهذا الشى وشرح الله صدره لتقرير قواعد له فكان لا يقع بصره على شى الا وخطر بباله طريقة من طرقه * فاذا نظر الشمس مثلًا طالعةً قال كيف ينبغى ان يفهم هنا طلوع الشمس هل هو حقيقىّ او مجازىّ وهل المجاز هنا عُرْفى او لُغوىّ * وكذا لو راى البقل نابتًا فى زمن الربيع قال كيف تأويل قول القائل انبت الربيع البقل * فهل يصح اسناد ذلك الى الربيع وهو انما نشأ عن دوران الارض حول الشمس فهو ولا شكّ مسبّب عنها * ولا ريب ان مدير الارض انما هو الله عزّ وجلّ * فيكون قوله انبت الربيع البقل مجازا بدرجتين * لانّ الربيع مسبب عن دوران الارض ودوران الارض مسبب عن تقدير البارى تعالى * وكذا قولهم جرت السفينة او الحِجْر * ومن المجاز ما له ايضا ثلث درجات ومنه ما له اربع * ومنه ما تفوق درجاته درج الماذنة * ومن هذا الدرج ما شكله قِرْقِىّ ومنه حَلَزونىّ ومنه لولبىّ * ومنه غير ذلك ثم ما زال المستنبط يفكّر فى هذه البدائع حتى ادركه الاجل فمات وبقى عليه اشيآء كثيرة لم يحكمها * فقام من بعده مَن أُولع مثله بهذا الفنّ فاستدرك على سلفه مواضع كثيرة * وظل يباحثه ويعارضه الى ان قضى نحبه وقد ترك مجالا لغيره * فجآء من

بعده مَن اصلح بينهما فى عدّة مواطن وعاب على كلّ منهما ايضا امورًا * ثم مات ولم يُنهِ ما قصده * فخلفه من صنع به ما صنعه هو بغيره * وهكذا بقيت ابواب النقد مفتوحة الى عصرنا هذا * فمن قائل ان هذه العبارة من الاستعارة التبعية * ومن قائل انها من الترشيحية * قال بعض العلمآ الاستعارة تنقسم الى مصرّح بها ومكنىّ عنها * والمصرح بها تنقسم الى قطعية واحتمالية * والقطعية تنقسم الى تخييلية وتحقيقية * وتنقسم ثانيا الى اصلية وتبعية * وثالثا الى مجردة ومرشحة * وقال بعضهم وهذه تنقسم ايضا الى عِقْيَوْنِيّة ومُكائيّة ونَبيْصيّة وطُعْطُعيّة وغُميْسيّة ولُعْلُعيّة ويَلْمعيّة * وعُسْعاسية * والعقيونيّة تنقسم ايضا الى فرقعية وقرقعية ومقامقية * والفرقعية الى جَلَنْجعية وشُنْطُفيّة وعُطْروسيّة ودمْحالية وشينقورية وكربرية * والقرقعية الى خعخعية وعُهْعخية وعهخفية وكُشْعشجية وكشعظجية * والمُكائية الى مُعويّة وعنتريّة وصَفرية وعَصلية وبُلُكيّة وصَفّاريّة وضَغيْليّة وطُرطبيّة وانقاصية * الى غير ذلك من التنقسم * ويشترط فى خطبة الكتاب ان تكون جامعة لجميع هذه الانواع * وان يراعى فيها وفى الكتاب كله نوع الطباق * مثال ذلك اذا قال القائل فى فقرة طلع * فلا بدّ وان يقول فيها او فى الثانية نزل * واذا قال اكل يقول بعده من غير تراخ تقيّأ او — وفى الجملة فينبغى ان تكون الخطبة عويصة ما امكن * وايّة خطبة لم تكن كذلك كانت عنوانا على ركاكة الكتاب كله فلم يكن جديرا بالمطالعة * فقال له التلميذ وقد امتُقع لونه وهل النحاة ايضا ماتوا ولم ينهوا قواعد هذا العلم * وهل قرآتى له عليك تغنى عن اعادته عند غيرك هنا * وهل يجب على الطالب فى كل بلد سافر اليه ان يتعلم نحو اهله ام هو علم مرّة واحدة * فقال له الشيخ اما

عن المسالة الاولى فاجيب انه ما جرى على البيانيّين فقد جرى ايضا على النحاة * فقد قال الفرآء اموت وفى قلبى شى من حتى * وقد مات سيبويه وبقى فى قلبه من فتح همزة ان وكسرها اشيآ * ومات الكسائى وفى صدره من الفآ العاطفة والسببية والفصيحة والتفريعية والتعقيبية والرابطة حزازات * ومات اليزيدىّ وفى راسه من الواو العاطفة والاستئنافية والقسمية والزائدة والانكارية صداع واى صداع * ومات الزمخشرى وفى كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتمليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفى وغيرذلك قروح واى قروح * ومات الاصمعى وفى عنقه من رسم كتابة الهمزة غُدّة * وفى الجملة فان معرفة حرف واحد من هذه الحروف اذا تعمد الطالب استقصاها وجب عليه ان يترك جميع اشغاله ومصالحه ويعكف على ما قيل فيه واجيب عنه * وما قيل من الامثال اعطِ العلمَ كلّك يُعْطك جزاْه الا لاجل ذلك * واما قولك هل يلزم ان تقرا النحو ايضا على غيرى هنا اى فى بلادنا فذلك غير لازم * فان اهل بلادنا كلهم لا يطالعون غير هذا الكتاب الذى تطالعه انت * بل قلّ من يطالعه ويفهمه او يعمل بمقتضى قواعده * واما عن سؤالك الثالث فاقول انه لا ينبغى اعادة هذا العلم فى كل بلد ولكنك حيثما سرت واىّان توجهت وجدت اناسا ينتقدون عليك كلامك * فان عبّرت بالواو مثلا قالوا الافصح هنا الفآ * او باو قالوا الاولى ام * وفى بعض البلاد اذا عُلم انك تنقط يآء قائل وبائع سقط اعتبارك من عيون الناس * فقد قرات فى بعض كتب الادب ان بعض العلمآء عاد صديقًا له فى حال مرضه فراى عنده كرّاسة قد

كتب فيها لفظة قائل بنقطتين تحت الياء فرجع في الحال على عقبه وقال لمن سار معه لقد اضعنا خطواتنا في زيارته * وهذا هو سبب قلّة التاليف في عصرنا * فان المولّف والحالة هذه يعرّض نفسه للطعن والقدح والبلاء * ولا يراعي الناس ما في كتابه من الفوائد والحِكَم * الّا اذا كان مشتملا على جميع المحسّنات البديعية والدقائق اللغوية * ومَثَلُ ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم بهيئة رثة ورعابيل شماطيط * فالناس لا تنظر الى ادبه الباطني بل الى بزّته وزيّه * والحمد لله على قلة المولفين اليوم في بلادنا اذ لو كثروا وكثر نقدهم وتخطئتهم لكثرت اسباب البغض والمشاحنة بينهم * وقد استغنى الناس عن ذلك بتلفيق بعض فِقَر مسجّعة في رسائل ونحوها كقولك السلام والاكرام * والسنّية والبهية * فاخفّه ما كان ساكنا * فاما الشعر في عصرنا هذا فانه عبارة عن وصف ممدوح بالكرم والشجاعة او وصف امراة يكون خصرها نحيلا * وردفها ثقيلا * وطرفها كحيلا * ومن تعمّد قصيدة جعل جلّ ابياتها غزلًا ونسيبا وعتابا وشكوى وترك الباقي للمدح * ثم ان التلميذ النجيب استمر يقرا على شيخه الاديب في النحو حتى وصل الىُ باب الفاعل والمفعول فاعترض على ان الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا * وقال هذا الاصطلاح فاسد لان الفاعل اذا كان مرفوعا كان الذي عمل فيه الرفع آخر * والحال انه هو العامل * وبيانه انّا نرى الفاعل في البنآ يرفع الحجر وغيره على كتفه فالحجر هو المرفوع والفاعل رافع وكذلك فاعل الـ........ فانه هو الذي يرفع الساق * فقال له المعلم مه مه

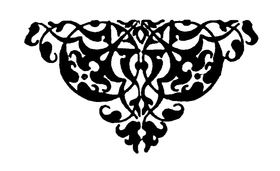
لقد افحشت فكان ينبغى لك التادّب فى مجلس العلم فانه غير مجلس الامارة * ثم ختم التلميذان قراة الكتاب ولم يستفيدا شيا وكانّ الشرح كله كان موجّها الى الفارياق * ومذ ذلك الوقت اخذ فى تجويد عبارته بمقتضى القواعد النحوية *

فصار يهوّل بها على رعاع الناس

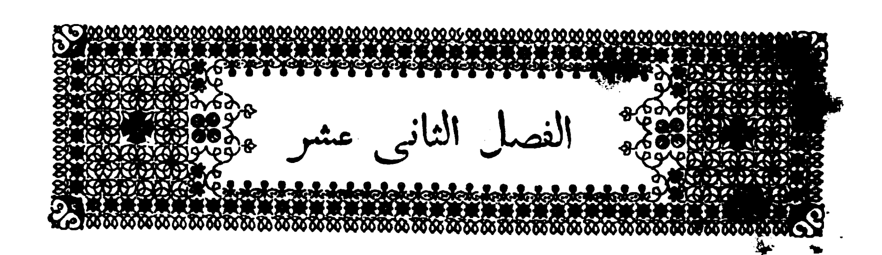
كما يظهر فى

الفصل

الاتى *



Digitized by Google



الفصل الثاني عشر

في اكلة وأكال *

لا بدّ لي من ان اطيل الكلام في هذا الفصل امتحانا لصبر القارى *
فان اتى على اخره دفعة واحدة من غير ان تحترق اسنانه غيظا * او
تصطك رجلاه غيرة وحميّة * او ينزوى ما بين عينيه أُنفةً وحشمة * او
تنتفخ اوداجه وَغْرا وهَوَجا افردتُ له فصلاً على حدته مدحا فيه وعددته
من القرّاء الصابرين * ولكون الفارياق في هذا الوقت قد طال لسانه
وان يكن فكره قد بقي قصيرا ورأسه صغيرا ناقصا من عند قُمَحْدُوَته * وقد
نذرت على نفسي ان امشي وراءه خطوة خطوة واحاكيه في سيرته * فان
رايت منه حمقة جئت بمثلها * او غواية غويت مثله * او رشدا قابلته
بنظيره * والا فاني اكون خصمه لا كاتب سيرته او ناقل كلامه * وينبغي
ان يعلّق هذا الحكم في اعناق جميع المولفين * ولكن هيهات فاني
ارى اكثرهم قد زاغ عن هذه المحجّة * اذ المولف منهم بينا هو يذكر مصيبة
احد من العباد في عقله او امرأته او ماله اذا به تكلّف لايراد الفِقَر المسجّعة
والعبارات المرصعة وحشّى قصّته بجميع ضروب الاستعارات والكنايات *
وتشاغل عن همّ صاحبه بما يدل على انه غير مكترث به * فترى المُصابَ
ينتحب ويُولول ويشكو ويتظلم * والمولف يسجّع ويجنّس ويرصّع

Digitized by Google

ويورّى ويستطرد ويلتفت ويتناول المعانى البعيدة * فيمدّ يده تارة الى الشمس وتارة الى النجوم * ويحاول انزالها من اوج سمائها الى سافل قوله * ومرة يقتحم البحار * واخرى يقتطف الازهار * ويطفر فى الحدائق والغياض من اصل الى فرع ومن غوطة الى ربوة * ما ذلك دابى فانى اذا اوردت كلاما عن احمق انتقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة * واذا نقلت عن امير تادبت معه فى النقل ما امكن فكانى جالس بمجلسه * او عن قسّيس مثلا او مطران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختلّ * لئلّا يصعب عليه المعنى فيفوت الغرض من تاليف هذا الكتاب * فاعلم اذًا ان الفارياق بعد ان فار دماغه بحرارة النحو زيادة على ما كان له من الرغبة فى النظم سار ذات يوم لقضآء مصلحة له * فمرّ فى طريقه على دير للرهبان وكان الوقت مسآء * فراى ان يبيت ليلته تلك فى الدير فعرج عليه وطرق الباب فبرز له رويهب * فقال له الفارياق هل من مبيت عندكم لضيف * فقال له الرويهب * اهلًا به ان لم يكن ذا سيف * ففرح الفارياق بهذا الجواب وعجب من انه يوجد فى الدير من يحسن المساجلة * وانما قال له الرويهب ما قال لان الدير كان ينتابه كثير من اتباع الامير ليبيتوا فيه من كلّ سِرْطِمٍ قهْقَمّ لَهِم نَهِم .وَجِم وَخِم هَقِم يُسمَع له هَيْقم * فكان احدهم اذا بات ثمّ ليلة يكلّف الرهبان من المطاعم الفاخرة ما لم يعهدوه * لان هولآء الخلق يعيشون عيشة المتقشفين المقترين المتبلّغين بادنى القوت * اذ هم ينظرون الى الدنيا والى لذاتها نظر العدو * فهى عندهم ضرّة الآخرة * كلما تباعد عنها الانسان المخلوق فيها تقرّب الى الجنة * حتى ان الخبز الذى كثيرا ما ياكلونه بغير إدام ليس كخبز الناس * فانهم بعد ان يخبزوه رقيقا يشمّسونه ايّاما متوالية حتى يجفّ وييبس * بحيث يمكن للانسان اذا

Digitized by Google

اخذ بكلتا يديه رغيفين وضرب احدهما بالآخر ان يخيف بقرفعتهما جميع جرذان الدير * او ان يتخذهما متخذ الناقوس الذى يُضرب به لاوقات الصلوة * ولا يقدرون على اكله الا منقوعا بالماء حتى يعود عجينا * فاما تقلد تابع الامير بالسيف فانما هو تهويل وانذار بنكال المتهاون به * كتهويل الفارياق على الرويهب بسواله * ومن لم يكن له سيف استعار سيف صاحبه او اتخذ له خشبة رقيقة فى غمد سيف * وليس فى استعارة الماعون وغيره عند اهل الجبل من عار بل كثيرا ما يستعيرون حليّا ومِعْرضا للعروس يزفونها به وللرجل ثيابا وعمامة يزينونه بها * ثم انه لما حان وقت العشاء جاء ذلك الرويهب بصحفة من العدس المطبوخ بالزيت وبثلثة أصْنُج من ذلك الخبز وجعلها بين يدى الفارياق * فجلس للعشآ وتناول رغيفا ودقّه بالاخر حتى انكسر * فلما التقم اول لقمة نشبت شَظِيّة من الخبز فى سنّه وكادت ان تذهب بها * فجعل يسندها ويسدّ مواضع الخلل منها بالعدس * ولم يكد يتم العشآ حتى اشتدت حرارة العدس فى بدنه فجعل يحكّ باظفاره وببعض قَصْد الرغيف حتى تهشّم جلده * فسآءه ذلك جدا وقال لقد خلخلت هذه الكسرة سنّى فلاقلعنّ سنّا من اسنان هذا الدير * ثم انه اعمل فكره فى نظم بيتين فى العدس تشفّيا مما ناله منه جريا على عادة الشعرآء من انهم يتشفّون بعتابهم الدهر مما هم فيه من النحس والقهر * والشقاوة والضرّ * فالتبست عليه لفظة فقام فى طلب القاموس * فطرق باب جاره وكان من المتحمّسين فى الدين * فقال له هل عندك ياسيدى القاموس * قال ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران فما حاجتك به الان * فطرق باب آخر وكان اشدّ منه خشونة * فقال له هل لك فى ان تعيرنى القاموس ساعة قال اصبر علىّ الى نصف الليل فان الكابوس لا ياتينى الا

Digitized by Google

في هذا الوقت * فمضى الى غيره واعاد عليه السؤال * فقال له اى شي هو هذا القاموس ياماغوص * فرجع الى صومعته وقال * لا بدّ من نظم البيتين وسأترك محلًّا فارغا للفظة فقال *

اكلتُ العدس في دير مساء   فبتّ وبي أُكال لا يطاقُ
فلولا انني اعملتُ ظفرى   لقال الناس — الفارياقُ

فلما كان نصف الليل والفارياق نائم اذا باحد الرهبان يقرع عليه الباب * فظن انه اتاه بالكتاب المطلوب * ففتح له وهو مستبشر بوجدان ضالته * فقال له الراهب قم الى الصلوة واقفل الباب واتبعني * فتذكّر عند ذلك ما قاله له جاره من ان الكابوس لا ياتيه الا في نصف الليل * فقال في نفسه لقد صدق الرجل فان هذا الداعي اشدّ على النائم من الكابوس * قبحًا لها من ليلة شؤمى لقد كاد الخبز يقلع سنّي والعدس منانى بالحكّة * وما كدت الان اغفى حتى اتانى هذا القارع الاقرع النحس يدعونى الى الصلوة * اكان ابي راهبا وامّي راهبة ام وجب عليّ الشكر والصلوة من اجل اكلة عدس * ولكن ساصبر الى الصباح * فلما كان الغد جاءه ذلك الرويهب ليساله عن حاله اذ كان قد دخل الدير مذ عهد غير بعيد فكان فيه بقيّة رقّة ولطف * فقال له الفارياق سألتك بالله ان تجلس عندى قليلا * فلما جلس قال له قل لي فديتك افي كل يوم انتم تفعلون هذا * فوجم الرويهب وظنّ به سوءا ثم قال ايّ فعل تعني * قال اكلكم العدس مساء وقيامكم في نصف الليل للصلوة * قال نعم ذلك دأبنا في كلّ يوم * قال ما الذى اوجبه عليكم * قال التعبّد لله والتقرب اليه * قال ان الله تبارك وتعالى لا يهمه ان كان الانسان ياكل عدسا او لحما * ولم يامر بذلك في كتبه * اذ ليس فيه

Digitized by Google

مصلحة لنفس الآكل او للماكول * قال هذا دأب النسّاك العُبّاد اذ التقشف في المعيشة ونهك الجسم بالرديّ من الطعام وبقلّة النوم ينفي الشهوات * قال لا بل هو منافٍ لما شآءه الله * اذ لو شآء ان ينهك بدنك ويخليه من الشهوات لخلقك ضاويا دَنِفا * ما قولك في من خلقه الله جميلا * ايجوز له ان يشوّه وجهه بان يبخق عينه او يخرم انفه او يشرم شفته او يقلع اسنانه كما اردتم قلع اسناني البارحة بخبزكم هذا اليابس * او ان يسخّم سحنته * قال في ظني انه لا يجوز * قال اليس البدن كلّه على قياس الوجه * لعمري ما خلق الله الساعد الفعم الا وهو يريد بقآءه فعما * ولا الساق المجدولة الا وشآء لها ان تكون كذلك دائما * ولا حلّل الطيّبات من المآكل للناس الا وهو يريد ان ياكلوها هنيئًا مريئًا * نعم قد حرّم هذه الطيّبات بعض الاديان المشططة * غير ان دين النصارى يحللها * وانما جآء التحريم من بعض شهارب طعنوا في السنّ فلم يكن بهم قَطَم الى اللحم ولا الى غيره * ما المانع من تناوله كل يوم * قال لا ادرى وانما سمعت علمآنا يقولون ذلك فقلّدتهم * واني اقول لك الحقّ اني مللت من هذه العيشة * فاني ارى جسميّ كل يوم في ذبول ونفسي في انقباض * ولو كنت عرفت من قبل ما اصير اليه لما سلكت هذه الطريقة * غير ان ابي وامي فقيران وخشيا ان اكون من ذوي البطالة والتعطّل * اذ لا صنائع نافعة في بلادنا يمكن للانسان ان يتعلّمها ويعيش منها فزيّنا لي الرهبانية * وقالا لي اذا واظبت على الطريقة في الدير بضع سنين فربما ترتقي الى رتبة عالية فتنفع نفسك وايانا * وما زالا بي حتى اجبتهما ولو لم اجبهما طوعا لاكرهاني على ذلك * فقال له الفارياق نعم ان الرهبانية هي ملجا من البطالة فكل من كان عطلا عن علم او صنعة يقصدها * الا انك ما زلت مثلي حدثا فيمكن

لك ان تقصد احدا من اهل الخير والشفقة فيدلّك على ما ينفعك * والله تعالى خلق الاشداق * وتكفّل لها بالارزاق * وقد جعل في الحركة بركة * هذا وانت تعلم ان الرهبانية مشتقة من الرهبة وهي خوف الله تعالى * فاذا تعاطيت حرفةً وعشت بها بين الناس وتزوجت ورزقت ولدا وخشيت الله فانت ح راهب * ليست الرهبانية باكل العدس والخبز اليابس * اليس ان رهبان ديرك بينهم من الخصام والطعن والحقد ما لا يوجد عند غيرهم * فان رئيسهم لا يزال يحاول اذلالهم واخضاعهم له * وهم لا يزالون مدمدمين عليه شاكين منه * وبينه وبين روساء الاديار الاخرى من الحسد والمنافسة ما بين وزرآء الدول * واكثرهم ينال الرئاسة بالتملق للامير الحاكم او للبطرك * فاذا احس بوشك انقضاء مدته وخشى العزل رايته يجود بالهدايا والتحف لذوي الامر والنهي بما لا يجود به اكرم اهل بلادنا * وذلك حتى يقرّوه على رئاسته * وهولآء الرهبان المُكرَهون على التبلّغ بالعدس وعلى التنحس اذا دعاهم احد لمادبة سمعت لاستراطهم دويّا * فيلفلفون ويلعمظون ويلتمظون ويتكظكظون ويشتقّون حتى تجحظ عيونهم * واضرّ ما يكون عليّ منهم انك لا تكاد تسلّم على احد منهم الا ويمدّ لك يده لتبوسها * وربما كانت نجسة قذرة * فكيف الثم يد من هو اجهل مني ولاغَناء عنده في شي * انظرْ كم عندنا في بلادنا من دير وعلى كم تشتمل هذه الاديار من الرهبان * ولم ارَ احدا منهم نبغ في علم ولا من أُثِرت عنه مكرمة * بل لا تسمع عنهم الا ما يشين الانسان في عقله وعرضه * قدكنت في خدمة بعيربيعر مدة فرايت احد هولآء الكارزين قد تمكّن من ابنته تمكن الزوج من امراته * فكان يقول لها فيما يسالها عنه هل تتمجمج أَليتاك ويترجرج ثدياك * فما للراهب ولترعّد

Digitized by Google

الا يا النسوان ورجرجة اثدآئهن * وآخر كان رئيسا فى دير فعلق بنتا فى قرية بالقرب من الدير فلم تلبث ان علقت منه * غير انه لمّا كان اخوه وجيها عند الحاكم خاف ابو البنت من ان يخاصمه ويفضحه * بل قد تقرر فى عقول الجهلاء من اهل بلادنا ان افشاء امر مثل هذا مما يفتضح به عرض احد هولاء النسّاك حرام * ايم الله ان الستر عليه حرام فان فضيحته تردع غيره * واعرف آخر جاء الى قريتنا متماوتا وقد طوّل كمّيه واسبل قلنسوته حتى لم يكد يظهر من تحتها الا فمه ولحيته تظاهرًا بالصلاح والتقوى * ثم انزل نفسه منزلة خطيب فى القوم * فجعل يخطب ويعظ وينذر بصوت جهير * وكان يبكى عند ذلك اشد البكاء ويذرف المدامع اذ كان جعل فى منديله الذى يمسح به وجهه شيا ذا حُرْتة لا ادرى ما هو * ثم آل امره الى انه كان يقضى ايّاما وليالى مع ارملة حسناء شابّة من نساء الامراء فى خلوة استذراعًا بانها تعترف له اعترافا عامّا * اى من يوم انتفخ ثديها ونبت شعرها الى ذلك اليوم * واعرف آخر كان قد ذهب الى رومية وكان مغفلا فكان ينام فى فراشه بثيابه الرهبانية على طريقته فى الدير ويوسخ المُلاءة * فكان صاحب المنزل ينهاه عن ذلك * ثم لما راى ان جميع قسّيسى رومية واعيان ائمتها من البابا الى الكردينال الى الراهب يناموں عريانين لا شى يستر سَوْأتهم غير مُلاء الكتّان الرفيع كفر بهم وصار يستحلّ الحلال والحرام معا * فانظر الى هولاء العُبّاد من العباد فانك لا ترى فيهم الا خبيثا منافقا * او جاهلا مائقا * وندر وجود الصالح بينهم * اما العلم فهو محرّم عليهم كلّهم * لا باس فى الرّهبانية تطوّعا لا باس انما هى طريقة محمودة * ولكن بشرط مجاوزة الخمسين سنة * وان يكون الداخلون فيها من اهل الفضائل والمعارف * يشتغلون بالعلم وبتهذيب املاء اخوانهم

ومعارفهم * ويحضّون على مكارم الاخلاق والاتصاف بالمزايا الحميدة * ويولفون الكتب المفيدة وينهجون لقومهم المناهج المودّية الى الخير والفلاح والفوز والنجاح * لا مثل هولآء الجهال الذين لا يعرفون شيا من الدنيا سوى التقشّف والرّثاثة * وناهيك دليلا على جهلهم انى سالت اشدهم تحمّسا ان يعيرنى القاموس فظنّه الجاموس * واخر ظنه الكابوس * واخر القاموص * فبادر ياصاح وتخلّص منهم هداك الله والّا فتكون لا من اهل الدنيا ولا من اهل الآخرة * فان دين الجاهل عند الله ليس بشى * واذا بلغت الستين سنة فها هى الرهبانية بين يديك * فقال له كيف التخلّص * قال أَلَكَ فى الدير متاع فاساعدك على حمله * قال ما لى سوى ما تراه علىّ * قال فامضِ بنا اذًا فان الرهبان الان عاكفون على الصلوة * فخرجا من باب الدير ولم يعلم بهما احد * فلما بعدا قليلا هنّأ الفارياق صاحبه بخروجه من ربقة الجهل وقال له * لعمرى لو كنت كلّما اكلت اكلة عدس خلّصت راهبا او رُوَيهبا او بالحرى راهبة اورُوَيهبة لوددت ان لا آكل الدهر غيره وان أكل بدنى * فجزى الله الدير خيرا *

Digitized by Google



الفصل الثالث عشر

في مقامة

او مقامة في الفصل الثالث عشر

قد مضت عليّ برهة من الدهر من غير ان اتكلف السجع والتجنيس واحسبني نسيت ذلك * فلا بدّ من ان اختبر قريحتي في هذا الفصل فانه اولى به من غيره * اذ هو اكثر من الثاني عشر واقل من الرابع عشر * وهكذا افعل في كل فصل يُوسَم بهذا العدد حتى افرغ من كتبي الاربعة * فتكون جملة المقامات فيما اظن اربعا * فاقول

حدّث الهارس بن هثام قال أرقت في ليلة خافية الكوكب * بادية الهَيْدَب * طويلة الذنب * مَلْأَى من الكُرَب * الى الكَرَب * فجعلت انام على ظهري مرة وعلى جنبي اخرى * واتصوّر شخصا ناعسا امامي يتثآب وآخر ينخر نخرا * وآخر يتهوّم سكرا * فان التصوّر فيما قالوا يبعث على فعل ما ترغب النفس فيه * وينشط الى ما تصبو اليه وتشتهيه * ومع ذلك فما اكتحلت غُمضا * ولا فتح فمي تثاؤب طولا ولا عرضا * وكان يُخيَّل لي ان اهل الارض كلهم رقود وانا وحدي منْ بينهم أرِق * وان جميع جيراني في سكون وانا دونهم قَلِق * فقمت الى الشراب فحسوة منه حسوة * فلم تك الا غفوه * كانّما كانت هفوه * فافقت في اسوأ حال * وشرّ بلبال * والهموم قد انثالت عليّ من كل جانب * والافكار متطايرة على كل مقارب ومجانب * فكان يخطر ببالي

Digitized by Google

كل ممكن ومحال * ويعاودنى ما كنت فكّرت فيه من الاحوال * مرة منذ احوال * فلما علمت ان النوم قد ندّ عنى وان تناومت * وانه لا بد من ترقب الفجر ان اذعنت وان قاومت * مددت يدى الى كتاب الطالع فيه * وقلت ان لم يُنمنى فينبّهنى ببعض معانيه * فتناولت اقرب ما وصلت اليه يدى * وانا غير موثر احد الكتب على غيره فى خَلَدى * واذا به كتاب موازنة الحالتين * ومرازنة الآلتين * للشيخ الامام العالم العامل * الفاضل الكامل * ابى رُشد نُهيّة بن حزم * المشهور بالبلاغة فى النثر والنظم * وهو كتاب لم يسبقه اليه احد من المولفين * ولم يجاره فيه كاتب من المجلّين * فقد وازن فيه بين حالتى بوس المرء ونعيمه * ورَوحه وهمومه * ومنافعه ومضارّه * واحزانه ومسارّه * منذ كونه طفلا * الى ان يصير كهلا * ثم شيخا قحلا * وقد جعل ذلك فى جدولين متقابلين * واسلوبين متفاضلين * الا انه لما كان الشيخ قدس الله سرّه * ورفع فى اعلى علّيين مقامه وقدره * على ما يظهر لى ذا عيشة راضية * وسعادة وافية * وهمة ماضية * رجّح طرف اللذات على غيرها * واستقلّ شرّ الحيوة بالنسبة الى خيرها * حتى انه زعم ان اللذة تكون عن الفعل والتصوّر معا * بخلاف الالم فان الفكر لا يقع منه موقعا * وانه كان اذا امتثل خَوْدا يداعبها وتداعبه * هزّته نشوة طرب مال بها سريره ومركبه * وكلكله ومنكبه * بيدَ انى ارتبت فى كلامه فى هذا المحلّ * وقلت سبحان الله لا بدّ لكل مولّف من هفوة وان جلّ * وذلك انى لما تصورت الشخص المتهوّم * والناعس والمتثائب وانا متناوم * لم يُغننى التصوّر عن الفعل نقيرا * ولا وجدت فيه لذة لا قليلا ولا كثيرا * على انى اذهب الى ما ذهب اليه بعض المجانين * من ان لذة النوم لا تكون قبله ولا معه ولا بعده للنائمين * وهى عقدة للطبائعيين *

لا يمكنهم حلّها بلسانهم وافكارهم * ولا باسنانهم واظفارهم * غير ان عبارة المصنف كانت من العلم والحكمة بحيث تخلب عقل الناقد الخبير * وتربك في تحرّي احد القولين كل نحرير * فلما اطلقت النظر فيهما وعاد اليّ كليلا * واعملت حدّ النقد ورجع مفلولا * عزمت على ان استجلي هذا الاشكال * من بعض ذوي الدراية والجدال * فقلت في نفسي كما ان يدي نالت ادنى الاسفار * كذلك يكون مراوحي عليه ادنى الجار * وكان يسكن بالقرب مني مطران يطريْ قومه على حِلْيته * ويُعظمون فضله وادبه على طول لحيته * فقصدته ضحوة النهار * باديَ الاستبشار * فرايته ذا بكُلّة تروق * وبزّة تشوق * فعرضت عليه الجدولين وقلت افتني في هذه القضية * ولك الاجر من رب البرية * فنظر فيهما ثم حرّك راسه * وجعل يرمش ثمّ يشكو نُعاسه * وقال لي ما ترجمته * اذ لم يكن ممن تسمو الى السجع همّته * ما لحنت مغزاهما * ولا دريت فحواهما * ولو كانا بعبارة ركيكة * كان ذلك عليّ اسهل من الجلوس على هذه الاريكة * فقلت قد اخّره في العلم والشُقْف * تقدمه في الصف * ونقص من عقله وفهمه ما زاد في لحيته وكمه * فلاستعلمنّ بعده اكثر الناس حمقا وهَوَجا * وما ذلك الا معلم الصبيان الهجا * وكان في البلد مَن اتّصف بهذه الصفة * وهو مع ذلك ذو كبر وعجرفة * فقصدت محلّه * والقيت عليه المسْله * فاذا به قام يصفق بيديه * ويراريْ بعينيه * ويقول لقد سقطت على الخبير * واهتديت براي بصير * ان شئت ان تعرف ايّ القولين ارجح * واصدق واصح * فزِنِ الجدولين دون جلد الكتاب في ميزان * فما رجح منهما فهو الراجح ما اختلف في ذا اثنان * فقمت من عنده غضبان نادما * ولعنت الارق الذي كان السبب في ان اكون لمعلمي الصبيان مكالما * بعد ان

قرات في غير كتاب * وسمعت من ذوى الالباب * انهم اسخف خلق الله عقلا * واكثرهم جهلا * وابعدهم عن الفهم * واسفههم الى الوهم * فسرت في ذلك اليوم * الى فقيه من جلّة القوم * قد كبّر عمامته وكوّرها * ووسّع جبّته وزوّرها * فقلت افتني ايها الفاضل الاحذق * اى القولين عندك احقّ واصدق * فقال امّا اذ جئتني مستفتيا * ورمت ان تكون برأيي مستهديا * وبطريقتي مقتديا * فاني اقول لك بعد التروّى * في هذا المذهب المتحوّى * انّا معاشرَ الفقهآء من اهل الكلام * القائمين بإحكام الأحكام * وتبيين المتشابه بين الانام * وانّ من دأبنا اظهارًا للحق ان نسهب في التعليل * ونكثر من قال وقيل * اذ لا بدّ من انتشآء عُرف الصواب * من الاسهاب * ومن الاهتدآء الى بعض المذاهب * بفرض المستحيل وجعل المعدوم كالموجود الواجب * فعندى انه لا بدّ من عدّ الفاظ القولين * واحصآء حروف الجدولين * فما كان منهما اكثر حروفا * فهو ارجح واحسن تاليفا * والله اعلم * ففصلت من عند الفقيه * كما فصلت من عند صاحبه السفيه * وقلت انما اللوم على مستفتيه * ثم قصدت شاعرا كنت اعهده يتلهوق ويتشدّق * ويتفصّح ويتمدّح * ويتبجّح ويتزنّح * وقلت له هاك ما تحرز عليه اجرا * ويكسبك بين الناس فخرا * فأبِنْ لى اىّ الاهلوبين أبْدع * وبالحق فأصدع * قال اما انا فما لى من خَلاق في الدنيا ولا نصيب * غير المدح والنسيب * ففى الاول غُصّتى * وفي الثاني لذّتى * فاصبر علىّ ريثما اطالع ديواني كلّه * واتصفحه جُملَه * فان وجدت المديح فيه اكثر من الغَزَل * كان الخير في الدنيا اقلّ * فالحقته بصاحبيه الفقيه والمعلّم * وقلت كم من متكلّم مُكلِم * ثم سرت الى كاتب الامير * وكان مشهودا له بالتحرّى والتحرير * فاثنيت عليه قبل السؤال مطريًا *

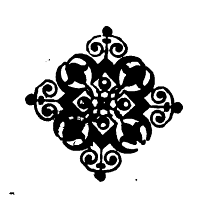
وقلت لم يكن غيرك في ذا مجزئا * فقال انّ سعادتي في الكون هي ان ارضي عن اميري ويرضي عني * وشقاوتي هي ان اغضب منه ويغضب مني * وقد نسيت كل ما جرى عليّ من الغضب والرضى * لكثرة المشادّه والمقتضى * فان صبرت عليّ في المستانف شهرا * لاقيّد في دفتري ما القاه منه حلوا ومرّا * ونفعا وضرّا * افدتك الجواب فاقبل عذرا * فصيّرته رابع الثلثة * وقلت لاستشيرن ذا حداثه * فان اهل المراتب والمناصب قد ذهبت صدارتهم بالبابهم * فلم يبقَ فيهم خير لقارع بابهم * فجئت الفارياق وهو مكبّ على النسخ * وفي طلعته مبادئ المسخ * فقد رايت عينيه غائرتين * ويديه ذاويتين * وعظم خديه ناتئا * وجلده كالظل زانئا * حتى رثيت لحالته * وكدت امسك عن الكلام اشفاقا من بطالته * لكنه لما رآني قام اليّ * ثم اقبل عليّ * وقال هل من خدمة اقتضت سعْيي * اونجوى اوجبت وعيي * فقلت قد اقدمني كذا وكذا * فاكفني ذل السؤال كفيتَ الاذى * فاخذ رقعة من تحت اسمال * وكتب فيها في الحال *

اتيتني مستفتيًا في امرِ	يعلمه كل امرءٍ ذي حِجْرِ
الخيرَ ان قابلته بالشرّ	في العمر كان قطرةً من بحر
الا ترَى الاجْرب كيف تُسْرى	عَدْواه في جميع اهل المصر
وليس من ذي صحّة ويُسْر	عدوى لمن داناه طول العمر
والطفل اذ يُثغر كم من ضُرّ	يَلْقى ويُلْقى عنده في قبر
وعند اِشعارٍ ونبت ظُفرِ	ليس له من لذّةٍ وسُرِّ
وكلّ عُضو لقبول الكسر	اقرب منه لقبول الجبر

Digitized by Google

وما فساده سريعا يُزرى　　كالعين لن تصلحه فى دهر
ونعى طفل لابيه يفرى　　فؤاده وكلّ عظم يبرى
وليس فى مولده من بشر　　ندّ لحزن موته لاضرّ
وما تكون لذة عن فكر　　اذا تحققت ولا عن ذِكر
وانما ذا هَوَس قد يجرى　　فى خاطر المغفّل المغترّ
فهل تصوّر الشفآء يبرى　　ذا مرض أُمرض منذ شهر
وهل لمن يبرد وقت القرّ　　دِفْءٌ بتذكار اوان الحرّ
فليس دُنيانا لاهل الخُبْر　　سوى بلآء دائم وخُسْر
يُولَد فيها العبد غيرَ حُرّ　　وهكذا يموت رغما فادر

قال فلما اخذت الرقعة وتاملت فيها * وتحققت معانيها * علمت ان قوله هو الاسدّ * وان قول غيره هذيان وفَنَد * فقلت له بورك فى زمن جاد بمثلك * وهدى المستفيدين الى رشدك وفضلك * وقبحا لاهل الثرا * اذ لم يحلّوك ارفع الذرى * ثم انصرفت من عنده داعيا * ولما قاله واعيا *





الفصل الرابع عشر

فى ستر

❋❋❋

همع همع الحمد لله * الحمد لله * قد تخلصت من انشآء هذه المقامة ومن رقمها ايضا فانها كانت باهظة * ولم يبقَ لى همّ منها سوى حث القارئ على مطالعتها * وهى وان تكن خشنة غير مهلهلة كسجع الحريرى الا انها تُلبَس على علّاتها * وتحمد لافاداتها * وفى ظنى ان الثانية تكون احسن منها * والثالثة احسن من الثانية * والرابعة احسن من الثالثة * والخمسين احسن من التاسعة والاربعين * لا تخف من هذا التهويل والتوهيل لا تخف * انما هى اربع لا غير كما وعدتك * والان ينبغى ان اعصر يافوخى لاستقطر منه افكارا ومعانى حسنة والفاظا رائقة مع تجنب الثرثرة * فان العلمآء يسمون ذلك فيما اظنّ إخلآء * ولكن قف هنا حتى اسألهم * ماذا تسمّون الكلام الذى يتدفق بالمعانى ويبلّ قارئه حتى آتيكم به * فان لم تسمّوه لى حالا فلا تلومونى على نقيضه * فانى انا من الموجود ودابى ان ابحث عنه لا عن المعدوم * ولما كان اسم الاخلآ موجودا ونقيضه معدوما ناسب ان اعدل اليه عن غيره * الى ان تتواطئوا على اسم ولكن لا بالخناق والتناوش * والنقار والتهاوش * وبالجلاد والجدال * وبالتماسك بالجيوب والاذيال * بل بالرزانة والوقار * والاَوْن والاستبصار * فان الرزين

Digitized by Google

اذا وضع اسمًا لشى جآء ذلك الاسم رزينـا مثله * فلا يمكن بعدُ انتقاله الى آخر * بل ربّما وُقُرَ بالاسم المسمّى وان يكن مما اتصف بالخفّة والطيش * الا ترى ان كلام الشاعر الرقيق ياتى رقيقا * وكلام الضخم ياتى ضخما * كما قيل كلام الملوك ملوك الكلام * وشعر المرأة ياتى خالبا للعقول لاعبا بالالباب مثلها * ويستثنى من هذه القاعدة وضع الولد من قبل ابيه اى مادة توزيغ الولد * لا ان الاب يحبل ويلد * وذلك ان الوالد قد يكون قبيحا وياتى ولده صبيحا * وسببه ان الايلاد لما كان من الافعال التى لاتتمّ الا بمشاركة اثنين اعنى رجلا وامراة اذ التغليب هنا لا يخلو ايضا من الابهام * لم يكن للوالد مطلق التصرف فى تهيئته ولده كما شآء * فقد يكون هو عند ذلك مقدّرا له شكلا ارتضاه وتكون امّه حرسها الله مقدّرة له شكلا آخر بحسبما استحسنته وخلج صدرها اذ ذاك * فياتى الولد خنفشاريّا * لا يقال ان الرجل لا يستحضر عند ذلك صورة معلومة لذهوله بشاغل المادة * فان ذلك لا يصدق على من اَلِفَ شيا واحدا بخصوصه * فان طول الفة الانسان لشى تعدّل هواه فيه * فيباشره برشد ورويّة * فمَثَله كمَثَل الطبّاخ الشبعان يطبخ خضض الطعام باتقان واحكام بخلاف الجائع فانه يلهوج عمله ويلهوقه * فاعلم اذًا بعد هذا الاستطراد البديع * والعظال المُجيع * ان الفارياق ذهب ذات يوم الى بعض القسيسين ليعترف له بما فعل وفكر * وقال من المُنكَر * فقال له القسيس فيما ساله به * قد سمعت عنك انك كَلِفٌ بالنظم وبالالحان وهما من اعظم اسباب الفساد والغرام * فهل سوّل اليك الخنّاس ان تتغزل فى الشعر بامراة قاعدة النهد * مورّدة الخدّ * بيّنة الكَحَل * مرتّجة الكفل * نحيلة الخصر * مفلّجة الثغر * عَبْلة الساقين * مجدولة

Digitized by Google

الساعدين * سودآ الشعر والحلمتين * نجلآء العينين * مخضّبة الكفين * رقيقة الشفتين * مزججة الحاجبين * مدورة السرّة * ذات عُكن مفترّة * حلوة الابتسام * مهفهفة القوام * لها رُضاب عذب * ونكهة تسكر الصبّ * قال قد فعلت ذلك لكنى ائن اراك الّا حريفى فى هذه الصنعة * فقد رايتك تحسن وصف الحسان اىّ احسان * قال ليست حرفتى تلفيق الكلام * وانما هو شئ عرفته بالقياس والالهام * فان كلّ من تعاطى النظم يملأ دماغه بهذا الوصف المحرّم * وكيف كان فلا بدّ من ان تحرق غزلك كله * بالتفصيل والجملة * فانه يبعث الاغرار على المعاصى * فتُجزى به يوم يؤخذ بالنواصى * وتعزّ التفاصى * قال كيف احرق فى ساعة واحدة ما سهرت فيه ليالى متعدّدة حرمت فيها من الكرى * وكابدت بها جهدا ولا جهد الشرى * او السُرى * فكنت اذا نظمت البيت من القصيدة يخيّل الىّ انى قطعت مرحلة الى محلّ المتغزّل بها * وعند تمام القصيدة اتصوّر انى وصلت اليها ولم يبقَ بينى وبينها سوى فتح الباب * فكان الختام عندى افتتاحا خلافا لجميع الشعرآء * ولذلك لم اكن اقصد القصائد الطويلة خشيةَ أن تطول علىّ المسافة بطولها * فهل من الراى السديد ان يحبط عملى كله من اجل الاغرار * وبعدُ فانى لا اريد انهم يقراون كلامى * لانهم ان لم يفهموه سألوا عنه اهل العلم فيذمه هولآء ويخطّئوننى ويفندوننى * اذ لا يرون فى كلام الصغير الوضيع حسنا * وان استحسنوه لم يكن جزآى منهم الا قولهم اخزاه الله و قاتله الله وثكلته امه ولا ابَ له ولا امّ له * قال ان ابيتَ الا الاصرار على العناد * والزيغ عن جادّة الرشاد * امسكت عنك مغفرة ذنوبك * ونددت فى الكنيسة بعيوبك * قال لا تعجّل فان العجلة من الشيطان * ارايتك لو مدحتك

Digitized by Google

بقصيدة طويلة تجعلها كفّارة عن الذنب * وان شئت ان امدح فيها ايضا جميع الرهبان والراهبات والعابدين والعابدات والزاهدين والزاهدات والناسكين والناسكات والقانتين والقانتات والمفرّدين والمفرّدات والمغبّرين والمغبّرات والمذكّرين والمذكرات والذاكرين والذاكرات والمتقين والمتّقيات والمتبتلين والمتبتلات والمتهجدين والمتهجّدات والساجدين والساجدات والمُخبتين والمخبتات والمسبّحين والمسبّحات فعلتُ * ففكّر ساعة وكانّه رأى ان ليس في التغزل كبير اثم * فان وصف المراة مثلا بضِخَم الكفل وفعومة الذراع وتدملك الثدى اذا كانت في الواقع كذلك انما هو من قبيل قول القائل البدر طالع عند طلوعه او السحاب منقشع عند انقشاعه * وانما يكون افتراءً وائما ما اذا وُصِفت بذلك وكانت مسحاءَ مرداءَ * او كانت تتّخذ الحشايا لتُحسَب عجزاءَ فصدّقها ناظرها في ذلك وقال فيها ما قال مجازفة * فلما تدبّر الامر ورازه بعقله قال * لا ينبغي ان تتّخذ مدحى كفارة فانى اخشى ان تمسك بى ولا تعود تطلقنى * اذ ارى من قوافيك في الفاعلين والفاعلات انك مُسَكة عُلَقة نُشَبة لُزَمة * وانما تمدح اولياءَ الله والربّانيين الصالحين الذين زهدوا في الدنيا رغبة في الاخرة لوجه الله ولبسوا المسوح ولزموا السهر في طاعة الله وداوموا على التقشف حبا بالله * فمنهم من لم ياكل مدّة حياته كلها الا العدس والخبز جافّا صلبا * فقال الفارياق واعقبه ايضا كسر سن وحكة * قف قف * قد نسيت ان اذكر لك شيا اخطره الان ببالى العدس * وذلك انى تسبّبت مرة في اخراج رويهب من ديره وتركه الطريقة * وانما الذى اغرانى بذلك ما قاسيته فيه ففعلت ما فعلت تشفّيا * فقال ذنبك في التشفى وهو ضرب من الانتقام اكبر من ذنبك

Digitized by Google

فی اخراج الرویهب * فان اکثر الرهبان لا فائدة من اقامتهم فی الدیر لا لهم ولا لغیرهم * وما عدا ذلک فقد یحتمل ان هذا الرویهب یتزوج ویجعل من ولده رهبانا کثیرین * ولکن اذا مدحت الراهبات فاحذر من ان تذکر لهن ابدآء واعجازا اذ لا شی لهنّ من ذلک * فان طول الاعتکاف والاحتجاب قد صیرهنّ مخالفات لسائر النسآء * ونحن معاشر العبّاد اعلم بهن * فقال له الفاریاق سالتک بالله معبود اهل السماوات والارض هل جمیع القسیسین مثلک فی الظرافة والدعابة * قال لا ادری وانما ادری انی انا وحدی شقیت بما عرفت * وانی لو بقیت جاهلا مثلهم لکان خیرًا لی * انّ من الجهل لراحة * فقال له وکیف ذلک * قال اعندک للسرّ مکان حریز * قال ان سرّی من دمی فلا ابوح به * (قلت بل باح به الان) قال اترید ان اقصّ علیک قصتی * قال اکرم بها قال اصخ سمعا *



الفصل الخامس عشر

في قصة القسيس

ثم طفق يقول * اعلم انى كنت فى مبدأ امرى حائكا * ولما شآء الله تعالى من الازل ان يخلقنى قبيحا وقصيرا * حتى ان امى عند نظرها الىّ كانت تحمد الله على انه لم يخلقنى بنتا لم اكن اصلح للحياكة * لانّ قصرى الفاحش منانى غير مرة فى حفرة النول بالبُهر والخُناق * اذ كان جسمى كله يغيب فيها فينقطع نَفَسى * مع ان منخرىّ بحمد الله يسعان من الهوآء ما يكفى خمسين رئة وخمسين كرشا * وكثيرا ما كان يُغشى علىّ فيها واوخذ منها على آخر رمق * فلما قاسيت من هذه الحرفة كل جهد وعنآء رايت ان التسبّب ببعض ما يرغب فيه النسآء اصلح * فاكتريت لى حانوتا صغيرا وقعدت فيه * فكانت النسآء يمررن علىّ وينظرن الىّ ثم يتضاحكن * وسمعت مرة منهنّ مَن تقول * لو كان الظاهر عنوانا صادقا على الباطن لكان خرطوم هذا التاجر يشفع له فى جثّته ويروّج سلعته * فاعتمدت على كلامها وقلت لعلّ من القبح سعادة * فقد قيل فى الامثال انّ من الحسن لشقوة * ومكثت مدة على هذه الحال من غير طائل * فان انفى وقف بينى وبين رزقى * وبلغ كبره من الفحش بحث انه لم يدع لغير الآبآء والاعراض عنى موضعا * فقعدت يوما افكر

Digitized by Google

فى خلق الله تعالى هذا الكون * واقول يالحكمة الله كيف تخلق فى الدنيا انسانا ثم تخلق فيه شيا يمنع عنه رزقه وقوام معيشته * ما الفائدة من هذا الانف الضخم الذى لا يصلح لشى الا لان تضمّن فيه اعجاز قفا نبك* ولِمَ لم يقوّر منه شي ويكوّر فى جثتى * ومالى ارى بعض الناس جميلا كالمَلَك وبعضهم قبيحا كالشيطان * السنا جميعا خلق الله * اليس سبحانه يعمّهم كلّهم بعنايته على حد سوى * اليس الصانع الارضىّ اذا اراد ان يصنع شيا فانه يتانّق فيه ويتقنه عند استطاعته وياتى به من احسن ما يكون * هل يصوّر المصوّر صورة قبيحة الا لكى يضحك الناس من المصوّر عنه * العلّ فى ضِخَم الانف حُسْنا او خيرًا او نفعا ونحن معاشر المخلوقين لا نعلمه * ثم اقوم الى المرآة واتامّل وجهى فيها فانكره ولا اجد فيه موضعا للاستحسان * فاعود الى مذهبى الاول واقول * ان كنت انا لم استحسن وجهى فهل يستحسنه آخر غيرى * على ان الانسان يرى ذأم غيره فيه حسنا ورذيلته فضيلة * اترى فى الناس مَن يروق لعينه القبح * فقد يقال ان السود لا يرون فى الابيض منا حسنا * غير ان لون السواد عندهم عامّ فلذلك يستحسنونه * وما ارى غيرى مَن اقلّ انفا كانفى حتى اطمع فى انه يكون مستحسنا * اما اللون فانى لست من البيض ولا من السود فانا بين اللاعنَيْن * الا ليت اهل بلدتى كانوا كلهم مثلى قُنافيّين فانسلّى واتاسّى بهم * من اين ورثت هذا الجلمود وانف ابى كان كانوف الناس * ليت شعرى اين كان عقل ابى حين نقر فى راسه فكر انشاى فى هذا الكون وفى ايّ طود اوطربال اومنارة كانت امّى تتفكّر ليلة راوحَتْه على هذا العمل * الاّ ليتما غُشى عليهما تلك الليلة فما افاقا * او فَدَرا فما اطاقا * او سُحرا فما تاقا * او سَكرا فماقا * وجعلت اجيل هذه الافكار

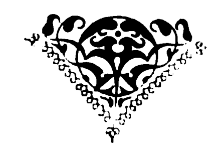
في راسي واصوغها في قوالب مختلفة وافانين متنوّعة * واذا بامراة متنقّبة اقبلت عليّ وقد نتأ من تحت نقابها شي شبيه بالقُلّة * فظننت انها جعلت حنجور عطر عند انفها لتشمّه عند مرورها على الجيف في اسواق المدينة * فسالتني عن شي تريد شرآه فسعّرته لها فكانها استغلته فقالت لي اقصدْ فان تسعيرك هذا تسعير * فقلت لها وانّ شِرآك لَشُرى * فضحكت وقالت لقد احسنت في الجواب ولكنك اسأت في الطلب * فراعِ حقوق الشركة والجنسيّة فاني شريكتك ورفيقتك * فكان ينبغي لك ان تحابيني * قلت ايّ شركة بيننا اصلحك الله وهذه اول خطرة شرفتِني فيها بالزيارة * فرفعت النقاب واذا بانفها الناتئ يضيق عنه وجهها * وكانه واجدٌ انفي ليحيّيه * فخطر ببالي ح ما قيل عن ذلك الغراب الذي كان يخمع والِفُ غرابا مهيض الجناح * وان احد الشعراء لما ابصرهما قال ما كنت ادري ما اراده بعضهم بقوله ان الطيور على آلافها تقع حتى رايت هذين الغرابين * ثم اني بعتها اخيرا ما ارادت ان تشتريه * وحاولتُ ان اقبّلها قُبْلة واحدة تعويضا عما خسرته معها فما امكن لي * لان انفينا حالا ما بيننا * ثم ذهبَتْ ومكثت انا على تلك الحال مدة * فلمّا تحققت اني لا اصلح للتجارة لان النسآء لا يشترين الا ممّن كان فرهدا غيّسانيّا تبركا بجمال طلعته في انهن يتمتّعن بما اشترين من عنده * وتذكّرًا لذلك النهار السعيد الذي عرفنه فيه * واني مذ فتحت الدكان لم ابع الا لتلك الكَرْنيفيّة وكان ذلك بخسارة * عزمت على الرّهبانية فذهبت الى دير ما وقلت للرئيس * قد اقدمني الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة * فان الدنيا لا تغني عن الآخرة شيا * وان اللبيب من اتخذ دنياه هذه مجازا الى تلك * اذ لو كانت هذه

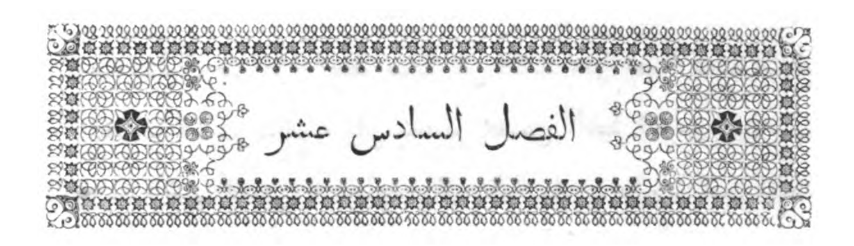
وطننا الذى شآءه لنا خالقنا لكنّا نعمّر فيها طويلا * على انّا نرى ان من الناس مَن يولد فيها ويعيش يوما واحدا فهذا دليل على انّا لم نخلق لها * واشباه ذلك من الكلام الذى جرى على السنة العبّاد * فقبلنى الرئيس واعتقد فىّ الفضل * واتّفق فى اليوم القابل انه حاول التسوّر على حائط لينفذ منه الى بعض بيوت الشركآء * فدخلت فى احدى عينيه قِصدة من غصن شجرة فذهبت بها * فرجع غضبان وقد تشآم بقدومى الى الدير * اذ كان قد أَلِف التسوّر قبل مجيئى بمدّة طويلة ولم يعرض له شى قط * فمن ثمّ طردنى من الدير فدخلت ديرًا آخر واعدت الكلام الاول * فقبلنى رئيسه فاقمت ثَمّ ايّاما اقاسى فيها من قشف المعيشة والوسخ ما لا يرضى الله ولا احدا من العالمين * هذا ما عدا ما كنت ارى من عناد الرهبان وتفرق ارائهم * وطعن بعضهم فى بعض وشكواهم الدائمة للرئيس من امور باطلة * وتكبّر هذا عليهم وأَثَرَته باشيآء استخصّها لنفسه من دونهم * وتنافسهم فيما يهدى اليهم النسآء من نحو منديل وكيس وتكّة * وزد على ذلك كله جهل الجميع اذ لم يكن فى الدير كله مَن يحسن كَتْب رسالة فى معنى من المعانى * حتى ان الرئيس نفسه ادام الله عزّه لم يكن يعرف ان يكتب سطرا واحدا بالعربية * وانما كان يخط هذه الحروف السريانية المعروفة عندهم باسم كرشونى * وكان هذا الجاهل يتبجّح بمعرفته لها ويحمل كل من دخل صومعته على اعظامها * حتى انه كان يدعو ايًّا ما كان لزيارته * فكانت الاغرار من الرهبان تعتقد ان ذلك من حسن اخلاقه وكرم طباعه * وكان قد كتب بها على بابه سطرا وعلى الحائط سطرا آخر * فكنت حين انظر ذلك اضحك * وهو من غفلته يظن انى اضحك اعجابا بها * ومن كان خبًّا مخاتلا من الرهبان على جهله (فان كثيرا من الناس قد

جمعوا بين الجهل والختل) كان يتقرّب اليه استجلابا لرضاه بان يقول
له وهو حاسر الرابس تواضعا وخشوعا اكرم عليّ ياسيدى بنسخة من خطّك
اصلح عليها خطّى * فكان ذلك من احسن ما يُدلّ به عليه * فلما اشتدّ عليّ
الخطب من عشرتهم وخصوصا من رداءة الطعام طفقت ادمدم واتضجّر *
فسمعنى يوما طباخ الدير اشكو من قلّة السمن فى الارزّ الذى كان يطبخه
فى بعض الاعياد العظيمة * وكان عُتُلّا زنيما * فاستشاط منى غيظا وحملنى
على كتفه كما يحمل الرجل ولده ولكن بلا شفقة * ثم ذهب بى الى
مُمار الدير وغطّسنى فى خابية السمن وهو يقول * هذا السمن الذى
اطبخ به الارز الذى لم يعجبك ياصاحب الخرطوم * ياسليل البوم *
يانصيب المحروم * ياابن اللوم * ياابا الكبائر والجروم * يارائحة الثوم *
ياريح السّموم * ياعُلْجوم * يامَنْهوم * ياالهوم * ياوخوم * وصبّ عليّ قوافى
كثيرة غير هذه * فبلغ منى تغطيسه عرضى فى السبّ اكثر من تغطيسه راسى
فى السمن * فتملّصت منه بعد جهد ودخلت صومعتى حتى اغتسل واذا به
يطرق الباب ويعجّ ويقول * لا بدّ من ان اعصر انفك فقد دخل فيه
من السمن ما يكفى الرهبان ايّامًا * ثم اهوى بيديه على منخرى كانهما
كلبتا حدّاد وجعل يعصرهما اشد العصر * حتى ظننت ان قد زهقت نفسى
منهما * فان الانف وحده دون سائر ثقوب الجسد محل دخول النفس
وخروجها خلافا لقوم * ولذلك يقال تنفّس الانسان * فلما شقّ عليّ ما
قاسيته ولم اجد فى الدير من اشكو اليه * اذ الرهبان كلهم يتملّقونه ويتودّدون
اليه حتى يشبعهم ولو من الثُرْتُم * (وهو ما فضل من الطعام او الإدام فى
الاناء) خرجت من الدير مبتئسا حزينا قانطا وقد ضاقت الدنيا عليّ
برُحْبها * وقلت اين اذهب بانفى هذا الذى سد عليّ مذاهب الرزق *

Digitized by Google

ام اين يذهب بي هو * فخطر ببالي ان اقصد ديرا بعيدا كنت اسمع
عن رهبانه انهم صُلّاح * وان بعضهم يحسن الخط العربيّ ويحبّ
الغريب ويكرم الضيف * فتوجّهت اليه فلما سلّمت على رئيسه وطالعته
بما عزمت عليه احمد رأيي وهشّ بي * لكنه لم يتمالك ان
نظر اليّ نظر المتعجب مني المستعيذ من
شؤم تبعة تلحقه من انفي *
فمكثت في ديره ما
شآء الله ان
امكث *





الفصل السادس عشر

في تمام قصة القسيس

وجعلت من همّي مدة مكثي هناك بادي بدئٍ مداراة الطباخ ومساحنته والثناآ عليه * فكان لا يحوجني الى شي مما يمكن نيله في الدير * حتى اني جعلت جُلّ مقامي في المطبخ * وكنت احسن ايضا طبخ الوان من الطعام لا يعرفها هو فعلّمته اياها فكلف بي * فكان رئيس الدير اذا استضافه احد عزيز عليه او اشتهى لونا من الطعام بخصوصه كلّفني به * فكنت اتانّق له في عمله ما امكن حتى حظيت عنده * اعني اني كنت اسامره واجلس بين يديه * ثم اني تلبّست بالصلاح والتقوى بين الرهبان * فكنت اسدل قلنسوتي حتى تبلغ قصبة انفي * ويا ليت العادة جرت بان يُستَر الانف بها كلّه * وكنت اذا مشيت اخفض راسي الى الارض ولا انظر يمينا ولا شمالا الّا لمحا * واذا اكلت او شربت او رقدت او مشيت او غسلت وجهي اخبر عن ذلك كله حامدًا لله ومثنيًا عليه * فاقول مثلا * قد خرجت اليوم من صومعتي ولله الحمد او ولله المجد وهي احبّ الى الرهبان * او تناولت في هذا الصباح مُسْهلا ان كان الله تقبّل وما اشبه ذلك مما عُرف عند المتظاهرين بالتقوى * حتى اعتقد الرهبان فيّ جميعا الصلاح والفضيلة * وكنت ايضا قد كتبت بعض صلوات

ركيكة للرئيس فاعجب بخطّي ومدحني على ذلك * ووعدني بان يرقيني الى درجة تليق بي * اذ رآني متميزا عن الرهبان بالعلم وجودة الرأى * واخصّ ذلك بكوني غَيْدارًا (الغيدار هو السيّئ الظن يظن فيصيب) ثم قدّر الله رب الموت والحيوة انْ مات في بعض البلدان البعيدة بعض القسيسين الذين يباشرون خدمة الرعية * اى الذين ياكلون ويشربون في بيوت الناس لا في الدير * والذين يختلطون برعيتهم خلافا لعادة الرهبان * فان هولآء لا يخالطون الناس الّا عند الضرورة * فتسبّب رئيس الدير في ان بعثني الى ذلك البلد في مكان القسيس المتوفّى اى بدلًا منه لا اني دفنت معه * فلما وصلت تلقاني اهل كنيستي بالاكرام والترحيب * فابديت فيهم الورع والعفة فشاع فضلي بينهم * حتى ان بعض التجار ممن كان حرمه اللّه من لذة البنين دعاني الى منزله لاقيم عنده رجآء ان يفتح الله رحم امراته بسببي كما تقول التوراة فتلد له البنين * وكانت جميلة رشيقة القد * قاعدة النهد * تحب الخلاعة واللهو * والقصف والزهو * (سبحان الله ما احد يذكر النسآء الّا ويهيج خاطره للسجع) فاقمت عنده مدة * في انعم عيش وجِدَة * ثم عنّ لى ان اغازل زوجته واناغيها * واعاشرها واراضيها * فاجابت الى مُراودتي * ولم تبالِ بارنبتي * فان من طبع النساء الميل الى الولّي * والاستغنآء عنه بالقَصى * وما ادراك ما اعتذرت به احدى النسآء بقولها قرب الوِساد * وطول السِواد * فبرزت الدنيا لعيني ح في احسن صورة * ونسيت ما لاقيت في الدير من المشاقّ الكثيرة * وقلت لاعوضنّ عليّ ما دامت فرصة الحظ لى ممكنة * وشوارده مذعنة * كل ما فاتني منه ايام كنت حائكا * وطبّاخا وناسكا * ثم فرضت على نفسي ان تُتسَم لذّاتي معها على كل يوم غُبّر مرة * كدأب المتزوج بحرّة * وعلى

Digitized by Google

الحاضر * وهو الآن ايضا فى حيّز الغابر * بحسب البواعث والبوادر * فبدأت بالعدد * حتى بلغت الامد * وكان الرجل ذا نية سليمة * وشيمة مستقيمة * فلم يكن يسئ بى الظن * ولا يعوقه عن شغله امر عنّ * فترك لنا قُطوف اللذّات دانيه * وكؤس المسرّات صافيه * ومن العجب * الذى ينبغى ان يدوّن فى الكتب * انها كانت تخاصم الخادمة فى حضرته وغيابه * وتشتمها بين يديه افحش الشتم منعا لارتيابه * ولم تخشَ منها تَبعة * ولا كانت من طردها جَزعة * وقد طردت كثيرا من الخوادم لسبب ولغير سبب * بعد سبّهن كل السبّ * وحملهن على الحقد والغضب * وذلك من معجزات النسآء وبِدْعهن الغريب الذى يعمى الرجالَ عن كُنه سرّه العجيب * والحاصل انى كنت أُعجَب بحسنها * كما كنت أَعجب من فنّها * وانى اقمت معها على هذه الحالة فى غاية السُرّ * مُفنقا راتعا ولا حَظر (١) ومتزوّجا ولا مَهر * ثم استانفت عددًا آخر * اطول من ذاك واكثر * فلما ابطرتنى النعمة * وامنت من الدهر كل نقمة * نقر فى راسى ان اجمع بين الكافين * فان بكثرة العين قُرّة العين * وقلّما رايت من انهمك فى الاول * الا وتعاطى الثانى وما اشبهه من العُقَل * وذلك كالقمار والجَبْخ والفَشْخ والحَدْج والمَجْر والإمجار والنَدْب والخَطْر والرَشق والقَرع والنَّجْش والضَبْن والضَغْو والغذمرة والمحارضة والمناحبة والمراهنة والمجازفة والمحاقلة والمزابنة والاجبآء والمُداحلة والمعارضة والمنابذة والمبادّة والمباخسة والمغابنة والموالسة والتدليس والتَطويش والمقاطرة والمعاومة والمراوضة والمواصفة * فطهبل وطهفل * ومحل وتطهمل * ودجّل وزعفل * وابطل وتخبّل * وعرقل وتبهلص * وتبلهص وبَهْصَل (٢) فاجتمعت برجل كنت اسمع عنه انه يتعاطى هذه الصنعة * وقد تفرّغ لها بجدّ وبذل فيها وُسعه * واوسع فيها بذله * وعقل بها عقله * وفى الجملة والتفصيل * من دون قافية وسجع طويل * تعاطيتها معه

(١) افنق الرجل تنعم بعد البؤس

(٢) تبهلص الرجل وتبلهص خرج من ثيابه وبهصل خلع ثيابه فقامر بها *

Digitized by Google

(انتهى سجع القسيس) قال فجعلت انفق فيها ما اجمعه من العجائز والاغرار برسم النفوس والارواح * وانا مع ذلك مواظب على الصنعة الاولى * بل كان ذلك داعيا لزيادة هيام كلّ مني ومن بزيعتي * فانها طمعت ح في الهدايا والصلات كما هو دأب النسآء في كل امر يحدث لازواجهنّ وعشاقهن * فبلغ خبر صنعتي هذه الحديثة للجاثليق * فارسل يطلب مني المال الذي جمعته * فتعلّلت له بعلل اباها ولم يرضها * فتسبّب في احضاري اليه وضبط ما كان عندي من متاع وغيره * ولم يشقّ عليّ فَقْد ذلك كله قدر ما شق عليّ انقطاع العدد الذي كنت شرعت فيه في بيت التاجر الصالح * ثم اني تفلّتّ من عِكال الجاثليق بعد مدّة كادت ان تنسيني لذات الايام الغابرة * وخرجت في طلب آخر نكاية لذاك فصرت الى جاثليق من اشدّ الناس عداوة لجاثليقي القديم * اذ العداوة توجد بين الجثالقة * كما توجد بين الزنادقة * فاقمت عنده مدة ثم خشي عليّ ان يرهقني من ذاك سوء فسفرني الى بلاد بعيدة في سفينة حرب * فما سرنا بعض ساعات حتى تعطّل بعض ادوات السفينة وخشي رُبّانها ان تغرق بهم * فرجع وقد تشآم بي وقال لبعض الركّاب انه انما جرى عليه ما جرى من شُخْتُرِيتي * فتعجّبت اذ بلغني كلامه جدّا * لان اولئك القوم لا يرتسمون ولا يتشآمون * ولا يتطيّرون ولا يتفآلون * ولا يتحتّمون ولا يتيمّنون * ولا يتسعّدون ولا يتمسّحون * ولا يُقلّدون بعُود الشبارق ولا يستعملون نَبْت العطَف * وما عندهم هُقّعة ولا لُجام * ولا عاطُوس ولا عاطس * ولا كابح ولا كادس * ولا قعيد ولا داكس * ولا بارح ولا سانح * ولا زَجْر ولا تحزّي * ولا عَيْثَرة ولا عِيافة * ولا طَرْق ولا عرافة * ولا هَجيج ولا كهانة * ولا ابنا عيان ولا تنجّي * ولا لَمّة ولا حُفُوف * ولا لُعْطة ولا انتجآء * ولا نشوة ولا تعيد * ولا طلاسم ولا تشهق *

Digitized by Google

ولا عزائم * ولا رُقى ولا تمائم * ولا الينجلب ولا تُوَلَة * ولا حَوْط ولا غزّ * ولا تدسيم النونة ولا شَدّ الحقاب * ولا رَسْع ولا صَخْبة * ولا قُلَيب ولا كَبْدة * ولا وَجيه ولاسُلْوانة * ولا سُلْوان ولا عُقرة * ولا مجول ولا مُهرة * ولا أُخْذة ولا عُوذة * ولا هَبرة ولا رأمة * ولا كَحْلة ولا هِنمة * ولا جُلبة ولا صَرّة * ولا قَبْلة ولا نُشرة * ولا قُبلة ولا نُفرة * ولا صَدْحة ولا هَمْرة * ولا زُرْقة ولا عَطْفة * ولا فَطْسة ولا صَرْفة * ولا غضار ولا كرار * ولا بُريم ولا جِرْز * ولا خَصْمة ولا رَتيمة * ولا اَسْحم ولا صِهْميم * ولا تذعّب ولا صوت اللُوفى * ولا هامة ولا صفر * ولا اُخْذة النار ولا تنجيس * ولا لَحْج ولا إنكيس * ولا اُسّ ولا شَجيْثا * ولا طبّ ولا تُوَل * ولا سحْر ولا ماقط * ولا عاضه ولا مستنشة * ولا نفّاثات في العُقد ولا صدى * ولا شعبذة ولا نيرنج * ولا شعوذة ولا حابل ولا حاو * ويومئذ ايقنت ان القنافيّ مكروه عند جميع الامم * وان اوقية لحم زائدة في وجه الرجل تشقيه وتحرمه * ورطلين في بتيلة المرأة يسعدانها ويفيزانها * فزاد تعجبي من هذه الدنيا المبنيّة على رطلين واوقية من اللحم * ومع ذلك فلم يمكن لي الزهد فيها * ثم اني سافرت بعد ذلك الى تلك البلاد وامنت فيها من مكر اعدآى * واستاجرت بيتا واتخذت لى امرأة تخدمني * وقد جرت العادة في تلك البلاد وفي بلاد الافرنج ايضا بان يتخذ القسيسون نسآء للخدمة * فتاتي المراة احدهم صباحا وهو في فراشه الوثير وتقضي له ما يروم منها * فلما ذقت طيب العيش وسوس الىّ الوسواس ان اتزوج بنتا فقيرة لكنها كانت جميلة * غير اني لم اكن على يقين من نهود ثدييها ومع ذلك فقد كلفت بها * فطلبت من الجاثليق ان يزيد وظيفتي فأبى * فالححت عليه وهو مصرّ على المنع وانا مصرّ على الاستزادة * ثم ناقشته وراغمته فراى ان يردّني من حيث جئت * فسرت الى جاثليق محب

Digitized by Google

للجاثليق الاول فسرّ بروٴيتى وانزلنى عنده * فرجعتُ الى ما كنت عليه سابقا * وها انا مترقب فرصة اخرى تمكّننى من المقايضة على هذا النحس الآخر ايضا فانه جاهل جدّا * وعندى ان مبادلة الجثالقة فى هذا الزمان العَسُوف * انفع من حجر الفيلسوف * انتهت قصة القسيس وهذا تفسير ما اشار اليه آنفًا من الالفاظ الغريبة *

ابناعيان — طائران او خطّان يخطهما العائف فى الارض ثم يقول ابناعيان أَسْرعا البيان الخ *

أُخْذة النار — بُعَيد صلاة المغرب يزعمون انها شرّ ساعة يُقتَدح فيها *

الأُخْذة — رُقية كالسحر او خرزة يوخّذ بها *

الارتسام — التكبير والتعوّذ والتحتّم التفاوُل *

الأَسْحم — الدم تغمس فيه ايدى المتحالفين *

أُسْ — كلمة تقال للحيّة فتخضع *

الانكيس — فى اشكال الرمل كالمنكوس *

البارح — من الصيد ما مرّ من ميامنك الى مياسرك *

البريم — خيطان مختلفان احمر وابيض تشده المراة على وسطها وعضدها..... والعوذة *

التحزّى — حزا حزوًا وتحزى زجر وتكهّن وحزّى الطير ساقها وزجرها *

تدسيم النونة — تدسيم نونة الصبىّ تسويدها كيلا تصيبها العين *

التذعّب — تذعّبَتْهُ الجنّ افزعته *

التشهق — شهقت عين الناظر عليه اصابته بعين *

التشوّه — يقال لا تشوّه علىّ اى لا تصبنى بعين *

التعيّد — تعيّدَ العاينُ على المعيون تشهّق عليه وتشدد ليبالغ فى

Digitized by Google

اصابته بعينه * ذكره الفيروزابادى فى ع و د *

التنجيس	اسم شى من القذر او عظام الموتى او خرقة الحائض كان يعلّق على من يخاف عليه من ولوع الجن به *
تنجّى	تنجّى لفلان تشوّه له ليصيبه بالعين كنجا له ونجأه بالهمز اصابه بالعين *
التُوَل	تال يتول عالج السحر *
التُوَلَة	السحر او شبهه وخرز تحبّب معها المراة الى زوجها كالتوَلة *
الجُلْبة	العوذة تخرز عليها جلدة *
الحابل	الساحر *
الحِرْز	العُوذة *
الحُفُوف	شدة الاصابة بالعين *
الحَوط	خرزات وهلال من فضة تشده المراة فى وسطها لئلا تصيبها العين *
الخَصْمة	من حروز الرجال تلبس عند المنازعة او الدخول على السلطان *
الرأمة	خرزة المحبة *
الرَتيمة	كان من اراد سفرا يعمد الى شجرة فيعقد غصنين منها فا[illegible] وكانا على حالهما قال ان اهله لم تخنه وإلّا فقد خانته وذلك الرَتَم والرتيمة *
الرسع	رسع الصبىّ شد فى يده او رجله خرزا لدفع العين *
الزجر	العيافة والتكهن *
الزَرْقة	خرزة للتاخيذ *
السانح	ضد البارح *

Digitized by Google

السُلوان ما يُشرَب ليسلّى او هو ان يوخذ تراب قبر ميت فيجعل فى مآ فيسقى العاشق فيموت حبّه الخ *

السُلوانة خرزة للتاخيذ وخرزة تدفن فى الرمل فتسودّ فيبحث عنها ويسقاها الانسان فتسلّيه *

شد الحِقاب الحقاب خيط يشدّ فى حِقو الصبى لدفع العين *

الشَعّبَذة الشعوذة *

الشَعْوَذة أُخَذ كالسحر يُرى الشى بغير ما عليه اصله فى راى العين *

شحيثا كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح *

الصَخّبة خرزة تستعمل فى الحبّ والبغض *

الصُدْحة وبالضم والتحريك خرزة للتاخيذ *

الصَرّة خرزة للتاخيذ *

الصَرْفة خرزة للتاخيذ *

الصِهْمِيْم حُلوان الكاهن *

صوت اللوف نبات له بصلة تسمّى الصرّاخة لان له فى يوم المهرجان صوتا يزعمون ان من سمعه يموت فى يومه *

الصَفَر حيّة فى البطن تلزق بالضلوع فتعضها او الخ *

الطِبّ مثلثة الرفق والسحر *

الطَرق ان يخلط الكاهن القطن بالصوف اذا تكهّن *

العاضه الساحر والعِضَة الكذب والبهتان والسحر *

العاطوس ما يُعطس منه ودابّة يتشآم بها والعاطس ما استقبلك من امامك من الظبآ *

العِرافة العرّاف الكاهن والطبيب وصنعته العرافة وقد عرف ككتب *

العِطَف نبت يوخذ بعض عروقه ويُلوى ويطرح على الفارك فتحبّ زوجها *

Digitized by Google

العُطْفة خرزة للتاخيذ *

العُقَرة خرزة تحملها المراة لئلّا تلد *

عود الشُبارق الشبارق شجرعال ويقلّد الخيل وغيره بعوده للعين *

العيافة عفتُ الطير اعيفها عِيافة زجرتها وهو ان تعتبر باسمآئها ومساقطها وانوآئها فتتسعّد او تتشآم *

العَيْثَرة عيثر الطيرَ رآها جارية فزجرها *

الغزّ غزّ الابلَ والصبيّ علّق عليهما العهون من العين *

غُضار وكَرار الغضار خَزَف يحمل لدفع العين وكرار خرزة للتاخيذ تقول الساحرة ياكَرار كُرّيه وياهمرة اهمريه ان اقبل فسرّيه وان ادبر فضرّيه *

الفَطْسة خرزة لهم للتاخيذ يقلن اخذته بالفَطْسة بالثُوبا والعَطْسة *

القَبْلة ضرب من الخرز يوخّذ بها *

القُبْلة ما تتخذه الساحرة لتُقبل به وجه الانسان على صاحبه *

القُلَيب خرزة للتاخيذ *

الكابح ما استقبلك مما يتطيّر منه *

الكادِس ما يتطيّر به من الفال والعطاس وغيرهما والقعيد من الظبآء وهو الذى يجى من خلفك ويتشآم به ونحوه الداكس *

الكَبْدة خرزة للحبّ *

الكَحْلة خرزة للتاخيذ او للعين *

اللُجام ما يتطيّر منه *

اللّمْح لمحه بعينه اصابه بها *

اللُعطة اسم من لعطه بسهم او بعين اصابه *

اللّمّة يقال اصابته من الجنّ لمّة اى مسّ اوقليل والعين اللامّة المصيبة بالسوء *

Digitized by Google

الماقط الحازى المتكهن الطارق بالحصى *

المجّول العُوذة *

المُسْتنشئة الكاهنة *

المُهْرة خرزة كان النساء يتحبّبن بها *

النُشرة رقية يعالج بها المجنون او المريض *

النفّاثات فى العقد السواحر *

النُفْرة شى يعلّق على الصبى لخوف النظرة *

النِيْرَنْج أُخَذ كالسحر وليس به *

الهامة الصَدَى وهو طائر يخرج من راس المقتول بزعم الجاهلية *

الهَبْرة خرزة يوخذ بها الرجال *

الهجيج الخطّ يُخط فى الارض للكهانة *

الهَقْعة دائرة فى الفرس يتشآم بها *

الهَمْرة خرزة للتاخيذ *

الهِنّمة خرزة للتاخيذ *

الوجيه خرزة م كالوجيهة * قلت الظاهر انها للوجاهة *

الينجلب خرزة للتاخيذ او للرجوع بعد الفرار *

الحاوى رجل حَوّآء وحاوٍ يجمع الحيات * قلت هذا غاية ما ذكره صاحب القاموس فى ح ى ى والظاهر انه واوىّ و لكن ضعّفه فى الواو بقوله قيل ومنه الحية لتحوّيها الخ وقوله يجمع الحيّات كانه لحظ فيه معنى حوى لا يناسب ما قاله فى تفسير الجِنْفش وعبارته * او حية عظيمة ضخمة الراس رقشآء ركدآء اذا حويتها انتفخ وريدها * فهو صريح هنا فى الرقية وقد ذكرت ذلك وما اشبهه فى كتاب مفرد *



في الثلج

لا غرو ان يجد بعض القارئين كلامي في هذا الفصل باردا لاني كتبته في
يوم عبوس قمطرير * ذي زمهرير * والثلج اذ ذاك ساقط على السطوح *
وقد سدّ الطرق ودخل في البيوت والصروح * وكاد يطفي النار * ويذهب
بالاصطبار * ويمنى بالقَمَر والقِمار * غير انه لا ينكر احد ان شارب الثلج
او آكله او اللاعب به يحسّ منه بحرارة * وكذلك قاري كلامي فانه وان
وجده باردا فلا بدّ وان يحتمي عليَّ من هذه البرودة * فيكون قد حصل
الغرض وهو تسخين دماغه * ولا سيما اذا كان قد بقيت فيه بقية غيظ
وحدّة من الفصل المتقدم * ولكني لم اقصد فيما حكيته الا الصدق * ولو
خطر ببالي ان آتي افكا وعضيهة لاوعيت ذلك في قصيدة وختمتها بدعآ
ومدح لاحد البخلآ * ومن ماراني في ذلك فليسال القسيس نفسه * الا
ان الثلج يخالف كلامي من جهة انه يسقط على الاسود فيبيّضه وكلامي
قد سقط على القرطاس فسوّده * وكلاهما في ظني يروق العين وكلاهما
يجتمعان في هذه الجهة * وهي ان الثلج لا تطلع عليه الشمس اياما الا
ويذوب * وكذا كلامي فانه لا يكاد يبقى منه شي في راس القاري
بعد تقمّره او عند ظهور بُوح عليه * وهناك جهة اخرى تضمّهما * وهو ان
الثلج بعد سقوطه ينشا عنه الصحو وانجلآ الجو * وكذلك كلامي فانه بعد
تساقطه من راسي ينشا عنه انجلآ جوّ فكري وصحو بالي واستعداده الى

ما يروق ويروع * فعلى كل حال تجد المشابهة هنا في موقعها وعذري في محله * وبعدُ فاني ارى الاغنياء المثرين يتخذون في ديارهم الفسيحة مساكن للصيف واخرى للشتاء وكنّا للمبيت واخر للاستحمام * ومن لم يكن له من غيرهم الّا بيت واحد فغير جدير بان يزار فيه الّا حين يكون بيته موافقا لوقت الزيارة * او يكون وقت الزيارة موافقا لبيته * فبناء على ذلك ينبغي للعلماء اقتداء باكابرهم الاغنياء ان يتخذوا لهم في رؤسهم الفيحاء مواطن متعددة مختلفة لما ياتي عليهم من الكلام البارد والفاتر والحميم * ففي وقت ثوران الدم وهيجان الطبع يقراون البارد تقليلا مما حركهم من بواعث الحرارة * وفي وقت السكون يتلون الحميم * او بالعكس على مذهب من يداوي الشي بجنسه لا بضده * لا يقال ان القاري يضيع وقته في تمييز البارد والحميم من هذه الفصول * اذ لا يستوعب مضمونها الا اذا اتى على آخرها * بخلاف سائر الكتب فانه لا يتعمّد فيها الكلام البارد فهي على منهاج واحد * فاني اقول ان كل فصل من تلك الفصول له عنوان يدل عليه دلالة قطعية كدلالة الدخان على النار * فمن درى العنوان فقد درى الفصل كله * مثال ذلك اذا مرّ بك في احد الفصول ترجمة البالوعة او البلّوعة او البلّاعة او البَرْبَخ او الاَرْدَبة فلا بدّ لك من ان تفطن الى ان حمارا من حُمُر الدير قد غطس فيها للتعريب او الترجمه * الا انه لا ينبغي للقاري اذا درى مَغْزَى الفصل من العنوان ان يضرب عن قرائته * ثم يقول متبجّحا بين اقرانه واخوانه قد قرات كتاب الساق على الساق وفهمت معانيه كلها * فان ذلك يكون كقول مُقنس (١) قد رايت اليوم الاميراعزه الله وكلمته مع انه لم يكن راى منه الّا قذاله عن بُعد * ولم يتح له تقبيل يده الشريفة * اوكان ذلك الامير قد ساله عن شي فتلعثم في الجواب او تروّى فيه فسبّ اباءه واجداده ولعنه

(١) اقنس الرجل ادّعى الى قنس شريف (اى اصل) وهو خسيس

Digitized by Google

وتهدّده بالصلب او بسَمْل عينيه * اوكقول هبنّقع (المزهوّ الاحمق المحبّ لمحادثة النسآء) قد رايت اليوم فلانة * ولما ان واجهتني وقفتْ وتنفّست الصعدآ * مع انها تكون قد وقفت لتبصق او انها تنفّست الصعدآ بُهْرا * بل الاولى ان ينوى القارى عند افتتاحه هذا الكتاب ان يتصفحه كله من اوله الى آخره حتى حواشيه وعدد صفحاته * ويعتقد ان لكل مولف اسلوبا * وانه لا يمكن لاحد ان يعجب الناس كلهم * اذ الاهوآ متفاوتة والارآ مختلفة * ومن الاسرار التى بقيت مكتومة عنى انك تجد بعض المولفين فاتر الحركة غير ذى نشاط ولا مرح * قليل الارتياح الى ما يبعث على التهاوش والتناوش * متقاعس الهمة عن السَّبح والحركة * ناظرا الى الحوادث كلها نظر المتوقع لها * وهو مع ذلك اذا اخذ القلم انبض كل عرق فى القارى وحرك كل ساكن * ومنهم من تراه نَزِقا حركا ذا تترّع وتسرع وحفد وصَمَيان واقبال وادبار وسعى وتهافت * ومعاجلة ومبادرة ومزاحمة ومزاهمة ومسابقة ومحاشرة * ثم هو ان قال شيا سقط من راسه على ذهن القارى سقوط الثلج حتى يكاد ان يخمد منه ذكآه * فلما تاملت فى ذلك وتحققته ارتبت فى كون سقوط الثلج ناشئا عن فرط برودة متكونة فى الهوآ وقلت بل لعل سببه فرط حرارة حزّت فى صدر الجو على سكان هذه الارض * ووافر وغر تكوّن فى حشاه فلفظه عليهم ثلجا انتقامًا منهم عما يانونه فى الليالى الباردة من المنكرات * وذلك ان بعضهم يحاول عكس الطبيعة فيسخّن فراشه باداة فيها نار * وبعضهم باداة فيها مآ حميم * وبعضهم باداة فيها شراب * واخرون باخرى فيها لحم * وربما كان من ذلك اللحم لحم خنزير اجلّك الله * فمن اجل ذلك اسقط الجوّ عليهم الثلج المتراكم منعًا لهم من الخروج من ديارهم لاستعمال هذه الادوات لكى يستريح من فسادهم ولو يومين *

Digitized by Google

الا انه قد فاته ان كثيرا من هولاء الناس يتخذون اداة للاداة او اداة لاداة الادوات * مثال الاول ما اذا تربّع الغنى فى دسته وتدثر بفروته وقال لغلامه سِرْ ياغلام الى محل كذا وأتنى منه باداة لتسخين فراشى هذه الليلة * فيذهب الغلام يطأ الوحول والثلوج ورجل سيدة نظيفة * ومثال الثانى ما اذا كان السيد جواداً سخيّا فيبعث غلامه فى مركب له او فى آخر مما يستاجر من الطرق * او اذا كان ذا سيادة وامارة ويريد ان يكتم سره عن غلامه * لان لذة الخادم انما هى الثلب فى عرض مخدومه وجعل نفسه اولى بالمخدومية منه * فيستعمل ذلك السيد آخر او اخرين او أُخَر فى مكان غلامه * ويكون قد بعث اليهم من قبل ذلك بهدية على يد خادمه اظهارا لمكارمه * او انه اعطاهم اياها من يده * فيكون سقوط الثلج على اى حال كان سببا فى التسخين والحرارة * لانه اذا اعتُبر فى حق المخدوم كان سببا فى اتخاذه الاداة * وان اعتُبر فى حق الخادم وغيره ممن سدّ مسدّه كان موجبا للحسد * وهو من اعظم الموثرات تسخينا واحآء * ومع كونه اى الثلج يرى ساقطا على كل موضع فى المدينة دون تمييز دار عن دار فان لفظه فى الحقيقة لا يصيب الا روس بعض الناس * وكان الاولى ان يطرد حكمه فيعمّ لا مثل احكام اللفظ الارضى فانها تجرى على قوم دون قوم * والفرق بين اللفظين هو ان الثلج لما كان سقوطه او لفظه من علو الى سفل كان المظنون به انه يتصوب على جميع الروس بشدة * فيشمل الكبير منها والصغير والمسفّط منها والمسمرط * فاما الاحكام والقوانين الارضية فمن حيث كان لفظها من سفل الى علو اى من روس ناس مسودين الى روس ناس سائدين * لم يكن من المحتمل ان يكون تبعّثها قويا حتى يبلغ ذوى الرفعة والعلآ الذين يمرّ السحاب من

تحت قُذُلهم * ثم أن الثلج معما يتبعه في الواقع من الضنك والمشقة لمن الفه فقد يروق لعين من لم يكن رآه * فقد بلغنا ان بعض الصعاليك كان مرة ضيفا عند اناس لم يكرموه ولم يحتفلوا به اذ كان دونهم في المعارف والنباهة * وكان بلدهم لا يسقط فيه الثلج البتة * فلما فصل من عندهم الى بلاد اخرى راى فيها الرزق وعاين بها الثلج كبّر لرؤيته وهلّل واعجب به غاية الاعجاب * حتى زعم انه منة من الله خصّ بها ذلك الصقع تمزية له على غيره * كما انه تعالى حرم منها بلد مضيفه الاول * وكذلك كلامي ههنا فانه معما فيه من الاستطراد والحشو والالفاظ المضغوطة بين المعاني ومن المغازي المعقودة بالتلميح والتلويح * والتحويل والتمليح * فقد يروق لخاطر من لم يكن قد الف هذا التخليط بل ربما يحمله الاعجاب به على تحديه ومحاكاته * ولكن هيهات فان الباب قد اغلق في وجوه المتحدّين * على اني لست ازعم اني اول كاتب في الدنيا نهج هذه الطريقة واسعطها المتناعسين * الا اني رايت جميع المولفين في سَهْوة كتبي قد قيدوا انفسهم بسلسلة نَفَس من التاليف واحدة * لكنني لا اعلم الان هل غيّروا اسلوبهم اوْ لا * اذ قد مضى عليّ بعد فراقهم اكثر من خمس سنين * فكانّ العارف بحلقة واحدة من تلك السلسلة قد عرف سائر الحَلَق حتى ان كل واحد منهم يصدق عليه ان يسمّى حلقيّا * بناء على انه مشى ورآ القوم وحذا حذوهم * فاذ قد تقرر ذلك فاعلم اني قد خرجت من السلسلة فما انا بحلقي ولا بسُتَيْهِيّ ولا اكون امام القوم فان الثانية انحس من الاولى * وانما انا مستقبل لما استحسنت * آخذ بناصية ما استظرفت * رافض مكلف العادة *

***



الفصل الثامن عشر

في النحس

لقد ارحت سن القلم من كدم اسم الفارياق قليلا بعد ان تركته مع القسيس الربيط * وتلهّيت بالكلام على الثلج لما داخلني من فرط الحدة عليهما معًا * اما على القسيس فلكونه خان صديقه الذى اواه الى منزله في حرمته * وكان ينبغي له ان يذهب الى مواجرة او يفعل كسائر القسيسين من اهل حرفته * اذ لو كان الله تعالى رزق ذلك التاجر ولدا على نيّته اى فتح له رحم امراته كما تقول التوراة لكان اربعة ارباع هذا الولد من القسيس والباقى وهو اسمه من التاجر * فيكون قد اقام نفسه مقام مَن يربّ النغول * مع ان اول ذكر فاتح رحم كما تقول التوراة مبارك ومعظم عند جميع الامم * ولهذا كان حق الوراثة عند الانكليز للبكر اى لفاتح الرحم * فكيف يحاول القسيس هنا جمع اللعنة والبركة على راس مخلوق واحد * إنّ ذلك لَمُحال * واما على الفارياق فلانه هو الذى كان السبب فى افشآ هذا السرّ بما ابداه من العناد والتصلّف فى حفظ ابياته التى لا اشك في انه ارتكب فيها المين والغلو والمبالغة المردودة لغير نفع * وهو مع ذلك يحسب انه يحسن صنعا * فاما مشابهة الولد اباه في الخَلق هل هى دلالة قطعية على كونه ابنه فغير متفق عليها * فذهب بعض

الى انها ليست علامة كافية * لان الام قد يحتمل فى حالة كونها مسافحة ان تكون مفكرة فى زوجها ومتصورة له فياتى توزيع الجنين بحسب هذا التصوّر * وذهب بعض الى ان الام وحدها لا فاعلية لها في التوزيع فقد ياتى بعض الاولاد مشابها لعمّه او خاله او لآخرممن لم تكن امّه قد راته قطّ * والان ينبغى لى ان استمر فى القصة * وان اعرضها على مسامع القارى من دون اجراض احدنا بغصّة * فاقول قد تقدم فى اول هذا الكتاب ان الفارياق وُلد والطالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى التيس * والسرطان واقف على قرن الثور * فاعلم هنا ان النحس على قسمين نحس ملازم ونحس مفارق * فالنحس الملازم ما لزم الانسان في يقظته ومنامه واكله وشربه وغدوه ورواحه وفى كل ما ياتيه * والنحس المفارق ما خالف ذلك اعنى ما لزم الانسان في حال دون حال * واعرف ما يكون لزومه فى الاحوال الخطيرة الشان كالزواج والسفر وتاليف كتاب ونحو ذلك * ثم ان ماهيات النحس الملازم مختلفة ايضا * فمنه ما يكون كالعقده المحكاة * ومنه كالربقة ومنه كالمسمار * ومنه كالوتد ومنه كالمشبك * ومنه كالقفل بلا مفتاح ومنه كالغِرآ ومنه كالغِمجار * ومنه كاللِجاذ ومنه كالشِراس * ومنه كالدبق والطِبق او كالرُومة او الشُرْط واللزاق * ومنه كالجلد ومنه كالدم السارى فى جميع اوصال الجسد ومفاصله * وجناجنه وسلائله * وسناسنه وشلاشله * وترائبه وتراقيه * وشراسيفه وبوانيه * وغضاريفه وحوانيه * ورُبَلاته ومذاخره * وعَضَلاته ونواشره * وعصبه وبوادره * واعصاله ومرادغه * وسافينه وناعوره * ووريده ووتينه * واسهرَيْه واخدعَيْه * ومريّه وفليقه * وحلقومه وبخاعه * ونائطه ونخاعه * واوداجه وذِفراه * وثِفنَته وشظاه * ورواهشه وشرايينه * ونسيسَيْه واشلائه * وعموده واشوائه *

فنحس الفارياق كان من هذا النوع * غير انه لا ينبغي ان يفهم هنا انه كان دمويا اى كثير الدم او محبّا لسفكه او ولاّجًا فيه * فانه كان منزها عن هذه الصفات كلها * وانما كان نحسه كالدم من جهة انه كان ملازما له فى جميع احواله * فقد حكى وان يكن كاذبا فعليه كذبه انه بات ليلة وقد راى في المنام انه شرب مثلوجا ثم شرب عقبه سخينا فاصبح يشكو من وجع فى اضراسه شديد ومن بحح فى حلقه * وكان يحلم انه يتهوّر من قنة جبل او يسقط عن ظهر جمل فيغدو وظهره متقوّس * وكان اذا حلم انه اكل الكامخ مغسه فى ليلته * او شرب أُجاجا او زعاقا قآ * او اشتمّ روائح كريهة غثت نفسه * وكان اذا حدثه احد بانه راى فى حديقته رِبَحْلة راى هو فى المنام ليلته تلك انه في

وَيْل	واد فى جهنم او بئر او باب لها *
او فى المَوْبِق	واد فيها *
او فى الفَلَق	جهنم او جبّ فيها *
او فى بُولَس	سجن فيها *
او فى سِجّين	واد فيها *
او فى اثام	واد فيها *
او فى الحُطَمة	باب لها *
او فى غَيّ	واد فيها او نهر *
او فى الصَعُود	جبل فيها * وحوله
لُبَيْنَى	اسم بنت ابليس *
او زَلَنْبُور	احد اولاد ابليس الخمسة *
او مِسْوَط	ولد لابليس يغرى على الغضب *

Digitized by Google

او السُرحوب شيطان اعمى يسكن البحر *

او خَنزَب شيطان *

او السَرفح اسم شيطان *

او الجَمّ الشيطان او الشياطين *

او نُهم شيطان *

او هَياه من اسمآ الشياطين *

او الحُباب اسم شيطان *

او الأزَبّ اسم شيطان *

او أزَبّ العقبة اسم شيطان *

او الهرآ اسم شيطان موكل بقبيح الاحلام *

او الوَلْهان شيطان يغري بكثرة صبّ المآ في الوضو *

او الخُبث والخبائث ذكور الشياطين واناثها *

او السَفيف ابليس ويسمّى ايضا المبطل وكنيته ابو مُرّة وابو قِتْرة *

او عمرو اسم شيطان الفرزدق *

او القِلّوط من اولاد الجن والشياطين *

او الشَيصبان والبَلأز والقاز والخابل والخنّاس والوَسواس والفتّان والاَجدع *

وكان اذا بصر من كوّة بيته بكمكامة مكماكة خيّل له في المنام انه ـ

ارض خافية بها جنّ *

او في البراص منازل الجن *

او في البَلّوقة موضع بناحية البحرين فوق كاظمة يزعمون انه من مساكن الجن *

او في الباقر موضع برمل عالج كثير الجن *

او العازف ع سمّي لانه تعزف به الجن *

Digitized by Google

او فى الحَوْش بلاد الجن *

او فى وَبار وبار كقطام وقد يصرف ارض بين اليمن ورمال يبرين سميت بوبار بن إرَم لما اهلك الله تعالى عادا ورّث محلتهم الجن فلا ينزلها احد منا *

او فى عَبْقر ع كثير الجن *

او فى جَيْهم ع كثير الجن * ولديه

الشّيْصَبان قبيلة من الجن *

او بنو هنّام قبيلة من الجن *

او بنو غزْوان حىّ من الجن *

او دَهْرَش اسم ابى قبيلة من الجن *

او اَحْقَب اسم جنى من الذين استمعوا القرآن *

او زمزمة قطعة من الجن *

او الشِقّ جنس من الجن *

او شِنقناق رئيس للجن *

او العِسْل قبيلة من الجن *

او العِسْر قبيلة من الجن وهو ايضا اسم ارض للجن *

او السِعْلاة والعَيْسَجور والشّهام ساحرة الجن *

او السّعْسَلِق امّ السّعالِى *

او العَضْرَفوط من دوابّ الجن *

او النَظْرة الطائف من الجن *

او الزَوْبَعة رئيس للجن *

او الخافى والخافية والخافيا الجن وكذا الخَبَل *

او التابع والتابعة   الجنى والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه حيث ذهب *

او العَكَنْكَع والكعنكع   الغول الذكر *

او الخَيْدع   الغول الخدّاعة *

او السِلْتم والصَيْدانة والخَيْعَل والخَيْلَع والخولع والخيتعور والسَمَرْمرة والسَمّع والعَوْلَق والعلُوق والهَيْرَعة والهيعرة والمَلْد والعَفَرْناة (كلها من اسمآ الغول) *

او العِتْرِيس   الغول الذكر *

أو التِمْسَح   المارد الخبيث *

او الدِرْقِم   اسم الدجال وهو ايضا المِبْسِح كسكّين *

او الطُغْمُوس   المارد من الشيطان والخبيث من الغيلان *

او الزَبانية   جمع زِبْنية وهو متمرد الانس والجن ومثله العِكَبّ *

او الحَيْزَبون   وكانّ صاحبنا وَهِم فى هذه فانى لم اجدها فى القاموس فكيف يمكن روٴيتها فى المنام * واسمها غير موجود فى قاموس الكلام * مع ان المص رحمه وزن عليها الحيزبور والخيتعور والقيدحور والعيجلوف والعيطبول والهيجبوس والجيهبوق والزيزفون والجيثلوط والعيضفوط * ثم انه كان اذا سمع خَنبة تكلم رجلا بمنطق رخيم سمع فى الليل عَزيفا وهَساهِس وتهويدا وزيْزما وهَدْهَدا وزَهْزَجا وزِى زِىّ * (كلها من اصوات الجن) واذا راى جارية تَرْدى نصف النهار (١) جآءه فى نصف الليل الكابوس والجاثوم والدُوْفان والنَيْدَل والبارُوك والدِيثان والدَيْثانى * وراى ليلة ما ان قد زفت اليه عروس فاتاه تيس وجعل ينطحه بقرنيه فاستيقظ فاذا بقرن راسه مرضوض * وراى ليلة اخرى ان قد وجد على شاطى نهر دنانير ودراهم فمدّ يده واخذ منها خمسة عشر درهما لا غير * فلما عبر الشط الثانى راى شيخا بيده كرة يديرها * فكان كلما ادارها اخذ الفارياق فى ظهره وجع شديد كوجع

(١) رَدَت الجارية رفعت رِجْلا ومشت على اخرى تلعب *

Digitized by Google

الدآ المعروف في بلاد الشام بالوثّاب * فلما رمى بالدراهم من يده من شدة ما اصابه سكن عنه الوجع * ورای ليلة اخرى ان رجلا مغربيا اتحفه بشي فتلقفه في الحال مشرقي وذهب به * قال والى الان لم يرجع به مع انتظاری له كل ليلة * وقس على ذلك سائر احلامه * ومما قاله في الحلم نظما *

كانّ همومي وهي تحت مخدّتي　　اذا بتّ تُغري بي الهرآ لتُذْرِنه
تقول عليّ اليوم كان بُواله　　وانّ عليك الليلَ ذا ان تخرّنه

وقال

أُسرّ اذا انقضى يومي لانى　　ارجّى فيه احلاما تسرّ
فاحلم انني اسعى واشقى　　فليلي مثل يومي او اشرّ

وقال ايضا

ويارب حتى في المنام تروعنى　　باضغاث احلام تسوء وتزعج
فياليتني اشقى نهاری وفي الكرى　　أُسرّ برويا من احبّ وابهج

وعنّ له يوما ان يمدح بعض ذوى السيادة والسعادة * فلما حظى بلثم اعتابه الشريفة وانشده القصيدة رجع القهقرى على عادة اهل بلاده من ان الصغير لا يُرِى الكبير قفاه * اشارة الى انه لا قذال الا قذال الكبير * ثم جآه الحاجب يقول ان الامير ادام الله دولته * وخلد صولته * وجعل الشمس والقمر نعلا لفرسه * وجعل يومه خيرا من امسه * وجعل ظله ممدودا على الارض ظليلا * وجعل طرف الكون بتراب نعاله مكحولا * وجعل الثريا مقرا لرجليه * والعيوق شراكا لنعليه * وجعل الوجود باسمه مبتهجا * وبابه لكل لائذ رتجا مرتجى * وجعل ـــ فلم يتمالك الفارياق ان بادره وقال دعني من جُعَل ياجُعل * ماذا يقول الامير * قال يقول الامير المعظم * الخطير المكرم * ذو

الالآ الغامره * والنعم الوافره * من اذا قال فعل * واذا سئل اعطى فاجزل *
واذا تنحنح القى الرعب فى قلوب اعاديه * واذا سعل خفقت فرقا افئدة
شانئيه * واذا مخط ارتج المكان لهيبته * واذا حبق تزلزل المجلس لحبقته *
فقال الفارياق اف لهذه الرائحة الخبيثة ياخبيث قل ما يقوله الامير *
وارحنى من هذا التقعير * لقد برزت على الشعرآ * بهذا الغلو والاطرآ * قال
انه يقول لك انك قد احسنت فى ابيات القصيدة وابدعت ما شئت *
لانك شبهته بالقمر والبحر والاسد والسيف الماضى والطود الراسخ والسيل
المنهمر مما هو خليق بالاتصاف به * الا فى بيت واحد جعلته فيه قوادا *
قال كيف ذلك جل الامير عن القيادة * قال نعم انك قلت انه يجود بالمال
والنفائس و يولى الابكار * وقلت فى بيت آخر انه محمد الذكر محمود
المناقب وهو غير محمد ولا محمود * وبسبب هذا الخطا الفاحش حرمك
من رؤيته * قال هذه عادة الشعرآ انهم لا يزالون يتلمظون بذكر الخرائد
والمحامد * وليس المقصود بذلك نسبة القيادة الى الممدوح * قال هذا غاية
ما عندى فلا تطمع بعد فى المثول بحضرة اميرنا المبجل * فمن ثم رجع
الفارياق محروما من هذا المغنم الهنى * وبلغ منه الغيظ ان اضله عن
الطريق المستقيم * فسار فى طريق آخر وما وصل الى منزله الا بعد اللتيا
والتى * واخذ يفكر فى نحس طالعه وشؤم قلمه * فظهر لهوسه ان القلم
انحس شى يتخذه الانسان سببا لمصالحه * وان اشفى الاسكاف انفع
منه * وان تقديم النون عليه فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ان هو
الا اشارة الى النحس * وان ما قاله المنجم فى طالعه صحيح * فانه اول
المراة التى زفت اليه فى المنام بالعقرب * والجدى بالتيس الذى كان
ينطحه * والسرطان بنفسه اذ رجع القهقرى من عند الامير فكاد ان يعثر

Digitized by Google

بحصير مجلسه السامى لولا ان تمسك ببعض اوتاده الشريفة * واوّل الثور بالامير الممدوح * الا ان العبارة الاولى وهى قول المنجم نحس النحوس غير محصورة فى حادث واحد * اذ هى تستغرق جميع الاحوال والحوادث كما سيرد بيانه * وذلك ان الفارياق لما سمع من نجيّه الذى قايضه على الاعتراف ان المساومة فى قيل وقال هى من البياعات الرابحة * والاسباب الناجحة * خلج فى صدره ان يجرب تنفيق ما عنده من البضاعة المزجاة * الا انه لم يعرضها من اوّل وهلة على احد المشترين من الجثالقة كما فعل صاحبه * بل اخذ فى تقليبها وتفليتها وتمشيطها وتنسيلها من جهة واستشفافها من اخرى * فظهر له انها قديمة قد ركّت بحيث لا يكاد احد ان يرغب فيها * واتفق وقتئذ ان قدم عنقاش يفدّد على شراء السلع القديمة وعلى اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها * وادعى انه يقدر ان يعيدها الى لونها الاول * وانه لا يعجزه شى من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه اذا رآها بعد صبغها وتصليحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها * وانه اى العنقاش لما بلغه فى بلاده فساد تلك السلع اقبل حفدا الى تلك البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوات ما يرفأ كل خرق ويعيد كل لون ناقص * فسار اليه الفارياق عجلا الى المقايضة وواطاه على ابدال ما عنده من السلعة القديمة باخرى جديدة راقت لعينه * فقد يقال لكل جديد بهجة * ثم قفل الى منزله مسرورا بصفقته * فلما علم اهله وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا * لعمر ربّ الجنود ما جرت العادة فى بلادنا بتغيير البياعات ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها * ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصقع وكان من الضواطرة الكبار * فكانما كان سكّينا سقط على حلقومه * او خردلا دخل فى خرطومه * فهاج وازبد *

Digitized by Google

وابرق وارعد * وماج واضطرب * وضج وصخب * والّب وحزّب * وبربر وثرثر * واقبل وادبر * وزجر ونهر * ووثب وطفر * وفتل لحيته من الغيظ حتى صارت كالمقرعه * واغرى كل حنتوف مثله بان يهيج معه * ونادى ياخيل الله على الكفار * انهم صالوا النار * كيف تجرّا هذا الشقى المنحوس * المعتوه المهلوس * على ان يذهب مذهبا غير ما نهجه له جاثليقه * وسلكه فيه بطريقه * وكيف اقدم بوقاحته * وصفاقة وجهه وقباحته * على معاملة ذلك العنقاش اللئيم * ومبايعته ما ورثه من ابائه من الزمن القديم * اليس فى بلادنا صُلُب * وادهاق ويلب * هلموا به مُهانا * اجلدوه عريانا * اطرحوه نيرانا * القموه حيتانا * اطعموه دمانا * اقطعوا منه لسانا * اسقوه الزنانى * علىّ به الآن الان * فابتدر بعض الحاضرين وقال انا آتيك بهذا الجُعشوش باسرع من رد طرفك اليك * ثم ولّى حفدا الى الفارياق فوجده مكبّا على قراة الدفتر الذى فيه اثمان السلعة * فتناوله بالسيف فاصاب فروته * ثم سيق الفارياق الى الجزّار المشار اليه * فلما بصر به انتفخت اوداجه واتسع منخراه وتعقدت اسرّة جبينه واصفرت شفتاه * ورقص شارباه واحمرت حدقتاه * واحترقت اسنانه ودارت بينهما هذه المحاورة *

قال الصوطار ويلك يامغبون * ما دعاك الى المساومة فى سلعتك *

الفارياق اذا كانت هى سلعتى كما اقررتَ فما الذى يمنعنى من ذلك *

الصوطار ضللت * هى سلعتك من حيث انك ورثتها من ابائك لا من حيث ان لك حق التصرف فيها *

الفارياق هذا خلاف العادة والحق فان ما يرثه الانسان يحقّ له التصرف فيه *

الصوطار كذبتَ * انك انما ورثتها لتحفظها لا لتضيعها ولا لتبادل بها *

الفارياق هى ميراثى افعل به ما اشآء *

Digitized by Google

الضوطار قُبحتَ * انى انا القيّم عليه الصائن له من الشوائب *

الفارياق ما بلغنا عن احد انه تولّى ميراث غيره الا اذا كان الوارث غير راشد *

الضوطار غويت * انك انت غير رشيد وانا وليّك ووصيّك وكفيلك ووكيلك وحسيبك *

الفارياق ما الدليل على انى لست من الراشدين ومن ذا الذى جعلك وصيّا ووليّا *

الضوطار زغتَ * انما الدليل على غوايتك وضلالك هو انك تبدّلت به متاعا غيره * واما كونى وصيّا فان جميع امثالى يشهدون لى به كما انى انا ايضا اشهد لهم بانهم اوليآ غيرك *

الفارياق ليس تبديل شى بآخر دليلا على الضلال والزيغ اذا كان المبدَل والمبدل منه من جنس واحد * ولا سيما انى رايت لون القديم يوشك ان ينصل وقد ركّت رقعته فتبدلته بما هو ازهى واقوى *

الضوطار كفرتَ * انه غشى على بصرك فما تستطيع ان تفرق بين الالوان *

الفارياق كيف ذلك ولى عينان ناظرتان و يدان لامستان *

الضوطار عميتَ * فان الحواس قد تغش ولا سيما حاسة البصر *

الفارياق اذا كانت حواسى قد غشت فكيف سلمت حواسك من الغش وانت بشر مثلى *

الضوطار جننتَ * انى وان كنت بشرا مثلك لكنى وكيل من طرف شيخ السوق * وقد افادنى مما اودع الله فيه من الاسرار العجيبة ان لا يطرا علىّ غبن ولا غش الا وتبيّنته لانه هو منزه عن الغش *

فقال الفارياق وكان به فأفاة * واين شيخ الفسوق هذا ثم استدرك كلامه وقال انما اردت شيخ السوق * فلا تكن زيادة هذه الثمانين موجبة لحدّ الثمانين *

Digitized by Google

الضوطار لُعنت * هو بعيد عنا بينـنـا وبينه ابحار وجبال * غير ان انفاسه القدسية تسرى فينا *

الفارياق كيف به اذا مرض او جنّ او مسّه طائف من الجن او اصابه برسام * فكيف يمكنه والحالة هذه تمييز المتاع الردى من الجيد *

الضوطار هلكتَ * ما هو بـبَلُو للعوارض لانه بوّاب رتاج عظيم وبيده مزلاجان عظيمان لاحكام الباب من قُبُل ومن دُبُر *

الفارياق ليس هذا بدليل فان كل انسان فى العالم يمكنه ان يصير بوّابا ذا مزلاجين *

الضوطار فسقت وفجرت * انه هو وحده مستبدّ بهذه الخطّة اذ قد فوضت اليه من المالك الآمر *

الفارياق متى كان ذلك *

الضوطار صُلبتَ * مذ الفى سنة تقريبا *

الفارياق اَوَ عاش هذا الشيخ الفى سنة *

الضوطار الحدثّ * انما انتقلت اليه بالوراثة *

الفارياق ممّن ورثها أمِن ابيه وجده *

الضوطار نكلت * من انسان لا يُعدّ فى اهله *

الفارياق هذا امر عجيب كيف يرث الانسان شيا من رجل غريب فان الغريب اذا مات عن غير وارث انتقل ماله الى بيت المال فهو اولى به من رجل على حدته *

الضوطار عُذّبت * هذا سرّ ليس لك ان تبحث فيه *

الفارياق ما الدليل على كونه سرّا *

Digitized by Google

الصوطار افحمشت * هذا هو الدليل * وعند ذلك قام عجلا واتى بكتاب
واخذ يقلب فيه من اوله الى اخره حتى يجد فيه مطلوبه اذ لم
يكن كثير الدراسة له * الى ان وجد عبارة مضمونها ان المالك
كان احبّ مرة رجلا فوهبه هبات شتى من جملتها كاس وطست
وعصا فى راسها صورة ثعبان وجبّة وتبّان ونعلان وباب له مزلاجان *
وقال له قد وهبتك هذه كلها فاستعملها واهنأ بها *

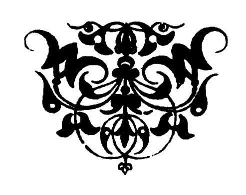
الفارياق لعمرى ليس فى هذه الهبة ما يدل على سرّ * هذا وقد مات كلّ
من الواهب والموهوب له وفُقد الموهوب كله * فكيف لم يبقَ
الا المزلاجان فقط وقد ضاع الباب وهما لا ينفعان من دونه شيا *

الصوطار فُندت * لم يبقَ لنا فى غير المزلاجين من حاجة *

الفارياق بحق هذين المزلاجين عليك يا سيدى الّا ما اريتنى الكاس
مرة فى العمر وحسبُ * ولك علىّ بعد ذلك الامرة التامة * فلما

ان ضغط الصوطار بين هذا السلب والايجاب استشاط وَغَرا وهمّ ان يلحق
الفارياق بالباب والكاس لولا ان دعاه داعٍ الى اللوس * فقام ناشطا ووكل به
بعض الاوغاد وكان وقتئذ يتصوّر جوعا فراى ان رؤية قعر القدر فى المطبخ
اشهى اليه من النظر الى وجه الفارياق * فتغافل عنه فتملص الفارياق من
هذه الورطة واقبل يهرول الى الخرجى وقال له * لقد خسرت تجارتى معك
فان البضاعة كادت تمنينى بمبضع * فابتغى منك الاقالة * اَوْ لا فان يكن
عندك فى الخرج راس يلائم جثتى حين تعدم هذا فارنى اياه ليسكن روعى *
اذ لا يمكن لى ان اعيش بلا راس * فاما ان لم يكن فى الخرج غير اللسان
فما لى به حاجة هذا متاعك فضمّه اليك * فقال له الخرجى ما هكذا حق
التعامل * ينبغى ان تصبر على ما يلحقك من تبعة الصفقة كما هو داب

جميع المتبايعين عندنا * وتلك من بعض خواص هذه التجارة * ولكن لا تخف فان من خواصها ايضا ان تـقى الواقى لها وتحفظ المحافظ عليها * فيكون له بها غنًى عن الراس اذا نـقـف * وعن العينين اذا سُملتا * وعن اللسان اذا استلّ * وعن الساقين اذا غمزتا بالدَهَق * وعن اليدين اذا غلّتا بالكبل * وعن العنـق اذا وُقصت * والكبد اذا فُرصت * قال ما ارى ما ترى فان الاسف لا يُحيى مائـتا * والندم لا يردّ فائـتا * فان يكن عندك مخزن آمن فيه من العدوّ على السلعة فآونى اليه * والّا فهذا فراق بـيـنى وبـيـنك * فاطرق الخرجى ساعة ثم دخل به حجرة صغيرة واغلق الباب * واخذ يمتحن الفارياق كما سيرد بيانه فى الفصل الاتى *



Digitized by Google



الفصل التاسع عشر

في الحس والحركة

قدجرت عادة الناس جميعًا بان يقولوا اذا احبوا شيا او اشتاقوا الى شي ان .
قلبي يحب هذا الشي * او يحسّ بمحبة هذا الشي * او يشتهي ذلك الشي *
ولست ادري علة هذا الاستعمال * فان القلب انما هو عضو في الجسم من
جملة الاعضآء فلا يمكن ان تكون حاسّيتها كلها مجموعة فيه * وبيانه انّ
مَن احبّ مثلاً لونًا من الطعام بخصوصه فلينظر في ادوات الاكل الباعثة
على اشتهائه * ومن احبّ امراة فلينظر في الاداة الباعثة على اشتهآئها *
وما يميل اليه الطبع وهو غير محتاج الى اعمال اداة ظاهرة وذلك كحب
الرئاسة والسعادة والدّين ينبغي ان يحمل على الراس * اذ هي امور معنويّة
لا علاقة لها بتلك البضعة اي القلب * وكما ان الطحال الذي هو وزير
الميمنة لا تعلق له بهذه الامور * فكذلك كان وزير الميسرة اي القلب *
الا انه لما كانت حركة القلب اسرع من غيره لكونه اقرب الى الرئة التي
هي حرز التنفّس * ظنّ الناس ان القلب اصل في جميع اهوآء الانسان واشواقه *
ومن عادتهم اجتنابًا للبحث عن كثرة الاسباب والعلل والتيقن للحقائق
ان يقتصروا على سبب واحد من الاسباب المتعدّدة * وينسبوا اليه كل ما
تسبّب عن غيره * كما تنسب الشعرآء مثلا دواعي النحس الى الدهر ودواعي البين

Digitized by Google

والفراق الى الغراب * وبنآء على هذا الاعتقاد اى نسبة الاهوآء كلها الى القلب اراد الخرجى ان يمتحن قلب الفارياق ليعلم هل نبض فيه حب السلعة الجديدة نبضا قويا اوّلا * فجعل يقول له هل تحسّ فى قلبك بان السلعة الجديدة خير من الاولى * وهل يضطرب فرحًا وسرورًا عندما تسمع بذكرها * وهل ينبسط ويتسع وينشرح عند خطور هذه ببالك * وينقبض ويضيق ويتضامّ عند ذكر تلك * وهل عند قرآتك دفتر الاثمان يُخيَّل لك اَن قد طُبع فيه اى فى قلبك كل حرف من حروف الدفتر * حتى لو اعوزك وجوده سدّت تلك الحروف مسدّه * وهل يضطرم ويتوقد مرة ويذوب ويضمحل اخرى * ثم يعود اقوى مما كان عليه كالسمندل المعروف * وهل تحسّ ايضا بان ناخسا ينخسه * وواخِزا يخزه * وعاصرا يعصره * وراهصا يرهصه * وممزقا يمزقه * وضاغطا يضغطه * فقال له الفارياق اما الاضطراب والخفقان فانه دائما على مثل هذه الحالة * وهو عُرْضة لذلك فى حالتى الفرح والترح فان ادنى شى يوثر فيه * واما التوقد والذَوَبان فلا ادرى * فقال المراد بالتوقد هنا وبالنخز والعصر الحميّة والتحمّس والتهوّس وتخيّل ما هو معدوم موجودا وما هو موهوم يقينا * ومَثَل ذلك مثل من يسافر فى فلاة لا مآء فيها فيبلغ منه الظمأ ان يتصوّر السراب مآء وشعاع الشمس نَقِزًا * ولا يزال يُمنّى نفسه بوجدان المآء حتى يقطع المفازة * فان شدة التخيّل والتهوّس تعين الانسان على تحمل المكاره والمشاقّ * فيكون رازحًا تحت ثقلها وهو يحسب انه من المتكئين على الارائك * فيستوى بذلك عنده المجاز والحقيقة والمحسوس وغير المحسوس * حتى يحسب الصُفَر خِوانا والنعش عرشا والخازوق او الصليب منبرا * وربما كان ذا زوجة وعيال فيتّخذهم متخذ الماعون من الخزف فيغادرهم ويجرى فى البلدان القاصية لترويج السلعة * ويستغنى عن اهله واخوانه ورهطه

بما لديه في الخرج * فيحمله على كتفه مستبشرا مسرورا ويضرب في مناكب الارض طولا وعرضا * فكل مَن مرّ به من عباد الله عرض عليه الشركة والمضاربة * ولا يزال دأبه كذلك حتى يقضي نحبه وطوبى له ان مات على هذه الحالة * الخرجَ الخرجَ * ما لنا سواه من حرفة ولا شغل * السلعةَ السلعةَ * ليس لنا غيرها من جُعل * ثم طفق يبكي وينتحب * فلما افاق بعد حين ساله الفارياق هل عندكم معاشر الخرجيّين سوق وشيخ للسوق * قال لا * قال ومن يقوّم لكم المتاع قال كلّ منا يقوّم متاعه بنفسه ولا نحتاج الى آخر * فتعجّب الفارياق وقال في نفسه انّ في هذا لعجبا * فانّ قوما من هولآء الصعافيق لهم شيخ سوقٍ وما لهم خرج * وقوما لهم خرج وليس لهم شيخ * ولكن لعل صاحبي هذا على الحق * اذ لو لم يكن كذلك لما تكلّف حمل الخرج من اقصى البلاد وتجشّم اخطار السفر وغيره * ثم نخزه الخنّاس ان الخرجي ربّما لم يجد محترفا في بلاده فجآء بما عنده لينفقه في بلاد اخرى * فان تاجرا لو استبضع من بلده مثلا خزّا او كرباسا الى بلد آخر لم يحكم له بانه قدم الى هذا البلد حبّا باهله * فقد جرت العادة بان المتسبّبين يطوفون في كل الاقطار * ثم فكّر في أنّ أناةَ الخرجي وما هو عليه من الرزانة والصبر لا بدّ وان يكون قرينها الرشد والحزم * بخلاف النزق والطيش فانه لا يكون الا قرين الغواية والضلال * فمن ثم حكم بان الخرجي كان على هُدًى وذلك لاناته وحلمه * وان المطران كان من الضالين لحِدّته وتترعه * ثم قال للخرجي قد وعيت ياسيدي كل ما اوعيتَه اذني * وما ارى الحق الا معك * واني مشايعك ومتابعك وحامل للخرج معك * ولكن اجرني من هولآء الصعافيق فانهم كالاسود الضارية لا تاخذهم في خلق الله رافة ولا شفقة * وعندهم أنّ اهلاك

نفس غيرةً على الدين يكسبهم عند الله زُلْفى * وقد تمسكوا بظاهر اقوال من الانجيل فيما رأوه موافقا لغرضهم وزائدا في جاههم وسلطانهم * فيقولون ان المسيح بقوله ما جئت لالقي على الارض سِلْما لكن سيفا انما رخص لهم في اعمال هذه الاداة في رقاب الناس ردًّا لهم الى طريقة الحق * وقد نبذوا وراء ظهورهم خلاصة الدين وجوهره ونتيجته * وهي الالفة بين جميع الناس والمحبة والمساعدة وحسن اليقين بالله تعالى * وما صعبَ على من زاغ وعمي عن الحق ان يستخرج من كل كتاب وَحْيًا كان او غير وَحْيٍ ما يوافق غرضه وفساد عقيدته * فان باب التاويل واسع * ايجوزُ الان لامير الجبل اذا شاخ ولم يُعْد التدثر بالثياب يدفئه ان يتكوّى ببنت عذراء جميلة اي يتدفأ بها ويصطلي بحر جسدها كما فعل الملك داود * ام يجوز له اذا حارب الدروز وانتصر عليهم ان يقتل نساءهم المتزوجات واطفالهم ويستحيي ابكارهم لِتفجر بهن فحول جنده * كما فعل موسى باهل مدين على ما ذكر في الفصل الحادي والثلثين من سفر العدد * ام يجوز له ان يتزوج بالف امراة ما بين ملكة وسرّية كما فعل سليمن * ام يجوز لاحد من القسيسين ان ينكح زانية ويولدها النغول كما فعل النبي هوشع * ام يسوغ لاحد من الولاة ان يقتل من اعدائه كل رجل وكل امراة وكل طفل رضيع * كما فعل شاول بالعمالقة عن امر ربّ الجنود * حتى ان الرب غضب عليه لعدم قتله خيار الشاء والانعام ولابقائه على اجاج ملك العمالقة وندم على انه ملّكه على بني اسرائيل فقام صمويل وقطّع الملك قطعا امام الرب في جلجال * هذا واني قد قرأت في فهرست التوراة المطبوعة في رومية في حرف الهاء ما نصه * ينبغي لنا (اي لاهل كنيسة رومية) ان نهلك الهراطقة * اي المبتدعين او المشاحنين * واستشهدوا على ذلك بما كان يجرى بين

اليهود واعدائهم من القتال والفتك والاغتيال على ما سبق ذكره * فان يكن دين النصارى يحلّل قتل الرجال والنسآء والاطفال والفجور بالابكار من النسآ ويبيح التوثّب على عقار الغير من دون دعوة الى الدّين بل مجرد عتوّ وظلم كما كان يحلّله دين اليهود * فلايّ سبب نُسِخَه اذًا وابطل احكامه * لكن دين النصارى مبنيّ على مكارم الاخلاق * وغايته من اوله الى آخره انقآء السِلْم بين الناس * وحثّهم على الصلاح والخير * والّا فلنرجعْ يهودًا * فلما سمع الخرجيّ ذلك رأى ان ورآ هذا الكلام لباقعةً * فحرص على انقاذ الفارياق من ايدى العتاة * وارتاى ان يبعثه الى جزيرة تسمى جزيرة الملوط استئمانًا فيها * فركب الفارياق في سفينة صغيرة سائرة الى الاسكندرية * فلما ان سارت به غير بعيد هاج البحر واضطرب بالسفينة فلزم صاحبنا فراشه من الدوار * وطفق يشكو من الم البحر وينوح قائلا *

نواح الفارياق وشكواه

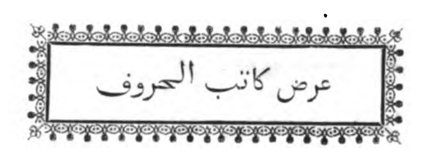
ويلي من السَفَر وممّا اشتق منه ما كان اغناني عن مقاساة هذا الضر الاليم* ما كان اغناني عن هذه المساومة التى سامتني هذا الكرب العظيم * ماذا وسوس اليّ حتى دخلت بين الضواطرة ولا عائدة لى من هذا الفضول الذميم * لقد ولدت فى الدنيا وعشت زمانا ولم يخطر ببالى ما اختلف فيه عَبام وبعيم * فلاى شى دخلت فى هذه المضايق وتورّطت فى هذا الشرّ العقيم * هل كان يعنيني ما تهاتر عليه اهل المشرقين من فساد رايهم

وخلقهم اللئيم * لهفى على القلم وان يكن فى شِقه شَقّ وحول مُجاجه الوَنيم *
لهفى على الحمار الذى كان يزقع ويرفس من لى بذلك البهيم * لعله الان
احسن حالا منى ولعله فى نعيم مقيم * وانا اليوم بما فرّطت مُليم * مَن
لى بالخان والاخوان فيهم كل بزيع نديم * زمانَ لا شغل الا معاقرة المدام
والتطريب والترنيم * ليتنى قلت ما قال الناس وعبدت معهم البعيم *
(استغفر الله قد كفر صاحبنا) ليس كل وقت وقت جدال ومناقشة خصيم *
لقد نصحنى المطران بقوله ان الحواسّ قد تغش فى الضئيل والجسيم *
والغبى والحكيم * والجاهل والعليم * انه يعرف الحق ويقول غيره خوفَ
كل عتلّ زنيم * اذ الجاهلون لا يعجبهم الا التضليل والتهييم * الم يقل لى
انك لا تقدر على تجديد القديم * وعلى تقويم ما لا يستقيم * نعم ان
الحواس تغش وسيّان فى ذلك السفيه والحليم * والكريم واللئيم * ثم وقف قليلا
حتى يورد امثلة على هذا واذا به يقول * ان القبيحة الشوهآ اذا نظرت
وجهها فى مرآة تقول ان كنت شوهآ عند بعض فانى حسنآ عند آخرين *
ولذلك قال صاحب القاموس الشوهآ العابسة والجميلة ضدّ * وان القُناف
اذا نظر جلمود انفه قال يحتمل ان بعض الحسان يرغبن فيه وما يرين به
اَمْتا ولا عوجا * وان سادتنا القباح من الملوك والملكات وذوى السعادة
والجِدّ لا يصورهم المصوّرون الّا حسانا * وهم لا ينظرون انفسهم فى
العِناس الا كما صوّرهم المصورون * وانّا لنرى الشمس طالعة ولمّا تكن
قد طلعت كما يقول الرياضيون * ونرى العصا فى المآ معوجّة وهى غير ذات
عوج * وان السراب يرى الشخص اثنين * وان بعض الالوان يبدو بلونين *
وان السحرة يخيّلون للناظرين انهم يمشون على المآ ويدخلون فى النار
ولا يحترقون * ومَن يكُ فى سفينة ماخرة قبالة ديار وعقار فانه يرى

ما يقابله في الارض متحركا ماشيا وهو ساكن ثابت * ومن يقعد في شباك مناوح لشباك آخر مساوٍ له في الارتفاع فانه ينظره اعلى من شباكه * ولعل صاحبي الخرجي كان بكآؤه لداعٍ غير داعي السلعة * فانه يبلغني عن اللاعبين واللاعبات في الملاهي انهم يبكون ويضحكون ايان شاوا فلعل البكآ عندهم من الصنائع التي يتعلمونها على صِغَر * ماذا يفيدني الخرج الان * اادعوه ويتركني * احبه ويبغضني * احمله وينبذني * فلما ابتدا هذه السفاهة التي تعدّ عند الخرجيّين كفرا * وعند السوقيين تسبيحا * وعند المتوسطين بينهم سفاهة ناشئة عن الجزع * اذ الناس لم يتفقوا الى الان الّا على الخلاف * مادت به السفينة ميدة شديدة يحسبها الخرجيون انتقاما من الرب * والسوقيون عارضا من العوارض * فجعل يصرخ ويقول الا ياشيخ السوق عفوًا بحق لحيتك التي عند الحلاقين الا ما اجرتني * ياخرج * ياسلعة * يادفتر * ياضواطرة * ياصعافقة * يانسّاجي السلعة * ياصبّاغيها * يامسدّيها ياملّحميها يامنيّريها يامطرزيها ياموشيها يارقّاميها يارفّائيها ياشصّاريها ياخياطيها ياكفافيها ياشرّاجيها يانشّاريها ياطوآئيها ياقسّاميها (١) يالفافيها ياملفقيها * تداركوني بحقكم قد هلكت * فما كاد يتم هذا الدعآ الّا ومالت به السفينة ميلة تدحرج بها راسه الصغير كالبطيخة * فجعل يصرخ ويستغيث ويقول لقد عذّبت عن التفديد * هذا اثره ظهر من اول الطريق فكيف يكون في آخره * ثم غشي عليه وصار يهذي ويقول الخُرّ الخُرّ * فسمعه احد الركّاب يكرر ذلك فظن انه يشكو من احد الاخبثين في فراشه * فلما لم يجد شيا قال هو يهذي من الالم وتركه * ثم قدّر الله ان سكن البحر وصفا الجو وظهرت بعد ساعات ارض الاسكندرية * فجآ ذلك الرجل وبشّر الفارياق برؤية

(١) القَسامي من يطوي الثياب اول طيّها حتى تنكسر على طيّه *

الارض * فقام متجلدا وغسل وجهه وبدل ثيابه * فلما خرجوا من السفينة سبقهم الفارياق وما كاد يطا الارض حتى تناول منها حصاة والتقمها وقال هذه اُمّي * واليها اَمّي * فيها ولدت وفيها اموت * ثم انه توجه الى خرجي كان في المدينة وادّى اليه كتاب توصية من الخرجي الآخر * ولبث عنده ينتظر سفينة تسافر الى تلك الجزيرة * فلنهنّئه بوصوله سالما آمنا * ولنقدم عرض حال للسدّة الاميرية * والحضرة الملكية * حضرة بطرك الطائفة المارونية كائنا ما كان * ثم نعرج قليلا على السوقيين والخرجيين ونذكر الفرق بينهم *



قد تفلّت الفارياق من ناديكم * وانملص من بين اياديكم * وغَنْجر في وجوهكم جميعا واصبح لا يخاف لكم وعيدا * وبقي الان ان اذكركم ما اشططتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على اخي المرحوم اسعد * اذ اودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوبين نحو ست سنين * وبعد ان اذقتموه جميع ضروب الذلّ والهوان والبوس والضنك في صومعة صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور او يستنشق الهوآ اللذين يمنّ بهما الخالق على الابرار والفجّار من عباده قضى نحبه وما كان سجنكم له الا لمخالفته لكم في اشيآ لا تقتضي عذابا ولا عتابا * وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مَدَنيّ * اما الدّين فان المسيح ورسله

Digitized by Google

لم يامروا بسجن من كان يخالف كلامهم وانما كانوا يعتزلونهم فقط * ولو كان دين النصارى نشا على هذه القساوة الوحشية التى اتصفتم بها الان انتم رعاة التائهين وهداة الضالّين لما آمن به احد * اذ لا احد من الناس يَصْبُو الا اذا كان يرى الدين الذى خرج اليه خيرا من الذى خرج منه * وكل انسان فى الدنيا يعلم ان السجن والتجويع والاذلال والتوعّد والتأويق والتشنيع ليس من الخير فى شى * وناهيك ان المسيح ورسله اقرّوا ذوى السيادة على سيادتهم وإمْرتهم * ولم يكن دابهم الا الحضّ على مكارم الاخلاق والامر بالبِرّ والدعة والسِلم والاناة والحلم * فانها هى المراد من كل دين عُرِف بين الناس * واما المدنى فلان اخى اسعد لم ياتِ منكرا ولاارتكب خيانة فى حق جاره او اميره او فى حقّ الدولة * ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعىّ * فاساآة البطرك اليه انما هى اساآة الى ذات مولانا السلطان * لانّا جميعا عبيد له مستامنون فى امانه وحكمه * وكلنا فى الحقوق سوآء * اذ البطرك ليس له حق فى ان يخطف من بيتى درهما واحدا لو شآء فانّى له ان يخطف الارواح * وهَبْ ان اخى جادل فى الدين وناظر وقال انكم على ضلال فليس لكم ان تميتوه بسبب هذا * وانما كان يجب عليكم ان تنقضوا ادلّته وتدحضوا حجته بالكلام او الكتابة اذا انزلتموه منزلة عالم تخشون تبعته * والا فكان الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك * بل اصررتم على عتوكم فى تنكيله وزعمتم ان فراره من داركم مرة لنجاة نفسه كان زيادة فى جنايته وجريرته فزدتم تجبرا عليه وظلما * وكانّى بكم معاشر السفهآ تقولون ان اهلاك نفس واحدة لسلامة نفوس كثيرة محمدة يُندَب اليها * ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم ان الاضطهاد والاجبار على شى لا

Digitized by Google

يزيد المضطهد وشيعته الا كلفًا بما اضطهد عليه * ولاسيما اذا علم من نفسه انه على الحق وان خصمه القاهر له على ضلال * او انه متحلّ بالعلم والفضائل وقرينه عُطُل عنها * فقد فاتكم على هذا العلم الدينى والسياسىّ * وعرّضتم عرضكم للقذف والتسويد * وذكركم للمقت والتفنيد * ما دامت السمآء سمآ والارض ارضا * وان اخى رحمه الله وان يكن قد مات فذكره لن يموت * وكلما ذكره ذاكر من اهل الرشد والبصيرة ذكر معه ايضا سو فعلكم وافحاشكم وغلوكم وجهلكم وشناعتكم * وقد لعمرى اخرج عنكم بموته من شيعتكم هذه المتوحّمة على سفك الدم اكثر مما لو بقى حيّا * وحسبك بالخواجا ميخائيل مشاقه الاكرم وبغيره من ذوى الفضل والبراعة مثالا * الم تاخذكم ياغلاظ الاعناق رافة فى شبابه وجماله * الم تتاثر قلوبكم التارزة لصفرة وجهه حين حجبتموه عن النور والهوآء * وحين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته * وحين لم يبق من نزارته غير الجلد والعظم وبخلتم عليه ايضا ان تطلقوه بهما * الم تشفقوا عليه اذ رايتم انامله قد ضنيت لعوز ما كان يتمتع به حُمُرَ ديركم * ولقد طالما والله اخذت القلم فخطّت ما يعجب به الملوك * ولقد طالما والله صعد المنبر فخطب فيكم ارتجالا والعَرَق يتصبّب من جبينه ذاك الصليت * ولشدّ ما ابكى سامعيه تذكيرا وتزهيدا * وطالما الّف وعرّب لكم كتبا ركيكة وعلّم حمقى رهبانكم واخرجهم من ظلمات الجهل * الم يخز وجوهكم الصفيقة ما كان يترقرق فى وجهه من مآء الحيآ فكان اشدّ خفرا من مخدّرة * وانّه كان عزيزا فى اهله * مكرما عند الامرآء محبّبا الى الخاصة والعامة * نزيه النفس * كريم الخلق * فصيح اللهجة * انيس المحضر * أمثله يحبس ست سنين ويذل وينكل ويموت والله يعلم باى شى مات * ما بال الكنائس الفرنساوية

Digitized by Google

والنمساوية والانكليزية والمسكوبية والرومية الارثودكسية والرومية الملكية والقبطية واليعقوبية والنسطورية والدرزية والمتوالية والانصارية واليهودية لا تفعل هذه الفظاعة والشناعة التى تفعلها الكنيسة المارونية * ام هى وحدها على الحق والناس اجمعون على الباطل * الستم تزعمون ان ملك فرنسا هو مجير الدين وناصره * والناسُ من اهل مملكته الكاثوليكيين ما زالوا يطبعون كتبًا يندّدون فيها بعيوب روسآء كنيستهم وقبائحهم وسفاهتهم وفحشهم وشراهتهم والحادهم * بل ان كثيرا منهم قد الّفوا تواريخ خاصة بما كان عليه الباباوات من الفسق والفجور وسوء التصرف * وبكفرهم بخلود النفس والوحى وبالهيّة المسيح * فمنهم من قال ان البابا ارماديوس الثامن ويعرف بدوق صَفُوَى رقى الى درجة بابا وهو عامى * ومنهم من قال ان مجمع باسيل انما كان انعقاده لخلع البابا يوجين وانهم حكموا عليه بالعصيان والارتشآ والشقاق والبِدَع ونكث اليمين * ومنهم من قال ان البابا نيقولاوس الاول كان قد حرم كونتيار مطران كولون لمخالفته له فى المجمع الذى عقد فى مَتْز سنة ٨٦٤ * فكتب المطران المذكور رسائل الى جميع كنائسه يقول فيها * ان المولى نيقولاوس الذى اتخذ له لقب بابا ويحسب نفسه انه بابا وسلطان معا وان يكن قد حرمنا فقد علونا على سفاهته * ومنهم من قال ان امبروسيوس حاكم ميلان حصل على درجة مطران مع انه كان غير صحيح الاعتقاد بدين النصارى * ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثامن ارسل نوابا من طرفه الى القسطنطينية * فعقدوا ثمّ مجمعا اجتمع فيه اربعمائة اسقف وكلهم حكموا ببرآءة فوتيوس وانه جدير برتبة مطران * ومنهم من قال ان البابا اسطفانوس السادس امر بان تنبش جثة فرموسيوس اسقف بورطو من القبر لانه كان قد اثار

Digitized by Google

شغبا على سلفه البابا يوحنا الثامن * ثم حكم عليه حالة كونه ميتا بقطع راسه وثلث من اصابعه والقيت جثته فى طيبر * وان البابا سرجيوس كان قد استرزّ ثاودورة ام ماروزيا التى تزوّجت بمركيز طوسكانى * وانه اى البابا اولد ماروزيا هذه ولدا ربّاه عنده داخل قصره من دون محاشاة احد من اهل رومية * ثم تزوّجت ماروزيا بعد ذلك بهوك ملك ارلس وعملت على قتل البابا يوحنا العاشر لانه كان يهوى اختها * فخنقته بين فراشين واستبدّت بالامر * ثم احتالت ان ولّت هى هذه الرتبة ثم قتلته فى السجن بعد اشهر * ثم ولّت من بعده رجلا خامل الذكر فولى بعض سنين ثم عزلته ونصبت يوحنا الحادى عشر وهو ابنها من سرجيوس الثالث وكان قد اتى عليه اربع وعشرون سنة لا غير * وشرطت عليه ان لا يباشر من الاحكام الا ما كان مختصا برتبة البابايوية * وانها سمّت زوجها ثم تزوجت بسلفها ملك لومباردى وفوضت اليه الحكم * فقام احد ولدها من زوجها الاول وشغب عليها اهل رومية وحبسها وابنها البابا فى صانت انجلو * وانه وَلِى بعده اسطفانوس الثامن * غير انه لما كان بغيضا عند الرومانيين لكونه من جرمانية شوّهوا وجهه فلم يقدر بعدها على الظهور بين الناس * ثم انتُخب ابن ولد ماروزيا المسمّى اكطافيانوس وله من العمر ثمانى عشرة سنة وسمّى من بعد ذلك يوحنا الثانى عشر * وكان خليعا ماجنا فحّاشا مستهترا منهمكا فى اللذات وهوى النفس مولعا بركوب الخيل والفروسية * وانما لم يخلّ ذلك بامور الكنيسة لان اكثر الدول والكنائس كان على هذه الحال * وان اوتو الامبراطور لما علم ان هذا البابا قد اضمر العصيان وكان اهل ايطاليا قد استدعوا حضوره لاصلاح ما اختلّ من احوالهم توجّه من باڤيا الى رومية * وبعد ان استتبّ له الامر فى المدينة عقد مجمعا

حضر فيه البابا بنفسه وكثير من امرآ جرمانية ورومية واربعون اسقفا وسبعة عشر كردينالا وذلك في كنيسة مار بطرس * وشكى البابا بحضرتهم اجمعين انه فسق بعدّة نسآء وخصوصا ايتّنت التى ماتت وهى نُفَسآ * وانّه قلد مطرنيّة طودى لغلام كان سنّه عشر سنين لا غير * وانه كان يبيع الرتب والدرجات الكنائسية بيعا وسمل عيني اشبينه في المعمودية سملا * وجَبَّ اى خصى احد الكرادلة او الكردينالات جبّا * ثم قتله * وانه لم يكن يومن بالمسيح وغير ذلك مما اوجب على الامبراطور خلعه ونصب ليو الثامن في مكانه * الا انه لم يكد الامبراطور يخرج من رومية حتى هاج البابا عليه اهل المدينة * وعقد مجمعا خلع فيه ليو الثامن وامر بقطع يد الكردينال الذى كتب الشكوى عليه * وقطع ايضا لسان الكاتب الذى كان يقيّد الحوادث وأنفه واثنتين من اصابعه * ثم قُتل البابا يوحنا الثانى عشر وهو معانق لامراة وكان القاتل له على ما قيل زوجها * ثم ان القنصل كريسنتيوس ابن البابا يوحنا العاشر من ماروزيا جيّش اهل رومية على اوثو الثانى وسجن بندكتوس وكان من حزب الامبراطور فمات في السجن * فلما بلغ ذلك مسامع اوثو ولّى يوحنا الرابع عشر * فقام عليه بونيفاس السابع الذى كان ولي الرئاسة من قِبَل القنصل وقتله * وبقى القنصل مستقلا بتدبير الامور ومباشرة الاحكام الى ان قام غريغوريوس ابن اخت الامبراطور وخلع اوثو الثالث * ثم احتال عليه الامبراطور وضرب عنقه وامر بان تعلق جثته من القدمين * وسُملت عينا البابا يوحنا الخامس عشر الذى كان انتخبه الرومانيون وقُطع انفه ثم رُمى به من ذروة قلعة صانت انجلو * ثم عُرضت الرئاسة الباباوية على البيع فاشتراها كلٌّ من بندكتوس الثامن ويوحنا التاسع عشر واحدا بعد واحد * وكانا اخوى مركيز

طوسكانى * ثم اشتُريت لولد سنه عشر سنين وهو بندكتوس التاسع * ثم انتخب باباوان اخران وكان احدهما يكفّر الاخر ويحرمه * ثم اصطلحا على ان يتقاسما دخل الكنيسة فيما بينهما وان يعيش كل منهما مع سرّيته * ومنهم من قال ان كنيسة رومية اصدرت مرة منشورا حكمت فيه على بعض ملوك فرنسا بان يطلّق امراته ويباشر دواعى التوبة سبع سنين * وانه لما شهر المنشور فى المملكة سقطت حرمة الملك من عيون الناس فتجنّبته الخاصة والعامة حتى لم يبق عنده غير خادمَين * ومنهم من قال ان البابا غريغوريوس السابع عقد مجمعا فى رومية على آنرى الرابع سلطان جرمانية وقال فيه * قد خلعت آنرى عن ولاية النمسا وايطاليا واُعفيت جميع النصارى من الطاعة له ونقضت عهدهم له * ولست آذن لاحد فى ان يخدمه باعتبار انه ملك ذو سلطان * وان آنرى لما ضاق بذلك ذَرْعا اضطر الى الذهاب الى رومية * فلما قدم على البابا وجده خاليا بالكُنْتس ماتيلدة فى كانوزا (١) فوقف السلطان يستاذن فى الدخول لدى الباب ولم يكن معه احد يخفره * فلما دخل المقام الاول اعترضه بعض حشم البابا ونزعوا عنه حلّته الملكيّة والبسوه ثوبا من الشعر * ووقف ايضا ينتظر الاذن فى صحن القصر حافيا وكان ذلك فى قلب الشتآء * ثم اُلزم ان يصوم ثلثة ايام قبل تقبيل قدم البابا * فلما انقضت الايام الثلثة دُخل به الى مجلس البابا فوعده بالعفو بشرط ان ينتظر ما يحكم به عليه فى مجلس اغوسبرغ * الى ان قال ثم مات البابا المذكور وخلفه رئيس دير سُمّى اوربانوس الثانى * وكان مثل سلفه فى العتوّ والتجبّر * فمن ثم جعل يحرّض ابنَى آنرى على قتال ابيهما * وهذه ثانى مرة هاج البابا فيها الابناء على ابآئهم * فقاما عليه واودعاه السجن ثم فرّ منه ومات فى لياج مسكينا ذليلا * ومنهم

(١) الكنتس مونث الكُنت من القاب الشرف عند الافرنج *

Digitized by Google

من قال ان آنرى السادس ولد فريدريك الثانى سار الى رومية ليتوّجه البابا سيلستانوس * ولما كان الامبراطور متطاطئا لتقبيل قدمه وعلى راسه تاج الملك رفع البابا رجله ورفس بها التاج عن راسه فوقع على الارض وكان سنّ البابا وقتئذ ستا وثمانين سنة * ومنهم من قال ان بعض الباباوات واظنه اينوصنت الثالث حرم الملك لويس واباه * غير ان مطارين فرنسا نسخوا حكمه وامروا بالغائه * وان البابا اينوصنت الرابع عقد المجمع الثالث عشر على الامبراطور فريدريك الثانى وذلك فى سنة ١٢٤٥ وحكم عليه فيه بكفره وبانه كان يتسرّى بجوارى مسلمات * فناضل عن الامبراطور خطباوه وحزبه وردّوا على البابا انه افتضّ بنتا وارتشى غير مرة * ومنهم من قال ان البابا المذكور اغرى طبيب الامبراطور المشار اليه بان يدسّ له السمّ فى طعامه * وان البابا لوقيوس الثانى وَلِيَ مرة حصار رومية بنفسه ومات من رمية حجر على راسه * وان البابا اكليمنضوس الخامس عشر كان يجول فى ڤينّى وليون لجمع المال ومعه عشيقته * وان راهبا من الدومينيقيين سمّ الامبراطور آنرى عن امر البابا وذلك فى القربان * وانه فى سنة ١٢٠٠ تزاحم باباوان على الرئاسة وجمع كل منهما حزبه للقتال وعلى راية كلٍّ صورة المفاتيح * وان احدهما تصرف فى آنية كنيسة مار بطرس وانفقها فى اهبة الحرب * وان البابا اوربانوس كان يعذب كل من خالفه من الكرادلة او الكردينالات * وفى ذلك الوقت انكرت دولة فرنسا رئاسة البابا واستبدّت اساقفتها بامور رعيتهم * ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثالث والعشرين شُكى بانه سمّ سلفه وباع الوظائف الكنائسية وقتل عدة ابرئآ * وانه كان كافرا ولوطيا معا * فمن ثم خُلع بحضرة الامبراطور* الى غير ذلك مما يضيق عنه هذا الكتاب فانى لم اضعه فى الدين وانما

Digitized by Google

اوردت ما مرّ بك على سبيل الاستطراد * فان كان ما قاله هولآء المولفون من الفرنساويين حقّا كان اخي ابرّ من هولآء الائمّة واتقى * اذ لم يُشَكّ قطّ بانه لاط او زنى او سمّ احدا او هاج الابنآء على ابائهم ليقتلوهم * او انه اختلس انية الكنائس او طغا وتجبّر على سلطانه او ارتشى * وانما هي مماحكات جرت بينه وبين بطركه على اشيآء غير مقيسة ولا معدودة ولا موزونة ولا مكيلة * فانت تقول مثلاً ان دركات قنوبين المودّية الى سجين ثلث * وهو قال ثلثمائة * وانا اقول ثلثة الاف * فما مدخل السجن هنا والعذاب * وان كان ما قالوه كذبا وافترآء كان ذلك ادعى الى تنكيلهم والاقتصاص منهم * لافترائهم على احبار الله وخلفائه فواحش لن يستطيع عبّاد الفتيش ان ياتوا بافظع منها * مع انّا لم نرَ احدا منهم عُذّب او نُفي او استفزّ من داره او أُنف من محضره * بل قد طُبعت كتبهم المرة بعد المرة * وسعرها في الاسواق كسعر كتب العلم * ولعل قائلا يقول ان عَرضك هذا موجّه الى البطرك المتولّي الان وهو من اهل الفضل والمكارم وليس هو الذي سجن اخاك وقتله وانما كان سلفه * قلت عندي علم ذلك * غير انه ما دام هو يعتقد بان ما فعله سلفه كان صوابا فهو شريك له ولا يلبث ان يعامل من يقتدي باخي معاملة سلفه * وكذلك يعم اللوم جميع المطارنة والاساقفة والقسيسين والرهبان ان كانوا يصوّبون ما فعله البطرك المتوفى * وكنت اودّ لو اختم هذا العرض بعتاب اوجهه الى حضرة المطران بولس مسعد ابن خالي وخال اخي وكاتب اسرار البطرك * ولكني خشيت الان من الاطالة * وفيما قلت ما يغني اللبيب *



الفصل العشرون

في الفرق بين السوقيين والخرجيين

اعلم ان للسوقيين شهرة عظيمة فى جميع الاقطار * وذلك انهم احتكروا السلعة منذ القديم فى مخازن لهم * وقالوا كل من لم يشترِ من مخازننا انزلنا به القصاص * ثم انهم اخفوا دفتر اسعار البياعات عن المشترين وغالوا بثمن الاصناف واشطّوا * فكانوا يتقاضون من المشترى اضعاف القيمة * ثم اتخذوا لهم معامل ومخازن فى جميع الامصار وجعلوها مظلمة خالية عن الكُوَى ومنافذ النور * فكانوا يبيعون منها من غير ان يُبدوا حقيقة لون السلعة ورقعتها * وكانوا يجعلون ما يبيعونه من اصنافها ملفوفا مظروفا فياخذه الشاري وينطلق به ولا يرى منه شيا * وكان عندهم من النسّاجين والخياطين والرفّائين والصبّاغين ما يفوق العدد * فكان هولآ يصنعون لهم كل ما يامرونهم به * واتفق فى بعض السنين ان وقع مُوات ذريع فى الماشية وامحلت البلاد فقلّ الصوف والحرير عندهم وكادت الانوال والمعامل تتعطل * فارتاى رجل منهم من اهل الحصافة والحذق ان يستعمل الشعر وبعض اصناف الحشيش بدل ما اعوزهم من الحرير وغيره * وجآ عمله هذا متقنا محكما حتى اشتبه على اكثر الناس * ثم ان نفرًا من المعسرين الذين حملهم الضنك فى المعيشة على توسيع دائرة الفكر والنظر فى الامور والتمييز لها * (فان جل العلمآ والمستنبطين من الصعاليك)

Digitized by Google

ذهبوا يوما الى بعض المخازن لشرآ ما لزم لهم وجآوا بما اشتروه الى منازلهم ملفوفا مصونا على العادة * وكان احدهم يهوى امراة يريد ان يتزوج بها وقد اشترى لها منديلا * فلما اهداها اياه بحضرتهم وكانت ذات استشراف واستطلاع واستكشاف للمستور كما هو شان سائر النسآ * اخذت المنديل وقبل ان تشكره على معروفه ادنته من نور السراج اذ كانت زيارتها له في الليل * فرات فيه خللا كبيرا مع ان النور كان طفيفا يوشك ان ينطفي * واذا بها صرخت تقول * بئس من باعك هذا انه قد غبنك * ان فيه خللا مثل الذي قد فتنك * فلما سمعوا ذلك تنبهوا فاخذ بعضهم ينسّل حاجته * وصار الاخر يقيس ثوبه على قامته وهلمّ جرّا * فظهر لهم ان البضاعة ليست على وفق مرادهم * لان من ذهب ليشترى حاجة بلون احمر وجدها سودآ * ومن اراد ثوبا طويلا وجده قصيرا * ومن اراد حريرا وجده كرباسا * فرجعوا بها في الغد الى الباعة وقالوا لهم قد بعتمونا ما لم نرده * واوردوا لهم عللا واسبابا للاقالة * فقال صاحب المنديل لقد كدتم تسوّدون وجهى عند محبوبتى البيضآ * وكادت تغاضبنى لما اتحفتها من سقط المتاع لولا انها طمعت فيما يكون خيرا منه * فقالت لهم الباعة انما بعناكم ماطلبتم ولكن على ابصاركم غشاوة فلستم تبصرون اللون ولا الرقعة ولا تعرفون المقادير ولا المقاييس * فقال من اشترى الثوب كيف يمكن ان يجهل الانسان قامته ويعرفها آخر غيره * وقال صاحب اللون الاسود انما اردت اللون الاحمر وها ان ثوبك اسود ورفيقاى هذان يشهدان لى وها هو واضح لكل ذى عينين * فقال له البائع انت اعمى لا تميز الالوان ثم ذهب ليأتيه بلماك ليكحله به فابى ذاك وقال لا بل انت عمه اعمى * وقال من اشترى الكرباس بدل الحرير هب ان البصر يُغش افيخفى اللمس على الاعمى * فلجّ بينهم الجدال والعناد وملاوا المكان صخبا وضجيجا * وفيما هم

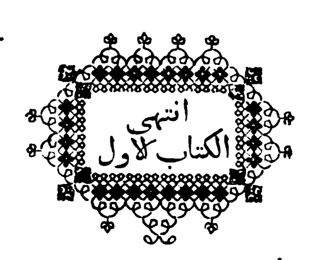
Digitized by Google

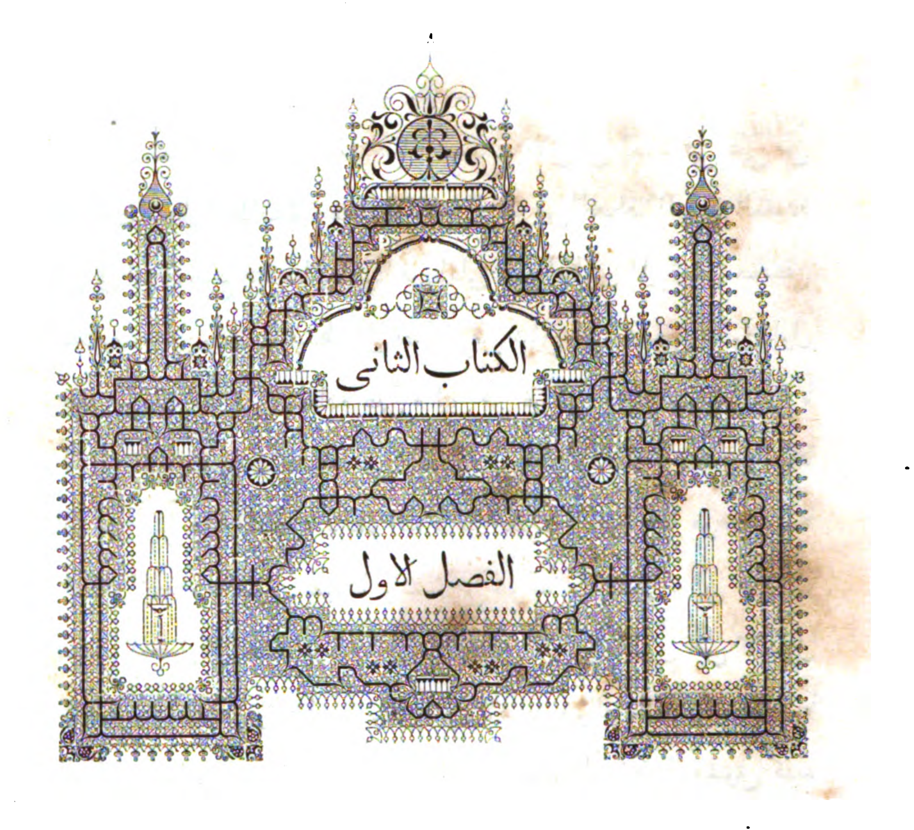
على ذلك اذا برجل اقبل يسعى وهو يلهث بُهْرا وقد اندلع لسانه ووضع يديه على كشحيه * فما كاد يدخل الحانوت حتى سقط لا يستطيع حراكا وغدا يئن ويقول اه امراتي اه امراتي * ثم غشي عليه ساعة * فلما افاق ادار نظره يمنة ويسرة فراى غريمه * فلم يتمالك ان وثب من مجثمه وقال * يا اهل الفساد * ومروّجي الكساد * ومسبّبي الفتن بين المرء وزوجته * ومفرقي الاب عن ابنه وابنته * وغابني الاغرار من الشارين * ومبرقعي وجوه المبصرين * كيف حلّ لكم من الله ان تغشوني وتبيعوني ما لا حاجة لي به * اني اتيتكم بالامس اطلب منكم ان تبيعوني لحمًا لاتخذ منه مرقا لزوجتي لانها عليلة مذ ايام * فبعتموني كِسَر خبز وقلتم لي انه لحم غريض * فلما اوقدت النار لاطبخه اذا به خبز * فباتت امراتي من غير ان تذوق شيا وقد اصبحت لا حراك بها الا بلسانها * فهي لا تزال تلعن تلك الساعة التي راتني فيها قبل الزواج * وتسب القسيس الذي كان السبب فيه * وقد حلفت انها اذا برئت من مرضها لتامرنّ النسآ جميعا بان يكنّ مع ازواجهن ضُجُعا مفسّلات مناشيص (١) وكانه لما قال ذلك فار دَمُه في دماغه فوثب من مكانه وكاد ان يبطش بالبائع * لولا ان تداركه بعض الصنّاع في الحانوت * فلما تملّص البائع من يديه صعد منبرا وقال * اسمعوا ايها الخصمآ * ولا تعجلوا الى اللّوم فانه من داب اللؤما * ان عيونكم قد غشي عليها فهي تبصر الاحمر اسود * وذوقكم قد فسد فعندكم ان اللحم خبز مُفْتأد * وعقلكم قد ركّ وحرض فانتم تحسبونَ الحرير قطنا * والجوهر عهنا * فما ينصفنا الا قيّم السوق * فهلمّوا اليه والّا فانتم من اهل الكفر والفسوق * فلما سمعوا مقالته وعلموا ان محاكمته لهم عند شيخ السوق شطط لكونه اضعف منهم بصرا وبصيرة لهرمه * التهبوا غيظا فجعلوا يركسون الامتعة ويشوّشونها ويبعثرونها ويمزقون كل ما قدروا عليه * ويطأون ما امكن لهم

(١) الضجع جمع ضجوع وهي المراة المخالفة لزوجها * قلت وهو غريب فان اشتقاقه من ضجع فكان يقتضي ان يكون معناه الطاعة * والمفسّلة المراة التي اذا اريد غشيانها قالت انا حائض لترده * والمناشيص جمع منشاص للتي تمنع زوجها في فراشها *

Digitized by Google

وطئوه * ويكسرون كلّ ما اصابوا من معدّ وصندوق وكؤس واكواب وخرجوا وهم سامدون * ثم تواطاوا على ان يعقدوا مجلسا تلك الليلة ليتدبروا في امورهم * فلما كان المسآ اجتمعوا وقالوا قد انضح لنا ان هولآء الباعة ظالمون غابنون * وان حواسنا لم تزَل الشي الا على ما هو عليه * فشكرا لله ولصاحبة المنديل التي هدتنا الى هذا * فتعالوا نستقلّ بامورنا ونعمل لنا مخازن ومعامل كما عملوا هم * ثم اتخذوا لهم شيعة واخدانا * واصحابا واعوانا * واسقطوا عنهم من السعر ما امال اليهم كثيرا من الناس * وقالوا لهم ان عهدنا اليكم ان نبيعكم البضاعة بمرای اعينكم ولمس ايديكم وذوق السنتكم * ومن لم يرضَ شيا اشتراه فانّا نبدّله له بما هو خير منه * ثم بحثوا عن الدفتر ونشروه في جميع البلاد واستعملوا لذلك وسائل مختلفة * وقالوا للناس هاوكم الدفتر الانور * والدستور الاكبر * فلا تشتروا منا حاجة الا على مقتضى تسعيره * ولا تذهبوا الى شيخ السوق فانه هالك في غروره * فرضى الناس بما اشترطه هولآء على انفسهم * وانفصلوا عن الشيخ المذكور ومن حزبه * وغدا كلّ من الحزبين يكذّب حريفه ويسوّئ عليه ويخطّئه ويسفهه ويحمّره ويفنّده ويخرفه ويلعنه ويكفّره ويوثمه ويفسّقه * وسبحان من يداول الايام * بين الانام *





في دحرجة جلمود

قد القيت عني والحمد لله الكتاب الاول وارحت يافوخي من حمله * وما كدت اصدق ان اصل الى الثاني فاني لقيت منه الدُوار * ولا سيما حين خضت البحر مشيّعا للفارياق تفضّلا وتكرما * اذ لم يكن مفروضا عليّ ان ارافقه في كل مكان * وقد مضى عليّ حينٌ بعد وصوله الى الاسكندرية والتقامه الحصاة من الارض ولسان قلمي يتمطّق * وثغر دواتي مطبق * حتى عاد اليّ نشاطي فاستانفتُ الانشآ ورايت ان ابتدى هذا الكتاب الثاني بشي ثقيل ليكون عند الناس اكثر اعتبارا * واطول اذكارا * وكما اني ابتدات الكتاب الاول بما يدل على المامي بشي من العلويات

ان كنت لمّا تنس ما مرّ بك * استحسنت الان ان آخذ فى شى من السفليات لاجل المطابقة * هذا ولما كان الحجر من الجواهر المنيعة المفيدة راق لى ان ادحرج منه هنا جلمودا من اعلى قنة افكارى الى اسفل حضيض المسامع * فان وقفت تنظر الى تصوّبه من دون ان تتعرض له وتحاول توقيفه مرّ بك كما تمرّ السعادة علىّ * اى من غير ان يصيبك منه شى * والّا اى ان استسهلت حبسه عن منحدره كرّ عليك ودفعك تحته * والعياذ بالله مما ورآ هذا الدفع * فانظر اليه ها هو متحرك للسقوط * ها هو متصوب * فالحذر الحذر * قف بعيدا واسمع من دويّه ما يقول * ان من نظر بعين المعقول الى هذه الدنيا والى ما اختلف فيها وائتلف من الاحوال والاطوار * والجواهر والاعراض * والاوطار والاغراض * والعادات والمذاهب * والمراتب والمناصب * وجد ان كل شى يمرّ عليه منها يفوق كنهه ادراكه ويفوت تأمله * وان حواسّنا وان تكن قد أَلِفت اشيآء لم تغادر الالفة عليها محلّا للتعجب منها * الا ان تلكم الاشيآء لا تنفك فى نفس الامر عن كونها معجبة محيّرة * ومن تبصّر فى ادنى ما يكون منها حقّ التبصّر راى نفسه كمن قد اهمل ادآ فرض تعيّن عليه * انظر مثلا الى اختلاف ضروب النبات فى الارض فكم فيه من الازهار البديعة الصنعة العجيبة الكيّنة * من دون ان نعلم لها منفعة خصوصية * والى اختلاف انواع الحيوان من دبابات وهوامّ وحشرات وغيرها * فان منها ما هو حسن الشكل ولا فائدة منه ومنها ما هو قبيحه والحاجة اليه ماسّة * وانظر فى السماء الى هذه النجوم درارئها كوكب دِرّىء ويضمّ متوقد متلالئ *

وخُنّسها الخنّس الكواكب كلها او السيّارة او النجوم الخمسة الخ *

وبَيانيّاتها الكواكب البيانيات التى لا تنزل الشمس بها ولا القمر *

وتوائمها   توائم النجوم واللولو ما تشابك منها *

وبروجها   معروف *

وتِنّينها   التنين بياض خفى فى السمآ يكون جسده فى ستة بروج وذنبه فى البرج السابع الخ *

ومَجَرّتها   باب السمآ او شَرَجها *

ورُجُمها   النجوم التى يرمى بها *

وأَعلاطها   اَعلاط الكواكب الدرارى التى لا اسمآء لها *

وإناثها   الاناث صغار النجوم *

وخُنّسانها   النجوم لا تغرب كالجدى والقطب وبنات نعش والفرقدين *

وأَنوآءها   النوء النجم مال للغروب او سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق *

التى يرجع البصر عنها وهو كليل * والى اختلاف سَحن الناس وروسهم * فانك لا تكاد ترى سحنة بشر تشبه سحنة آخر غيره * ولا تجد بين رؤسهم اى عقولهم راسا يشبه غيره * فمن عباد الله هولآء من اختار المخالطة والمقارفة * والمحاشرة والمزاحمة * والمضاغطة والمصادمة * والمباراة والمعاجمة * والملاهسة والمداحمة * والمجاحسة والمداغمة * والمزاعمة والمداهمة * والمساومة والمزاهمة * على اختلاف فيها * وذلك كالتجار والنسآ * ومنهم من قابلهم بضد ذلك فاختار العزلة والانفراد كالنساك والزهاد * ومنهم من جعل دابه التهافت على المين والافترآ * والغلو والاطرآ * كالشعرآ والمستاجرين لمدح الملوك فيما يطبعونه من هذه الوقائع الاخبارية * ومنهم من قابلهم بضده فآثر الصدق والتحرّى * والتحقيق والتروى * والقول الفصل والمطابقة بين الماضى والحاضر والآتى * وذلك كاهل الفلسفة والحكمة والرياضة * ومنهم من

Digitized by Google

يعمل النهار كله ويكدّ بكلتا يديه وكلتا رجليه وربما لم ينطق بكلمة واحدة *
وذلك كاصحاب الصنائع الشاقّة * ومنهم من لا يحرك يده ولا رجله ولا كتفه
ولا راسه وانما ينطق في بعض ايام الاسبوع بكلمات ثم يقضي سائر الايام
مستريحا متنعما * مترفها متترفا * وذلك كالخطبآ والوعّاظ والمرشدين
الى الدين * ومنهم من يفتك ويبطش ويجرح ويقتل كالجند * ومنهم
من يعالج ويداوي ويشفي ويحيي كالأُساة واوليآء الله تعالى اهل الكرامات
والمعجزات * ومنهم من يُستاجَر للتطليق * ومنهم للتحليل * ومنهم للايلاد *
ومنهم للالحاد * ومنهم للتفريق * ومنهم للتاليف بين الآحاد * ومنهم
من يتكوّى في بيته فلا يكاد يخرج منه الّا لضرورة * ومنهم من يصعد
الجبال والادقال * والمنابر والاشجار * ومنهم من يهبط الاودية والبواليع
والمراحيض * ومنهم من يسهر الليالي في تاليف كتاب * ومنهم من لايذوق
النوم حتى يحرقه * ومنهم من يسود ومن يُساد * ومنهم من يقود ومن يقاد *
ومع هذا التنافي والتباين فمآل مساعيهم وحركاتها كلها الى شي واحد *
وهو ادخال الانسان خنابتيه غداة كل يوم في رائحة كريهة قبل ان
يستنشق روائح الازهار * ويتمتّع بمتوع النهار * واعجب من جميع ما
مرّ بك من هذه الاحوال حالتنا اصحابنا السوقيين والخرجيين * فان
حرفتهم لما كانت لا تتوقف الا على استعمال اداتين فقط * اي المخيّلة
والقَسْم دون افتقار الى آلة اخرى * وكان مورد اقوالهم * ومصدر جدالهم *
ومبنى انتحالهم * وجلّ راس مالهم * قولهم يحتمل ان يكون هذا الشي من
باب المجاز الاسنادي او اللغوي * او من مجاز المجاز او الكناية * او من
حمل النظير على النظير * او النقيض على النقيض * او من باب ذكر اللازم
وارادة الملزوم او بالعكس * او من قبيل ذكر البعض وارادة الكل او بالعكس *

Digitized by Google

او من نوع اسلوب الحكيم * او من باب التهكم * او من طاقة التلميح * او من كوّة الالتفات * او من خرق الحشو * او من خرت الادماج * او من خصاص الاكتفاء * او من شقّ الاحتباك * او من سَمّ عكس التشبيه * او من خلل سوق المعلوم مساق غيره * او من فتحات التجريد * او من فرجة الاستطراد * او من ثقوب التورية * لم يكن من اللائق بهم ان يخلطوا هذه الأوّات وتلك اللوّات بشي

من العَرّادات — العرّادة شي اصغر من المنجنيق *

والدَبّابات — الدَبّابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبون وهم في جوفها *

والدَرّاجات — الدبّابة تعمل لحرب الحصار تدخل تحتها الرجال *

والمنجنيقات — المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة والمنجليق المنجنيق *

والنَفّاطات — النفّاطة اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط *

والخَطّار — المنجنيق والذى يطعن بالرمح *

والسَبَطانات — السَبَطانة قناة جوفاً يرمى بها الطير *

والضَبْر — جلد يغشى خشبا فيها رجال تقرّب الى الحصون للقتال *

والقَفْع — جُنّة من خشب يدخل تحته الرجال يمشون به في الحرب الى الحصون *

والجَلاهق — الذى يرمى به ونحوه البواقيل والبنادق *

والحَسَك — اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر تعمل على مثال الحسك المعروف *

Digitized by Google

والقَرْدَمانيّ قبآ محشو يتخذ للحرب وسلاح كانت الاكاسرة تدّخرها في خزائنهم والدروع الغليظة *

والتِجْفاف آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان *

واليَلَب الترسة او الدروع من الجلود *

والسَرْد اسم جامع للدروع *

والدَرَق التروس من جلود بلا خشب ولا عَقَب ونحوه الحَجَف *

والحَرْشَف الرجّالة وما يزيّن به السلاح *

والعَتَلات العَتَلة العصا الضخمة من حديد لها راس مفلطح يهدم بها الحائط *

والمِنْسَفات المنسفة آلة يقلع بها البنآ *

والفَلَق مقطرة السجّان وهي خشبة فيها خروق على قدر سعة الساق *

والخَنازِر الخَنْزرة فاس عظيمة يكسّر بها الحجارة *

والعَذْرآ شي من حديد يعذّب به الانسان لاقرار بامر ونحوه *

والمقاطِر المقطرة خشبة فيها خروق على قدر سعة ارجل المحبوسين *

والمداويس المِرْداس آلة يدكّ بها الحائط والارض *

والدَهَق خشبتان يغمز بهما الساق *

والصاقور الفاس العظيمة *

والمَلاطِس المِلْطَس المِعْول الغليظ *

والمَقارِيص المقراص السكّين المعقرب الراس *

والملاوظ الملْوَظ عصا يضرب بها *

والمقامع المقمعة خشبة يضرب بها الانسان على راسه *

والمقافع المقفعة خشبة يضرب بها الاصابع *

Digitized by Google

والحَدَأة الفاس ذات الراسين *

والمِنقار حديدة كالفاس *

والمَهامِز المِهْمزة المقرعة او العصا *

والعَرافيص العِرْفاص السوط يعاقب به السلطان *

والمخافق المخفقة الدِرَّة او سوط من خشب *

ولا بالرماح الطاعنات والسيوف الباترات والنبال الصاردات والنصال المدميات والمقادع المولمات والمقارع المضنيات والصُلُب المهلكات والخوازيق النافذات والاغلال المصلصلات والنيران المتاججات والغارات والغزوات والنكايات والكبسات والاستلابات والاقتصاصات والانكالات والعداوات والمشاحنات وآخر الجميع بالركاكات * فكم لعمرى من دم سفكوا * وجند اهلكوا * وعرض هتكوا * وحرمة انتهكوا * وذى اهل ربكوا * وعزب همكوا * ونسآء ايموا * واولاد يتّموا * وبيوت خرّبوا * واموال نهبوا * ومصون اذالوا * وحرز نالوا * ومستور فضحوا * وحرام اباحوا * فهل فعل ذلك من قبلهم سَدَنة

الانصاب الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها ويذبح لغير الله تعالى *

والكَعَبات الكعبات او ذو الكعبات بيت كان لربيعة كانوا يطوفون فيه *

والرُبّة كَعّبة لمَذْحِج *

وبُسّ بيت لغطفان بناها ظالم بن اسعد لما راى قريشا يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت واخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة

Digitized by Google

واجتزأ به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبى فقتل ظالما وهدم بناءه *

وعَبدة مَرْحَب صنم كان بحضرموت *

والعَبْعَب صنم *

والغَبْغَب صنم *

ويَغُوث صنم كان لمَذْحِج *

والبَجَّة والشَّجَّة صنمان *

وسَعْد صنم كان لبنى مِلْكان *

ووَدّ صنم ويضم *

وآزَر صنم *

وباجَر صنم عبدته الأزْد ويكسر *

وجهار صنم كان لهَوازِن *

والدَوَّار صنم ويضم *

والدار صنم سمّى به عبد الدار ابو بطن *

وسُعَير صنم *

والأُقَيْصِر صنم *

وكُثْرَى صنم لجديس وطسم كسره نهشل بن الرئيس ولحق بالنبى صلّعم فاسلم *

والضِمار صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه *

ونَسْر صنم كان لذى الكِلاع بارض حمير *

والشمس صنم قديم *

وعُمْيانِس صنم لخَولان كانوا يقسمون له من انعامهم وحروثهم *

Digitized by Google

والفِلْس	صنم لطيّئ *
وجُرَيْش	صنم كان فى الجاهلية *
والخَلَصة	صنم كان فى بيت يدعى الكعبة اليمانية لخثعم *
وعَوّض	صنم لبكر بن وائل *
وإساف	صنم وضعه عمر بن لُحَىّ على الصفا *
ونائلة	صنم آخر وضعه على المروة وكان يذبح عليهما (فى قول) *
والمُحَرِّق	صنم لبكر بن وائل *
والشارِق	صنم فى الجاهلية *
والبَعْل	صنم كان لقوم الياس عمّ *
وسَواع	صنم عُبد فى زمن نوح عمّ فدفنه الطوفان فاستشاره ابليس فعُبد وصار لهذيل وحُجِّ اليه *
والكُسْعة	صنم *
والعَوْف	صنم *
وذى الكَفّين	صنم كان لدَوْس *
ومَنَاف	صنم *
ويَعُوق	صنم لقوم نوح او كان رجلا من صالحى زمانه فلما مات جزعوا عليه فاتاهم الشيطان فى صورة انسان فقال امثّله لكم فى محرابكم حتى تروه كلّما صلّيتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة اصناما يعبدونها *
والأَشْهَل	صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحىّ من العرب *
وهُبَل	صنم كان فى الكعبة *

Digitized by Google

و يالِيل	صنم *
والبُعِيم	صنم والتمثال من الخشب والدمية من الصِبغ *
والأَسْحم	صنم *
ونُهْم	صنم لِمُزَيْنة وبه سموا عبد نهم *
وعائم	صنم *
والضَيْزَن	صنم *
والمَدان	صنم *
والجَبْهة	صنم *
واللات	صنم لثقيف سمّى بالذى كان يلتّ عنده السويق بالسمن ثم خفف وهو فى حديث عروة الرّبّة *
وذى الشرَى	صنم لدَوْس *
والعُزّى	صنم او سَمُرَة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عِرقٍ الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بُسّا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله صلّعم خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة *
ومَناة	صنم *
والالِاهة	الحية والاصنام والهلال والشمس ويثلث كالالِيهة *
والطاغوت	اللات والعزّى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والاصنام وكل ما عُبد من دون الله *
والزَوْن	الصنم وما يتخذ ويعبد — والموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزيّن *

Digitized by Google

والجِبْت　　الصنم والكاهن والساحر والسحر والذى لا خير فيه وكل ما عُبد من دون الله تعالى *

او عَبَدة الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وفُرْدود والفرقد والذِئيخ والكَنَد والعَوائذ والحَضار والاحور والزُبْرة والاظْفار والعُذر والمَعرَّة والاَعيار والنَثْرة والجَوْزآ والبرْجيس والتياسَيْن والمَيْسان والسُنَّيق والشَرطَين والفارطَيْن والاثافى والعيُّوق والعَوْهقين والصَرْفة والطَرْفة والابيض والضِباع والهَقْعة والهَنْعة والرِدْف والمَعْلَف والناقة والنَسْقين والسِماكين وسُهَيْل والشَوْلة والعَوْكلين والمِرْزَمين والسُلَّم والبُطَيْن والقدْر والحيّة والتحايى والخَراتَين والخِبآ وسُهى والشاة والعَوّآء وكُوَى *

فكان يجب عليهم ان يجمعوا رايهم على امر واحد ويقولوا من حيث ان حرفتنا لا تحتاج بحمد الله الى قياس وعدد كحرفة الطبيعيين والمهندسين والرياضيين * فانهم ايّان طلب المناقش منهم دليلا بادروا حالا الى البرهان بالمقادير والمساحة والحساب * فانصبوا انفسهم وانفس سائليهم * كان حقا علينا ان ننهج منهاجا مريحا يقرّبنا ومُعاملينا الى الغرض المقصود * وهو ان نيسّر اسباب تعلّم هذه الحرفة لكل مضطر اليها منهم * فمن شآ بعد ذلك ان يلبس قبآ او جبّة مع سراويلات من تحتها او تُبّان فليصنعها هو باى لون اعجبه وباى شكل راق له * اذ ليس من الرشد ان يعترض الانسان انسانا آخر مثله فى كيفية لبسه او فى ذوقه ومنامه * لان ابن ادم من يوم يستهل بالبكآء الى ان يبلغ اربع عشرة سنة يعيش مستغنيا عنا غير مفتقر الى ما رسمنا به عليه * اذ الغريزة تهديه الى ما يلائمه ويصلح له * الا ترى ان الطفل اذا خُلّى وطبعه لم يلبس الكتّان الرفيع فى

الشتآ وان كان مطرزا * ولا الفرو فى القيظ وان كان مزركشا * وانه متى جاع طلب الاكل * ومتى نعس نام * وان طربته بجميع آلات الطرب والانغام * ومتى ظمى شرب * ومتى تعب استراح فهو فى غنى عنا من اصل الفطرة * حتى انه يمكنه بحول الله تعالى ان يعيش مائة وعشرين عاما وشهرا من دون رؤية وجه احد منا او مشاهدة تاجه وحلته الفاخرة وخاتمه النفيس وعصاه المفضضة * فلندع الناس اذًا فى دعتهم وسلامتهم وشغلهم * ولا نتطفل عليهم ولا نكلفهم ما لا طاقة لهم به * اذ لو شاء الله ان يحوج الطفل الينا لاوحى اليه ان يسال ابويه من وقت ترعرعه عن اسمائنا ومقامنا * وعما نحن عليه من المماحكة والجدال * والقيل والقال * والتشاحن والتشاجر * والتناقر والتنافر * والتلاعن والتهاتر * والتدابر والتهاجر * واحسن من تركه على هذه الحالة ما اذا عُنينا بتاديبه وتربيته وتهذيبه وتعليمه صنعة تنفعه فى تحصيل معيشته ومعيشة والديه * كالقراة والخط والحساب والادب والطب والتصوير * وما اذا نصحنا له ان يسعى فى خير نفسه وخير ابويه ومعارفه وجنسه وكل من صدق عليه انه انسان بقطع النظر عن هيئات اللباس وتفاوت الالوان والبلاد * لان اللبيب الرشيد لا ينظر الى الانسان الا لكونه متصفا بالانسانية مثله * ومن اعتبر الامور الطارئة عليه كالالوان والطعام والزى فانه يتباعد عن مركز البشرية كثيرا * وانما يتم حسن صنيعنا هذا كله ما اذا صنعناه حسبةً لوجه الله تعالى * غير طالبى الجزآ والهدايا * ولا النذور والعطايا * لان كثيرا من الاطبآ يداوون المعسرين مجانا * فترى احدهم يغادر طعامه وفراشه ويذهب الى مريض محموم او به جُدَرى او طاعون احتسابا عند الله * اذ الناس كلهم عيال على الله * واحبهم الى الله انفعهم لعياله * هذا ما كان ينبغى

ان يقولوه * وهذا ما اقوله انا * تامل فى خرجى اقبل يطوف البحار والامصار * ويجول فى الجبال والقفار * ويعرّض نفسه ونفس من ينحاز اليه للسبّ والقذف والعداوة والمشاحنة * وما ذلك الا ليقول للناس انه اعرف منهم باحوالهم * واذا سُئل عن دوآ لعين رمدت * او ساق قرحت * او أُدرة انتفخت * او اصبع دميت * او اذا قيل له ما ترى فى من كثرت عياله * وقلّ ماله * وعضّه زمانه * وجار عليه سلطانه * فمُنى بالجوع * وحُرم الهجوع * واصبح يمشى والناس ينظرون جُهْوته * ويتجنبون خلطته * ولا يستعملونه ولا يستخدمونه * لما تقرر فى عقولهم من ان الفقير لا يحسن عملا * وقد اصبحت اولاده يبكون ويتضورون * وامراته تشكو وتسترحم ولا راحم لها لكون شبابها قد ذهب فى تربية اولادها * او قيل له هل عندك من ماوى لضيف عرير * ما له من نصير * قال ما جئتكم لهذا وانما قدمت اليكم لانظر فى انوالكم التى تنسجون عليها بضاعتكم وفى الوانها التى لا تشاكل ما عندى فى الخرج من اللون الناصع * وما ان يهمّنى النظر فيما فيه راحتكم وانما الراحة فيما به تعبكم * ولو تعطّلت جميع معاملكم لاقتصاركم على لونى الذى ابرزه لكم راموزا وعنوانا واستوجبتم بذلك لوم التجار والحرّاث والحكام لم يكن علىّ فى ذلك من شى * وهذا سوقى يضع احدى عينيه على فم جاره والاخرى على عينيه * ثم يغلّ يديه ورجليه * ويقول له اليوم يجب عليك ان تتنحّس * (١) لان شيخ السوق اصبح متخما يشكو وجعا فى معدته وامعائه واضراسه وهو نحس * فينبغى ان نجانسه ونمسك معه * لا يحل لك اليوم ان تنظر * لان الشيخ المشار اليه اضرّ به طول السهر البارحة مع ندمآئه ونديماته فغدا وباحدى عينيه الكريمتين رمد او عمش * لا يحل لك اليوم ان تعمل بيديك *

(١) التنحّس ترك اكل اللحم *

Digitized by Google

ولا ان تحرك رجليك * ولا ان تسمع باذنيك * او تستنشق بمنخريك لان السوق اليوم لم تقم والبياعات لم تنفق * ثم هو اذا قيل له افلا تصلح بين زيد وزوجته فقد خاصمته بالامس بعد ان جآت من حانوتك العالى وتماسكا بالشعور * وحلفت المراة لتمنينّه بحيزبون او لتشكونه الى احد اصحابك الضواطرة الكبار * او ان عمرا التاجر قد حُبس مذ يومين لكونه دان بعض الامرآء ولم يمكن له ان يحاكمه ويستوفى منه حقه * ففلّسه القاضى واركبه حمارا فى الاسواق ووجهه الى دبر الحمار * او ان فلانا قد مرض ولزم فراشه لانه ناقش بعض خدّام الامير فنكل به الامير ضربا بالعصى على رجليه وصفعًا بالنعال على القذال * فغدا لا حراك به وقد ورمت رجلاه وانتفخ قفاه * لم يكن منه الا قوله ما دام السوق وشيخه سالمين فالدنيا كلها سالمة * والمصالح مستتبّة والسوق مرفوعة وقائمة * والبطون ملأى والافواه لاقمه * والاضراس خاضمه * والمِعَد هاضمه * والايدى غانمه * والافراح دائمه * والخيرات متراكمه * والروسآ حازمه * والعناية عاصمه * والقادمات بالنذور متزاحمه * والوقوف شاملة عامه * وثغور الامانى باسمه * والسلامة خاتمه * الى السوق * الى السوق * فهو حرز العلوق * وذخر الحقوق * فى الصندوق * فى الصندوق * فهو اولى من الصَبوح والغَبوق * وقد طالما والله امتلأ هذا الصندوق ذهبا وجواهر ثم افرغ على تهاتر وترّهات ومباحث فارغة وامور سخيفة * فقد بلغنا ان بعض ضواطرة السوق انفق فى مدة ستّ سنين قضاها بالبحث والجدال على شكل قُبّعة كذا وكذا بدرة من المال * وتفصيل ذلك انه نظر نفسه ذات يوم فى المرآة وكان قد تعلّم مبادى الهندسة والهيئة * فراى راسه مدوّرا كالبطيخة * فراق له ان يتخذ قبّعة مدورة على هيئة راسه * لان المدوّر

Digitized by Google

يلائم المدوّر كما تقرر في الاصول * فرآه بعض مزامليه من سوق آخر وكان اعظم منه قدرا ووجاهة واوفر علما * فسخر منه وقال له مَن وسوس اليك يا ابن قُبَعة * حتى لبست هذه القُبَّعة (١) * مع ان شكل راسك مخروط * فقال له قد ضللت بل هو اكثر استدارة من راسك كما يشهد لي بذلك شيخ السوق * قال كذبت بل هو مخروط وان كنتَ كثير العَنَس اليه وانى اهدى من شيخك واقوم طريقا * قال كفرت وعميت عن معرفة نفسك فانّى لك ان تعرف غيرك * قال تبدّعت بل انت عَمِه كَمِه وقد حمقت وسفهت في عدم قبولك النصح * فاليوم ترى الناس المدوّر من المخروط * والسارط من المسروط * ثم لجّ بينهما العناد وتقابضا بالازياق والجيوب والاقلاع * ثم بالجمم ثم بالاعراض * فمزق كل منهما عرض صاحبه اى عدوّه * ثم صاحا واستغاثا وتشاكيا لدى الحاكم وتباهلا وتهاترا * فلما ثبت للحاكم ان فعلهما فعل الشبازقة (٢) راى ان مداواتهما بغرامة رابية * اولى من حصرهما في الزاوية * فانصرف كل منهما وقد غرم كذا وكذا بدرة * ثم ان الضوطار الاول اتخذ له بعد ذلك قبّعة بين بين * اى نصفها مدوّر ونصفها مخروط بحيث لا يقدر على تمييزها الا الجهبذ النحرير * والناقد الخبير * وآب الى حانوته كمن قفل من غزوة * او اسر الدِحْيَة * (رئيس الجند) او كذلك الديك الغالب * واول ما اطلّ على السوق امر جميع القبّعيّين ان يخرجوا لملاقاته بالتقليس لا بالتلقيس (٣) * فخرجوا على تلك الحالة وهم يضجون ويقولون * اليوم عيّد القبعه * اليوم يوم الفرقعه * يا اِمّعه يا اِمّعه * فبصر بهم اعوان الحاكم في ذلك الصقع فظنوا انهم خلعوا ربقة الطاعه * وشقوا عصا الجماعه * فبادروهم بالات الأزّ والبحز والبخز والبزّ والبغز والبهز والجَرْز والجلز والحزّ والحفز والخز والدغز والرزّ والرفز

(١) ابن قُبَعة وقابعاً وصف بالحمق *

(٢) الشَبْزَق مَن يتخبطه الشيطان من المسّ *

(٣) التقليس استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو وان يضع الرجل يديه على صدره ويخضع * والتلقيس مبالغة لقسه اى عابه ولقّبه *

Digitized by Google

والززّ والشخز والشرز والشفز والشكز والضخز والضفز والطعز والعرز والقحز والقلز واللبز واللتز واللزّ واللكز واللقز واللمز واللهز والمحز والمرز والمهز والنحز والنخز والنغز والنكز والنهز والوخز والوكز والوقز والوهز والهبز والهرز والهمز والرهز * حتى جعلوهم عبرة للمعتبر * وفرّ الضوطار بقبعته وقد اوقع قومه فى الخزى والعار مما اصاب الرجال من الرزء ولحق النسآ من الزيادة * ومع ذلك كله فلم يُجّده شيخ السوق المستعَزّ به شيا * بل ظل مكبّا على تعاطى الافيون لطول ارقه وتبييته * وقد سدّ اذنيه ببعض اوراق دفاتر السوق لئلا يسمع صراخ المستجيرين به او يوقظه احد من سباته * فهو راقد الى هذا اليوم اى يوم تدوين هذه الواقعة * فان افاق فللقارى ان يقيد ذلك فى اخر هذا الفصل فقد تركت له محلا *

انتهت دحرجة الجلمود والحمد لواجب الوجود *



Digitized by Google



الفصل الثانى

في سلام وكلام *

عمت صباحا يافارياق * كيف انت * وكيف رايت الاسكندرية * هل تبيّنت نسآها من رجالها فان النسآ فى بلدكم لا يتبرقعن * وكيف وجدت مآكلها ومشاربها وملابسها وهوآها ومآها ومنازهها واكرام اهلها للغربآء * الم يزل براسك الدُوار * وعلى لسانك هجو الاسفار * قال اما موقع المدينة فانيق لكونه على البحر * وقد زادت بهجة بكثرة الغربآ فيها فترى روس ناس مغطاة بطراطير * واخرى بطرابيش * واخرى بكمام وغيرها بمقاعط * واخرى ببرانس وغيرها بعمائم * واخرى باَصناع وغيرها بعصائب * واخرى بعُمارات وغيرها بمداميج * واخرى بنِصاف وغيرها بقبّعات * واخرى بقلانس وغيرها ببراطل * واخرى بسُبوب وغيرها باراصيص (١) * واخرى باراسيس وغيرها بخنابغ * واخرى بقنابع وغيرها بدُنّيّات واخرى بصواقع * وغيرها بصُمُد واخرى بصوامع * وغيرها بمشامذ واخرى بمشاوذ * وغيرها ببرانيط على شكل الشقيط والشبابيط والصفاريط والضماريط والقلاليط والعضاريط والعذافيط والعماريط والقماعيط * ومنهم من له سراويلات طويلة مفرسخة تكنس ما خلفه وما قدّامه * ومنهم من لا سراويلات له فبُعثُطه بادٍ والناس يتمسّحون بما امامه * ومنهم من له تبّان * ومنهم من له إتب * ومنهم

(١) الأرصوصة قلنسوة كالبطيخة *

بوثر ومنهم بهميان * ومنهم برجّل (السراويل الطاق) ومنهم بانَدَرُوَرْد *
ومنهم بدِقّرارة او دُقّرور * ومنهم من يركب الحمير والبغال * وغيرهم على
الخيل والجمال * والابل في ازدحام * والناس في التطام * فينبغي للسائر
بينهم ان لا يفتر من الدعآ بقوله اللهم اَجِر * اللهم احفظ * اللهم الطف *
توكلت على الله * استعنت بالله * اعوذ بالله * فاما براقع النسآء فهى
وان كانت تخفى جمال بعضهن الا انها تريح العين ايضا من قبح سائرهن *
غير ان تستّر القبيحات اكثر * لان المليحة لا يهون عليها اذا خرجت من
قفصها ان تطير فى الاسواق من دون ان تمكّن الناظرين من رؤية
ملامحها * لينظروا حسنها وجمالها ويكبّروا لافترارها * فيقولوا ما شا الله *
تبارك الله * جل الله * الله الله * حتى اذا رجعت الى منزلها اعتقدت ان
جميع اهل البلد قد شُغفوا بها حبا * فباتت تنتظر منهم الهدايا والصِلات *
والاشعار والمواليات * فكلما غنّى مغنّ انصتت الى غنائه وسمعت اسمها
يتشبّب به * فاذا بكرت فى اليوم القابل الى الاسواق ورات الناس مكبّين
على اشغالهم تعجبت من بقآئهم اصحّآ قادرين على السعى والحركة *
فزادت لهم فى كشف مسافرها * وقسامتها ومحاجرها * وفتنتهم باشاراتها
وايمائها * ورأراتها وايبائها * ورمزها ولمزها * وهَجلها وغمزها * وغنجها
ودلالها * وتيهها وعجبها * وزهوها وشكلها * وتدعّبها وتصعيرها * ودعلجتها
ودغنجتها * وتبغنجها ودهمجتها * وشزرها وخزرها * وشَنفها وحدقلتها *
وشفونها وازلاقها * واستكفافها واستشفافها * واستيضاحها واستشرافها *
وخلاعتها وخُيَلائها * وتمايلها وتهاديها * وتغدّنها وتعاطفها * وتثنّيها وتاوّدها *
وتدكّلها وتخوّدها * وتذيّلها وتعيّلها * وتفتّلها وتقتّلها * وتذبلها وترفلها *
وتبختّرها وتخطلها * وتفخنها وتدهكرها * وتبهكنها وتهذخرها * وتخلعها

وتفككها * وميْحها وحككها * وتدأديها وتغطرفها * وتوذفها وتغضفها * ودألها ووهازتها * والّها وهوادتها * وخيزلاها وخيزراها * وزأنباها واوزاها * ومُطيطآئها وكرذحائها * وهَبْيخاها وعجيساها * وهربذاها وحيداها * وهبصاها وجيضاها * وفنجلاها وهبلاها * وخبقاها ودفقاها * وعرقلاها وهمقاها * وعميثليتها وقمطراها * وسبطراها * وتبدحها وترنحها * وخندفتها وخزرفتها * وخظرفتها وبادلتها * وبحدلتها وبهدلتها * وذحذحتها وحرقلتها * وحركلتها وهركلتها * ورابلتها ورهبلتها * وقهبلتها وكسملتها * وقندبلتها وحنكلتها * وعردلتها وهيقلتها * وخذعلتها ودربلتها * وزيحلتها ووكوكتها * وكوكوتها ووذوذتها * وذوذونها وزوزكتها * ورهوكتها وفرنكتها * ومكمكتها ورهدنتها * وكتكتتها وبرقطتها * وقرمطتها وحرقصتها * وزهزمتها وحذلمتها * ودعرمتها وزهلقتها * وترهيئها وتعمّجها * وتبهرسها وتهبرسها * وتغطرسها وتهطرسها * وتكدسها وترهوكها * وتهالكها وتهكيلها * وتفركها وتومّزها * وتهيّمها وأُنُفها * ورَسْمها وزوفها * وزيفها وهوجلها * وحتكانها وعتكانها * وزيكانها وزوكانها * ورفلانها وملدانها * وزيفانها وذألانها * ورَيسانها وكتفانها * وميسانها وتزابيها * وهَمَذانيها وتشرطلها * وتعذلقها وتخزلجها * وحقطها ولبطها * وبفزّها وقفزها ونقزها مقبلة مدبرة * وزاد طمعها ايضا فى الهدايا * قال وقد نظمت فى البرقع بيتين ما اظن احدا سبقنى اليهما وهما *

لا يحسب الغِرّ البراقع للنسا منعا لهن عن التمادى فى الهوى
ان السفينة انما تجرى اذا وُضع الشراع لها على حكم الهوا

فاما رجالها فان للترك سطوة على العرب وتجبرا * حتى ان العربى لا يحلّ له ان ينظر الى وجه تركى كما لا يحل له ان ينظر الى حُرَم غيره * واذا

Digitized by Google

اتفق فى نوادر الدهر ان تركيا وعربيا تماشيا اخذ العربى بالسُنّة المفروضة * وهى ان يمشى عن يسار التركى محتشما خاشعا ناكسا متحاقرا متصاغرا متضائلا قافًا متقبضا متقبصا متقفصا متشمصا متحمصا متحرفصا مكتنزًا متكاولا متازّحا متقرفعا متقرعفا مقرعفًا متقفّعا متكنبثا مقعنصرا متقوصرا مستزمرا معرنفطا مقرنفطا متجعثما متجعثنا مرزئمًا مرمئزًا مقمئنًا مكبئنًا متحنبلا متقاعسا مراعزا مكردحا متضامًا متصعصعا متزازئا مقرنبعا مدنقسا مطمرسا مطرمسا متكرفسا منقفشا معقنفشا متحويا معرزنما متخشّلا آزما لازبا كاتعا كانعا متشاجبا مُصَعّنبا مُجَرّبزا مجرمزًا متدخدخا * فاذا عطس التركى قال له العربى رحمك الله * واذا تنحنح قال حرسك الله * واذا مخط قال وقاك الله * واذا عثر عثر الآخر معه اجلالا له وقال نعشك الله لا نعشنا * وقد سمعت ان الترك هنا عقدوا مجلس شورى استقر رايهم فيه لدى المذاكرة على ان يتخذوا لهم مركبا وطيئا من ظهور العرب فانهم جرّبوا سروج الخيل وبراذع الجمال واكفها واقتاب الابل وبواصرها وحُصُرها وسائر انواع المحامل من

كِفْل	مركب للرجال *
وشِجار	مركب يتخذ للشيخ الكبير ومن منعته العلّة من الحركة *
وحِدْج	مركب للنسآ كالمحفّة *
واُجْلح	هودج ما له راس مرتفع *
وحُوْف	شى كالهودج وليس به *
وقَرّ	مركب للرجال والهودج *
ومِحفّة	مركب للنسا *
وفِرفار	مركب من مراكب النسا *

Digitized by Google

وحَمل هودج *

وحِلال مركب للنسآ *

وكُدْن مركب لهن *

وقَعْش مركب كالهودج *

ومُحارة شبه الهودج *

وقَعَدة مركب لهن *

وكُتْر الهودج الصغير *

ومِشْرة ج موائر مراكب تتخذ من الحرير والديباج *

ورِجازة مركب اصغر من الهودج *

وعَريش كالهودج *

وعَبِيط مركب *

وجِزْق مركب شبيه بالباصَر *

وبُلْبُلة هودج للحرائر *

وجِقْل هودج *

وتُوأمة من مراكب النسآ ج تُوَأمات *

وفَوْدج الهودج ومركب العروس *

ومن رَحْل وعجلة وعرش وشَرْجَع ومِزفّة ومِنصّة وسرير ونعش فوجدوها كلها لا تصلح لهم * ورايت مرة تركيا يقود جوقة من العرب بخيط من الكاغذ وهم كلهم يقودون له * استغفر الله مرادى ان اقول ينقادون له * ولم ادرِ ما سبب تكبّر هولآ الترك هنا على العرب * مع ان النبى صلعم كان عربيا * والقرآن انزل باللسان العربى * والائمّة والخلفا الراشدين والعلمآ كانوا كلهم عربا *

غير انى اظن ان اكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون ان النبى صلّعم كان يقول شويله بويله * او بقالم قبالم * او

غطالق قاپ خى دلها طغالق پاق يخ بلها
صفالق پاه خشت وكرد فصالق هاپ دركلها
دخا زاوشت قلدى نك خدا شاوزت قردلها
اشكلرهم كبى والله قلاقلها بلابلها

لا والله * ما هذا كان لسان النبى ولا لسان الصحابة والتابعين والائمة الراشدين رضى الله عنهم اجمعين الى يوم الدين امين وبعده امين * فاما ماوها فما احسن راسه وانجعه * الا انه قذر الذنب تنجسه حيوانات الارض باجمعها * وطيور السمآء بجملتها * حتى ان سمك البحر اذا اصابته هيضة طفر الى راس هذا الذنب فالقى فيه ما اثقله * فاما اكلها فالفول والعدس والحمص والزنّ والدَوْسر والقُرَيْناَ والخَرْفى والجُلْبان والباقِلّى والحُنْبُل والدَجْو والخُلّر والبُلْس والبيْقة والترمس والخُرّم والشُبْرُم واللوبيآ وكل ما يحبنطى به البطن * وذلك ان اهلها لا يرون فى الخمائص حسنا * حتى ان النسآ فيما بلغنى يتخذن معجونا من الجُعَل وياكلنه فى كل غداة لكى يسمنّ ويكون لهن عُكَن مطويات * واضرّ ما لاقيت فيها قَيْعَر قيعار * قدم اليها من بعض البلاد الحميرية وتعرف بجماعة من النصارى فيها * فصار يدخل ديارهم ويسامرهم * فلما لم يجد عند احدهم كتابا اقام نفسه بينهم مقام العالم فقال انه يعرف علم الفاعل والمفعول وحساب الجُمّل * واتخذ له كتبا بعضها من غير ابتدآء وبعضها بغير ختام وبعضها مخروم او

Digitized by Google

محو * فكان اذا خاطبه احد فى شى عمد الى بعض هذه الكتب ففتحه
ونظر فيه ثم يقول * نعم ان هذا الشى هو من الاشيآ التى اختلف فيها
العلمآ * فان بعض مشايخنا فى الديار الحميرية يتهجاه كذا * وبعضهم
فى الديار الشامية كذا * ولمّا يستقرّ رايهم عليه فاذا استقرّ فلا بد من
ان يخبرونى به * قال الفارياق وقد سمعت مرة مَن استفزّه باعث من
الشغل يساله عن الوقت * فقال له ساعة وخمس دقائق اما الساعة فقد
اشتق منها الساعى وعيسى * اما الساعى فلكون السعى كلمة يتوقف على
الساعات * اذ لا يمكن لاحد ان يعمل عملا خلوّا من الوقت * فا[illegible]
الافعال والحركات محصورة فى الزمان كانحصار —— ثم ادار نظره ليشبه
بشى فراى كوزا لبعض الصبيان * فقال كانحصار المآ فى هذا الكُزّ * ثم
راى زنبيلا لصبيّ اخر فقال او كانحصار غدآ هذا الولد فى هذا الزبّيل *
واما عيسى فلكونه اشتمل على جميع المعارف والعلوم اشتمال الساعة
على الدقائق * ثم ان قولى خمس حقيقة معناه اربعة بعدها واحد او
ثلثة قبلها اثنان ولك ان تعكس * وانما قالوا خمس دقائق ولم يقولوا
خمسة طلبا للتخفيف والعجلة فى الكلام * فان بطول الالفاظ يضيع
الوقت * وقولى دقائق هو جمع دقيقة وهو مشتق من الدقيق
للطحين * اذ بينهما شبه ومناسبة بجامع النعومة * ثم ان هناك الفاظا
كثيرة تدل على الوقت وهى المسآ والليل والصبح والضحى والظهر والعصر
والدهر والابد والحين والاوان والزمن * اما الستّ الاولى ففيها فرق
واما الاخيرة فلا * فاعترضه رجل من اولئك الكبرآ وقال قد رابنى
يااستاذنا ما قلت * فان كلّا من جاريتى وستّها لها فرق * فضحك
الشيخ من حماقته وقال له ان كلامى هنا فيما حواه الزمان لا فيما

Digitized by Google

حواه المكان * فساله آخر قائلا اين جامع النعومة هذا الذى ذكرت ان فيه الدقيق * فضحك ايضا وقال اعلم ان لفظة جامع تسمّى عندنا معاشر العلمآ اسم فاعل اى الذى يتولى فعل شى ايّا كان * لكنى طالما عزمت على ان اناقشهم فى هذه التسمية * لان من يموت او ينام مثلًا لا يصح ان يقال فيه انه فاعل الموت او النوم * فقولى جامع على القاعدة المعلومة عندنا هو اسم لمن جمع شيا * حتى ان الكنيسة يصح ان يطلق عليها لفظ الجامع لانها تجمع الناس * فلما قال ذلك اكفهرت وجوه السامعين * قال فسمعت بعضهم يجمجم قائلا * ما اظن الشيخ صحيح الاعتقاد بدين النصارى * فقد اصابت اساقفتنا فى حظرهم الناس ان يتبحّروا فى العلوم ولا سيما علم المنطق هذا الذى يذكره شيخنا * فقد قيل من تمنطق تزندق * ثم انصرف عنه الجميع مدمدمين * وساله مرة قسيس عن اشتقاق الصلوة * فقال هى مشتقة من الاصلآ لان المصلى يحرق الشيطان بدعائه * فقال له القسيس اذا كان ماوى الشيطان سقر مذ الوف سنين ولم يحترق فكيف تحرقه صلوة المصلّى * فتناول بعض الكتب ليقتبس منه جواب ذلك فاذا به يقول * قال احد علمآء الرهبان الاحتراق على نوعين * احتراق حسّى كمن يحترق بالنار * ومعنوىّ كمن يحترق بحبّ العذرة * ثم وقف وتناوّه قائلا * قد اخطأ سيدنا الراهب * لان العذرآ يجب مدّها * فقال القسيس وقد حنق عليه كيف يجب مدّها اذا لم تنشأ * قال ويلى عليك انت الآخر لا تعرف المدّ والقصر فى الكلام واطفال الحارة فى بلادنا يعرفون ذلك * قال بلى ان اقتصار الكلام مع من يخطّى الرهبان مزية * ثم تولى من عنده مدمدما * قال الفارياق وقال

Digitized by Google

لى مرة قد يظهر لى ان حق استعمال دعا اذا اريد به معنى الصلوة ان يتعدّى بعلى * فيقال دعوت عليه كما يقال صليت عليه * قال فقلت له لا يلزم من كون فعل يوافق فعلا آخر فى معناه ان يوافقه فى التعدية * فغصّ بذلك ولم يفهمه * وشكا اليه مرة رجل من معارفه اسهالا آلمه * فقال له يغالطه او يسلّيه * احمد الله على ذلك ليتنى مثلك * قال كيف هو ان طال قتل واسال الجسم كله * فقال له انه منّة من الله * الم تسمع كل ملهوف يقول يارب سهل * فقال التاجر انا ما عنيت التسهيل بل الاسهال * فقال هما بمعنى واحد لان افعل وفعّل كلاهما ياتيان للتعدية * كما تقول انزلته ونزّلته * ولان كلّا من التسهيل والاسهال فيه معنى السهولة * وكتب مرة الى بعض المَطارين العظام * المعروض ياسيدنا بعد تقبيل اردافكم الشريفة * وحل نعالكم المنيفة اللطيفة * الظريفة النظيفة الرهيفة العفيفة الموصوفة المعروفة المخصوفة * قال فقلت له ما اردت بالارداف هنا * فقال هى فى عرف المطران بمعنى الراحة * ثم لم يلبث ان بعث اليه ذلك المطران ببركة وكتاب اطرا فيه على علمه وفضائله جدا فمما كتب اليه * قد قدم علىّ مكتوبكم الابنىّ وانا خارج عن الكنيسة فما قرانه حتى دخلت الصومعة واولجت فيها * فلما اتيت على اخراه علمت انك صاحب الفضول * مولف الفصول * جامع بين الفروع والاصول * طويل اللسان * قصير اليدان * (عن المحرمات) واسع الجبين * عميق الدين * عريض الصدر * مجوف الفكر * وكتب فى آخره * اطال الله بقاك * وقباك * وهنّاك ومنّاك * والسلام ختام * والختام سلام * والبركة الرسولية تشملكم اولا وثانيا الى عاشرا * فجعل يبدى هذا الكتاب لجميع معارفه وخصوصا لمن كانوا خرجوا من

Digitized by Google

عنده مغضبين لتقريره على لفظة الجامع * فلما وجدوها فى كلام المطران زال عنهم الاشكال والريب فى صحة استعمالها * وزاد الرجل عندهم وجاهة وجلالا * فاما سوالك عن كرم اهل هذه البلدة فانهم كانوا فى ظهور آبائهم على غاية من السماحة والجود * الا انهم لما برزوا الى عالم التجارة وخالطوا اصحاب هذى البرانيط اخذوا عنهم الحرص والبخل واللئامة والرئع * بل برّزوا على مشايخهم * وانهم اذا ضمهم مجلس لم يكن منهم الا الحديث عن البيع والشرآ * فيقول احدهم قد جآنى اليوم جندىّ من الترك فى الصباح ليشترى شيا فتطيرت من صباحه واستفتاحه * اذ لا يخفى عنكم ان الجندى يستدين ولا يقضى دينه * واذا تكرم بنقد الثمن فما يعطى التاجر الا نصفه * فقلت له ما عندى مطلوبك ياافندى * وانما اردت تفخيمه بهذا اللقب ليتادب معى * فما كان منه الا ان دخل الحانوت وبعثر البضاعة كلها واخذ ما اراد منها وما لم يرد * ثم ولّى وهو يسبنى * فيقول آخر وانا ايضا جرى لى مع سيدة من نسآء الترك واقعة * وذلك انها بكرت علىّ اليوم وهى تنوء بحليّها * واقبلت باسمة الىّ وقالت هل عندك ياسيدى حرير مزركش * قلت وقد استبشرت عندى * فقالت ارنى المتاع فاريتها اياه * فتداركتنى بالخفّ وقالت امثلى يرى هذا * ارنى غير ذلك * فاريتها ما اعجبها فاخذته وقالت ابعث معى من يقبض الثمن * فبعثت غلامى فتبعها حتى دخلت دارا كبيرة وامرت حاجبها بضرب الغلام وايلامه * الا ان الحاجب لما كان من الترك وراى الغلام امرد لم يطاوعه قلبه على ضربه لكن انفذ فيه امر سيدته بما اوصل اليه من الاذى والالم * وهكذا ينقضى نهارهم بالمكروه وليلهم بذكره * واظن ان التاجر يطرب بمجرد ذكر البيع والشرآ وان لم يكن فيه ربح * فاما ما جرى لى

Digitized by Google

بعد وصولى فانى نزلت عند خرجى من اصحاب صاحبى الاول * فتبوأت حجرة بالقرب من حجرته * فكنت اسمعه كل ليلة يضرب امراته بآلة فتبدى الانين والحنين * والرنين والخنين * فكان يهيجنى فعله الى البطش به * وكثيرا ما فكرت فى ان اقوم من فراشى لكنى خشيت ان يصيبنى ما اصاب ذاك الاعجمى المتطبب الذى جاور قوما من القبط * وانه سمع ذات ليلة صراخ امراة من جاراته فظن ان لدغتها عقرب وذلك لكثرة وجود العقارب فى بيوت مصر * فقام الى قنينة دوآ تابطها واقبل يجرى * فلما فتح الباب وجد رجلا على امراة يعالجها باصبعه كما هى عادة القوم * فلما راى الطبيب ذلك دهش فوقعت القنينة من يده وانكسرت * وكان هذا الخرجى ابيض اللون ازرق العينين مع صغر واستدارة فيهما * دقيق ارنبة الالف مع عوج فى قصبته * غليظ الشفتين * وانما تكلفت لوصفه لك ليبقى نموذجا عندك تقيس عليه جميع من تراه من الخرجيين وغيرهم * وكان قد اتخذ فوق سطح منزله هرما صغيرا مرصوفا من قنانى الخمر الفارغة * فكان سطحه اعلى سطوح الجيران * قال ثم عنّ له يوما ان يكلفنى انشآ خطبة فى مدح الخرج لكى اتلوها فى مخطب صغير كان قد استاجره * فلما فرغت منها عرضتها عليه فذهب بها الى قيعر قيعار * فقال له ما مرادك ان تصنع بهذه الاحجيّة الخرجية * قال يتلوها منشئها على الناس فما رايك فيها * قال هى حسنة الا ان عيبها هو ان لا يفهمها احد الا انا وهو * ونحن قد قراناها فلا موجب لاعادتها * فعدل عن ذلك * قال واتفق لى وانا مقيم عنده انى خرجت فى عشية من عشايا الصيف البهيجة امشى وحدى وبيدى نسخة الدفتر * ولما كان راسى قد حفل بالافكار فيما انا عليه من فرقة الاهل والاحباب وذكر الوطن * والتغرّب عنه

لغير سبب من اسباب المعاش سوى لخصام سوقى وخرجى على قال وقيل *
اوغلت فى المشى فانتهيت الى ظاهر المدينة وكان يتبعنى رجل قد راى
نسخة الدفتر فعرفها فاصمر ليمنيننى بداهية * فاقبل الىّ يكلّمنى ثم عطف
بى يمنة ويسرة وهو يعللنى بالكلام حتى انتهينا الى مكان خال * فتركنى
هناك وقال لى ان علىّ ان اقضى هنا مصلحة * فحاولت الوجوع الى مقرّى
واذا بسرب عظيم من الكلاب جرت وهى تنبحنى [illegible]ت منى * فهوّلت
عليها بالكتاب فهجمت علىّ هجمة السوقى على [illegible]رجى * ثم تحاصّوا
جسمى وثيابى والكتاب فبعضهم عضّ * وبعضهم اَدْمَى * وبعضهم جرّ *
وبعضهم تهدّد فى المرة الثانية * فما كدت انملّص من بين ايديهم الا
وثوبى وجلدى ممزق على ممزق * وقد مزّق الدفتر ايضا اوراقه وجلده *
فلما رجعت الى منزلى ورانى الخرجى على هذه الحالة لم يكترث بشانى
او انه لم يرنى من فرط اشتغاله بالخرج * وانما علم انى رجعت خلوا
من الدفتر فاعتقد انى اعطيته لاحد * ففرح بذلك جدا ورغب فى ان
يجعلنى عنده فى مصلحة خرجية * لكن راى من الواجب ان يشاور
صاحبه فمن ثم كتب اليه فى شانى * فابى ذلك وقال لا بد من تسفيرى
الى الجزيرة * لان النية استقرت على هذا من قبل * وما حسن تغيير
النيات * فعزم مضيفى على اجراء ذلك وها انا منتظر السفينة *

Digitized by Google



الفصل الثالث

في انقلاع الفارياق من الاسكندرية

من نحس صاحبنا انه عند سفره الى تلك الجزيرة لم تكن خاصّية البُخار قد عُرفت عند الافرنج * فكانَ سفر البحر موكولا الى الريح ان شاءت هبّت وان شاءت لم تهب * كما قال الصاحب ابن عباد

وانما هي ريح لست تضبطها   اذ لست انت سليمن بن داود

فمن ثم ركب الفارياق في سفينة ريحية من هذا النوع وكان في مدة السفر يتعلم بعض الفاظ من لغة اصحاب السفينة مما يختص بالتحية والسلام * من جملة ذلك دعآء يقولونه عند شرب الخمر على المائدة وهو قولهم طابت صحتك * الا ان لفظ الصحة عندهم يقرب من لفظ جهنم فكان يقول طابت جهنمك * فكانوا يضحكون منه وكان هو يسبّهم بقلبه ويقول * قاتل الله هولآء العلوج انهم يقيمون في بلادنا سنين ولا يحسنون النطق بلغتنا * فيلفظون السين اذا سبقها حركة زايا وحروف الحلق وغيرها محالة ونحن لا نضحك منهم * وقد سمعت ان بعض قسّيسيهم الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة ان يخطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عليه ساعة الى ان قال * « ايها الكوم « كد فات الوكت الان ولكنني اهتب فيكم نهار الاهد الكابل ان شا الله » *


Digitized by Google

ثم سار الى بعض معارفه من اهل الدراية والعلم والتمس منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن ظهر قلبه او يتلوها تلاوة * وحشد الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر فقال * « بسم الله الرهمن » * ثم كانّه انتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى وان الكاتب انما كتب ذلك على طريقته * فاستدرك كلامه وقال * « لا لا ما بدّيش اكول مسلما بيكول
« كالاسلام بسم الله الرهمن الرهيم بل كما تكول النسارى بسم كالاب
« وكالابن والروه الكدس * ياأولادى المباركين الهادرين هنا لسماء هتبتى *
« وكبول نسيهتى وموهزتى * ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول بلزّات كالآلم *
« اهبرونى هتى اكسر من هتابكم فلا يتدجّر اهد من تُوله ولا يتالّم * وكلا
« فهزى فرسة سنهت لى اليوم * ازكّر فيها النسآ والرجال تزكير من لا يكشى
« اللوم * وانزرهم يوم الهشر والهساب * يوم لا ينفع مال ولا أسهاب *
« ولا سُهال ولا جواب * ايلموا رهمكم الله ان الدنيا زايله * ومتامهها
« باتله * وهالاتها هايله * ومهاليها سافله * فكونوا منها على هَزَر * ولا
« يُدلّكم ما آجب منها وما سرّ * اسرفوا أنّها نُزَركم * ولا تالكّوا بها وَتَركم *
« افهسوا فيها كلبكم كبل ان تسندوا روسكم اَلَى المهدّة * ووازبوا الى
« السلوات فى الديك والشدة * كدموا للكنايس نزوركم ولو كليله * واستهينوا
« بالكدّيسين هال الفتيله * لتنكزوا من المهَن والمسايب * وتتفسّوا من الكرنب
« والنوايب(۱) اهترموا كتّيسيكم واساكفتكم ووكّروهم واكتدوا بهم * واركبوهم ولاهزُوهم
« ترشدوا بسايهم وركسهم ودابهم * ياايّها النّسارَى ان ديننا هو الهك * ووادهُ هو
« كالاسذك * وكيره هو كالاكدك * وسُوكه هو كالانفك * لا تكالتوا هولآ
« الكرجيّين * الّزين اندسّوا فيكم مزهين * يتزتبون فى ادلالكم عن
« الزرات المستكيم * بما يزهرون لكم من الورا والكُلُك الهليم * كالا انهم

(۱) الكرنب مصحّفة عن الكرب *

« هم الزياب الكاتفة المتردية بلباس الهملان * الجايلون فى كل كُتْر
« وسُك ينسبون الينا الزيك والبهتان * وهم ازيك من سلك تريكا *
« واكزب من كشّ سديكا * وكان رفيكا * الى ان قال ايها الكاركون فى
« بهار الهتايا * تجنبوا ما يفدى بكم اليها فان آكبتها أليكم بلايا ورزايا *
« الا فاسرموا ازبابها سرما * وكاوموا اركابها أزما * واستاسلوا جزرها رهزا *
« واكلاوا مُكوّياتها تنالوا ركزًا * الازباب الازباب * فاكتاوا الازباب * حتى
« تهلسوا فى يوم الهساب * من الكساس والازاب * » (اى اقطعوا الاسباب
حتى تخلصوا فى يوم الحساب من القصاص والعذاب) ومع ذلك فلم
يصفعه احد من السامعين بل استمر الى آخر الخطبة على هذا النمط * الا
ان امراة لبيبة كانت قد تزوجت مذ عهد قريب لما سمعت الفقرة الاخيرة
غضبت وقالت * الا لا بارك الله فى يوم راينا فيه وجوه هولآ العجم فقد
احتكروا خيراتنا وارزاقنا * وافسدوا بلادنا وسابقوا ناسنا الى تحصيل
ازائهم من ارضنا * وعلّموا من عرفهم منا البخل والحرص والطيش والسفاهة *
وما لعمرى حصلوا على هذا الغنى الجزيل الا لجشعهم وشحهم * فقد سمعنا
ان الرجل منهم اذا جلس على المائدة مع اولاده ياكل اللحم ويرمى
بالعظام اليهم ليتمششوها * ولكونهم حراميّين غبّانين فى البيع غشاشين *
وقد بلغنى ان اخوانهم فى بلادهم انجس منهم وافسق * وهذا النحس
الان يغرى بعولتنا بارتكاب الفاحشة لتخلو له الساحة فيفعل ما يشآ *
فانى اعلم عين اليقين ان هولآ المنابرتيين انما يقولون بافواههم ما ليس
فى قلوبهم * وانهم ليعلّمون الناس الزهد فى الدنيا والجِبّ وهم احرص
الثقلين عليها واقرم الخلق الى البعال * فما جزآوه الان الا قطع لسانه
حتى يعرف الم القطع * لعمرى ان الانسان لا يهون عليه احيانا ان يقلّم

Digitized by Google

اظفاره لكونها منه * ولذلك كانت اخواتنا نسآء الافرنج يربّين اظفارهن ويفتخرن بها مع انها لا تلبث ان تنبت * فكيف يجوز قطع ما يعمّر به الكون * (طيّب الله انفاسك ياحديثة عهد بالزواج * وعتيقة نقد للاعلاج * ليت النسآ كلهن مثلك وليتنى الثم شفتيك) ثم لما خرج القسيس من الكنيسة اذا بالناس جميعا اهرعوا لتقبيل يده وذيله * وشكروه على ما افادهم من المعانى البديعة بقطع النظر عن غيرها * لما تقرر فى عقولهم من ان من خواص دين النصارى ان تكون كتبه ركيكة فاسدة ما امكن * لان قوة الدين تقتضيه لتحصل المطابقة كما افاده المطران اثناسيوس التتونجى الحلبى البُشكانى الشلّاقى الشَوْلقى الإنقافى النشّافى المقسقسىّ اللَطّاعى النَطّاعى المُصنوى الحُتفلى الاَرْشمىّ الثُرْتمىّ القَدِيحى التخمّى الامّعى فى بعض مولفاته المسمّى بالحكاكه فى الركاكه * قال الفارياق واذ قد ابتلانى الله بعشرة هولآ اللئام فلا بد لى من مجاملتهم ومخالقتهم الى ان يمنّ على بالنجاة منهم * قلت وحيث قد مرّ ما قاله الفارياق فى سفرته الاولى فلا موجب الان لاعادة ذكر شكواه هنا من الم البحر * وانما نقول انه فى خلال معاناته ومقاساته حلف لا يركبنّ بعدها فى شى من مراكب البحر * من

الجُفآ	السفينة الخالية	ذكره صاحب القاموس فى المهموز *
والمرْزاب	السفينة العظيمة او الطويلة *	
والزَبْزَب	ضرب من السفن *	
والبارجة	السفينة الكبيرة للقتال *	
والخليج	سفينة صغيرة دون العَدَوْلىّ *	
والطَرّاد	السفينة الصغيرة السريعة *	

Digitized by Google

والمُعبَّدة السفينة المقيَّرة *

والغامد السفينة المشحونة كالآمد *

والدَسْرآ السفينة تدسر المآ بصدرها ج دُسُر *

والزُرْزُور المركب الضيّق *

والزَنْبَرِىّ الضخم من السفن *

والقُرْقور السفينة الطويلة او العظيمة *

والكار سفن منحدرة فيها طعام *

والهُرْهور ضرب من السفن *

والقادس السفينة العظيمة *

والبُوصِىّ ضرب من السفن *

والصَلْغة السفينة الكبيرة *

والنُهْبُوغ السفينة الطويلة السريعة الجرى البحرية ويقال لها الدونيج معرَّب *

وذات الرَّفيف سفن كان يعبر عليها وهى ان تنضَّد سفينتان او ثلث للملك *

والشُقْدُف مركب م بالحجاز *

والحَرّاقة ج حَرّاقات سفن فيها مرامى نيران *

والزَوْرَق السفينة الصغيرة *

والبُراكيّة ضرب من السفن *

والعَدَوْليّة سفن منسوبة الى عَدَوْلى ة بالبحرين او —

والجَرْم زورق يمنى *

والجَنّ السفينة الفارغة *

والشَوْنة المركب المعدّ للجهاد فى البحر *

Digitized by Google

والتَلَوِّى ضرب من السفن صغير ذكره فى ت ل و *
والجُفاية السفينة الخالية ذكره فى ج ف ى *
والخَلِيّة السفينة العظيمة او التى تسير من غير ان يسيّرها ملّاح او التى يتبعها زورق صغير *
والشَذا ضرب من السفن *
الى الرِكْوة الزورق الصغير *
والقارب السفينة الصغيرة *
والرَمَث خشب يضم بعضه الى بعض ويركب فى البحر *
والطَوْف قِرَب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح يركب عليها فى المآء ويحمل عليها *
والعامَة عيدان مشدودة تركب فى البحر ويعبر عليها فى النهر ويقال لها ايضا العامّة *

وانه بعد وصوله الى مرسى الجزيرة اعدّ له فيه مكان حسن لتطهير انفاسه به مدة اربعين يوما * اذ قد جرت العادة عندهم بان من قدم اليهم من البلاد المشرقية وقد استنشق هواها فلا بد وان يُنشره فى المرسى قبل دخوله البلد * فاقام فيها ياكل ويشرب مع اثنين من اعيان الانكليز ممن ركبوا فى السفينة * وطاب له العيش معهما لانهما كانا قد ساحا فى بلدان كثيرة من المشرق واخذا عن اهلها الكرم * ثم بعد انقضآ المدة جآ الخرجى واخذه الى منزله بالمدينة * وكان المذكور قد فقد زوجته من يوم نُوى تنسفير الفارياق اليه * فلزم الحداد والتقشف * ولزمته الكابة والتاسّف * وأن لا ياكل غير لحم الخنزير اعلى الله شانك عن ذكره * وانما امر طباخه بان يتفنن فيه * فيوما كان يطبخ له راسه * ويوما رجليه *

Digitized by Google

ويوما كبده * ويوما طحاله * حتى ياتى على جميع آرابه ثم يستانف من الراس * وانت خبير بان نصارى الشام يحاكون المسلمين فى كل شى ما خلا الامور الدينية * فمن ثم كان لحم الخنزير عندهم منكرا * فلما جلس الفارياق على المائدة وجآ الطباخ بارب من هذا الحيوان الكريه ظن ان الخرجىّ يمازحه باراآته اياه شيا لم يعرفه * فامتنع ان ياكل منه طمعا فى ان ينال من غيره * واذا بالخرجى قضى فرض الغدآء وشرع حالاً فى الصلوة والشكر للبارى تعالى على ما رزقه * فقال الفارياق فى نفسه قد اخطا والله صاحبى * فانه وضع الشكر فى غير موضعه اذ الثنآ على الخالق سبحانه لاجل فاحشة او اكل سحت لا يجوز * وفى اليوم الثانى جاه الطباخ بعضو آخر * فالتقمه وشكر عليه ايضا * فقال الفارياق للطباخ لمَ يشكر الله صاحبنا على اكل الخنزير * قال ولمَ لا وقد اوجب على نفسه ان يشكر له على كل حال وعلى كل شى كما ورد فى بعض كتب الدين * حتى انه كان يقضى هذا الفرض بعد ان يبيت مع زوجته * قال وهل شكر له على دونها * قال نعم فانه يعتقد انها الان فى حضن ابراهيم * قال اما انا فلو كان لى امراة لما اردت ان تكون فى حضن احد * ثم ان دولة الخنزير اعتزت وعظمت * ومصارين الفارياق صويت وذوت * فكان يقضى النهار كله على الخبز والجبن * ثم بلغه ان خبز المدينة يعجَن بالارجل ولكن بارجل الرجال لا النسآ فجعل يقلّل منه ما امكن * حتى اضرّ به الهزال * وصدئت اضراسه من قلة الاستعمال * فوقع منها اثنان من كل جانب واحدٌ * وهذا اول انصاف فعله الجوع على وجه الارض * اذ لو كانا وقعا من جانبٍ واحد لثقل احد الجانبين وخفّ الاخر فلم تحصل الموازنة فى حركات الجسم * اما المدينة فان القادم اليها من بلاد الشرق

Digitized by Google

يستحسنها ويستعظمها * والقادم اليها من بلاد الافرنج يحتقرها ويستصغرها *
واعظم ما حمل الفارياق فيها على العجب صنفان صنف القسيسين وصنف
النسآء * اما القسيسون فلكثرتهم فانك ترى الاسواق والمنازه غاصّة بهم *
ولهم على روسهم قبعات مثلثة الزوايا لا تشبه قبعات السوقيين فى الشام *
وسراويلهم اشبه بالتبابين فانها الى ركبهم فقط * وسيقانهم مغطاة بجوارب
سود * والظاهر انها عظيمة لان جميع القسيسين فى هذه الجزيرة معلّفون
سمان * وقد جرت العادة عندهم ايضا بان القسيسين واهل الفضل والكمال
من غيرهم يحلقون شواربهم ولحاهم * وانما يجب على القسيسين خاصة
ان يلبسوا سراويلات قصيرة مزنّقة حتى يمكن للناظر ان يتبيّن ما وراها *
فاما النسآ فلاختلاف زيّهن عن سائر نسآ البلاد المشرقية والافرنجية *
ولان كثيرا منهنّ لهن شوارب ولحًى صغيرة ولا يحلقنها ولا ينتفنها * وقد
سمعت ان كثيرا من الافرنج يحبّون النسآ المتذكّرات * فلعل هذا الخبر
الغريب بلغ ايضا مسامعهنّ * كيف لا واهوآء الرجال لا تخفى عن النسآ *
والحسن فيهن قليل جدا * وانقيادهن الى القسيسين غريب * فان المراة
منهن توثر قسيسها على زوجها واولادها واهلها جميعا * ولا يمكن ان تتخذ
طعاما فاخرا من دون ان تهديه باكورته حتى اذا اكل منه اكلت هى *
وقد بلغنى ان امراة سوقية متزوجة اى من حزب شينے السوق رات رجلا
جميلا من الخرجيين فاستحسنته فيهم * وقالت لو دخل هذا الرجل كنائسنا
لزادت به بهجة ورونقا * فارسلت اليه عجوزا تدعوه اليها فلبّى الفتى
دعوتها * لان عداوة السوقيّين والخرجيّين انما هى مقصورة على
الضواطرة والنجشيّين والمحترفيّين لا مبلغ لها عند الرجال والنسآ *
ففاضت معه فى الحديث الى ان قالت له ان كنت تتبع طريقتنا فانى

Digitized by Google

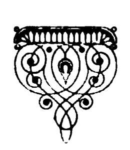
امكّنك من نفسى ولا امنع عنك شيا * فقال لها الشاب اما الذهاب الى الكنيسة فاهون ما يكون علىّ لكونها قريبة من منزلى * واما الاعتقاد فكلينى الى نيّتى * فانى آنف من هذا الاعتراف الذى يكلفكم به القسيسون من اهل كنيستكم * وليس من طبعى الكذب والتدليس حتى اعترف للقسيس بالصغائر واكتم عنه الكبائر * كما يفعله كثير من السوقيين * او اذكر له ما لم افعله واخفى عنه ما فعلته * فتاوّهت المراة عند ذلك واطرقت وهى تفكّر وتحرك راسها * ثم قالت لا باس انّا ليكفينا منك الظاهر كما افادنيه قسيسى * ثم تعانقا وتعاشقا وجعل يتردد عليها وعلى الكنيسة معا * حتى ان الزوانى فى هذه الجزيرة متهوّسات فى الدين * فانك تجد فى بيت كل واحدة منهن عدة تماثيل وصور لمن يعبدونه من القديسين والقديسات * فاذا دخل الى احداهن فاسق ليفجر بها قلبت تلك التماثيل فادارت وجوهها الى الحائط لكيلا تنظر ما تفعله فتشهد عليها بالفجور فى يوم النشور * قال ومن خصائص اهل هذه الجزيرة انهم يبغضون الغريب ويحبون ماله وهو غريب * فان مال الانسان عبارة عن حياته ودمه وذاته * حتى ان الانكليز اذا سالوا عن كمية ما يملكه الانسان من المال قالوا كم قيمة هذا الرجل * فيقال قيمته مثلاً الف ذهب * فكيف يتاتّى لاحد ان يبغض آخر ويحب حياته * وانهم يتجاذبون كل غريب قدم اليهم * فياخذه واحد منهم بيده اليمنى ليريه النسآ * ويمسكه الآخر بالاخرى ليريه الكنائس والدولة لمن غلب * ومن خصائصهم ايضا انهم يتكلمون بلغة قذرة طفسة منتنة بحيث ان المتكلم يُشَم منه رائحة البخر اول ما يفوه * والرجال والنسآ فى ذلك سوآ * واذا استنكهت امراة جميلة وهى ساكتة نشيت منها عرفا ذكيا * فاذا استنطقتها استحالت الى

بَخَر * ومنها انه اذا اصيبت احدى النسآ بدآء فى احد اعضآئها ذهبت الى الصائغ وامرته بان يصوغ لها مثال ذلك العضو من فضة اوذهب لتهديه للكنيسة * ومن كانت معسرة صاغته من الشمع ونحوه * ومن ذلك ان حلق اللحى والشوارب مندوب وحلق ما سواهما محرّم * حتى ان القسيسين يلحّون على النسآ فى السوال كثيرا حين يعترفن لهم عن قضيتى النتف والحلق ويحرزونهن من ارتكاب ذلك * ومنها ان لاهل الكنائس عادة ان يخرجوا فى ايام معلومة بما فى كنائسهم من الدُمى والتماثيل على ثقلها وضخمها * يحملونها على اكتاف المتحمّسين فى الدين فيجرون بها فى الشوارع وهم ضاجّون * واغرب من ذلك انهم يوقدون امامها الشموع حين يودّ كل انسان ان ياوى الى كهف فى بطن الارض من شدة توهج الشمس * وغير ذلك كثير مما حمل الفارياق على العجب * لان اهل بلاده مع كونهم سوقيين ولهم حرص زائد على عداوة الخرجيين لا يفعلون ذلك * وح ثبت عنده ان الخرجيين هم على الهدى الّا فى اكل الخنزير * وان السوقيين على ضلال ماعدا استحسان نسائهم لغيسانيّ الخرجيّين * الا انه ليس من طريقة فى الدنيا الا وفيها ما يحمد وما يذم * وان الانسان تراه فى بعض الامور عاقلا رشيدا وفى غيرها جاهلا غويّا * فسبحان المتصف وحده بالكمال * وانما ينبغى للناقد المنصف ان ينظر الى الجانب الانفع ويقابله بغيره * فان راى نفعه اكثر من ضرره حكم له بالفضل * لا ان يمنّى نفسه بان يجد شيا من الاشيآء كاملا قال الشاعر

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها كفى المرء نُبْلًا ان تعد معايبه

هذا وكما ان الجوع اسقط من فم صاحبنا الضَرِس المستجيع ضرسين *

كذلك اسقطت مشاهدة تلك الامور من راسه اعتبار السوقيين وبنى عمّهم من كلا جانبى الدين والرشاد * فظهر له ان افعالهم احرى ان تكون افعال المجانين * فلهذا ضاق صدره في بلادهم وعيل صبره * مع احتياجه الى الطعام الطيّب الذى كان الفه في الشام والى لباس يليق به * فان الخرجىّ افاده ان المفدّدين على السلع الخرجية لا ينبغى لهم التحفّل بالملبوس * اذ المقصود من الخرج انما هو حمله فقط * مع ان السوقيين يحسبون ان الخرجيّين يستجلبون اليهم المفدّدين بالمال والهدايا * فلهذا كان الفارياق دائم الحزن والاسف * فلم يمكنه وقتئذ ان يتعلم لسان الخرجيين وانما تعلم منهم بعض الفاظ تخصّ ترويج السلعة فقط * هذا وقد كان عند الخرجى المذكور خُرَيْجىّ لئيم * شكس الاخلاق اصفر الوجه * ازرق العينين دقيق ارنبة الانف كبير الاسنان * راى الفارياق يوما ينظر من طاقة له الى سطوح الجيران فنزغه الشيطان ان يسمّر الطاقة * فلما رآها الفارياق مسمرة تفأّل بانها خاتمة النحس * وهكذا كان * فانه مرض بعدها بايام قليلة * فاشار الطبيب على الخرجى بان يسفره الى مصر * فسافر من ثم ومعه كتاب توصية الى خرجى آخر *



Digitized by Google



الفصل الرابع

في مِنصّة دونها غصّة

مازال البحر بحرا * مابرحت الريح ريحا * ما انفك طالع الفارياق هابطا * ما فتئ لسانه فارطا * فلما بلغ الى الاسكندرية وجد فى محل الخرجي القديم خرجيا آخر قد دخل فى مضايق ذميمة لم يرض الشيخ خليل بن ايبك الصفدى ان يدخل فيها * فتخلّف عمن تقدمه وخبثت ريحه بين اقرانه * والحامل له على ذلك انه راى هوآ البلاد شديد الحرارة عليه * فارتاى ان يتخذ له هرمين يتسلقهما حين يحترّ * كما ان سلفه اتخذ هرما من الدنان * فافرغ عليهما من اللجين ما يسيل به واد * فشاع اسرافه هناك وملّه اصحابه * ثم سافر الفارياق من الاسكندرية الى مصر وادّى كتاب التوصية للخرجي * فانزله فى دار رفيق له وكانت محاذية لدار رجل من الشاميّين كان يجتمع عنده كل ليلة جماعة من المغنّين والعازفين بالات الطرب * فكان الفارياق يسمع الغنآ من حجرته * فهاج به الوجد والغرام * وتذكر اوقاته بالشام * وحنّ وصبا الى مجالس الأُنس * وخيّل له انه انتقل من عالم الجن الى عالم الإنس * واسفرت له الدنيا عن لذات مبتكرة * وشهوات مدّخرة * وافراح صافيه * واماني وافيه * فنسى ماكابده فى البحر من الدُوار والفُواق * وفى الجزيرة من الجوع وتسمير الطاق *

Digitized by Google

وما اصابه من نُجُح التفديد * وترح التقليد * وراى لدولة مصر بهجة ورونقا * وفى عيشها رغدا مغدقا * فكانّ الناس كلهم مُعْرِسون * او مفاخرون ومنافسون * ولنسائها كياسة وظرفا وجمالا * ولطفا ولينا ودلالا * وتيها واختيالا * يخطرن فى الطرق بالحبر كالمنشآت * فيجعلن مجموع الهمّ على القلب فى شتات * وما انا باول واصف لهنّ انهن خلّابات للعقول * غلّابات للفحول * فقد وصفهن بذلك كل ناظم وناثر * وذكر مِحالهن كل من حاولهن من الاكابر والاصاغر * وفى المثل السائر * تراب مصر من ذهب * وغيدها نِعْم اللُعَب * وانها لمن غلب * واعجب ما يرى من احوالهن * حين يخرجن من حِجالهن * ويتفلّتن من عكالهن * ما اذا ركبن الحمير الفارهة العالية * واستوين فوقها على منصّة مضمّخة بالغالية * فترى عُرفهن قد ملأ الخياشيم * وحَوَر اعينهن يذكّر الناس بحور جنات النعيم * فكل من ينظر حورية منهن يكبّر عند رؤيتها * ويستصغر الدنيا بجمال طلعتها * ومنهم من يهلّل لالتفاتتها * ويسبّح عند حركتها * ومنهم من يتمنى ان يكون ممسكا بركابها * او ماسا لجلبابها * او حاملا لنعالها * او رافعا لاذيالها * او بطانة لحبرتها * او بوابا لحجرتها * او رسولا بينها وبين عاشقها * او تبعا لتبعها ومرافقها * او مشّاطا يسوّى فرقها * او خياطا يرقع خرقها * او صائغا يصوغ لها سوارا * او حدّادا يصنع لها مسمارا * او بلّانيا يدلك بدنها * او هنًا آخر يدانى هَنَها * وهى من فوق تلك المنصّة تتعزّز وتتمنع * وتشفن وتتطلّع * فترمى هذا بنظرة فتدميه * وذاك بغمزة فتُصبيه وتسبيه * فتعطل على التجار اشغالهم * وتبلبل من ذوى البطالة بالهم * حتى كانّ الحمار من تحتها يعرف قدر مَن حمل * ويدرى ما غرض من كبّر لرويتها وهلّل * فهو لا ينهق ولا يسمع

له شخير * ولا يكرف كسائر الحمير * بل يسمُد على النخيل كبرا * ويمشى الخيلآ زهوا وفخرا * اما قائد الحمار فانه يرى ان قائد الجيش دونه فى المنزلة * وان الناس لفى افتقار اليه فهو الذى لا بدّ له من عائد وصلة * كيف لا وهو الموصوف بالسياسة * والقيادة والفراسة * وهنا قضية نسيت ان اذكرها * فلا بد من ان اقيدها فى هذا الموضع واحررها * وهى ان القلوب بروية المتبرقعات * اولع منها بروية المسفرات * وذلك ان العين اذا رات وجها جميلا وان يكن رائعا شائقا غاية ما يمكن * فان المخيّلة تستقر عليه وتسكن * فاما عند تبصّر الوجه المحجوب * مع اعتقاد القلب بان صاحبه من الجنس المحبوب * ولا سيما اذا قام الدليل عليه بحلاوة العينين * وبالهَدَب وبزجج الحاجبين * فان المخيّلة تطير بالافكار عليه * ولا تجد لها من أمَد تنتهى اليه * فيقول الخاطر (انتهى السجع لانه ملأ الصفحة) لعل هذا الوجه

أثْعُبانىّ	الاثعبان والاثعبانى الوجه الفَخْم فى حسن وبياض *
او ذوانسبات	يقال فى وجهه انسبات اى طول وامتداد *
او هو مُصفَح	المصفح من الوجوه السهل الحسن *
او مُثمعدّ	المثمعد من الوجوه الظاهر البَشَرة الحسن السَّحنة *
او مدنَّر	يقال دنّر وجهه تدنيرا تلالا *
او ملوَّز	الملوّز من الوجوه الحسن المليح *
او مخروط	المخروط من الوجوه ما فيه طول *
او ساجع	الساجع الوجه المعتدل الحسن الخلقة *
او عَنْمىّ	الوجه الحسن الاحمر *
او فَدْغم	الفدغم الوجه الممتلى الحسن *

Digitized by Google

او ذو كلثمة   الكلثمة اجتماع لحم الوجه بلا جهومة *

او مَسْنون   يقال رجل مسنون الوجه مملّسه حسنه سهله *

ولعله جامع لجميع سمات الوسامة فاشتمل على خدين اسيلين * اسجحين او مكتلين * وفى كل خدّ اذا ضحكت غمزة او هُزْمة او شُجّرة او عُكّوة او غُرْمة او فَحّصة او فيهما

عَلْطة   العلطة واللعطة سواد تخطه المراة فى وجهها زينة *

او فى كل منهما خال عمّ حسنه * وعزّ فتنه *

اوفيهما اوفى احدهما خداد (ميسم فى الخدّ) اوتَرْخ (الشرط اللين) *

او وَحْص او عُدّ او ظُبْظاب *   الوحص بثرة تخرج فى وجه الجارية المليحة والظبظاب بثر فى وجوه الملاح ومثله العُدّ *

واشتمل ايضا على ثغر منصّب * ذى شُنُب ورُتُل وحُبُب *   ثغر منصب مستوى النبتة والشنب مآ ورقّة وبرد وعذوبة فى الاسنان اونقط بياض فيها او حدّة الانياب كالغُرْب تراها كالمنشار والرَتَل بياض الاسنان وكثرة مائها والحَبَب تنضد الاسنان وما جرى عليها من المآ كقطع القوارير *

او على تفليج فى ثنايا من الدرّ * ذات أُشُر ووَشْر *   أُشُر الاسنان وأُشَرها التحزيز الذى يكون فيها خلقة او مستعملا يقال اشرت المراة اسنانها واشّرتها والوشر تحديد المراة اسنانها وترقيقها *

او ان لها عِتْرة * تتهالك فى حبّها عِتْرة *   العترة أُشُر الاسنان ودقة فى غروبه ونقآ ومآ يجرى عليه — والريقة العذبة وهى ايضا نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى وغبر *

او ان بذقنها نونة تعوذ بسورة ن * او ان شفتها ريّا او حَوّآ او نَكِعة *

Digitized by Google

اوان فيها لَعَسا او ذَبَبا * او يتصبّب منها العسل تصبّبا *

او ان فيها ثُرملة * تشفى من الوله * الثرملة النقرة فى ظاهر الشفة العليا والنكعة من الشفاه الشديدة الحمرة *

اوان فى طُرْمتها طِرْما * الطُرمة النبرة وسط الشفة العليا والطرم الشهد والزبد والعسل *

او انّ لها تُرْفة * اشهى واعزّ من الترفه * الترفة هنة نانئة وسط الشفة العليا خلقة وهى ايضا النعمة والطعام الطيب والشى الطريف تخص به صاحبك *

او ان لها عُرْعُرة * على مثلها تهون الغرغرة * العرعرة ما بين المنخرين *

او خَوْرَمة * تطيب بها النفس عن الخُرّمة * الخورمة مقدم الانف او ما بين المنخرين والخرّمة واحدة الخرّم وهو نبت كاللوبيا بنفسجى اللون شمه والنظر اليه مفرح جدا ومن امسكه معه احبّه كل ناظر اليه ويتخذ من زهره دهن ينفع لما ذكر *

او نَثْرة * عليها تنثر البدرة * النثرة الخيشوم وما والاه او الفرجة بين الشاربين حيال وَتْرة الانف *

او ان لمراعفها غَفْرا * يكسر شوكة الاجرا * المراعف الانف وحواليه والغفر زئبر الثوب *

او ان لها خُنْعُبة * تشدّ العظام الوَرِبة * الخنعبة النونة او الهنة المتدلية وسط الشفة العليا او الشق ما بين الشاربين حيال الوترة ويقال فيها ايضا الخُنْبعة *

او عَرْتَبة * تصح بها القلوب الوصبة * العرتبة الانف او ما لان منه او الدائرة تحته وسط الشفة او طرف وترة الانف *

Digitized by Google

او عرتمة * هى للحسن سمة * العرتمة مقدم الانف او ما بين وترته والشفة او الدائرة عند الانف وسط الشفة العليا ومثلها الهرثمة *

او ان على ملاظها وملاغمها لغما * ينفى سدما * ويشفى سقما * الملاظ ما حول الشفة والملاغم ما حول الفم كالملامج واللغم الطيب القليل *

او لعل لها نبرة * هى تمام النضرة * النبرة وسط النقرة فى ظاهر الشفة والنضرة الحسن *

او تفرة * يطيل الصب عليها زفره * التفرة مثلثة الاول النقرة فى وسط الشفة العليا *

او حثرمة * تذر القلوب بها مغرمة * الحثرمة الدائرة تحت الانف وسط الشفة العليا او الارنبة او طرفها *

او وتيرة * تفدى بالف وثيرة * الوتيرة حجاب ما بين المنخرين *

او ان لها خيشوما يبرئ كمها * ويطرى ومها * الخيشوم من الانف ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم الراس والومه شدة الحرّ *

او قسامه * يمضى بها العاشق اقسامه * القسامة الحسن والوجه — او الانف وناحيتاه او وسط الانف الخ *

او ان لها ذلفا * يصحّ دنفا * الذلف صغر الانف واستوآ الارنبة او صغره فى دقة اوغلظ واستوآ فى طرفه ليس بحدّ غليظ *

او خنسا تغيب له الخنّس * الخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الارنبة وهى خنسآ والخنّس الكواكب كلها او السيّارة *

او كان انفها مصفحا * المصفح من الانوف المعتدل القصبة *

او اشمّ * الشمم ارتفاع قصبة الانف وحسنها واستوآ اعلاها وانتصاب الارنبة *

Digitized by Google

او ان به قَنَى * قنى الانف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه او نتو وسط القصبة وضيق المنخرين هو اقنى وهى قنيآ *

او ان به غُرْضَين * يلهيان عن التغريض واللُّجين * غرضا الانف ما انحدر من القصبة من جانبيه جميعا•والتغريض اكل اللحم الغريض والتفكه *

او ان لها ناظرين* نفديهما بالناظرين* الناظران عرقان على حرفى الانف *

او ناحرتين * نذيل لهما النحور والمقلتين * الناحرتان عرقان فى اللَّحى وضلعان من اضلاع الصدر او هما الواهنتان والترقوتان *

او حافزا * يشرح قلبا حالزا * ويتلحّز له الشاعر تلحّزا * الحافز حيث ينثنى من الشدق وقلب حالز ضيّق والتلحّز تحلّب فيك من اكل رمانة حامضة ونحوها شهوة لذلك كالتلزّح *

او ان ختابتيها * تحوم القلوب عليها * الخنابتان طرفا الانف *

او ان لها صامغين * هما قرة العين * ورىّ الغين * الصامغان والصماغان والصمغان جانبا الفم وهما ملتقى الشفتين مما يلى الشدقين وهما ايضا السامغان لغة فى الصاد والغين العطش * وياليت شعرى هل يتكوّن فيهما صمغ شهد حتى سميا بهذا وهل هما منطبقان او منفتحان وهل يتلحّز لهما الشاعر المسكين كما تلحّز من الحافزين الله اعلم *

ثم يقول او ان لها حُترة * يديم الصبّ اليهما حَتْره * الحترة مجتمع الشدقين والحتر تحديد النظر * فهل من تلزّح معه *

او ان لها ماضغين * يعوّذان من العين * الماضغان اصول اللحيين عند منبت الاضراس *

Digitized by Google

او غُنّبة * تهنّد الخليّ سُنّبه * الغنبة على مافي القاموس واحدة الغُنَب
وهي دارات اوساط اشداق الغلمان الملاح * لكنّي رايت
رتّة البرقع اولى بها فلا عِكاس ولا مِكاس * على هذا الاختلاس *
والتهنيد التصبي والتشويق والسنبة الدهر *

ولعل عارضها * يتيم معارضها * العارض صفحة الخد وجانب الوجه *

او ان لها عِلاطا * يشغف من ناظره نياطا * العلاط صفحة العنق والنياط
الفواد *

او بُلدة * تفتن اهل البلدة * البلدة نقاوة ما بين الحاجبين وثغرة
النحر وما حولها او وسطها *

اوان لها مَحاجر * تباع لها المحاجر * المحجَر من العين ما دار بها
والمحاجر الثانية ما حول القرية *

او اسارير * يعنو لها من جلس على السرير * الاسارير محاسن الوجه
والخدّان والوجنتان *

او ان طُلّيتها تبرى الطُلْيآ * الطلية العنق او اصلها والطليآ قرحة كالقُوَبآ *

ولَدِيْدَيْها اللُدُود * اللديدان صفحتا العنق دون الاذنين واللدود وجع
ياخذ في الفم والحلق *

ولزيزيها اللزّ * اللزيز مجتمع اللحم فوق الزور واللز الطعن *

ومفاهرها اعز الى ذي مسغبة من الفهيرة * المفاهر لحم الصدر والفهيرة
محض يلقى فيه الرضف فاذا غلا ذرّ عليه الدقيق وسِيط *

وان سالفتيها تغنيان عن السلاف * السالفة ناحية مقدم العنق من لدن
معلق القرط الى قَلْت الترقوة *

ونحرها عن نحر النهار * نحر النهار والشهر اوله *

وترائبها عن الاتراب * الترائب عظام الصدر او ما ولى الترقوتين منه والاتراب واحدها ترب وهو اللدة * ويصح ان تكون ايضا بكسر الهمزة مصدر اترب الرجل اى كثر ماله فليسال القائل عن ايهما اراد * الى غير ذلك من الاحتمالات التى لا بدّ منها لحصيف العقل المستحكم الراى * وانما اطلت الكلام هنا لكونى ناقلا له عمن تبصّر الوجه المحجوب * ودهش عن الاصابة فسال فمه سعابيب *

وغاية ما اقوله انا ان من شاعر امراة ليلا ولم يرها كما جرى لسيدنا يعقوب عمّ وقع له ما وقع لصاحبنا هذا المكثر من اللعلّات والإنّات والآوّات * ولقائل ان يقول ان هذه القضية معكوسة فى شان المراة اللابسة * فان النظر اذا وقع عليها وهى متسترة وقفت معه المخيلة عند حدّ ما * بخلاف العريانة فان المخيلة والقلب عند النظر اليها يطيران عليها ولا يقفان على حدّ فالمخيلة تتصور اشيآ والقلب يشتهى اشيآ اخرى * وللمجيب ان يقول ان ذلك انما نشا عن الفرق الحاصل بين الوجه والجسم * فان الجسم من حيث كونه اكبر من الوجه اقضى طيران المخيّلة اليه * وحومان القلب عليه * وردّ هذا القول جماعة منهم الصباباتى والمباعلىّ والالغزىّ وابو ازّ * بان كبر الجسم هنا ليس سببا للطيران والحومان * اذ لو لم يبدُ منه الا موضع واحد لكفى * فبقى الاشكال غير مدفوع * واجيب بان العلة فى ذلك انما هى لكون الجسم جسما والوجه وجها * وسُفّه هذا القول فانه تحصيل للحاصل * وقيل انما هو لكون الوجه محلّا لاكثر الحواس * ففيه مخزن الشم والذوق والبصر وقريب منه مخزن السمع * وارتضاه جماعة منهم العَزهى والتيتاى والذَوذخى * وردّ بان هذه الحواس لا مدخل لها هنا * فان المراد من كونيّة المراة لا يتوقف عليها اصالة فهى مستغنًى عنها * وقيل انما هو لكون الجسم يحرى

Digitized by Google

اشكالا كثيرة * ففيه الشكل القمقمي والرمّاني والقرموطي والاطاري والخاتمي والقبّي والعمودي والهَدَفي والصادي والميمي والمدرّج والمخروط والهلاليّ ومنفرج الزاوية * وردّ بانه كقول من قال انه اكبر من الوجه وجوابه كجوابه * وقيل انما هو لكون العادة الاغلبية هي ان يكون الوجه حاسرا والجسم مستورا * فاذا راى الانسان ما خالف العادة هاجت خواطره وطارت افكاره * وقيل غير ذلك والله اعلم * ويحتمل ان هذه القاعدة التي استدركت ذكرها غير صحيحة فياليتني نسيتها فان ذكرها اوجب المناقشة بين العلمآء * والحاصل ان الغرام البرقعي لما باض وفرخ في راس الفارياق غرّدت اطياره عليه لان يتخذ له آلة لَهْو * فما عتّم ان تابّط له طنبورا صغيرا من السوق * وجعل يعزف به في شباك له مطلّ على دار رجل من القبط * وكان عند الخرجي خادم مسلم قد عشق ابنة القبطي فغار عليها من الطنبور * فسعى بالفارياق الى سيده قائلا اذا سمع المارّون في الطريق صوت الطنبور من دارك ظنوا انها دسكرة او حانة او ثُكْنة (مركز الاجناد ومجتمعهم على لوآء صاحبهم الخ) لا دار للخرجيّين * لان هذه الآلة لا يستعملها غير الترك * فشكره الخرجي على ذلك واستصوب ما قاله واوعز الى الفارياق بالغآء الآلة * فالغاها وجعل يفكّر في التملّص من ايدي هذه الزمرة التي لم يبرح اذاها واصلا اليه من كل شبّاك سوآ في الجزيرة والارض * ثم بعد ايام قليلة هرب الخادم بالبنت وتزوّج بها بعد ان اسلمت والحمد لله رب العالمين *



الفصل الخامس

في وصف مصر

قد وصف مصر كثير من المورخين المتقدمين * ومدحها جمّ غفير من الشعرآ الغابرين * وها انا اليوم واصفها ومادحها بما لم يسبقني اليه احد من العالمين * فاقول انها مصر من الامصار * او مدينة من المدن * او مَدَرة من المَدَر * او كورة من الكُوَر * او قصبة من القَصَب * او بُحرة من البُحَر * او ماهة من الماهات * او قرية من القرى * او قارية من القوارى * او عاصمة من العواصم * اوصقع من الاصقاع * او دار من الديار * او بلدة من البلاد * او بلد من الابلاد * او قطر من الاقطار * او شي من الاشيآ * غير ان اهلها يقولون انها مصر الامصار * ومدينة المدن * وعاصمة العواصم * وشي الاشيآ الى آخره * وما ادرى فرق ذلك * وكيف كان فانها مدينة غاصة باللذات السائغة * متدفقة بالشهوات السابغة * توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عبد اللطيف البغدادى * يجد بها الغريب ملهى وسكنا * وينسى عندها اهلا ووطنا * ومن خواصها ان ما يذهب من اجسام رجالها يدخل في اجسام نسائها * فترى فيها النسا سمانا كالاقط بالسمن على الجوع * والرجال كالحشف بالشيرج على الشبع * ومنها ان اسواقها لاتشبه رجالها البتة * فان لاهلها لطافة وظرافة وادبا وكياسة وشمائل

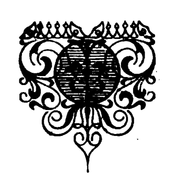
مرضية واخلاقا زكية * واسواقها عارية عن ذلك راسا * ومنها ان ماها لا يشبه عيشها اى خبزها * فان الاول عذب والثانى تافه * ومنها ان العالم فيها عالم والاديب اديب والفقيه فقيه والشاعر شاعر والفاسق فاسق والفاجر فاجر * ومنها ان نساها يمشين تارة على الارض كسائر النسا وتارة على السقف وعلى الحيطان * ومنها تذكر المونث وتانث المذكر مع ان اهلها متقنون للعلم واى اتقان * ومنها ان حماماتها لا تزال تقرا فيها سورة او سورتان من القرآن فيها ذكر الاكواب والطائفين بها * فالخارج منها يخرج طاهرا وجنبا * واعجب من ذلك ان كثيرا من رجالها ليس لهم قلوب * وقد عوض الواحد منهم عن قلبه بكتفين وظهرين وباربعة ايدى واربعة ارجل * ومن ذلك ان كثيرا من البنات اللاى يغسلن اقمصتهن فى بعض مجارى النيل يتعممن بقمصانهن بعد غسلهن ويمشين عريانات * ومنها ان قوما منهم بلغهم ان نسآ الصين يتخذن او بالحرى يُتّخذ لهن قوالب من حديد لتصغير ارجلهن عن المقدار المعهود * فجعلوا يشذّبون اصابعهم واعتقدوا ان اليد اذا كان بها اربع اصابع فقط كانت اخف للعمل وانفع لصاحبها * مع ان الاصابع والكفوف عندهم ليست مما يكسى حتى تقضى عليهم بزيادة النفقة * كما هو شان الافرنج الذين لا يغادرون عضوا من اعضائهم الا ويكسونه احتفالا به وتفخيما له او حذرا عليه من العدوى * ومن ذلك اى من الخواص لا من الاعضاء ان البنات اللاى يُستَخدمن فى الميرى لحمل الآجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير ذلك * يحملنه على روسهن وهن فرحات جامحات رامحات سابحات صادحات مادحات مازحات * غير آحّات ولا ترحات ولا دالحات ولا رازحات ولا كالحات ولا نائحات * ومن كان نصيبها من الآجرّ نظمت عليه موالا اجرّيا * او من

الجبس غنّت له اغنية جبسية * كانما هن سائرات في زفاف عروس *
ومن ذلك ان فيها ديوانين عظيمين يقال لكل منهما الديوان المخدّمي *
فالديوان الاول قيّمه رجل يجهز للرجال ما يلزمهم لتبريد فرشهم من هو *
والديوان الثاني وهو دونه في القدر والشان قيمته امراة تجهز لهم ما يلزمهم
لتسخينهم من هي * واصل منشى الديوان الاول عجميّ * وقد صار الان
من الشهرة والنباهة عند العرب بحيث انك لا تزال تسمع بذكره والثنآ
عليه في كل مقام ولا يكاد يخلو منه مجلس انس او غنآ او ادب * ومن ذلك
ان البرنيطة فيها تنمي وتعظم * وتغلظ وتضخم * وتتسع وتطول وتعرض
وتعمق * فاذا رايتها على راس لابسها حسبتها شونة * قال الفارياق وكثيرا
ما كنت اتعجب من ذلك واقول * كيف صح في الامكان وبدا للعيان
ان مثل هذه الروس الدميمة * الضئيلة الذميمة * الخسيسة اللئيمة * المهينة
المليمة * المستنكرة المشئومة * المستقذرة المهوّعة * المستقبحة المستفظعة *
المستسمجة المستشنعة * الفسترذلة المستبشعة * تقلّ هذه البرانيط المكرمة *
وكيف انماها هوآ مصر وكبّرها الى هذا المقدار * وقد طالما كانت في
بلادها لا تساوي قارورة الفراش * ولا توازن ناقورة الفَراش * وكيف كانت
هناك كالترب فاصبحت هنا كالتبر * ياهوآ مصر يانارها ياماآها ياترابها صيّري
طربوشي هذا برنيطة وان يكن احسن منها عند الله والناس وافضل *
واجلّ وامثل * وللعين ابهى واكمل * وعلى الراس اطبق * وبالجسم اليق *
وغير ذي قرون تتملّق لتتلمّق * ويُزرَق عليها لتزرق * قال فلم يغن
عني الندآء شيا وبقي راسي مطربشا * وطرف دهري مطرفشا * ومن ذلك
ان قوما من الهُكَكآء المهاكيك فيها يمرأون ويبرقعون لحاهم ويزاحمون
ذوات البراقع على مورد الانائية * فتراهم يتحففون ويهجلون ويتبازون

ويوكوكون ويوزوزون ويباغمون وهم اقبح خلق الله * ومن ذلك ان لضابط البلد شفقة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم * وذلك انه يامر جميع السالكين فى طرقها ليلاً ان يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة مقمرة * خيفةً ان يعثروا بشى فى اسواق المدينة فيسقطوا فى هوة او جبّ فتنكسر ارجلهم او تندقّ اعناقهم * ومن وُجد ليلاً يطوف من غير ذوى البرانيط وليس بيده فانوس غُلّت رجله الى يده * ويده الى عنقه * وعنقه الى حبل * والحبل الى وتد * والوتد الى حائط * والحائط الى ناكر ونكير * وتصلية سعير * ومن ذلك ان لبنى جِنّا فيها اسلوبا فى الكتابة لا يعرفه احد الا هم * ولهم حروف كحروفنا هذه الا انها لا تقرا الا اذا ادخلها الانسان فى عينه كذلك رايتهم يفعلون * ومنها انه اذا مات منهم احد فلا يزال اهل الميت يندبونه وينوحون عليه حتى يؤوب اليهم ووطبه ملآن من الطرّيخ * ومن خصائصها ايضا ان البغاث بها يستنسر * والذباب يستصقر * والناقة تستبعر * والجحش يستمهر * والهرّ يستنمر * بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة * ومن ذلك ان كثيرا من اهلها يرون ان كثرة الافكار فى الراس * يكثر عنها الهموم والاكدار او بالعكس * وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور * كما ان الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره * وان تلك الكثرة سبب فى الاقلال * وهذا الطول موجب لقصر الاجال * واوردوا على ذلك براهين سديدة * قالوا ان العقل فى الراس كالنور فى الفتيلة * فما دام النور موقدا فلا بد وان تنفد الفتيلة ولا يمكن ابقاوها الا باطفآء النور * او كالمآ فى الوادى * فاذا دام المآ جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب فى البحر فمتى حُقن بقى * او كالفلوس فى الكيس * فما دام المفلس اى صاحب الفلوس يمدّ

Digitized by Google

يده الى كيسه وينفق منه فنى ما عنده * لا ان تربط يده عن الكيس او يربط الكيس عن يده * او كالتيس النازى * فانه اذا دام نزوه نزفت مادة حياته فهلك فلا بد من نجفه * فمن ثم اصطلحوا على طريقة لتوقيف جريان العقل فى ميدان الدماغ حينا من الاحيان ليتوفر لهم فى غيره * وذلك بشرب شى من الحشيش او بمضغه او بالنظر اليه او بذكر اسمه * فحين يتعاطونه تغيب عنهم الهموم ويحضر السرور * وتولى الاحزان * ويرقص المكان * فمن يرهم على هذه الحالة ودّ لو يُكتب فى زمرتهم ويدخل فى دائرتهم وان يكن قاضى القضاة * ومن ذلك ان طرقها لا تزال غاصة بالابل المحمّلة * فينبغى للسائر فيها اذا راها مقبلة ان يخلى لها الطريق * أو لا فلا يامن ان يفقد احدى عينيه * وقد ينشا عن هذا الزحام فوائد كما فى حكاية المراة التى سارت مع امها لتحضر عرس اختها فطالعها من محلها *





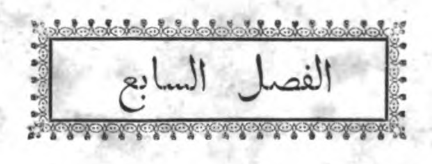
Digitized by Google



الفصل السادس

في لا شي

قد كنت اظن انى اذا تركت الفارياق واخذت فى وصف مصر استريح فاذا هو هى او اياها * فينبغى لى الان ان امكث فى ظل هذا الفصل الوجيز قليلا لانفض عنى غبار التعب ثم اقوم ان شا الله تعالى *



الفصل السابع

في وصف مصر

قد قمت حامدا لله شاكرا * فاين القلم والدواة حتى اصف هذه المدينة السعيدة الجديرة بالمدح من كل من رآها * لانها بلد الخير ومعدن الفضل والكرم * اهلها ذوو لطف وادب واحسان الى الغريب * وفى كلامهم من الرقة ما يغنى الحزين عن التطريب * اذا حيّوك فقد احيوك * وان سلموا عليك فقد سلّموك * وان زاروك زادوك شوقا الى رويتهم * وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلا عن مجالسهم * اما علماوها فان مدحهم قد انتشر فى الافاق * وفات فخر من سواهم وفاق * بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشة الوجه ما لا يمكن المبالغة فى اطرائه * ولكل نوع من

Digitized by Google

الناس عندهم اكرام يليق به سوآ كان من النصارى او من غيرهم * وربما خاطبوهم بقولهم ياسيدى ولا يستنكفون من زيارتهم ومخالطتهم ومعاشرتهم خلافا لعادة المسلمين فى الديار الشامية * وبذلك لهم الفضل على غيرهم * وكانّ هذه المزية وهى حسن الخلق ورقة الطبع امر مركوز فى جميع اهل مصر * فان لعامتهم ايضا مخالقة ومجاملة * وكلهم فصيح اللهجة بيّن الكلام سريع الجواب * حلو المفاكهة والمطارحة * واكثرهم يميل الى هذا النوع الذى يسمونه الانقاط * وكانه المجارزة وهى مفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجى * فان من لم يكن قد تدرّب فيه لا يمكنه ان يفهم منه شيا وان يكن شاعرا * وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة وغناوهم اشجى ما يكون * فلا يمكن لِمَن اَلِفه ان يطرب بغيره * وكذلك آلاتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها * واعظمها عندهم هو العود وقلّ اعتنآوهم بالناى * ولهم فى ضرب العود طرق وفنون تكاد تكون من المغيّبات * غير انى اُذمّ من غنائهم شيا واحدا * وهو تكرير لفظة واحدة من بيت او موّال مرارا متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام * ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفّلين على الفنّ * وبعكس ذلك طريقة اهل تونس فان غنآهم اشبه بالترتيل * وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب فى الاندلس * ومما ينبغى ان يذكرهنا ان النصارى المولودين فى بلاد الاسلام الناهجين منهج المسلمين فى العادات والاخلاق هم ابدا دونهم فى الفصاحة والادب والجمال والكياسة والظرافة والنظافة * الا انهم انشط منهم على السفر والتجارة والصنائع واكثر اقداما وجَلَدا على تعاطى الاعمال الشاقة * وذلك ان المسلمين اهل قناعة وزهد وفى النصارى شره عظيم الى اتخاذ الديار الرحيبة * وقنية الخيل النجيبة * والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر

Digitized by Google

لا حدّ لها * فاذا دخلت دار نصرانى من المتمولين بمصر رايت عنده عدة خوادم وخادمين ونحو عشرين قصبة للتبغ من اغلى ما يكون * وقدر نصفها من الاراكيل الثمينة * وثلث غرفات مفروشات باحسن مايكون من القماش * وآنية فضة للطعام والشراب والرائحة * واسرة عالية وطيئة وثيابا فاخرة وغير ذلك * ومع هذا فلا تجد عنده كتابا * ولو ان مشتريا شاء ان يشترى شيا من تاجر مسلم لوجد سعره ارخص من بضاعة النصرانى بربع الثمن * ولكن وجود هذه الشراهة انما هو فى الغالب عند النصارى الغربآ * فاما القبط فانهم اشبه بالمسلمين * وقلّ من تعاطى المتجر منهم * اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت فى الذروة العليا من الابهة والعزّ والفخر والكرم والمجد * فكان للمتسمين بخدمتها مرتّب عظيم من المال والكسى والشحن مما لم يعهد فى دولة غيرها * وكان واليها يولى المراتب العلية وسمات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصارى ما عدا اليهود * خلافا لدولة تونس فان شرفها عمّ الجميع * ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب الحرف وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم فكانت الاسعار بمصر رخيصة جدا فلهذا كنت ترى الناس قُصريّهم وعمّيهم مقبلين على الشغل واللهو معا * فالبساتين غاصة باهل الخلاعة والقصوف * ومحال القهوة مجمع للاحباب * والاعراس مسموع فيها الغنآ والات الطرب من كل طرف * والرجال يخطرون بالخز والديباج * والنسآ ينؤن بما عليهن من الحلىّ * والخيل والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش * الا ان صاحبنا الفارياق لم يكد يدخل ارضا سعيدة الا ويخرج منها وقد تغير حالها * فارجع معى الان لنخلصه من ايدى الخرجيين * فانى تركته يحاول ذلك مذ حين *



الفصل الثامن

في اشعار انه انتهى وصف مصر

قد غادرنا اى انا وجماعة المؤلفين الفارياق يحاول ان ينفض الخرج عن ظهره * واني الآن من دونهم علمت انه بات ليلة وهو يفكر في ان كل شي اثبتته الصنعة فلا بد من ان تقلقله الاحوال * فمن ثم عزم على القلقلة * فخرج في الصباح من معزفه واخذ يطوف في الاسواق ويحرك كتفيه عند كل خطوة ويقول * لاقلبنّه لاطرحنّه * لاركسنّه لابدحنّه * انه انقض ظهري اى قرح اى عقر * هل انا اليوم حمار لحمار بالنكر * فراه بعض الظرفاء وهو يحرك منكبيه فقال لا بد لهذا من شان فاقبل اليه ولطف له المقال حتى استخرج سرّه من سرّته * وعلم حاله وسبب سفرته * فقال له لا عليك فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة * ولكن لا بدّ للفوز بذلك من حركة * قال واى حركة اعظم مما ترى * قال بل الامر دون ذلك * أَلَكَ اذن واعية * وفكرة مدركة وقدم ساعية * قال اجل * قال فاسمع اذا ما اقول لك * ان بهذا المصر شاعرا مفلقا من النصارى له وجاهة ونباهة عند جميع الاعيان * قال ما هذه صفة شاعر وما ارى كلامك الا متناقض الطرفين * فكيف فك هذا المعمى وتاويل هذه الاحجيّة * قال لا تناقض فانه شاعر بالطبع لا بالصنعة * والفرق بين ذلك ان الشاعر

بالصنعة هو من يتكسّب بشعره فيمدح هذا ويكذب على هذا حتى ينال منهما شيا * فاما الشاعر بالطبع فانما هو الذى يقول الشعر لباعث من البواعث دون تكلّف وانتظار للجائزة * قال ليس هذا الفرق مما ذكره الآمدى * قال ابعث الآمدى الى آمد واسمع منى * قال قد امّدته فما الرشد * قال نصحى لك ان تكتب كتابا الى هذا العلامة وتلتمس منه فيما تطوى به عليه مواجهته * فاذا تكرم بذلك فاذكر له ج ما انت تعانيه واستنجد به * فلا بد من ان يجيبك * فانه رجل متصف بمكارم الاخلاق ويحب دغدغة الافتخار * ولا سيما انه يرغب فى مجالسة ذوى الادب وتيسير اسباب معيشتهم * فتلطف اليه فى المقال * وانا ضامن لك ان تفوز منه بالامال * فشكره الفارياق على نصيحته ورجع الى محله راضيا مستبشرا * فلما جنّ الليل اخذ القلم والقرطاس وكتب ما نصه *

اهدى سلاما لو تحمله النسيم لعطر الافاق * ولو جعل للبدر هالة لما اعتراه المحاق * ولو مزجت به الصهبآ لما اعقب شربها صداعا * ولو استفّه مريض او لعقه لما لقى برحآ واوجاعا * ولو عُلّق على شجرة لزهت فى الحال اوراقها ولو فى الخريف * ولوسقيه الروض لانبت من كل زهر بهيج طريف * ولو جعل على اوتار عود لاطربت دون عازف * ولو تُغُنّى به فى مجلس لاغنى عن المشموم والمعازف * ولو علّق فى الآذان لكان شنوفا * ولو صقل به سيف كليل لجآء رهيفا * ولو مُثّل لكان حدائق ورياضا * وسلسبيلا وحياضا * ولو نيط بالعمائم * لاغنى عن التمائم * ولو تختم به ولهان لاجزاه مجزأ السُلوان * ولو كُتب على رجام لألهى الثاكل عن النواح * او على خصر هيفا لقام لها مقام الوشاح * او على انف مزكوم لما احوجه الى السعوط * او على ساق اعرج لكان له من قفزه سبق وفروط * او على

لسان ابكم لانحلت عقدته * او على كف بخيل لهان عليه فى البذل ذهبه وفضته * او على اجاج لعاد فراتا * او على رمل لانبت الريحان نباتا * وتحيات فاخرة * ذكية عاطرة * ارق من النسيم * واحلى من التسنيم * واشهى من العافية على بدن السقيم * واجلى للعين من الاثمد * واغلى للناقد من العسجد * واصفى من المآ الزلال * واعلق بالقلب من امل الوصال * واشغل للبال * من هوى ذى دلال * وازهر من نور الصباح * وازهى من نَور الاقاح * واعبق من شذا الراح * واثمن من الجوهر النفيس * واعز عند البستىّ من التجنيس * وعند ابى العتاهية من الزهديات * وعند ابى نواس من الخمريات * وعند الفرزدق من الفخريات * وعند جرير من الغزليات * وعند ابى تمام من الحكم * وعند المتنبى من جزل الكلم * تهدى الى الجناب المكرم * المقام المحترم * ملاذ الملهوفين * مستغاث المضيمين * ثمال المظلومين * ملجا المهضومين * منهل القاصدين * مورد الطالبين * ادام الله سعده * وخلد مجده * وبعد ياسيدى فانى قدمت هذه الديار وانا حامل لخرج قد انقض ظهرى * وعيل به صبرى * ولم اجد من يزحزحه عنى ولو قليلا * ولست اجد بنفسى الى التخلص منه سبيلا * وقد هُديت الى نور معروفك فى جنح هذا العماس * وأُنبئت انك انت وحدك معتقى من هذا الارتباس * دون سائر الناس * فهل تسمح لى بان ازور ناديك الكريم * وابث اليك مشافهة ما بى من البث المقيم * والضرّ الاليم * فانك اهل لان تاخذ بيد من لا ناصر له * وان تصطنعه لك بالتفاتة تحقّق امله * وتنيله ما امله * وان تتخذه لك ما عاش رهين شكرك * ممنون برّك * فهو يرجو ذلك منك رجآء من لاذ بعقوة فخرك * فان رايت ان تفعل فذلك من

Digitized by Google

احسانك * وطول امتنانك * والسلام * وكتب عنوانه يشرف بانامل سيدى الاكرم الاحسب الافخم الاوحد الافضل الاسعد الامثل الارشد الاكمل الامجد الاجل الخواجا فلان ادام الله بقاه بالعز والنعم *
فلما بلغت هذه الرسالة الى الخواجا المذكور وطالع ما فى شرح السلام من التشابيه المتكلفة لم يتمالك ان ضحك منها وقهقه * وقال لبعض جلسائه ممن المّ بالادب * سبحان الله قد رايت اكثر الكتّاب يتهوسون فى اهدآ السلام والتحيات للمخاطب كانما هم مهدون له عرش بلقيس او خاتم سيدنا سليمن * فتراهم يشبهونه بما ليس يشبهه * ويغرقونه في الاغراق ويغلونه فى الغلوّ حتى ياتى مبلولا محروقا * وربما جآوا بفقرتين متماثلتين فى المعنى كقول صاحب هذه الرسالة الان ثمال المظلومين ملجا المهضومين * ثم اذا انتقلوا من السلام الى الغرض اجادوا الكلام الى الغاية * وما ادرى ما الذى حسّن لارباب فن الانشآ ان يضيعوا وقتهم بهذه الاستعارات والتشبيهات المبتذلة * وبنظم الفقر المتماثلة فى المعنى * مع ان العالم يتاتّى له ان يبدى علمه بعبارة واحدة اذا كانت رشيقة اللفظ بليغة المعنى * وهذه الف ومائتا سنة قد مضت وما زلنا نرى زيدا يلوك ما لفظه عمرو * وعمرا يمضغ ما قاله زيد * فقد سرى هذا الدآء فى جميع الكتّاب * اما تفخيم المخاطب فى العنوان بالاجل والامجد والاسعد والاوحد وما اشبه ذلك فله وجه * وذلك انه لم تجرِ العادة فى بلادنا بان يكون تبليغ الكتب على يد البريد * وانما تبعث مع اشخاص ليست لهم خبرة بالطرق ولا بالديار فانها كما لا يخفى عاطلة عن التسمية خطّا * فاذا حملها رجل لا يعرف القرآة طفق يسال

Digitized by Google

كل من لقيه فى الطريق عن اسم المخاطب * فان لم يكن العنوان دالا عليه التبس على القارى * فان كثيرا من الناس مشتركون فى الاسمآء وان كانوا مختلفين فى المكارم والاخلاق * وفضلا عن ذلك فقد يتفق ان مبلّغ الكتاب بعد ان يكون قد سال غير واحد عن اسم المخاطب ووجدهم كلهم اميين * وبعد ان يكون قد اضاع نصف نهاره فى البحث عن الطريق * فلا يكاد يهتدى اليه الا ويجد عونا يترصده * حتى اذا لمحه تلقفه وبعثه الى احدى الجهات التى اراد * فيبقى الكتاب عنده ثم ينتقل منه الى غيره * وربما لقى غيره ما لقيه هو فينتقل الكتاب الى آخر وهلم جرا * فكان لا بدّ من الاستقصآء فى العنوان عن صفات المخاطب * فقال له جليسه اذن يجب ياسيدى ان يذكر فى العنوان جميع الصفات * فيقال للمخاطب مثلا اذا كان جميلا كيّسا غنيّا رشيق القد كبير العمامة عريض الحزام * الجميل الكيّس الغنى الى آخره * فقال اما وصف انسان بالجمال والغنى فهو من الموبقات له * واما بغير ذلك ككبر العمامة وعرض الحزام فليس من الصفات المخصصة اذ الناس فى ذلك سوآء * وما خالف ذلك فما اولاه بالاستعمال وستراه عن قريب مستعملا ان شآء الله * وهو وان يكن احيانا من المضحكات وذلك كانّ تصف رجلا مثلا بالزَبَبيّة والكثّية والحنطاوية والشَرَنْبَثيّة والكِرْنيفية والزَلَهبيّة والزُخْزبيّة والسَنْطبيّة والعَزْزَبيّة والعَشْجبيّة والعِظْيَبيّة والجحوظيّة والاَزَطّية والسناطية والفُسْحميّة والجَهْضميّة والبرْطاميّة والحَثْرميّة الا انه احسن من ايقاع اللبس فى صفات المخاطب * فقد بلغنى ان كثيرا من الكتب التى تضمنت مقاصد مهمة لما لم يدل عنوانها بالنص والتوقيف على ذات المرسل اليه فُتحت ليعلم صاحبها * فكانت سببا فى ضرر المرسل

والمرسل اليه * انتهت محاورتهما *   واعلم هنا ان الخواجا المذكور لما بلغته الوكة الفارياق كان مريضا فلهذا لم يجبه على الفور * فبقى الفارياق ينتظر جوابه اياما حتى اعتقد ان سجعه كله ذهب باطلا * اذ لم يكن يعلم السبب وكان فى خلال ذلك دائم الفكر والقلق * فانا الان ادعه فى هذه الحالة منتظر الجواب * وادع صاحبه يتداوى حتى يطيب *

واعرّج قليلا على منازل الالقاب والقاب المنزلة المتعارفة

وقتئذ بشرط ان تسمحوا الى بان

انتقل الى فصل

اخـــر

وهو

*



Digitized by Google



الفصل التاسع

فيما اشرت اليه

حد اللقب عند المشرقيين انه هنة نائئة او زنمة او علاوة زائدة متدلدلة تناط بكونيّة الانسان * وعليه قول صاحب القاموس العَلاقى الالقاب لانها تعلّق على الناس * وعند المغربيين اى الافرنج انه جُلَيدة تُكوّر فى الجسم * وشرح ذلك ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقلبها * فاما الجليدة فلا يمكن فصلها عن الجسم الا بايصال الضرر الى صاحبه * وحاشية ذلك اذ الشرح لا بد له من حاشية ولولاها لم يفهم له معنى * ان الزنمة عند اهل الشرق غير موروثة الا ما ندر * فان لكل قاعدة شذوذا * والجليدة عند الافرنج متوارثة كابرا عن صاغر * مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندى والاغا بل الملك انما هو محصور فى ذات الملقب به فلا ينطلق منه الى ولده * فقد يمكن ان يكون ابن الوزير او الملك كاتبا او نوتيا * فاما عند الافرنج فلا يصح ان يقال لابن المركيز مريكيز او مركيزىّ * وقد يجتمع مطلق الزنمة والجليدة فى جهة بقطع النظر عن كون الاولى متناهية والثانية غير متناهية * وذلك ان اصل كلّ منهما فى الغالب اُكال يحدث فى ابدان ذوى الامر والنهى لهيجان الدم عليهم * فلا يمكن تسكين هذا

الهيجان وحك هذا الاكال لا باحداث الهنة او الجليدة * وبيانه ان الملك اذا غضب مثلا على زيد من الزيدين لذنب اقترفه * ثم بعث اليه ذلك الزيد بشفيع عريان ليترضاه سكّن هذا الاستشفاع ثورة ذلك الغضب * واختلطت الكيفية الهيجانية بالماهيّة العريية فانتجتا جليدة لمن كان يخاف سلخ جلده * فتحلى بها بين اقرانه حلية موبدة ولم يخف من تداول القرون عليه * والغالب في الجليدة ان تحتاج الى جسمين * جسم مغضوب عليه وجسم شافع فيه * والغالب في الهنة ان تحتاج الى جسم واحد فقط * ومن الهنات هنات كنائسية وهي على نوعين * ترابيّة وهوائية * فالترابية ما كان لها مستقر او اصل في التراب فتنمى فيه وتثمر * وذلك كان يكون جاثليق من الجثالقة مستقرًا في دار او دير * وله إمرة على اناس يودون اليه عشورا ونحوه * فهو يامر فيهم وينهى ويحكم ويقضي بحسب الاقتضآء او بحسب ما يعنّ له * ولا بدّ وان يكون عنده كاتب يعي اسراره * وطباخ يشد فقاره * وخازن يخزن ديناره * وسجن يحبس فيه من خالفه في رايه او انكر عليه اطواره * وما اشبه ذلك * والهوائية عكس ما تقدم وذلك كهنة المطران اثناسيوس التتونجي صاحب كتاب الحكاكه في الركاكه * فان سيّده قلّده هذه الهنة ليحكم بها في مدينة طرابلوس الشام * غيرانه ليس في هذه المدينة احد من اهل مذهبه حتى يودي اليه عشورا او يطبخ له طعاما او يكتب له رسالة * فهو متقلد بها لمجرد الزينة فقط جريا على عادة بعض المتقدمين الذين كانوا يطلقون هنة الامير * على راعي الحمير * وزنمة الملك * على شيخ قرية عَفِك * والغرض من ذلك كله انفراد شخص عن غيره بصفة ما * واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان الخواجا والمعلم والشيخ ليست القابا معدودة في الهنات ولا في الجليدات

اذ ليس فى تحصيلها ما يحتاج الى شفيع او اختلاط أكالىّ بماهية عربية * وانما هى خرقة تستر عورة الاسم الذى اطْلق على المسمّى وهى غير مخيطة فيه ولا مكفوفة ولا مشرّجة ولا ملفوفة * بل هى كالبطاقة شدت الى لابسها ليُعرَف بها سعره * الا انه كثيرا ما يقع الغلط فى الصاقها بمن ليس بينه وبينها من علاقة * فاهل مصر مثلا يطلقون لفظة معلم على نصارى القبط * وكلهم غير معلِم ولا معلَّم اذا قلنا انه مشتق من العلم * فاما اذا كان اشتقاقها من العلامة فلا مشاحّة * ولفظة خواجا على غيرهم واصل معناها كالمعلِّم فبقى الاعتراض فى محله * فاما لفظ الشيخ فانه فى الاصل صفة من اسنّ * ثم اطلق على من تقدم فى العلم وغيره مجازا عمن تقدم فى السن * فان الطاعن فى السن يستحصف عقله ويستحكم رايه وان انكره النسآ * فنُقلت مزيّته الى من باشر العلم * والذى يظهر لى بعد التامل ان فى الهنات والجليدات لضررا عظيما على من تحلّى بها وخلا عنها * الدليل الاول ان المتصف بها يعتقد بمجامع قلبه انه افضل من غيره خَلقا وخُلقا * فينظر اليه نظر ذى القرن الى الاَجمّ * ويستكفى بهذه السمة الظاهرة عن ادراك المناقب المحمودة والمزايا الباطنة ويخلد بها الى البلادة واللذات الموبقة * الثانى انه لو نشبت فيه ربقة زحل يوما من الايام ودارت به دوائره فان لم يجد ذات جليدة مثله لم يمكنه الجلد مع غيرها * وربما كان يهوى جارية عنده جميلة فى المطبخ او فى الاسطبل فيحرمه منها ابوه او منصبه او اهله او اميره فيقع تعطيل على اهل الجمال * وهو امر مكروه بل قد جزم بتحريمه جميع العلمآ * الثالث انه قد يتفق ان يتزوج بذات جليدة معسرة مثله غير موسرة * فاذا ولدت له اولادا لم يمكنه ان يحضر لهم شيخا يعلمهم فى داره * ويستحيى ان

يبعثهم الى المكتب ليتعلموا مع جملة اولاد الناس * فتغدو اولاده من العجماوات ويتسلسل ذلك في ذريتهم الى ما شا الله * الرابع ان الهنة والجليدة تقضيان على المتصف بهما بنفقات لاقّة * وتكاليفَ شاقة * تفضي به الى التفريط والاسراف * والتهالك والاشراف * وربما اوصلته اخيرا الى انشوطة حبل من مسد * الخامس ان الانسان من اصل الفطرة ليس له هنة ولا جليدة فاحداثهما فيه بعد ذلك امر مغاير للطبيعة * او في الاقل من الفضول او من البطر * وهناك ادلة اخرى اضربنا عن ايرادها خوف الاطالة * فقد تبين لك ان الخواجا المشار اليه كان غير ذي هنة ولا جليدة * ولعله كان يحصل على احداهما لولا ميله بالطبع الى الادب * ولكن لكل شي آفة *





الفصل العاشر

في طبيب

مصح الله ما بك من السقم ياخواجا ينصر او مسح او مزح * على حدّ مَن قرا الصراط والسراط والزراط * ومن قال اجعلى فديتك بصاقا او بساقا او بزاقا * انك غادرت الفارياق في وسواس وبلبال * فهو ينتظر الجواب منك في الغدوّ والاصال * قال اني ليحزنني كثيرا ان قد بلغني كتاب صاحبك وانا محموم موجع الراس فلم يمكن لى ان اعجل اليه بالجواب * وكان بودى لو افعل ذلك معما كنت اعانيه غير ان الطبيب رسول عزرائيل منعني من الحركة * ولكن لا بدّ من ان تسمع قصتي مع هذا القرنان * وهي اني اتخمت يوما من اكلة برغل اخذتها بحذافيرها فاصبحت وبي غثيان * واتفق ان زارني في صباح ذلك اليوم بعض الامرآء الذين ينبغي ان يقال لما اثبتوه نعم في موضع لا ولما نفوه لا في موضع نعم * فراني على تلك الحالة فقال ما بك * فاخبرته الخبر * فقال عليك بطبيبي الساعة فهو امهر الاطبآء لانه قدم من باريس منذ ايام * ولولا ذلك لما اتخذته طبيبا لى ولاهلى * قلت من عادتي ان اصبر على المرض الخفيف اياما واستعين على معالجته بالاحتمآء والتوقي فقد يكون في ذلك ما يغني عن العلاج * فاني ارى هولآء الاطبآء يعالجون الامراض بالخرص والتخمين * فما

Digitized by Google

يهتدون الى العلة والمعلول الا بعد ان تبلغ الروح الحلقوم * فيجربون مرة دواء ومرة اخرى غيره * قال لولا ان المرض قد بلغ منك ما قلت هذا الكلام فلا بد من احضاره الان * وما زال بى حتى بعثت اليه خادمى حياً وخجلا * ثم خطر ببالى ان الآدب عندنا من فرط كرمه قد يجبر المادوب على الاكل * وربما القمه بيده ما تعافه نفسه * ولكن لم اسمع ان احدًا تكرم بان يجبر غيره على علاج * فلم اتمالك ان ضحكت * قال ما اضحكك * قلت لا شى * قال ما احد يضحك من لا شى فلا بد وان يكون هناك شى * قلت فكّرت فى ذلك الطبيب الذى عاد مريضا فقال لاهله آجركم الله فى مريضكم * فقالوا انه لم يمت بعد * قال يموت ان شا الله * فضحكت * قال لا عليك فان هذا الطبيب ليس مثل ذاك * وبعد فانك عزب ليس لك اهل حتى يقول لهم ذلك * ثم ما عتّم الخادم ان جآ به وهو اشد منى مرضا ونحولا * فالظاهر انه لم يكن له شغل حتى يخرجه من داره * فلما ان دخل جس نبضى ونظر الى لسانى ثم زوى ما بين حاجبيه واطرق الى الارض وهو يهسّ اى يحدث نفسه * ثم رفع راسه وقال لخادمى هات الطست * قلت ما تريد ان تفعل وانا صاحب جثتى افلا تشاورنى * قال انه الفصد او الرمس * قلت هداك الله ياشيخ انها اكلة برغل مع اللحم مما تسميه الناس كبيبة * قال انا اعرف ذلك انا اعرف * انكم يااهل الشام كلكم تموتون بهذه الكبّة * فقد شيعت بها حين كنت فى بلادكم اكثر من مئة جنازة * نعم هى الكبّة * قلت فى عجانك ان شا الله * قال لا تدخل الكبة فى عجينى مطلقا * فالتفتّ الى الامير وضحكت فظهر لى انه هو ايضا لم يفهم * وفى الاختصار فانه ما زال هو والامير يخطّئان رايى حتى استسلمت للهلكة ومددت يدى * فاعمل فيها مبضعه اعمال السكين

Digitized by Google

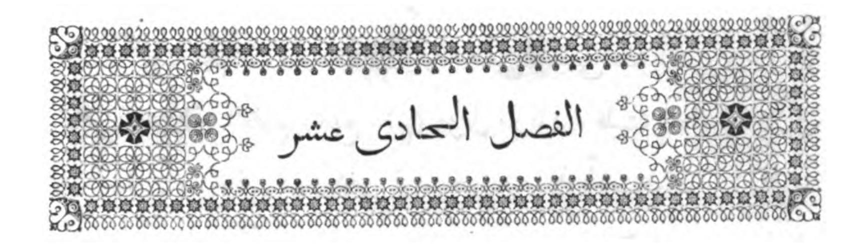
فى بطيخة * فخرج الدم متبعقا حتى دخل فى عينيه فاطلق يدى وذهب
ليغسل وجهه * ثم جآ بعد هنيهة وقد غشى علىّ * فتداركنى خادمى بمآ
الزهر وغيره والامير ناظر الى دخان تبغه والطبيب يسارّه * فلما افقت
ربط يدى وخرج مع الامير وقالا احترز لنفسك فانا نعودك عن قريب *
فقلت فى نفسى لا اعادكما الله * فلما كان الغد جآ الطبيب متابّطا
اعشابا * فقلت ما هذه الاعشاب * قال حقنة قلت تكفينى واحدة *
قال ان الامير يقول لك ينبغى ان تحتقن ان لم يكن لنفعك فلاكرامه *
فقلت فى نفسى لا باس باكرامه فى الحقنة * الا انه قد خالف العادة
مرة اخرى فان عادة المزور ان يحلّف الزائر باسم الله واسمآ ملئكته ورسله
وكتبه واليوم الآخر وبالبعث ان ياكل او يشرب شيا على اسمه * وهذا
زائر يلحّ علىّ بالاحتقان * ثم استعملت الحقنة * ثم وافانى اليوم القابل
ومعه حقة * فقلت وما بيدك * قال مسهل مما اصنعه للامير * فاستففته *
ثم جانى فى الغد وليس بيده شى * فاستبشرت وقلت له قد وُهِنت
منّى القُوى بقوة المسهل * قال ينبغى ان تتخذ اليوم حمّاما فى غاية
السخونة لكى تعرق وقد جرّبته فى ذوى الامير فوجدته بعد المسهل
انفع ما يكون * ثم تولّى هو بنفسه تسخين المآ وانزلنى فى مغطس كنت
اتخذته لنفسى * فلما دخلته لفحنى حرّه حتى غشى علىّ بعد ان سمط
جلدى * فأُخْرِجت منه على رَمَق من الحياة * فتداركنى خادمى بالمشمومات
حتى افقت * ثم جانى فى الغد وليس بيده شى ففرحت ايضا وقلت
لعله قد نفد ما فى وطاب علاجه وكان الحمّام آخر ما عنده * فسالنى
عن حالى * فقلت هو كما ترى * قال عليل * قلت وايّ عليل * قال
ينبغى ان تفصد * فسقط علىّ كلامه كجلمود صخر حطّه السيل من عل *

Digitized by Google

وقلت كانك تهمّ باعادة ما صنعته اوّلا فمتى ينتهى هذا الدور * قال لا بدّ ان احد هذه العُلُوج (جمع علاج) يزيل ما بك * قلت اجل اما الاول فهو انت واما الثانى فهو دمى او روحى * ثم تجلّدت وتمنعت وقلت له قل للامير انى والحمد لله عزب فلاى سبب يحاول تسفيرى سريعا فلم يفهم * وقال انى اريد ان افصدك لا ان انقل عنك * قلت فانا لا اريد فارحنى اراحك الله * فاولانى كتفه وولّى * ثم لم يلبث ان بعث الىّ برقعة الحساب وتقاضانى فيه خمسمائة قرش * فانه زعم ان عنده ناسا فى الريف من الفلاحين يجمعون له تلك الاعشاب مع انها مما ينبت على حيطان ديار القاهرة * وما كفاه ذلك حتى توعّدنى بانى اذا تاخّرت عن قضائه كما تاخرت عن الفصد الثانى يرفع القضية الى ديوان قنصله * فنقدته المبلغ المذكور بتمامه وقلت لا بارك الله فى الساعة التى ارتنا وجوه العجم وادبارهم * وها انا اليوم والحمد لله احسن حالا * ومرادى ان اجتمع بصاحبك * ولكن لا بد من اكرامه قبل الزيارة * ثم انه امر غلامه بان ينتقى تختا من الثياب الفاخرة وان يتوجه بها الى الفارياق * فانه كان وقتئذ مبرنطا * ثم كتب له رسالة وجيزة مع ابيات قليلة تتضمن استدعاءه الى مجلسه فى اليوم القابل * وتفصيل ذلك ياتى فى الفصل التالى *



Digitized by Google



الفصل الحادى عشر

في انجاز ما وعدنا به

كان للفارياق صاحب من الديار الشامية يتردد عليه * * فلما وفد الخادم بالرسالة وتخت الثياب كان هو حاضرا * فقال للفارياق انا اذهب معك الى الخواجا ينصر فقد سمعت بذكره غير مرة واحبّ ان اراه * فقال له الفارياق ولكن لعلّ فى الإزوآ اساآة ادب فى حق المَزُور * (ا) فان المدعوّ لا يليق به ان يستصحب احدا معه * قال لا باس فان هذه عادة الافرنج فاما فى مصر فيمكن للمدعو ان يستصحب ايّا شآء * وللمستصحَب ايضا اذا لقى واحدا فى الطريق من معارفه ان يستصحبه * ولهذا ايضا ان يستصحب آخر وللاخر آخر حتى يصيروا سلسلة اصحاب * بحيث لا يكون فى السلسلة حلقة انثوية * وكلهم يكلمون المَزور من دون محاشاة وينالون منه الاكرام ويترحّب بهم * ولا يمكن ان يسال احدا منهم فيقول له وانت ما حاجتك واىّ كتاب وصاة عندك الىّ * وما اسم زوجتك او اختك وما سنّهن * وفى اى حارة يسكنّ كما تفعل اصحابك الافرنج * فلا تخش من الرجل جُبْها * وبعدُ فان لنا عليه دالّة الادب * فهى تغنينا عن دالّة النسب * فاجابه الى ذلك وسارا اليه معا * والفارياق يرفل بثيابه وقد اتخذ له عمامة كبيرة * فتذكر يومئذ عمامته بالشام وسقطته تلك المشؤمة *

(ا) ازوى الرجل جآ ومعه آخر *

Digitized by Google

فلما استقرا بمجلس المشار اليه بعد الترحيب والتلقّى بالبشر والبشاشة * وبعد معاقبة اوحشتنا لآنستنا * ومداركة آنستنا لاوحشتنا * ومواترة سلامات طيّبين * وموالاة طيبين سلامات * كما جرت العادة عند الخاصة والعامة * قال الخواجا للفارياق قد سرّنى قدومك الى هذه الديار والله سبحانه وتعالى قد اسبغ علىّ نعمته لاشركك فيها * فقد قال الشاعر

قالوا البعال الذّ شى يشتهى　　فاجبتهم هذا ضلال بيّن
اسدآ معروف الى ذى حاجة　　اشهى وابقى وهو امر هيّن

على انى لا اقول ان بك حاجة الىّ لكننى لحنت من شكواك انك محتاج الى ذى مروة يواسيك او يسليك او يتوجع * وقد وجب علىّ القيام بما يسليك ما انت معانيه * سوآء كان ذلك بالمواساة او بالنصيحة * ولا سيما انه قد ظهر لى انك منشّم فى طلب العلم * وقد عانيت القريض * ولكن فى كلامك ما انتقدته عليك * وليس هذا وقت نقد وتقييد * وانما اسالك اىّ كتاب من الادب قرات * فابتدر صاحبه وقال قرا كتاب بحث المطالب * فقال له لقد عجلت فى الجواب * فان هذا الكتاب فى النحو لا فى الادب * الا انكم ياتلاميذ الجبل تحسبون ان من قرا هذا الكتاب فكانما قد استوعب العربية كلها دون افتقار معه الى شى من كتب اللغة والادب والشروح * وان الطالب منكم اذا اراد ان ينمق كتابا او خطبة فانما يستعمل بعض اسجاع مبتذلة ساكنة الروىّ * خيفة ان يلتبس عليه المرفوع بالمنصوب * ويتطالل الى بعض استعارات باردة * وتشبيهات جامدة * حشوها الالفاظ الركيكة والمعانى المتقلقلة من دون معرفة ما يستعمل من الفعل ثلاثيا او رباعيا * وما يتعدى به من حروف الجرّ * فعند قوله هذا تذكّر

Digitized by Google

الفارياق قول المطران لقيعر قيعار واولجت فيها * فذكرها للخواجا المذكور فغلب عليه الضحك حتى فحص الارض برجله * ثم قال نعم وان لفي كتب الكنيسة كلها اغلاطا فاضحة من هذا النوع * فقد قرات في كتاب منها عن بعض الرهبان انه كان من التواضع على جانب عظيم حتى انه كان كلما مرّ عليه رئيسه يقوم وينتصب عليه * اي له * وعن آخر انه بلغه عن راهبة ما انها كانت ذات كرامات ومشاهدات * فكان يستمنى دائما ان يراها * اي يتمنّى * وعن آخر انه كان خرج من ديره وغاب عنه مدة طويلة ثم رجع فوجد رئيسه الاول قد مات وولي رئاسته احد اصحابه * وانه بعد ان تفاوضا وتباشرا قلده الرئيس خدمة تهبيب الرهبان ليلاً * اي ايقاظهم من هبّ اذا قام * وعن بعض المطارنة انه كان اذا وعظ في الكنيسة ينتعظ له كل من يسمعه * اي يتّعظ * وغير ذلك مما لا يحصى بل قد ورد في الانجيل وكلام الرسل كلام فاسد المعنى ومنشاه فيما اظن جهل المعرّبين * فمن ذلك ما ورد في انجيل متى خطابا عن المسيح عمّ * احذروا لا يضلكم احد فانه سياتي باسمي كثيرون قائلين انا هو المسيح فلا تصدقوهم * والمراد ان يقال ان كثيرا ينتحلون اسمي فيدّعي كل منهم بانه هو المسيح * وشتان ما بين الكلامين * وفي رسالة مار بولس الى طيموثاوس * ولتكن الشمامسة ازواج زوجة واحدة * ومقتضاه اشتراك الشمامسة في بضع واحد * معاذ الله ان يكون كلامي هذا ازدراء بالدين وانما اوردت ذلك شاهدا على جهل من عرّب والّف من اهل ملتنا * نعم ان بعض المطارنة قد الفوا تاليف مفيدة جوّدوا عبارتها وحرروا معانيها * الا ان الجمهور من اهل الكنيسة جهال اغبياء لا يعجبهم الا الكلام الفاسد الركيك * ولقد افضى بنا هذا الاستطراد الى غير الغرض * فلنعد الى ما كنا

بصدده وهو اسعافك ايها المخدين بما يريحك من حمل الحرج * هل لك في ان تكون كاتبا عند رجل من السَّراة الاغنيآ يريد ان ينشى ممدحا يكتب فيه بلغات مختلفة مساعيه ومعاليه * فيكون شغلك فيه في كل يوم نظم بيتين او اكثر بحسب الاقتضآء * قال فقلت انى ياسيدى ما بلغت من العلم ما يوهّلنى الى هذه الرتبة * ونحن هنا فى بلد العلم والادب فاخشى ان يتصدّى لى قوم يزيفون كلامى ويخطّئونني * فاخجل والله بعدها من ان انظر الى وجه مخلوق من البشر * فانى رجل احب الخمول وان بضاعتى فى ذلك لمزجاة * قال لا تخش من ذلك فان اهل مصر وان كانوا قد تقصّوا حدّ العلم وبرعوا فى الفضل والادب على غيرهم * الّا انهم لا يتعنّتون على الناظم او الناثر بلفظة يخلّ فيها عفوا * او بمعنى يخطى فيه سهوا * فانهم اهل سماح ومياسرة * على ان من نبغ فى الشعر ان لم يلق من ينتقد قوله مرة ومن يخطّئه اخرى فلا يمكنه ان يصل الى مرتبة الشعرآء المجيدين * ولو بقى ينظم ابياتا ويودعها سمعه فقط لما عرف الخطا من الصواب قط * فلا يكاد احد يصيب الّا عن خطا * وقد جرت العادة بين الشعرآء بان ما يستهجنه بعضهم من المعانى والالفاظ يستحسنه البعض الآخر * فلا يزال الشاعر والمولف بين اثنين عاذل وعاذر * ومخطّئ ومصوّب * ومفسّق ومبرّى * ومعترض ومناضل * ورانق وفاتق * وممزق ورافئ * وخارق وراقع * وحاظر ومسوغ * ومضيق وموسّع وقائل لمَ وقائل لأنّ * حتى ترجح حسناته سيّئاته * وتتداول الناس ابياته * وقد طالما حاول الشهرة اناس بالقول المردود * والكلام المقصود * فمنهم من نظم ابياتا مهملة اى عارية عن النقط فاهملت * ومنهم من التزم فيها الحبك بان يجعل فى اول كل بيت منها حرفا من حروف اسم الممدوح

فتركت والغيت * ومنهم من جعل دابه التجنيس والتوريات البعيدة فردّت وزيفت * واكتفوا من ذلك بمجرد الشهرة بين قومهم ولم يبالوا بالتعرض للّوم والتفنيد * وانى اعيذك من ان تعدّ فى جملة هولآء * فانى رايت فى انشائك نزوات افكار لطيفة تدل على قريحة جيدة * وسليقة متوقدة * وبعد فمن ذا الذى ما سآء قط * قال فقلت والله ان لك علىّ لمنتين عظيمتين * الاولى عنايتك بمعاشى * والثانية تنشيطك اياى الى النظم * فقد كنت جزمت بان لا اقول الشعر الا مكتوما عن الناس وها انا لك ياسيدى من الشاكرين * وبكرمك من الزائرين * ثم

انصرف من عنده داعيا له وقد اضمر

مفارقة الخرجى

فى اليوم

القابل

*





الفصل الثاني عشر

في ابيات سريّة

لم يكن لصاحبنا الفارياق عند الخرجي من الاثقال الّا جثته فقط * فلذا تأبّط طنبوره ووضع دواته في حزامه وقال له * قد اغاثني الله واراني طريقا غير التي طرقتها لي انت وحزبك الخرجيون * فانا اليوم مفارقك لا محالة * قال كيف تفارقني وما اسات اليك في شي * قال هذا الطنبور يشهد عليك بانك سوّتني * قال ان العازف به لا تقبل له شهادة فكيف تصح شهادته هو مع كونه سببا في جرح شهادة صاحبه * قال بل تصح كما صحت شهادة جرابائك * وانه لينطق بمساويك كما نطقت الأن جدّك * ويدكّ حصون عنقاشيتك كما دكّ المدن بوق ربيبك * قال ما هذا الكلام * قال وحي والهام * قال لا باس في ان تعزف به فقد علمت ان الخادم عن حسد شكاك * قال بل اني عازف به عند من يقولون لي زِد ويُعاد واحسنت والله * لا عند عجم لا يذكرون اسم الله الّا في الابتهال * قال قد خلّطت واشططت * قال قد فرّطت وقسطت * قال انك كنود * قال انك من اليهود * ثم ولّى عنه وهو سامد الراس جاحظ العينين من الغيظ * وسار واكترى محلّاً آوى فيه الطنبور وتوجه الى الممدح * فما استقر به المجلس الّا وورد بشير اليه وبيده رقعة فيها بيتان يراد ترجمتهما *

Digitized by Google

فلما عُرضا على مترجمى اللغات العجمية وادّيت ترجمتهما الى جهبذ الممدح انتهت النوبة اخيرا الى الفارياق * فاخذ القلم وكتب

ركب السريّ اليوم خير جواده   ياليته منا امتطى اكتافا

اذ ليس فينا رامح او رافس   بل كلنا يغدو به رفّافا

فلما قابل الجهبذ هذين البيتين بالاصل وجدهما يشتملان على المعنى اشتمال البطن على الجنين او الامعآ على العَفَج * مع عدم الحشو بالالفاظ التى يستعملها الشعرآ غالبا لسد ما فى ابياتهم من الخلل * فاعجب بهما جدا وقال * هما حريّان بان يفضلا على الترجمة العجمية * فانى لا ارى فيها الا معاظلة الفاظ ولكن لعل هذه عادة القوم فدعهم وعادتهم * غير انه لما اشتهر البيتان عند اهل النقد اعترض بعض ان قوله رامح او رافس من الالفاظ المترادفة فتكون الاولى او الثانية لغوا * فالاولى ان يقال جامح او رامح وفيه مع ذلك سجع * واجيب بان للفظة رامح معانى كثيرة منها الثور له قرنان واسم فاعل من رمح اذا طعن بالرمح او صار ذا رمح * ورمح البرق لمع * ورُدّ بان الثور ليس له مدخل هنا بقرنيه * فان الناس لا تركب الثيران وان اشار اليه المتنبى فى الغبب * واسم الفاعل بمعنى طاعن لا يناسب المقام * لان المركوب لا يكون طاعنا * ثم ورد فى اليوم القابل بشير ثان معه رقعة فيها بيتان اخران فقال الفارياق

قام السرى مبكّرا لصبوحه   فارتجت الارضون من تبكيره

أَوَما ترى ذى الشمس من شباكه   مدّت اليه شعاعها لسروره

فاعترض على البيت الثانى انه غير لفق للاول * واجيب بانه متفرّع عليه ومرتبط به * لان الارضين لما ارتجت وخشى العالمون سطوته ترضّته الشمس بشعاعها * وردّ بان ترضى الشمس كان متراخيا عن ارتجاج الارضين

فلا يفيد * واجيب بان الترضّى حاصل على اى حال كان * فان الشمس لا يمكنها ان تطلع قبل وقت الطلوع * وضحك قوم من هذا التعليل * ثم ورد فى اليوم الثالث بشير آخر فقال الفارياق

نام السرىّ مهنّأ بالامس لم   يخطر بخاطره الشريف هموم
ان نام نامت امّة الثقلين او   ان قام قامت والكرىّ جريم

فاعترض على لفظة الثقلين انها ثقيلة * وان امّة حقها ان تكون امّتا * ورد بان اللفظة خفيفة ولا عبرة فى كونها مشتقة من الثقل * ثم ورد فى اليوم الرابع بشير آخر فقال

شرب السرىّ فحلّ شرب المُسْكر   فاستغن عن فتوى الفقيه المنكِر
واذا اصرّ على الخلاف محرّم   فاعمد الى حدّ الحسام الابتر

فاعترض عليه انه مبالغة قبيحة تفضى الى الكفر وتعطيل الشرع * واجيب عنه بانه طبق الاصل * ثم ورد فى اليوم الخامس بشير آخر فقال

خرج السرىّ مع السريّة ماشيا   غلسا الى الحمّام كى يتنعما
من كان يدعك مرّة جسميهما   خُلقت يداه على المدى ان تلثما

فاعترض عليه ان الاولى ان يقال ماشيين * ورد بانه لا محظور منه فان السرى هو الاصل بدليل تغليب ماشيين * ثم اعترض ان الافصح ان يقال جسمهما او اجسامهما * واجيب بان الافصح لا ينفى الفصيح * ثم قيل انه ارتكب ضرورة بحذف حرف الجر فى المصراع الاخير اذ حق الكلام ان يكون خلقت يداه بان * على ان تثنية اليد هنا لا معنى لها فان الداعك لا يدعك بكلتا يديه * واجيب بانه لا مانع من حذف الجر مع اَنّ * وان التثنية للايذان بان كل الجوارح مخلوقة لخدمة الممدوح * ثم ورد فى اليوم السادس بشير اخر فقال

خلع السريّ اليوم نعليه على ... مُثنٍ عليه مبالغ فى مدحه
فاستبشروا ياعصبة الشعرآ من ... هذا السخآء بيمنه وبسنحه

فاعترض عليه بان اليمن والسنح بمعنى واحد * واجيب بانه كقول الشاعر والفى قولها كذبا ومينا * ثم ورد في اليوم السابع بشير آخر فقال

حلق السريّ اليوم اسفل جسمه ... باظافر ظفرت بكل مؤمّل
فالناس بين مصفّر ومرتّل ... ومدفّف ومزمّر ومطبّل

فاعترض عليه صرف اظافر * واجيب بان ذلك غير محظور لا سيما وقد وليها قوله ظفرت * ثم ورد فى اليوم الثامن بشير آخر فقال

طوبى لمن فى الناس اصبح حالقا ... راس السريّ لاحلس الملحوسا
لا زال محفوفا بلطف الله ما ... حلقت له شعرًا شريفا موسى

فاعترض عليه بان الملحوس غير وارد فى صفة الراس * واجيب بانه لا باس به هنا للجناس * ثم قيل ان محفوفا مع ذكر الراس ثقيلة * واجيب بانها خفيفة بالنسبة الى راس السريّ * قلت وكان الاولى ان يعاب عليه قوله طوبى لمن * فانه مطلق لا يفيد ان السرى حلق راسه فى يوم معيّن * غير ان الجناس فى المصراع الثانى شفع فى البيت كله * ثم ورد فى اليوم التاسع بشير آخر فقال

بَسَم الزمان عن المنى وتنوّرا ... لما استحمّ سريّنا وتنورا
ان المعالى من اسافله زهت ... والشعر بالشعرآ أكسِب مفخرا

فاستحسن هذان البيتان جدا لما فيهما من المطابقة والجناس التامّ وغيره الا قوله مفخرا * ثم ورد فى اليوم العاشر بشير آخر فقال

قحب السريّ واى شهم ماجد ... بين البرية مثله لا يقحب
ذى سنّة فُرضت على كل الورى ... ان المخالف منهم ليُصلَّب

Digitized by Google

فعيب عليه لفظة قحب واجيب بانها فصيحة بمعنى سعل * ثم ورد فى اليوم الحادى عشر بشير آخر فقال

عطس السرىّ فكلنا يبكى دما وارتاعت الارضون والافلاك
حرس الاله دماغه عن عطسة اخرى تموت برعبها الاملاك

ثم ورد فى اليوم الثانى عشر بشير آخر فقال

فسّى الامير فاىّ عرف عاطر فى الكون فاح واىّ مسك ديفا
ياليت اعضآ العباد جميعهم تغدو لنشوة ذا العبير انوفا

فعيب عليه قوله فسّى * اذ التكثير هنا لا معنى له * واجيب بان القليل المنسوب الى السرىّ كثير * وعليه بظلّام للعبيد * فان ادنى ما يكون من الظلم فى حق البارى تعالى كثير * ثم ورد فى اليوم الثالث عشر مبشّران فقال

حبق السرىّ اليوم فى وقت الضحى والجوّ ادكن ليس يسفر عن شَرَق
فتعطّرت ارجآونا باريجه فكان من حبَق له عَرْف الحَبَق

فاستحسنا لما فيهما من التجنيس * ثم ورد فى اليوم الرابع عشر مبشران اخران فقال

قد أُسهل اليوم السرىّ فكلنا فرح ففى اسهاله التسهيل
فاستبضعوا خزا اليه مطرّزا وتسابقوا ان البطىّ قتيل

فاستحسن البيت الاول للجناس * وعيب عليه قوله مطرزا * اذ التطريز هنا لا موجب له بل فيه ايلام * واجيب بانه طبق الاصل * وان حق الترجمة ان لا تزيد على الاصل المترجم منه فى المعنى ولا تنقص عنه ولا سيما فى الامور المهمة الخطيرة * وقد كان يجب ان يعاب عليه قوله فكلنا فرح وان علله بقوله ففى اسهاله التسهيل * اذ المتبادر ان التسهيل مسبّب عن حتف الممدوح وكانّ الجناس شفع فيه *

ثم ان الفارياق بعد انقضاء هذه المدة الذكية راى من الواجب ان يزور صاحبه ويخبره بما جرى له * فلما تشرف بمجلسه ساله الخواجا عن حاله * فقال له قد كنت اود ياسيدى ان ازورك قبل الان لكن خشيت ان يعلق بناديك اثر من الرائحة التى شملتنى * فقال له لا ضير فى ذلك ولا سيما اذا تعودت عليها * وان نادىّ لا يبرح كل يوم يعبق به امثالها من زيارة امثال السرىّ وهذا شان امّ دِفار * ولكن كيف حالك من جهة المعيشة * قال قد اكتريت لى دارا صغيرة واشتريت حمارا * واتخذت خادمة لتصلح لى الدار * وخادما ليصلح الحمار * وانا الان بجاهك وفضلك فى احسن حال ثم انصرف من عنده داعيا له *

(سرّ بينى وبين القارى)

قد كان طبيب الجزيرة نصح للفارياق ان يجانب النسآ اى يبتعد عنهن لا انه يلصق بجنبهن فان فى قربهن حَيْنا له فالفى قوله كذبا ومينا *





الفصل الثالث عشر

مقامة مقعدة

لا يمكن لى ان ابيت الليلة مستريحا حتى انظم اليوم مقامة * فقد عودت قلمى فى هذا الموضع موالاة السجع * وترصيع الفقر الرائعة للعقل الرائقة للسمع * الشائقة للطبع * فاقول *

حدّس الهارس بن هثام قال * بينا انا امشى فى اسواق مصر واسرح ناظرى فى محاسنها * واتهافت على النظر الى جمال شوافنها * فتدركنى جمال مدائنها * فالطأ بقرار حائط واصبأ بآخر * واجعل يدى تارة على عينى وتارة على ما هو اصغر منها او اكبر * اذ اومأ الىّ فتى من حانوت له * عليه لوائح هيبة ومنزله * وحوبة فى الترائب متخلله * غير متحلله * فقال ان شئت ان تصعد الى هنا الى ان ينفض زحام الابل * وتنساغ غصّة هذا الأزل الأزل * فانك لدينا لمن المقرّبين * وانى باكرامك لقمين * فوجدت دعوته كدعوة الداعى بحىّ على الفلاح * وقلت ما يابى السماح * الا من فاته الصلاح * وعمِه عن النجاح * كيف لا وقد اوشكت جوارحى ان تعود مجروحه * وضاقت باحمال ابلكم الارض وهى فسيحه * فابتسم ابتسامة اسفرت عن لحن للقول سريع * وطبع الى ايلاء المعروف ذريع * ثم صعدت اليه فوجدت عنده نفرا عليهم عمائم مختلفة * ولهم وجوه مؤتلفة * فلما

Digitized by Google

سلمت متوددا * وتبوأت ما بينهم مقعدا * قال رب الحانوت هل لك في ان تنتظم معنا في سلك جدال قد شغلنا من الضحى * وجعلنا له الآذان كثفال الرحى * فهو دائر على كل منّا بالمناوبه * ومستدرك ختامه باوّله بالمعاقبه * دون دَرَك ومعاقبه * اذ ليس فيه افضآ الى البحث في الاديان * وانما هو امر مباح لكل انسان * فقلت ان كان مرجعه الى العقل فقد كلّفتموني إذًا * وشططتم في انتظامي معكم جدّا * اذ لست بصاحب اسفار * بل حليف تطواف واسفار * وان كان الى الطبع فان بي لطبعا سليما * وخُلقا قويما * قال هذا الثاني هو مركز دائرته * وفيصل محاورته * قلت فاملأ اذني اذا من جدالك * والقِ عليّ اعدال عِدالك * قال اعلم * فرج الله عنك كل غم * اني انا والحمد لله من المسلمين المومنين بالله وبرسوله * وبوحيه وتنزيله * وان صاحبي هذا الودود * واشار الى احد القعود * هو من النصارى والآخر من اليهود * والآخر امّعة ما له اعتقاد ولا جحود * وانّا قد تنازعنا كاس البحث في الزواج * وافضنا فيه كما تفيض من عَرَفات الحجّاج * اما النصراني فانه يزعم ان طلاق المراة مفسدة من اعظم المفاسد * ومندمة تمني المطلّق بالنَغَص والمكايد * ووجه فسادها على مقتضى زعمه * وقدر فهمه * ان الزوجة اذا علمت انها تكون عند زوجها كالمتاع المنتقل * وكثوب المبتذل * موقوفة على بادرة تفرط منها * اوهفوة تنقل عنها * لم تخلص له سريرتها * ولن تمحض له مودتها * بل تعيش معه ما عاشت في انقباض وايجاس * ووحشة وابتئاس * ونكد وياس * وتدليس والباس * واذا انزلته منزل مبتاعها * واعتقدت ان متاعه غير متاعها * وانه لا يلبث ان يلاعنها او يبارئها * او يخالعها او يكسوها ثياب التّجِمّة * ويقول لها الحقي باهلك * او استفلحي بامرك * او انت عليّ كظهر امّي * او

Digitized by Google

حبلك على غاربك * وعودى الى كناسك * عند اهلك وناسك * فما انت لى باهل * وما انا لك ببعل * لم تحرص له على حاجة ولا على سرّ * ولم يهمّها ما ينزل به من الشرّ * وربما خانته فى عرضه وماله * وكادت له مكيدة فضحته بها بين اقرانه وامثاله * وهناك محذور آخر * ادهى وانكر * وانكى واصر * وامضّ وامرّ * وهو ان المراة اذا فركت زوجها بان رأت منه ما تخاف غائلته * لم يهمها ان تربّى عَيْله او تستكفى عائلته * فان المراة لا تحبّ ولدها الا اذا احبت بعلها * ولا تحب بعلها الا اذا ادام وصلها * وآتاها سؤلها * ومن كان له زوجة لم يُولها فواده * ولم ينخل لها وداده * فاتخذته عدوا خصيما * لا اليفا حميما * فهو جدير بان يرثى له شامته * ويرجع عنه سامته * فان صدره والحالة هذه مورد الشجون * وراسه منبت القرون * ومنزله منزل الاكدار * وحالته فى الجملة حالة اهل النار * الا انى اعترض على مذهب من حظر الطلاق * وتقيد بزوجته دون اطلاق * بان الزوجة اذا علمت ان جسم زوجها قد أُدغم فيها * واصبح سره فى فيها * فصارا فردا لا زوجا * سوآ هبطا وهدة او صعدا اوجا * وانه لا يُفكّ هذا الالتحام الّا بمقراض الحِمام * ولا تحلّ عقدة هذه الكينة * الا بانحلال جميع اجزآء الطينة * وانها اذا مرضت مرض هو معها * واذا رات رايا فلا بدّ له من ان يواطئها عليه ويجامعها * نشزت عليه وتنمرت * وطغت وتجبرت * فتارة تسومه شرآ لباس وحُلىّ * وتارة تتعنت عليه بامر تذيقه فيه الصُلىّ * فويل له اذا حبا * ثم ويلان اذا أَبى * وان غاب عنها ليلة قامت قيامة كيدها عليه * وان تشاغل عنها بامر له فيه نفع جرّت جميع المضارّ اليه * فدابه التودّد اليها والتملّق * والمداراة والترفق * ومجاملته لها اذا جفت * ومخالقته اياها اذا انفت * ونانشه معها اذا تذكّرت * وتصعصعه منها اذا

Digitized by Google

تشزّرت * وهل يطيب عيش لمن علم انه طوع لهوى غيره * وان لا مناص له
من ضيره * فاما شان الاولاد * وهو الداعى الى تحمّل هذا الكُباد * فان
الزوجين اذا كانا على حالة النفور والعناد * والخلاف والالحاد * لم تكن
تربيتهما لولدهما الا اغرآء بالاقتدآء بهما * وتدريبا على الفساد بسببهما *
فيكون اهمالهم من غير تربية عند طلاق امّهم أَولى * وان الوفاق هو المصلحة
الاولى * على انّا نعلم من التجربة * منذ سنّ الله تعالى الزواج وحبّبه * ان
المراة اذا علمت ان لزوجها استطاعة على طلاقها * وتملصًا من وثاقها *
حرصت على ان تتحبب اليه وتلاينه * وتياسره وتخادنه * وتخالقه وتداريه *
وتتلافاه وتراضيه * وتجامله وتسانيه * خيفة ان يتنغص عيشها بفراقه *
او تحرَم من خَلاقه * فان لم يحصل بينهما الوفاق * فالطلاق الطلاق *
وراى صاحبنا هذا اليهودى قريب مما رايت * فلا يخالف الا فى اسباب
الطلاق وهى كيت وكيت * فاما صاحبنا الامّعة * فانه متردد فى هذه القضية
المنكعة * فتارة يقول ان الطلاق ادعى الى الراحة * وتارة انه موجب
لنكد العيش وصفق الراحة * وطورا يزعم ان المُتْعة او الزواج الى اجل
مسمّى اوفق * حتى اذا انقضى يجدد العهد بينهما ويوثق * الى ان
يتفارقا عن تراض * ويقضيا لهما وعليهما ولا قاض * فهو اخف على الشَّجِ *
وانفى للحَرَج * وان يكن يفعله بعض الهمج * وحينا يقول بل التسرّى اسرّ *
واهنأ واقر * ان لم يكن من القرينة مفرّ * واونة يختار الاقتصار على خويدمة
رُعبوبة * وآونة على وحدة العزوبة * والتناول مما تفيزه به الفرص المرقوبة *
واخرى على جب الآلة * ان كان الجبّ ينجى من الحبالة * قال وذلك
انى صعّدت فى درجات هذه الخطّة ونزلت فى دركاتها * وعانيت ضروبا
من اخطارها وهلكاتها * فوجدت عند كل درجة منها مهواة تغيب فيها

Digitized by Google

الاحلام * وتضيع الافهام * وتَهِن القُوى * ويستطاب التَوى * ويصغر كل عظيم من البلا * حتى كأنّ هذه الحاجة ليست من الحَوَج في شى * وما لها به من صلة لحَىّ * فهى داء لا آسى له * وثوب قشيب مسموم يسر ناظره وحامله * لكن يقرّح اوصاله ومفاصله * وكل امر فى الدنيا فانما يصح قياسه على عقول الكَيّسى من الناس * ويعالج بالصبر او الياس * الا هذه الحَوبة فان المرجع فيها الى الطباع * ولا يفيد معه رشد ولا زَماع * ثم أنّ انين الثُكلى * وقال وانى ازيد على ما قاله الامعة قولا * ولا اخشى من احدكم عذلا * فاقول ولكم تصدعت قلوب من ذلك الصدع * واشتقت من ذلك الوَمّاح مشاقّ لا يطيقها طبع * وكم من رؤس لاجله دُعكت ورضّت * وعقول أفِنت وخَرِصت * واعناق دقّت * وعيون لقّت * واسنان هُتِمت * وانوف شُرِمت * وشعور ندفت * ولحًى نتفت * وايدٍ قطّعت * وانساب ضيّعت * وكتائب كتّبت * وكتب كُتبت * (حاشية من جملتها هذا الكتاب) وخيل رُكضت * وسيوف ومضت * ورماح شُرّعت * واحزاب تنترّعت * وجبال دكّت ونسفت * وبيوت اقوت وعفت * واملاك حُربت * وملوك استخربت * وبلدان خربت * بل امم تهالكت وفنيت * وقرون اندرجت ونسيت * ثم تأوّه وقال وسلعة نَفدت * ودنانير نُقدت * قال الهارس فعلمت انه قد صدعه الصدع بباله * وعظّه بلهائه عند تغلغله فيه وايغاله * ولذاك كان يفيض فى حديثه ويخوض فيه * ليعلم هل من مصاب مثله وعنده علم ما يشفيه * ثم التفت الىّ مستعبرا * وقال وانت فما ترى * قلت والله انها لاحدى الكُبر * ومعضلة تفيض لها العبَر * قد طالما ارتبك فيها العالم النحرير * وضل عن علمها اللبيب الخبير * لا جرم ان معرفة الافلاك وكواكبها * وايشاء معادن الارض وعجائبها * واسرارها وغرائبها *

Digitized by Google

لَأَهْوَن عليَّ من ان اقول فى هذه المسألة نعم اَوْ لا * فما ارى الّا سكوتى عنها اَوْلى * ثم بينا هم يوجبون ويسلبون * ويوجزون ويسهبون * اذا بالفارياق مرّعلينا راكبا على حمار فاره * سامد سامه * فلما بصرت به قلت له نزال نزال * وحيّ على هذا العِدال * فما نرى غيرك جديرا بايضاحه * وبشفائنا من صُماحه * قال فى ايّ امر مريج كنتم تخوضون * وعن اى نكر مشيج انتم تجيضون * قلنا له فى الزواج * فهلمّ العلاج * فابتدر وقال على ارتجال *

مسالة الزواج كانت ثم لا	تزال طول الدهر امرا معضلا
ان يكن الطلاق يوما حُلّلا	للزوج ايّان ابتغاه فعلا
فليس عندى رشدا ان تُحظلا	زوجته عنه ولا ان تُعضَلا
ان لم يصيبا للوفاق سبلا	فدعهما فليفعلا ما اعتدلا

ايان شآ طلّقا وانفصلا

قال فضحكنا من افتحاره ما لم يذكر فى الكتب * وقلنا له الى حمارك عن كثب * فما نرى رايك الّا بِدْعا * ولقد اسات جابة بعد ان اصبت سمعا * ثم تفرقنا كما اجتمعنا * وعجبنا مما سمعنا *





الفصل الرابع عشر

في تفسير ما غمض من الفاظ هذه المقامة ومعانيها

ليس في لغتنا هذه الشريفة ولا في لغة امة اخرى من الامم لفظة تدل على فاعل ومفعول او فاعلين اشتركا في فعل واحد للذتهما ونفعهما * واحتاجا الى من يدخل عليهما ليتعرف منهما أيّ رفع ونصب يجرى بينهما * وبيانه ان لفظة الزواج عندنا معناها ضمّ واحد الى آخر حتى يصير كل واحد منهما زوجا لصاحبه * ولكن من دون قيد مكان ولا زمان * فلو تزوج زيد بهند في سهل او على قنة جبل او في كهف في يوم الاحد او الاثنين او السبت بشرط التراضي بان يكتب الرجل للمراة صكا موذنا بزواجه بها او يشهد على ذلك رجلين لصحّ * هكذا كانت سنّة السلف المتقدمين من الانبيآ وغيرهم كما هو مسطور في تواريخهم * بل لم يكونوا يقيدون انفسهم لا بالصك ولا بالشهود * اما لفظ النكاح فمعناه احراز امراة على اى وجه كان * وذلك لان عرب الجاهلية لم يكن عندهم آداب للنكاح والطعام وغيرهما حتى جآ الشرع فعرّفه وميز الحلال من الحرام منه * قال ابو البقآ في الكليات — ولكن لم اجده في فصل النون فان رايته في غيره انجزت ما وعدت به * وكنت اريد استشهد بكلامه على ان اسم النكاح لم يزل الى الان مستعملا وانه في كتب الفقه اكثر من ان يحصى *

Digitized by Google

وهو حجة على من انكره من النصارى وعلى من استعاذ من ذكره * وانما استعملته العلماء من دون محاشاة لاسباب * الاول انه استعمل قديما من الجاهلية فاثبتته العاقلية * الثانى لوروده في القرآن * الثالث لاشتماله على اربعة احرف وفاقا للطبائع والعناصر والجهات * الرابع لورودها في اسرار سور القران * فالنون في ن والقلم وما يسطرون والكاف في كهيعص والالف في الم والحآ في حم * الخامس انك اذا قلبت هذه اللفظة بدا لك منها معنيان شريفان * الاول اسم فاعل من حيي والثانى فعل امر من كان * وبه برزت الموجودات الى العيان * وتجلّت الحقائق لذوى العرفان * السادس لخفة اللفظ وحلاوته * السابع لكون اوله يدل على آخره وآخره على اوله * وقد سمى هذا النوع بعضهم دلالة الاول على الاخر وبالعكس * قال وفائدته انه لو استشهد القاضى احدا على فاعله فنطق بالنون والكاف ثم غشى عليه او على القاضى تاتحزا لذلك * عُرِف من بقى غير مغشى عليه بالمجلس القاضوى ما اراده القائل * وكذلك لو طرا عليه عند ادآ الشهادة ما قطعه عن الكلام شوقا وهيبة فلم يسمع منه الا الالف والحآء لدل هذا الجزء الاخير مع قلة حروفه على جميع ما يراد من المدلول * قلت وهو تعليل بديع غير ان هذه التسمية لا توجد فى كتب البيانيين والبديعيين * ولست احب الالفاظ الطويلة فالاولى ان ينحت له لفظ من تلك الجملة بحيث يسلم الطرف * فان قلت بل قد استعملت الفاظا طويلة جدا فى وصف البرنيطة بقولك المستقبحة المستفظعة مع انه كان يمكنك ان تصفها بالفاظ قصيرة * قلت كان ذلك من باب مراعاة النظير * فان طول البرنيطة يقتضيه * فاما مدلول اللفظ الذى نحن بصدده فانه قصير * ثم انى كنت ابتدات كلاما في اول هذا الفصل ولم انهه فان القلم زلق بى الى معنى آخر على عادته *

Digitized by Google

واظن ان الجناب الرفيع او الحضرة السنية لم يفهماه فمن ثم اقول الان * انه اذا كان المراد من الزواج ان كلًّا من الزوجين يزاوج صاحبه لنفسه لا لاهل البلد وللمعارف والاصحاب كما كان عليان ياكل فخذ الدجاجة لاتم على * لم يكن من المعقول ان يدمق عليهما ذو قُبّعة فيقول للمراة لا تتزوجي هذا لكونه لم يسمّ بطرس * ثم يقول للرجل لا تتزوج هذه لانها لم تسمّ مريم * او ان يقول هذا يوم الاحد لا يصح فيه الزواج * وهذه جمرة لا يحل فيها البعال * والّا لصح ان يقول لهما أريانى الميل فى المكحلة * ومثل هذا الكلام لعمرى لا يليق باحد ان يقوله أو يكتبه * ثم ان المراة هى من الاشيآ التى لكثرة تكرر النظر اليها كالشمس والقمر لم يودّ العقل حق اعتبارها * وبيانه ان الله عز وجل خلق المراة من الرجل لتكون بمنزلة معين له على مصالحه المعاشية ومونس له فى وحشته وهمومه * الا انّا نرى ان هذه العلة الاصلية كثيرا ما تستحيل عن صيغتها الاولوية حتى ان بلآء الرجل وهمه ووحشته ونحسه وشقاوته وحرمانه بل هلاكه يكون من هذه المراة * فتنقلب تلك الاعانة احانة * وتلخيصه ان الانسان وُلد في هذه الدنيا محتاجا الى اشيآء كثيرة لازمة لحفظ حياته * وذلك كالاكل والشرب والنوم والدفء * والى اشيآء اخرى غير لازمة للحيوة وانما هى لتقويم طبعه حتى لا يختل * وذلك كالضحك والكلام واللهو وسماع الغنآ واتخاذ المراة * الا ان هذا الاخير مع كونه جعل فى الاصل لتقويم الطبيعة * اذ يمكن للرجل ان يعيش حينا ما من دونه * فقد غلب على سائر اللوازم المعاشية التى لا بد منها * الا ترى ان من يحلم بامراة يجد منها فى الحلم ما يجده منها فى اليقظة * وليس كذلك من يحلم بانه اكل عسلا او شرب سلافا * بل وقوع هذا نادر جدا حتى للجائع والعطشان * وقد طالما رضيت اصحابنا الشعرآ بطيف الخيال

من المحبوب * وما احد منهم رضى على جوعه بان يبعث اليه ممدوحه بكاس مدام فى الحلم او ثريدة * واذا تناول الانسان طعاما طيبا لونا كان او لونين بقى عدة ساعات مكتفيا بما ناله غير مفكر فى القِدْر ولا فيما يقتدر فيها * حتى يعاوده الجوع فيطفق ح يفكّر فى تناول طعام آخر * ولكن لم يسمع عن احد من الناس فى حالتى الجوع والشبع انه كان كلما راى طائرا فى الجو اشتهى ان يقع على سفّوده فى البيت حتى يسترطه * او انه كان لا يزال يبصّص فى دكاكين الطباخين والبدّالين والزياتين ويلاوص من ثقوب اقفالهم ومن خصاص ابوابهم وشقوق حيطانهم على ما عندهم من اصناف الماكول * نعم ان الجائع فى بلادنا يحسب كل مستدير رغيفا كما يقال * وفى بعض بلاد الافرنج ربما حسب ايضا المستدير والمطاول وذا شقّ كظِلف الشاة وذلك لتفننهم فى اشكاله * غير ان الجائع الى النسآء ليس له شكل ينتهى اليه * وكذلك قضية الشرب فان الظمان بعد ان يروى غليله بالمآ فاذا جئ اليه بكاس من التسنيم عافه * وكذلك البردان المحتاج الى الدفء فانه متى لبس ما يدفئه من الثياب ويجمّله بين الناس لم يتطالل بعد ذلك الى كل ثوب ينظره فى دكاكين التجار معرضا للبيع * ولو راى مثلا قوس قزح او روضة مدبجة بالازهار البهيجة لم يتمنّ ان تكون الوانها فى سراويله او قميصه * وانما يراها ويستحسنها مجرد استحسان من دون ان يشغل بها خاطره ولبّه * ولا يحلم ليلته تلك انه راى روضة انيقة او يتصور وهو متوسّد على فراشه انها لو كانت جيال مخدّته لزاد ذلك فى تنعيمه او عمره * وقس على ذلك النائم اذا نام كفايته على فراش غير وطئ فان منظر الفراش الوثير بعده لا يهمّه * والحاصل ان للانسان عقلا فى يافوخه يدله على ما ينفعه ويضره

Digitized by Google

ويسوءه ويسره * وان في كل من معدته وحلقومه ميزانا قويما يزن به ما هو محتاج اليه من الطعام والشراب * وبه يدرى مضمون قولهم ربّ اكلة حرمت اكلات * فامّا في امر المراة فالقانع العزوف يغدو شرها رغيبا * والرشيد غويا * والحليم سفيها * والمهتدى ضالا * والحكيم عَمِها * والعالم جاهلا * والفصيح عييّا وبالعكس * والصَبُور جزوعا ولا عكس * والفتى شيخا ولا عكس * والغنى فقيرا وبالعكس * والفظّ لطيفا ولا عكس * والسمين نحيفا وبالعكس * والمعافى مبتلى ولا عكس * والمتثبّت متغشمرا وبالعكس * والبخيل كريما ولا عكس * والساكن متحركا وبالعكس * والطرد عكسا وبالعكس * وهلم جرا * واذا راى امراة تبغضه فربما احبها * او تجفوه كلف بها * او تعرض عنه تعرّض لها * او تتملّق اليه وتملثه فُتِن بها * او ترميه بحقيبتها على ثقلها جُنّ بها * الا ولو حضر مجلسا كان فيه

امراة وضيئة حسنة نظيفة *

وهيئة حسنة الهيئة *

ومُخْبأة الجارية المخدرة لم تتزوج بعد *

وذَبْأة الجارية المهزولة المليحة الخفيفة الروح *

وجُرْبآ الجارية المليحة *

وخِدَبّة ضخمة *

وخُرعُوب الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضآ اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم *

وخَنِبة الجارية الغنجة الرخيمة *

ورَطْبة معروف *

وسَرْهَبة المراة الجسيمة الطويلة *

Digitized by Google

وشَطْبة الطويلة الحسنة الخلق *

وشِطْبة الجارية الحسنة الغضة الطويلة *

وشَنْبا ذات شنب وقد ذكر تحت البرقع *

وصَقْبة الطويلة التارّة *

وصَهْبآ الصَهَب حمرة او شقرة فى الشعر كالصُهبة والصهوبة *

وعَجْبآ المراة يتعجب من حسنها *

وقَبّآ الدقيقة الخصر الضامرة البطن *

وكَبْكابة المراة السمينة *

ومكدوبة النقية البياض *

وكاعِب التى نهد ثديها *

ولَعُوب الحسنة الدَلّ *

ووَطْبآ العظيمة الثدى والوَطْب الثدى العظيم *

وهَدْبآ الكثيرة شعر الهدب *

وذات صُلُوتة الصَلْت الجبين الواضح وقد صلتِ ككرم *

وصُمُوت الخلخالين غليظة الساقين لا يسمع لهما حسّ *

وخَوْثآ الحَدَثة الناعمة *

وبَلْجآ البُلْجة نقاوة ما بين الحاجبين هو ابلج وهى بَلْجآ *

ومِبْهاج حسنة *

وجائعة الوشاح ضامرة البطن ومثله غَرْثى الوشاح *

وخَدَلّجة المراة الممتلئة الذراعين والساقين *

ودَعْجآ الدَعَج سواد العين مع سعتها *

ورَجْراجة يترجرج عليها لحمها *

Digitized by Google

وزجّآ   الزَجَج محركة دقة الحاجبين فى طول والنعت ازج وزجآ *

ومُعَذْلجة   الممتلئة الناعمة الحسنة الخلق *

ومفلّجة الاسنان   الفلج تباعد ما بين الاسنان *

وبَيْدَح   بادِن ونحوه بَلْدح *

ودَحُوح   عظيمة *

وذات سَجاحة   سَجِح الخدّ سهل ولان وطال فى اعتدال *

ودُمْلُحة   الضخمة التارّة *

وصَلْدَحة   عريضة وكذا سلطحة وصلطحة *

وفُقّاح   المراة الحسنة الخَلْق *

ووَضّاحة   البيضآ اللون الحسنته *

وبَيْدَخة   تارّة *

وبُلاخيّة   عظيمة او شريفة *

وصَمخة   المراة الغضّة *

وطُباخيّة   الشابّة المكتنزة *

وفتخآ الأخلاف   ناقة فتخآ الاخلاف ارتفعت اخلافها قِبل بطنها ذمّ وفى المراة والضّرع مدح *

وفرْضاخة   ضخمة عريضة او طويلة عظيمة الثديين *

وقُفاخ   المراة الحادرة الحسنة الخلق *

ولُباخيّة   لحيمة *

وهَبَيّخة   الناعمة التارّة *

وبَخَنْداة   المراة التامة القصب كالبَخَنْدى *

وبُرَخْداة   الجارية الناعمة التارّة *

Digitized by Google

ومُبَرَّندة	الكثيرة اللحم *
وثأدة	المكتنزة الكثيرة اللحم *
وثَوْهَدة	السمينة التامة الخلق وكذا الثَّهودة والفَوْهدة *
وثَهْمَد	السمينة العظيمة *
وجَدّآ	الصغيرة الثديين *
وجَيْدآ	الطويلة الجيد الدقيقته *
وبَضّة المُجرّد	بضّة عند التجرّد *
وخُبُنْداة	جارية خُبُنْداة تامة القصب او تارّة ممتلئة او ثقيلة الوركين وساق خُبُنْداة مستديرة ممتلئة *
وخَرِيْد	الخريد البكر لم تمسس او الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة كالخريدة والخرود *

(تنبيه المرأة الجُشوب الدِرْدِحة الضَمْزر اللَّهبَرة العُكْبُرة القَعْسوس الجُبّاعة الثَدْمة اكثر دلّا وغنجا من جميع هولآ)

ورِخْودّة	الليّنة العظام السمينة *
ورِعْديد	رخصة *
ورَهِيْدة	الشابة الرخصة الناعمة *
وعُبَرّد	الجارية البيضآ الناعمة ترتجّ من نَعمتها *
وعَضاد	المراة الغليظة العضد *
وعُمُدّة	الشابة الممتلئة شبابا كالعُمُدانيّة *
وغادة	المراة الناعمة الليّنة البيّنة الغَيَد *
وغَيْدآ	المتثنّية لينًا *
ومُقَصّدة	المراة التامة العظيمة تعجب كل احد والتى الى القِصَر *

Digitized by Google

ومأدة	الجارية الناعمة *
ومَمْسودة	مجدولة الخلق *
وأُمْلُود	المراة الناعمة اللينة *
وناهِد	كاعب *
وبَهِيْرة	السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة وكذا البَهِيلة
وبَشيرة	جميلة *
ومبشورة	الحسنة الخلق واللون *
ونارّة	ممتلئة الجسم *
ونُرّة	الحسنآ الرعنآ *
وجُاشرة	الضخمة الحادرة الجسيمة العبلة المفاصل العظيمة الخلق *
وجَهْرآ	مونث لاجهر وهو الحسن المنظر والجسم التامّه والاحول المليح الحولة *
وحادرة	السمينة او الحسنة الجميلة *
وأُحْوَريّة	البيضآ الناعمة *
وحَواريّة	الحَواريّات نسآ الامصار *
وحَوْرآ	الحَوَر ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها او النح *
وذات تدهكر	ترجرج *
ومُدَهْمَرة	المراة المكتّلة المجتمعة *
ومزنّرة	طويلة جسيمة *
وزَهْرآ	المراة المشرقة الوجه *
ومَسْبورة	الحسنة الهيئة *

Digitized by Google

وممسورة الجارية المعصوبة الجسد غير رخوة اللحم *

وشُغْفر المراة الحسناء *

وصَيّرة الحسنة الصورة *

وعبقرة تارة جميلة *

وعُبْهرة الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة الجسم كالعبهر والجامعة للحسن فى الجسم والخلق *

وعُجَنْجرة المكتّلة الخفيفة الروح *

ومُعْصر التى بلغت شبابها وادركت او دخلت فى الحيض او راهقت العشرين *

وغرّاء بيضاء وكذا فرّاء *

وذات افترار افتر ضحك ضحكا حسنا *

وفزرآء الممتلئة لحما وشحما او التى قاربت الادراك *

وقُفاخِريّة النبيلة العظيمة من النساء *

ومُرْمورة المرمورة والمرمارة الجارية الناعمة الرجراجة *

ومَشْرَة الاعضاء رَيّا *

ومَطِرة لازمة للسواك او للتنظف والاغتسال *

وذات مكْرة المكرة الساق الغليظة الحسناء *

ومَمْكورة المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين او المدمجة الخلق الشديدة البَضْعة *

ومارِيّة بيضاء برّاقة (من مار) *

وذات نَضْرة حسن وبهجة *

ووَثيرة الوثيرة الكثيرة اللحم او الموافقة للمضاجعة *

Digitized by Google

(تنبيه المراة الرَّبسة الدِعْفصة الدِنْقصة القُنْبُصة الصَعْلة الطَهْمل الصَلْفع الضَوْكعة الرَصعآ القَشْوانة الكروآ اكثر دلّا وغنجا من جميع هولآ)٭

وهُذَكِر المراة التى اذا مشت حرّكت لحمها وعظامها ٭

وهَيْذَكُور	الكثيرة اللحم والشابة الضخمة الحسنة الدلّ كالهُدكورة
وبِلِز	المراة الضخمة او الخفيفة ٭
وعُكْموزة	الحادرة التارّة ٭
وغَمّازة	الجارية الحسنة الغمز للاعضآ ٭
وكِناز	كثيرة اللحم صُلْبة ٭
وآنِسة	الجارية الطيبة النَفْس ٭
وبَيْهَس	الحسنة المشى ٭
وخَرُوس	البكر فى اول حملها ٭
وخَنْسآ	تقدم ذكرها تحت البرقع ٭
ومُرّكس	الجارية طلع نهدها فاذا اجتمع وضخم فقد نهد ٭
وعَيْطَموس	المراة الجميلة او الحسنة الطويلة التارة كالعُطْموس ٭
وعَلْطَميس	الجارية التارة الحسنة القوام ٭
وعانِس	التى طال مكثها فى اهلها بعد ادراكها حتى خرجت من عداد الابكار ٭
وقُدْموسة	ضخمة عظيمة ٭
وقِرْطاس	الجارية البيضآ المديدة القامة ٭
وكَبِيسة	المراة الحسنآ ٭
ولَعْسآ	من فى لونها ادنى سواد ٭
ولَمِيس	اللينة الملمس ٭

Digitized by Google

وعَشّة المراة الطويلة القليلة اللحم او الدقيقة عظام اليد والرجل *

وخربَصة المراة الشابة التارّة *

ودُخوص الجارية الممتلئة شحما *

ورخْصَة معروف *

وبَضّباضة بَضّة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة *

وخَريْضة الجارية الحديثة السن الحسنة البيضآء التارة *

ورَضْراضة فى معنى رجراجة *

وغَضّة غضيضة الطرف الغضّة الناضرة والغضيض من الطرف الفاتر *

وفارض ضخمة *

وفَضْفاضة الجارية اللحيمة الجسيمة الطويلة *

ومُفاضة الضخمة البطن *

وخُوْطانة جارية خوطانة وخوطانية كالغصن طولا ونَعمة *

وسَبْطة الجسم حسنة القدّ *

وشَطّة حسنة القوام طويلة *

وشِناط المراة الحسنة اللون والقوام *

وذات عَنَط وعَيَط طويلة العنق حسنته *

وذات شِناظ مكتنزة اللحم كثيرته *

ومُلَعّظة الجارية السمينة الطويلة الجسيمة *

وبَتْعآ الشديدة المفاصل والمواصل من الجسد *

وبَريْعة فائقة الجمال والعقل *

وبزيعة ظريفة مليحة كيّسة *

ومُتْلِع الحسنآ لانها تتلع راسها تتعرض للناظرين اليها *

Digitized by Google

وسَنيعة الجميلة اللينة المفاصل اللطيفة العظام *

وشَبْعى الخلخال والسوار ضخمة تملاهما سمناً *

وشَمُوع مَزّاحة لَعُوب *

وصَمْعآ الصغيرة الاذن والاذن الصغيرة اللطيفة المنضمّة الى الراس *

وضَرْعآ عظيمة الضرع *

وفَرْعآ تامّة الشعر *

ولَعّة عفيفة مليحة *

ولاعة التى تغازلك ولا تمكنّك (قلت لانها تلوع مغازلها بذلك) *

وأنُوف طيبة رائحة الانف *

وخَنضَرف المراة الضخمة اللحيمة الكبيرة الثديين *

وذَلْفآ تقدم ذكر الذَلَف تحت البرقع *

وذات سَجَف السجف دقة الخصر وخماصة البطن *

وسُرْعُوف المراة الطويلة الناعمة *

وسَيْفانة الطويلة الممشوقة الضامرة *

وظريفة الظَرْف انما هو في اللسان او حسن الوجه والهيئة او يكون في الوجه واللسان او البَزاعة وذكا القلب او الحِذق او لا يوصف به الا الفتيان الازوال والفتيات الزولات لا الشيوخ ولا السادة *

وقِرْصافة القِرْصافة من النسآ التى تتدحرج كانها كرة *

وقِصاف ـ المراة الضخمة *

ولَفّآء واحدة اللُف للجوارى السمان الطوال *

وحسنة المَعارف والموقفين المعارف الوجه وما يظهر من المراة والموقفان

Digitized by Google

الوجه والقدم او العينان واليدان وما لا بدّ لها من اظهاره *

ومهفهفة ضامرة البطن دقيقة الخصر *

وهَيْفاَ الهيَف ضمر البطن ورقة الخاصرة *

وبَرّاقة الحسناَ لها بهجة وبريق كالابريق *

وبُهْلُق المراة الحمراَ جدا *

وحارُوق نعت محمود للمراة عند الجماع *

وخِرباق الطويلة العظيمة او السريعة المشى *

ورشيقة حسنة القدّ لطيفته *

ورَقْراقة التى كانّ الماء يجرى فى وجهها *

ورُوْقة حسناَ تعجب *

وسَوْقاَ الطويلة الساقين او الحسنتهما *

وعَبقة المراة التى اذا تطيّبت بادنى طيب لم يذهب عنها اياما *

وعاتق الجارية اول ما ادركت *

وعَشَنَّقة طويلة ليست بضخمة ولا مُثْقلة *

وغُبْرُقة العينين واسعتهما شديدة سواد سوادهما *

وغُرانق امراة غرانق وغرانقة شابة ممتلئة *

وذات غَرْنقة غزل بالعينين *

وذات لمّة غُرانقة ناعمة تفيّئها الريح *

وفُنُق جارية فنق ومفناق منعمة *

ولَبقة الحسنة الدلّ واللبسة *

ومُلْصقة الضيقة المتلاحمة *

ولَهقة شديدة البياض *

(تنبيه المراة الطُرْطبة المتخبخبة الزّغادبة العَكّبا ذات الحردبة والسطبة البَلْعَثة الخَرْثا الخُنْظوب العُكْبرة المُثَدّنة الخَطْلا اكثر دلّا وغنجا من جميع هولآ)*

ومشوقة خفيفة اللحم *

ورَوْدكة حسناً فى عنفوان شبابها *

وصِبْرِك المراة العظيمة الفخدين *

وضَكْضاكة قصيرة مكتنزة. *

وضُناْكة الصُلبة المغصوبة اللحم *

ومُعْرَوْرِكة متداخلة *

وعَكْوَكة القصيرة الملزّزة او السمينة *

وعَضَنْك اللفآ التى ضاق ملتقى فخذيها مع ترارتها *

وعاتِكة المرآة المحمرّة من الطيب *

ومُفَلّك التى استدار ثديها *

ومَكْماكة المكماكة والكمكامة القصيرة المجتمعة الخلق *

وهَبْرَكة الجارية الناعمة *

واسيلة الخدّين لاسيل من الخدود الطويل المسترسل *

ومُبتّلة الجميلة كانها بُتّل حسنها على اعضائها اى قطّع والتى لم يركب بعض لحمها بعضا وفى اعضائها استرسال *

وبَهْكَلة المراة الغضة الناعمة *

وجَمُول جَمْلآ الجمول السمينة والجملآ الجميلة والحسنة الخلق من كل حيوان *

وخَدْلة المراة الغليظة الساق المستديرتها او الممتلئة الاعضا لحما فى دقة عظام كالخَدْلآ *

وخَلّة　　　　المراة الخفيفة *

ودَخَّلة　　　　الضخمة التارة *

ودُمَحِلة　　　　السمينة او الحسنة الخلق *

ومِكْسال　　　　نعت للجارية المنعمة لا تكاد تبرح من مجلسها مدح *

ورَخِيمة　　　　رَخُمت الجارية صارت سهلة المنطق فهى رخيمة ورخيم *

ورَقيمة　　　　المراة العاقلة البَرْزة وفى ب ر ز امراة بَرْزة بارزة المحاسن او متجاهرة كهلة جليلة الخ *

وميّسانة الضُحَى　مدح ونحوه نَؤوم الضحى *

وحسنة الخفيّين　اى صوتها واثر وطئها يقال اذا حسن من المراة خفيّاها حسن سائرها *

وغانية　　　　المراة التى تُطلَب ولا تطلب او التى غنيت بحسنها عن الزينة*

(تنبيه المراة القُرْزح القَيْلع الجِنْحِل الجِزْمل الحَمَكة الخَنْثل الجَبلة الجَهْبَلة الحَنْكَلة القيْعَلة اكثر غنجا وتدعبا من جميع هولآ) *

وسياتى تتمة وصف الحسان في الفصل السادس عشر من الكتاب الرابع اذ لم يبق لى من حراك وقوة لذلك واحسب القارى نظيرى * وانما اقول * نعم لو كان فى ذلك المجلس السعيد جميع هولآ الحسان على اختلاف الوانهن لودّ ان ينظمهن كلهن فى سلك واحد ويجعله فى عنقه كسبحة اوليآ الله المفردين * ومن ماراني في ذلك رجعته الى قصة سيدنا سليمن عم * فانه معما اوتى من الحكمة * وما ادراك ما الحكمة * فقد كان سلكه يشتمل على الف امراة * منهن ثلثمائة سُرّيات والباقى سَرِيّات * فكان له فى كل يوم امراتان ونصف وكسور * كلا ولو انه اى الرجل راى الشمس طالعة والبدر بازغا والكواكب مضيئة لكانَ اول ما يخطر بباله

Digitized by Google

ان يقول * لقد تزينت هذه السمآ بهذه النيّرات البهية * فمتى تزيّن حجرتى بواحدة من اخواتهن او باثنتين او بثلاث او بعشر او بالسبحة كلها * ولو راى غوطة او ربوة او جبلين متناوحين او نُوفا او حُشّة او هدفا او شُقّبا او قُوزا او دُعْصا او كُوْثلا او خُوْطا يتاوّد او بحرا يتموّج او عوْطبا او طاووسا او تفاحا او رمّانا او عقد درّ منظوم او شيا آخر يروق العين لسبق وهمه الى امراة * بل ربما تصوّر واحدة لم يكن قد راها قط ولا وجود لها فى الاعيان * ولو راى سفينة ماخرة فى اليمّ وعليها شراعها لشبّهها بامراة ترفل بثيابها فى الطرق كما كان داب احد الخرجيين المتورّعين * ولو راى حمامتين تتزاقّان وتتلاسنان قال ليت لى الان من ازقّها وتزقنى ولاسنها وتلاسننى وانقرها وتنقرنى * ولو راى ابا بَرائل بين صغادره يلقمهن مما لديه * ويصفق لهن بجناحيه ويجثّل اليهن ويتجفّل ثم يحلج بينهن لود ان يكون نظيره * وحسبك بذلك من دناآة واهانة لهذه الصورة البشرية التى يقال فيها انها خلقت على مثال الخالق تعالى عن الشبيه والنظير * لا ولو انك القيته فى جب سيدنا يوسف * وفى فلك سيدنا نوح * وفى بطن حوت سيدنا يونس * وعلى ناقة سيدنا صالح * ومع اصحاب الكهف * لصرخ قائلا المراة المراة * ومن لى بالمراة *

ولو انزلته فى بُنانة الروضة المعشبة *

ورُقْمة الروضة وجانب الوادى او مجتمع مائه *

ودَقيرة الروضة الحسنآ العميمة النبات *

ووُدِيفة الروضة الخضرآ *

وغُلْبآ الحديقة المتكاثفة *

وعُلْجوم البستان الكثير النخل *

ومَخْرفة البستان *

وحديقة الروضة ذات الشجر *

وفى حُجْرة وعِلّية وغرفة ومقصورة وخِدر وحَجَلة ومِنَصّة *

وسِدار شبه الخِدر والموصّد الخدر *

وحُشّة القبة العظيمة *

وجُنْبُذة كالقبة *

وعَرْش الخيمة والبيت الذى يستظل به كالعريش *

وكِرْح بيت الراهب ومثله الركح *

وكُوخ البيت المسنّم من قصب *

وصومعة بيت للنصارى *

وريْع الصومعة *

وفَنَزَر بيت يتخذ على خشبة طولها نحو ستين ذراعا للربيئة *

وبَهْو البيت المقدم امام البيوت *

وحِلّة جماعة بيوت الناس او مئة بيت والمجلس والمجتمع *

وفُسْطاط السرادق من الابنية ومثله المضرب *

وكِبْس بيت من طين *

وحِفْش البيت الصغير جدا *

وجَنَز البيت الصغير من الطين *

وخُصّ البيت من القصب او — *

ورَدْهة البيت الذى لا اعظم منه *

ومُجْلُوه البيت الذى لا باب فيه ولا ستر *

ووَأْم البيت الدفئ *

Digitized by Google

وأُقْنة	بيت من حجر *
وطِراف	البيت من أَدَم *
ووَسُوط	بيت من بيوت الشعر او هو اصغرها *
وطَنَف	السقيفة تشرع فوق باب الدار *
ونُزُل	ما هيّئ للضيف ان ينزل عليه *
ومَغْنى	المنزل الذى غنى به اهله ثم ظعنوا او عامّ *
ومَعْهَد	المنزل المعهود به الشى *
ومَعان	المباة والمنزل *
ونَدِيّ	مجلس القوم نهارا او ـــ *
ومُرْتَبع	الموضع يرتبعون فيه فى الربيع *
ومَصِيف ومَشْتى	معروف *
ودَسْكرة	بناء كالقصر حوله بيوت او ـــ *
ومَشْرَقة	موضع القعود فى الشمس بالشتاء *
ومَضْحاة	ارض مضحاة لا تكاد تغيب عنها الشمس *
وظُلّة	شى كالصفّة يستتر به من الحرّ والبرد *
ومَشْرَبة	الغرفة والعلية والصفة *
وسُعْنة	الزَفّن او مطلق المظلّة *
ومظلّة	الكبير من الاخبية *
وساباط	سقيفة بين دارين تحتها طريق *
وعِرْزال	بيت صغير يتخذ للملك اذا قاتل الخ *
وكِنّ	البيت *
وقَيْطون	المخدع *

Digitized by Google

وسَرَب	الحفير تحت الارض *
ودِيماس	الكنّ والسَرَب والحمّام *
وبُرج	معروف *
وصَهْوة	البرج فى اعلى الرابية *
وصَرْح	القصر وكل بنآ عال *
وعَقْر	البنآ المرتفع *
وطِرْبال	كل بنآ عال *
وأَزَج	ضرب من الابنية *
وايوان	الصفة العظيمة كالازج *
ورواق	بيت كالفسطاط او سقف فى مقدّم البيت *
وأَجْم	كل بيت مربع مسطح وبضمتين الحصن *
وكَعْبة	الغرفة وكل بيت مربّع *
وأُطُم	القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح *
ووَشِيع	عريش يبنى للرئيس فى المعسكر *
وسُتّيق	بيت مجصّص *
وجَوْسق	القصر *
ودَوْشَق	البيت ليس بكبير ولا صغير او البيت الضخم *
وقُهْقور	بنآ من حجارة طويل *
وبُغْبور	الحجر الذى يذبح عليه القربان للصنم *
وزَور	مجلس الغنآ *
وبُدّ	بيت الصنم *
وزُون	الموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزيّن *

Digitized by Google

ومسجد معروف *

وكنيسة معروف *

وفُهْر مدراس اليهود تجتمع اليه في عيدهم او — *

ومِدْراس الموضع يقرا فيه القرآن ومنه مدراس اليهود *

وفي كوكبان حصن باليمن رصّع داخله بالياقوت فكان يلمع كالكوكب *

والجَوْسق دار بنيت للمقتدر في دار الخلافة في وسطها بركة من الرصاص ثلثون ذراعا في عشرين *

وقصر النعمان الذي بناه السِنِمّار هو رجل اسكاف بنى قصرا للنعمان ابن امرء القيس فلما فرغ القاه من اعلاه لئلّا يبنى لغيره مثله او هو غلام لأُحَيحة بنى أُطُمة فلما فرغ قال له لقد احكمته قال اني لاعرف فيه حجرا لو نزع لتقوض من عند آخره فساله عن الحجر فاراه موضعه فدفعه احيحة من الاطم فخرّ ميتا *

والجعفريّ قصر للمتوكل قرب سرّ من راى *

والمارد حصن بدومة الجندل *

والأَبْلق حصن بتيماَ قصدتهما الزبا فعجزت فقالت تمرّد مارد وعزّ الابلق *

وصِرْواح حصن بناه الجن لبلقيس *

ودار الخيزران بمكة بنتها خيزران جارية الخليفة *

وقصر بَهْرام جُور من حجر واحد قرب همذان *

وقصر غُمْدان بالشام *

والبديع بنآ عظيم للمتوكل بسرّ من راى *

وزُغَيرة حصن قرب الكرك *

وقصر عِسْل بالبصرة *

Digitized by Google

والنَدّ	حصن باليمن *
والغَفر	حصن بها *
وسَمدان	حصن بها عظيم *
والشَحب	حصن بها *
وثَربان	حصن بها *
وهِرّان	حصن بها *
وشُواحِط	حصن بها *
والمَوْهَبة	حصن بها *
والظَفير	حصن يمانى صنعا *
ولَسبيس	حصن باليمن *
والنُجَير	حصن قرب حضرموت *
وغُمْدان	قصر باليمن بناه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقف اربعون ذراعا * لما انفك ان يصرخ ويقول المراة المراة * ومن لى بالمراة * ولا عيش الا مع المراة * ولو انزلته فى
شِعْب بَوّان	احدى الجنان الاربع *
وصنعآ	د باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق *
والسُغد	بساتين نزهة واماكن مثمرة بسمرقند *
والشَعْران	جبل قرب الموصل من اعمر الجبال بالفواكه والطيور *
والوَهْط	بستان ومال كان لعمرو بن العاص على ثلثة اميال من وَجّ كان يُعرّش على الف الف خشبة شرآ كل خشبة درهم *
وبَلَنْسية	د شرقى الاندلس محفوف بالجنان لا ترى الا مياها تدفع ولا تسمع الا اطيارا تسجع *

Digitized by Google

ومُرْسية د اسلامى بالمغرب كثير المنازه والبساتين *

وثمانين بلد بناه نوح عم لما خرج من السفينة ومعه ثمانون نفسا *

وجابَلَص د بالمغرب ليس وراه انسى *

والراهُون جبل بالهند هبط عليه آدم عم *

والجُودىّ جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عم *

وقاف جبل محيط بالارض او من زمرذ وما من بلد الا وفيه عرق منه وعليه مَلَك اذا اراد الله ان يهلك قوما امره فحرّك فخُسِف بهم *

والقِيق جبل محيط بالدنيا ومثله الفيق *

والساهِرة ارض يجردها الله يوم القيامة * لما انفك يصرخ ويقول المراة المراة * ومن لى بالمراة * ولاعيش الامع المراة * بل لو صعد الى

المِشْريق باب للتوبة فى السمآ *

وطوبى شجرة فى الجنة *

وعلّيين فى السمآ السابعة تصعد اليه ارواح المومنين جمع علّى *

والضُراح البيت المعمور فى السمآ الرابعة *

وبُرْقع اسم للسمآ السابعة او الرابعة او الاولى *

والحاقورة اسم للسمآ الرابعة *

والصاقورة اسم للسمآ الثالثة *

والغُرْفة السمآ السابعة وكذا عَرُوبا وفيها سدرة المنتهى *

وعِقّيون بحر من الريح تحت العرش فيه ملئكة من الريح معهم رماح من الريح ناظرين الى العرش تسبيحهم سبحان ربنا الاعلى *

والاعراف سور بين الجنة والنار * لاخذ يزعق بمجامع حلقومه ويقول

Digitized by Google

ومُرامرا	اول من وضع الخط العربى *
وابا عُرْوة	رجل كان يصيح بالاسد فيموت فيشقّ بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه *
وطَخْمُورث	ملك من عظما الفرس ملك سبعمائة سنة *
والوَضّاح	رجل ملك الارض وكانت امه جنّية فلحق بالجنّ *
والرابضة	ملئكة هبطوا مع ادم وبقية حملة الحجة لا تخلو الارض منهم *
واليَبْروح	اصل اللفّاح شبيه بصورة انسان *
وسُكَيْنة	اسم البقّة الداخلة انف نمروذ *
وطاخِية	نملة كلمت سليمن عم *
وعَيْجَلوف	اسم النملة المذكورة فى القرآن *
والتُخَس	دابة بحرية تنجى الغريق تمكّنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين *
والجَسّاسة	دابة تكون فى الجزائر تجسّ الاخبار فتاتى بها الدجال
والرُخّ	طائر كبير يحمل الكَرْكَدّن *
والكركدن	دابة تحمل الفيل على قرنها *
والزَبَعْرى	دابة تحمل الفيل بقرنها *
والعُقام	سمك وحيّة تسكن البحر وياتى الاسود من البر فيصفر على الشط فتخرج اليه العقام فيتلاويان ثم يفترقان فيذهب كل منهما الى منزله *
وبنت طَبَق	سلحفاة تبيض تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف وتبيض بيضة تنقف عن حية *
والفَلَتان	طائر يصيد القردة *

Digitized by Google

والبُلَت طائر محترق الريش ان وقعت ريشة منه في الطير احرقته *
والسَمَنْدل طائر بالهند لا يحترق بالنار *
والتِهِبّط طائر اغبر يتعلق برجليه ويصوت بصوت كانه يقول انا اموت انا اموت *
والانُن طائر كالحمام صوته انين أُوهِ اوه *
والزماح طائر ياخذ الصبي من مهده *
والهَديل فرخ على عهد نوح عم مات عطشا او صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه *
والقرقفنّة طائر يمسح جناحيه على عيني القنذع الديّوث فيزداد لينا *
والقَقْنّس طائر عظيم بمنقاره اربعون ثقبا يصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة ياتي الى راس جبل فيجمع من الحطب ما شآ ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوما ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فينقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رمادا فيتكوّن منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفآ * لمدّ عنقه وجعل اصابعه في اذنيه واذّن صارخا * هاي هاي المراة المراة * اروني المراة * ما يجزئني شي عن المراة * ولو انك لاعبته
بالجُنابَى لعبة للصبيان *
وحَذَنْذَبَى لعبة للنبيط *
والطَبْطابة خشبة عريضة يلعب بها بالكرة *
والقرْطِبّى ضرب من اللعب ونوع من الصراع *

والكُبْكُب لعبة *

والكُوْبة النرد او الشطرنج *

والهَبْهاب لعبة للصبيان *

وكُتْكُتى لعبة *

والبُحَيْثى لعبة بالبُحاثة اى التراب *

والكُثْكُثى لعبة بالتراب *

والطَثّ لعبة للصبيان يرمون بخشبة مستديرة تسمى المِطَثّة *

واللُوْثة خرقة تجمع ويلعب بها *

والأُنْبوثة لعبة يدفنون شيا فى حفير فمن استخرجه غلب *

والشِطْرنج معروف *

والخَرِيْج لعبة يقال لها خَراجِ خراجِ *

والفَنْزَج رقص للعجم *

والقُجْقُجة لعبة يقال لها عَظْم وضّاح *

والكُجّة لعبة ياخذ الصبى خرقة فيدوّرها كانها كرة *

والكُجْكُجة لعبة تسمى است الكلبة *

والجُمّاح تمرة تجعل على راس خشبة يلعب بها الصبيان *

والجَمْح رمى الصبى الكعب بالكعب حتى يزيله عن مكانه *

ودِحِنْدِح لعبة للصبية يجتمعون لها فيقولونها فمن اخطاها قام على رجل وحجل سبع مرات *

والدّاح نقش يلوّح للصبيان يعلّلون به ومنه الدنيا داحة *

والرُجّاحة حبل يعلّق ويركبه الصبيان *

والدُبّاخ لعبة *

Digitized by Google

والدُماخ لعبة للاعراب *

والمِطْخّة خشبة يلعب بها الصبيان *

والطَرِيْدة لعبة تسميها العامة المَسّة والضَبْطة فاذا وقعت يد اللاعب من آخر على بدنه راسه او كتفه فهي المسّة واذا وقعت على الرجل فهي الأَسْن *

والنَرْد معروف *

والمواغدة لعبة وان تفعل كفعل صاحبك *

والباقِر لعبة *

والبُقيرى لعبة *

والجعرّى لعبة للصبيان وهو ان يحمل الصبي بين اثنين على ايديهما *

والحاجُورة لعبة تخط الصبيان خطّا مدورا ويقف فيه صبي ويحيطون به لياخذوه *

والدِكْر لعبة للزنج والحبش *

والسُحّارة شي يلعب به الصبيان *

والسُدّر لعبة للصبيان *

والعَرْعرة لعبة للصبيان *

والشَعارير لعبة *

والمِنْجار لعبة للصبيان او الصواب الميجار *

والتُوْز خشبة يلعب بها بالكجّة *

العَزْز عرز لفلان قبض على شي في كفه ضامّا عليه اصابعه يريه منه شيا لينظر اليه ولا يريه كله *

والقُفَيْزى لعبة للصبيان ينصبون خشبة ويتقافزون عليها *

Digitized by Google

والنُقاز لعبة لهم يتنافزون فيها اى يتوائبون *

والبُكسة الكجة *

والحَوالِس لعبة للصبيان *

والدُسّة لعبة *

والدَعْكسة لعب للمجوس كالرقص *

والفِسْفِسي لعبة لهم *

والفاعوس لعبة لهم *

والبُوصاآ لعبة لهم ياخذون عودا فى راسه نار فيديرونه على رُوسهم *

والرَقاصة لعبة *

والحَوْطة لعبة تسمى الدارة *

والخَطّة لعبة للاعراب *

والضَبْطة لعبة لهم *

والتَضَرْفُط وهو ان تركب احدا وتخرج رجليك من تحت ابطيه وتجعلهما على عنقه *

والضُرَيْفطيّة لعبة لهم *

والمَقط مقط الكرة ضرب بها الارض ثم اخذها *

والمِرْصاع دُوّامة الصبيان وكل خشبة يُدحَى بها *

واليَرْمَع الخُذروف *

وقُلَوْبع لعبة لهم *

والجُحْفة اللعب بالكرة *

والخُذْرُوف شى يدوره الصبى بخيط فى يديه فيسمع له دوىّ ويسمّى ايضا الخُذّرة والقرصافة والخذروف ايضا طين يعجن

يعمل شبيها بالسكّر يلعب به الصبيان *

والزُحْلوفة تزلّج الصبيان من فوق التل الى اسفله *

والعِياف العياف والطريدة لعبتان لهم *

وقاصّة قرصافة لعبة لهم *

والحُزُقّة ضرب من اللعب *

والدَبّوق لعبة *

والزُحْلوقة الارجوحة *

والشُفُلّقة لعبة وهو ان يكسع انسانا من خلفه فيصرعه *

والعُفَقة لعبة *

والعُقّة التى يلعب بها الصبيان *

والقِرْق لعب السُدَّر *

والكُرّك لعبة لهم *

ودِبّى حَجَل لعبة *

والدُخَيْلياً لعبة لهم *

والدِرَقْلة لعبة للصبيان *

والدِرَكْلة لعبة للعجم او ضرب من الرقص او هى حبشية *

والفِئال لعبة للصبيان يخبّون الشى فى التراب ثم يقسمونه ويقولون فى ايّها هو *

والفِيال لعبة لفتيان العرب *

والدُمّة لعبة *

والدُوّامة التى يلعب بها الصبيان فتدار وتسمى ايضا المِرْصاع *

والمَرْغمة لعبة لهم *

Digitized by Google

والشَّحْمة لعبة لهم *

وعُظَّم وضَّاح لعبة لهم *

والمِهْزام عود يجعل فى راسه نار يلعبون به *

والبُرْطُنة ضرب من اللهو كالبرطمة *

والتَّون. خرقة يلعب عليها بالكجة *

والطُّبَن لعبة لهم *

والقِنِّيْن لعبة للروم يتقامر بها *

والكُبْنة لعبة *

والدُّمَة لعبة للصبيان *

والمِجْذآ خشبة مدورة تلعب بها الاعراب *

والمخاساة خاساه لاعبه بالجوز فردا او زوجا *

والقُزَة لعبة *

والقُلَة عودان يلعب بهما الصبيان *

لشحر فاه وشحاه وعجاه وزاد صراخا وضجيجا وهو يقول المراة المراة * الا فلاعبوني بالمراة * ولو انك طرّبته

بالرّباب معروف *

والعَرْطبة العود او الطنبور او الطبل او طبل الحبشة *

والكُوبة البَرْبط والطبل الصغير المختصر *

والدِرِّيْج شى كالطنبور يضرب به *

والصَنْج شى يتخذ من صُفر يضرب احدهما على الاخر وآلة باوتار يضرب بها معرّب والصيار صوت الصنج *

والوَنَج ضرب من الاوتار او العود او المعزف *

Digitized by Google

والعود معروف *

والمِزْمار ما يزمّر به ويقال له ايضا الزَّمْخر والزَّنبق والصُّلبوب والنقيب والقصّابة والهُبْنوقة *

والمِزْهر العود يضرب به *

والشبّور البوق ويقال له ايضا القُبْع والقُشْع والقُنع والصُور *

والطنبور معروف *

والكنّارات العيدان او الدفوف او الطبول او الطنبور *

والكُوس الطبل *

والبَرْبَط العود *

والشياع مزمار الراعي *

والهَيْرَعة اليراعة يزمر بها الراعي *

والدف معروف *

والمُسْتُقة آلة يضرب بها الصنج ونحوه *

والعَرْكَل الدف والطبل *

والصَغانة من الملاهي معرّبة *

والطِبْن الطنبور او العود *

والقِنّين الطنبور *

والكِران العود او الصنج *

والوَنّ الصنج *

لظل فاغرا فاه وهو يزعق ويقول المراة المراة * لا فطرّبوني بالمراة * ولو اطعمته

الجُوذاب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم *

والقَبيب الاقط خلط رطبه بيابسه *

Digitized by Google

والكُباب معروف *
والسَنّوت الزبد والجبن والعسل وضرب من التمر *
واللَفيتة العصيدة المغلّظة او مرقة تشبه الحيس *
والنفيتة طعام اغلظ من السخينة *
والعُلاثة سمن واقط يخلط *
والغَبيثة لت الاقط بالسمن كالعبيثة *
والسِكباج معروف *
والطَباهجة اللحم المشرّح *
والنابجة طعام جاهلىّ *
والاَخيخة دقيق يعالج بالسمن او الزيت *
والقَفيخة طعام يعالج بالتمر والاهالة *
والكامخ ادام *
والثريد معروف *
والرشيدية طعام معروف فارسيته رشته *
والرّهيدة البرّ يدق ويصب عليه لبن *
والشَهيدة البَرق المشوى *
والقَديد اللحم المشرّر المقدّد *
والحَنيذ حنذ الشاة شواها وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها فهى حنيذ *
والزُماوَرْد طعام من البيض واللحم ويسمى ايضا الميسّر *
والبَرابير طعام يتخذ من فريك السنبل والحليب *
والبُورانية طعام ينسب الى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المامون *
والجاشِريّة طعام *

Digitized by Google

والجَعاجِر	ما يتخذ من العجين كالتماثيل فيجعلونها فى الربّ اذا طبخوه *
والحَريرة	دقيق يطبخ بلبن او دسم *
والحَكّر	السمن بالعسل يلعقهما الصبى *
والمَخبور	الطعام المدسّم والخُبْرة والثريدة الضخمة — والطعام واللحم وما قُدّم من شى وطعام يحمله المسافر فى سفرته وقصعة فيها خبز ولحم بين اربعة او خمسة *
والخَزيرة	شبه عصيدة بلحم *
والصَحِيرة	اللبن الحليب يغلى ثم يصب عليه السمن *
والغَذيرة	دقيق يحلب عليه لبن ثم يحمى بالرضف *
والفُرْفور	سويق من ثمر اليَنْبوت *
والمُرّىّ	ادام الكامخ *
والمَضيرة	مريقة تطبخ باللبن المضير *
والنَجيرة	لبن يخلط بطحين او سمن *
والوَغير	لبن يغلى ويطبخ *
والخَاميز	مرق السكباج *
والخَنيز	الثريد من الخبز الفطير *
والمُرزَّز	الطعام المعالج بالرز *
والبَسيسة	لت الاقط المطحون بالسمن *
والحَميسة	القليّة *
والحَيْس	تمر يخلط بسمن واقط فتعجن شديدا *
والكَبيس	لحم يجفف على الحجارة فاذا يبس دق فيضير كالسويق *
والهَريسة	معروف *

Digitized by Google

والبَوْش	طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويغسل فى زنبيل ويجعل فى جرة ويطين ويجعل فى تنّور *
والجَشِيش	السويق وحنطة تطحن جليلا فتجعل فى قدر ويلقى فيه لحم او تمر فيطبخ *
والرَشْرش	السمين من الشوآ *
والقَميشة	طعام من اللبن وحب الحنظل ونحوه *
والمكَرّشة	طعام يعمل من اللحم والشحم فى قطعة مكورة من كرش البعير *
والكَوْشان	طعام من الرز والسمك *
والآمِص	الآمص والاميص طعام يتخذ من لحم عجل بجلده او مرق السكباج المبرّد المصفّى من الدهن *
والخَبيص	طعام من التمر والسمن ويسمى ايضا البَرُوك *
والعَمْص	ضرب من الطعام *
والكَرِيص	طبخ الحُمّاض باللبن فيجفف فيوكل فى القيظ *
والمَصُوص	طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل او يكون من لحم الطير خاصة *
والأَقِط	شى يتخذ من المخيض الغنمى *
والمُبَرْقَط	طعام يفرّق فيه الزيت كثيرا *
والبَهَطّ	الارز يطبخ باللبن معرب *
والخَلِيْط	الجدى اذا سلخ فشوى *
والسَمِيْط	الجدى اذا نزع شعره فشوى *
والسُرَيْطآ	حسًا كالحريرة *
والسُوَيْطآ	مرقة كثر ماؤها وثمرها اى بصلها وحمصها وسائر الحبوب *

Digitized by Google

والتَشْبِيط	لحم يشوى للقوم *
والخَدِيعة	طعام لهم *
والخَذِيعة	طعام بالشام من اللحم مشتق من خذع اى حزّز وقطع والمخذّع الهوآء *
والخَلْع	لحم يطبخ بالتوابل فى وعآ من جلد او القديد المشوى فى وعآ باهالته *
والرَصِيعة	البرّ يدق بالفهر ويبلّ ويطبخ بالسمن *
والوَضِيعة	حنطة تدق فيصب عليها السمن فيوكل *
والثميغة	ما رقّ من الطعام واختلط بالوَدَك *
والخَطِيفة	دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ *
والصفصفة	السكباجة *
والطِّحرف	حسا رقيق دون العصيدة *
والمُوخِف	طعام من اقط مطحون يذر على مآ ثم يصب عليه السمن *
والاَلُوقة	طعام طيب او زُبد برُطَب *
والحَرُوقة	طعام اغلظ من الحسا *
والمدقّقة	من الطعام مولدة *
والرَوْذَق	الحمل السميط وما طبخ من لحم وخلط باخلاطه *
والزُرَيقآ	الثريدة بلبن وزيت *
والسَلِيقة	الذرة تدق وتصلح او الاقط خلط به طرائيث وما سُلق من البقول ونحوها *
والسويق	معروف *
والشُبارق	ما اقتطع من اللحم صغارا وطبخ *

Digitized by Google

والوَشيق	لحم يقدد حتى ييبس او يُغلَى اغلاة ثم يقدد ويحمل في الاسفار *
والوليقة	طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن *
والدَليك	طعام من الزبد واللبن او زبد وتمر ونبات وثمر الورد الاحمر يخلفه ويحلو كانه رُطَب النخ *
والرَبيكة	اقط بتمر وسمن *
والسَّهيكة	طعام *
والفَريك	طعام يفرك ويلت بسمن وغيره *
واللّبيكة	اقط ودقيق او تمر وسمن يخلط *
والوَديكة	دقيق يشاط بشحم *
والبَكيلة	دقيق بالرب او بالسمن والتمر *
والحَذَل	حب شجر ويختبز *
والطَفَيْشَل	نوع من المرق *
والعَوْكَل	ضرب من الادام *
والزَوْم	طعام لاهل اليمن من اللبن لذيذ *
واباعاصم	السويق والسكباج *
والهُلام	طعام من لحم عجل بجلده او مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن *
والسَخِينة	طعام رقيق يتخذ من دقيق *
والكُبان	طعام من الذرة لليمنيين *
والتَلْبينة	حساً يتخذ من نخالة ولبن وعسل *
والجَليهة	تمر يعالج باللبن *

Digitized by Google

والأرة القديد ولحم يغلى بالخل اغلاَة فيحمل فى السفر *

والآصية طعام كالحسى بالتمر *

والاطرية طعام كالخيوط من الدقيق *

والكدى لبن ينقع فيه التمر تسمّن به البنات * ولو اطعمته من انواع الكماة الذبح والفرحانة والقرحان والغرد وبنات أوبر والجماميس والفقع والبرنيق والذعلوق والقعبل والعرجون والعرهون ومن انواع السمك القباب والهازبى والكنعت والكنعد والخباط وهى اولاده والبينيث والمدج والابدح والقد والغوبر والزمير والزنجور والاشبور والطنز والانقليس والجوفى واللخم وابا مرينا *

والصلنباح سمك طويل دقيق *

والحافيرة سمكة سودآ *

والجرى سمك طويل املس لا ياكله اليهود وليس عليه فصوص *

والصرصران سمك املس *

والغارة سمكة طويلة *

والقيصائة سمكة صفرآ مستديرة *

والشبوط سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الراس كانه بربط *

والجنيس سمكة بين البياض والصفرة *

والصلعة سمكة صغيرة خضرآ قصيرة العظم *

والحفة سمكة بيضآ شاكة *

والعفة سمكة جردآ بيضآ طعم مطبوخها كالارز *

والحذاق سمكة لها ذوائب كالخيوط *

Digitized by Google

والحاقُول سمك اخضر طويل *

والقَتَن سمكة عريضة قدر راحة *

والغَلآ سمك قصير *

والهق السمك الصغار الهاربة *

والبَلَم صغار السمك *

والصَّحناة ادام يتخذ من السمك الصغار *

والصِيّر الصحناة اوشبهها والسميكات المملوحة يعمل منها الصحناة *

والحَرِيْد السمك المقدد *

والقَرِيب السمك المملوح ما دام فى طرآته *

والطِرّيخ سمك صغار تعالج بالملح *

والحُساس سمك صغار تجفف *

والنَشُوط سمك يمقر فى مآ وملح *

والأربيان سمك كالدود *

والصُعْقُر بيض السمك *

والسِكَل سمكة سودآ ضخمة *

والزَجْر سمك عظام *

والبال الحوت العظيم *

والأَطُوم سمكة بحرية غليظة *

والجَيْذرة سمكة كالزنجى الاسود الضخم *

والبُنبك دابة كالدلفين *

والجَمَل سمكة طولها ثلثون ذراعا *

واللّيآ سمكة تتخذ منها التِرَسة الجيدة وهو ايضا شى كالحمص

شديد البياض توصف به المراة *

والتُخس تقدم ذكرها فى الغرائب * ومن المَحار

السُلَج اصداف بحرية فيها شى يوكل *

والدلاع ضرب من محار البحر *

والقرّنع دويبة بحرية لها صدفة *

والجُمّحل لحم يكون فى جوف الصدف * ومن انواع الخبز

الطُرّموث خبز المَلّة ومثله المُفْتأد والمُضّباة والطُرْموس والاِصْطَكْمة

والاُصْطُكّمة * ومن الغرائب هنا ان صاحب القاموس اورد

التى بالكسر بعد ا ش م والتى بالضم بعد ص ط م *

والزَلْحَلَحة الرقيقة من الخبز وكذا الصَريقة *

واللُحوح خبز شبه القطائف *

والانْبخانىّ خبزة انبخانية ضخمة *

والخُبْرة الثريدة الضخمة *

والمَشْطور الخبز المطلىّ بالكامخ *

والسِلّجن الكعك *

والخنيز الثريد من الخبز الفطير *

والرَشْرش اليابس الرخو من الخبز كالرَشْراش *

والهَشاش الخبز الرخو اللين *

والمُرَبّقة الخبزة المشحمة ونحوها المروّلة *

والرُقاق الخبز الرقيق *

والصَغيغة خبز الارز المرقق *

والمَلّى الخبزة المنضجة * ومن اجناس اللبن

السَمْعَج اللبن الدسم الحلو ومثله السَمَلج والسَمْهج والسمهجيج *

والقُطْبيَّة لبن المعز والضان يخلطان او لبن الناقة والشاة *

والشَمِيْط ما لا يُدرَى احامض هو ام حقين من طيبه *

والجُلَعْطِيط اللبن الرائب الثخين ومثله لبن عُجَلِط وعثلط وعذلط وعكلط وعلبط * تقدم نحوى بغيض كان يتكلم بالاعراب الى لبّان فقال يالبان اعندك لبن عُثلط علبط عجلط فقال له اللبان تنصرف او تُصفع *

والكَفْخة الزبدة المجتمعة البيضآ *

واللّياخة الزبد الذائب مع اللبن *

والقِشْدة الزبدة الرقيقة *

والقِلْدة القشدة والتمر والسويق يخلص به السمن *

والنَهِيْد الزبد الرقيق *

والعَكِيس اللبن الحليب تصب عليه الاهالة *

والثميرة اللبن الذى ظهر زبده *

والنَخيسة لبن العنز والنعجة يخلط بينهما *

والإمْخاض الحليب ما دام فى المِمْخضة *

والحالُوم ضرب من الاقط او لبن يغلظ فيصير شبيها بالجبن الطرى *

ومن الحلواء

الوَطِيئة تمر يخرج نواه ويعجن بلبن والاقط بالسكر والكعك *

والعَبِيبة طعام وشراب من العُرفط حلو *

والبُرْت السكّر *

والضَيْح العسل والمقل *

Digitized by Google

والمَلَخ	عسل فى جلّنار المَظّ *
واليَعقِيد	طعامٌ يُعقد بالعسل *
والفارِد	ابيض السكر واجوده *
والقَنْد	عسل قصب السكر *
والفانيذ	ضرب من الحلوآ *
والصَقْر	عسل الرُطَب والدبس *
والاِكْبِر	شى كانه خبيص يابس ليس بشديد الحلاوة يجى به النحل *
والفالوذ	م ويسمى ايضا الرِعْديد والمُزَعزِع والزَلِيل والكَمْص والمُزعفَر *
والماذِىّ	العسل الابيض او الجديد او خالصه وجيده *
والمُسيّر	حلوآ *
واللوزِينج	معروف معرب *
والوَخِيز	ثريد العسل *
واللّواص	الفالوذ والعسل *
والسِرِطْراط	الفالوذ او الخبيص *
والمَجِيع	تمر يعجن بلبن *
والقطائف	معروف *
والكُرْسُفىّ	نوع من العسل *
والطِرْم	الشهد والزبد والعسل *
والمَنّ	كل طلّ ينزل من السمآ على شجر او حجر يحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ الخ *
والزَلابية	حلوآ معروف * ومن الثمر
الصَرَبة	شى كراس السنور فيه شى كالدبس يمص ويوكل *

Digitized by Google

والعَتْرب شجر كالرمان يوكل *
والبُوت شجر نباته كالزعرور *
والوَعْثاآ عنب له حبّ طوال *
والجَوْح البطّيخ الشامى *
والصَدَح ثمرة اشدّ حمرة من العُنّاب *
والمُلاحىّ عنب ابيض طويل ونوع من التين *
والعَنْجَد الزبيب او ضرب منه *
والفِرْصاد التوت او حمله او احمره *
والقَشَد نبت يشبه القثآ او الخيار *
والكَشْد حب يوكل *
والمَرِيد التمر ينقع فى اللبن *
والمَغْد ثمر يشبه الخيار *
والحَناذ المشمش *
والصُفْريّة تمر يمانى يجفف بُسرًا فيقع موقع السكر فى السويق *
والضَمِير العنب الذابل *
والزِنْبار التين الحلوانى *
والسُكّر من احسن العنب *
والزَعْراآ ضرب من الخوخ *
والشَعْراآ ضرب منه ايضا *
والمِغْثَر شى ينضجه الثمام والعُشَر والرِمْث كالعسل وكذا المِغْفَر *
والغوْفَر البطّيخ الخريفى او نوع منه *
والقَبّر عنب ابيض طويل *

Digitized by Google

والمَزْمار الرمّان الكثير المآء لا شحم له *
والنَهر العنب الابيض والكُلافِيّ عنب ابيض فيه خضرة *
والجُوْزة ضرب من العنب *
والمِشْلَوز المشمش الحلو *
والبَلَس ثمر كالتين *
والضَّغابيس صغار القثآ او نبات كالهليون *
والمَيس نوع من الزبيب *
والكِشْمش عنب صغار لا عجم له الين من العنب *
والضُرُوع عنب ابيض كبار الحب *
والاقماعيّ عنب ابيض يصفرّ اخيرا حبه كالورس *
والمَيْعة شجرة كالتفاح لها ثمرة بيضآ اكبر من الجوز تؤكل ولبّ نواها دسم يعصر منه الميعة السائلة (فى قول)
والغاف شجر له ثمر حلو جدا *
والباسِق ثمرة طيبة صفرآ *
والرازقيّ العنب المُلّاحى *

لزاد شحر فم وزعيقا ولغطا وزياطا وضجيجا وهو يقول المراة المراة * الا فاحسونى المراة * ولو انك سقيتهٗ من الشراب

الرحيق ممزوجا بالبند الرحيق الخمر او اطيبها او الخالص او الصافى والبند الذى يسكر من المآ *

والسَلْسل ممزوجة بالسلسل السلسل المآ العذب ومن الخمر اللينة *

والمِسْطار مزاجها العَصْرس المِسْطار الخمر الصارعة لشاربها والعصرس المآ البارد العذب والثلج *

Digitized by Google

والإسْفِنط مزاجها النَقِز الاسفنط المطيب من عصير العنب او ضرب من الاشربة او اعلى الخمر * والنقز المآ الصافى العذب *

والخرطوم ممزوجة بالمآ الزلال الخرطوم الخمر السريعة ومآ زلال كغراب سريع المرّ فى الحلق بارد عذب صاف سهل سَلِس *

والمعتَّقة مزاجها الفُرات المعتقة الخمر القديمة والفرات المآ العذب جدّا *

والمثلّث شراب طبخ حتى ذهب ثلثاه *

والفَضيخ عصير العنب وشراب يتخذ من بُسر مفضوخ *

والفَقْد شراب من زبيب او عسل كالفُقْدد *

والمَقَدىّ شراب من عسل *

والداذِىّ شراب الفسّاق *

والجُمهورىّ شراب مسكر او نبيذ العنب اتت عليه ثلث سنين *

والخُسْروانى شراب *

والسَكَر الخمر ونبيذ يتخذ من التمر *

والغُبَيْرآ السُكُركة وهى شراب من الذرة *

والمِزْر نبيذ الذرة والشعير *

والكَسِيس نبيذ التمر *

والبِتْع نبيذ العسل المشتدّ او سلالة العنب *

والسُقُرْقُع شراب يتخذ من الذرة او من الشعير والحبوب *

والجِعَة نبيذ الشعير *

والفُقّاع هذا الذى يشرب لما يرتفع فى راسه من الزَبَد *

والباذِق ما طبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدا *

Digitized by Google

والخَليطَين ما ينبَّذ من البُسر والتمر معًا او من العنب والزبيب او منه ومن التمر ونحو ذلك *

والضرِيّ الماَ من البسر الاحمر والاصفر يصبونه على النبق فيتخذون منه نبيذا *

والعُكبِيّ سويق المقل *

والاَطْواق لبن النارجيل وهو مسكر جدا سكرا معتدلا ما لم يبرز شاربه للريح فان برز افرط سكره الخ *

والصَعْف شراب من العسل او يشدَخ العنب فيطرح ثم يغلى *

والنبق دقيق يخرج من لبّ جذع النخلة حلو يقوى بالدبس ثم يجعل نبيذا *

والسَليل الشراب الخالص *

والمُعَمول المعمول من الشراب ما فيه اللبن والعسل *

والطِلاَ الخمر وخاثر المنصّف وهو الشراب طبخ حتى ذهب نصفه*

لعربد وزاد صراخا وصياحا وهو يقول المراة المراة * الا فاسقونى المراة * بل لو سقيته من الفحفاح والكوثر * ومن رحيق مختوم * مزاجه من تسنيم * وجعلته فى جملة من يطوف عليهم ولدان مخلدون * باكواب واباريق وكاس من معين * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * فى سِدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماَ مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * وعنده جنّتان * ذواتا افنان * فيهما عينان تجريان * فيهما من كل فاكهة زوجان * من دونهما جنتان * مدهامّتان * فيهما عينان نضّاختان * فيهما فاكهة ونخل ورمان * فيهن خيرات حسان * فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام * والحب ذو العَصف

Digitized by Google

والريحان * بين متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان * بين متكئين على فرش بطائنها من استبرق * وعلى فرش موضونة * يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منشورا * عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحُلّوا اساور من فضة * لما رايته والحالة هذه راضيا من دون المراة * فاعوذ بالله من هذا الانسان * ومع ذلك اى مع كون وجود الطعام والشراب للرجل الزم من وجود المراة اذ الاول مخلوق لحفظ الحياة والثانى لتقويم الطبيعة على ما سبق ذكره * فان وجود المراة اصعب منهما واكثر تعذّرا واغلى سعرا * اذ الطعام والشراب يوجدان فى كل مكان وزمان * حتى ان اهل سقر لهم طعام من الزقوم والمُهْل والضريع * وشراب من غسلين * وظل من يحموم * ولكن ليس لهم نسآ من مارج من النار او من الشياطين * ولا وجود للمراة ايضا فى السفينة ولا فى دير الرهبان الا نادرا * ولا لراكب فرس او حمار او جمل او بغل * ولا لساعٍ على القدم * ولا لمباشر الحرب ولا لمسجون * ولا لقبيح الخلقة الا اذا كان جميل الدينار والجلآ * ولا لشاعر مملق وان تملّقهن وسهر الليالى فى وصف محاسنهن والتشبب بها * ولا لمن به تشويلية وترويلية وزَلقيّة وزُمالقيّة وزهْلقيّة وتيْتائيّة واذْليلائية ونَعْنعيّة وهَلوكية وشكّازية وثيْتليّة وعِنّينية وحَريكيّة وطَمْسَلية ومَنْجوفية وحصورية وسَرسية وعجيرية وذَوْذَخية وحَوْقلية وهَوْذلية ووَخْواخية وعذْيَوطيّة وعِضْيوطية وعِظْيوطية وثنّية وثمونية وصَفيطيّة ومُجيّائية وعِتْولية * فان قيل ان الادرم لا خبز له ايضا * قلت يمكن ان يدق له الخبز ناعما فيمضغه ويجتزئ به * ولكن كيف السبيل الى مضع المراة مع التيتائيّة واخواتها * ثم انه كما وقعت البلبلة عن ذات

المرأة وحارت العقول فى السرّ الذى اودعه الله فيها * من جهة انها اول الاسباب فى عمران الكون وخرابه * اذ لا يكاد يحدث فى العالم خطب جليل الا وتراها من خلله واقفة وراه او بالحرى مضطجعة * كذلك حصل التشويش والتخليط فى اسمها * فالمراة فى لغتنا الشريفة مشتقة من مرؤ الطعام اذا صار مريّا هنيّا جيد المغبّة * الا انها كثيرا ما تكون طعاما ذا غصّة وشجا وتخمة وتختير وتخثير * ثم ان همزها للوصل ووصلها للهمز * وجمعها من غير لفظ المفرد وهو متعدد * وفى بعض اللغات هى ويل الرجل * وفى بعضها سَوْأة * فاما الزوجة وهى المفهوم منها انها امراة وزيادة او نصف امراة ونصف رجل فقد خصّت ترضّيا لها باسماء كثيرة * من ذلك القرينة واشتقاقها معلوم * والعازبة واشتقاقها من عزب اى بعد لانها تعزب عن ابويها الى زوجها او بالعكس او عنه الى غيره * والحُرْمة * واللحاف لانها تدفى الرجل بحر جسدها كما سياتى * والحداْدة والنِضر والعِرس والحَليلة واللباس والجَثَل والحال والخُضُلّة والشاعة والحَنّة والرُبَض والنَعْل ولست ارضى بهذه فالاَوْلى محوها * ومن الغريب انها سميت لباسا ولحافا ولم تسمّ سروالا * قال بعض العلماء اذا اراد الله ان يقضى خيرا على الارض قيّض له امراة فكانت الوسيلة الى اجرائه * واذا اراد الشيطان ان يقضى شرّا توسل اليه ايضا بامراة * وقد اختلفوا فى تاويل هذا القول * فالخرجيون على ان دخول المراة فى قضية ملك الانكليز كان للخير المحض * والسوقيون على انه كان للشر الجهنمى * وكذلك قضية ملكتى الانكليز وقضية ايرين زوجة ليو الرابع وثيودورة زوجة ثاوفيليوس * وغير ذلك مما لا يحصى * واعلم هنا انه لم تجر العادة بان يتخذ من النساء بابا او مطران او رئيس جيش او رئيس سفينة او قاض * وذلك لانتفاء

باسهن وسطوتهن * فان الرجال مستعبدون للنسآ بالطبع خلوًّا من هذه المراتب العلية فكيف بهن اذا ولينها * فان قيل ان الافرنج يتخذون منهن ملكات ويفلحون * قلت قد تقرر عندهم انه اذا كان رئيس الدولة انثى كانت ادارة الاحكام والعمل كله لذكر * ولعل ذلك من مشاكل الامور الانثوية فان هذا التعليل يصدق ايضا على كون البابا وغيره يتخذ من النسآ * ولعلى قد اطلت الكلام هنا على النسآ مع انه ربما يوجد فيهن قصار غير جديرات بالطويل منه * فينبغى لى الان تطليقهن والعود الى ما كنت بصدده * وساعود اليهن فى موضع آخر ان شا الله *

الفصل الخامس عشر

. . . .

. . . .

. . . . فى ذلك الموضع ☜



فى ذلك الموضع بعينه

لم يطاوعنى القلم على الانتقال من هذا الموضع الشهى الى الكلام فى الفارياق وامثاله * بل لعله هو نفسه يروم ذلك ايثارا له على ذاته * فلا بد اذا من الرجوع الى وصف النسآ من دون اعتذار اليه فاقول * قال بعض الفحول من العلمآء ان المراة اشرف من الرجل وافخم وانبل واحلم وافضل واكرم * اما وجه كونها اشرف فلان شاهدى تانيثها واقفان فى محل مرفوع * بحيث يمكن لها ان تراهما او تريهما ايان شات من دون تطاطى راس وانحنآ * وفى ذلك من العز والشرف ما لا يخفى * الا ترى ان بعض الادبآ قال ان من عزّ لا ان يقولها الانسان وهو رافع راسه * ومن ذُلّ نعم ان يقولها وهو خافضه * اما شاهدا الرجل فهما منكوسان فى محل منخفض بحيث لا يقدر ان يراهما الا اذا تطاطا وانحنى * واما وجه كونها افخم فلان ساقيها اللتين هما عمودان لهيكل الجسم * وبطنها الذى هو منبت لتكوّن النسمة * وعجزها الذى هو مورد للاعجاز * تكون افخم من ساقى الرجل وبطنه وعجزه * واما وجه كونها انبل فلانها تنبل بما يلقى اليها مدة تسعة اشهر * واما وجه كونها احلم فلانّ سِمَة الحلم ترى فى شاهدى تانيثها * واما وجه كونها افضل فلانها خلقت من الرجل وعقبه *

Digitized by Google

وهو خلق من تراب * لكنها اذا ماتت (معاذ الله من ذلك) تستحيل الى تراب كالرجل لا الى اصلها الذى اخذت منه اى لا تصير رجلا ولا ضلعا * واما وجه كونها اكرم فلانها ارق فوادا وارحم قلبا والين طبعا * فاذا رات احدا محتاجا الى شى من عندها لم تضن به عليه * وناهيك ما جآ عن مادح السيدة زبيدة اذ قال

ازبيدة ابنة جعفر   طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما   تعطى الاكف من الرغاب

فلما انكر الوصفآ عليه ذلك وهمّوا بضربه انتهرتهم واحسنت اليه لعلمها انه لم يخطئ الوصف * وقال فحل اخر ان المراة تعمّر فى الغالب اكثر من الرجل * وسبب ذلك انها لما كانت مفطورة على اللين والطفولة والنعومة كان لها ان تتلقى ما يستقبلها من الحوادث بالصبر والتانّى * فتكون به مُلَّعا اى تارة تميل الى هذا الشق وتارة الى ذلك * فمثلها كمثل الغصن الرطيب يميل مع الريح فلا ينقصف * فاما الرجل فانه لما كان مفطورا على القسوحة واليبوسة فمتى دهمه امر تصلّب له واقتسح فلا يلبث ان يعطب به * فمثله كمثل الشجرة اليابسة اذا قويت عليها الريح * قال ومن خواصها ايضا ان الخمرة لا تبلغ منها قدر ما تبلغ من الرجل * واختلفوا فى تعليل ذلك * فذهب قوم الى ان فى دم المراة قوة جاذبية تغلب على الخمر فتجذبه سفلا فلا يصعد الى دماغها * وزعم بعض ان فى المراة نوعا من الخمر يسمى رضابا وهو فيها قوى جدا * بحيث اذا خالطه الشراب اىّ شراب كان ذهب بقوته * والقطرة من هذا النوع تباع احيانا ببدرة واحيانا براس انسان او بعنقه * ومن خواصها ان شعرها

يكون اطول من شعر الرجل * وشعرها ابلغ من شعره * وشعورها ادق *ومشاعرنها انفع * اما الاول فلم يختلف فيه اثنان * واما الثانى فلانها اذا قالت شعرا فانما تقوله فى رجل فهو يعجب الرجال ويبلغ منهم بالطبع * ويعجب النسآ بالطبع والصنعة ايضا * ولعل ذلك مشكل آخر من المشاكل الانثوية * فانى ارى هذا التعليل يصدق على الرجل فانه انما يقول الشعر فى امراة * ويمكن ان يجاب بان الشاعر المجيد اكثر شعره يكون فى غير الغزل * وذلك كاختلاق مدح يفتريه على امير * او وصف مجلس انس او حرب ونحوه * واما الثالث فلانها اذا مرّت مثلا بحانوت بزّاز ورات بزّا شفافا اترنجى اللون * فاول ما تلمحه تقول لك هذا يصلح للّيل * وربما كان فكرك وقتئذ فى كتاب تطالعه او فى شرآ حمار تركبه * واذا رات ديباجا اخضر قالت بديها هذا يصلح للشتآ * اوكتانا ابيض فاخرا خصّصته بالصيف * ثم اذا مرّت بدكان جوهرى او اذا تهوّستَ انت واخذتها اليه قالت لك على الفور هذا الحجر الماس يصلح لان يجعل فصا فى خاتم للبنصر * وهذه الياقوتة فى خاتم للخنصر * وهذه الزمرذة فى خاتم للمتوسطة * وهذا الفيروزج فى خاتم للسبابة * وهذه الفريدة فى خاتم للابهام * وهذه اللآلى الكبيرة لقلادة فى العنق * وهذه الصغيرة لسوار * وهذه السلاسل الذهب المرصعة توضع فى العنق مع القلادة وتدلّى الى الخصر ويعلق بها ساعة من ذهب * وهذه الشنوف الثقيلة للشتآ * وتلك الخفيفة للصيف * وهذه المتوسطة للربيع والخريف * وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار * فان قيل ان الكاف فى فكرك خطاب مطلق لكل قارى وربما تشرف كتابك هذا بمطالعة امير او غيره من السادة العظمآ فلا يصح توجيه الخطاب اليه * لان الامير لا يفكر فى الحمير * قلت قد ورد فى

سفر التكوين فى الفصل السادس والثلثين ان عانة من ولد سعير الحورى كان يرعى حمير ابيه زبيون وكان اميرا * بل قد علّق عليه فى بعض النسخ جِلاّ دوك وهو اعظم من الامير * ثم انها اى المراة لم تلبث حالة كونها ناظرة الى تلك الجواهر ان تقسم اهل المصر جميعا الى خمسة اقسام

القسم الاول فى تهيئة الجواهر *

من التِجاب ما اذيب مرة من حجر الفضة *

والمُشَخَلَبَة خرز بيض تشاكل اللولو او الحلىّ يتخذ من الليف والخرز وقد تسمّى الجارية مُشَخَلبة بما عليها من الخرز وليس على بنانها شى *قلت وفى محفوظى ان ابن الاثير حكاها بتقديم الخآ على الشين دون هآ. *

والضُّب حبّ اللولو *

والقَصَب ما كان مستطيلا من الجوهر ...... والدرّ الرطب والزبرجد الرطب المرصّع بالياقوت *

واليَشب حجر معروف *

والبَهْت حجر معروف *

والكبريت الياقوت الاحمر والذهب او جوهر معدنه خلف التُبّت بوادى النمل وفى ت ب ت تبّت كسكّر بلاد بالمشرق ينسب اليها المسك الاذفر *

والياقوت معروف *

والدَهْنَج جوهر كالزمرذ *

والزِبْرج جوهر او الزينة من وشى *

والزبردج الزبرجد *

Digitized by Google

والصَابِجة	سبيكة الفضة المصفّاة *
والمَرْجان	م وتعريفه فى القاموس انه صغار اللولو *
والخَرايد	الخريدة اللولوة لم تثقب *
والفَرِيْد	الشَذْر يفصّل بين اللولو والذهب ج فرائد والجوهرة النفيسة والدرّ *
والجُذاذ	حجارة الذهب *
والبَلّور	جوهر معروف *
والتِبْر	الذهب والفضة او فتاتهما قبل ان يصاغا فاذا صيغا فهما ذهب وفضة اوما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ ومكسر الزجاج وكل جوهر يستعمل من النحاس والصفر *
والسِيَرآ	الذهب الخالص *
والشَذْر	قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا اذابة او خرز يفصّل بها النظم او هو اللولو الصغار *
والشَمّور	الماس *
والعَمْرة	الشذرة من خرز يفصل بها النظم *
والنُضار	الجوهر الخالص من التبر *
والخَرَز	الجوهر وما يُنظم *
والفِلِزّ	نحاس ابيض — او جواهر الارض كلها او ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها *
والهِبْرِزِى	الذهب الخالص *
والتَرامِس	الجُمان *
والحُصّ	اللولوة ونحوها الخُوصة *

Digitized by Google

والخِلاص ما اخلصته من الذهب والفضة *

والدَّلِيص مآ الذهب *

والخَضَض خرز بيض صغار يلبسها الصغار *

والثَّعْثع اللولو والصدف *

والجَزَع الخرز اليمانى الصينى *

والزَيْلع ضرب من الودع *

والينَع ضرب من العقيق *

والزُخْرف الذهب وكمال حسن الشى *

والصَريْف الفضة الخالصة *

والسفائق السفيقة الضريبة الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوهما *

والعقيق معروف *

والخَضْل اللولو والدر الصافى وخرز معروف *

والحُوْمة البلّور *

والجُمان اللولو او هنوات اشكال اللولو من فضة او خرز بيّض بمآ الفضة *

والمِيْنا جوهر الزجاج *

والمَهْو اللولو وحصى ابيض والمَهاة البلورة *

والنِهآ الزجاج ويقصر او القوارير وحجر ابيض ارخى من الرخام — وضرب من الخرز *

القسم الثانى فى عمل الحلىّ

من البُوبُو راس المكحلة *

والأُرْبة القلادة *

والأَرْنب حلى *

والمِعْقب القُرط ومثله الرَّعثة ج رِعاث *

والجُمّة خرزة او لولوة تعلق فى الاذن *

والدُملج معروف *

واليارَج القُلْب او السوار *

والجانح الجانح من الدر نظم يعرّض او كل ما جعلته فى نظام *

والداح سوار ذو قوى *

والسَنيح الدر او خيطه قبل ان ينظم فيه والحلى *

والوِشاح كِرْسان من لولو وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر واديم عريض يرصع بالجوهر تشده المراة بين عاتقيها وكشحيها *

والوَضَح حلى من الفضة *

والفتخة خاتم كبير فى اليد او الرجل او حلقة من فضة كالخاتم *

والخَلَدة السوار والقُرْط *

والزِراد المِخْنقة *

والعِضاد الدملج كالمعضاد *

والعِقْد معروف *

والقِلادة ما جعل فى العنق *

والِنجد حلى مكلل بالفصوص وهو من لولو وذهب او قرنفل .... ياخذ من العنق الى اسفل الثديين يقع على موضع النجاد *

والمَسْجور من اللولو المنظوم المسترسل *

والسّفيرة قلادة بعرى من ذهب وفضة *

والشعيرة هَنَة تصاغ من فضة او حديد على شكل الشعيرة الخ *

والعِتْرة	قلادة تعجن بالمسك والافاويه *

والعَمْر	الشنف *

والتِقْصار	القلادة ج تقاصير *

والكُسْبر	المَسْك من العاج كالسوار *

والقُفّاز	— او ضرب من الحلى لليدين والرجلين *

والجِبْس	سوار من فضة يجعل فى وسط القِرام *

والسَلْس	— او القُرْط من الحلى *

والشَمْس	ضرب من القلائد *

والقُداس	شى يعمل كالجمان من الفضة *

والكَبِيس	حَلْى مجوف محشوّ طيبا *

والقلادة المكرّسة	وهى ان ينظم اللولو والخرز فى خيط ثم يضمّا بفصول بخرز كبار *

والنِقْرِس	شى يتخذ على صنعة الورد تغرزه المراة فى راسها *

والخَرْبَصِيص	القرط والحبة من الحلى *

والخُرْص	حلقة الذهب والفضة او حلقة القرط او الحلقة الصغيرة من الحلى *

والحَوْط	خيط مفتول من لونين اسود واحمر فيه خرزات وهلال من فضة تشده المراة فى وسطها لئلاّ تصيبها العين *

والسِمْط	قلادة اطول من المخنقة *

والعُلْطة	القلادة *

والقُرْط	الشنف او المعلّق فى شحمة الاذن *

واللَطّ	القلادة من حب الحنظل المصبّغ *

Digitized by Google

والأَنْواط	المعاليق *
والرَصيعة	حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة في سيف او سرج او غيرهما *
والشُنْف	القرط الاعلى او معلاق في قوف الاذن او ما علّق في اعلاها *
والنُطفة	القرط او اللولوة *
والوَقْف	سوار من عاج *
والجِزاق	السوار الغليظ *
والحِلْق	خاتم من فضة بلا فصّ وهو ايضا خاتم المُلك *
والمِخنقة	القلادة وكذا المزنقة والمعنقة *
والخَوْق	حلقة القُرط والشنف *
والدَيْسق	كل حلى من فضة بيضآ خالصة *
والزُناق	كل رباط تحت الحنك *
والسَوْذق	السوار والقُلْب *
والطارقيّة	قلادة *
والطَوق	معروف *
والقَلَقِيّ	ضرب من القلائد *
والمَسَك	الاسورة والخلاخيل *
والجَدِيل	الوشاح *
والحُبْلة	ضرب من الحلى *
والحِجْل	الخلخال *
والمُرْسَلة	قلادة طويلة تقع على الصدر او القلادة فيها الخرز *
والسِدْل	السمط من الدر يطول الى الصدر *

Digitized by Google

والاَشكال	حلى من لولو او فضة يشبه بعضه بعضًا يُقرَّط به النسآ الواحد شَكْل *
والطِمْل	القلادة كالطميل لانها تُطمَل اى تلطخ بالطيب *
والقَبَل	شى من عاج مستدير يتلالو يعلّق فى صدر المراة *
والقِرْمِل	ما تشدّه المراة فى راسها *
والإكليل	شبه عصابة تزيّن بالجوهر *
والمُحال	ضرب من الحلى *
والنَخْل	ضرب من الحلى *
والتهاويل	الالوان المختلفة وزينة التصاوير والنقوش الخ *
والبَريم	حبل للمراة فيه لونان مزيّن بجوهر *
والتّوائم	توائم اللولو ما تشابك منها *
والتُومة	اللولوة والقرط فيه حبة كبيرة *
والخاتَم	معروف *
والعِصْمة	القلادة *
والكَرْم	القلادة ونوع من الصياغة فى المخانق او بنات كرم حلى كان يتخذ فى الجاهلية *
والاَنظام	كل خيط نظم خرزا *
والثُكْنة	القلادة *
والجُمان	سفيفة من اَدَم ينسج وفيها خرز من كل لون تتوشحه المراة *
والبُرة	الخلخال *
والرِىّ	القلادة او التى توضع فى عنق الغلام *
والوَنِيّة	العقد من الدر او اللولوة *
الى الخَشَل	روس الاسورة والخلاخيل *

Digitized by Google

القسم الثالث فى عمل الطيب واتخاذ المشموم

من الأناب	المسك او عطر يضاهيه *
والجُلّاب	مآ الورد *
والزَرْنب	طيب او شجر طيّب الرائحة *
والكَرْكُب	نبات طيب الرائحة *
والمَلاب	عطر او الزعفران *
والشَتّ	نبت طيب الريح يُدبَغ به *
واليَلَنْجُوج	عود البخور *
والرّباحيّ	جنس من الكافور *
والمَرْنّح	اجود عود البخور *
والرَيْحان	نبت طيب الرائحة او كل نبت كذلك *
والشِيْح	نبت طيب الرائحة *
والصَّيّاح	عطر او غِسْل *
والنَضوح	طيب *
والسَليخة	عطر كانه قشر منسلخ ودهن ثمر البان قبل ان يربّب *
واللَّبِيْخة	نافجة المسك *
واللَخْلَخة	طيب م *
والسُعْد	طيب م *
والرَنْد	شجر طيب الرائحة والعود والآس *
والزَبّاد	م ويسمى الزُهْم *
والعَبْد	نبات طيب الرائحة *
والقِنْديد	العنبر والكافور والمسك وطيب يعمل بالزعفران *

Digitized by Google

والنَدّ طيب م *
والخَنِيذ دهن والغسل المطيب *
والكاذى شجر له ورد يطيب به الدهن *
والبَهار نبت طيب الريح *
والخَطّار دهن يتخذ من الزيت بافاويه الطيب *
والخُمْرة الوَرْس واشياآ من الطيب *
والذَريرة عطر *
والزَنْبعر نبت طيب الرائحة *
والإذْخِر حشيش طيب الريح *
والسّاهريّة عطر *
والضَيْمُران الريحان الفارسى *
والمُطيّر العود او المُطرّى منه *
والظَفار شى من العطر كانه ظفر مقتلف من اصله *
والعَبير الزعفران او اخلاط من الطيب *
والعَبْهر النرجس والياسمين ونبت آخر *
والعِطْر الطيب *
والعَمار الريحان يزين به مجلس الشراب *
والعنبر روث دابة بحرية او نبع عين فيه *
والغَرَآ نبت طيب او هو الغُرَيْرآ *
والفاغِرة طيب او الكبابة *
والقُطْر العود الذى يتبخّر به *
والكافور نبت طيب نَوره كنور الاقحوان والطلع او وعآوه وطيب م

يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين الخ *

والنِسْرين ورد م *

والعُجوز ضرب من الطيب *

والبَلَسان شجر صغار كشجر الحنّا لا ينبت الّا بعين شمس ظاهر القاهرة يتنافس فى دهنها *

والقَلَسان نبات طيب الرائحة *

والقَنَس نبات طيب الرائحة ويسمى ايضا الراسَن *

والهَبَس الخِيْرِىّ ويقال له المنثور والنمام *

والمَرْدَقوش طيب تجعله المراة فى مشطها *

والحُص الوَرْس والزعفران *

والسَعيط البان ودهن الخردل *

والقُسْط عود هندى وعربى *

والضَياع ضرب من الطيب *

والمَيْعَة عطر كالمائعة *

والنَقوع صبغ فيه من افواه الطيب *

والعَوْف نبات طيب الرائحة *

والخِلاق ضرب من الطيب *

والرَحِيق ضرب من الطيب *

والبُنْك طيب م *

والسُكّ طيب يتخذ من الرامك *

والمسك المشموع اى المخلوط بالعنبر *

والتَنْل ضرب من الطيب *

Digitized by Google

والزُغلة	اكليل من ريحان وآس *
والسُنبل	نبات طيب الرائحة *
والقُنْدُول	شجر بالشام لزهره دهن شريف *
والنَدّل	العود او اجوده كالمندلىّ *
والبَشام	شجر عطر الرائحة *
والبَهْرمان	العصفر والحنّآء *
والثِوَمة	شجرة اطيب رائحة من الآس *
والجَيْهُمان	الزعفران وكذا الرَيْهُقان *
والخُزامَى	خيرىّ البرّ *
والضُرْم	شجر طيب الريح *
والمَكْتُومة	دهن يجعل فيه الزعفران او الكَتَم *
واللَطيمة	المسك *
والمَنْشَم	عطر شاقّ الدقّ او قرون السنبل *
والنمّام	نبت طيب *
والمُهْضُومة	طيب يخلط بالمسك والبان *
والأُشْنة	عطر ابيض مما يلتف على شجر البلوط والصنوبر *
والبان	شجر لحب ثمره دهن طيب *
والجَفْن	شجر طيب الرائحة *
والحَنُّون	الفاغية او نَور كل شجر *
والرَقُون	الحِنّا والزعفران *
والكُثْنة	شى يتخذ من آس واغصان خلاف تبسط وينضد عليها الرياحين اصله كُثْنا او هى نَوَرْدَجة من القصب والاغصان

الرطبة الوريقة تحزم ويجعل جوفها النور قلت ونحوها الكُنْثة *

والمَيْسُوسَن شى تجعله النسآ فى الغِسْلة لروسهن *

والغالية طيب م *

والفاغِيَة النمامة وزهر الحِنّآ والافعآ الروائح الطيبة *

والفاغية نور الحِنّا او يغرس غصن الحنّا مقلوبا فيثمر زهرا اطيب من الحنآ فذلك الفاغية *

والكِبآ عود البخور او ضرب منه *

والكاذى دهن ونبت طيب الرائحة *

واللُوّة العود يتبخر به *

والقُدا شى يتطيّب به كالبخور *

القسم الرابع فى عمل الآنية والادوات والمتاع والفرش

من الغَرَب جام من الفضة *

والشُفارِج الطبق فيه الفيخات والسكرجات *

والصُراحيّات آنية للخمر *

والمطافح المغارف *

والبُهار انآء كالاباريق *

والطِرْجِهارة شبه كاس يشرب فيه ونحوه الطِرْجهالة والفنجانة ويقال للفنجانة الصغيرة سَوْمَلة *

والشَوارِف وعآ الخمر من خابية ونحوها *

والاكواب والاباريق والقوارير والكؤس والاقداح والطاس والصحون والعُتُد والخروس والصيعان والدنان والصحاف والقِصاع والزُلَح والقوارى والجِفان والعِلاب والبواطى والمآكل والقِعاب والنواجيذ والعِساس والعُسُس

والفِدام والعُسوف *

والجَهْمة القدر الضخمة *

والهَيْطلة القدر من صفر *

والمِرْجل القدر من الحجارة والنحاس *

والكَفَت القدر الصغيرة *

والهلجاب القدر العظيمة وكذا البِساط *

والتأمورة الابريق والحقة والثميمة المشدودة الراس *

والقَعْن الجفنة يعجن فيها *

والجام م ونحوه الصاع *

والمَكّوك طاس يشرب به *

والعَيْزار ضرب من اقداح الزجاج *

والسُعوف الاقداح الكبار وامتعة البيت وكل شى جاد وبلغ من مملوك او علق او دار فهو سَعَف وبالتسكين السلعة *

والوَرْسىّ من اجود اقداح النُضار *

والزَوْرآ اناء من فضة *

والفاثور الطست او الخوان من رخام او فضة والناجود والباطية *

والقُذمور الخوان من فضة *

والدَيْسق خوان من فضة *

والقَرْقار إناء *

والمَثْبَنة كيس تضع فيه المراة مرآتها واداتها *

والعِكْم نَمَط تجعل فيه المراة ذخيرتها *

والقَشْوة قفة من خوص لعطر المراة *

Digitized by Google

والجُؤنة	سَفَط مغشّى بجلد ظرف للطيب *
والعَتيدة	الطبلة او الحقّة يكون فيها طيب الرجل والعروس وكذا الشريط *
والدُرْج	جِفش النسآء الواحدة بهآ *
والصِوان	ما يصان فيه الثوب *
والتَخْت	وعآ تصان فيه الثياب ونحوه العَيْبة والمَبْناة *
والأسْطان	آنية الصفر *
والأبْزَن	حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس *
والشِجاب	خشبات منصوبة توضع عليها الثياب *
والغُدُن	الغِدان القضيب تعلق عليه الثياب *
والقَفَدانة	غلاف المكحلة وخريطة من أَدَم للعطر وغيره *
والحناجيد	الحُنْجود قارورة طويلة للذريرة ووعآ كالسفط الصغير ونحوه الحُنْجور *
والبَزّ	الثياب او متاع البيت من الثياب ونحوها *
والعَقار	متاع البيت ونضده الذى لا يبتذل الّا فى الاعياد *
والثَقَل	كل شى نفيس مصون *
والبَتات	الجهاز ومتاع البيت ونحوه المَحاش والأَثَلة والشَذَب والزَلْزل والأَهَرة والرِهاط والسُفاطة ويقال لقماش البيت خاشِ ماشِ وقاش ماش وقَرْبَشُوش *
والنَجْد	ما ينجّد به البيت من بُسط وفرش *
والنَضَد	السرير ينضّد عليه *
والنَضِيدة	الوسادة وما حشى من المتاع *

Digitized by Google

والبُوريّة	الحصير المنسوج *
والمِسْوَر	متكا من ادم *
والعَبْقرىّ	ضرب من البسط *
والرَفْرَف	ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط — والفراش والوسادة والبسط *
والزِلِّيّة	البساط *
والنَمَط	ضرب من البسط *
والمِسْحيّة	نوع من البسط *
والإِراض	بساط ضخم من صوف او وبر *
والنُسُج	السجادات *
والزَرابىّ	النّمارق والبسط او كل ما اتّكى عليه الواحد زِرْبىّ *
والرِحال	الطنافس الحيرية *
والنمارِق	الوسادة والميثرة والطنفسة *
والدُرْنوك	ضرب من البسط *
والوِراك	ثوب يزيّن به المَوْرِك وهو الموضع الذى يجعل عليه الراكب رِجله *
والبَراطِل	البَرْطلة المظلة الضيقة *
والظُلَل	الظُلّة الغاشية وشى يستتر به من الحرّ والبرد *
والمماطر	الممْطر ثوب صوف يتوقى به من المطر كالممطرة *
والأَزْفان	الزفْن ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم من حر البحر ونداه *
والسُرادقات	السرادق الذى يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف

Digitized by Google

ولا بد كذلك من اتخاذ النَسِيْفة للحمّام وهى حجارة سود ذات نخاريب يحك بها الرجل * ثم تزين تلك الدار السعيدة

بالفُسَيْفسآ والسَرَنْج * الفسيفسآ الوان من الخرز تركّب فى حيطان البيوت من داخل * والسَرَنْج شى من الصنعة كالفسيفسآ * وبسُرُر مرمّلة اى مزينة بالجواهر ونحوها وبحجلات ومِنَصّات وبارائك وعروش وكراسى وطوارق من العاج عظم الفيل *

والساج	شجر *
والشِيْزى	خشب اسود للقصاع او هو الآبنوس او الساسَم او خشب الجوز *
والسَمُر	شجر معروف *
والنُضار	خشب للاوانى *
والعَيْزار	شجر *
والضُبار	شجر البلّوط *
والساسَم	شجر اسود او الابنوس *
والثَوع	شجر جبلى يسمو *
والشَوْحَط	شجر تتخذ منه القسىّ او ضرب من النبع *
والضَبْر	شجر جوز البر *
والصَوْمر	شجر الباذروج *
والصِنار	الدُلْب *
والسَّلام	شجر * قيل لاعرابى السلام عليك قال الجثجاث عليك قيل ما هذا جواب قال هما شجران مرّان وانت جعلت علىّ واحدا فجعلت عليك الآخر *
والكَنَهْبل	شجر عظام *

Digitized by Google

والبَقس	شجر كالاس ورقا وحبا او هو الشِمْشاذ *

والنَشم	شجر للقسى *

والضال	السِدْر البرى وشجر آخر *

والبَقش	شجر يقال له بالفارسية خوش ساى *

والنَبْش	شجر كالصنوبر ارزن من الابنوس *

والشَحْس	شجر صلب *

والمَيْس	شجر عظام *

والوَعس	شجر يعمل منه البرابط والاعواد *

والقَطَف	شجر جبلى خشبه متين *

ثم تزين بقوارير من البلّور *

والقِطْر	ضرب من النحاس *

والقِلِزّ	النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد *

والفِلِزّ	نحاس ابيض تجعل منه القدور المفرغة او — *

والبَلَنْط	شى كالرخام الا انه دونه فى اللين *

والبَلَق	حجارة باليمن تضيء ما وراها كالزجاج *

والحَكَك	حجر ابيض كالرخام *

والنهاء	حجر ابيض ارخى من الرخام *

والمُهْل	اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد ونحوهما *

والهَيْصم	ضرب من الحجارة املس *

ثم تمام زينة هذا المكان الشريف وثاب محشوّ بالعُشَر والحُرَيْمِلة * الوثاب السرير والفراش * والعُشَر شجر يحشى فى المخاد ويخرج من زهره وشُعَبه سكّر * والحريملة شجرة تنشق جراوها عن الين قطن ويُحشى به مخاد

الملوك * غير انى ارتكبت هنا غلطا فاحشا فى تاخيرى ذكر الفراش وهو اول ما يخطر ببال المراة عند دخولها بلدا * وهنا تمّ اثاث الدار * وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار *

القسم الخامس فى عمل الثياب

الثُّرْقُبِيَّة	وهى ثياب بيض من كتان مصر *
والجِلْباب	القميص وثوب واسع للمراة *
والسُّكّ	ضرب من الثياب *
والسِلاب	الثياب السود *
والقَصَب	ثياب ناعمة من كتان *
واللَّبيبة	ثوب كالبقيرة *
والنُقْبة	ثوب كالازار *
والبِظْماج	ما كان احد طرفيه مخملا او وسطه مخمل وطرفاه منيّران *
والمعرَّجة	المخططة فى التوآ *
والموثوجة	ثياب رخوة الغزل والنسج *
والهَبَرْج	الموشى من الثياب *
والمترّحة	المترّح من الثياب ما صبغ صبغا مشبعا *
والوَجِيح	الصفيق من الثياب *
والخَوخة	ضرب من الثياب اخضر *
والوَليخ	ثوب من كتان *
والثفافيد	ضرب من الثياب *
والجماد	ضرب من الثياب *
والمعضّدة	المعضد ثوب له علم فى موضع العضد *

Digitized by Google

والفِرِنْد ثوب م *

والمُقَرْمَدَة ثوب مقرمد مطلى بشبه الزعفران *

والمجسَّدة المصبوغة بالزعفران *

والمَقَدِيّة ثياب م *

والهُرْدِيّة المصبوغة بعروق الهُرد *

واللّاذة ثوب حرير صينى *

والبُقْطرية الثياب البيض الواسعة *

والحَصِير ثوب مزخرف موشى اذا نشر اخذت القلوب مآخذه لحسنه *

والخُسْروانية نوع من الثياب *

والدِثار ما فوق الشِعار من الثياب *

والسّابريّة الثياب الرقيقة الجيدة *

والمُسيَّرة المسيَّر ثوب فيه خطوط *

والصُدْرة ثوب م *

والصِدار ثوب راسه كالمقنعة واسفله يغشى الصدر *

والعَبْقرية عبقر بلدة ثيابها فى غاية الحسن *

والمِعجر ثوب تعتجر به المراة وثوب يمانى *

والعُشاريّة ثوب عشاريّ طوله عشرة اذرع *

والعُقار ضرب من الثياب احمر *

والقُبْطرية ثياب كتان بيض *

والمُرَمَّر ضرب من تقطيع ثياب النسآ *

والمنيَّرة المنسوجة على نيرين *

والباغِزيّة ثياب من الخز او كالحرير *

Digitized by Google

والتّوزية منسوبة *

والمُمَرْعَزة المِرعِزّى الزغب الذى تحت شعر العنز *

والمطرّزة المعلَمة *

والمفروزة ثوب مفروز له تطاريف *

والقرمزية المصبوغة بالقرمز *

والقَهْز ثياب من صوف احمر كالمرعزى وربما يخالطها الحرير *

والتِنّيسيّة تنّيس د تنسب اليه الثياب الفاخرة *

والمُدَمقسة الدِمَقس كالابريسم او القزّ او الديباج او الكتان *

والقَسّية منسوبة الى قسّ من ارض مصر *

والكِرْباس ثوب من القطن الابيض *

والمُلَسلسة الموشّاة المخطّطة *

والنَرْسيّة نرس ة بالعراق *

والمورّسة المصبوغة بالورس *

والأكْياش الثوب الذى اعيد غزله مثل الخز والصوف *

والماجُشون الثياب المصبّغة *

والمقفّصة المخططة كهيئة القفص *

والمحرّضة المصبوغة بالإِحْريض للعصفر *

والعَرْضىّ جنس من الثياب *

والمِعرّض ثوب تجلى فيه الجارية *

والرَيْطة كل مُلآة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب ليّن رقيق *

والسِجلّاط ثياب كتان موشية وكانّ وشيه خاتم *

Digitized by Google

والسَّمْط ثوب من صوف وبالكسر الثوب ليست له بطانة طيلسان *
والمقطّعات القصار من الثياب — او برود عليها وشى *
والمردّعة التى فيها اثر طيب *
والصَديع ثوب يلبس تحت الدرع *
والمضلّعة المسيرة المخططة وما جعل وشيها على هيئة الاضلاع *
والنِصع ثوب ابيض *
والموشّعة المعلَمة *
والشُرافىّ ثياب بيض *
والشَق ويكسر الثوب الرقيق *
والبُنْدقية ثياب كتان رفيعة *
والمحقّقة المحكمة النسج *
والخُزْرانق الثياب البيض *
والدَّبيْقية دبيق د بمصر *
والرتاق ثوبان يرتقان بحواشيهما
والرازقية ثياب كتان بيض *
والمزبرقة المصبوغة بحمرة او صفرة *
والعِلْقة ثوب بلا كمّين — او الثوب النفيس *
واللِفاق ثوبان يلفق احدهما بالاخر *
والمحبّكة الموثقة المخططة *
والمِجْوَل ثوب للنسآ *
والخَمْلة الثوب المخمل كالكسآء ونحوه كالخميل *
والخال الثوب الناعم وبرد يمنى *

Digitized by Google

والدِرَقْل	ثياب كالارمنية *
والمُمَرْجِل	ثياب فيها صور المراجل *
والمُمرجَل	ضرب من ثياب الوشى (اورد صاحب القاموس التى بكسر الجيم فى رج ل والتى بفتحها فى مادة على حدتها) *
والمرمَّلة	المرققة *
والسَّحْل	ثوب ابيض من قطن ونحوه المِسْحَل *
والمُسَلْسَلة	ثوب مسلسل فيه وشى مخطط *
والعَقْل	الثوب الاحمر *
والمفلفلة	الموشاة كالفلفل *
والقَسْطلانية	ثياب منسوبة الى عامل *
والوَصِيلة	الثوب المخطط *
والمهلهَلة	الرقيقة *
والآمِيَة	منسوبة *
والمُبرَم	جنس من الثياب والثوب المفتول الغزل طاقين *
والجَهْرَمِيّة	ثياب منسوبة من نحو البسط او هى من الكتان *
والمرسَّمة	المخططة *
والمرقَّمة	المخططة والرقم ضرب من الوشى او الخز او البرود *
والعَقْم	المرط الاحمر اوكل ثوب احمر *
والقَدْم	ثوب احمر *
والقِرام	ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش اوستر رقيق كالمِقْرَم *
وابى قَلَمون	ثوب رومى يتلون الوانا *
والملحَم	جنس من الثياب *

Digitized by Google

والنِيَم	كل ليّن من عيش او ثوب *
والآخِنىّ	الثوب المخطط *
والدُفنىّ	ثوب مخطط *
والأُرجوان	ثياب حمر *
والسَّبَنيّة	ثياب من حرير فيها امثال الاترجّ *
والشُتُون	اللينة من الثياب *
والشاذَكونة	ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن *
والمُعَرجَنة	المصوّر فيها اشكال العرجون*
والمعيّنة	ما كان فى وشيها ترابيع صغار كعيون الوحش *
والمفنّنة	ثوب مفنّن فيه طرائق ليست من جنسه *
والمفوّهة	المصبوغة بالفوّه (عبارة القاموس فى ف و ه والفوّه كسكر عروق رقاق طوال حمر يصبغ بها الخ وفى ف وى الفوّة كالقوّة عروق يصبغ بها) *
والقُوهِىّ	ثياب بيض *
والنَهنه	الثوب الرقيق النسج *
والمُلَهلهة	الملهله من الثياب كالمهلهل *
والموجّهة	ما كان لها وجهان *
والمِحشاة	كسآ غليظ او ابيض صغير يتّزر به او ازار يشتمل به *
والسّبيجة	كسآ اسود *
والخَسيج	كسآ من صوف *
والإضريج	كسآ اصفر والخز الاحمر *
والمسبّح	الكسآ القوى الشديد ونحوه المشبّح *

Digitized by Google

والسَّبِيح الكسآ المخطط كالمسيَّح *

والبجاد كسآ مخطط *

والبُرجُد كسآ غليظ *

والجُودِيآ الكسآ *

والأَغْشر ما كثر صوفه من الاكسية *

والخَمِيصة كسآ اسود مربَّع له علمان *

والمِرْط كسآ من صوف او خز ج مروط *

والشَمْلة كسآ دون القطيفه *

والطِمْل الكسآ الاسود والثوب المشبع صبغا *

والمارِيّ كسآ صغير له خطوط مرسلة *

والشَرْعَبيّ ضرب من البرود *

والعَصْب ضرب من البرود *

والمكعَّب الموشى من البرود والاثواب والثوب المطوى الشديد الادراج *

والخِلاج ضرب من البرود المخططة *

والشِيْح برد يمنى *

والقُرْدُح ضرب من البرود *

والسَّعيدية ضرب من برود اليمن *

والسَنَد ضرب من البرود *

والبَقِير برد يشق فيلبس بلا كمين كالبقيرة *

والحِبَر ضرب من برود اليمن مفرده حِبَرة كعنبة *

والحَبير البرد الموشي والثوب الجديد *

والسِيَرآ نوع من البرود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير *

Digitized by Google

والمطيّر	ضرب من البرود *
والقِطْر	ضرب منها *
والمشيَّز	المخطَّط بحمرة *
والمريَّش	البرد الموشى *
والفُوف	ضرب من برود اليمن وبرد مفوَّف رقيق او فيه خطوط بيض *
والنَصِيف	الخِمار ومن البرد ما له لونان *
والبركة	برد يمنى *
والمُرَجَّل	برد يمنى *
والمرحَّل	ما فيه تصاوير رحل *
والتَخَمة	البرود المخططة بالصفرة *
والأَتْحَمىّ	برد معروف *
والمسهَّم	البرد المخطط *
والقَطيفة	رداآ مخمل *
والمُطرَف	رداء من خز مربع له اعلام *
والجَنبيّة	رداآ من خز *
والجَيِّم	الديباج *
والسُندس	ضرب من البزيون او ضرب من رقيق الديباج *
والاسْتَبْرَق	الديباج الغليط او ديباج يعمل بالذهب او ثياب حرير صفاق *
والمشجَّر	المشجَّر من الديباج ما كان فيه نقش كهيئة الشجر *
والسِّبّ	شقة رقيقة كالسبيبة *
والطَريدة	شقة مستطيلة من الحرير *
والسَرَق	شقق الحرير الابيض او عامة *

Digitized by Google

والبَتّ الطيلسان من خز ونحوه *

والسُدُوس الطيلسان الاخضر *

والطِلْس الطيلسان الاسود *

والطاق الطيلسان او الاخضر *

والساج الطيلسان الاخضر والاسود *

والصُتَيّة الملحفة او ثوب يمنى *

والشَوْذر الملحفة والإتْب *

والدُواج اللحاف الذى يلبس *

والمِشْمال ملحفة *

واللِفاع الملحفة او الكسآ او النطع او الردآ وكل ما تتلفع به المراة *

والمُرجَّل ازار خز فيه عَلَم *

والمُدارة الازار الموشى *

والحَقْو الازار ومثله الخِصار *

والصِداد ما اصطدّت به المراة وهو الستر *

والفُوَط ثياب تجلب من السند ومآزر مخططة *

والدِثار ما فوق الشعار من الثياب *

والحُلَل واحدتها حُلّة وهى ازار وردآء وبرد او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانه *

والسِرْبال القميص او الدرع او كل ما لبس *

والقُرْطَق لبس م *

واليَلْمَق القبآ معرب يلمه *

والقَرْقَر لباس المراة *

Digitized by Google

والقُرْزح لباس كان لنسآئهم *

والمِفْضل المفضل والمفضلة والفُضُل الثوب الذى تتفضل فيه المراة
اى تتوشح *

والحِقاب شي تعلق به المراة الحَلْى وتشده فى وسطها كالحَقَب *

والنِطاق شقة تلبسها المراة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل
الى الارض والاسفل ينجر على الارض الخ *

والمِجَنّ الوشاح وقد تقدم فى باب الحلى *

والإتْب برد يشق فتلبسه المراة من غير جيب ولا كمين والبقيرة
ودرع المراة *

والجَوْب درع المراة اى قميصها *

والأصْدَة قميص يلبس تحت الثوب *

والخَيْلَع القميص بلا كمّ *

والرادعة قميص قد لُمّع بالزعفران او بالطيب *

والقُمُص السنبلانية اى السابغة الطول او منسوبة الى بلد بالروم *

والشِعار ما تحت الدثار من اللباس وهو يلى شعر الجسد ويفتح *

والقِدْعة المِجْوَل وهى الدُرّاعة الصغيرة *

والجَيْد المدرعة الصغيرة *

والغِلالة شعار تحت الثوب كالغُلّة *

والهَفّاف الهَفاف من القميص الرقيق الشفاف كالهَفْهاف *

والشَليل الغلالة تلبس تحت الدرع *

والقَرْقل قميص للنسآ او ثوب لا كمّى له *

والغِطاية ما تغطت به المراة من حشو الثياب كغلالة ونحوها *

Digitized by Google

والفَرْوة	معروف *
والسَبَنْجُونة	فروة من الثعالب *
والشَعْرآ	الفروة *
والمُسْتُقة	فروة طويلة الكم *
والخَيْعل	الفرو او ثوب غير مخيط الفرجين او درع يخاط النح *
والمِعْقَب	الخِمار للمراة *
والنِقاب	ما تنتقب به المراة *
والخِمار	النصيف وهو العمامة وكل ما غطّى الراس *
والوَصاوِص	البراقع الصغار *
والمِقْنعة	ما تقنّع به المراة راسها والقِناع اوسع منها *
والعِصابة	ما عُصب به والعمامة *
والسِيْدارة	الوقاية تحت المقنعة والعصابة *
والعَمارة	كل شي على الراس *
والعَمَر	منديل تغطى به الحرة راسها *
والخُنْبُعة	مقنعة صغيرة للمراة *
والبُخْنَق	خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكيها لتقى الخِمار من الدهن والدهن من الغبار والبرقع والبرنس الصغيران *
والصِقاع	البرقع — وخرقة تقى الخِمار من الدهن كالصوقعة ونحوها الغِفارة *
والقُنْبع	خرقة تخاط شبيهة بالبرنس والخنبعة او شبهها *
والقُنْزعة	التى تتخذها المراة على راسها كالقنذعة *

Digitized by Google

والهُنْبُع . شبه مقنعة للجوارى وقد خيط مقدّمها *

والقُرْزل الشى تتخذه المراة فوق راسها كالقنزعة *

والجُنّة خرقة تلبسها المراة تغطّى راسها ما قَبَل ودبر غير وسطه وتغطى الوجه وجنبى الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع *

والتّساخين الخِفاف وشى كالطيالس *

والجُراميق الجرموق الذى يلبس فوق الخف *

والكَوْث القَفْش الذى يلبس فى الرجل اى الخف القصير *

والران كالخف الا انه لا قدم له وهو اطول من الخف *

والجَوْرب لفافة الرجل وجوربته البسته اياه *

والقُفّاز شى يعمل لليدين يحشى بقطن تلبسهما المراة للبرد او ضرب من الحلىّ الخ *

وتمام هذا كله ثلثمائة وخمسة وستون جِبْسا ومثلها مقارم * الجِبس سوار من فضة يجعل فى وسط القِرام * والمقرمة مَحْبس الفراش ومثلها سراويل من

الاَرْنبانىّ الخزّ الادكن *

والسّنا ضرب من الحرير *

والاَرْدن ضرب من الخز *

والطارُونى ضرب منه والطُرن الخز *

والقَبْيِن الخز المطبوخ الابيض *

والبِرْس القطن او شبيه به او قطن البَرْدىّ *

والشَريع الكتان الجيد *

والقز الابريسم وهو الدِمَقْس ويقال ايضا الدِقَمْس والمدقس *

وقد زل بى القلم هنا ايضا زلة ثانية فان السراويل يجب تقديمها على جميع ما سواها ليطابق الذكرُ الفكر * ثم انك اذا اخذتها الى ساحات المدينة واسواقها حيث تزدحم الناس * فاول ما تلمح فرهدا غُسّانيّا غيسانيا تقول هذا يصلح لان يكون زير نسآء ولان يركب الجياد ويتقلد السيف ويعتقل الرمح ويطعن به * او غلاما مترعرعا قالت هذا يصلح لان يربى فى المدرسة الزيرية حتى ينبغ * او كهلاً قالت وهذا جدير بان يقعد فى بيته ويتعاطى الغزل والنسيب ليجهّز ما يلزم لتلاميذ المدرسة منه * او شيخا همّا هَرِما قالت وهذا قمين بان يكون مشيرا فى الامور التى تعسر على الاغرار من الخرّيجين فيكفيهم النصب فى ايشائها * فان لم يلفَ عنده الراى السديد فليدرج فى كفن ويرمس * هذا وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار او بالاكاف * فاما وجه كون مشاعرتها انفع فلانه قد جرت عادة من شاخ من ذوى الامر والنهى انه اذا جفّ دمهم وضوى لحمهم حتى لم يَعُد التدثر بالثياب يدفئهم * شاعروا واحدة من هولآ النواعم فاستغنوا بحرها عن حرارة الدثار والنار والابازير * والاحسن فى ذلك ان تكون جارية عذرآ * وقد اختلفوا فى علة الحرارة ومأتاها * فبعضهم على ان نفسها من فيها هو الذى يدفئ المقرور * واعتُرِض بان هذا النفس لا بدّ وان يختلط بالشنب فيبرد * وغيرهم على ان منفذ الحرارة انما هو من المسامّ التى ينبت فيها الشعر * فان المراة لما كانت مفتوحة المسامّ كان صعود الحرارة منها ابلغ * بخلاف الرجل فان مسامّه مسدودة بما له من الشعر * وردّ بان الامرد مثل المراة فى كونه مفتوحها ولم يقل احد بان مشاعرته تدفى * وذهب بعض الى ان الحرارة انما هى من النفس من انفها * وقال قوم من المتهافتين على الجناس انها من

Digitized by Google

موضع آخر * قال في القاموس تكوّى الرجل بامراته تدفّا واصطلى بحر جسدها * قلت ومع حرص المولف على جمع الالفاظ الغريبة النادرة لم يذكر فعلا يدل على اصطلا المراة بحرارة جسد الرجل * ولهذا اى لاجل ان في جسم المراة من الحرارة ما لا يوجد في جسم الرجل كان اخف ما يكون من الدثار يدفئها ولو في الصِرّ * والرجل اذ ذاك يُكهى ويقفقف ويقرعبّ ويتقرقف * ومثله غرابةً ان اكلها يكون اقلّ من اكل الرجل ولحمها اكثر من لحمه * قال المتكلمون ووافقهم على ذلك الاطبآ النطاسيّون * ان مما فضل الله سبحانه المراة به ان جعل فيها قوة على حج الخصم وهداية الضالّ الى الدين القويم * واوردوا على ذلك شاهدا ما جرى لذلك المعتزلي مع امراته * وذلك ان بعض المشاهير من علمآ المعتزلة الذين يزعمون ان افعال العبد ليست مخلوقة لله كان يجادل اهل السنّة ويورد لهم من الادلة والبراهين على تاييد مذهبه ما يربكهم به * فانبرت له امراة لبيبة سُنّية وقالت لقومها زوجوني به فاخصمه في ليلة واحدة ان شآ الله فبات معها تلك الليلة على الحادة * حتى اذا قضى لها الفرض ثم تنفّل بعده وتطوّع وظن انه قد استحق الثواب وخُلق بالاختصاص * قالت له واين الرابع والخامس والعاشر ياشِرّواص * فتجلّد لآخر ثم قال قد نفد ما في الوطاب * فلا ملام ولا عتاب * قالت امثلك من يبدى هذا الاعتذار * وانت تقول ان الافعال غير مخلوقة للواحد القهار * قال قد نبّهت من كان غافلا * وهديت من كان ضالا * انى عدّيت عن مذهبى القديم * وقد هدانى الله الى الصراط المستقيم * قلت ويعلم من كتب التاريخ ان المراة لها اعظم مدخل في دخول النصرانية في بلاد الافرنج * قال بعض الظرفآ من الادبآ ان المراة اذا رامت

Digitized by Google

ان تشترى حاجة او تستقصى احدا شيا لم يلزمها ان تنقد البائع او القاضى مالاً * وانما تنقده العين من العين * قال ولذلك جآ هذا الحرف بالمعنيين * بخلاف الرجل فانه اذا اراد قضآ شى ايا كان ولا سيما النشنشة فلا بد وان يحل عقدته بنفاثات الدرهم او الدينار * وانها ايضا اذا توحّمت على شى تحبه وهى حبلى ظهر ذلك الشى المتوحّم عليه فى الولد * فينبغى للاب ان يتفقد ولده ليعلم اى شكل من الاشكال بدا فى اجسامهم * وما انكره منها فليكتمه * قال وان القدرة الخالقية قد اوجدت لها من النبات وغيره اشكالا كثيرة تقرّ بها عينها وينشرح صدرها اذا نظرتها او لمستها * وليس للرجل شى من هذه الخصائص * وان امراة واحدة اذا كانت فى مجلس قد اجتمع فيه عشرون رجلا امكن لها ان تهندهم كلهم اجمعين * فتتصبّى هذا بلفظة * وذلك بلحظة * وذا بغمزة * وذاك بهجلة * وآخر بخزرة * وغيره بتحشيفة * واخر باسجادة * وغيره بزفرة * واخر بالتفاتة * وغيره بليّة جيد * وآخر بشمّة * وغيره بنزنزة * واخر بعضّة على لسانها * وغيره باخراجه ونضنضته * وآخر بضم شفتيها وانفاصهما * وغيره بعَرض عارضها * وآخر بتفيّئ شعرها * وغيره بابتسامة * واخر بضحكة * وغيره بقهقهة * فيقوم الجميع عنها راضين * وابرع ما تكون المراة ما اذا جلست بين زمرة من الفتيان يغازلونها ويداعبونها ويتملقونها * قال ومن خصائصها ايضا انها تعرف ما فى قلوب الرجال * فلذلك تفتنهم بوكوكتها وحركتها وتعمُدهم وتُصبيهم * وتتبلهم وتشجيهم * وتحسّرهم وتبلبلهم * وتطربهم وتشغلهم * وتعبّدهم وتهنّدهم * وتتيّمهم وتهيّمهم * وتشوقهم وتروعهم * وتعوقهم وتلوعهم * وتورّقهم وتسبيهم * وتشرقهم وتشبيهم * وتخلبهم وتسحرهم * وتحربهم وتبهرهم * وتبيعهم

ونشتريهم * ونجيعهم ونصديهم * ونقلبهم ونفادهم * ونرآهم ونصدرهم * ونكبدهم ونطحلهم * ونمعدهم ونفخذهم * ونبطنهم ونستههم * فاما ما قيل في خصائص فرنستها من انها تحسن اعمال البيت كالخياطة والتطريز وغيره فمذكور في كثير من الكتب فعليك بمراجعتها * انتهى الكلام الان على المراة بغير مرآ على ان عندى منه ما عند الفرآ من حتى *

قال بعض معانيه العلمآ المراة كلها شرّ * وشر ما فيها انه لا بد منها *

قلت وهو كحلم جحى نصفه صدق ونصفه كذب *

فالصادق منه قوله انه

لا بد

منها

*



Digitized by Google



الفصل السابع عشر

في رثاء حمار

اهلاً بك يافارياق اين انت وفيمَ كنت هذه المدة الطويلة — في نظم الابيات السريّة — ولكن هذا معلوم عندي ولم اسالك الّا عن امر حديث — قد فجعت بالامس بحمار لي وسالت عنه الجيران فلم يقل احد منهم انه سرقه * فاكتريت مناديا بدرهم فجعل ينادي في الاسواق اَلا قد فرّ اليوم حمار الفارياق وخلّى قيده في الوتد فهل منكم من رآه * فلم يجبه احد الّا بقوله ما اكثر الحمير الآبقة اليوم من بيوت مواليها * فلما عاد اليّ بهذه البشرى بلغ مني الغيظ كل مبلغ * وآليت ان لا انظر بعدها في وجه حمار سوآ كان حقيقيا او مجازيا * فقد قال بعض ائمّة اللغة ان من خصائص لغتنا هذه الشريفة دون غيرها ان يقال للرجل الجاهل حمار * ثم اخذت ارثيه بهذه الابيات وهي

راح الحمار وخلّى القيد في الوتدِ وما راى اثره في الناس من احدِ
فهل انا راكب من بعده وتدًا ام مجزئي قيده لو كان من مَسَد
ام كيف ادخل دارا كان لي سكَنا فيها وأُنْزِل عندي مُنْزَل الولد
سرهدته بيدي كالطفل من شَفَق كالطفل من شفق سرهدته بيدي
وجئته بشعير لا يخالطه ماسٌ ولا عسجد خوفا من الدَرَد

وكان يوقظنى منه النهاق اذا استثقلت نوما بصوت مطرب غَرِد

كم حاد بى عن مَضيق حين ابصر من حولى الجمال تبلّ الارض بالزبد
وسار بى فى طريق بلّ جانبها اهل الجَمال بمآ الورد وهو ندى
وكم جرى فارها اذ لاح عن بعد زفاف خود اليها بالغ الامد
واذ تبيّن نعشا للجنازة لم يمرر به مع اليم النخس فى الكَتَد
ما ضل يوما عن استقرآ معلفه اكان فى روضة غنّآ ام جَرَد
قد رابنى حذقه حتى ظننت به مَشْخيّة مثل بعض الخلق عن احد
وما شكا قط من وخز ولا ضعفت رجلاه عن جوب وَعْث طال او جُدَد
شُلّت يدا مَن به ولّى وغادرنى امشى وانشب فى اوحال ذا البلد
اعالمٌ اننى من بعده جَزِع وان فرقته نار على كبدى
وان صوت المنادى اليوم يزعق اَن البِسْ اكافك فى جنح الدجى وعُد
لايَغْرُرَنّك رَغْد انت واجده عند الحرامىّ خصمى فيك من حسد
فانما ذا لحِيْن انت تعلمه ما دام شهرا على طِرْف ولا عَتَد
يفديك كل حمار ندّ من بطَر او ضجّ من لَغَب او خار من جَهَد
او حار من شَبَق قلّاب جحفلة كرّاف بول قديم جقّ كالقِدَد
مصنبع الراس ممشوق القوائم لم يحرن اذا سُمته خَسْفا ولم يَحِد
اَليّةً انه بالطرق اَعْرَف من مولاه ان لم يَعُقْه القيد ذو العقد
ياليت لى خصلة من ذيله اثرا ارنو اليها كما يُرنَى الى الخُرُد

قال فقلت له لقد ضاع شعرك فى الحمار العادى * كما ضاع الدرهم فى المنادى * قال اما الدرهم فقد ضاع حقا واما الحمار فلا * قلت كيف ذلك والدار منه بلقع * قال من عادتى انى اذا فقدت شيا وذكرته فى

الشعر خيّل لى انى عُوّضت عنه * فان لم اذكره بقيت متحسّرا على
فقده * قلت او يقوم النثر مقام النظم * قال ربما يقوم عند بعض الناس *
فقد بلغنى ان كثيرا من المولفين كانوا يحاولون ادراك اوطار حرمهم
منها قلّة ذات اليد فالفوا فيها كتبا واستغنوا بها عنها * قلت من قال
ذلك * قال هم قائلوه * قلت هذا محض كذب فانى الّفت فى النسآ
كذا وكذا رسالة وما خطر ببالى قط انى عُوّضت عن واحدة ممن وصفت *
قال ولمَ الّفتها اذًا * قلت لم يكن لى من شغل ولا حركة * ووجدت
الزمان علىّ طويلا ولا سيما الليالى من دون مباشرة شى ما فلفقت ما كان
يخطر ببالى * قال وهلّا تفرح الان بتاليفك اذا قراته او اذا سمعت ان
الناس يقراونه * قلت بل اضحك من سخف عقلى وقتئذ * فانى قد
عرّضت عرضى لالسن القادحين فضلا عن كونى اضعت اوقاتى عبثا فيما لم
يجدنى نفعا * وقد بلغنى ان كثيرا من المتزوجين سآهم ما قلته فى النسآ
وذكر مكايدهن فاستظهروا علىّ بجماعة من العلمآ عابوا علىّ تبويب كتبى
وخطّاونى فى عبارتها * وكنت ايضا حكيت كلاما عن بعض النسآ بلفظه
فقالوا لا ينبغى ان يحكى الكلام بلفظه فى الكتب وغير ذلك مما ندّمنى
كثيرا * قال قد سمعت ان الناس لا يزالون يعادون المولف حال حياته *
فاذا مات حرصوا على كلمة يائرونها عنه كما قال الشاعر

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ... ما دام حيّا فاذا ما ذهب
لجّ به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بماء الذهب

قلت وما نفع هذا الحرص لمن مات * قال لا نفع منه غير انى ارى ان
فى النظم للذة عظيمة * ولا بدّ وان يكون النثر ايضا مثله فانهما كليهما

Digitized by Google

يخرجان من مخرج واحد * افلا تقول بصحة ذلك * قلت انى اقول باللذّة فى التاليف من جهة ان المولف يعرف شيا جهله غيره * ولا شك ان فى معرفة الحقائق لذة * غير انه يقابلها من الالم ما يرجحها * وذلك ان المولف اذا عرف مثلاً حقيقة واراد ان يعرّف غيره اياها وجد اكثر الناس قد صمّوا عن سماعها * ومَثَل ذلك مثل طبيب نصوح راى اهل بلده يستحمّون بالمآ البارد فى حال كونهم محمومين * فنصح لهم ان لا يفعلوا ذلك فأَبَوا وقالوا ان هذه البرودة تزيل الحرارة * فهو من جهة انّه عارف بالحقيقة مسرور * ومن جهة انه يرى غيره فى ضلال عنها محزون * وسروره لنفسه لا يوازن حزنه على غيره * الا ترى ان اهل العلم كلهم ضعاف ضاوون قليلوا الكلام والنوم والاكل والضحك * وان الجهال سمان تارّون اصحآ كثيروا الاكل والنوم وغيره مما جُعل لتقويم الطبيعة * قال فما بال الاطبآ سمان ايضا وهم بمنزلة العلمآ فى كونهم يعلمون من المنافع ما يجهله غيرهم * قلت ان الطبيب لا يرى الناس حين ياكلون ويشربون ويباعلون * وانما يراهم حين يمرضون فلا تحزنه افعالهم * فاما العالم فانه فى كل وقت ومكان يرى من العامة ما يدل على ضلالهم وجهلهم * فلا يمكنه والحالة هذه الا ان يتاسّف على ما هم فيه من الغباوة والغفلة * قال افتقول اذا بالجهل * قلت هنيّئا لمن رضى به * قال وما قولك فى الشعر * قلت ان كان هو لمصلحة اى لشى يعود الى القيام بأَوَدك فنِعْمَ هو * وان يكن عن مجرد هوس وميل الى التجنيس والترصيع ايان رايت امراة جميلة او وردة او روضة كما هو داب اكثر الشعرآ يتكلفون للنظم فى كل ما لاح لهم * او كرثائك الحمار الآن فتركه اولى * قال ولكن احسن الشعر ما

Digitized by Google

جآء عن هوس اى عن السليقة لا بالتكلف * فانى حين امدح السرىّ
اجد فى ضم لفظة الى اخرى ما يجده المُعانى لضم نقيضين مختلفين *
وليس كذلك ما نظمته فى الحمار * فانى نظمت فيه هذه المرثية فى
ساعة من الزمن * قلت ولكن الناس لا ينظرون الّا الى الظاهر *
فقصيدتك فى الحمار يسمونها جارية * وابياتك فى السرىّ سريّة *
قال ان كان الامر كما ذكرت فلم رغبت عن التاليف ولكن لا فى النسآ فان
ذلك امر مستفيض * قلت اما اوّلا فلان المولف يوقع نفسه فى كلاليب
السنة الناس فيمزقون عرضه وجلده كما ذكرت لك انفا * والثانى فان
حقيقة اسم المولف غير محمود * فهو عند من يعلم حقيقة معناه بمعنى
الملفّق واكثر الناس يضحكون من هذا الحرف * فيحسبون انه من
التاليف .بين شخصين * وانما يقولون لمن تعاطى ذلك شيخ * وهو
ايضا مكروه عند بعض الناس وخصوصا عند النسآء * واحسن الالقاب
هنا فيما ارى عند النصارى قسيس وعند المسلمين بيك * اما القسيس
فلأنّ كل الناس تلثم يده وتتبرك بذلك * وان المراة من القبط لتغسل
رجلى القسيس بيديها بمآ الزهر ثم توعى مآءها فى زجاجة * وانه
متى جاع حمل امعآه الى دار احد من معارفه فاستقبلته زوجته بالبشاشة
والاكرام فزعبها اى زعب * واذا شآ ان يبقى فى بيته لعارض
من العوارض بعث غلامه بعلامة الى احد البيوت فجآه منها بغدآء
ينظم فيه شعرآ عصرنا قصائد * فاما البيك فانه وان يكن مقامه بين
الناس كريما الا انه لا يمكنه ان يبلغ من البيوت ما يبلغه القسيس *
اذ لا يتاتّى له ان يمشى وحده * فلا بدّ وان يمشى معهٔ اثنان عن
اليمين والشمال وهما وان اظهرا له الخضوع والاحترام ففى قلوبهما

Digitized by Google

منه حزازات تبعثهما على مراقبته والتعنّت عليه * اللهم الّا اذا تزيّا بزى خادم له وجٍ فظاهر اللباس يجبى عنه العين * قال هيهات ان اصير قسيسا * هيهات ان اصير بيكا * اما حرفة القسيس فانها لا تصلح لى لانى لا احبّ الركاكة * واما صفة البيك فانى لا اصلح لها فان القدرة الازلية لم ترتض لى منذ الازل بالبوكية للبيكية * وما بقى امامى الا الشيخية * قد توكلت على الله * قلت انى مفارقك على ان تخبرنى بما سيحدث لك فى شيخيتك*

قال سافعل ذلك

ان شا

الله

*



Digitized by Google



الفصل الثامن عشر

في الوان مختلفة من المرض

ثم لازمَ الفارياق نظم الابيات وهو حريص على الاتّسام بسمة شيخ * فعنّ له ان يقرا النحو على بعض المشايخ لما انه راى ان القدر الذى كان تعلمه منه فى بلاده لا يكفى لممدح السرىّ * وفى ذلك الشهر الذى نوى فيه القرآة أُصيب برمد اليم * فلما افاق شرع فى العلم فقرا على الشيخ مصطفى كتبا صغيرة فى النحو والصرف * ثم اشتد به دآ الديدان الذى سببه فيما قيل اكل اللحم نيّئا * وتلك عادة مشهورة عند اهل الشام * فكان يتمعّص منه وقت القرآة والشيخ يظن ان ذلك من اختلاف المسائل وكثرة التعليل * حتى قال له مرة سبحان الله ما احد قرا علىّ هذا الفن الّا ويتمعّص * فقال له ليس التمعّص كله ياسيدى الشيخ من زيد وعمرو * فان لجماعة الديدان ايضا مدخلا * فانى لا اكل شيا الّا وسبقوا معدتى اليه * قال لا باس عليك عسى ان يخف عنك ببركة العلم * واتفق للفارياق وقتئذ ان ساله احد معارفه ان يقرا على الشيخ المذكور ذلك الكتاب الذى تقراه النصارى فى الجبل * وهو كتاب بحث المطالب * فلما ختمه التمس من الشيخ ان يكتب له اجازة اقرائه فى بلاده * فكتب له اجازة وعرضها على الفارياق * فحين تصفحها راى فيها خطأً فى اللغة

Digitized by Google

والاعراب * فاستاذن من شيخه ان يوقفه على الغلط * فلما وقف عليه قال
ساكتب له غدا اخرى * ثم كتب له اجازة غيرها فلما امعن الفارياق فيها
النظر اذا بها كالاولى * فنبّه شيخه على ما فيها * فقال له اكتب له انت
عنى ما شئت * فكتب له ما اعجب به * على ان الشيخ كان مضطلعا
بفن النحو غاية ما يكون * فكان يقضى ساعة تامة فى شرح جملة غير تامة *
الا انه لم يكن يزاول الانشآ والتاليف فكان علمه كله فى صدره وعلى
لسانه ولا يكاد يخرج منه الى القلم شى * ثم بعد قراة النحو على النسق
المذكور راجع الفارياق وجع العينين * فلما افاق راى ان يقرا شرح
التلخيص فى المعانى * فشرع فيه مع الشيخ احمد * فلم يسِرْ فيه قليلا
حتى اصابته الحكة ولم يكن قد عرفها فى مبادئها فلهذا استمرّ على القرآة *
حتى اذا كان الشيخ آخذًا مرة فى شرح مسألة معضلة ثارت الحكة فى
بدن الفارياق فجعل يحكّ بكلتا يديه * فالتفت اليه الشيخ فرآه منهمكا
فى الحك * فقال له ما بالك تحك وانت على ما يظهر لى غير منتبه
لقيل واجيب * هل نحن الان فى محاكة الالفاظ او فى محاكة الاعضآ *
قال لا تواخذنى ياسيدى فانى ارى لذة الحك مانعة لى من التنبّه
لغيره * قال اوَ بك الحكة * قال لعلها هى * فنظر الشيخ الى يديه فقال
هى والله فينبغى ان تقتصر فى بيتك وتطلى جسمك بخرء الكلاب
فليس لها من علاج سواه * فلزم الفارياق بيته وجعل يطلى بدنه كل يوم
بالخرء المشار اليه ويقعد فى الشمس ساعات حتى لقى من ذلك عذاب
الهون * ثم لما افاق رجع الى القرآة * وبعد ان ختم الكتاب عاودته
ضريبة الرمد * ثم نقر فى راسه ان يقرا شرح السلّم للاخضرى فى
المنطق * فشرع فى قرآته على الشيخ محمود فاصابته الهيضة وهى الدآء

المسمى فى مصر بالهوآ الاصفر * فبقى ثلثة ايام لا يعى ولا يعقل من الدنيا شيا ولا يقدر على النطق * سوى انه سمعه خادمه مرة يهذى ويقول كلّية موجبة كبرى * فظن انه يستعظم مصيبته فيقول انها كبرى * ولم يكن احد اصيب بهذا الدآ فى مصر * فلما مضت ثلثون يوما انتشر فى البلد وعمّ بلاوه والعياذ بالله فكان يموت به كل يوم الوف * ووقتئذ عرف الفارياق انه كان المقدّم فى هذه البليّة وغيره التالى كما تقول المناطقة * وان الديدان التى كان يقاسى منها هى التى عجلت له بهذا الدآء فعجل هوبها * فجعل اى الفارياق يركب حماره ويطوف فى الاسواق وكانّه أمِن من المقدور * (حاشية لم يكن هذا الحمار ذلك الذى استحق الرثآ والتابين بل كان ممّن يحق له التقريظ) فسار الى قرية فى الريف ومعه خادمه وخادمته * فعلم به بعض ولاة البلاد فاستدعى به وبالخادم والخادمة * وقال له اىْ لبيب هل هذا وقت الموت او وقت الايلاد حتى جئت بهذه الجارية هنا * قال انا مدّاح السرىّ وقد اتيت لاسرّح ناظرى فى نضرة الريف فاجيد مدحه بعد موت من يموت * فقد ضقت بالمدينة ذرعا وخشيت على قريحتى العقم * قال ما هذه واشار الى الخادمة * قال هى اخت هذا يعنى الخادم * قال وما هذا * قال خولىّ هذا يعنى الحمار * فالتفت الامير الى الخادم فراى عليه طلاوة * فقال له من حيث انك شاعر السرىّ او شعروره فلا تثريب عليك * وانما ينبغى ان تترك الخادم هنا فانه يصلح لخدمتى * قال لك علىّ الإمرة فخذه * فاستبد به الامير تلك الليلة وساله عن الفارياق مالحا * فقال له الخادم والله ياسيدى انه رجل طيب غير انى اظن انه اعجمى فانى لا اكاد افهمه حين يتكلم بلغتنا * فلما اصبح الصباح تاهب الفارياق للرجوع فلم

Digitized by Google

يجد الحمار * فظن انه لحق بالاول * فجعل يبحث عنه فوجده قد خرج مع حمار آخر من حمر الامير الى سهل وهو تحته يزقع وينخر * فلما ان راه على حالة المفعولية غلبه الضحك فقال * قد ورد فى الحديث ان الناس على دين ملوكهم * الا انه لم يقل احد قط ان الحمير على مذهب اصحابها * ولكن بالعير ولا بالمُعير * ثم رجع الى الدار فوجد خادمه وخادمته ينتظرانه * وقال له الخادم قد سرّحنى الامير فانه لم يرنى اهلا لخدمته الّا ليلة واحدة وها انا الآن حرّ * ثم ان الفارياق بعد ان هنّا الامير ومرّاه رجع الى مصر وكان البلآ قد خفّ * فسال عن شيخه المنطقى فقيل له انه حىّ لم يقضِ من القضايا * فرجع اليه واتمّ معه ما كان ابتدا به * فلما بلغ آخر درجة من السلّم عاودته ضريبة الرمد فلزم بيته * فلما افاق راى ان يتعلم شيا من الفقه وعلم الكلام * فبدا بالكنز وبالرسالة السنوسيّة فمرض — فراه بعض معارفه من الفرنساوية فساله عن سبب ضعفه فاخبره الخبر * فقال له انا اشفيك منه باذن الله ولكن على شرط ان تعلم ابنى العربية * فقال حبا وكرامة * فشرع مذ ذلك الوقت فى تعليمه وفى تعاطى الدوآ من عند ابيه * ولكن لا بدّ لتفصيل ذلك من فصل على حدته





الفصل التاسع عشر

في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب

كان هذا الرجل طبيبا مشهورا بمصر * ولكن شهرته فی دائه اكثر منها فی دوآئه * وذلك انه كان قد تزوج جارية تارّة على كبر سنّه فاولدها بنتا وصبيا * ثم عجز عن ادآ حقها فجعل دابه الملاطفة لها والتملق * وتلك عادة الرجل مع المراة من انه كلما قصّر فی اعتابها وارضائها فی الحقوق الزوجية زاد حرصه عليها وكلفه بها وتردّبه لها * توهّم ان هذا يسدّ عند المراة مسدّ ذلك * وكذا حالته معها اذا كان يخونها ويرام اخری * كما ان داب المراة ان تزيد هشهشتها وعروبيّتها لزوجها بزيادة اشباعه اياها واطفاف الكيل لها * او تملقه لها اذا كانت تخونه * وبنآ على ذلك قال الطبيب لزوجته يوما من الايام * ياهذی انی اری ان قد صدئ مفتاحی عن قفلك * وان ستك ونزارتك تقتضيان ان تتخذی لك آلة رصاعية لتتلهّی بها حتی يحين حَيْنی فتتزوجی بآخر * والّا فانی اخاف ان تفركينی وتطيری من عندی كما يطير الحمام * وقد يهون علیّ ان اخسر منك شيا واحدا ولا اخسرك بجملتك * فانك ام ولدی * ومحل سرّی من كبدی * فلا اطيق فراقك * فاختاری لنفسك من شئت آتك به بقرنيه * فضحكت المراة عند ذلك * ثم قال ومن حيث انی

معروف فى هذا البلد بانى طبيب فاذا راى الجيران رجلا قادما الىّ
بل رجالا فلا يكون عليك شبهة * فضحكت المراة ايضا لقوله رجالا * قال
فان الناس يقرعون باب الطبيب ولو فى نصف الليل * وهنا ضحكت
ايضا * ثم تمادى فى الكلام معها الى ان قال ولا تظنى انى انا وحدى
تفردت بهذه العادة * فان امثالى من اهل بلادى يفعلون كذلك وهنا
قهقهت * فلما فرغ من بقية خطبته على هذا النسق ظنبت زوجته اوّلا انه
قصد بذلك ان يستطلع سرّها ويتصيّدها بزلّة * فبكت من شدة الغيظ
وقالت له ازعمتنى بغيّا حتى تقابلنى بمثل هذا الكلام وتسيئ بى الظن *
قال حاشا لله من ذلك * وانما تكلمت معك بمقتضى الطبع فتدبّرى
قولى بعد حين وردّى علىّ الجواب * فانصرفت المراة من حضرته وهى
واجمة مرتابة * ثم مضت عليهما ايام غير قليلة والرجل لا يهارش ولا
يعاظل * ولا يلاعب ولا يباعل * فقلقت جدّا لهذه الحال * وضاق
صدرها عن صبر الاعتزال * واخذت تفكر فيما قاله لها زوجها * فتبعّلت
له يوما من الايام وتبرّجت وتعطرت وقصدت غرفته وهى تقول فى
نفسها * اليوم يكون برزخ الحالتين * وفيصل الحدّين * فان لم تكن
منه مباعلة ذكّرته بما قال * فتلقاها بالبشر والبشاشة واجلسها بجانبه وعرف
انها كرِعت * اذ راى قد علت عينيها حمرة وهما تترارئان وفى صوتها
تهدّج اى رعشة واضطراب * فلما استقرت بادرها بالكلام بان قال هل
تبصّرت فيما قلته لك منذ ايام * قالت نعم ولكن اما عندك فضلة
تغنينى عن هذا الامر * قال ما عندى والله من وَشَل ولا فضلة * ولا
ثَمَد ولا ثُمّلة * ولم يبق لى امل لاصلاح شانى فى ناعوظ ما لا فى لحم
السقنقور ولا فى شحم الوَرَل ذلكا ولا فى الزنجبيل ولا الفلفل ولا التامول

Digitized by Google

ولا القاقلة ولا الراسن ولا الفوفل ولا القرنفل ولا السنبل ولا المصطكى
ولا الجوزبَوّا ولا الهال ولا الرازيانج ولا في عاقرقرحا ولا في حب الصنوبر
ولا الحمص ولا الكابلى ولا البليلج ولا دارفلفل ولا السمسم ولا الخولنجان
ولا البسباسة ولا دهن البلسان ولا خصى الثعلب ولا في بيض العصافير
ولا في دهن السوسن ولا في القلقاس ولا في اصل النرجس منقوعا في
الحليب ليلتين ولا في الكرفس مدقوقا بزره بالسكر والسمن ولا في لبس
الثوب المورّس ولا في اكل اصل اللُوف ولا في الضَّجع معصورا ماؤه
في اللبن الرائب ولا في البورق مدوفا بالعسل او في دهن الزنبق ولا
في البندق الهندى ولا في الهَمْقاق مقلوّا ولا في علك البطم والينبوت ولا
في المسك مدوفا بدهن الخِيرىّ ولا في البَهْمَن ولا في الجَزَر ولا في
الهليون ولا في الاملج ولا في البَسفارذانج ولا في اخضر الباقلّى بالزنجبيل
ولا في القلقل مدقوقا بالسمسم معجونا بالعسل ولا في صمغ الكَنْدَلَى ولا
في المُقل ولا في ثمر البطم ولا في التبخير بخفيف لحم الرخم مخلوطا
بخردل سبع مرات ولا في حب الزَلَم ولا في لبّ القرطم ولا في معك
الغَنَم ولا في الموز ولا في مسح دماغ الخفاش بالاخصيين ولا في لحم
الحمام ولا في قرفة القرنفل والا لما ضننت عليك بشى لما تعلمين من
فرط محبتي لك * فقالت له اذا كان الامر ياسيدى كما ذكرت فانى
اختار قسيسا * قال اى وسواس وسوس اليك هذا الاختيار الذى ليس من
الخير في شي * قالت اما اولا فلانّ الناس لا يسيئون به الظن اذا راوه
داخلا الىّ كل يوم * والثاني انه يقال ان مادة القسيس متوفرة فيه * قال قد
غويت ومع ذلك فاني اخشى منه على ولديّ فانه ربما يغريهما بخلافى
حالة كوني مخالفا له في معتقده فالاولى ان تختارى آخر * قالت

Digitized by Google

انت طبيب تعرف الصحيح من العليل والقوى من الضعيف فاختر لى
من تشآ فانى ارضى بكل ما ترضى به انت * قال بارك الله فيك * ثم
قبّلها من فرحه ووعدها بانجاز عدته فى اليوم القابل * وما كاد يسفر الفجر
الا وهو فوق حماره يقصد بعض اصحابه * فلما اجتمع به قال له ان لى
عندك حاجة جئت التمسها منك * قال قل ما بدا لك * قال على شرط
ان لا تخيّبنى * قال سابذل مجهودى كله ان شا الله فى قضآئها * فاخذ
يده ج توثيقا للعهد ثم قال له انى اريد ان تكون خليفتى فى زوجتى *
فقال له الرجل هل بدا لك سفر عن مصر وان تترك زوجتك هنا *
قال لا وانما تكون خلافتك عنى فى حضورى * فاستآ الرجل وقال او
خامرك ريب فى صداقتى لك حتى اضمرت استطلاع سرّى * وخفى
امرى * فعند ذلك صرّح له بالقضية والحّ عليه فى القدوم معه * ولما ان
قدما انعقد البيع بحضرة كلّ من الزوج والزوجة وتم التراضى * وصار
الرجل مذ ذلك الوقت يتردد على دار الخلافة وبقى كذلك مدة * ثم
ان الزوجة لما ملّته كما هى عادة النسآ وظهر له ذلك من قلة احتفالها
به مرة ومن اعتذارها اليه اخرى * جرى هو ايضا على عادة الرجال من
انه افشى سرّها لصاحب له * فجرى هذا ايضا على جُدَد امثاله وجعل
يتودد اليها وقام عندها مقام الاول * ثم ملّته فافشى سرها * ثم جآها اخر
فقبلته * ثم آخر وآخر حتى صاروا جماعة عظيمة * ثم تراجع اليها احبّاوها
الاوّلون وانهمكت فى التبديل والتغيير حتى صارت دار الطبيب
كالمشرعة * ولم تكن هذه القضية قد شهرت فى مبادئها عند الجيران
اذ كانوا يظنون ان القوم ياتون ليتداووا من علل بهم * ولكنها علمت
بعد ذلك * وكان سببه ان الطبيب اتخذ له دارا اخرى خارج البلد

Digitized by Google

ليصيف فيها * وترك امراته في الدار الاولى والزائرون على ما كانوا عليه من الورود والصدور * فتنبّه ج الناس لذلك * وفي هذا الوقت اي ورود الخلق الى هذا المغنم البارد كان الفارياق المسكين يتردد على منزل الطبيب ليعلم ابنه ويتداوى * فظن الناس انه من جملة الزائرين * وتقلدوا اثمه في اعناقهم الى يوم الدين * فانه كان معطّلا وفعله مُلْغًى عن العمل * وبقي على تلك الحالة مدة من دون ان يرى فائدة من العلاج * فكأنّ الطبيب اراد ان تطول المدة عليه الى غاية تعليم ابنه * فمن ثم اقتصر الفارياق عن التردد اليه وتداوى عند غيره وشفي * وفي خلال ذلك سافر الى الاسكندرية لمصلحة ما * فاجتمع فيها بواحد من الخرجيين الصالحين * فساله هذا ان يرجع معه الى مصر ليعلم عنده بعض تلاميذ فاجابه الى ذلك * وانما رغب فيه لكون الخرجيّين لا يوخرون اجرة من يعمل لهم * وفي اثناء هذا عنّ له ان يقرا علم العروض * فاخذ في قراة شرح الكافي على الشيخ محمد * فما كاد يختمه حتى فشا الطاعون بمصر * فاشتد بالمولى الخرجي الحرص على حياته ابقاء للمصلحة الخرجية كما زعم * فمن ثم راى ان يتباعد عن وهدة الفخ قليلا لكيلا ينطبق عليه فيفجع الخرجيون امثاله بفقده فيكون فقده سببا في فقد غيره * اذ قد تقرر عندهم ان شدة الحزن تميت * فجعل الفارياق مع الخِرّيجين الخُرَيْجيين ومع رجل لبيب ذي خبرة بالعلاج المانع من عدوى الطاعون * ثم استصحب ما لزم له وفرّ الى الصعيد وتفصيل ذلك في الفصل الآتي *

Digitized by Google



الفصل العشرون

في معجزات وكرامات

كان عند الخرجي المذكور خادمة رعبوبة من اهل بلاده * فلما عزم على الفرار راى ان يغادرها في منزله لتصون حاجته فيه * وانما أبى ان يستصحبها معه لانه كان متزوجا بامراة هي دونها في الحسن * كما جرت العادة في بلاد الافرنج من ان الخادمة غالبا تكون فوق مخدومتها في القسامة والجمال ودونها في الدراية والمعارف * فوقع في خاطر زوجته انه اذا نشبت فيها عوالق الفخ اوّلا ربما اتخذ زوجها تلك الخويدمة في فراشها وطاب عنها نفسا * وان اوّل شي تتعلمه البنت من امها قبل زواجها هو منع الاسباب التي تبعث زوجها على الاستغناء عن شخصها او عن ذكرها * ولذلك كان من عادة نسآ الافرنج ان يهدين الى بعولتهن صورهن وان كانت شنيعة ليجعلوها في قمصهم* او خصلا من شعورهن وان تكن جرآ ليتختموا بها * ثم بدا مشكل آخر * وهو ان الخادمة اذا بقيت وحدها في الدار لم تامن من ان يتسوّر عليها احد في الليل فيقع المحذور * ويحمى التنور * ويكسر المجبور * ويمدّ المجزور * ويطم المحفور * ويذال المذخور * ويحرث البور * وتفك الطلاسم عن المسحور * ويفتق المشصور * ويسمد الصُعبور * ويوسع الصُنبور * ويبعثر المطمور *

Digitized by Google

وتذلّل العبسور * ويصدع الفائور * ويخرب القهقور * وينقر فى الناقور * فتتثلّم شوكة الزنبور * فارتاى بعد ان رفع يديه بالابتهال الى الله تعالى ان يضمّ اليها رجلا من اهل بلاده نحيفا قشعوما * اعتقاد انه لا يقدر على ارتكاب شى من الافعال التى جرّت هذه القوافى المتعددة * وذلك من جملة الاغلاط الفاضحة التى اشتهرت بين الناس * اعنى انهم يظنون فى الغالب من دون مراجعة النسآ والاستشهاد بقولهن ان النحيف لا يقدر على ما يقدر عليه السمين * وكان الاولى ان لا يستبدّوا برايهم فى ذلك * فمكث القشعوم مع الخادمة فى اهنا عيش * اما ما كان من الخُرَيْجيين فان مخرّجهم اى مربّيهم وكّل بهم ذلك الرجل اللبيب * واوعز اليه فى ان يحظرهم عن الخروج * وان لا يدع احدا من اقاربهم يدخل اليهم * وان يستخدم رجلا ليشترى لهم ما يلزمهم من الخارج * ولا يستلم منه شيا الا بعد ان يغمسه فى الخلّ او يبخّره بالشيح * وغير ذلك مما عرف فى اصطلاح الافرنج لمنع اسباب الوباء * وكان هذا الوكيل من مشاهير علمآ ملّته * وكان فى مبدا امره كافرا لا يعتقد بدين من الاديان * لكنه كان حميد الخصال حسن الاخلاق * غير انه كفره حال بينه وبين رزقه فاضطر الى ان ينحاز الى الخرجيين من اهل بلاده * ففرحوا بهدايته كثيرا * واحسنوا اليه احسانا وفيرا * فانقلب هزله جدّا وتمكنت منه الوساوس والاوهام حتى اعتقد اخيرا انه اهل للكرامات والمعجزات * فكان يتمنّى ان تسنح له فرصة لذلك * واتفق فى هذا الاوان ان مات بالطاعون ذلك الخادم الذى كان يشترى لوازم الدار * فلما جآء الدفّانون ليحملوه اعترضهم الوكيل من داخل الدار * فخافوا ان يخالفوه لكونه من الافرنج فان لهم عند اهل مصر حرمة زائدة * ثم انه

Digitized by Google

مضى الى موضع منفرد وجثا على ركبتيه وهو يدعو الله سبحانه وتعالى لان يحقق له صدق عقيدته * ثم فتح الباب وخرج والقى نفسه على جثة الميت وجعل فمه فى اذنه وهو يناديه قائلا * ياعبد الجليل (اسم الميت) انى ادعوك باسم المسيح ابن الله لان تعود من ظلمة الموت الى نور الحياة * ثم اصغى ليستمع الجواب فلم يجبه احد * فاشار الى الدفانين أن اصبروا * ثم سار الى ذلك الموضع الذى صلّى فيه اوّلا * وغيّر ركعته بان جعل فمه بين فخذيه وهو يجمجم فى الدعآ وذلك على منوال الياس النبى حين صلّى لانزال المطر بعد ان قتل انبيآ بعل * وكان عددهم اربعمائة وخمسين نبيّا على ما ذكر فى الفصل الثامن عشر من سفر الملوك الاول * الا انّ بين الداعيَيْن فرقا * وهو ان النبى صلى هكذا بعد القتل وصاحبنا هذا قبل الاحيآ * وكان الاولى ان يرفع عبد الجليل الى غرفة كما فعل النبى المذكور بابن الارملة التى كانت تعوله * وكان دعآوه الى الله لاحيائه ان قال ايها الرب الهى اجلبتَ الشرّ ايضا على هذه المراة بقتل ابنها الخ * ثم انه شبح يديه حتى صارت جثته على شكل صليب * ثم قام ناشطا مسرورا واسرع فى ان القى جثته على الميت واعاد فى اذنيه كلامه الاول * فلما لم يجبه احد وراى الميت لم يزل مفتوح الفم مطبق الجفنين ولم يمش مرة هنا ومرة هناك ولم يعطس سبع عطسات كما عطس ابن المراة الذى احياه النبى اليشع على ما ذكر فى الفصل الرابع من سفر الملوك الثانى * ذهب الى المطبخ وامر الطباخ بان يصنع له مرقة على الفور * فلما صبّت المرقة اقبل بها الى عبد الجليل وجعل يفرغ منها فى حلقه وذاك مشغول عنه بناكر ونكير * فلما اعياه امره امر الدفانين ان يحملوه وقال ما علىّ ذنب فى كونى

لم ارد ان ابعثه وانما الذنب عليه * ثم اقبل الى حجرة الفارياق وقال له لا تواخذنى ياخليلى بعجزى عن احياء الخادم فان زمن الانشار لمّا يبلغ * ولكنى لا اتراخى فى عقيدتى بان افعل ذلك المرة الآتية ان شا الله * فلما سمع الفارياق ذلك اضطرب باله وثار دمه غيظا وحزنا * فاصابه فى ذلك اليوم الداء الفاشى * فخرج تحت ابطه سلعة كالاترجة وحمّ واخذه صداع اليم * فاما الوكيل فلم يصبه شى * وذلك من الاسرار التى يعجز عن ادراكها الحكمآ * ثم ان الفارياق كان حال مرضه يفكر فيما جرى عليه وهو وحيد غريب لا مونس عنده يسليه * ولا طبيب يداويه * وكان يقول فى نفسه اذا مت على هذه الحالة فمن عساه يتمتع بكتبى هذه التى سهرت الليالى على نسخها * نعم ان الموت على كل حال صعب مكروه غير ان موت الفتى مثلى غريبا اصعب * وانى قد ابتليت والحمد لله فى هذه المدينة بجميع انواع الادوآ المصبوغة بلون الحِمام * فاذا فسح الله الآن فى اجلى فلا افارق هذه الدنيا الا قرير العين بنجل يرثنى * وان لم يكن عندى من حطام الدنيا غير الكتب * كيف لا وقد جآء عن ابيشلوم ولد سيدنا داود انه بنى له جدارا ليذكر به بعد موته اذ لم يكن له خلف * فلاتزوجنّ فان لم ياتنى خلف فالطوب بمصر كثير * اللهم يسّر * غوثك ياكريم * يارحمان يارحيم * ثم لما كان يمعن النظر فى حال الزواج ويتصوّر مشاقه وشدائده التى كان يرى اودّآءه ومعارفه يقاسونها ويئنّون من باهظ حملها * يرجع عن عزمه ويسخر من استحالة عقله وضعف فهمه لضعف جسمه * ثم يعتذر لنفسه بان كل انسان اذا عاش مدة حياته على راى لم يوافق راى الجماعة * وكان يعتقد وهو حىّ صحيح الجسم معافى انهم كلهم على ضلال وانه هو وحده على هدى * فاذا ادركه ضعف

جسم لم يلبث ان يتغير عقله فيميل عن مذهبه الاول * كما جرى لبيون الفيلسوف ولكثير غيره من الحكمآ والفلاسفة * ثم ان الله تعالى تدارك الفارياق برحمته * ومنّ عليه بالشفآ من علته * فقام من فراشه كانما قام من جدثه واقبل على الطنبور يعزف به ويغنى * فدعه الان على هذه الحالة ولا تنغص عليه عيشه * وشمر اذيالك معى

لنطفر فوق هذا الاجيج المتاجج

امامنا فيما

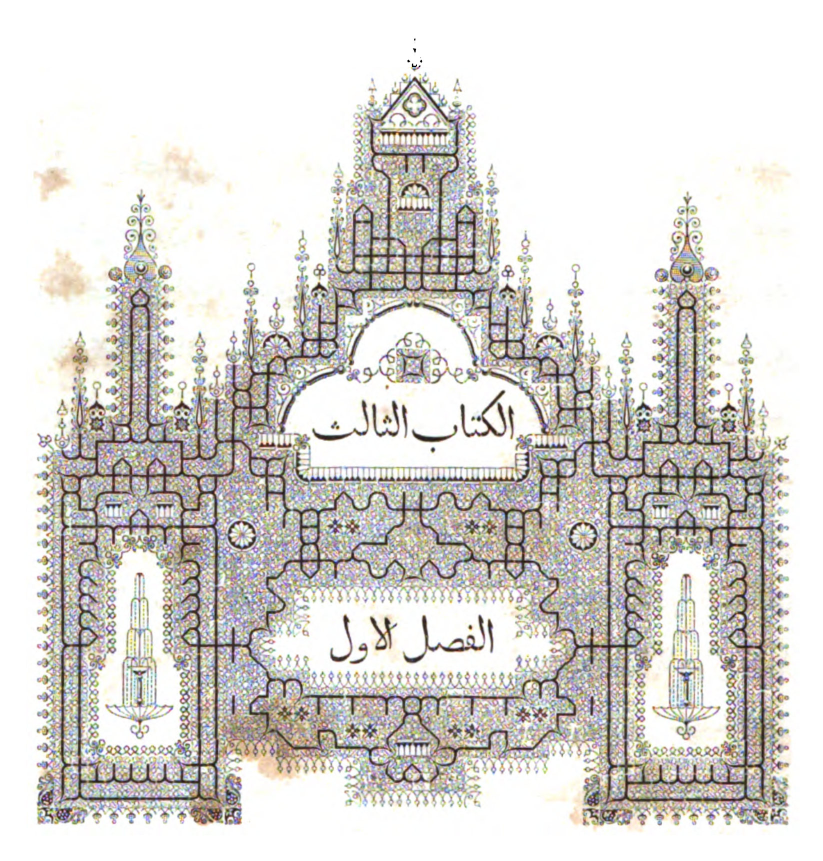
يلى

هذا

*



Digitized by Google



في اضرام اتون

او ما كفى بني آدم ما هم فيه من الشقآ والعنآ * والجهد والبلآ * والمشقة والنصب * واللاوآ والتعب * والحرمان والنحس * والقنوط والتعس * يحبل بهم في الفَرْث والوحم * ويولدون في الاوجاع والالم * ويرضعون في الضرر * ويفطمون في الخطر * ويحبون فيعثرون * ويدرجون فيتدهورون * ويمشون فيكلّون * ويكدّون فيملّون * ويبطلون فيتضورون * اذا جاعوا خاروا ووَهَوا * واذا اكلوا اتخموا وبَجِروا * واذا ظمئوا ضووا * واذا شربوا غَلثوا وغثنوا وخثروا * واذا ارقوا ذابوا قلقا وكمدا * واذا ناموا ذهب العمر منهم سدى * واذا هرموا ملّهم اهلهم واخوانهم * واذا اختُضروا

Digitized by Google

حشروهم تحسيرا ربما احانهم * ثم هم بين ذلك فى تحصيل اسباب المعاش ساعون * وفى التظاهر باللباس والزينة معنّون * والعزب منهم متهافت على امراة تكون له اهلا * وذو الاهل همّه بزوجه وتربية ولده طفلا وكهلا * فاذا مرضوا مرض * واذا حزنوا حزن وجرض * وويل له ان تكن زوجته بَزْرآ * او كانت عاقرا وَذْماء * وراى لغيره من المتزوجين بنين ذوى طلعة ناضرة * وشمائل سارّة * فيقول فى نفسه انما لذة الدنيا البنون * وانى ميت بلا خلف واىّ منون * وكم من سقوط ظفرٍ وهن الجسم كله * وكم لقلع ضرس ذهب الصبر او جلّه * ما عدا الادوآ المتعضّلة * والعلل المتاصّلة * وتخالف الازمان وحول الاحوال * وتعاقب الاحزان ودَوْل الحال * على هذا الجسم الوانى البال * ففى الشتآ يكون عرضة للريح والزكام والبلغم والرطوبات * والبوال والعفونات * وفى الصيف للصفرآ والحمى والصداع * والترهل والاستنقاع * وفى الربيع لهيجان الدم وتبيّغه ونزغته * وفى الخريف لتحرك السودآ واذى الهوآء وندغته * ثم ان منهم من يولد ويعرض له من العيوب والامراض

الجَنأ	اشراف الكاهل على الصدر *
او القَسَأ	خروج الصدر ونتوء الخَثَلة *
والقَطأ	دخول الظهر وخروج الصدر *
والحَدَب	معروف *
والحُسبة	ان يبيض جلد الرجل من دآ فتفسد شعرته فيصير ابيض واحمر
والحَصْبة	بثر يخرج بالجسد *
والشبّ	دآء م *
والضَبُوب	دآء فى الشفة *

Digitized by Google

والطَنَب	طول فى الرجلين فى استرخآ وطول فى الظهر *
والعَكَب	غلظ فى الشفة واللحى *
والغضّبة	بخصة تكون بالجفن الاعلى خلقة *
والغِضاب	دآء او الجُدَرى *
والغَلَب	غلظ العنق *
والقَلَب	انقلاب الشفة *
والقُلاب	دآء القلب *
والقُوبآ	الذى يظهر فى الجسد ويخرج عليه *
والكَنَب	غلظ يعلو الرجل واليد *
والكَوَب	دقة العنق وعظم الراس *
والناقبة	دآء للانسان من طول الضجعة *
والجَوَث	عظم البطن فى اعلاه او استرخآ اسفله *
والخَوَث	استرخآ البطن *
والضَمَج	آفة تصيب الانسان وهو ايضا هيجان المابون *
والعِناج	وجع الصلب *
والفَحَج	تدانى صدور القدمين فى المشى وتباعد العقبين والفجج والفخج اقبح منه *
واللَخَج	اسوأ الغمص *
والمَخَج	استرخآ الشدقين *
والجَلَح	انحسار الشعر عن جانبى الراس *
والصَفَح	عرض فاحش فى الجبهة *
والنَظَف	علة يُكوَى منها الانسان *

والفركحة	تباعد ما بين الاليتين *
والفَطَح	عرض الراس والارنبة *
والفَلَح	شق فى الشفة السفلى *
والقادح	أُكال فى الاسنان *
والقَلَح	صفرة الاسنان *
والكَسَح	الزمانة فى اليدين والرجلين *
واللَخَج	اللخص فى العين *
والمَرَح	شدة سيلان العين وفسادها *
والمَسَح	احتراق باطن الركبة لخشونة الثوب او اصطكاك الربلتين ومثله المشح *
والوَذَح	احتراق فى باطن الفخذين *
والبَزَخ	خروج الصدر ودخول الظهر *
والزُلَّخة	وجع ياخذ فى الظهر *
والفَتَخ	استرخآ المفاصل او عرض الكف والقدم وطولهما *
والنُفاخ	نفخة الورم من دآء يحدث *
والجَرَد	عدم الشعر *
والدَرَد	ذهاب الاسنان *
والرِدّة	تقاعس فى الذقن *
والسُواد	دآء من شرب المآ *
والقَوَد	طول العنق والظهر *
والكُباد	وجع الكبد *
واللَهْد	دآء فى ارجل الناس وافخاذهم *

Digitized by Google

والأَدَر — الآدر والمادور من ينفتق صفاقه فيقع قُصبُه في صَفَنه الخ وفعله كفرح *

والبَجَر — خروج السرّة وعظم البطن *

والبَخَر — النتن في الفم *

والباسور — م ج بواسير *

والحَثَر — البثور وحثرت العين خرج في اجفانها حبّ احمر *

والحَدَرة — قرحة تخرج بيباض الجفن *

والحُصْر والحَصَر — الحصر احتباس ذى البطن وبالتحريك ضيق الصدر والبخل والعيّ في المنطق *

والحَفَر — سُلاق في اصول الاسنان *

والحُمْرة — ورم من جنس الطواعين *

والمُحنجَر — دآء في البطن *

والأُخَيضر — دآء في العين *

والذَهَر — اسوداد الاسنان ومثله التذيير *

والزَحِير — استطلاق البطن *

والزَعَر — تفريق الشعر وقلته *

والزَوَر — عِوَج الزور والازور من به ذلك والناظر بموخر عينيه *

والشَتَر — انقلاب الجفن من اعلى واسفل وانشقاقه او استرخآ اسفله *

والصَعَر — صغر الراس *

والصَفَر — دآء في البطن يصفّر الوجه *

والظَفَر — دآء في العين *

والظَهَر — دآء الظهر *

Digitized by Google

والعَوَر	معروف *
والتقطير	عدم استمساك البول *
والقَصَر	يبس في العنق *
والمَعَر	قلة الشعر *
والناسور	علة في المآقي وعلة في حوالي المقعدة وعلة في اللثة *
والكُزاز	دآء من شدة البرد *
والسُلاس	ذهاب العقل *
والفُقاس	دآء في المفاصل *
والفَطَس	انفراش الانف في الوجه *
والقَعَس	خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب *
والقَفَس	عظم الروثة *
والقَنْعسة	شدة العنق في قصرها كالاحدب *
والكَسَس	قصر الاسنان او صغرها او لصوقها بسنوخها *
والنِقْرِس	ورم ووجع في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين *
والهَوَس	طرف من الجنون *
والحَمَش	دقة الساقين *
والخَفَش	صغر العينين وضعف البصر خلقة او فساد في الجفون بلا وجع او ان يبصر بالليل دون النهار *
والدَوَش	ظلمة البصر وضيق العين *
والرَمَش	حمرة في الجفون مع مآء يسيل *
والطَرَش	اهون الصمم *
والطُشاش	دآء كالزكام *

والعُطاش	دآء لا يروى صاحبه *
والعَمَش	ضعف البصر مع سيلان الدمع فى اكثر الاوقات *
والمَدَش	رخاوة عصب اليد وقلة لحمها ودقتها *
والنمش	نقط بيض وسود او بقع تقع فى الجلد تخالف لونه *
والبَخَص	لحم ناتئ فوق العينين او تحتهما كهيئة النفخة والتبخص انقلاب الاجفان *
والبرص	معروف *
والتَعَص	وجع العصب من كثرة المشى *
والحاصّة	دآء يتناثر منه الشعر *
والحَوَص	ضيق فى موخر العينين او فى احداهما *
والخَوَص	غؤور العينين *
والخَيَص	صغر احدى العينين *
والرَمَص	وسخ ابيض يجتمع فى الموق *
والشَوْصة	وجع فى البطن او ريح تعتقب فى الاضلاع او ورم فى حجابها *
والغَمَص	ما سال من الرمص *
والقَبَص	وجع يصيب الكبد من التمر على الريق وضخم الهامة *
والقِرْماص	قصر الخدين *
والقَفَص	حموضة فى المعدة من شرب المآ على التمر وحرارة فى الحلق *
واللَحَص	تغضن كثير فى اعلى الجفن *
واللَخَص	كون الجفن الاعلى لحيما *
واللَصَص	تقارب المنكبين والاسنان *
والماصّة	دآء ياخذ الصبى من شعرات على سناسن الفقار الخ *

Digitized by Google

والمَعَص	التوآ فى عصب الرجل *
والمَغَص	معروف *
والوَقَص	قصر العنق *
والحَرَض	فساد المعدة والبدن والمذهب والعقل *
والهَرَض	الحصف يخرج على البدن من الحرّ *
والخُباط	دآء كالجنون *
والأَذْوَطيّة	الاذوط الناقص الذقن *
والأَسَطّية	الاسطّ الطويل الرجلين *
والسَرَطان	ورم سوداوى يبتدئ مثل اللوزة واصغر فاذا كبر ظهر عليه عروق حمر وخضر شبيه بارجل السرطان لا مطمع فى برئه وانما يعالج لئلا يزداد *
والضَرَط	خفة اللحية ورقة الحاجب *
والضَوَط	عوج فى الفم *
والطَرَط	خفة شعر العينين والحاجبين والاهداب *
والقَطَط	قصر الشعر وجعودته *
والمَرَط	خفة الشعر *
والمَعَط	عدم الشعر *
والجَحَظ	خروج المقلة او عظمها *
والبَثَع	ظهور الدم فى الشفتين وانقلاب الشفة عند الضحك *
والجَلَع	عدم انضمام الشفتين *
والخَلَع	التوآ العرقوب *
والرَسَع	فساد فى الاجفان *

Digitized by Google

والرَمَع	اصفرار فى وجه المرأة من دآ يصيب بظرها *
والزَلَع	شقاق فى ظاهر القدم كالسلع *
والزَمَع	الزيادة فى الاصابع *
والصُداع	وجع الراس *
والصَلَع	انحسار شعر مقدم الراس *
والتصوّع	تشقق الشعر *
والقَرَع	معروف *
والقَفَع	ارتداد اصابع الرجل الى القدم *
والقُلاع	دآ فى الفم *
والقَمَع	فساد فى موق العين واحمرار او بثرة تخرج فى اصول الاشفار *
والكَتَع	رجوع الاصابع الى الكف *
والكَثَع	احمرار الشفة وكثرة دمها حتى تكاد تنقلب *
والكَلَع	شقاق ووسخ فى القدم *
والكَوَع	اقبال الرسغين على المنكبين *
واللَخَع	استرخآ الجسم *
واللَطَع	بياض فى باطن الشفة الخ *
والوَكَع	اقبال الابهام على السبابة من الرجل *
والهَنَع	انحنآ فى القامة *
والبَثَغ	ظهور الدم فى الجسد *
والذَلَغ	انقلاب الشفة *
والفَدَغ	التوآ فى القدم *
والفَوَغ	ضخم فى الفم *

Digitized by Google

والوَبْغ هِبْرية الراس *

والجَنْف الجنف في الزور دخول احد شقيه وانهضامه مع اعتدال الآخر *

والحَشَفة قرحة تخرج بحلق الانسان *

والحَنَف الاعوجاج في الرجل *

والخَنَف انهضام احد جانبي الصدر او الظهر *

والسأف تشقق وتشعث ما حول الاظفار *

والسَعْفة قروح تخرج على راس الصبي ووجهه *

والشأفة قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى فتذهب او اذا قطعت مات صاحبها *

والشَنَف انقلاب الشفة العليا من اعلى *

والطَرْفة نقطة حمرآ من الدم تحدث في العين من ضربة وغيرها *

والغَضَف استرخآ في الاذن *

والغَطَف كثرة شعر الحاجب *

والكُتاف وجع الكتف *

والكَلَف شي يعلو الوجه كالسمسم — وحمرة كدرة تعلو الوجه *

والأرَقان آفة تصيب الزرع والانسان كاليرقان *

والبَخَق اقبح العور *

والبهق بياض رقيق ظاهر البشرة الخ *

والحَوْلق وجع في حلق الانسان *

والحُماق الجدري او شبهه *

والخُناق دآ يمتنع معه نفوذ النفس الى الرئة *

والرَوَق ان تطول الثنايا العُلى السُفلَ *

Digitized by Google

والسُلاق	بثر يخرج على اصول اللسان او تقشر فى اصول الاسنان وغلظ فى الاجفان *
والشَذَق	سعة الشدق *
والشَمَق	مرح الجنون *
والغَمَقة	دآء ياخذ فى الصلب *
والفَتَق	علة فى الصِفاق *
والفَوَق	ميل الفم والفرج *
واللَسَق	لسوق الرئة بالجنب عطشا *
والمَشَق	ان تصيب احدى الربلتين الاخرى *
والوَدَق	نقط حمر تخرج فى العين تشرق به او لحمة تعظم فيها او مرض فيها ترم منه الاذن *
والسَكَك	عيب فى الاذن *
والساهك	حكّة العين *
والشاكّة	ورم فى الحلق *
والشوكة	دآء م وحمرة تعلو البدن *
والفَرَك	استرخآ اصل الاذن *
والفَكَك	انفراج المركب استرخآ *
والالَل	قصر الاسنان واقبالها على غار الفم كاليَلَل *
والبَدَل	وجع فى البأدلة (اللحمة بين الابط والشندوة) ووجع المفاصل واليدين *
والبُوال	دآء يكثر منه البول *
والثعَل	تراكب الاسنان *

Digitized by Google

والثَلَل تساقط الاسنان *

والحَذَل حمرة فى العين وانسلاق وسيلان دمع *

والجَقَل دآ فى البطن *

والحَلَل استرخآ ووجع فى العصب *

والحَوَل معروف *

والخَبَل فساد الاعضآ والفالج *

والخَزَل الكسرة فى الظهر *

والخُمال دآ فى المفاصل *

والدَحَل عظم البطن *

والدَخَل ما داخلك من فساد فى عقل او جسم *

والسَبَل غشاوة العين من انتفاخ عروقها الظاهرة *

والسَغَل السَغِل الصغير الجثة الدقيق القوائم او المضطرب الاعضآ او السيى الخلق والغذآ او المتخدد المهزول وقد سغل كفرح فى الكل *

والسُلال م كالسِلّ *

والسَوْلة استرخآ البطن وغيره *

والصَحَل البحح *

والضَعَل دقة البدن من تقارب النسب *

والطَحَل دآ الطحال *

والطُلاطِلة سقوط اللهاة حتى لا يسوغ له طعام ولا شراب *

والعَفَل شى يخرج من قبل النسآ كالادرة *

والعَقَل اصطكاك الركبتين *

Digitized by Google

والعَقابيل ما يخرج على الشفة غبّ الحمى *

والغَمَل فساد الجرح من العصاب *

والقَبَل اقبال احدى الحدقتين على الاخرى *

والنَّملة بثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيرا ويدبّ الى مكان آخر *

والأُطام حصرة البول والبعر من دآ *

والنُّجام دآ فى العين *

والجُذام معروف *

والخشَم تغير رائحة الانف من دآ فيه *

والرَحَم وجع الرحم *

والسَرَم وجع الدبر *

والضَجَم عوج فى الفم والشدق والشفة والذقن والعنق *

والعَسَم يبس فى مفصل الرسغ تعوجّ منه اليد والقدم *

والغَمَم سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة والقفا *

والفَقَم تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى *

والقَعَم ميل وارتفاع فى الاليتين *

والكَزَم قصر فى الانف *

والكَشَم نقصان فى الخلق وفى الحسب *

والمُوم اشد الجدرى *

والبَطَن دآ البطن *

والثَفَن دآء فى الثَفِنة وهى من الانسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ *

والدَنَن انحنآ فى الظهر ودنو وتطامن فى الصدر والعنق *

Digitized by Google

والزَمَن	العاهة ونحوه الضَمَن *
والتسوّن	استرخآ البطن *
والقَعَن	قصر فاحش فى الانف *
والآهة والماهة	الآهة الحصبة والماهة الجدرى *
والجَلَه	انحسار الشعر عن مقدم الراس *
والشَوَه	طول العنق وقصرها ضد *
والفَوَه	سعة الفم *
والقَرَه	القره فى الجسد كالقلح فى الاسنان *
والقَمَه	قلة شهوة الطعام كالقَهَم *
والمَرَه	فساد العين لترك الكحل *
والبله	قلة الفطنة *
والتَلَه	الحَيرة والوله وهو ذهاب العقل حزنا *
والدَلَه	ذهاب الفواد من همّ ونحوه *
والبَزا	انحنا فى الظهر عند العجز او اشراف وسط الظهر على الاست *
والنَجو	سعة الجلد واسترخاوه *
والجَلا	دون الصلع *
والجَوَى	دآ فى الصدر *
والحَصاة	اشتداد البول فى المثانة حتى يصير كالحصاة *
والحَقْوة	وجع فى البطن من اكل اللحم *
والخَذَى	استرخآ الاذن وانكسارها *
والرَثْية	وجع المفاصل واليدين والرجلين او ورم فى القوائم او منعك الالتفات من كبر او وجع *

Digitized by Google

والشَرَى　　بثور صغار حمر حكاكة *
والشَغا　　اختلاف نبتة الاسنان بالطول والقصر والدخول والخروج *
والضَوَى　　دقة الجسم وقلة الجسم خلقة او الهزال *
والطَنَى　　طنى لزق طحاله ورئته بالاضلاع من الجانب الايسر *
والفَغا　　ميل فى الفم *
والقَعا　　هو ان تشرف الارنبة ثم تقعى نحو القصبة *
والقَطَى　　دآ فى العجز *
واللَقوة　　دآ فى الوجه *
واللَوَى　　وجع فى المعدة واعوجاج فى الظهر *

وغير ذلك من العيوب كأنْ يكون الانسان قشعوما او مقرقما او زَعْبلا او سَقَعْطَرى او نِغاشيا او إزَبا او دميما * ومن الادوآ التى لم يُعرَف لها بعدُ اسم * ومحال ان تحيط بها كلها حالة كونها غير مستقصاة هذه الثمانية والعشرون حرفا * واصعبُ ما فيها واضرّ الهُكاع والتشويل * وقد زاد معاصرونا على ذلك الدآء الزَرْنبى مما خلت عنه لغتنا الشريفة * واعود فاقول الم يكف بنى ادم ان مدى عمرهم قصير * وهمّهم فيه طويل كثير * وامرهم عسير * لكل منهم من العنآ والجهد واللوعه * ما يكفيه وآخرين معه * فطالب العلم يسهر الليالى فى تبيين مشاكل * وايضاح مسائل * وذو الصنعة يقضى نهاره كله مكبّا على عمله ذا سخط * حتى ينال كفافه فقط * وذو الامارة مشغول البال باحكامه وسياسته * والرئيس ذو همّ برئاسته * والملك موجس من وزرائه ان يتحالفوا عليه فيسقوه ما به هلاكه * والوزرآ خائفون منه ان ينقم عليهم فتدور بهم افلاكه * والتاجر يبكر الى محترفه وهو مشفق من كساد بضاعته * والطبيب يخشى ان تُرشَد الناس فيستغنوا

Digitized by Google

عن براعته * فتعفن عقاقيره * وتاجن مياه زجاجاته ويفسد ذروره * وسَفوفه ولَعوقه ووَجوره * والقاضي يستعيذ من قدوم من تفتنه من الغيد بجمالها * وتربكه في مسائل غير مذكورة في كتابه فيعلق بحبالها * ويتحير من احوالها * والربّان يحذر من عصف الارواح * والزاجل من شب نار الحرب التي وقودها الارواح * فكلما راى سلطانه متغيرا * وخاطره مكدرا * قال اللهم اكفني غِيَر الدهر * واجعل هذا الكدر عارضا يزول قبل العصر * فاني ارى في وجه ملكي واميري سيمياء القتال * والرسم بمنازلة الابطال * وانا ذو صاحبة وعيال * واملاك واموال * اللهم اكفف السنة الاجانب عن القدح فيه * والقِ في قلوبهم رعبه وامحُ من صدره ما يوغره ويزفيه * والحارث يوجل من كثرة الامطار * وهبوب الاعصار * والمعلّم من رغبة الناس عن العلم الى الجهل * والمتعلم من عقبة الكُتّاب * وعاقبة الكتاب * الشاقه لما عنده من ثمد الجَلَد * والحاظر له عن اللهو والدد * والمغنّي والعازف بالات الطرب من وقوع الغلاء * او استيلاء الحزن على قلوب الاغنياء * واللاعب من اهتداء الناس الى الجد * والشاعر من الفائه ممدوحه كالحجر الصلد * او محبوبه ذا جفاء وصد * والمولف مثلي من مجانين (اي يشفق من مجانين لا انه هو منهم) يتصدّون له فيحرقون كتابه * ويخرّقون إهابه * والزوج من فرار زوجته وكساد ابنته * وهما من بخله وحرمانهما من ثروته * والقسيس من كتب الفلاسفة * والفلاسفة من وعيد القسيس وبوادره العاصفة * ورعوده القاصفة * وفي الجملة فكل ذي حرفة يخاف من انحراف نفعها عن جانبه * وكلٌّ يدعو الله لصلاح حاله ولو بفساد حال صاحبه * اذ لا تكاد تتم مصلحة من هذه المصالح المذكورة * الّا وينجرّ معها مفسدة بالضرورة * كما قال ابو الطيب المتنبي مصائب

Digitized by Google

قوم عند قوم فوائد * ومع ذلك فكل يزعم انه محق فيما ساله * جدير بنوال ما امله * وان لغته في ذلك عند الحق سبحانه وتعالى * اصدق مقالا * نعم اعود فاقول * وان طال المقول * او ما كفى الناس الخوف من الموت يفاجئهم وهم في دعة واطمئنان * او يفجعهم بفقد ما لديهم عزيز من اهل وولد واخوان * وخلان وحيوان * اذ بعض الناس يكلفون بالخيل والطير والسنانير والكلاب * كلفهم بالاهل والاصحاب * او الرعب من ان يسقط احدهم عن ظهر دابته فتندق عنقه * او تسرى النار في بيته فيحترق تالده وطريفه فيعدم رزقه * او يقع في تيّار فيجفأ به الى ما شا الله * او تخسف به الارض * او يخرّ عليه السقف من فوق * او تبلغه الوكة من مسافة مائتى فرسخ فتقلقه وتورقه وربما ابكته دما * او ياتيه سارق فيسرق متاعه الذى هو قوام معيشته * او يفقد ما في كيسه او هميانه في الطريق * او ينشب في عينه عود فيعطلها * او تتشنج به عضلة فيعد بعدها من سقط المتاع * او ياكل شيا ضارّا فيودى به * او شرابا مسموما فيسقط امعاه وارابه * او يرى جميلة فيؤرّقه جمالها فيصبح وهو هائم متيّم يشكو للطبيب من سقامه * وللشاعر من غرامه * فلا هذا يطمعه ويمنّيه * ولا ذاك ينفعه ويشفيه * اوقبيحة فتدهمه مُرْعبة * ويلازمه القمه عن المادبة * او تنبحه الكلاب وتخرق ثيابه فيبدو وُذَمه * او يسيل دمه * او يكون جالسا يوما على التخت * فيسمع له صريف التحت * فيسود وجهه بين اخوانه وعترته * واهل قريته وكورته * وربما نبزوه بالخَضْفى اوالغَضْفى او النَضْفى او الخَبْقى او الخَبْقى او الخَفْقى اوالعَفْقى او الغَفْقى او الحَصْمى او الخَضْمى او الرَدْمى * او يقع عليه الكابوس ليلاً فيقف جريان دمه على قلبه فيهلك ليلته * نعم الم يكفهم هذا كله حتى طفق

بعضهم يجهز على بعض كتائب الحدس والتخمين * ويجرّد عليه مقانب
الخرص والتزكين * فاقبل قوم منهم على قوم برماح الطعن مشرّعة * وبسيوف اللعن
مبضّعة * وبنصال الجدال فائدة مارقة * وبنبال الجلاد صاردة خاسقة *
فقال بعض الا ان درجات السمآ مئة وخمس * فقال غيره الا انها مئة
واربع * فقال اخر لقد كذبتما واستوجبتما قطع اللسان وسمل العينين *
وسلّ الانثيين * انمّا هى مئة وست * ثم قام اخر وقال الا ان دركات
سقر ستمائة وست وستون * فقام غيره وقال الا انها ستمائة وخمسون *
فقال اخر لقد كذبتما والحدتما وضللتما واستوجبتما غلّ اليدين والرجلين *
ونتف الشعرين * انما هى ستمائة وسبع وستون * ثم قام اخر وقال الا
ان قرن الشيطان ثلثمائة وخمسة وخمسون ذراعا * فقال آخر هذا افك
واضح * وبهتان فاضح * بل هو ثلثمائة وستة وخمسون * فقال اخر
وكسور * ثم قال اخر الا انه من حديد لكونه ثقيلا على الناس يعنّيهم *
فاجابه غيره الا انه من ذهب لكونه يضلّهم ويغويهم فقال اخر بل هو من
اليقطين لانه ينمى ثم يذوى * ويكبر ثم يصغر * ويطول ثم يقصر * ثم قام
آخر على راس سلّم عال وقال بصوت جهير الا ان بكم ايها الناس لجُلَيْدة
ينبغى قطعها بحجر محدّد لا كبير ولا صغير * فقال آخر بل بسكّين ماض
لا طويل ولا قصير * فقال آخر لقد سفهتما انما هى عزيزة علينا * كريمة
لدينا * لايصح قطعها بحجر ولا سكّين * ولا خدشها بشى ولو من رقين *
فانما هى متصلة بالوريد ومنعقدة بالوتين * ومن قطعها فقد كفر *
واستوجب نار سقر * فقال آخر بل قطعها واجب فانها من الزوائد *
فاعترضه القائل بعدم القطع انّا لا نرى شيا غيرها يقطع فما وجه تخصيصها
بالقطع * قال بل الشوارب تُحفى والاظفار تقلّم * قال ولكنها بعد ذلك

Digitized by Google

تنبت وتلك لا * قال انما دليلى القطعى على وجوب القطع عدم نفعها لصاحبها * قال لم يخلق الله شيا عبثا من غير نفع * قال بل خلقك اياك لغير فائدة * قال لا بل انت مخلوق عبثا * ثم حشد كلّ من الفريقين بخيله ورَجْله * وتلاقى كل من الجيشين بسلاحه ومُحله * فمن بين قارع بحدّ الحسام * ورام بالسهام * وباطش بيده وقاذع بلسانه وهاجٍ بقلمه * فالروس متناثرة * والدمآ جارية والاعضآ متطايرة * والعرض مهتوز والحرمات مهتّكة * والمال مسلوب والدهار مخرّبة * والحزازات فى الصدور كامنة * والمشاحنة ظاهرة وباطنة * والخيل مُسرَجة * والكماة مدجّجة * والطرق معطلة * والارض ممحلة * والفرص للانتقام مرقوبة * والدعواتُ فى الليالى مشبوبة * ياايها الناس اعتبروا بمن فات * كيف صار الى الرفات * وان منهم من كان يذكر اسمه فى حياته بالبركات * فاصبح يذكر باللعنات * ومنهم من كان يحسب فى قومه سراجا وهّاجا * فصار يحسب دخانا وعجاجا * ومنهم من كان ياكل حتى ينتفخ بطنه وتجحظ عيناه * ويتلجلج لسانه وترتخى شفتاه * فصار الان الدود ياكله * وبعض الحشرات يستوبله * ياايها الناس * وجمهوركم فى سبات والباقى فى نعاس * فرارٍ من غرور النفس * وحذارٍ من قرور الرمس * وبدارٍ الى تقديم عمل صالح يقربكم الى الله * ويلاّم بعضكم ببعض وانتم فى الحياه * اتموتون وفى قلوبكم الحقد على خصمكم * وفى افواهكم اللعن على مخالفكم فى زعمكم * الم يقل لكم الحق كونوا ياعباد على الارض أخوانا فانكم من أب واحد وامّ واحدة وانكم جميعا لميّتون * سوآ كنتم ذوى وجوه سمر او حمر او صفر او سود او بيض انكم كلكم بشر انكم بكلكم فانون * انكم ناظرون ولامسون وسامعون وشامون وطاعمون * ما بال

الجُلَيدىّ منكم يشنأ اللاجليدى * والحديدى منكم يمقت اليقطينى افلا
تتوادعون * الم اظهر لكم فى طلوع الشمس وغروبها * وفى بزوغ الكواكب
ومغيبها * وفى سكون الريح وهبوبها * وفى خمود النار وشبوبها * وفى زخر
المياه ونضوبها * وفى صروف الدهر وخطوبه * وهمومه وكروبه * وفى
سواد الشعر ومشيبه * وفى هرم الجسم وشحوبه * وفى الازمان اذا توالت *
والاحوال اذا حالت * والدول اذا دالت * وفى الغياض اذا ابهجت *
والرياض اذا دبّجت * والاشجار اذا اورقت وجرّدت * والاطيار اذا
زقزقت وغردت * وفى اللسان اذا نطق * والقلم اذا مشق * ليس لعمرى
بين الوحوش الضارية والطيور الكاسرة ما بينكم من العداوة والبغضآ *
والضغن والشحنآ * اذكروا يوم ان صعد خطيبكم المنبر * وعبس وبسر *
وتوعد وتنكر * وخطّا وكفّر * وحض على القتال وذمّر * ثم دعا فاستغفر *
واستخار الله واستبشر * فاغرتم على جيرانكم * وانتهكتم حرمات
اخوانكم * وفرقتم بين الام ورضيعها * والمراة وضجيعها * وبين الاب
وولده * وسَبَدَه ولبده * اذكروا يوم ان حشد رئيسكم اليه اعوانه *
وهاج اهله واخدانه * على ان يخون سلطانه * واى خيانه * وما
ذلك الا لمخالفته له فى الحزر والتقدير * والتاويل والتعبير * والتخريج
والتفسير * اذكروا يوم ان اعلمتم انفسكم بعلائم الجهاد * وقلتم هذه
حرب الله هذا قتال لرضى رب العباد * هذا يوم كسب الثواب * والنجاة
من العذاب * فافيضوا الى العدو من البر والبحر * واغتنموا عند الله
اجر هذا البرّ * اذكروا يوم ان تنازعتم على لون طعام تاكلونه * وشكل
شراب تشربونه * ورحضة جسم تغسلونه * ونوع فراش تتوسدونه *
ورقعة ثوب تلبسونه * ووجه كلام تحكونه * ومتاع تستعملونه * الاختلاف

فى هذه الدنيا فُطرتم * ام بالخصام والمعاداة أُمرتم * ما بال علمآ الرياضة والهندسة والتنجيم لا يختلفون فى ادلّتهم * وان اختلفوا لم يشبّوا النار لتحقيق نحلتهم * وانتم تشبونها عند كل فرصة تسنح لكم * ووهم يسبق اليه فكركم * وكان الاولى ان تتواطاوا على راى واحد كما تواطأ اولئك* وان تُسنّوا لعباد الله مصالحهم لا ان تدخلوهم فى هذه الملاحك * وتربكوهم فى هذه المرابك * وان تهدوهم الى اقوم المسالك * لا ان تلبّسوا عليهم فى هذه الحوالك * دعوهم يشتغلوا باسباب معيشتهم* ولا تكلفوهم ادراك ما فوق طاقتكم وطاقتهم* واعملوا انتم ايضا بايديكم ساعتين اذا عملتم بالسنتكم النصناصة ساعة * واجمعوا امركم عند تفرق اهوائكم على الالفة والطاعة * انسيتم ما جآ فى الزبور الذى به تلهجون * وتهذّون وتذبرون * وهو قوله ما احسن الاخوة ان تسكن جميعا فى بيت واحد كالدهن النازل على اللحية لحية هرون * الا ولا تحرّموا ما حلل الله لكم من الطيبات * ولا تتلاوصوا الى معرفة ما لغيركم من الهفوات * ولا تبيعوا املاك السماوات * وانتم على الارض من ذوى البطالة والترّهات * ليس على السوقى ان يتزوج خرجية من حرج * ولا على الخرجىّ ان يتزوج سوقية من مَرَج * فان اختلاف الحزر فيما لا يعلم * لا يكون مانعا للفوز بهذا المغنم * الذى يدريه من تعلم ومن لم يتعلم * او لم تعلموا ان الارحام من الرحمة اشتقّت * والى المصاهرة شقت * وعلى الانساب انطبقت * والى التآخى والتآلف خلقت * وبالتوادّ اختصت * ولانتهاز فرص الحظ فُرصت * فما لكم عنها تتباعدون * وتتقاعسون وتتقاعدون * ولمَ انتم هولآ فى بحر الشك والظن تسبحون * وتستبضعون تجارة الخرص وتربحون * لا يسمع الله دعآ احد منكم

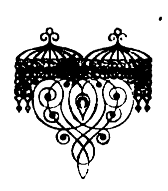
فى الشرق الا اذا كان يستصوبه اهل الغرب * ولا يفيزكم بالآخرة الا اذا تالفتم فى الدنيا على هذا الضرب * فليصافح اذًا اخضر الراس منكم اسوده * ومدوّره ذو القُبّعة مخروطه ذا اللبدة * وليُصْفِ كلّ منكم لاخيه نيّته وودّه * ويحفظ له عهده * واذ قد اتفقتم على المخلوق فلا تختلفوا على الخالق * فهو رب المغارب والمشارق * وانه ليريد ان المشرقى منكم اذا سافر الى المغرب يرى اهله فيه له اهلا * وشمله شملا *

فاقبلوا النصيحة * واسمعوا ما يمرّ بكم بعدها من العبارات

الفصيحة * والمعانى المليحة * فى هذا

الفصل الذى

سميته





فى العشق والزواج

قد ذكرت فى آخر الكتاب الثانى ان الفارياق ابتلاه الله بامراض كثيرة وكتب وفيرة ثم انجاه منها جميعا * وانه بعد ان راى نفسه معافى منها اطمانّ خاطره واخلد الى الغنآ * والآن ينبغى ان اذكر ختام هذه النوبة * وعاقبة هذه الحوبة * وتفصيل ذلك ان الدار التى كان فيها الخريجيّون كانت محاذية لدار بعض التجار * وكان له بنت تحبّ السماع واللهو والطرب وترتاح الى الغنآ جدا * فكانت اذا سمعت الفارياق يغنى او يعزف فى غرفته تصعد الى سطح دارها وتنصت الى ان يفرغ فتنزل الى حجرتها * فلما علم الفارياق ان صعودها كان لاجله اذ لم يكن احد غيره يظن به التعرّض لها صبت اليها نفسه ونزغه فيها نازغ من الهوى * غير انه كان من طبعه النفور من الزواج حتى انه كان يحسب المتزوجين اشقى الناس * لان الحالة الزوجية لا يبدو منها فى الغالب سوى صعوباتها ومشاقها * وكان اذا قيل له فلان تزوج تاخذه به رافة ويرثى له كما يرثى لمن دار به تيّار شديد او رزئ برزيئة كبرى * فتنازع فيه ح عاملا الهوى والحذر * فرجحت كفّة الاول الثانى فراى ان مجرد النظر اولى من التعرض باشارة تدل على انه ذو صبوة وهيام * ومكثا على ذلك مدة وهو احذر من القرلّى *

Digitized by Google

حتى اذا كان يوم ورآها تمسح محاجرها بمنديل امّا من حرّ الشمس او من غيره اعتقد بمجامع قلبه انها تمسح دموعها شوقا اليه * فانفتقت بنائق الصبر من صدره * وهاج به الوجد لازالة حذره * وقال فى نفسه ايقابل احد غيرى دموع باكية بالاعراض * وهل ورآ الدموع غير الهوى * كيف لا تذيبنى وما قلبى بجلمد * ولا انا بمخلّد * وقد علمت ان اعظم لذات الحيوة ما اذا وجد الانسان له خدينا نويّا * وقرينا صفيّا * وانا غريب محتاج الى مؤنس فى وحشتى * ورفيق فى وحدتى * ومَن مؤنسٌ مثل الزوجة * واىّ خير فى العزوبة لمن رزقه الله قوته وحُوْجه * وبمثل هذه الخواطر السريعة وطّن نفسه على تحمّل اعبآ الهوى من اى جهة كانت * فمن ثم فتح باب الاشارة بينهما * فمن بين يد توضع على القلب مرة وعلى الخد اخرى * واصبع تقرن باخرى * وذراعين تشبحان مع تنفس وزفير * وشفتين تضمّان * وراس يهزّ وغير ذلك مما يتعلل به المبتدئون فى الحب * فاما المتناهون فلا يرضيهم الّا الهصر بالفودين كما نص عليه الاستاذ امرء القيس * ودامت دولة الاشارة بينهما اياما مديدة من دون كلام * فلما عجزت الايدى وسائر الجوارح عن ترجمة ما فى القلب وخصوصا لبُعد ما بينهما احتالا على ان يجتمعا فى مكان بحيث يرى المحب حبيبه * فلما بصر بها عن قريب وجدها والفضل لمخترع الزى المصرى عَنْدلة جُزْلة * اذ لو كانت متردية بالزى الافرنجى لما عرف هل كان ما فى صدرها عِهْنا او بِرْسا او قطنا * او خُرْفعا او عُطْما * او بَيْلَما * او قِشْبرا او حريرا او نُوْدلا (١) * او كان ما ورآها عُظامة او لحما وشحما * قال وهاتان الصفتان اعنى العَنْدلة والجزلية احسن ما يراد من المراة * فان الاولى تشفع فى الكون الامامى والثانية فى الكون الخلفى * قلت وقد

(١) العِهْن الصوف او المصبوغ الوانا والبِرس القطن او شبيه به او قطن البردى والخرفع القطن المندوف والعطم الصوف المنفوش والبيلم قطن البردى وقطن القصب والقشبر ارذا الصوف ونفايته والنودل الثدى *

جآء عن سيدنا سليمن عمّ مدح العندلية بقوله فى الفصل الخامس من سفر الامثال فليروينّك ثدياها فى كل حين * ولقائل ان يقول ان العهن واخواته مع وجود اليد والجتّ (١) اذا جمع الجسمين مكان لا يمنع من تحقق الصفتين المذكورتين * والجواب ان ذلك محظور غالبا فى البلاد المشرقية ولا سيما من اول مرة * فاما عند غيرهم فلا محظور منه ولذلك شاع استعمال العظّامات عندهم بلا نكير * ثم حيث تقدم لنا فى الكتاب الاول وصف الحمار على اسلوب افرنجى فلا باس هنا ايضا فى وصف الرجل قُبيل الزواج على النسق المذكور فنقول * انه مدة تعلله بغبطة الزواج وتلحّزه من لذاته * لا يخطر بباله شى من مستانف آفاته * وانما يخطر فى حدسه * ويقول فى نفسه * ان حالتى لا تكون كحالة معارفى وجيرانى * الذين تزوجوا واخطاتهم الامانى * اذ هم لم يودوا الزواج حقه * ولم ياخذوا فى اسبابه بالشقه * لان منهم من باعل * وهو غير كفو لهذا العمل * اما لصفر راحته * او لعدم سماحته * او لمباينة سنّه عن سنّ زوجته * او لضعف فى آلته * او لانه كان من الزمالقية على شفا * او كان مُصّلفا او مُشَفْشِفا (٢) * او لان اميره كان يغيّبه عن وطنه * او لان جاره كان يخالفه الى عطنه * او لان امّه كانت رقيبا على امراته * او لان امامه كان ضيزنا له على مائدته * فلذلك ثار بينهما النقار * وطال النفار * فقُدّ القميصان من قُبُل ومن دُبُر * ونتف الشعران والصخب كثر * وخدش الجلدان خدشا بالظُفُر * وانتثر الريحان من فوق السرر * اما انا فانى بحمد الله خال عن هذه الخلال * فلا تحول لى مع زوجتى حال * ولا تزاحمنى فيها الرجال * ولا يعتريها منى ملال * فرضاى رضاها * ومناى مناها * وما انا بادرم ولا ابخر * ولا احدب ولا اخنب * وان لى يدين اعمل بهما

(١) الجتّ جسّ الكبش ليعرف سمنه من هزاله *

(٢) المصلف من لا تحظى عنده امراة وهو ايضا الذى ثقلت روحه وقل خيره والمشفشف من به رعدة واختلاط غَيرةً واشفاقا على حرمه *

ورجلين اسعى عليهما * وان يكن بى من عيب فى خَلقى * يستره عنى
حسن خُلقى * فانى لا اعارضها فى طعامها * ولا فى لباسها ومنامها * بحيث
تنام الى جنبى * وتتخذ من الملبوس ما يليق بها وبى * فما يمنعنى
من اتخاذ قرينة * تكون على هذه الصفة الميمونة * حتى اذا سمع الناس
بان زوجى عَرُوب * وعرضها عندى مصون ووجهها عن المراود محجوب *
حسدونى على هذه النعمة السابغة * فكان لى كل غصة من العيش سائغه *
ولا يخفى كم فى كيد الحسود من لذة * لا تتقاعس عنها الالذه * ما
عدا ارتياح النفس الى الجنس الانيس * الذى قربه للقلب ترويح
وللكرب تنفيس * وان امرءا يقاسى النهار جهده * ثم يبيت فى الليل
وحده * من دون ضجيع له تنفخ فى انفه * وتسخن دمه من امامه
ومن خلفه * لجدير بان يحصى مع الاموات * ويلقى بين الرفات *
هذا وانى استغنى برضبها عن الشراب * وبشم شعرها عن المسك والملاب *
فانهم قالوا ان الرائحة الانثوية تستنشق من منابت الشعر وبها نشوة
الحواس * سوآ كان فى المغابن او فى الراس * واجتزئ بحر جسدها عن
الوقود للاصطلآ * وبالرنو اليها عن الاثمد والجلآ * فيتوفر علىّ كل يوم
فى الاقل درهم * انفق نصفه على الحمّام كل غداة فيبقى لى النصف
الآخر وذلك خير غُنم * وغنى اتمّ * فاما ما يقال فى كيد النسا * واعناتهن
الرجال بما يعزّ على الاِسا * فليس ذلك على عمومه * ولا تقرر حكم الا
واستثنى امور من تعميمه * فلعلى اول من اخرجه هذا الاستثنآ * وسنّ
للاعزاب على الزواج الثنآ * كيف لا وانا ذو فصاحة وتبيان * ودهآ
وجنان * فما يعييينى شى من نكرها * ولا تخفى عنى خافية من امرها *
فاعارضها واحجّها * واريها ان لى عليها قفيّة تضطرها الى طاعتى وتحوجها *

فان قلت لها اليوم يصوم فيه المباعلون * ويتبتّل المفاعلون * قالت انا اول من صام * وآخر من نام * وان قلت لا يجمل بالمحصنة ان تتبرّج * قالت ولا ان تتغنّج * وان قلت ان حق الزوجة على زوجها في كل اسبوع مرة * قالت وتبقى ايضا عفيفة حرة * وان قلت ليس الحلىّ بلازم للعرس * قالت ولا الديباج شرّ لُبْس * وفي الجملة فان عيشي معها يكون رغيدا * وحالي سعيدا * وحظي مديدا * وطعامي مريئا * وشرابي هنيئا * وثوبي وضيئا * وفرشي وطيئا * وبيتي مانوسا * ومتاعي محروسا * وطرفي قريرا * وشاني مذكورا * وسعيي ميمونا * وقصدي مامونا * فحيّ هَلَ الزواج * بلعوب مغناج * طلعتها علاج * من الالفاج * وضجعتها انهاج * الى الافلاج * انتهى * وانا اقول ان مما غُرس في هذه الطينة البشرية اللَثِية ان الرجل متى وطّن نفسه على الزواج حبّب الله اليه زوجه على اية حالة كانت حتى يراها احسن الناس خُلقا وخَلقا * لا بل يرى نفسه انه قد ترفع عن اقرانه * وتمزّى على اخوانه * حتى يستخسّ ما كان من قبل يستعظمه * وانه قد صار انسانا جديدا يجدر بان يجدد له وجه الارض * وبناً على ذلك لم يعد الفارياق يرضى بالاغاني والاشعار المتعارفة بل استبدل الاولى باخرى جديدة من نظمه * ونظم خلال ذلك قصيدتين حاول فيهما اختراع اسلوب غريب فجاءتا طيخيّتين كما سترى ذلك * ولو استطاع ان يخترع كلاما جديدا يعبّر به عن غرامه وحديث شانه لفعل * وكان اذا راى رجلا متزوجا يهيب به وينشده

انا في حلبة الزواج المجلّي	انما انت فُسكل قاشور
ان قدحي يفوز عما قريب	انما قدحك السفيح يبور

Digitized by Google

أو عزبا قال له

يا ايها الاعزاب انى رافض   دين العزوبة فاقتدوا بمثاليا
ليس الغِنَى الا البعال فبادروا   ياقوم واستغنوا بمثل بعاليا

وتهوّس يوما لان ينظم ديوانا يشتمل على ابيات مفردة تهافتا على احداث شي غريب فنظم اربعة ابيات ثم امسك * وهي

ساعة البعد عنك شهر وعام الوصل يمضى كانما هو ساعه
اتنجم الليل الطويل صبابة   وتنجمى لنجوم ذى تفليك
ويخفق منى القلب ان هبت الصبا   ويذكرنى البدر المنير محياك
الا ليت شعرى كم يقاسى من النوى   وانحائه قلب يذوب تجلدا

ومن الفضول هنا ان نقول انه كان يقول لخطيبته انك ملأت عينى قرة * وانى اراك احسن الخلق * وانّا ليغبطنا الناس * وانك تغنيني عن الغنى * وانى بقربك سعيد * وببعدك عميد * وانّا نكون ابدا كما نحن الان * وانك ذات ملاحة تشغل الخليّ * وانى اغار عليك من النسيم يفيّئ شعرك هذا الدجيّ * وانّا لجسمان فى روح واحد او روحان فى جسم واحد * وانك لترين منى كل يوم محبّا جديدا * وانى لارى فيك كل وقت حسنا حديثا * وانّا نكون قدوة للمتزوجين والعاشقين * الى غير ذلك من الكلام المتعارف عند امثاله * قال خير ايام الانسان فى حياته هى المدة التى تتقدم الزواج والتى تليه * قلت ومبلغها عند الافرنج شهر يسمّونه قمر العَسَل وهو بعد الزواج * ومبلغها عندنا معاشر العرب شهران يقال لهما قمرا العَسَل * حتى اذا امتلات الخليّة عادت

كل نحلة زنبورا ورجع كل شي الى اصله * واقول ان المحبة هي مما غرس في الطبيعة البشرية من يوم الوضع في المهد الى يوم الوضع على النعش * فلا بدّ لهذا المخلوق الآدمي من ان يحب ذاتا من الذوات او شيا من الاشيآ او معنى من المعاني * وكلما زاد حبه في قسيم منها نقص في قسيمه الآخر * وقد يكون احدها سببا في زيادة حبّه للاخر * مثال ذلك مَن كلف بالشعر او الغنآ او التصوير فكلفه هذا يكون باعثا له على حبّ الذات الجميلة * ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وان تقل رغبته في النسآ بل ربما لهي عنهن بالكلية * ومن كلف بالخيل المطهّمة والسلاح النفيس فقد يكون كلفه هذا شائقا له الى حب الذات أوْ لا * وعدّ بعضهم من هٰذا النوع السراباتية وهم المنظّفون للمراحيض * واسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كَلَف من هوى النفس * فهذه ثلث حالات متسببة عن ثلثة اسباب * وهناك ايضا ثلث احوال اخرى باعتبار القلّة والكثرة وما بينهما * الاولى متعادلة وهي ان يحبّ المحبّ محبوبه كنفسه * فلا تطيب نفسه بشي ولا تهنئه لذة الا اذا كان محبوبه مشاركا له في تلك اللذة * وذلك صفة الرجل قبل زواجه وبُعَيده * ولا تخلو هذه الصفة عن الرشد والبصيرة * الثانية المتعدية اى المجاوزة للمتعادلة * وذلك كاَن يحب المحب حبيبه اكثر من نفسه * وذلك صفة الاب والام في حبّ ولدهما وصفة بعض العشاق * اما الاب فانه يفدى ولده بروحه ويحرم نفسه من اللذات والمسرات حتى يمتّعه بها * فاذا راى نفسه عاجزا عن الاكل والبعال وراى ابنه ياكل ويباعل لذّ له ذلك * وهو مع هذا غير خال ايضا عن الرشد والتمييز * فاما العاشق فانه قد يوثر معشوقه على نفسه غير ان

افعاله تكون مختلة في غير محلها ووقتها * والثالثة معلومة وهي ان يحب الانسان محبوبه مع ايثار نفسه عليه وهو الاغلب * وهناك ايضا ثلث احوال اخرى مكانية وهي القرب والبعد والتوسط * ولها تاثيرات مختلفة بحسب اختلاف طباع الناس * فالصادق الود يحب في حالتي القرب والبعد على حدّ سوى * بل ربما كان البعاد مهيجا له الى زيادة الشوق والغرام * وما احسن قول من قال في هذا المعنى

كانّ الهوى شمس ابى ان يردّها   مهاة نوًى لا بل تزيد بها حرّا

فاما الطَرِف الشَنِق فانه لا يرسل الساق الّا ممسكا ساقا * وثلث اخرى زمانية وهي الصبى والشباب والكهولة * فمحبة الصبى اسرع واعلق * ومحبة الشباب احرّ واقوى * ومحبة الكهولة اقرّ وادوم * والكهل يقدر محاسن محبوبه ومنافعه اكثر * ومحبته له تكون امرّ واحلى * فالمرارة لعلمه انه قد عرّض نفسه للوم اللائمين وعذل العاذلين من الاحداث والاغرار * ولاشفاقه دائما من ملل محبوبه اياه * فقلبه ابدا واجب * وهمّه بشانه ناصب * والحلاوة لزيادة معرفته بقدر محبوبه كما تقدم * ولكون هواه والحالة هذه راهنا متمكنا فهو يعتقد بمجامع قلبه انه ساع في اسباب سعادته وحظه * ولها ايضا ثلث حالات اخرى باعتبار الاستطاعة وعدمها اعني اليسر والعسر وحالة ما بينهما * اما الموسر فان محبته ابرد واحول * لان غناه يحمله على استبدال محبوبه والتنقل من حال الى حال * فلتحذر النسآ المحصنات هذا الصنف من الناس وان ماس بهن ماسه * الا اذا كن لا يخفن على سرّهن وعرضهن * لان الغنيّ يستحلّ افشآ الاسرار * كما يستحل خزن الدينار * وعنده ان كل شي عبد درهمه * وطوع نَهَمه * فاما الفقير فان محبته اشطّ واشد

Digitized by Google

والَوع * لان فقره من حيث كان مانعًا له من ازالة الموانع التى تحول بينه وبين محبوبه لا يلبث ان يفضى به الى اليأس او الخبال او الى الانتحار * فاما المتوسط فان حبّه اعدل واصحّ * ولها ايضا ثلث حالات اخرى وهى الذل والعزّ والمساواة * فالذل غالبا صفة العاشق والعزّ صفة المعشوق * ومن اعجب انواع المحبة الحبّ المختلط بالبغض * وذلك كان يهوى رجل امراة وهى تهوى غيره وتتمنع عليه * فيهيج به وجده الى وصالها تشفيّا منها * فان فاز به غلبت محبته على كراهيته والّا فلا * ولا يزال هذا دابه حتى يسلو عنها * والغالب ان المحب لا يسلو محبوبه اذا عامله بالصد والحرمان الا اذا ظفر باخر شبيه له فى خلقه وخلقه وهيهات ذلك * فاما بواعث المحبة فقد تكون عن نظرة واحدة تقع من قلب الناظر موقعا مكينا * فتخلج فيه من محركات الوجد والشوق ما تخالجه عِشرة مدة مديدة * وعندى انه لا بدّ وان يكون المحبّ قد تصوّر فى عقله سابقا صفات وكيفيات من الحسن فصبا اليها * حتى اذا شاهدها حقيقة فى ذات من الذوات كما كان تصورها عَلِق بها قلبه وخاطره فكان كمن وجد ضالّة ينشدها * وقد تكون المحبة عن طول سماع عن شخص فيسترسل السامع اليه شيا فشيا حتى يكلف به * واكثر اسباب المحبة النظر والعشرة * واعلم ان كثيرا من الناس قد عشقوا الصور الجميلة فى الذكور والاناث لغير دعارة وفسق * وانما هو ارتياح نفس ووجد بال * ويويّده ما ورد فى الاثر * من عشق فكتم فعفّ فمات مات شهيدا * والعاشق فى هذه الحالة يرضى من معشوقه بادنى شى * فالقبلة عنده نصر وفتح وغنيمة * قال الشريف الرضى

سلوا مضجعى عنى وعنها فاننا   رضينا · بما يخبرن عنا المضاجع

Digitized by Google

قلت لو كان لى تصرف فى هذا البيت لقلت عنها وعنى * وقال ابن الفارض رحمه

كم بات طوع يدى والوصل يجمعنا   فى بردتيه التقى لا نعرف الدنسا

وهذا العشق يسمى عند الافرنج العشق الافلاطونى نسبة الى افلاطون الحكيم * ولا حقيقة له عندهم وانما هو مجرد تسمية * ويعرف عندنا بالهوى العُذْرى * نسبة الى عُذرة قبيلة فى اليمن لا الى عذرة الجارية اى بكارتها وافتضاضها وشى آخر منها * ويروى عن مجنون ليلى انها اتته يوما وجعلت تحدثه فقال لها اليك عنى فانى مشغول بهواك * وللمتنبى فى هذا المعنى

فشُغلتُ عن ردّ السلا   م فكان شغلى عنك بك

واحقّ النسآ بان تُعشَق وتعزّز التى جمعت الى حسن خلقها الادب وحسن المنطق والصوت * واسعد الناس حالا من كان له حبيب يحبه كما جآ فى بعض المواليات المصرية * فانه والحالة هذه يقدم على اصعب الاعمال واعظم المساعى * ويباشرها من دون ان يشعر بها * لان فكره ابدا مشغول بمحاسن حبيبه * فلو رفع صخرة فى هذه الحالة على عاتقه بل فِنْدًا لتوهم انه رافع نعال محبوبه او بالحرى رجليه * ثم انه معما يلحق المحبة من طوارى التنغيص والخيبة والحرمان وخصوصا مضض الغيرة فان عيش الخلى لا خير فيه * لان الحب يبعث على المروّة والنخوة والشهامة والكرم * ويلهم المحب المعانى اللطيفة والخواطر الدقيقة * ويكسبه الاخلاق المرضية * ويستوحيه الى عمل شى عظيم يذكر به اسمه ويحمد هانه

Digitized by Google

ولا سيما عند محبوبته * وقلما رايت عاشقا به جفآ وفظاظة او رثٌ. وبلادة او دناءة وخساسة * قال بعض العَزهين واظنه من التيتائيّين * لو لم يمنع من عشق المراة شي بعد التعفف والتورّع سوى الاضطرار الى حبّها لكفى * لان الانسان متى علم انه مسخّر لحب شي ومكلّف به ملّه بالطبع ونفر منه * قال فيكون حب المراة على هذا مغايرا للطبع * هذا اذا كان الرجل شهما عزيز النفس عالى الهمة * فاما الاوباش من الناس فلا معرفة لهم بقدر انفسهم فهم يتساقطون على حب المراة حيثما عنّت لهم وكيفما اتفق * قلت هو كلام من لم يذق الحب او من كان مفرّكا * ولو سمع انثى تقول له يوما احمل ياروحى هذا الحمل من الحطب على راسك * او احبُ ياعينى على استك كالولد الصغير للبّاها حاملا وزحنقفا (١) * ثم ان للعشاق مذاهب مختلفة فى العشق * فمنهم من يهوى ذات التصنّع والتمويه والعجب * ومنهم من لا يعجبه ذلك وانما يوثر الحسن الطبيعى * وان يكون فى محبوبته بعض الغفلة والبلاهة * والى هذا اشار المتنبى بقوله

حسن الحضارة مجلوب بتطرئة وفى البداوة حسن غير مجلوب

ومثل الاول مَثل مَن يُقدّم له لون من الطعام وبه قَمَه فيحتاج الى التفحية والتقتيت * ومثل الثانى مثل مَن به سيُفَنيّة وسرْطمية (٢) فلا يمنعه عدم التفحية والتوابل من ان يلسو ويلوس ويلئى ثم يلحس قعر الجفنة بعد فراغه منها * فاما رغبة بعض الناس فى الغفول والبلاهة فانها مبنية على ان المحبّ لا يزال يقترح من محبوبته اشيآ كثيرة تبعث اليها الحاجة * فمتى كانت ذات دهآ وذكآء خشى ان تملّه وتحرمه * ومنهم من يزيد فى المراة غراما اذا كانت ذات عزّة وشرّة ومعاسرة * فيكون

(١) الزحنقف الزاحف على استه *

(٢) سيُفَنيّة طائر بمصر لا يقع على شجرة الا اكل جميع ورقها والسرْطم الواسع الحلق السريع البلع *

Digitized by Google

استرضاوها ادعى الى النشاط والسعى * وهذا يفعله فى الغالب من يتفرغ للهوى ويتصدى له من كل جهة * ومنهم من يعشق المراة لانسامها بسمة شرف وسيادة او وجاهة * وذلك داب ذوى الطموح والاستطاعة * ومن هذا الصنف من اذا راى امراة وضيعة الشان تشبه امراة شريفة عشقها لاجل حصول المشابهة فقط * ويقال لاهل هذا المذهب المشبّهيّة * وهو فى النسآ اكثر فان المراة لا تكاد ترى رجلا الا وتقول لعله يشبه بعض الامرآ الغابرين او الحاضرين او الآتين * ومنهم من يعشق من بها ذلّة وانكسار وملاينة * وذلك شان ذوى الرفق والرقة * ومنهم من يعشق من على طلعتها اثار الحزن والكآبة والفكرة * وهو مذهب ذوى الحنين والطرب * ومنهم من يعشق ذات البشر والطلاقة والانس * وهو خلق المحزونين المبتئسين * فان النظر الى مثل هذه ينفى الهم * ويجلو الكرب والغم * ومنهم من يعشق من بها مرح ونزق وطيش وثرثرة وقهقهة * وهو داب السفهآ والجهلا * ومنهم من يعشق المراة لادبها وفهمها وحسن كلامها ومحاضرتها وسرعة جوابها * وهو مذهب العلمآ والادبا * ومنهم من يعشق من تكون كثيرة الحلىّ والتانّق فى الملبوس كثيرة الغنج والتمويه * وهو طريقة ذوى السرف والشطط * ومنهم من يعشق الماجنة المتهتكة المستهترة * وهو شان الفساق الفجار * ومنهم من يعشق الخيتعور الشهوانية المتلعجة الطفسة * وهو خلق من بلغ منه العُهر كل مبلغ * ومنهم من يعشق اللآعة الخريدة العفيفة ابتغآ ان يفسدها ثم يتباهى بذلك بين اقرانه * فاذا رضيت له ملّها او ارادها ان تكون على غير تلك الحال * وهو عندى شرّ من عاشق المتوهجة * ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة كلها فى محبوبته بحسب اختلاف الاحوال * هذا فى الخُلق فاما فى

Digitized by Google

الخَلق فالنحيف يهوى السمينة وبالعكس * والاسمر يحب البيضآ وبالعكس * والطويل يحب القصيرة وبالعكس * والاملط يحب الكثيرة الشعر وبالعكس * اما النسآ فاحبّ الرجال اليهن الفارس الابتع * الشجاع الاروع * فاما الغنى والفقر فلا ضابط لهما فان الغنى يتهافت على حب الفقيرة كما يتهافت على حبّ الغنية * بل البخيل من الاغنيآ يوثر حب الفقيرة طمعا في ان يرضيها بالقليل من المال * والغالب ايضا ايثار حبّ الجيل الغريب للاستطلاع على ما عنده من الغرائب التى تتصور المخيلة وجودها فيه دون غيره * الا اذا منع مانع جهل بلغته فح يحصل للمخيلة انقباض في تماديها * وكما ان لطف النسآ وقلفطتهن تُعجب الرجال ولا سيما في الفراش كذلك كان يعجب النسآ من الرجال تزارتهم وشَيْظميّتهم * فلا تكاد امراة ترى رجلا على هذه الصفة الا وتقول في قلبها عند هذا كفايتي وغنآي * وقد لحظت العرب هذا المعنى باشتقاقهم الطَول من الطُول * غير ان النسآ على الاعم يجنين اللذات من كل مجنى ويكرعن من مواردها ما ساغ وما اغص * فمَثَلهن كمثل النحلة تجنى من الزهر وان يكن على الدمن * فامّا الغيرة فهى خلق طبيعى في كل بشر اذا كان سليم الذوق * فان الانسان يغار على متاعه من ان ينتهكه غيره فكيف على حرمته * وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة على نسائهم فليس على اطلاقه * فان منهم من يقتل زوجته ونفسه معا اذا علم منها خيانة * نعم انهم يتساهلون معهن في امور كثيرة ربما تعدّ عند المشرقيين قيادة * الا انها في نفس الامر وقاية من الخيانة * اذ قد تقرر عندهم ان الرجل اذا حظر امراته عن الخروج وعن معاشرة الغير اغراها بالصَمَد * بخلاف ما اذا ارضاها بهذه اللذات الخارجية * ثم انه لما

Digitized by Google

علم اجتماع المستعسلين اى الفارياق والبنت خلافا للعادة المالوفة ذاقت امها من ذلك مرارة الصاب * فاستشارت بعض اصدقائها فى امرها فقالوا لها لسنا نرضى بمصاهرة هذا الرجل لانه من الخرجيّين * وانت من اعزّ بيت من السوقيين وهما لا يجتمعان * فقالت لهم ليس هو من جرثومة الخرجيين بل هو دخيل فيهم * قالوا لا فرق فى ذلك فان رائحة الخرج ساطعة منه وقد ملأت خياشيمنا وحذّروها منه غاية التحذير * مع انى قد حذّرتهم وامثالهم فى الفصل الذى مرّ من هذا الفصول * فلما علمت البنت بذلك نبض فيها نبض الخلاف وقالت ليست هذه الفروق من مصالح النسآ * وانما هى مصلحة من اتخذها وسيلة للمعاش والجاه * والمقصود من الزواج انما هو التراضى والوفاق بين الرجل والمراة * وان ابيتم ذلك فها انا انذركم انى لست من السوقيّين فى شى * فرات امها ان تغيب بها ايّاما عن ذلك المحل رجآ ان يبعثها البعد على السلوان * فهاجت ح جميع عواصف الهوى فى كلّ من العاسل والمعسول * واليه اشار ابو نواس بقوله * دع عنك لومى فان اللوم اغرآء * فلما رات الامّ ان لا اشارة * تمنع البنت من الاشتيارة * ولا جَزْر * يكفها عن الجزر * (١) رجعت الى منزلها واستدعت بالفارياق وقالت له * قد علمت ان السوقيين لا يبغون مصاهرتك * فان كان عزمك على ان تتزوج ابنتى ينبغى لك ان تتسوّق ولو يوما واحدا * قال لا باس * فعلى هذا تسوّق يوم عقد الزواج وقرت عين كل منها ومن البنت * ثم احضرت آلات الطرب ليلاً واديرت الكؤس وزها مجلس الانس والسرور * والفارياق مواظب فيه على خدمة ادارة الكاس ومُعيد على العازفين الاطرآ وقول آه وايه واوه * حتى اذا كلّت يده ولسانه وراى ان عزم الشَرْب ان يسهروا

(١) الجزر شور العسل من خليته

Digitized by Google

الليلة كلها الى الصباح انسلّ من بينهم وصعد الى السطح لكى يستريح * وكانت الليلة مقمرة من ليالى الصيف * فلما ابطا عليهم ظنوا انه تفلّت من الأُرْبة فاخذوا فى التفتيش عليه كما يفتش على امراة فالك او فارك * فلما وجدوه وعلموا ان نيّته مخالفة لنيتهم اخلوا له ولعروسه حجرة وهمّوا بالانصراف * فقالت الامّ لا او تنظروا باعينكم البصيرة * (١) وسبب ذلك ان عادة اهل مصر فى الغالب هى ان يتزوج الرجل المراة من دون ان يعاشرها ويعرف اخلاقها * وانما ينظر اليها نظرة واحدة بان تناوله مثلا فنجان قهوة او كاس شراب بحضرة امها * فان اعجبته خطبها من اهلها والّا كف رجله عن زيارتهم * ومنهم من يتزوج ولم يكن راى امراته قط * وذلك بان يبعث اليها امّه او عجوزا من اقاربه ومعارفه او قسيسا فيصفونها له بمقتضى ذوقهم وخبرتهم * والغالب ان امّ البنت ترشى القسيس ليجيد صفة بنتها فيرغّب الرجل فى التزوج بها * ومنهم من يتزوج امراة قاطنة فى بلاد بعيدة فيبعث الى احد معارفه فى تلك الجهة ليصفها له فى كتاب ثم يستخير الله ويرتبق * ومع ذلك فان عيش هولآ المتزوجين على هذا النمط يكون هنيّٓا * فاما فى بلاد الشام فعادة اهل المدن كعادة اهل مصر وعادة اهل الجبل مغايرة * فان الرجل هناك يتمكن من روْية المراة ومعرفة اخلاقها * هذا ولما كان الفارياق قد تعدّى حدود العادة بمصر فى كونه اجتمع بالبنت مرارا عديدة فى حضور امها وفى غيابها * ارادت امها ان تنفى عنها العار باظهار علامة البكارة * حتى يشيع خبر برآءة البنت فى جميع البلاد * فان اكثر الناس لا شغل لهم الّا الكلام * فاجتمعت تلك الزمرة ورآ الباب بعد ان جمعوا بين العروسين * وطفق الواحد منهم

(١) شى من الدم يستدل به على الرميّة ودم البكر *

ينادى ويقول افتح الباب ياابا مِزلاج * فظن الفارياق انه يريد الدخول عليهما ليعلمه كيف يكون العمل * ففتح له فقال له ما هذا الباب عنيت وانما اردت باب الفَرَج * فرجع الى عروسه واذا باخر يقول لُجِ القبّة ياولّاج * وآخر ثجّر الطعنة يابجّاج * وغيره اروِ الصدى ياثجّاج * وآخر أزلِ الزَغَب ياحلاج * وغيره افرغ السَّجْل ياخلاج — اسرع الوطء يازلاج — املأ الوطب يازمّاج — ملّل الملمول يامعّاج — اغطس فى اللجة ياغاطس — افقس البيضة يافاقس — أجلِ المسواك ياوامس — تسوّر السور يامعافس — روّض المهرة يافارس * وما زالوا به حتى شام ابا عُمَيْر وناول امها البصيرة * فتهللت منهم الوجوه فرحا وحبورا * وصفقت الايدى استبشارا وسرورا * ونطقت الالسن بالتبرئة * وختموها بالتهنئة * ثم انصرفوا وكانهم قد قفلوا من غزوة غانمين * وكادت الام تطول عن الارض شبرا لهذا الفتح المبين *

القصيدتان الطيخيّتان

ما كنت اول عاشق بين الورى	تبع العشيقة من امام ومن ورا
ورای البكا له معينا شافيا	يوما ويوما اضحك المستعبرا
ويكون مصروع الغرام مزبّبا	متكسّسا مستقبلا مستدبرا
ومحنبشا ومجمّشا ومدهفشا	ومكتّصا ومزنجرا ومعنجرا
ومرنّما ومغنّيا ومصفرا	ومشببا ومطبلا ومزمرا
وفيينة متشائبا متمطيا	وفيينة متقاعسا مقعنصرا
واذا رای رايا رشيدا كان فى	ابرامه مترهئا متاخرا
فالعشق عقل العقل عن صيّوره	حتى يضل عن الصواب ويبطرا

التزبب التزيد فى الكلام كالتزبيب وزبّب فمه اجتمع الريق فى صامغيه والتكسس التكلف

قد كنت أَعْجب أن يقولوا شاعر ذو جِنّة واخال ذلك مفترى
حتى لَقيتُ صُوَيْحبيّ كليهما فاذا هما من طينة قد صُوّرا
خُلِق الجمال لعين صبٍّ جُنّة ولقلبه نارا تزيد تسعّرا
لا غرو ان يغدو لحمرة وجه مَن يهوى وقد حمل الغرام محمّرا
ياليت يغنى المرء يوما واحدا عنهن من شي يباع ويشترى
ليت الجمال لهنّ مثل الملح في قدر الطعام مهوّعا ان كثّرا
بل ليتهن خلقن اقبح ما يرى كيلا نهيم تحيّرا وتخيّرا
ليت الكواعب كن هُضّلا حبذا الطُرْطُبّ مع لا ياكُبادى منظرا
ياليت ذى الهيفآ دِرْدِحة وذى الدهسآ فَلْحَسة فيهنّنا الكرى
ليت العيون النجل ضيّقة وما فى الثغر من در نظيم صُفّرا
ياليت كانت كلّ ساق فَعْمة عود الشُكاعَى بل ادق واضمرا
ياليت لم يَصلُت جبينٌ فوقه شعر كلَيْلٍ كلّ غِرّ غرّرا
ياليت ما فى الجيد من عَنَط بدا وَقَصا لاعيننا وشيا منكرا
والحسن ان القبح احسن ملمحا اذ ليس يبكى العين ما منه يُرى
فلاىّ داعٍ كان شغل عقولنا وقلوبنا بهوى الونائر اكثرا
ولمَ اختُصصن بكل علق مضنّة وبكل حلى فاخر دون الورى
وبمَ ارتفعن على الرجال تطاولاً ولُهنّ تحتُ تقدما وتاخرا
والى مَ نصطبر الفحول وقد طغت افعالهنّ تحيّر المتصبرا
منا خرجن وعقلنا يُخرجن اذ يدخلن او يخرجن سفه من مرى
ولاى شى لم يكن قود على من لحظها قلب المتيّم قد فرى
ولاى شى حل رشف الريق من ثغر الرشوف وكان ذلك مسكرا
وعلى مَ تعتزّ الشِناط على شجٍ يمسى ويصبح بالغرام محسرا

الدردحة المراة التى طولها وعرضها سوآ والدهسآ العجزآ والفلحسة المراة الصغيرة العجز *

Digitized by Google

سلها هل التنور فاركما انبغى في كل شهر ام تاخر اشهرا
اين المعالى والمكارم اين من فخر الانام بعزة وتجبرا
يقتاده اسم الخود ان ذكرت له طوعا وكرها وهو يهزم عسكرا
واذا تجشأ ساعة في وجهه من اى سمّ قال انشى عنبرا
ولربما عشق الكبير فجنّ من ريح من الحسنآ تفعم منخرا
ولو ان ذا القرنين جارى كيدها لراى الى قرنيه قرنا آخرا
لولا النسآ لما رايت مخطّا ومسفّها ومفسقا ومفجّرا
ومفلّسا ومجبّها ومعتّنا ومكشخنا ومجرّسا ومعزّرا
ومتيما ومهيما ومسهما ومدمّما ومذمّما ومشهّرا
ولما تناثرت الجماجم في الوغى تحت السنابك وهي تُورى المِغفرا
ولما عفت دول بهنّ لَهَت فبيّتها الدمار فاصبحت تحت الثرى
أمْلت عليّ حوادث الامم التى غبرت فقلت مقال من قد حرّرا
يارب قد فتن النسآ عقولنا فامسخ محاسنهن قبحا يزدرى
او فاجعلن غشاوة تغشى على ابصارنا أوْ لا فاعْمِ المُبْصِرا
او فانصُنا او فابصُنا او فالصِنا او فاخصِنا طبعا بصآء بالحَرَى

التجبيه ان تحمر وجوه الزانيين ويحملا على بعير او حمار ويخالف بين وجوههما وكان القياس ان يقابل بين وجوههما لانه من التجبيه والكشخان الديوث وكشخنه قال له ياكشخان *

الثانية

لمن اشكو وقلبى اليوم من اكبر اعدآى
لمن اشكو وعقلى اليوم معقول باهوآى
وطرفى مُبسل لبّى ولبّى جالب دآى
ولوّامى من كانوا اذا غبت اودّآى
ولأوآى من الألو عن الألى من اللآى

وقد افسد آرابی جمیعا بعضها اللآی
رای نار الهوی تذکو لاحراق واصلآء
فما بالی باصلآی تلظیها واسلآی
یقول الحتف من لمج وکونی میت احیآء
احبّ الیّ من عیشی یوما عیش تیتآء
حیاة الصّرّی تکدیر وصفوتها باصفآء
وما ینجع نصح فیه لو کان باتــــــلآ
فهل من حَکَم ما بیننا یقرو بافتــآ
عوادیه ودعواه باصباحی وامسآی
وثورته ورثأته لاخزای واختآی
طغا خطبی فما لی الیو م من آس واسوآی
فاسوای لا ینفك من لَهَج باسوآء
فلا یشغلکم هجوی وتقریظی واطرای
فراسی الیوم امّرة لداعی نُکس اهوآی
فلا مطمع فی رشد خلیع رقّ اغوآء
اذا وُقصت به عنقی فلا تشکوا لاِذمآی
وان شجّت به راسی فلا تبکوا لادمآی
وان هشمت به سنّی فلا تعموا عن المآء
وان بُخقت به عینی فلا تکروا لاعمآی
جری المقدور من قِدَم بتضلیلی واشقآی
فلو شآ لابقانی معافی ایّ ابقآء
ولو شآ لاعمانی عن لقآء سوقآء

دعوا ذا الوجد يشقينى ويمنينى باشفآء
وهذا العشق يضنينى ولا تُعنوا باشفآى
فذا عظمى وذا جلدى وذا شانى وانشآى
فما يدخل ما بينى وبين هوى باحشآى
سوى فظّ فضولى زنيمٍ شرّ مشآء
اذا اسمعتكم عتبًا فعدّونى من الشآء
ولا تُبّقوا على طوقى وجلبابى واعضآى
فان الفَدْم من يَسمع ذا عُذْل باغضآء
وان الحرّ من يُسمع عَتْبًا تِلْو ارضآء

الاغانى

يابدر مالك ثان فى حسنك الفتّان
فارحم فتى ولهان مبلبل البال
عذّب بما ترضاه الا الجفا اخشاه
قد طال ما اصلاه وانت لى سالى
يا يوسف الحسن حوشيت من سجن
هددت بالحزن اركان امالى
من ذا الذى افراك بصد من يهواك
الطرف منه باك وجسمه بالى
حتام ذا الهجران والصدّ والحرمان
حسن بلا احسان كالرىّ بالال
محبك الواجد منك الرضى فاقد

Digitized by Google

يالَيتني واجد　　انّهام عذّالي
اضناني السهد　　وعزني الوجد
ما القصد ما القصد　　سواك ياغالي
يافاتن العشاق　　باللحظ والاحداق
تبارك الخلّاق　　لحسنك الكالي
افديك بالمال　　والروح والآل
رضاك اشهى لي　　من طول آجالي

غيره

ما ترى عيني مثيلك　　يارشا فارحم قتيلك
لم يرم الّا سلامك　　ثم ان شئت جميلك
كل ما فيك مليحُ　　كبدي منه جريح
بليت تفدي مقامك　　والهوى فيها صحيح
انت لي يابدر سالي　　وانا للهجر صالي
من يذق يوما غرامك　　لم يذق طعم الليالي
يارشا صد دلالا　　وجوابي منه لا لا
اسمع العبد كلامك　　وارقب المولى تعالى
فيك تعبيدي وذلّي　　وهيامي اصل ضلّي
ليت مَن غيري رامك　　يبتلَى بالهجر مثلي
ضقتُ بالهجران ذَرْعا　　ولشوقي كان اَدْعى
لم ازل ارعى ذمامك　　وذمامي لست ترعى
ان يكن وصل فعِذْني.　　فيك قد احسنت ظني

Digitized by Google

اسال الله دوامك فهو لى اشهى تمنى
يامليك الحسن طرّا يعرض المملوك امرا
أُدْعُه يومًا غلامك ان له اجريت ذكرا
طال بالباب مثولى والتفات منك سولى
من راى يوما قوامك راح صبّا ذا نحول
انما بدرى غزال فاتنى منه الدلال
ياعذولى دع ملامك انما العشق حلال

غيره

اللقا طبيبى يامن لى سبيت والهوى نصيبى من يوم انتشيت
ان فى شحوبى شكوى لو رثيت ياصنو القضيب ماهذا الجفا
يوسف الجمال ذا الهوى صعب تهت بالدلال شانك العجب
ان تسل عن حالى ينفع العتب او بقيت سالى لم يفد دوا
من حمل الصدود صرت فى ذى الحال من مطل الوعود صار جسمى بال
ادمعى شهودى واشتغال البال ليس من محيد عن حكم الهوى
قد رثى لى اللاحى لما عادنى وعلا نواحى ممّا آدنى
وجهك الصّباحى صلاّ زادنى يازين الملاح انعم باللقا
مُرْ بما تشاه تلقنى مطيع تلقنى فداه جهد المستطيع
ولعى اذكاه شكلك البديع جسدى اضناه منك قول لا
من يجد كوجدى يدرِ قصتى ليس غير الوعد منك حصتى
بعض هذا الصد اصل غصتى انا فيك وحدى مبتلى انا

Digitized by Google

غيره

يافاتر الجفون ما بدا لك	حتى جفوت عاشقا جمالك
وياقضيب البان ما امالك	عن مغرم مومّل وصالك
عذّب بما ترضاه ياغزالى	لا الجفا شماتة العذال
انعم بوصل منك يوما بالى	انعم طول العمر ربى بالك
علامَ تجفونى ومالى ذنب	وما لقلبى عن هواك قلب
بحق من اولاك ما تحبّ	دعنى اقبّل مرة اذيالك
لم يبقَ لى على الصدود طَوْق	وعال صبرى عنك هذا الشوق
وليس لى الى سواك توق	وهل لعينى ان ترى امثالك
احرمت طرفى فى الليالى غمضا	وقلتُ ارضى علّه ان يرضى
ياهل ترى صدك عنى فرضا	فمن بقتلى يارشا افتى لك
ناشدتك الله انلنى سولى	وكن رفيقا بى يامامولى
يكفى الذى تراه من نحولى	يعيذ رب العرش منه حالك

غيره

يابدر قل لى	هذا الهجران	تغوى اليه	ام امنيّه
جُدْ لى بوصل	ياغصن البان	توجر عليه	او فى النيّه
ما القصد الّا	يوما مرآك	فالصبّ صار	فى بليه
لا تخش عذلا	ممّن اغراك	فهو اَمّار	بالاذيه
نعمت بالا	انعم بالى	ياذا الجفون	الهنديه
وطبت حالا	طيّب حالى	فلى شجون	فى الطويه
فقت الاناما	بما حويت	من الخصال	الملكيه

Digitized by Google

ومنك راما عبد سبيت بذا الدلال قرب الطيه
كم ذا المطال ولا وصال ليست ترام ذى السجيه
هذى الفعال يارب الخال وذا الغرام لى منيّه
انت المراد دون الانام لا ندّ لك فى البريه
فما سعاد بين الوسام انت مَلَك او حوريه

غيره

الى هنا يابدر لى انت المنى كلّ جنى منك الرضى الّا انا
يافاتنى بالدلّ لما تخطر وشاجنى اذ جزت شزرا تنظر
قد شاقنى منك المحيا الازهر واستاقنى وجدى الى حدّ المَنا
بى كلّما القاك عنى معرضا وجد نما لكن جسمى امرضا
ياذا اللمى حتامَ لاتبدى الرضى صِل مغرما البسته هذا الضنا
سبحان من آتاك ذا الحسن الفريد كم قد فتن صبّا به امسى عميد
انت الحسن والشوق فى قلبى يزيد ان الشجن للعظم منى اوهنا
كُلّفت فى ذا العشق تبريح الجوى حتى تقى لكن هيهات الوفا
هل منصفى مما به يقضى الهوى او مسعفى خدن على نيل المنى
يابدر لا تسمع مقال العاذل وارع الولا ناهيك وجدى قاتلى
فقت الملا حسنا ففق بالنائل جُد بالطلا من فيك ياحلو الجنى

غيره

اذا امر الهوى رابك فلا تفتح له بابك
ولا تشغل به دابك يسمك الحزن والهما
اتيتُ العشق من بابه وعلّلت باكوابه

Digitized by Google

فما قد ذقت من صابه　　دعانى لم اذق طُعما
هو العشق له مبدا　　ولا تلقى له حدّا
يذيق العاشق السهدا　　ويبلى الجلد والعظما
ايامن قد كوى قلبى　　بهذا الدلّ والعجب
اذا لم تستمع عتبى　　فمن اشكو له السقما
تناهى بى الذى اجد　　من الشوق الذى يَقِدِ
فدتك الروح والجسد　　فكن يوما معى سلما
لقد افرطتَ فى هجرى　　وملّكت الهوى امرى
فلا واللـه ما ادرى　　اسحرا كان ام حلما
عسى او علّ ان تشفى　　عليلا منك يستشفى
ونيران الهوى تطفى　　فقل تطفا وخذ مهما
غدا مضناك ياحبّ　　له صبر ولا قلب
ودمع فيك منصب　　لان يُسقَى بفيك الما

غيره

طيرى لاغير　　لا اسلو عنه ساعه　　ياأهل الخير　　هلّا رعتم من راعه
دمعى سكّب　　ونار شوقى لا تخبو　　ولى قلب　　للهوى يبدى الطاعه
انا الهائم　　عن حبّ السوى صائم　　ليلى قائم　　لا اغفى فيه ساعه
اشكو الوجدا　　ولم تزد الا صدّا　　فارحم عبدا　　قد نوّعتَ اوجاعه
مالى صبر　　وكيف صبرى يابدر　　وذا الهجر　　اشقى نفسى الطمّاعه
طغا الهجران　　ومايشفى الصب الولهان مثل السلوان　　لكن نفسى نزّاعه
ارانى البين　　انواع الضنا والحين　　وعشق الزين　　منى فوق الاسطاعه
دوام الصد　　لم يترك للمضنى جد　　ولين القد　　ينشى فيه اطماعه

غيره

لو لم تدم بلوايا	لم تستمع شكوايا
ولا درى مبكايا	من فى الهوى يلحانى
اكثرت من صدودى	يامخلفا وعودى
لم ترعَ لى عهودى	ولم تسل عن شانى
اعرضت عنى كبرا	وكان وصلى احرى
لقد عدمت الصبرا	من فرط ما دهانى
حمّلتنى اثقالا	وطبت عنى بالا
قل لى نعم او لا لا	فالمطل قد اضنانى
يامفرد الجمال	يابدر احسن حالى
شمّت بى عذّالى	اما كفى اشجانى
سبحان من قد ابدع	هذا المحيا الاروع
والحسن طرا اودع	فى طرفك الفتان
ان الهوى هوان	تضنى به الابدان
ما اختاره انسان	الا وكان العانى
مولاى يامولايا	يامنتهى منايا
لا تتخذ سوايا	وتسلنى بشانى

Digitized by Google



الفصل الثالث

في العدوى

قد تقدم في المقامة الاولى ان عدوى الشر افشى من عدوى الخير * وان الاجرب قد يعدى اهل المصر جميعا بخلاف الصحيح فانه لا يعدى احدا من جيرانه * وهذا يرى ايضا في الامراض العقلية والقلبية * وشاهده على ما قالوه ان معلّمي الصبيان لكثرة معاشرتهم ومخالطتهم اياهم تركّ عقولهم ويافن رايهم * وكذلك المكثرون من مخالطة النسآ فان قلوبهم ترقّ وطباعهم تتخنّث * فيتجردون عن تلك الشهامة والبسالة المختصّة بالحَرِدين من الناس * وقد اعرف كثيرا من ابنآ جنسي الذين عاشروا الافرنج لم تسترق طباعهم منهم الا الرذائل دون الفضائل * فصار احدهم لا يقوم عن المائدة الا وقد مسح الصحفة التي اكل منها مسحا لا تحتاج معه الى غسل * واذا حضر مجلسا انحى على احد شقيه وزقع زقعة يدوى منها المجلس * وربما غسلها بعد ذلك بقوله سكوزى اى اعذروني * ومنهم من يلبس هذه النعال الافرنجية * ويطأ بها وسادتك هذه العربية * او يرخي شعره كشعر المراة واول ما يستقر به مجلس ينزع قبّعته ويطفق يزرع في حجرتك ما يتناثر من هِبْريَته * ومنهم من اذا ضمه مجلس بين اخوانه ومعارفه او غيرهم وراى فيه اديبين يتساجلان او يرويان النوادر الغريبة اخذ

Digitized by Google

فى التصفير * ولكن تصفيرا مختلاً خلاسيا اى غير افرنجى مُحت ولا عربى حَتْم * اذ لم يكن قد عاشر القوم مدة طويلة تمكّنه من تحصيل هذا الفنّ الجليل * ومنهم من يمد رجله اذا قعد فى وجه جليسه * ومنهم من ياتيك زائرا ولا يبرح ينظر فى كل هنيهة الى ساعته اشارة الى انه كثير الاشغال جمّ المصالح * مع انه يلبث عندك حتى يراك تهوّم من النعاس * او يراك قد حملت وسادتك وقلت شفى الله مريضكم * كما قال الاخفش لمن عادوه فى مرضه * مع ان للافرنج فضائل كثيرة لا تنكر * منها انهم يرون فى استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيبا * ومنها انه اذا زار احدهم خليلا له وراه مشغولا رجع على عقبيه من حيث جآ فلا يقعد ينتظره حتى يفرغ من شغله * بل لو وجده متفرغا خفّف قعوده عنده ما امكن * واذا راى على مائدته كراريس او صحفا لم يتلقفها ليقراها ويفهم مضمونها * ومنها انه اذا كان للمزور منهم ولد مريض او كانت زوجته قد وضعت او مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر للسلام والكلام فيما لا طائل تحته * ومنها ان احدهم لا يتزوج امراة الا بعد ان يراها ويعاشرها * وانهم يبوسون ايدى النسآء ووجوه بناتهنّ وما يرون فى ذلك معرّة وانحطاط قدر * وانه ليس عندهم أوْشن (ا) ولا ضَيْفن ولا مُزوِر * ولا يقول احدهم لصاحبه اعرنى منديلك كى امخط فيه او آلتك كى احتقن بها * ومنها تساهلهم مع المولفين وحملهم ما يصدر منهم من الجهل والخطا محمَل السهو او الاغراب * فلا يتعنّتون مثلا على من قال فلان شمّ النرجس وحبق * او حبق وشم النرجس * او شم فحبق او ثم حبق * والمولفون عندنا لا يجوزون ذلك * وفى كتاب الّفه احد معارفى من الديار الشامية باللغة الانكليزية فى احوال تلك البلاد واخلاق اهلها *

(ا) الرجل الذى ياتى الرجل ويقعد معه وياكل طعامه *

Digitized by Google

بعد ان وصف عرسا حضره في دمشق ذكر انهم ختموا العرس باغنية لم يزل ذاكرا لها بحروفها * وقد راى تفضلا منه ان يترجمها الى اللغة المذكورة * وهي في الحقيقة مرثية في امراة اذكر منها بيتين وهما

بالله ياقبر هل زالت محاسنها وهل تغير ذاك المنظر النضر
ما انت ياقبر بستان ولا فلك فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانكليز خلوا روايته على الاعراب ولم يخطئه احد منهم بقوله كيف يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع ان يختموا اعراسهم بالمراثي المبكية * ولكن لو كانت روايته هذه في اللغة العربية وبلغت مسامع اهلها لعقدوا عليه مجلسين احدهما عامي والآخر خاصي ففي العامي يقول احدهم ما شآ الله ياخي مرثيه في ختام العرس اسمعوا ياناس وتعجبوا من حذق هذا الراوي * فيقول الاخر اي والله مرثيه بدل الغنا عمركم ياناس سمعتوا كلام زي دا * فيقول غيره لا حول ولا قوة الا بالله ما لقيش المغفل دي الا الرثآ يجعله في ختام العرس * فيقول آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يمكنش فعله اعظم من دي اهل العرس يختموا فرحهم بمرثيه وما يطيروش * فيقول غيره الله على دي الراوي هو مغفل ولّا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دي ويملا كتابه بالهجس والكلام الفارغ * فيقول آخر ياسلام دي والله اغرب ما سمعت ان الناس يستعملوا النوائح عوض الغنآ والبكآ عوض الضحك والصفع على القفا بدل المصافحة باليد * فيقول غيره ولكن الناس دول اللّي قروا كتابه حمير ولّا مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصرانيا) ياخواجا (او اذا كان مسلما او مستسلما) ياافندي اهل بلادك يتطيروا ويتشاموا كثير فما يصحش

في التصفير * ولكن تصفيرا مختلاً خلاسيا اى غير افرنجي مُحت ولا عربى حَتْم * اذ لم يكن قد عاشر القوم مدة طويلة تمكّنه من تحصيل هذا الفنّ الجليل * ومنهم من يمد رجله اذا قعد في وجه جليسه * ومنهم من ياتيك زائرا ولا يبرح ينظر في كل هنيهة الى ساعته اشارة الى انه كثير الاشغال جمّ المصالح * مع انه يلبث عندك حتى يراك تهوّم من النعاس * او يراك قد حملت وسادتك وقلت شفى الله مريضكم * كما قال الاخفش لمن عادوه في مرضه * مع ان للافرنج فضائل كثيرة لا تنكر * منها انهم يرون في استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيبا * ومنها انه اذا زار احدهم خليلا له وراه مشغولا رجع على عقبيه من حيث جآ فلا يقعد ينتظره حتى يفرغ من شغله * بل لو وجده متفرغا خفّف قعوده عنده ما امكن * واذا راى على مائدته كراريس او صحفا لم يتلقفها ليقراها ويفهم مضمونها * ومنها انه اذا كان للمزور منهم ولد مريض او كانت زوجته قد وضعت او مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر للسلام والكلام فيما لا طائل تحته * ومنها ان احدهم لا يتزوج امراة الا بعد ان يراها ويعاشرها * وانهم يبوسون ايدى النسآء ووجوه بناتهنّ وما يرون في ذلك معرّة وانحطاط قدر * وانه ليس عندهم أوْشن (١) ولا ضَيْفن ولا مُزوِر * ولا يقول احدهم لصاحبه اعرني منديلك كي امخط فيه او آلتك كي احتقن بها * ومنها تساهلهم مع المولفين وحملهم ما يصدر منهم من الجهل والخطا مَحْمَل السهو او الاغراب * فلا يتعنّتون مثلا على من قال فلان شمّ النرجس وحبق * او حبق وشم النرجس * او شم فحبق او ثم حبق * والمولفون عندنا لا يجوزون ذلك * وفي كتاب الّفه احد معارفي من الديار الشامية باللغة الانكليزية في احوال تلك البلاد واخلاق اهلها *

(١) الرجل الذى ياتي الرجل ويقعد معه وياكل طعامه *

Digitized by Google

بعد ان وصف عرسا حضره فى دمشق ذكر انهم ختموا العرس باغنية لم يزل ذاكرا لها بحروفها * وقد راى تفضلا منه ان يترجمها الى اللغة المذكورة * وهى فى الحقيقة مرثية فى امرأة اذكر منها بيتين وهما

بالله ياقبر هل زالت محاسنها — وهل تغير ذاك المنظر النضر
ما انت ياقبر بستان ولا فلك — فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانكليز خلوا روايته على الاعراب ولم يخطئه احد منهم بقوله كيف يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع ان يختموا اعراسهم بالمراثى المبكية * ولكن لو كانت روايته هذه فى اللغة العربية وبلغت مسامع اهلها لعقدوا عليه مجلسين احدهما عامى والآخر خاصى ففى العامى يقول احدهم ما شآ الله ياحى مرثيه فى ختام العرس اسمعوا ياناس وتعجبوا من حذق هذا الراوى * فيقول الاخر اى والله مرثيه بدل الغنا عمركم ياناس سمعتوا كلام زى دا * فيقول غيره لا حول ولا قوة الا بالله ما لقيش المغفل دى الا الرثا يجعله فى ختام العرس * فيقول آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يمكنش فعله اعظم من دى اهل العرس يختموا فرحهم بمرثيه وما يطيروش * فيقول غيره الله على دى الراوى هو مغفل ولّا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دى ويملا كتابه بالهجس والكلام الفارغ * فيقول آخر ياسلام دى والله اغرب ما سمعت ان الناس يستعملوا النواح عوض الغنآ والبكآ عوض الضحك والصفع على القفا بدل المصافحة باليد * فيقول غيره ولكن الناس دول اللى غروا كتابه حمير ولّا مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصرانيا) ياخواجا (او اذا كان مسلما او مستسلما) ياافندى اهل بلاذك يتطيروا ويتشاموا كثير مما يصحش

ان الرثآ عندهم يستعمل فى الاعراس * فيقول الاخر سبحان الله هو حمار ضحك على حير ياخى خلونا منه * فيقول غيره لا اله الا الله نحب نعرف السيره ايه ان كان كلامه دا جدّ ولّا مزح * فيقول آخر مزح ازّاى اللى هو طابعه فى كتاب ينباع فى الدكاكين ومصوّر عليه صورته بسيف وحمايل وازرار * فيقول غيره بقا نقول ازّاى يبقى الانكليز يبلعوا كل شى يستفرغه فى حلقهم الغريب اللى عنده سيف بازرار وحمايل * فيقول آخر اظن الافرنج كلهم يصدقوا الخرافات * فيقول آخر ياخى دا باب واسع اول الكلام واخره غفله من الراوى وحماقه من السامعين * الى غير ذلك من الانتقاد والتعنّت * فاما فى المجلس الخاصّى فان القضية تبلغ فيه مبلغا اعظم من ذلك واخطر * فانهم يصورونها فى صور فتاوى علمية واجوبة فقهية فيستفتى اعظم ادبآء المجلس قائلا * ما قول امام الادبآ * وتاج الالبا * فى مولّف زعم ان اهل الشام يستعملون المراثى فى ختام اعراسهم * فهل تقبل له شهادة اوْ لا * الجواب * لا تقبل له شهادة عندنا على ذنب حمار * وان باع كل نسخة من كتابه عند الافرنج بدينار * صورة استفتآ آخر * ما قول عمدة المصنفين * وقدوة المولّفين * فى مدّع ادعى انه سمع بكلتا اذنيه مرثية تنشد فى ختام عرس فى الشام الشريف * فهل يصدق كلامه وتجوز مطالعة كتابه او لا * الجواب * لا يصدّق ولا يوثق بما راه بعينيه لا فى الليل ولا فى النهار * ولا بما سمعه باذنيه وان كانتا كاذنى الحمار * استفتآ آخر * ما قول من كلامه مزيل للايهام * وموضح للابهام * فى كاتب اودع فى كتاب الّفه كثيرا من الروايات الهَذاهذية (١) والحكايات الاقناسيّة * وزعم فى جملة ما قاله ان اهل الشام ينشدون المراثى فى ختام اعراسهم * فهل يحمل كتابه كله على هذا الكذب او لا * الجواب *

(١) الهَذاهذ الذين يقولون لكل من راوه هذا منهم او من خدمهم *

Digitized by Google

من كذب فى قضية معلومة مثل هذه فاحرى به ان يكون كاذبا فى سائر القضايا فالاولى حمل كتابه كله على الكذب * استفتا آخر ما قول اجل النقاد * وجهة ذوى الرشاد * فى رجل الّف كتابا ذكر فيه انه يعرف كثيرا من الامرآ والوزرآ * والقضاة والعلمآ * وانهم له اصحاب وخلّان * وانساب واخوان * ثم ذكر فى موضع من الكتاب انه حضر عرسا فى دمشق المحروسة كان مزينا بالزهور والرياحين * والمغنيات والمغنين * وكان ختام ما غنّوا به مرثية قيلت فى امراة * فهل على فرض كونه كاذبا فى هذه تنشفع له معرفته بالوزرآ فى تصديقه بغيرها * الجواب * ما هو بصادق فى هذه ولا فى غيرها ولا تنشفع له معرفته بالامرآ فى شى كما ورد

لن تنفع الراوى لافّاك نحلته بانه يعرف الاعيان والامرا

استفتا آخر * ما قول من لا يعلو قول على قوله * ولا يقطع امر الا بفصله * فى رجل ذى رُوآ * وسراويلات مفرسخة من امام ومن ورآ * الّف كتابا ضمنه ما سمعه وما رآه فى بلاده * وكان من جملة ذلك قوله انه راى عروسا تزفّ وتنشد بين يديها مرثية فى امراة * فهل يعتمد على رُوائه بالاخذ فى روايته * الجواب * ليست الرواية من الروآ * ولا يعتمد على زيّه * فى الاخبار عن ميته وحيّه * كما ورد

لن تنفع الراوى لافّاك حليته ولا سراويله ان فاه او سطرا

استفتا آخر * ما قول عمدة الانام * عفا عنه الملك العلام * فى رجل تصدقه العجم * وتاخذ بكلامه فى كل امر اهم * وتقرّ عيون نسائهم بالنظر الى لحيته * وسراويلاته وحليته * وكشرته وجلقته * وخرعته وجلعته * فيخلبهن

خلبا * ويأسرهن غراما وحبا * الّف كتابا اودعه من اخبار اهل بلاده اى بلادنا ما شاقهن واعجبهن * وشهّاهنّ وعرّبهن * فمن جملة ذلك انه شهد محفلا حفيلا * وعرسا جليلا * قد زيّن بالانوار الزاهرة * والوجوه الناضرة * والمآكل القديه * والمشارب الهنيّه * والمشمومات الذكيه * فلما شرع في زفاف العروس الى بعلها * واستبشرت الوجوه بفتح قفلها * اذا بمنشدين ومنشدات * ومطرّبين ومطربات * وقفوا بين يدى العروس * وعلى وجوههم سيما الحزن والعبوس * وشرعوا ينشدون مرثية طويلة * فى امراة توفيت مذ سنين غير قليلة * فهل يصدق وصفه * ويشفع له فيه خلبه الاعاجم وصرفه * وجزيه منهم وحلقه * وقدامه وخلفه * الجواب * لا يوخذ بكلامه فيما افتراه * وان كان له اخدان من العجم على عدد شعرات قفاه * كما ورد

لن تنفع الرواى الافّاك شيعته من الاعاجم لا يدرون ما هذرا

مع ان كلام المولف لم يضرّ باهل بلاده شيا يوجب التحزّب عليه * فغاية ما يقال فيه انه نسبهم الى وضع الشى فى غير محله * ولكن هذه عادتهم فى التعنيت فلا يكاد يسلم منهم مولف * ولو ان صاحب هذا الكتاب المذكور قال للانكليز ان الرجال فى بلاده يلبسون الليف والخوص * والنسآء يتزيّن بالخزف والشقف * ويتكلمن وافواههن مطبقة * وينظرن وعيونهن مغمضة * ويسمعن واذانهن مسدودة * ويرقدن ساعة فى الضحى * ونصف ساعة فى الظهر * وساعة وربعا فى العصير * وساعتين الّا ربعا فى المسآ وثلث ساعات الّا ثلثا فى الليل * لعدّوا ذلك منه اغرابا *

ومن هذا القبيل اى من قبيل استرواق الانسان مذام عشيره دون محامده

كان اظهار البصيرة اى علامة البكارة المشار اليها * فانها عدوى سرت الى نصارى المشرق من اليهود على ما ذكر فى كتبهم * مع ان لهذا الجيل ايضا فضائل كثيرة عرفوا بها من قديم الزمان الى الان * منها درايتهم بجميع الاموال والجواهر ومعاطاتهم الحرف الخفيفة اللطيفة كالصيرفية والنقد والقرض * وصبغ ما هو قديم من الثياب حتى ياتى جديدا * ومن ذلك حب بعضهم بعضا بحيث ان الغريب فيهم من جنسهم لا يحتاج الى ان يتكفف ما فى ايدى الناس ممن سواهم * ولا يخاف ان يعوزه المال وهو بين ظهرانيهم فيتقوت بالجذور * او يكون خلطا فيبيع عرضه للاجانب * بل يلقى فى كل بلد نزله وكان فيه اناس من جيله اهلاً وسكنا * ومنها انهم قد اصطلحوا على لغة يعبّرون بها عما يخطر ببالهم من المصالح المعاشية * ولا فرق بين يهودى من اقصى المغرب وآخر من اقصى المشرق فى الاخلاق والاطوار والعادات والراى * بخلاف النصارى فان النصرانى المشرقى اذا قدم الى بلاد النصارى الغربيّين فاول ما يحيّونه عند رؤيتهم له قولهم هذا يهوديّ او تركى * ثم هو اذا احتاج الى مبيت او طعام من عندهم ابلغوه الى رئيس ديوان البوليس فصانه هناك فى موضع لا نور فيه ولا هوا الى ان يقضى عليه القاضى * كما جرى هذه البينة على امير القفة الذى قدم من دير القمر الى باريس * وان يكن موسرا وجاء بلادهم للتفرّج عليها غبنه منهم من غبن وخدعه من خدع وسرقه من سرق وقامره من قمر حتى يرجع الى وطنه منتوفا مسلوخا * فكيف تركت نصارى الشرق جميع هذه الصفات التى اتصفت بها اليهود وتعلموا منهم تلك الخصلة التى لا يتاتّى عنها الا الغصّة والحسد * فهل يسوغ للغنى فى مذهب من المذاهب ان ياخذ دنانيره فى يديه ويعبث بها فى عين

Digitized by Google

الفقير الصعلوك حالة كونه لا يملك منها قراضة * او للشبعان ان يلوّح
بثريدته للجائع اللاهس * فان قلت ان ذلك امر طبيعي وان العلامة
انما يراها في الغالب المتزوجون فلا وجه للحسد * قلت لو كانت
هذه العادة طبيعية لكنّا نراها مستعملة عند جميع الامم * وهولآء الافرنج
الذين هم اكثر دراية وعلما في الطبيعيات لا يستعملونها * لا بل يفنّدون
مستعملها ويقولون ان العُقر يكون غالبا سببا في العُقْر (ا) * وان العروس
منهم اول ما يحسّ بالانشوطة قد عقدت في عنقه ياخذ عروسه ويعتزل
بها في ناحية لا يبصره فيها احد من خلق الله مجانبة لاسباب الحسد *
الموجب للنغص والكمد * فلا يرون ان سرور شخص واحد يكون سببا
في حزن جماعة * وانما قلت الانشوطة لان عقدة الزواج عندهم تنحلّ
باسباب كثيرة * فاما قولك ان العلامة انما يراها المتزوجون فلا وجه
للحسد فهو كلام من حاول المغالطة والتوريب والموأربة * او هو ولا
مواخذة بما اقول كلام من لا بصيرة له ولا خُبْر * فقد اجمع العلمآ كلهم
المتبلّغ منهم والمقتّر والمتكفف والمعترّ والعريان وذو الرعابيل والمسجون
والمكبّل والمشكوّ والمرغم انفه على ان المتزوّج اضيق عينا بالحسد من
العزب * وذلك ان كل انسان يظن ان غيره في حرفته اسعد منه حالا
فلا يفكّر الا في وجه اسعديته دون اشقويته * ولما كانت ليلة الدخول
بالعَروس من الليالي الغرآ وان تكن حالكة كانت مظنّة لان تنشي
الحسد في صدر الخبير بها من دون تذكير لما يعقبها * وفي المثل وما
ينبئك مثل خبير * هذا واني استميح العفو من الجناب الاكرم * المقرّ
الافخم * حضرة الصِيّر المكرم * عما اريد ان اساله عنه على وجه الاستفادة
لا الانتقاد فاقول * من اين تعلم ياذا البصيرة ان تلك البصيرة التي

(ا) العُقْر استبرآ المراة لينظر ابكرام غير بكر *

يخضب بها المنديل ويعقد على عَلَم ايذانا ببكارة البنت هى علامة البكارة * افليس من الممكن ان يكون ليلة الدخول بها قد فار التنّور * وفاض المسجور * او بقيت منه عقابيل * دبّج بها ذلك المنديل * او يكون الرجل قد ذبح عصفورا او جرح احدى اصابعه اذا كان هو الذى سبق الى اقتطاف تلك الوردة * او ان تكون البنت قد ادخرت فى ذلك الصوان شيا من الدم * فان قلت ان الرجل يعرف ذلك بمجرد التذوّق * قلت لعمرى ولعمر ابيك ان تلك الساعة ليست وقت وَعْى ومعقول * بل وقت دهشة وذهول * ولا سيما اذا وقف ورآء الباب جماعة يضجّون ويعجّون * ويلحّون ويلجّون * فافِد الجواب عن ذلك * وها انا منتظره من هنا وهنالك





الفصل الرابع

في التورية

من عادة امثالي من المولفين ان يتقهقروا احيانا ويطفروا فوق مدة من الزمان ويلفقوا واقعة جرت قبلها باخرى بعدها * وذلك يسمى عندهم التورية اى جعل الشي ورآ * وانهم ايضا يبتدئون بذكر صفات الشخص الذى بنوا عليه مولفهم منذ ابتدائه مناغاة محبوبته الى وقت خفوته في الزواج * ويذكرون في خلال ذلك امورا طويلة مملة وذلك كصفرة وجهه عند لقائها وتغير حركات نبضه وبهره وعيّه عن الجواب وبعثه اليها عجوزا او كتابا واجتماعه بها في مكان كذا وزمان كذا * وكتخييفها الوانا عند قوله لها الفراش * الضمّ * العناق * الساق على الساق * الرضب * الملاسنه * البعال وما اشبه ذلك * وربما اساوا الادب ايضا في حق الاب والام * فانهم كثيرا ما يصرحون بان الام ترضى بان تكون ابنتها فتنة لناظريها * وتتساهل معها في تهنيد زمرة من الرجال لتقاسمها منهم شطرا * وان الاب من حيث ان جمرة في جمرامراته لا في راسه لا يمكنه منع تلك الاسباب * وان الخدمة لا يكونون الّا ذوى خذل مع المراة على الرجل * فالخوادم للاقتدآ بسيرة سيدتهن والخادمون للطمع فيها * وفي الجملة فانهم يجعلون بيت البنت المعشوقة دسكرة وماخورا وحابورا

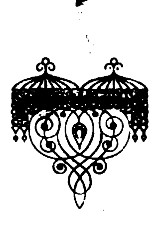
ومنبتا لجميع انواع الفساد والحيل والمكايد * وكلّ من اخوانى هولآ
المولفين يخترع حيلة من راسه ويعزوها الى غيره * اما الطفرة الى
ورآ فعندى انه لا باس بها اذا كان المولف راى مذهب التاليف
قد سدّ امامه ثم يعود الى ما كان عليه * واما تبليغ الرجل الى سرير
عروسه ثم اطباق الكتاب عليهما من دون ملاوصة لمعرفة احوالهما بعد
ذلك فلست ارضى به * اذ لا بدّ لى من ان اعرف ما جرى عليهما بعد
الزواج * فان كثيرا من النسآء اللآى يُحسَبن اناثا قبل تولى هذه الرتبة
الشريفة يصرن بعدها رجالا كما ان الرجال تصير نسآ * من اجل ذلك
رايت ان اتتبّع الفارياق بعد زواجه اكثر من تتبّعى اياه قبله * اذ
الكلام على اثنين ادعى الى العجب منه على واحد * فاما الاسفاف للامور
الخسيسة والدعلقة والدنوق فليس من شانى * فائذن لى اذا ياسيدى
ورخصى لى ياسيدتى فى ان استعمل الطفرة واقول * ان الفارياق حين
كان مرتبقا بربقة الحب قبل الزواج كان قد استدعى به احد الخرجيين
فى جزيرة البُخْر اى فى الجزيرة التى يتكلم اهلها بلغة منتنة * ليكون
عنده بمنزلة معبّر للاحلام باجرة اكثر مما كان له عند الخرجى بمصر *
فمن ثم عزم على السفر وطالع به خطيبته قبل الدخول بها بمدة * فقالت
لا باس فان للرجل حقا على امراته ان يستصحبها حيث شآء * وان كل
بقعة من الارض تكون لها فى صحبته مغنى ووطنا * ثم اخبر امها بذلك
فرضيت * فلما وقع المقدور بالزواج واُحكيت عقدته قال الفارياق
لزوجته ينبغى لنا الان ان نتاهّب للسفر * لان احلام الخرجى قد
تكاثرت فى راسه ويخشى ان يَفوته تعبيرها * فقالت اَوَ ذلك من جدّ *
هل جرت عادة النسآ بان يسافرن عقب الزواج ويعرّضن انفسهن للعقم

والخطر * اليس في مصر مندوحة عن الغربة والسفر * كيف افارق اخواني واهلي واذهب الى بلاد مالى بها من صديق ولا خدين * قال ما غرّرت بك ولا قلت لك شيا غير ما قلته من قبل * قالت ما كنت لاعلم من الزواج ما اعلمه الان * فقد شبهه الناس بالسعوط الذى يعطيه الطبيب للنائم او للسكران حتى يفيق * قد علمت الان ان المراة لم تخلق للسفر وانما خلق السفر لها * قال اني وعدت الرجل بان اسافر اليه فلا بد من انجاز الوعد * فقد يقال في المثل ان الرجل يربط بلسانه لا بقرنه * ومع ذلك فان خرجيّنا هذا مسافر معنا بامراته فانت مثلها * قالت ما انا كزوجة الخرجيّ فاني الان حديثة الصِبْغ وفي برزخ البكر والمتزوجة * ولم اسأم بعدُ من الارض حتى ادخل البحر * فلما علمت امها بذلك الحت عليها في السفر * فقالت دعوني اذًا استشير طبيبا لاعلم هل سفر البحر يضر بالمتزوجة حديثا اَوْ لا * فجي بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقال * انكم يانصارى الشرق تنذرون النذور للكنائس رجآء ان يمنّ عليكم صاحب الكنيسة بالحبل او الشفآء من بعض الامراض * واما نحن فننذر للبحر * فان النسآ عندنا حين ييأسن من الحبَل يقصدن ظهر هذا الولى ويلتمسن بركته * فمنهن من ترجع حبلى بفذّ ومنهن من تضع توأمين * ولا سيما اذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنسآ يطعمهن ما يشتهين * فقال الفارياق في نفسه اللهمّ اجعل ربان سفينتنا عنيفا شرسا نكدا شكسا فظّا عسرا * فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت الى السفر * فمن ثم اخذوا له الاهبة وسافروا الى الاسكندريه * اما السفر من بولاق في القنج فانه من اعظم اللذات التي ينشرح لها الصدر * فان النيل لا يكون الا ساجيا * ورئيس القنجة يقف قبالة كل قرية ليتزودوا منها الدجاج

Digitized by Google

والفاكهة الطريّة واللبن والبيض وغير ذلك * وناهيك بماء النيل عذوبة ومصحّة * فالراكب فى احدى هذه القنج لا يزال طول نهاره آكلا مسرورا قرير العين بما يراه من نضرة الريف وخصب القرى * حتى يودّ لو تطول مدة سفره فيه وان كان فى قضاء امر مهمّ * فاغتنم الفارياق ج هذه الفرصة وامعن فى قضاء الاعذبين ونسى مصر ولذاتها * ونعيمها وحماماتها * ورَمَدها وآفاتها * والكتب ومشايخها * والاخراج وتخاتخها * والمكاتب وبرابخها * والطنبور واوتاره * والحمار وفراره * والطبيب وقنذعيته * وصاحب المعجزة وهجرعيته * والسرى ورائحته * والوبا وجائحته * وما زال على هذه الحالة حتى وصل الى الاسكندرية شبعان ريّان * وقد تزوّد ما يقوم بحاجة البطالة فى البحر الملح * وفاز ونجح اى فوز واى نجح

*





الفصل الخامس

في سفر وتصحيح غلط اشتهر

كان الخرجي رفيق الفارياق في السفر قد كتب كتابا من مصر الى بعض معارفه بالاسكندرية ليهيّئ له نُزُلا * فلما وصلوا اليها اقاموا فيه مدة ينتظرون ورود سفينة النار التي تسافر الى الجزيرة * وكانوا جميعا ياكلون على مائدة واحدة ويتفاوضون في المصالح الخرجية وفي السفر وغيره * وكانت زوجة الفارياق لا تدرى شيا سوى بيت اهلها * ولا تتكلم في امر الا فيما جرى لها مع امها او لامها مع الخادمة او لهذه معهما * وكانت اذا اخبرت مثلا بان الخادمة ذهبت الى السوق لتشترى شيا تخللت كل جملة بضحكة طويلة * فاقتضى لاخبارها من الوقت نحو ما كان اقتضى للخادمة من الذهاب والاياب * وسبب ذلك ان البنات في مصر والشام لا يعاشرن احدا سوى الخوادم واهل البيت * اما امهاتهن فلا يطالعنهن بشي من امور الدنيا مخافة ان تنجلى الغشاوة عن ابصارهن فيعرفن ما يراد منها * فمن ثم كان تحصيل معارفهن كلها من الخوادم لا غير * ولما كنّ هولاء يرين ان في اخبار البنات بما يهوين ويملن اليه بالطبع خيرًا لهن عظيما * فاذا رات احداهن مثلا فتى جميلا بادرت من ساعتها الى البنت وقالت لها * قد رايت اليوم ياسيدتي

شابا مليحا ظريفا لا يصلح الّا لك * وانه حين نظرنى وقف وشخص الىّ وكانّه كان يريد ان يكلمنى * واخاله عرف انك انت سيدتى * فاذا رايته المرة الاتية كلّمته * واشباه ذلك من الكلام ممّا يجعل البنت ذات ضلع معها اذا غضبت منها الامّ * ولا يخفى ان البنات اذا كنّ جاهلات بالقرآة والكتابة وحسن المحاضرة وبآداب المجلس والمائدة وغيرها * فلا بد وان يتعوّضن عن هذا الجهل بمعرفة الحيل والمكايد التى يتخذنها وسيلة لما يرمن * فان البنت اذا اشتغلت بقرآة فنّ من الفنون او بمطالعة الكتب المفيدة صرفها ذلك عن استنباط الحيل * فاما اذا لم يكن لهن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة فان افكارهن واهوآهن كلها تتجمّع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة وسيلة لهنّ وسندا * فكلامها عندهن اصدق من كلام امهاتهن * فالاَوْلَى عندى انا العبد الحقير ان تشغل البنت باحد الفنون والعلوم النافعة سوآ كان ذلك عقليا او يدويا * اَلَاترى ان الانثى مفطورة على حب الذكر والذكر على الانثى * فجهل البنات بالدنيا غير مانع لهن من معرفة الرجال واستطلاع احوالهم * بل ربما افضى بهن هذا الجهل الى التهافت عليهم والانقياد اليهم من دون نظر فى العواقب * بخلاف ما اذا كنّ تاذّبن بالمحامد والعلم اللائق بهن فانهن ح يعرفن ما يعرفن من الرجال عن تبصّر وتدبر * وهناك قضية اخرى وهى ان النسآ اذا علمن من انفسهن انهن اكفآء الرجال فى الدراية والمعارف تترسّن دونهم بمعارفهن وتحصّن بها عند تطاول الرجال عليهن * بل الرجال انفسهم يشعرون بفضلهن فيرتدعون عن انْ يهتكوا حجاب التادب معهن * مثال ذلك اذا اجتمع غلام وبنت فى خلوة وكان الغلام قد قرا ودرى والبنت لم تعرف شيا غير ذكر اللباس

والزينة والخروج الى البستان * لم يلبث الغلام ان يتعدى طور الادب معها لاعتقاده انها لم تخلق فى الدنيا الا لقضآ وطره منها * بخلاف ما اذا رآها ذات راى رشيد * وقول سديد * وفكرة مصيبة * وفهم للامور البعيدة والقريبة * وحسن محاضرة وجواب عتيد * ومعارضات ومماتنات فانه والحالة هذه يهابها ويحترمها * وليس كلامي هذا مخالفا لما قلته فى اغضاب الشوافن * وانشاب البرائن * وانما العبرة باختلاف وسائل العلم * والمراد من هذا الاستطراد كله ان نقول ان زوجة الفارياق وان يكن قد فاتها كثير من معلومات الرجال والنسآ فقد ابدت من المعارضة لامّها عند تصادم مصلحة الزواج بمفسدة خرجية الفارياق ما افحم المجادل * وابكم المناصل * لكنها بقيت فى غير ذلك جاهلة * فان الفارياق لما كان ذات يوم على المائدة اخبره الخرجي بقدوم سفينة النار وحثه على التاهب للسفر * فسمعت بذكر سفينة النار فقالت ما معنى هذا * فقال لها الخرجي هى سفينة ذات الواح ودُسُر وانما تسير بقوة بخار النار * قالت واين النار * قال فى قمين بها * قالت ياللداهية كيف اسافر فى سفينة فيها قمين واعرض نفسى للنار * اليس السفر من هنا الى الجزيرة يكون فى القنج كسفرنا من بولاق * قال ان القنج لا تصلح للبحر الكبير * قالت اما انا فلا اسافر ويسافر من يريد ان يحترق * فترضاها الخرجي وزوجته فابت * فلما حان الرقاد اضطجعت فى الفراش وادارت وجهها الى وجه الحائط * وهذا هو المقصود من هذا الفصل تنبيها للناس على ان هذه العادة هى من جملة العادات التى اخطاوا استعمالها * اذ ليس فى الادبار شي يدل على الغيظ * بل الاقبال هو المظنّة له * فان المراة اذا واجهت زوجها عند الاضطجاع وقطبت وجهها فى وجهه وزوت

Digitized by Google

ما بين حاجبيها * او شمخت بانفها او سدّت منخريها * او غمضت عينيها كيلا تشم رائحته وتبصر سحنته او غطتهما بيديها او بكمها او بمنديل كان ذلك اشارة الى الغيظ * فاما فى تولية الدبر فلا علامة تدل عليه * فان قلت انها اذا واجهته ربما غثت نفسها من نَفَسه * اذ الرائحة الكريهة لابد وان تفعم المناخر وان سُدّت فلا محيص عنه الا بالادبار * قلت الاولى ان تستلقى فيندفع المحذور * وبعد فان الدبر هى من الاشيآء التى طالما عُنى الناس بتفخيمها وتكبيرها وتعظيمها حسّا ومعنى * امّا حسّا فلانهم اتخذوا لها الزناجب والمنافج والمرافد والرفائع والاعاجيز والغلائل والمرافق والعُظّامات والحشايا والاضاخيم والمصادغ اجتذابا لقلوب الناظرين * وفتنة لعقول العاشقين * فكيف يكون شى واحد مستعملا وسيلة للرضى والغضب معا فهو خُلْف بيّن * واما معنًى فلان العلمآ والادبآ وسادتنا الشعرآ ما زالوا يتغزلون بها ويتنافسون فى عرضها وسعتها * حتى ان بعضهم قال

من راى مثل حبّتى تشبه البدر اذ بدا
يدخل اليوم خصرها ثم اردافها غدا

وقال عمرو بن كلثوم

وماكمة يضيق الباب عنها وخصر قد جُننت به جنونا

ولقائل هنا ان يقول ان الشاعر لم يصف الخصر الا بكونه موجبا لجنونه * وان الاشارة الى كونه نحيلا بناء على جنون الناس به اذا كان كذلك غير ناصّة * واحرى ان يكون هذا المفهوم الضمنىّ جاريا على وصف كل عضو * اذ لو قال وماكمة جننت بها جنونا لعلم بالبديهة انها تملا الباب ويفضل منها شى * ويا ليت شعرى هل الالف واللام فى الباب

للعهد الجنسي او الذهنيّ * وهل الامام الزوزني تعرّض لشرح ذلك * ثم انه من اهمّ ما يشغل بال المراة ويسهرها الليالى * هو ان تفتن ناظرها بتفخيم ذلك الموضع الرفيع العالى * وربما لهيت عن وجهها وسائر جسدها وغادرتهما بلا زينة من فرط اشتغالها به * ولو تضمّر وجهها وذوت غضاضة بدنها لمرضٍ او كبر فقلّ اعتمادها على محاسنها لم تبرح معتمدة عليه ومتعهدة له * فهو عندها راس مال الخلب والتشويق * وما من امراة الاّ وتتمنى ان يكون لها عين فى قفاها لتكون ناظرة اليه ومتعهدة له دائما * ولقد يهون عليها ان تقف ساعة او تمشى ساعتين او ترقص ثلثا ولا ان يتقبعد هنيهة خشية من ان يتخشانّ او يضمر * وانها حين تنظر الى عطفها وهى ماشية او راقصة فما هو الاّ رمز الى ما ورائه * وان تهدكرها وتبهكنها هما انشب مصلاة يعلق بها قلب الرجل * وذلك لانها تعلم ان الحكمة الخالقية رسمت من الازل بان تكون كشرة اللحم والشحم فى ذلك الموضع * بالنسبة الى سائر البدن لا بالنسبة الى دكاكين اللحامين * شائقة للملوك والسلاطين * والامرآ والقضاة والائمة والقسيسن * والاحبار والموابذة والهرابذة والعلمآ والبلغآ والخطبآ والادبآ والشعرآ والعطارين والصيادلة والعازفين بالات الطرب ولسائر الناس * لا لانهم يتخذون من لحمه كبابا او من شحمه إهالة * او يستصبحون عليه او يتخذون من جلده كُوْبَة (ا) * ولكن ملأ لعيونهم وشرحا لصدورهم * فان عين ابن ادم مع كونها ضيقة لا يملأوها ما هو اوسع منها واكبر بالف مرة * واشعارا لهم بان حكمتهم فى هذه الدنيا وتنطسهم وعزهم ومجدهم وان علت على الاطواد الشامخة والجبال الشاهقة فما هى الاسافلة عن حضيض هذا الموضع * ألا وانها تعلم انك اذا اجلست مثلا احد هولآ الاعزة الكرام امام

(ا) الكوبة الطبل الصغير المخصّر ولعله الذى تسميه العامة الدربكّة *

Digitized by Google

بعض المناصع (١) على سرير مذهب * وضربت عليه قبّة مموّهة مزخرفة منمنمة منقشة مزوقة مكسوة بالحرير والديباج ومكللة بالزهور والرياحين * استنكف ان يقعد هناك نصف ساعة * على انه لا يستنكف ان يقعد عامّة نهاره وليله محاذيا لذلك المقام المنيف * وهو حاسر الراس * مشعث الشعر * حافي الرجل * فاغر الفم * مندلع اللسان * سائل اللعاب * محملق العينين * مشمر الذيل * شابح الذراعين * معوجّ العنق * مؤلّل الاذنين * في اقبح هيئة يمكن للانسان ان يتصورها في حق ذي مقام * حتى لو سمع نأمة من هناك لظن ان السلطان قد بعث اليه بالات الملاهي يهنّئه على هذا الفوز العظيم * والمغنم العميم * وتصوّر في باله ان صوت العود لم يكن باشجى من غيره لا لكون هذه الآلة قد صنعت على مثال شطر ذلك الموضع * ولو كان كالشطرين لسُمع له منطق باعراب * وان شكل القبة ماخوذ منه * ورائحة الندّ تروى عنه * وان العرب من زيادة شغفهم به الحقوا حروفه بالافعال السداسية الدالة على طلب الفعل او التي يعتبر فيها الشي كونه على حال مّا من الاحوال * وان فردسة صدور الرجال وعرض ظهورهم لا تجدى نفعا مع عرضه * وان المعالى في السّراة متى تلح لهم ذات تاكيم يَعْدُن مسافلا * وان هذه الحقيبة مع ثقلها سوآ كانت حاملة كما ذهب اليه بعض الشعرآ * او كانت محمولة كما هو في الواقع فليس ثقلها الا كثقل كيس ذهب على حامله * وانها اسخن الاعضآ جميعا في الشتآ اذ لا تحتاج الى تدفئة * وابردها في الصيف * وانها مع كونها اول ماسّ للارض عند القعود فلا تزال انعم من الخدّين * واملس من اللديدين * فلهذا كانت لذة تقبيلها للمقبّل العذريّ اعظم من لذة تقبيل الذقن والانف والعين والجبين * وان الناس يبتذلون لها اسمآ الملوك

(٢) مواضع يتخلّى فيها لبول او لحاجة

والسلاطين * وذوى السيادة والمعالى وائمة الدين * وعند قوم (اقول واستغفر الله) تذال لها الاسمآء الحسنى * على ان تسبيحهم كل يوم ان يقولوا ربنا تقدّس اسمك * الّا وانها تعلم ايضا ان كثيرا من البهائم اعقل من الناس او اسعد حالاً من اصل الفطرة * فان الذكر من الحيوان غير الناطق لا يهيج على هبرتين من اللحم فى انشاه مع احتوائهما على القبل والدبر الا فى وقت معلوم * وهذا الذكر من الحيوان الناطق لا يزال هائجا عليهما مزبدا لاغما راغيا متزغما هادرا محمحما مبقبقا مقبقبا زاغدا مُلّعبا جالبا لاجبا وربما جنّ ايضا * وما ذلك الا لمجرد وَهْم انهما باهدافهما تعينانه على خسق الهدف من قُبُل والّا فما سبب هذا الجنون * نعم وتعلم ايضا ان هذا الموضع مع كونه فى حيّز الجسم الاسفل فهو مواز لخطّ الراس ارتفاعا * اشارةً الى ان تسفّله لا يحطّ من قدره ورفعته * حتى لو فُرض انه جعل عند الرجلين لبقيت له هذه المنزلة والاعتبار بعينه * حتى ان بعض النسآء يرين ان كشفه اَوْلَى من كشف الفم لانه اقلّ اذى منه * اذ لم يعلم الى الان ان احدا قُتل بفلتة منه فاما فَلَتات اللسان القتّالة فلا تعدّ ولا تحصى * وبنآء على ذلك كنّ يتعمّدن الخروج فى اليوم الراح وهو عندهنّ من الاعياد المباركة * وبعضهن يرين انه جدير بالحلى والزينة والتنقيش سوآء كان ظاهرا او مستورا * قال بعض الستّاهيين

ياسائلى عن اى جز ء فى المليح اجملُ
لقد روى استاذنا نصف الجمال الكفل

قال وذلك لاشتماله على اشكال كثيرة * لانك اذا اعتبرت ذروة

Digitized by Google

الرانفة (١) وحدها ظهر لك الشكل المخروط * واذا اعتبرتها مزدوجة بالاخرى تبيّن لك نصف دائرة او شكل هلالىّ * واذا نظرت من نقطة العسيب الى غاية ما يوازيها من سطح الشق الواحد بدا لك المستوى او المسطح * او منه الى ما دون ذلك قابلك المقبّب والخط المنحنى * واذا اعتبرته مع الاكباب واجهك المجوّف وهلم جرّا * وليس من سائر اعضآ البدن من الاشكال ما لهذا * قلت ما اشوق قول الشيخ ناصيف اليازجى الاديب المشهور

وتموّجت اردافها فاخو الهوى   بين اضطراب الموجتين غريق *

ثم ان الظاهر من وجود اسم المرفد فى لغتنا هذه الجليلة * ومن قول صاحب القاموس المخدم رباط السراويل عند اسفل رجل المراة * ان لباس نسآ العرب قديما كان كلباس نسآ الشام الان * او لعله كان خاصّا بالحواريات * غير ان قول المتنبّى * واعفّ عما فى سراويلاتها * يفيد التعميم * بنآء على تغزّله بالباديات كما اشار اليه بقوله * وفى البداوة حسن غير مجلوب * وقد تقدم * قال فى القاموس الدبر بالضم وبضمتين نقيض القبل ومن كل شى عقبه وموخّره — والاست والظهر * قلت اسمآء حروف هذه اللفظة لها معانٍ * وهذه الحروف كيفما قلبتها ظهر لك منها ايضا معنى * وكذا اذا جمعت بين كل حرفين منها * وعددها بحساب الجمّل مزدوج اشارة الى ازدواج الجهتين * كما ان الضمتين اشارة الى الثقل والرزانة * ومادتها من اغزر المواد * وهل وضعها موخر عن الموخر او متقدم عليه او اشتقاقها من قولهم جئتك دبر الشهر اى آخره او اشتقاق هذا منها خلاف * والظاهر ان الامور المعنوية الاعتبارية مشتقة من الحسّية * وبقى الخلاف فى اشتقاقها من عقب الشى * وقد ورد فى القرآن ولّوا الادبار * وانكرها المطران اثناسيوس التتونجى فى

(١) تنبيه رايت فى كتاب ليس لابن خالويه النحوى بعد تاليف هذا الكتاب ان الرانفتين يقال لهما الصومعتان والصوفقتان * وذلك مما فات صاحب القاموس *

كتاب الحكاكه فى الركاكه * واعلم ان العرب قد وضعت للدبر ما ينيف
على تسعين لفظة ما بين اسم ولقب وكنية * فمن اسمآئها ما تقدم فى
اثارة الرياح ومن بعض كناها امّ سُوَيد وامّ العِزْم وامّ خِنَّوْر * فلولا انهم
انزلوها منزل الاسد والسيف والخمر فى الباس والفتك والاسكار لمّا خصّوها
بذلك * لا يَرِد هنا ما قاله ذلك الاعرابى فى السنّور لعنه الله ما اكثر
اسمآءه واقلّ ثمنه * فانّا نقول ان قلة ثمن الحيوان لكثرة وجوده لا يقدح
فى قيمته ومنافعه * وان كثرة اسمآئه هى من حمل النظير على النظير لحصول
المشابهة بينه وبين امّ امّ سويد * من جهة ان السنّور هو من الحيوانات
الكثيرة النتاج * ومن طبعه اللعب والهراش وان يكن يعقبه غير مرة خدش
وادمآ. * وخمش واصماآ * وجش واعماآ * وله تحمّل على المكاره والاذى
حتى قيل ان له سبعة ارواح * ولا يعجزه صعود شرف ولا هبوط هوة * وانه
اذا شمّ رائحة شى اعجبه من الطعام تسلق اعلى جدار ودخل اضيق مكان
حتى يظفر به * وانه اذا مرّت عليه يد نفّش ذنبه واخذ فى خرخرة وهينمة
تفصح عن رضاه باللمس * ومن طبعه ايضا النظافة والاكل خِفْوة حيآء او
خوفا * فان ابيت الا المشاحّة كما هو دابك من اول هذا الكتاب بان قلت
ما بال اسمآء الداهية والعجوز اذًا كثيرة واسمآء الشمس والقمر قليلة اذا
كانت التسمية مبنيّة على جلالة المسمّى او نفعه * قلت اما كثرة اسمآء
العجوز فباعتبار انها كانت صبية او انها تكون ذريعة لها * واما الداهية
فباعتبار خشيتها * والاجلال قد يكون عن خشية كما يكون عن مِقَة *
فاما الشمس والقمر فاسماوهما كثيرة جدا غير انها لم تشتهر عندنا *
وليس ذلك باول ظلم فعله الناس فى حق اللغة كما بيّنته فى كتاب
آخر * ثم هذه جملة الاسمآ والصفات التى وضعت لامّ ام سويد وقد

Digitized by Google

بذلت الجهد فى استقرآئها وهى * الأثيثة الخَبَنْداة الراجح الرَّجاح الرَّداح الدُلَخة البَهْنَيَر الشَوْتَرة العَجزة العَجْزآ المُعجَّزة الدّهاس الدَهْسآ البَوْصآ اللفآ الرَكْراكة الزكزاكة الوكواكة الضِبْرك الضِناك العَضَنَّك الوَرْكآ الوَرْكانة الثّقال الجَزْلة السَبْحلآ المِكْفال الهِرْكَوْلة المُوكَّمة الأَلْيآ الأَلْيانة*ومن الغريب ان صاحب القاموس ذكر الأَسْته والسّتاهىّ ولم يتكرم علينا بمؤنثهما فانا اثبتهما هنا عن اذنه * ومن ذلك نُفُج الحقيبة * ذات الاهداف * ذات التاكيم * ذات الرضراض * من نسوة بلاخ * ولك ان تقول بَلْخآ وان لم يذكرها الفيروزابادى الا بمعنى الحمقآ * هذا ما عدا ما يشير الى هذه الغبطة والسعادة من الالفاظ اشارة صريحة نحو

الجَعْبآء	الضخمة الكبيرة *
الجَلَنْبآء	السمينة وكذا الخَنْضُبة والخَضْعَبة والكَبْكابة والحَوْثآ والوَعْثة *
الجَدَبّة	الضخمة *
الدِخْدِبة	المكتنزة
السَرْهَبة	الجسيمة *
الطُباخيّة	الشابة المكتنزة *
اللُباخيّة	اللحيمة وكذا الدِعْكاية *
المُبَرْنَدة	الكثيرة اللحم ومثلها الهُدكورة *
الثأدة	المكتنزة الكثيرة اللحم *
الثَهْمَد	السمينة العظيمة *
الرَجْراجة	التى يترجرج عليها لحمها *
الضَمْعَج	المراة الضخمة التامة *
البَيْدَح	البادن وكذا البَلْدَح *

Digitized by Google

الدَحُوح العظيمة *

الدُمَاحة الضخمة التارة *

الصَلْدَحة العريضة *

البَيْدَخة التارّة *

المُرْمُورة الناعمة الرجراجة *

الدَخُوص الممتلئة شحما *

الرَضْراضة الرجراجة *

البِلِز الضخمة *

الدَحْلة الضخمة التارة *

الدُمَحلة السمينة ومثلها الجَمُول *

الرَبِلة العظيمة الرَبَلات *

القصاف العظيمة *

المُزنَّرة الطويلة الجسيمة *

المُلَعَّظة السمينة الطويلة الجسيمة *

الهَيْكَلة العظيمة *

الضُناكة الصُلْبة المغصوبة اللحم *

الكِناز الكثيرة اللحم الصلبة *

المُنَزَّة المتصلبة المتشددة *

المُلَزَّزة المجتمعة الخلق الشديدة الاسر *

الخَنْضَرِف الضخمة اللحيمة الكبيرة الثديين *

القَهْبَلِس المراة الضخمة ومثلها المُثَخَنة *

الشخيصة الجسيمة *

Digitized by Google

الدِّيّاصة　　اللحيمة القصيرة *

العانك　　السمينة *

العَبيلة　　الغليظة *

المألة　　السمينة الضخمة *

الوَرِهة　　ورهت المراة كثر شحمها *

وخَظِيَة بَظِيَة　　سمينة مكتنزة *

وغير ذلك مما لا يمكن استقصاوه * فهل لجناب مولانا القاضى المكرم ولاميرنا المعظم نصف هذه الاسمآ والنعوت * انتهى البرهان على الخطا فى استعمال هذه العادة * واقول الآن انه لما كان ما كان من الادبار المشار اليه ترضاها الفارياق فى الصباح للسفر واعانه على ذلك الخرجى وامرأته ووعدوها برؤية اشيآ بديعة فى الجزيرة تنسيها مكاره الفراق * فرضيت بعَون الله وحسن توفيقه وسافروا فى سفينة النار * وقد لطف الله تعالى بان القى القسوة فى قلب الربّان عليها * فكان اذا سمعها تشن من الالم يغضب ويزمجر ويتسخط على النسآ وسفرهن * غير ان بعض الخدمة وكان جميلا حاول ان ينوب عنه فلم يتمّ له ذلك لقصر المسافة اذ كانت عبارة عن خمسة ايام * وهى فى البرّكافية لتصبّى خمس بنات وعشر نسآ متزوجات وخمس عشرة ارملة * ثم وصلوا الى معتزل الجزيرة واقاموا فيه ثلثين يوما وبعد ذلك دخلوا البلد ونزل كل منهم منزلا لائقا به *





الفصل السادس

في وليمة وابازير متنوعة

واخذ الفارياق وزوجته يطوفان في شوارع المدينة وهما في زي اهل مصر * وقد اتخذ هو سراويل واسعة يلتق عليه اسفلها من امام ومن وراً عند المشي * والتحفت هي ببرنس ليغطي كميها اذ كانا يكنسان الارض * فجعل المارون واصحاب الدكاكين يتعجبون منهما ولم يكونوا يعرفون زوجته انها امراة * فكان بعضهم يقول ارجل هذا ام امراة وبعضهم يتعقبهما * وبعضهم يلمس اثوابهما ويحدق في وجوههما ويقول ما راينا كاليوم قط * شي لا هو رجل ولا امراة * فصادفهما رجل من حذاق فقهاً الانكليز يقال له استيفن * فتفرس فيهما فعرف ان الفارياق رجل وان الفارياقية امراة * فتقدم اليهما وقال لهما هل لكما يا رجل ويا امراة ان تتغديا عندي يوم الاحد القابل * قالا افضلت * قال ان داري في عِبْر البحر في محل كذا فهلمّا الينا في الصباح قبل الغداً * فلما كان يوم الاحد ركبا في زورق وقصدا منزله فوجداه قد استعد للخروج * فكانه اراد ان ياتي ببعض معارفه للفرجة على ضيفيه والظاهر انه سكر في الطريق او عند اصحابه فلم يَعُد * فلما راهما قال لهما قد وجب علىّ ان اذهب في قضاً مصلحة * ولكن هذه زوجتي وهولاً بناتي فاستانسا بهن ريثما اعود

Digitized by Google

ونتغدى جميعا * قالا لا باس ثم قعدا مع زوجته * وكان في المجلس شابّ من الانكليز يناغي احدى بنات الفَرضي وهو آخذ بيدها * ثم جعل يبوسها بحضرة امها والزائرين * فاصفرّ وجه الفارياق واحمرّ وجه زوجته وبرقت اسرّة الام * فقالت الفارياقية لزوجها كيف يبوس البنت هذا الفتى وما يستحيي منا * فقال لها ليس البوس عند الافرنج مما يعاب * فان الزائر منهم اذا دخل بيت احد من اصحابه تعيّن عليه ان يبوس زوجته وبناته جميعا ولا سيما اذا كان في يوم عيد * على ان باس عندهم قد ترد بمعنى ما يراد بعدها ولكن هذه عادتهم * قالت ولكن هلّا يستحيي منا حال كوننا غريبين عنه * قال اذا كان الشي مباحا كانت اباحته امام القريب والغريب على حد سوى * او لعل الرجل قد ظن انّا لا نعرف هذه الصنعة في بلادنا * قالت ما اجهل من ظن هذا فان القبلة عندنا لا تكون الّا مع زفير وتنهّد ومصّ وشمّ وتغميض العينين * فاما هذا فاني اراه يرقّ خلوًا من احساس فعل المستخفّ بما تحت يده * قال قد يظهر لي من القاموس ان المكافحة والملاغفة والمثاغمة واللثم والفَغْم والكَعْم والتقبيل انما هو بوس الرجل المراة في فمها او التقامه له بمرّة * فقالت حيّى الله العرب ائمّة القبلة والقُبْلة * فان تقبيل الجبين كما يفعل هولآ لا معنى له * ولكن لمَ كان التقبيل في غير الفم والخدّ خاليا عن اللذة التي يحسّ بها المقبّل في هذين الموضعين * قال لان الظمآن لا يرتوي من وضع فمه على اعلى القلة او على جنبها * قالت فعلى ذكر الظمآ لمَ تصف الشعرآ الريق مرة بانه حلو ومرة بانه يروي الظمآ وهو خُلف * قال لعل ذلك من مشكلات الشعر او من معضلات النسآ * قالت فعلى ذكر المشكلات والمعضلات هل يستطيب العاشق شرب الرضاب

من غير الفم * قال اما عند بعض العرب فلا يبعد واما عند الافرنج فينكرونه حتى من الفم * بل لا يعرفون له اسما غير البصاق * قالت فعلى ذكر اختلاف الاسمآء ما يقال لهذه الامّ التى ترتاح الى رؤية ابنتها على مثل هذه الحالة هل يقال لها قوّادة * قال انما القيادة فى الاصل صفة الرجل اذا كان يقود على حرمه * قالت ان وقوع هذا الامر فى شان الام اكثر منه فى شان الرجل * اذ الامّهات تنشرح صدورهن عند مشاهدة عاشق لاحدى بناتهن * لان الام عند رؤيتها عاشق بنتها تعتقد ان العاشق لا يرى فى البنت جمالا الّا ويراه فى امّها حالة كونها هى الاصل * وانه لا يكاد يحب الفرع دون محبته لاصله * ثم تماديا فى الحديث حتى حان الظهر فاقبلت احدى بنات الفرضى وبيدها كسرة خبز وقطعة جبن وجعلت تاكل وهى واقفة * ثم تولت وجات اخرى وفعلت مثلها * وكان للفقيه المذكور سبع بنات وعدة صبيان * فلما مضى ساعتان بعد الظهر قالت الام للمدعوّين لعلكما جعتما فان وقت الغدا قد فات وزوجى ابطا * قالا ننتظره الى ان يجى * فلما صارت الخامسة اطن جرس الاكل ليجتمع المتفرقون من اهل البيت كما هى عادة ذوى العيال من الانكليز * ثم مضت ساعة واعيد اطنان الجرس * وما زالت الساعات تمضى حتى نجزت الساعة الحادية عشرة * وفى خلال ذلك كانت الام تتفقد المطبخ وتسارّ البنات كانما نزل بهن نكبة البرامكة * فقال الفارياق لزوجته ان لم نذهب الان لن نجد بعدها زورقا ولا مبيت فى هذا العبر يصلح بنا * ثم نهضا ومسّيا على صاحبة البيت وركبا فى زورق ودخلا البلد عند نصف الليل فتعشيا فى بعض المطاعم عشآ فى ضمنه غدآ * ثم لما كان بعد ايام قليلة قالت زوجة الفارياق له قد رايت فى هذا البلد

Digitized by Google

احوالا غريبة * قال ما هى قالت انى ارى الرجال هنا لا ينبت فى وجوههم الشعر ولا يستحيون * قال كيف ذلك * قالت لم ارَ فى وجه احد منهم لحية ولا شاربا فهل هم كلهم مرد * قال اجهلت انهم يحلقون وجوههم بالموسى فى كل يوم * قالت لاى سبب * قال حتى يعجبوا النسآ فانهن يحببن الخد النقى الناعم * قالت لا بل المراة يلذ لها من الرجل كل ما دلّ على الرجولية * وكثرة الشعر فى وجه الرجل هى كعدمه فى وجه المراة * قال وما معنى قولك انهم لا يستحيون هل طلب احد منهم منك فاحشة * قالت ما وقع ذلك بعد * وانما اراهم يحزّقون سراويلاتهم حتى تبدو عورتهم من ورآئها * قال وذلك مما يلذ للنسآ على مقتضى تقريرك * قالت نعم ان هذا الزىّ اقرّ لعين النسآء من زى العرب * فانه يظهر الفخذين والساقين والبطن والعجز غير ان المغالاة فى التزنيق مخلة بالادب عند منّ لم تتعوّد عليه وان يكن فى نفس الامر احسن وافتن * ولكن ما شان هولآء القسيسين فانى اراهم اكثر مغالاة من العامّة بتبابينهم هذه القصيرة فهذا لا يليق برتبتهم * واقبح من ذلك حلقهم شواربهم مع ان الشوارب هى زينة لوجه الشاب كما ان اللحية زينة لوجه الشيخ * فما الذى اغراهم بهذه العادة وهم ليسوا متزوجين حتى يعجبوا نسآهم * لعمرى لو ان احدا منهم ذهب الى مصر لظنه الناس بعض هولآء المخنثين المدعوّين خَوَلا الذين ينتفون شعر وجوههم ويتحففون تشبّها بالنسآ فاخزى الله كل رجل يتخنث * قال فقلت وكل امراة تتذكر * قالت نعم وكل من يتبع العادات الفاسدة * انظر العادة هنا كيف جعلت حلق الشعر علامة على الفضل والكمال وعندنا هو سمة النقص والفساد * قال صدقت ولكن اريد ان اسالك عن شى من حيث ان الكلام افضى بنا

Digitized by Google

الى ذكر ما يشوق الرجل من المراة وما يشوق المراة من الرجل * ومن حيث انى اراك قد تشمت فى علم هذه الشروق فقولى لى بحق السطح (وكان من عادته اذا سالها عن امر مهمّ ان يحلّفها بسرّ السطح الذى كانت تصعد عليه قبل الزواج) واصدقينى فيما تقولين * هل لذة المراة حين تنظر الى جسم الرجل كلذة الرجل حين ينظر الى جسم المراة قالت هما سيّان ولعلّ الاولى اعظم * قال فقلت كيف ذلك والرجل لا نعومة لبدنه ولا ملوسة * وقد خصّت المراة بمحاسن كثيرة خلا عنها الرجل * وذلك كرقة البشرة ودقة الاصابع وتسوية البنان والانامل وقد شبّهت بالعِسْوَدّة والاساريع والعُذفوط والعَنَم * وكالدَسْع ولين الكَعْس والدّخيس والرواجب وتغطية الرواهش باللحم بحيث يبدو فى كل اشجع نونة * وكلطف اليدين وصغر الرجلين ورخاصتها * وامتلآ الرسغين والكعبين وسهولة المشطين * ونعومة العُرْش والعسيب * وجدل الذراعين ومكر الساقين وعظم الحماتين ودملجة الداغصتين * وضخم الوركين والماكمتين والفخذين والبتيلة والبطن * وكنحول الخصر ولطف الكتفين وانحطاط المنكب وصقل الترقوة والترائب والمفاهر * وكالعَنَط والعَطَف وصلانة الجبين وطول الشعر * وكونها رخيمة الصوت ذات نشرخالية عن الحاز والرَيْش والغَفَر والسُرْبة والاَسْب (١) وكون اذنها صَمْعاً حَشْرة مُشْرة تَدْمُرِيّة او مقذّذة او مؤلّلة مُصْعنّة * وما احلاها ياعينى مشنّفة * واعظم من ذلك كله وابدع بروز النهدين ونهودهما * وتجّمهما ونفجهما * وتكعّبهما وتكعثبهما * واصرنبابهما وتاوّبهما * وتقعبهما وتكبّبهما * واكتيتابهما وتقببهما * وتاتبهما وتزيبهما * وتدملكهما وتدملقهما * وتزلقهما وتزهلقهما * وسملكتهما وصعلكتهما * وزهلهما وتضافطهما * وتفلكهما وتدملجهما * وتمذجهما وتصعنجهما *

(١) العسودة دويبة بيضاً يشبّه بها بنان العذارى والاساريع دود بيض حمر الروس يكون فى الرمل وفى واد يعرف بظَبْى الواحد اسروع والعذفوط دويبة بيضاً ناعمة يشبه بها اصابع الجوارى والعنم شجرة حجازية لها ثمرة حمرآ يشبّه بها البنان المخضوب والدسع خفآ العرق فى اللحم والكعس عظام السلامى وعظام البراجم فى الاصابع والدخيس لحم باطن الكف والرواجب مفاصل اصول الاصابع او قصبها والرواهش عروق ظاهر الكف والعسيب ظاهر القدم وهو ايضا عظم الذنب والعرش ما بين العير و الاصابع من ظهر القدم والمفاهر لحم الصدر والعَطَف طول الاشفار والحاز شعر الانف والريش شعر الاذنين والغفر شعر العنق والقفا والسربة الشعر وسط الصدر الى البطن والداص السمن والامتلآ وان لا يكون فى الجلود نقصان *

وربوّهما ونبوتهما * وخظوّهما ورنوبهما * ونتوبهما وكعوبهما * ونُموكهما ودموكهما *
وبزوغهما وصبوغهما * وشخوصهما ودخوصهما * ونتوّهما ونعوجهما *
وتكوّفهما وتقبيهما * وتخذّيهما وتكظّيهما * وتوقّجهما وتعاججهما * وتصدرهما
وتضبيرهما * وانتبارهما وتكوّزهما * وتعرّزهما وتلززهما * وتملسهما وتشرزهما *
وتعلدهما وتمغدهما * وتاصصهما وتدلصهما * واجعانهما وتنشزهما * وتجبّنهما
وتشزنهما * وتكتلهما وتلملمهما * وتزيّمهما وتركركهما * وارتكاكهما وتشويكهما *
وترهرهما وتلوّههما * واندماجهما وانفراجهما * واقبالهما واعبالهما * وارتبازهما
واكتنازهما * ونصّهما وعصّهما * ودُأصهما وصَنطهما * وقد قيل لهما من
جملة اسماً كثيرة المَرازان لاحتمال رَوْزهما باليد او الفكر * وشبّها بالرمان
والقُرموط * وشبّهت حلمتاهما بالسعدان * وقد ـــ قالت قف هنا فقد
اسهبت في وصفهما وفاتك احسن ما يراد منهما * قلت افيدى * قالت
لو جئت بكلمة تدل على التقامهما او قفطهما لكانت خيرا من كثير
من هذه الصفات * قلت ليس الذنب عليّ في ذلك فاني لم اجد
هذه الدرة في القاموس * ثم قلت هذا وان المراة اذا كان في وجهها
شعر ناعم او زغب ولا سيما على شفتها تستحب عند جميع الناس *
فاما الاجرد منا او السناط والازطّ فمكروه عند الله والناس * قالت امّا
اوّلا فلانّ المراة من حيث كانت تعلم انه لا شي في الدنيا يسدّ عندها
مسدّ الرجل كان يشوقها منه ادنى شي * حتى لو نطقتَ مثلا امام امراة
بالرّ بعد قولك اعوذ بالله من الشيطان لسبق وهمها الى الرجل * فعلاها
على الفور الاصفرار او الاحمرار بحسب توجيهات خواطرها اليه * وكذا لو
ابتدات بنطق الرّ بعد قولك بسم الله * فقلت اللهم لطفك وعصمتك *
هذا قُرحان الطبع وقريحته فكيف بيانعه * ثم قالت اما الصفات

Digitized by Google

الحسنة الموجودة فى المراة دون الرجل على ما ذكرتَ انت وشبب به الشعرآ وتباهى به المصوّرون فعدم وجودها فيه ليس بمانع له من ان يُحبّ * لان المراة تعلم انه لا شي يقر عينها غير الرجل فوجوده على اية صفة كانت مشوّق لها كما ذكرت آنفا * الا ترى ان نسآ السودان يحببن رجالهنّ ابلغ من حبّ النسآ لبعولتهن فى بلادنا وفى غيرها * ومَثَل ذلك مثل من عنده كتب كثيرة فيها حكايات ونوادر مختلفة * ومثل آخرَ ما عنده الا كتاب واحد يطالعه * فصاحب الكتب الكثيرة تراه منتقلا من كتاب الى اخر حتى ياتى على اخرها وما علق بذهنه منها شي * ثم يملّ من اعادة قرآتها * وصاحب الكتاب الواحد من حيث كان يعلم انه اذا فرغ من كتابه لا يجد آخر فاذا طالع صفحة منه لن ينتقل منها الا بعد ان يمعن النظر فيها * ويحدّس فى معانيها * ويحفظها ويعيها ويترسمها ويتذكرها * ويتمثلها ويتدبرها * ويمتحنها ويتوقمها * ويتصورها ويفلّيها ويطقّلها * وانما ضربت لك المثل بالكتب لانى اراك مبتلى بالمطالعة * وعندى امثال كثيرة غير ما ذكرت * وبعدُ فان فى الرجل محاسن كثيرة ذاتية ليست فى المراة * منها فردسة صدره والزّبب عليه * وارتفاع كتفيه وسعة صدره وشطط قوامه وشبح ذراعيه وكثرة العضل فيهما وعظم يديه وكونه قويا شديدا جَلْدبا زَخْزُبّا شَصْلبا شَنْزبا عِرْزَبّا عُصْلبا قُصْلبا كَثْنبا كَنْبا قَسْبا قَزِبا قَعْنبا هَقَبْقَبا اِصْليتا صِفتيتا مِصتيتا صنتيتا قِنعانا عَلَنْكدا قِسْوَدّا أَزبر مُحاشِرا ذَيْمريّا سِبَطْرا قَبَعْثرا عَبْهرا عَشَنْزرا قَوْعسا صُمُلّا عَبَنْبلا جرهامًا بُهْمة حُسَميّا شَيْظما عُجْرما عَرْزما عَرْضما عُرْدُمانا عُشَرّما فُسْحُما شُرُنْبثا قاهيا قِنْعاسا مُجَاجلا ذا جهارة وجُشّة (١) * فهذه كلها نعدّها نحن النسآ محاسن فى الرجل * وفيه محاسن

(١) سياتى مرادف هذه الالفاظ فى اخر هذا الفصل *

اخرى اعتبارية وهى صعوده المنبر مثلا خاطبا * وركوبه الجواد وتقلده السلاح * وما احسن الرجل اذا مشى وسيفه يمسّ الارض * ثم قالت لو كنت اعرف القراة والكتابة لالّفت على الرجال والنسآ اكثر مما الّف فى جميع العلوم ذلك الشيخ الذى ذكرت لى اسمه سابقا وقد نسيته لكونه ميتا * قلت هو الامام السيوطى رحمه الله * قالت نعم اكثر من السيوطى ومن جميع السوطيين * قلت ومن المِسْوطيّين ايضا * قالت ولكن الذنب على من غادرنى بغير تعليم * لان العرب يزعمون ان علم القرآة مفسدة للنسآ * وان المراة اول ما تستطيع ضم حرف الى آخر تجعل منهما كتابا الى عاشقها * مع انها لو خلّيت وطبعها كان لها من حيآئها وحشمتها عاضل اشد من الاب والزوج * بخلاف ما اذا حُظرت وحُجرت فانها لا تنفك تحاول التملّص والتفصّى مما حُصرت فيه * فمثلها كمثل المآ كلما زاد انبعاثا وجريانا زاد صفآ وانسياغا * اوكمثل السائر المسرع فانه كلما زاد اسراعا زاد حسّه ببرودة الهوآ اكثر * قال فقلت فى نفسى والله لقد احسنوا لو انها تعلمت القراة والكتابة لما بقى فى شعرى بيت الا وشطّرته وخمّسته على غير ما قصدت * اللهم انقل معارفها الى ما يفيد * واكفنى شرّ المزيد *

حاشية من مرادف القوى الشديد او الصلب الشديد وما فى معناهما العُثْعُت الكُنْبث الكُنْدث المِكْلَث المِلْيَث المَغِث العُضَافِج العَفَضّج العُلَّج الهَمَرَّج الصَلَوْدح الصَلَنْقَع الصَمَحْمَح الصَمَيْدح الكِرْدح الكَلْدح الدَحْوح المُجْلَنْدى الجَلْعد الجَلْمد الصَلْخد الصِمْقد

الضَهْيد العِرَبْدّ العَصْلد الأَقْود الذِفِرّ الذِمِرّ الذيمرى الزِبِرّ الزِمِر
الصَمْعَرِىّ الضَبير الضِبَطْر الضَبَغْطَرَى العَيْزار العَشَنْزر القَبَعْثَرَى
القُناصر الكُماتر التِيَزّ الجُلُبز الجُلافِز الخُزاخِز التُرامِز الدَخْز
الضُبارِز العَضَمّز العِلْكز العَلَنْكز الفِيَزّ القِلِزّ الكِلِزّ الملزّز الحُمارس
الدَخْنَس الدُراهس الدَلَهْمَس المتشمّس العَتْرَس العَكَنْدَس
العَمَرَّس القلمّس القُناعِس الهَكَلَّس الهملّس الفُرافِص الكَيِّص
المتخمّط الضَبَنْطَى الضِفَطّ العملّط المعلّط الضَليع الصَنِق
الدمَكْمك الصَمَكيك الصَمَلّك العَبَنّك العِرك الجَنَعْدَل الحُوَّل
العَرَنْدل العُنْشل الكَمْتَل الكُنْبل الكَنَهْدل النَبْتَل البُهْصم
الدِلَظْم المِرْجَم الضِرْغامة العَرْدم الفَيِّم القِرْشَمّ الهَيْزَم الهَيْصم *



Digitized by Google



الفصل السابع

في الحُزّنة

قد كان الكلام فى الفارياق حالة كونه فردا مُبْرِما فكيف به وقد صار الان زوجا * فارى الان تركه على الحالة الزوجية اولى * لان حديثهما هذا كان فى الليل فلا ينبغى التكدير عليهما فيه الى ان يصبحا ويذهب هو الى معبّره اى موضع التعبير الذى عيّن له * ولعل الجناب الكريم ايضا متاهّب بعد حُزّنة هذه الابازير الى الفراش * فارقد هنيّا * وان حلمت ليلتك شيا فابلغه مسامع الفارياق * فانه اصبح اليوم من كبار المعبّرين



Digitized by Google



في الاحلام

ها هو الفارياق جالسا على كرسي وامامه مائدة عليها كتب كثيرة ليس بينها صحفة من صحف الطعام * وبين اصابعه قلم طويل وبين يديه دواة فيها حبر كالزفت * وقد شرع في تفسير احلام رآها رئيس المعبر في منامه * الحلم الاول راى الهالج المشار اليه انه سافر الى بلاد الهند فوجد فرسا في الطريق طاعنة في السنّ ولا سرج عليها * فلما راته الفرس دنت منه ووقفت وهي تحمحم فجاوزها بعض خطىً واذا بها جرت وراءه * فلما ادركته وقفت ايضا فقال ان لهذه الفرس شانا * اني اريد ان امسك بناصيتها لانظر ماذا يكون من امرها * فلما مسّها تطاطات له كالمشيرة اليه أنِ اركب ولا تخف لعدم السرج * فركبها حيث كان قد اعيا من المشي وسار غير بعيد * واذا هو بدكان سروجي فنزل عنها واشترى لها سرجا ثم ركب وسار في مضيق حَرِج فيه اشجار كثيرة * فنشب في راسه بعض اغصان الشجر ومنعه من السير * فحاول ان يتقدم فلم يمكن له واشفق ان يهمز الفرس للاقدام فوقف يتفكر فيما عرض له وهو متعجب جدّا * واتفق انه مدّ يده وقتئذ ليحك راسه فاذا به قد نبت له ستة قرون * اثنان من امام على كل صدغ واحدٌ

واثنان من خلف واثنان في الوسط * وكان ذلك الغصن مشتبكا بها
كلّها * فتوصّل الى ان قطع الغصن من الشجرة لكنه بقى ناشبا فى
القرون * ثم سار وهو على هذه الحالة فكان كل من رآه يتعجّب منه
ويقول انظروا هذه القرون الستة فى راس هذا الرجل * وهو غير مكترث
بهم * حتى اذا دخل فى مازق مظلم تشرف عليه صخور وجنادل صدم
بعض الصخور اربعة من القرون * فانكسرت وسقطت وبقى له قرنان
من امام فقط * ولكن كان احدهما يميل الى الثانى ويماسّه ثم صارا
يتحاكان ويصطكان * وكلما اصطكا سُمع لهما صوت عظيم * فاقبلت الناس
من بعيد تنظر اليه وتتفرج عليه * فلما ضاق بهم ذرعا وراى كثرة
الزحام مانعة له من السير عزم على الرجوع * فابت عليه الفرس ذلك
وصارت تثب وتطفر قُدُما * وكلما ركلها برجله ازدادت وثبا وتقدما *
فنظر اليها كالمتعجب منها فاذا بلونها قد تغير عن اصله * فقال فى
نفسه لعل هذه الفرس غير الدابة التى ركبتها اولا * فنزل عنها ليكشف
عن سنّها * فلما اراد ان يضع يده فى حنكها رفسته وكدمته كدمة شديدة
غشى عليه منها * قال فكانّ الفرس حين ابصرته مجندلا مصروعا رقّت له
فجعلت تنفخ فى منخريه وتلحس مواضع القرون المكسورة منه حتى
افاق قليلا * فطفق يئنّ ويجأر بالدعآ الى الله لان ينجّيه مما الّم به *
فاشارت اليه الفرس براسها اَنِ اركب لنرجع من الطريق التى اتينا منها *
فقام متجلدا وركب * فلما وصل الى ذلك الموضع الحرج نبتت فيه
تلك القرون المكسورة وعادت كما كانت * فكان يلمس عليها وهو سائر *
فلما امسى عليه المسآ نزل فى خان ليبيت فيه ليلته تلك * وامر صاحب
الخان بان يُعنى بدابّته ويحضر له ولها عشآ * فلما انتبه صباحا وجد

Digitized by Google

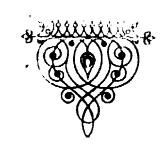
السرج قد سرق * فقال لصاحب الخان قد فقدت عندك سرج فرسى وما يتأتى لى ان اركبها بدونه * قال بل انت مبطل فيما تدعيه فانك حين قدمت كنت معروريا لها * فلجّ بينهما الخصام وتماسكا بالجيوب * فلما علم انه لا ينتفع بشى رضى من الغنيمة بالاياب * وقام الى الفرس وركبها وبقى سائرا الى المسآ فوجد خانا آخر فى الطريق فبات فيه * فلما اصبح الصباح واراد ان يركب لم يجد اللجام * فجرى له مع صاحب الخان هذا ماجرى له مع ذلك * ثم بات الليلة الثالثة فى محل آخر * وعند الصباح وجد فرسه بلا ذنب * وبقى كلما بات ليلة يفقد عضوا من اعضآ الفرس حتى بلغ مدينته ساعيا على القدم وغابت عنه الفرس بالكلية * فاما القرون فزال منها اربعة بزوال الفرس وبقى منها الاثنان المتقدمان * *

تعبيرة

لما القى هذا الحلم القرنى على الفارياق اخذ يعبث بشاربيه على عادته ويفرك جبينه بيده ويزوى ما بين عينيه * الى ان اهتدى الى تعبيره فكتب بجانبه ما صورته * هذا ما عبّر به العبد الذليل المسمّى بالفارياق لجناب المولى المكرم السيد ذاهول بن غافول عن حلمه الذى رآه فى منامه * ان الفرس كناية عن امراة * والمشى والاعيآ كناية عن العزوبة * والسرج كناية عن ادب المراة * واللجام عن عرضها * والمكان الحرج كناية عن الولائم والمآدب والزيارات التى يتجشمها المتزوج ويدخل فيها راسه وراس امراته * والغصن كناية عن بعض المدعوين الذين ينشبون فى الزوجة * والقرون كناية عن الحالة الزوجية التى يكون عليها

Digitized by Google

الرجل والمراة * ونبتها واضمحلالها كناية عن تغيير تلك الحال ورجوعها الى ما كانت عليه * ومبيته فى الخانات كناية عن سفره بزوجته * وغياب الفرس كناية عن فقدها * وباقى الحلم مفهوم بالفحوى والله اعلم * فلما اخذ التعبير وامعن النظر فيه مليّا رجع الى الفارياق عجلا وعلى طلعته آثار الغيظ وقال * ان فى تعبيرك خطا من وجوه * الاول ان عبارتك موجزة بخلاف عادة المعبّرين * والثانى ان الفرس ليست كناية عن المراة فان المراة عندنا لا تكون دون الرجل اى تحته بل هى اعلى منه * فيجب ان يكون تعبيرك بحسب اصطلاحنا لا بحسب اصطلاحكم * والثالث ان اللجام لا يكون كناية عن عرض المراة فان اللجام انما يوضع فى الفم وعرض المراة لا يكون فى فمها * ولكن ينبغى الان ان تدع هذا وتاخذ فى تعبير الحلم الثانى * فاجتهد فى التحرير والاسهاب * فعسى ان تصيب وتحرز الثواب *



Digitized by Google



الفصل التاسع

في الحلم الثاني

راى صاحب المعبّر اطال الله بقاه * وعظم مقامه بين الهالجين واعلاه * انه اراد يوما ان يكتب خطبة يتلوها على القوم في يوم عيد * فاخذ القلم والقرطاس وكتب حرفا واحدا * واذا بامراته تدعوه من حجرتها ليجوّربها * فترك الكتابة وحفد اليها * فلما جوربها ورجع راى ان قد ضمّ الى ذلك الحرف حرف آخر بحبر غير حبره * فقال في نفسه تُرَى من دخل حجرتي وخط هذا الحرف الذى ناسب ما اردت من المعنى * ثم اخذ القلم وكتب حرفا آخر واذا بامراته تدعوه ليربط لها شراك نعلها * فقام اليها وفعل ما امرته به ورجع فوجد حرفا آخر قد اضيف الى الثلثة الاولى حتى تمت به الكلمة فزاد تعجّبه من ذلك * ثم اخذ القلم وكتب كلمة تامة واذا بامراته تدعوه ايضا ليمشطها الكُعْكُبّة او والله اعلم المقدّمة * فقام ومشطها برفق ولين ثم رجع فوجد كلمة تامة اضيفت الى كلمته متلائمة بها * فاخذ القلم وكتب كلمتين فدعته امراته ليجمّرها * فترك الكتاب وقام ولما رجع وجد كلمتين تامتين * فلما تكامل له سطر دعته امراته ليعقد لها عُظّامتها * ثم رجع فوجد سطرا بجملته * حتى اذا تكامل له صفحة دعته امراته ايضا ثم رجع فوجد صفحة كاملة * وعند انتهآ الكراس وجد كراسا وقس على

Digitized by Google

ذلك الى ان كمل الكتاب * وكانت امراته قد فرغت من تفخلها وزينتها * فحمل الكتاب اليها واخبرها بما جرى له ففرحت بذلك فرحا لا يوصف * وقالت له انما حصل هذا ببركة خدمتك لى ومساعدتك اياى على الباسى * فينبغى ياعزيزى ان تواظب عليها * فلما كان فى الغد فعل ما فعله امس من الكتابة والخدمة ووقع له فيهما عين ما وقع له اوّلا * فزاد سرور كلّ منهما به * فلما حان العيد صعد الى المنبر وتلا الكتاب الاول فادهش السامعين ببلاغته وانسجام عبارته ودقة معانيه * حتى اذا فرغ اخذ الناس يطرئون عليه ويقولون له ما طرق مسامعنا كلام ابلغ من كلامك قط * فقال لهم هذا بيُمن الشراك فلم يفهموا * ثم رجع الى بيته مبتهجا متهلّلا واخبر زوجته بما جرى * فقالت له ان نصحى لك ياعزيزى ان تجتهد فى الخدمة والكتابة فاذا تكامل لك خمسون كتابا نقصد بها بعض البلدان البعيدة فتتلوها هناك * لانه لا يمكن لك فى هذا البلد ان تتلو خطبة الا فى يوم عيد والاعياد هنا غير كثيرة * ويكون من الخسران ان تبقى هذه الكتب الجليلة غير متلوّة * فقال لها الراى ما رايت * ثم انهما تجهزا للسفر الى بعض البلاد المشرقية ومعهما تلك الكتب قد ضمّنت صناديق من خشب الساج نفيسة وانفقا عليها مبلغا جزيلا * فلما بلغا طيّتهما اكتريا لهما دارا رحيبة مطلّة على الحدائق الناضرة * وارسل مناديا ينادى فى الاسواق ان احضروا ياقوم خطبة المولى ذاهول بن غافول فى يوم كذا وساعة كذا * ليسمعكم من المعانى البديعة ما لم يطرق مسامعكم قط * فحشدت اليه الناس افواجا افواجا * ولما استقروا فى المجلس صعد سلّما كان قد نصب له فيه * وفتح ذلك الكتاب الاول الذى كان اعجب به قومه واذا به ممحوّ لم يشتمل الا على الحروف التى كتبها بيده * فحاول

ان يصل بعضها ببعض ليستخرج منها معنًى مّا فلم يمكن له * فنزل عن المنبر خجلا وهكذا انتبه من نومه *

التعبير

هذا ما يعبره العبد الفقير الفارياق للمولى ذاهول بن غافول * ان ما توهمته من ضم الحروف والكلمات والسطور والصفحات والكراريس والاسفار الى كلامك الذى اعجب به قومك لم يصلح فى غير بلادك لارتباطه بربط العظامة والشراك * والله اعلم * فلما بلغت هذه العبارة للمشار اليه اقبل الى الفارياق وهو يخبط الارض برجله ويشمخ بانفه قائلا * هذا التعبير افسد من التعبير الاول * وهذه العبارة اخصر من تلك فلا يكاد احد يفهم ما تقول * واذا كان تعبير الاحلام غامضا مبهما كالاحلام فلا موجب لاستخدام معبرين وتكليف الناس قرآءة ما لا يفهم * فقال له الفارياق هكذا جرت العادة فى بلادنا التى هى معدن الاحلام ومنبت التعبير * فان روسكم لم تكتسب هذه الخاصّية الّا من روسنا * ولولا نحن لما عرفتم ان تحلموا مدة حياتكم كلها ولا حلما واحدا * قال فكانّ الرجل انتبه من غفلته وسكن من ثورته * ثم قال قد بقى عليك الان حلم واحد فهاكه *

Digitized by Google



الفصل العاشر

في الحلم الثالث

راى صاحب المعبر اطال الله مدة نيابته عن الهالجين * وحقق احلامه مع الفالجين * أن قد نصب له ذات يوم سلّم عال يشتمل على مئة درجة ليصعد اليه ويخطب القوم من اعلاه * فلما حلق لحيته وشاربيه ولبس ثيابه السلّمية ارسل من جمع القوم الى موضع معيّن * وكانوا كلهم قد علموا بذلك من قبل وسبقوه اليه * لما انه لبث ساعة ينتظر امراته حتى تقوم من الفراش فيرعّمها ويعانقها قبل توجهه * ثم تابّط كتابه واقبل يجرى الى ذلك المحشد العظيم ولم يلتفت يمنة ولا يسرة * فلما بلغ الموضع وراى السلّم منصوبا والناس مجتمعين حوله كاد يطير من الفرح * فقال فى نفسه هذه فرصة ما سمح الزمان لغيرى بمثلها * فساردّ اليوم هولآء القوم الى بيوتهم بقلوب مثل قلبى واخلاق كاخلاقى * ولو لم اعمل من الصالحات غير هذا لكفى * فقد كُتب اجرى عند الله * ثم تمادى فى الافكار * وثمل من الاستبشار * واستقبل السلّم وهو مدهوش * وما كاد يصل اليه الّا وقد مدّ رجله متفشّحا الى اول درجة منه من دون ان يسلم على احد من الحاضرين * ثم افتتح الخطبة بقوله * الحمد لله الذى امر بنصب السلّم وارتضاه له عرشا * فسمع احد القيام هذا

لاستهلال فانكره * وقال لمن كان يليه ما اظن خطيبنا اليوم الا معتوها *
فلست اشآ ان اسمع منه اكثر من هذا ثم ولّى * فصعد الخطيب الدرجة
الثانية وقال * وجمع الناس الى هذا المحفل المبارك وكلهم فارش اذنيه
للاستماع فرشا * فسمع كلامه آخر من الوقوف فقال هذه الفقرة شرّ
من الاولى * فانى لا ابالى بكون السلّم عرشا او نعشا وانما اغضب لاذنى
ان افرشها ثم ولّى * وما زال الخطيب يقول عند صعود كل درجة فقرة
ركيكة مثل هذه وينفضّ عنه شخص وهو غير منتبه لما شمله من الفرح
الذى اذهله عن رؤيتهم حتى بلغ درجة المنّة وقد انفضّ الناس كلهم عنه *
فلما استقر عليها التفت يمينا وشمالا فلم يرَ احدا * فقال فى نفسه قد
الفت خطبتى وجمعت لها القوم * وها هم قد تولّوا وبقيت الخطبة معى *
فمالى لا اتلوها جهرا فى هذا الموضع الشريف المترفع عن نجاسات الارض
وقذرها * فان لم يسمعوها هم يسمعها الله وملئكته * فانه يقال كلما بعد
الانسان عن الارض زاد تقربه الى السمآ * ولست ارى موضعا يصلح
للخطب اكثر من هذا * ولعلّ احدا من المارين يلتقط كلمة مما اقول
فتكون سببا فى خلاص نفسه ونفوس ذويه وجيرانه ومعارفه * فان لفظة
واحدة من فم واحد قد يكون فيها الموت والحياة * ومن العيب ان
اعود الى زوجتى واقول لها ان الخطبة بقيت غير متلوة * ثم انه مسح
عرقه واصلح صوته وثيابه بعد ان جعل الخطبة على الكتاب وجثا يصلى
قليلا ويدعو الله لان يلهم احدا من الناس ان يمرّ به ويسمعه * ثم قام
ناشطا مسرورا وقال * اسمعوا ياالخوتى الاحبآ وانصتوا اليوم لما انا قائله
لكم * واتفق وقتئذ ان مر به رجل من الشعرآ الغاوين * فلما سمعه
يقول ذلك ولم يرَ عنده احدا وقف وقال من اطلع هذا المجنون الى راس

Digitized by Google

هذا السلم * واين اخوته الذين يخاطبهم ام عساه يكلّم الجنّ فى الهوآ
ان في هذا لعجبا * ثم صاح به ان انزل يارجل ولا تعرض نفسك للهزء
والسخرية اذ ليس يسمعك من عباد الله احد * فلم ينتبه له الخطيب
لانه كان شاخص البصر نحو السمآء * فاعتقد الرجل بان به لَممًا * فاراد
ان ينزله باية وسيلة كانت واخذ فى قطع اوتاد السلم واطنابه * فلم يشعر
الا والسلم قد تقوض وسقط وسقط معه الخطيب وكتابه على راسد اى على
راس الشاعر * فتهشم كل منهما وتحطم *

التعبير

لا ينبغى للخطيب ان يكون ثرثارا * وان داوم المولى الطرّاد على الثرثرة
فلا يامن من ان يسقط سقطة تدق بها عنقه والله اعلم *
فكان هذا التعبير انكى له واقهر مما تقدم وذلك لنهيه عن كثرة الكلام
ولوجازة العبارة * فلما كان بعد ايام جآءه برقعة فيها ما صورته *
حلمت ان رجلا من اصحابى قد اهدى الىّ قنبيطا مما ينبت فى سهل
الاردنّ * فاتخذت منه عشآ وبتّ فرايت انى دككت اسوار مدينة فى
الجوّ تشبه مدينة اريحا فى حصانتها ومناعتها * فكتب الفارياق بجانبه

اذا ما تعشّى القُنّبيْط جُراضمٌ   رمى الجوّ من برج استه بجُلاهق
فيفعم ثقْبى منخريه عُجاجُها   فيرجع ايضا سبكها كالبنادق

فطالع امراته بذلك فقالت لعلّ الرجل قد اَلِف الان هوآء البلاد فانى
اراه ابتدا يصيب * وقد ذهبت عنه تلك الحدّة التى كانت تظهر سابقا
فى حركاته وكلامه * فساجرّبه انا الان بنفسى فى حلم رايته البارحة *

Digitized by Google

ثم اخذت رقعة وكتبت فيها * رات السيدة ورهآ زوجة السيد ذاهول بن غافول ان بيدها قفلا مصقولا مجلوًا ذا ثقوب كثيرة * وبيد زوجها مفتاح ذو ثقب واحد وقد صدئ * فكتب الفارياق تحته

المرء والمراة سيان فى الميل الى العشق وحبّ السفاح
لكنّ ذا مفتاحه قد يهى   وتلك مامون لها الانفتاح

فلما اطّلعت على المعنى قالت لزوجها هذا ما خطر ببالى قبل تعبيره * فما اقربه الان الى الصواب فخذ له هذه الرقعة الاخرى * فتناولها الفارياق واذا فيها * رات السيدة ورهآ ان قد كتبت على جبين زوجها عدد اثنين * فلما ابصر نفسه فى المراة حاول ان يمحوهما * فبادرته وامسكت يده فلم يقدر الا على محو واحد فقط * ولكن بقى الاخر غير ظاهر ظهورا بينا * فكتب تحته

فرض على الزوج ان يكفى حليلته   فى كل ليل ونَفْلٌ بعده يُرضى
فان تبدَّلَ لفظ الفَرْض بالرفض   تبدَّلت هى معنى العِرْض بالعَرض

فاستحسنت البيتين جدا ثم ناولت زوجها رقعة اخرى كتبت فيها * رات السيدة ورهآ سيدة السيد ذاهول بن غافول انها ترى الاسود بعينها اليمنى ابيض * والابيض بعينها اليسرى اسود * فكتب تحته

رضآ الزوج صعب ايّ صعب   ولا سيما اذا رات المِعَنّا
فتنظر فيك كل الحسن قبحا   وتنظر فيه كل القبح حسنا

فاستظرفتهما وقالت لزوجها اراه يحسن تعبير الاحلام النسائية القصيرة *

Digitized by Google

فاحلم لى الآن ياعزيزى حلما قصيرا واكتبه فى رقعة وانا اناوله اياها لننظر هل يستمر على هذه الطريقة معك او لا * فلما كان الغد جآته برقعة فيها * رُوى فى المنام شى مطاول * ثم ظهر لعين الرآي مستديرا ثم مطاولا ثم مستديرا وهلم جرّا * فكتب الفارياق تحته

قد كنت احسب هيئة الدنيا نظير الفرج اذ فى القدر يشتبهان
حتى استبانوا انها كالاست تد ويرًا فقلت تقارب الشَبَهان

فلما اطلع زوجته عليهما ضحكت وقالت اراه لا يتادّب الا معى * وانه ليشمّ الامور النسآئيّة شما فان هو الا زير نسآء * ولكن لا باس فى ان تجربه بحلم اخر وبعد ذلك نرى ما الذى ينبغى ان نصنعه معه * فلما كان الغد جآه برقعة فيها * قد رايت ان يدا خطت على صدغى عدد ثلثة ثم توارت * فمددت يدى الى صدغى لاحكّه فمحت من العدد ستّين فصار الباقى واحدا ذا عوج * فكتب الفارياق تحته

تكلفنى زوجى ثلثا ولم أُطق سوى صرعة والعجز من ذاك لا منّى
فقلبى وطرفى لا يملّان بتّةً كمَهْبلها لكنّ ذلك لا يغنى

فاخذ الجواب واقبل يهرول الى امراته * فلما اطلعت عليه ضحكت وقالت انه لا يزداد معك الا جنونا وسفاهة * فينبغى الان ان تدعه حتى حين وقم انت الى الصرعة * فقاما اليها واستراح الفارياق منهما اياما *





الفصل الحادى عشر

فى اصلاح البخر

كان قد بلغ مسامع حاكم الجزيرة ان الفارياق قدم اليها لتعبير الاحلام وانه خبير بهذا الفنّ جدا * وان به ملكة ايضا على اصلاح البخر * فبعث اليه ذات يوم بعض حجّابه يقول له ان الحاكم يدعوك اليه اليوم لمسألة مهمّة فلا بد من ان تنفد عليه * فلما حانت الساعة توجه الفارياق اليه وهو موجس من ان يكون الحاكم قد حلم حلما حكميّا جليلا يعسر عليه تعبيره * لان العظمآء لا يحلمون الا الاحلام العظيمة * فهم منزهون عن جلاهق القنّبيط ووهى المفتاح والصرع وغير ذلك من الاحوال الخسيسة اللائقة بالصعاليك * فلما مثل بمجلس الحاكم قال له قد بلغنى قدومك الى هذه الجزيرة عند الخرجى * وانه قد ضايقك بكثرة احلامه وما كفاه ذلك حتى علّم زوجته ايضا ان تحلم مثله * فهل لك الان فى تعاطى مصلحة لدينا تخفف عنك احلامه وتشتل كيسك * قال ما هى ياسيدى * قال ان عندنا فى هذه الجزيرة قوما بخرا لا يطيق احد ان يفهم منهم شيا اذا تفوهوا لشدة بخرهم * وقد سمعت انك قادر على علاجهم فهل لك فى اصلاحهم ولك عندنا المكافاة الحسنة * قال الامر اليك ياسيدى ولكنّى كاهن المعبّر * قال انى باعث الان الى الخرجى

من يخبره بذلك فلا تخش منه ضيرا * قال جزاك الله خيرا * انك اهل للخير والفضل * ثم انصرف من حضرته من غير ان يرجع القهقرى * لان حكام الافرنج لا ينكرون على الرجل ان يروا منه قفاه او ظهره او بطنه لا بل بطونهم اظهر من ظهورهم * فلما بلغ الى منزله واخبر زوجته بذلك وكانت قد ابتدأت تتهجّى قالت * بورك من يوم انى رايت فيه بدكان جوهرى عقدا نفيسا * وكانى رايت عليه حروفا ظهر لى انها ك س ب ا ل ب خ ر فهل يخرج منها معنى * قال يخرج منها معنى انى اشتريه لك من الدراهم التى تحصل لى من وظيفة البخر * قالت نعم فانى كنت اسمع امّى تقول لابى ان الرجل اذا بذل راس ما يتحصل بيده من الاموال فى شرآ حلى ولباس لزوجته بارك الله له فى ذنبها * اى فى ذنب الاموال لا فى ذنب امراته * قال فما الفائدة اذا من هذا البذل اذا لم تشمل البركة الطرفين * قالت لزيادة جمال زوجته * قال اما انا فراضٍ بما فيك من الحسن الطبيعى فلمن هذه الزيادة * قالت هى تزيدك حبّا الىّ * وتبعث غيرك ايضا على ان يحسدوك علىّ * ويتمنّوا لو انى كنت لهم * قال اللهم اكفنى شرّ المزيد * ولكن لا بدّ من شرا العِقد * فهو اولى من انحلال العَقد * فوعدها بذلك فاتّبعدت بحمد الله تعالى ولمست جيدها * فلما مضى الشهر وقبض المرتب له انجز لها وعده * فقالت هو من دراهم البخر ولكنه احسن من الندّ * لقد قسم الله بيننا اعدل قسمة خذ انت دراهم الهُلج واعطنى دراهم البخر * فقد رضيت بهم * قال فقلت لها لا تقولى بهم ولكن بها * فان بهم يرجع الى البخر * قال فهينمت بكلام لم اسمعه كله وانما سمعت من آخره قولها واى ضرر من هم * فقلت لها واى حيزبون

انت * فالتفتت الى الباب فلم ترَ احدا فقالت اين الزبون * ثم استمر الفارياق في الوظيفتين المذكورتين معبّرا ومصلحا مدة مكّنته من حل مشاكل زوجته * واتخذ له متاعا فاخرا وآنية حسنة وصار يدعو الناس ويصنع لهم ولائم * وكان للحاكم عادة ان يدعو جميع المعروفين في خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنسآ بحضرته * وكان من جملة المدعوّين الفارياق وزوجته * فلما رات الرجال يرقصون وهم مخاصرون للنسآ قالت لزوجها * هل هولآ النسآ ازواج هولآ الرجال * قال منهن هكذا ومنهن بخلاف ذلك * قالت وكيف يخاصرونهن اذًا * قال هذه عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الافرنج * قالت وبعد المخاصرة ما يكون منهم * قال لا ادرى ولكن بعد انفضاض الناس يذهب كلّ الى منزله * قالت اشهد بالله انه ما خاصر رجل امراة الّا وباطَنَها * قال لا تسيئْ الظن انها عادة قد مشوا عليها * قالت نَعَم هي عادة ونِعْمت العادة * ولكن كيف يكون احساس المراة حين يلمسها رجل جميل في خصرها * قال فقلت لا ادرى انما انا رجل لا امراة * قالت ولكن انا ادرى ان الخصر انما جعله الله في الوسط مركزا للاحساس الفوقي والتحتي * ولذلك كانت النسآ عند الرقص والقرص في اي موضع كان من اجسامهن يبدين الحركة من الخصر * ثم تنفست الصعدآ وقالت * ياليت اهلي علموني الرقص * فما ارى فيه لانثى نقص * فقلت لو فتحتِ الصاد في كل من المصراعين لكان بيتا مطلقا * فقالت ياللفضيحة بين الانام * اتقول هذا الكلام في مثل هذا المقام * قلت هيت الى البيت * فقد كفاني ما سمعت الليلة وما رايت * قالت لا بد من ان ارى ختام الرقص * قال فلبثنا

Digitized by Google

الى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهى سائرة * نسآ مع رجال
راقصات * رجال مع نسآ راقصون * راقصات راقصون راقصون
راقصات * فقلت فاعلات فاعلون فاعلون فاعلات * قالت الرجال
والنسآء والبنون والبنات * كيف — متى — اين — ثم بعد ايام
ورد على الفارياق حلم مشكل فى وحش ذى قرون واذناب كثيرة
وشيات وبقع شتى فى جلده * واراد صاحب المعبر ان يعرف تاويل
كل قرن وسرّ كل بقعة * فعسر عليه ايشاؤه فذهب الى منزله
مبتئسا متسخطا * فقالت له زوجته ما بك * قال همّ ونكد * قالت
ما سببه * قال كلما تخلصت من ورطة وحلت فى اخرى شرّ منها *
قد كنت من قبل مداحا للسرى بما لم ارد * ثم صرت عشير المجانين *
ثم معبّر الاحلام * ثم مصلح البخر * وكل ذلك على غير ما اروم فما
انكد هذه المعيشة واضيق هذه الدنيا علىّ * اليس فى الارض مندوحة
عن هذا * قالت خفف عليك ياسيدى ان كل انسان فى الدنيا
له نصيب من الحزن والهم * حتى المراة ايضا لا تخلو من الهمّ فدابها
كل يوم ان تزجج حاجبيها * وتكحل عينيها * وتورد خدّيها * وتخفف
خطو قدميها * وتنظر فى المرآة مئة مرة كيلا ترى شعرة قد انفردت
عن سائر شعرها * ثم تخاطب نفسها فى المراة وتضحك وتتبسم
وتُهلس وتغمز وتلوى جيدها وعطفها وتتنفّس الصعدآ وغير ذلك *
لتعلم كيف تبدو منها هذه الافعال فى عيون الناس * قال فقلت
اهذا وقت الجدّ ام الهزل * انا اقول لك ان للوحش اذنابا وقرونا
وشيات لا تحتمل التاويل * وانت تذكرين الغمز والابتسام والتكحيل *
قالت ليس فى كل يوم ياتيك وحش مثل هذا وانما همّ النسآء فى كل

صباح ومسآ ضربة لازب * وحسبنا بالغربة همّا وحزنا * قلت اما انت قريرة العين هنا وقد تمتّعت بالحرّية فى الخروج وحدك * وفى رؤية الناس وفى رؤيتهم لك بما لم تعهديه من قبل فى دولة البرقع والحبرة * قالت انما ينغصنى كونى لا استطيع ان ابلّغ اهل مصر اى النصارى منهم قبطيّهم وشاميّهم ما يراد من الزواج مما لم يعرفوه بعد * فانهم يحسبون ان الله تعالى انما خلق المراة لمرضاة الرجل فى فراشه وخدمته وخدمة بيته * فترى طلعة الرجل منهم اذا جاء منزله وواجه امراته كطلعته حين غاب عنها سوآ * وانه ليقعد بعيدا عنها قعدة المستريب المتفكّر * واذا نظر اليها فما ينظر الّا الى شعرها ليرى هل به شعث او لا * ثم هو لا يصاحبها امام الناس اذا شعثته الريح وغيرها * ولا يلبسها ولا ياخذ بذراعها اذا تماشيا * بل قلما يمشى معها الّا اذا سارت لتنظر اهلها غيرة عليها من ان يكلمها احد فى الطريق او يراها فترجع حبلى من النظر بفذّ ومن الكلام بتوأمين * فاذا حضر الطعام تعشى وهو ساكت وجم كانما ياكل شيا مسموما * وربما كلفها غسل رجليه قبل النوم او تكبيسهما حتى يجيئه النعاس * وهو فى خلال ذلك يرمش ويُرضك ويتثآب ويتمطى * ثم يرقد دون عُفّز ولا حفز * وكلّما كان عيد لاحد مناجيف الرهبان تابّل عنها * ويلزمها ان تقول له بحضرة الناس نعم ياسيدى * واحسنت ياسيدى * وربما كان ذلك السيد سيدا عملّسا * او كان من اكبر الحمقى وكانت هى رشيدة لبيبة فلا يسعها الّا ان تتبعّل له * ولا يمكنها اذا رات منه غواية ان ترده الى طريق الصواب * فقد تقرر فى عقول النَوْكَى المآفيك ان عصيانهن النسآ طاعة لله حسنة *

حتى اذا وقع منكوسا على ام راسه رجع الى امراته باللوم والتبكيت * قال قلت قد روى عن النخعى انه قال من اشراط الساعة طاعة النسآ * فقالت كانى بالافرنج قد حشروا او يحشرون الليلة * ثم استمرت تقول واقبح من هذا كله ان الرجل عندنا اذا كان كهلا لا يستحيى ان يتزوج ببنت لم يات عليها بعدُ نصف عمره * فاذا استقرّت عنده شرع فى تربيتها وتنبيتها وتوليدها من ذى أُنُف وعاملها بالنفاق والدهان * فقد يكون خبيثا فاجرا ويوهمها انه ذو صلاح وتقوى يتورّع من اللهو والسماع وعشرة الفتيان الكيّسين * وما يخطر بباله ان مغايرة السنّ بين الرجل وامراته هى من اعظم الاسباب الباعثة لها على فركه * بل يعتقد ان مجرد كونه فاعلا وكونها هى مفعولا يقضى له بالمزية والفضل عليها * فقلت ان دعوى الفاعلية ما اراها الّا باطلا * فان المفاقمة والمباضعة والمواقعة واخواتها تدلّ على ان الفعل مشترك بين اثنين * وانما الافضلية باعتبار البادئ * قالت ليس الابتدآ متعينا على واحد دون الآخر فايّهما بدا صحّ * فلا مزية لاحدهما على صاحبه * هذا وكم من مرة لمجرد هذا الوهم يغادر الرجل امراته وحدها فى البيت ويقضى ليلته عند احد اصحابه * فيتعاطى معه المدام حتى يسكر ويذهب ما عنده من قليل العقل * فلا يقدر على الرجوع الّا اذا حمل بين اثنين كالجنازة * ثم هو لا يفرق بين ان تكون زوجته حبلى او غير حبلى * فتراه يكلمها وهى فى تلك الحالة بعين الكلام الذى كان يكلمها به من قبل * وربما دمق عليها كالضاغب فمناها بمَرْعبة * او اسمعها الضَبَغْطَى والضَبَغْطى والضَبَغْطَرَى وايه ودُخْدُخ وهَجاجَيْك وهذاذيك * او كان عليها دُبُوقآء او لِزاقا او طَباقآء او عَباقآ او

عَيايا او عَباماً * فنهاية رفقه بها وشفقته عليها انما هو ان يشترى لها جارية او يستخدم وصيفة * وليس المقصود بذلك مجرد تخفيف الشغل عنها وانما المقصود جعل الامة او الخادمة رقيبة عليها حتى لا تخونه في عرضه * ولا اقول في ماله لانه لا يخرج من البيت الا بعد ان يقفل صناديقه * مع ان الجارية لا تكون الا ذات ضلع مع سيدتها عليه وان شتمتها بين يديه واهانتها * لانها لا يهمها كون سيدتها تحب واحدا من الرجال او اثنين او عشرة * بل يهمها ان تنال عندها الطيب من الماكول والمشروب * فاذا كانت زلّة سيدتها كما يقال تحت يدها ادلّت عليها بتلك الزلة وتجرأت على ان تطلب منها ما تشآ * لا بل تتمنى ان سيدتها تكثر من العشّاق ما استطاعت * لانها تومل منهم الصلة والاحسان * ومعلوم انه كلما كثرت العشاق كثرت الصلات * وبعدُ فان من طبع النسآ في كل زمان ومكان الارتياح الى شواغل الهوى وبواعث العشق * وان يرين اهل الدنيا كلها مسترسلين اليها ومنهمكين فيها * فالجارية التى تكون عند سيدة حرّة على فرض صحة ذلك لا تلبث ان تغاصب سيدتها حتى تغرى زوجها ببيعها فيقع نصيبها عند اخرى غير حرّة * غير ان الرجال مغفلون * نعم هم مغفلون * فاما تبجّحهم بكونهم يشترون لازواجهم حليا في ربيع يُسْرهم فذلك عائد الى خيرهم * لانهم لا يلبثون ان يسلبونهنّ اياها في خريف عسرهم وافلاسهم * فاية امراة ترضى لنفسها بان تقعد في بيتها كالفرس المسرج المعدّ للركوب وهي محرومة من معاشرة الناس * قال فقلت والله ما قلت كلاما احسن من هذا * وهذه اثار النجابة بدت تسطع من طباعك فحيّاك الله وبيّاك * قالت

وما بيالك قلت ليس بشى * قالت ولكنها عندى حسنة للازدواج * قلت كانك تقولين انه من قبيل تزويج لفظة باخرى فيشم منه رائحة الزواج * قالت نعم الزواج سارّ حتى فى الالفاظ * قلت ولكن بقى لى عليك اعتراض وهو انك عرّضت فى اول خطبتك هذه البليغة التى افادتنى اكثر من خطب صاحب المعبّر بانى اصلح شعرك وثيابك امام الناس * او بانه يلزمنى ان افعل ذلك وهو مما فات فكرى * قالت

انك لمّا تفعله ولكن ستفعله ان شآ الله عن قريب * فانى

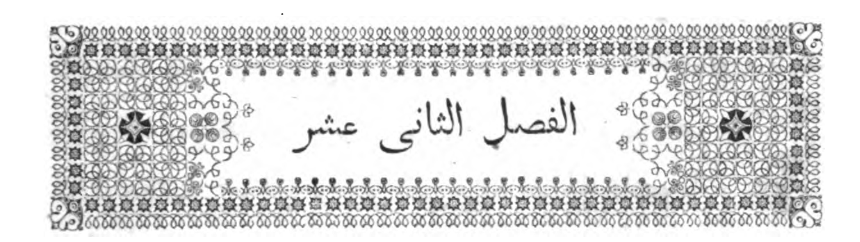
اراك تقدر النسآ ولا تبخسهن حقهن

وانى واحدة من عباد

الله هولآء

*





الفصل الثانى عشر

فى سفر ومحاورة

ثم لما كان الغد ذهب الفارياق الى المعبر وهو موجس من تعبير الوحش * فجآه الرئيس يقول قد عنّ لى ان اسافر الى ارض الشام لاجل تغيير الهوآ * فان هوآ ذلك القطر طيب والاحلام فيه تصح ويسهل تعبيرها * وانى اراك مثلى ضعيف القوى ناحل الجسم فتجهز للسفر فعسى الله ان يوفق لنا اسبابه ونعود بخير * فاستاذن الفارياق الحاكم فى ذلك فاذن له كرما وتفضّلا * فاقبل على زوجته يودعها ويقول * عهدى اليك يازوجتى بادى بدء ان تتذكرى السطح فيبعثك على حفظ العهد والوداد * وان تعنى بامر ولدى * الذى اغادر عندك معه كبدى * واذا اتاك فاسق بنبأ عنى فتثبّتى * اى اذا قال لك غدا احد ممن حسدنى عليك قد مات زوجك فى البحر واكله الحوت ولم يبق فى عالم الوجود سوى اسمه فلا تركنى اليه * قبل ان يرد اليك كتاب منى تعتمدين عليه * قالت ولكن كيف تكتب لى اذا كان الخبر صحيحا * قال فقلت يكتبه لك صاحب المعبّر * ولكنى ارجو ان اصل سالما وتقر عينى برؤية اهلى واهلك وابلغهم سلامك * قالت الّا تعيّن لى مدة لارسال الكتاب * قلت شهرين * قالت هذا دهر دهارير اية امراة تصبر شهرين * قلت نحن سائرون فى سفينة

الريح فان الطبيب قال لصاحب المعبر انها اوفق من سفينة النار لما في هذه من رائحة الفحم التي تضر بالمصدورين * قالت افعل ما بدا لك ولكن احذر من ان تفيق وتهوى غيرى * قلت انما احذر من الثانية لا من الاولى * قالت لا بل منى فاحذر * قلت انما عنيت انى احذر من الهوى * قالت نعم اياك واياه فانه يزيدك ضنى * قلت ليست البلاد التي نقصدها مظنّة لذلك كهذه الجزيرة * قالت النسآ والرجال في جميع البلاد سوآ * ولا سيما انك الان في زى غريب والنسآ كلهن يتهافتن على الغريب * كما ان الرجال يتهافتون على الغريبة * قلت قد فهمت هذا التعريض غير ان المراة المصونة اذا دخلت بين جيشين تخرج كما دخلت * قالت نعم تدخل امراة وتخرج امراة * قلت واين المصونة اراك حذفتها * قالت في زمن الفِطَحْل * قلت وما الفطحل * قالت دهر لم يخلق الناس فيه بعدُ * قلت من اين علمت هذه اللفظة الغريبة * قالت سمعتك مرة تقولها فحفظتها وهو دليل على التهافت على الغريب * ثم سكتت مفكرة ثم ضحكت * فقلت لها مِمَّ تضحكين امن الفطحل * قالت لا وانما ذكرت حكاية عن امراة سافر عنها زوجها فضحكتُ * قلت وما هي * قالت كانت امراة متزوجة برجل يريبها في بعض احواله ولم تكن على يقين مما رابها منه * واتفق انه سافر عنها فحزنت لفراقه لكنها ظلت واجدة عليه * فجعلت مرة تدعو له واخرى تدعو عليه * وقالت ان كان بريـٓئا بلغته دعواتى الصالحة والّا فيلحقه غيرها * فقلت هل في نيّتك اذا ان تحاكيها * قالت معاذ الله ان ادعو * قلت قولى لك او عليك حتى يفهم المعنى * قالت عليك * قلت لله انت ما ارى لى من يديك مُنْجى * فالتفتت الى الباب وقالت

ما جآ احد * قلت دعيني بحقك من الزبون ومن مَن جآ فانا الان على جناح السفر * قالت سِرْ في امن الله ولا ترتَبْ فان للهزل وقتا وللجدّ وقتا وعرض المراة هو من الاخير * قلت وهذا ايضا كلام موجّه كانك تقولين انه ليس من الامور المقدّمة * قالت كَلَّا كن مطمئنا سوآ كان من هذا او ذاك فانك ستجدني كما فارقتني ان شا الله * قال فودّعتها والدمع هامل على جيدها وبكت هي ايضا لفراقي فانها كانت اول غيبة عنها * وكان من خلقها اذا بكت ان تبدو في طلعتها لوائح وجد شائقة * وملامح حسن رائقة * والنسآ اشوق ما يكون اذا بكين * ولكن لا يكن كلامي هذا باعثا على ضربهنّ شلّت يدا من مسّهن عن غضب * قال فتزايد بكآي لبكائها واحسست ج بلوعة الفراق * ثم اقلعنا وما كادت تغيب الارض عنا حتى ثارت لواعج الاشواق في صدري وخطر ببالي كل ما قالته لي مصبوغا بالوساوس والهواجس * قال ومن كان جِلْس بيته لم يفارقه ولم تبرح رائحة زوجته فاغمة منخريه لم يدر ما الم الفراق * بعد ليالي الوصل والعناق * ولا سيما اذا جرى ذلك اول مرة * فينبغي اذًا ان اصوّر لخاطر صاحبنا هذا الحلبيّ المفغومي بعض ما يقاسيه المحب من لوعة البين * عسى ان يرقّ قلبه فيدعو لجميع النائين عن احبابهم بقرب الوصل وجمع الشمل فاقول * ان الفراق طالت مدته ام قصرت قربت طيّته ام بعدت عبارة عن فصل احد المتواصلين وحرمانه من انس صاحبه * وقد تكون لوعته اشدّ من لوعة الموت * لان فراق الميت مقرون بالاسف والتحسّر * وفراق الحيّ بهما و بالغيرة ايضا * وهي في مقابلة اليأس المتسبب عن فراق الميت بل هي اشدّ مضضا منه * هذا في حق المتزوّجين المتحابّين فاما في حق الكارهين فلا اسف ولا حسرة على

Digitized by Google

كلا الحالين * ثم ان المحب المفارق اذا فارق حبيبه ورغد عيشه في غير وطنه * من طعام لذيذ ياكله او مسامرة مطربة او سماع غنآ يتلذذ بهما او روية اشيآ بديعة ووجوه ناضرة سنيعة تقرّ بها عينه * فاول ما يخطر بباله انما هو حبيبه النآى فيقول في نفسه * ألّا ليته الان حاضر عندى ليشاركني في هذا النعيم * فانى احسبه اليوم محروما منه بل ربما كان على قلبه غشاوة من الحزن والكمد * فكيف يتاتّى لى ان الهو وافرح وهو محزون * وكيف يمرئنى الطعام ويسوغ لى الشراب * وهو الان لعلّه مُقْهٍ عنهما وحشة واكتئابا * الى غير ذلك من الخواطر المكدرة * والافكار المحسّرة * فاما اذا قاسى جهدا ونكدا بعد فراقه فانه يقول * وَيْبًا لى وويحا وويخا وويسا وويلا وويها * ان عيشى الان نكد ذميم * وحالتى موحشة وفوادى كليم * وقد جرى بيني وبين اليفى الاتفاق على ان نكون شركا في السرآ والضرآ * والنعمآء والباسآ * واحسبه الان مفنقا منعّما * مترّفا مترفها * بَرِئا بَرِجا بَرِغا طَرِحا * يسامره في الليل كل ربيز ظريف * ويجالسه في النهار كل كيّس لبيب * ألا وكانّى به اى بها تبتسم الان ابتسامة رضى واعجاب لمن اطرأ على محاسنها وجمالها فقال لها * ليتك كنت تتخذين عوذة لتردّ عنك عين الحسود * فانى لا اسمح بهذا الوجه المنير الوضّاح ان يراه كل احد من الناس * ولا ينكر ان يتشهّق عليك من ابتلى بامراة دميمة فان العين حقّ وان جمالك فريد * فما يكون جوابها له الا ان تقول له * ما احسن عينيك فانهما تريان الشى كما هو * فامّا عينا زوجى فان عليهما غشاوة * وان من مذهبه الفاسد ان يقول ان العين اذا الفت شيا مهما كان بديعا في الحسن قلّ اشتياق النفس اليه * او كما تقول العامّة ما تملكه اليد تزهد فيه النفس * غير انى اخشى

Digitized by Google

من انك اذا اكثرت من النظر اليّ والقرب منّى لا تلبث ان تتمذهب بمذهبه فتراني على غير ما انا عليه الآن * فيقول لها معاذ الله هذا كلام الجهال * فاما الصادقون مثلى فى الحبّ * وهيهات مثلى * فانهم ابدا يتمثّلون بقول ابى نواس

يزيدك وجهها حسنا   اذا ما زدته نظرا

وانى اشهد الله عليّ وهو خير الشاهدين * وملئكته المقرّبين * وانبيآءه ورسله المكرّمين * انك اذا عاشرتنى العمر كلّه فلن ترى عينى بشرًا احسن منك * فتقول له هذا شان الرجال دائما من انهم يتملّقون المراة ليفتنوها ويخدعوها * فمرّة يقولون لها تبارك الخلّاق * ومرة افدى الغزال الشارد * ومرة ياسعد من كنتِ له * او طوبى لمن راى طيفك فى المنام * وتارة ينظرون اليها وقد غرغرت اعينهم بالدمع * وتارة يزفرون وينحبون * كل ذلك حتى يتمكنوا منها مرة او مرتين ثم هم من بعد ذلك عنها معرضون * وبسرّها بائحون * فنحن منكم على حذر * ولا يخفى علينا ما بطن منكم وما ظهر * فيقول لها معاذ الله * حاشَ لله * استغفر الله * ما شانى شان المتملّقين الملّاذين * ولا طبعى طبع الفاسقين * بل ان لسانى فى هواك ليقصر عن بيان ما تجنه سرائرى * وما يخطر بخاطرى * فياليتنى اعرف لغة اعبّر بها عن فرط وجدى بك وتوقانى اليك * ولو اطّلعت على ضميرى لصدّقتنى وعلمت انى لست كاحد الناس وان غرامى فوق كل غرام * فاطيلى عشرتى ولو بدون وصال ليتاكّد لك صحة ما اقول * فتقول له وقد فتحت لهاتها وزال ضَرَسها * وما الفائدة فى ذلك فان المراة ليست نجما يرصد طلوعه وغروبه * ولا برقا يشام ليعلم هل هو خلّب او ماطر *

ولا اجية يحاول فكّها وايشاؤها * وما يهمّها ان تكون اجمل من سائر النسآ وجها وانما يهمّها ان تكون اشوق للرجال وافتن * فان التشويق لا يتوقف على الجمال قدر ما يتوقف على حسن الشمائل والمحاضرة والملاطفة والمؤانسة والغنج والدلال والافترار والحدقلة والترنجح والغرنقة والوكوكة والتراد * فيقول لها نعم سبحان من جمع جميع هذه الاوصاف الحميدة في ذاتك الفريدة * فكل ما فيك شائق وكلّ ما فيّ مشوق * فتقول له وقد ازدهر وجهها سرورا واعجابا * قد يقال ان نبض العاشق يكون مضطربًا فدعني اجسّ نبضك لاعلم هل ما قلته صدق او لا * فيقول لها نعم نعم خذي يدي فجسّيها واجعلي يدك الاخرى على قلبي * فتفعل ذلك * فيقول دعيني اذًا افعل بك كما فعلت بي لتنكشف هذه الحقيقة لكلّ منا * فتجهش وتحمرّ عند سماعها قوله افعل بك ويضطرب نَبْضها ثم تسكن وتمدّ له يدها * فيجسّها باحدى يديه ثم يضع الثانية على قلبها ثم يرفعها قليلا وقد احمرّ حملاقه واندلع لسانه * ثم يزفر زفرة طويلة ويقول

لك اللّه من قرموطة ملأتْ يدي	لقابضها قبض على كُرَة الارض
لأسحمها انسانُ مقلتيَ الفدا	وكلّ عزيزٍ من متاع ومن عَرَض

فتقول له وقد دُغدغت ولكن عروق الانسان النابضة فيه ليست في يده وقلبه فقط بل هي في سائر اعضآئه * فينبغي على هذا ان نجسّ كل عضو فينا لنعلم ايّنا اكثر حركة وانتفاضا ونغضانا ونبضا وازًا ونَبْضا وأُزوحا وحُبَضا * اذ لا يصح الحكم على شي الّا بعد الاستقرآء والاستقصآء * فيقول لها وقد طرب وجدا وحبورا نعم نعم نعم القول ما قلتِ * غير انه لما كان

للانسان يجهل حاله وكان من طبعه ان يلاحظ فى غيره ما لا يلاحظه فى نفسه * كان لا بدّ من ان يكون هذا الاستقرآ بالتخالف اى — فتبتدره قائلة قد فهمت ما عنيتَ وهو معلوم بالبديهة ومستغن عن التفسير وهذا هو الذى قصدتِ * فهات يدك وخذ يدى * حتى اذا جالت الايدى بالجتّ والجس * والمَتّ والمس * والنجث والنجش * والبحث والمعش * والضبث واللمش * والطمث والملش * والفحث والفتش * والقبث والمتش * والمرث والمرش * والمغث والمعش * والنبث والنبش * والنقث والنكش * والنث والنتش * قالت وقد قوى حَبْضها اَلَا هَيْتَ لك * الا هيت لك * فان قولك على ايّ الحالين صدق * فيقول لها لَبَّيْك وسَعْدَيْك لقد طالما شبحت يدى بالدعآ لان اسمع هذه الدعوة المنعشة وهذه النغمة المطربة — أَعَلى هذا كان الفراق * ام من اجل هذا حسّنت لى السفر بان قلت لى ذات ليلة انى ارى بك يارجل فتورا * فلو سافرت الى ارض طيّبة الهوآ لعاد اليك نشاطك القديم * فعدنا الى ذلك النعيم * افكانت هذه حيلة منك على تغييبى ليخلو لك الميدان فتمرحى فيه كيفما شئت وتتعاطى علم جسّ النبض وحركات الاعضآ * الم يكن لى نبض كسائر الناس فتتعلمى به هذا العلم الجليل * ام تزعمين انه ضعيف لا يصلح لان يتعلّم عليه * على انه ان يكن قد ضعف فانما ضعف بتسببك * وعهدى به من قبل ليلة عرسنا له ضَرَبان وانتفاض وانغاض * افهكذا يفعل المتفارقون * وبمثل هذا يخون المترافقون * ايحلّ لك من الله ان تتنعّمى الان وانا فى حالة البوس والشقآ * بَطَرًا تجسّين العروق واننى عِرق المجسّة انّ بى عُرَوآء * الم يكفِ ما كنت اقاسيه معك فى البيت حين كنت اغدو منه كادحا * وارجع اليه رازحا * وكانت همومك كلها

عليّ * ولومك كله متوجها اليّ * فكنت انصب لراحتك * وآرق لاجحاحتك (١) * والغب لتشبعي * واجهد لترتعي * وابرد لتدفأي * واقلق لتهدأي * واتهجد لتتهجدي * وانحل لتمغدى * فقد تبيّن الان انّنا ذو امانة * ومداهنة وخيانة * واذ كنت اقول لك ان الامانة في النسآ اقل منها في الرجال * فان الرجل ابدا مشغول البال * مضعضع الاحوال * يلهيه عن اللذات كدّه ونجله * ويصرفه عن هواه رشده وعقله * والمراة لا همّ لها الّا تشويق الرجال * وفتنتهم بها في كل حال * كنت تقولين لا بل المراة اكثر حشمة وحيآ * واقلّ نهمة ورئآ * واميل طبعا الى التعفف * وابعد خلقا عن التكلّف * فان جمعنا الدهر يوما وافضنا في حديث الوفآ * والمودّة والصفآ * حججتك بما لا تقدرين معه على الجواب * واظهرت فضل الرجل على كل ذات نقاب * الخائنات الحانثات * المائنات الغادرات * فان ابيت الا الجحد والمكابرة * فالهراوة لديّ حاضرة * واليد للّطم واللّكم مبادرة * فاذا امسكت بناصيتي او جيبي * واذعت بين الجيران عيبي * جعلت لك من الشجاب صليبا * او من الذأط نصيبا (٢) ومتى خطر بباله ذلك هاج به الغيظ كل هياج * وودّ لو يطير الى بيته مع العجاج * فينقلب فرحه ترحا وصفاؤه تكديرا * قال غير ان للحزن في مبادئه فائدة * وهي ذود شوارد الامال المغررة والاماني المحالة الى مراح البصيرة والرشد * بحيث يسكن البال * عن الحوم على موارد المحال * ويستقرّ الحال * على فطم النفس عن الاحتيال * والى هذا اشرت بقولي

ورُبّ حزنٍ يصون القلب عن سَفَهٍ — كما يصون إناءً واهيا صداهُ

وما انقضى من لذاذات الهوى عجلا — سيّان غايته عندي ومبتداهُ

(١) اجحت المراة حملت فاقربت وعظم بطنها *

(٢) يقال ذأط وذأط وزعط وظأت وذغت وذأت وذعت وزغت وزرت وسأت بمعنى خنق

Digitized by Google

قال واروق الافكار وابدعها ما يخطر فى ثلثة احوال * الاول فى مبادى الحزن * والثانى فى الفراش قُبَيل النوم * والثالث فى بيت الخلآ * فان هذه الحال لما كانت عبارة عن تحليل موادّ متكاثفة تتنفّس عنها الامعآ والاعفاج * كان هذا التحليل والتنفس اسفل موثرا فى تحليل ما تعقّد فى طبقات الدماغ العليا فى وقت واحد ومكان واحد * فيكون بعض الموادّ ذاهبا سفلا وبعض الصُوَر صعدا * كالبخار الذى يصعد من الارض فيعقد سحابا ماطرا * فقد عرفت مما مرّ انه يتحصّل من الحزن من الفوائد ما لا يتحصّل من الفرح * لان الفرح يبعث على الطيش والذهول وتشتت الخواطر فى اهوا النفس واوطارها المنتشرة * فهو عبارة عن تعدّد اهوآ وتفريق خواطر * والحزن عبارة عن ضمّها ولمّها * ولهذا كان جلّ العلمآ من الصعاليك المبتئسين * وقلّ من نبغ فى المعارف من الاغنيآ والمترفين * الا ان يكون قد غرس فى طباعهم نوع من الزهد والعزوف المقترن بالحزن * قال واحسن ما سنح لى من الخواطر انما كان عن بواعث اشجان * وخوالج احزان * اما من وحشة فراق او من خيبة وحرمان * او من حسد على علم وبراعة امّا على مال وثروة فلا * اللهمّ الا اذا كان لمصلحة كانشآ مدارس ومؤاساة محتاج * وانى لاعجب من هولآ الرهبان فانهم معما هم فيه من الوحشة والحرمان فما احد منهم نبغ فى علم او مأثرة * ولو كنتُ راهبا لملأت الدير نظما ونثرا والّفت على العَدَس وحده خمسين مقامة * ليت شعرى كيف يمكن لبشر اذا خلا فى صومعته وراى تحتها الغياض المدهامّة والبحر الساجى والجوارى المنشآت * وعن يمينه وشماله الجبال الشامخة المكلّلة بالثلج وفوقه الرقيع الصافى وامامه القرى والمنازل * ان يقضى نهاره كله وهو يرمش

Digitized by Google

وُيرضك (١) ويتثآب ويتمطّى ويملّد معدته من دون تاليف ونظم * ولا سيما ان من حسن ساكنات تلك الديار ما يشرح الصدر ويروّح عن البال * فاذا كانت هذه المناظر البهيجة كلها لا تهيج هولآ النسّاك على تاليف كتاب فاىّ شي بعدها يهيجها * هذا وان كثيرا من المسجونين قد الّفوا وهم فى الضنك تآليف بديعة * يعجز عنها سكان القصور الوسيعة * فاما ما قيل عن عبد الله بن المعتز من انه كان ينظر الى اوانى داره ويشبّه بها فليس كل عبد كعبد الله * فانّا نرى الناس الان كل ما زاد ثراهم قل حجاهم * والحاصل ان وحشة الفراق تبعث الخاطر على ابتكار المعانى الدقيقة * وكذلك الصدّ والهجران والاعراض والمطل والعتاب والشفون والدلال والتمنع والتعزز من طرف المحبوب * ولكن ليس محصول هذا الحاصل اغرآ الحبيب بهجر محبّه حملا له على النظم * او تعمّد الفراق بعثًا له على وصف ما يجده من الشوق واللوعة * فان احسنه ما جآت به المقادير دون تعرّض له * وها انا ابرّى نفسى عند العاشقين والمتزوجين واقول * انه اذا جرى بينكم وحشة اوجبت الفراق * او فراق اوجب الوحشة * او صدّ او هجر او لجاج * او جدال او اعتلاج * او تقافس او تفاقس (٢) او صراع بالشُغْربيّة والشغزبية والقرطبّى والالهاد والدهشرة والظُهاريّة والمُبَاْشة والبأش والعُرْضة والنُقَص والمراسغة والتنسّف والتعرّق والاعتقال فما يكون علىّ فى ذلك من عتاب ولا ملام * انتهى كلام الفارياق وقد احسن فيه * الا انّه لم يحكِ عن نفسه انه كان عند الحزن جَزِعا خَرِعا كثير الوساوس والهواجس قليل الحيلة والتدبير غير ثابت الراى ولا مُضبّ على ما فى نفسه * فانه لم تكد ارض الجزيرة تغيب عنه حتى طفق يشكو من النسآ ومن بطرهن عند غياب بعولتهن

(١) ارضك عينيه غمضهما وفتحهما

(٢) تقافسا بشعورهما تواثبا وفقس فلانا جذبه بشعره سفلا وهما يتفاقسان *

عنهن * فسمعه الخرجي وزوجته فقالا له ما بالك تشكو لا خوف عليك من تعبير الوحش مدة السفر كلها * واذا بلغت ارضكم ان شآ الله فلا احلم الا الاحلام البيّنة * قال ما شكواى من الوحش ولا الجن بل من الانس * فانى سمعت اليوم كذا واوجست كذا ولعلّى ارجع واجد كذا او لا اجد كذا او لا ارجع ولا اجد البتّة * فلمّا سمعت زوجته بذلك ثارت زبانية سقر من انفها فقالت له * هل بلغ من طيشك ان تسيئ الظنّ فى النسآ المتزوجات * قال قد ظنّ فيهن ذلك من قبلى الحليم الرزين * قالت ليست هذه الخلة عندنا نحن معاشر الافرنج هذا زوجى ما يخامره ريب فىّ * قال ان السيّد مشغول بالاحلام بحيث لم يبقَ فى راسه موضع لغيرها * اليس ان عالمكم بيرون يقول اخوَن ما تكون المراة ما اذا غاب عنها زوجها * قالت انه شاعر وان كلام الشعرآ لا يوخذ به فى الحكم على النسآ الا اذا كان نسيبا وغزلا * ثم بينما هم كذلك اذا بالريح هاجت الامواج فاضطربت السفينة ومادت اىّ ميد * فلزم كلّ مكانه مدّة اربعة ايام حتى ذهل كل من ركّابها عما وراه وقدامه * وبعد سفر اثنى عشر يوما بلغوا مدينة بيروت وهم جياع تعبون شاحبون مبتئسون * والهالج يترقب اول فرصة من الدهر لهبوط الاحلام * فلما دخلوا البلد كان اول ما طرق مسامعهم من كلام اهلها الركيك قول المخبّر ان اهل الجبل قد خلعوا ربقة الطاعة لوالى مصر وتجنّدوا عليه * فكان اهل المدينة فى شغب واضطراب * وكان دُوار البحر والفراق * لم يزل يميد براس الفارياق * فصعد الى جهة الجبل ليرى اهله فلقى بظاهر المدينة عسكر الاهلين مخيما * فهوّل عليه احدهم باطلاق بندقيته فطار نصف قلبه من صدره ولم يزد قلب المهوّل شيا * لكن بعض الناس

Digitized by Google

يرتاح للاذى وان لم يحصل له به فائدة * ثم لطف الله به وانقذه من القوم فبلغ منزل اهله * فلما علم قدومه عند اهل القرية اقبلوا يسلّمون عليه مثنى وثلاث ورباع * فكان ينظر اليهم ويتعجب منهم لبعد عهده بعاداتهم * فان النسآء كن ياتين ويقعدن على الارض * فمنهن من كانت تقعد بين يديه القُرْفصآء او الهَبَنقعة او الاربعآ او الفرشحة او البرنشطة او البرقطة او الفرشطة او القَعْفَزى * او تَبَجا او احتفازا او امتعاسا او استيفازا او اقعاء كقعدة القرد وهي مشمرة قميصها فتنشق سراويلاتها عن وقّاحها * وهى عادة أَلِفنها ولا يرين فيها عيبا * واكثرهن تبدى ثدييها سوآ كانت كاعبا او هضلآ او طرطبة * ويومئذ افرغ عليه شحن المسائل فمن قائلة مالك يافارياق نحيلا * ومن قائلة وقد صرت ضئيلا * واخرى ما لسحنتك قد كلحت * وغيرها ولطلعتك قد قَبُحت — ولاسنانك قد قَلِحت — وجبهتك لَتِحت — وارنبتك فَطِحت — واساريرك أَزَحت — وبشرتك قَسَحت — وشفتك تقرّحت — وعنقك شَقُحت — وعينك لَجِحت — وقامتك تقنّحت — وشعراتك تصوّحت — وعجيزتك رَسِحت — وذقنك طُحّت — ولهجتك فَحْفحت * قال فتشاءمت من هذه القوافى وقلت لم يبقَ بعد تعدد هذا الحت الا ان يقلن وتلك قد نكحت * ثم قالت واحدة منهن ايه وهذه هَنة قد زادت فيك * فقالت اخرى أَوّه وهذا شى نقص منك * ثم جعلن يقلّبنه ويعرضنه كما يقلّب الشارى السلعة * وكلهن يقلن بنغمة واحدة يافارياق اين الطنبور واوقات السرور * اين ابياتك فى العقوص والطنطور * انسيت يوم كذا وليلة كذا * قال فكنت مسرورا بموانستهن وسلامة ضمائرهن عن المنكر كما هو خلق نسا تلك البلاد * فانهن لا يابين من لمس الرجال والدنو منهم ومماسة الرُكَب دون

Digitized by Google

الرُكَب * الا انه كثرت مسائلهن علىّ * وطال قعودهن بين يدى * وانا محتاج الى الراحة والانفراد * ومع ذلك فمجلس النسآ مونس على كل حال ولا سيما لمن مضى عليه فى البحر اثنا عشر يوما من دون روْيتهن * فلو نتفن بعد هذا العهد الطويل لحيته وشواربه بالمسائل لما لحقه من ذلك اذى * قال واعجب من ذلك انى كنت ارى الامرآ يقعدون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد * وربما اجتزأوا بالبيض والارز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا نقل * وارجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا نعالهم بالقرب منه فتبقى بمرأى منهم * وترى بعض خدمهم يقوم على روسهم اى بازائها لا فوقها وفى حزامه الملعقة * وآخر فى جيبه الطاس من فضة اشارة الى غنى الامير والى كونه كاحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب * وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فيسامره ولا آلة لهو تطربه * وقد يقضى ساعات من النهار هكذا بل يوما واياما ولا يرى من امراة اصلا * حتى تعمش عيناه ويظلم فكره وتلقس نفسه وتحرض معدته * فاين هذا من مجالس الافرنج التى تزين بالمتكآت النفيسة وتفرش بالزرابى الفاخرة وتوطا بالنعال * ولا تزال الحسان مقبلات عليها مدبرات * فمن هيفآ تشرفها بوطأة * ومن غيدآ بطفرة * ومن زهرآ بزفنة * ومن وطبآ بحركة * ومن دهسآ باضطجاعة * فمن يصبر على هذه الحال * فياامير الناد * وواحد الامجاد * وراكب الجواد * ورامى الجريد على العباد * قل لخادمك حامل الطاس ينحّ نعليك من امامك * بل البسهما وتعال معى الى بلاد الافرنج لتنظر الامرآ منهم مخاصرين لازواجهم واولادهم

سائرين بهم الى المنازه والحدائق ومواضع اللهو واللعب والطرب * ولا حرج على ازواجهم ان يبتسمن او يُملن اعناقهن او يتفرّسن او يوكوكن او يحدقلن او يحرجلن او يفرجلن او يهرجلن او يهركلن او يتبازين او يُكبّبن * ولا على اولادهم ان يطفروا ويمرحوا * حتى اذا كحلوا اعينهم برؤية الكَحَل باتوا ليلتهم تلك على الوثير من الفرش مع وثائرهم * ليت شعرى لمَ لا تضمّ اليك مع جملة هولآء الحقان والوُصفآ والبسانقة والنسانقة والهبانقة والمَهَنة والمَناصف والنَصَف والحَفَد والمَقاتِوة والخدم والحشم الذين حولك ثلثة نفر من العازفين بالات الطرب * ليجلوا عن خاطرك صدأ همّ الوحدة والاعتزال فى كل يوم عند الاصيل او فى العشآ * وأْذنْ لى فى استعطافك لان تاذن لجيرانك فى ان ياتوا هم ايضا ويطربوا لطربك * فيدعوا لك بتاييد دولتك * وتخليد غبطتك * ودوام بقائك * وسمو ارتقائك * وفى ان اسالك لمَ لا تعيّن فى العام عيدا لمولدك او لمولد السيدة او الاولاد المحروسين * فيكون يوم فرح وحبور لك ولجميع من ينتمى اليك * بحيث تصطنع فيه مادبة وتدعو اليها دعوة جَفَلى لا نَقَرى * أىّ خيرٍ فى رمى الجريد واصابتك به كتف خويدمك العبد الحقير او ضرسه حتى تعطله عن الاكل وانت لاهٍ عن احسن الرمى واصوبه واصرده واصرقه * وانت آمن هناك من ان يقال لك بَرْخَى برحى بل يقال لك مَرْخَى مرحى * هذا ما عدا ايلام ابطك الفاخر العاطر برمى الجريد * وما الفائدة من وقوف الخويدم بين يديك وفى حزامه الملعقة او على راسه الخوان او على صدره القصعة والباطية او بيده العُسّ والقعب او على عاتقه المائدة او على عنقه القِدر * وانت لا تاكل مع السيدة واولادها ولا تاخذ ولدك وتضعه على ركبتك * ولا تحمله على ظهرك ولا تتطاطأ

له ليثب فوق راسك * ولا تحتجره ولا تحتضنه ولا تتوركه ولا تعانقه ولا تحول له خدك ليبوسك * ولا تمكنه من ان يعبث بشاربيك او يعض اصبعك او انفك ليضحك قليلا فاضحك انا كثيرا * ولا تطعمه بيدك ليعرف انك محسن اليه * ولا تاكل شيا مما يلوكه * ولا تركبه على جحش وتقود به الجحش ولا تغنّي له في الليل ليرقد على نغمتك فيقوم في الصباح يغنّي لك غنآ اطرب من غنآ الفقنّس ومعبد وابي البدّاح وسواط والعَثْعَث وخليلان وعمرو بن بانة والزّنام وممدود بن عبد الواسط الربّاني وزَلزل وعِرّفان والجَرادتين وابنة عفزر وسَلّامة وشَمول وابن جامع السهمي ودُبَيس ورَقيق وابن مُحْرز والمشدود وهاشم بن سليمن ودحمان الاشقر وطُوَيس وابن شريح والدلال بن عبد النعيم وابن طنبور اليمني وحَكَم الوادي وابرهيم الموصلي * واشجى من

الزُنَم ومن صوت كل دُعْبُب غريض — الزنما المغنيات المجيدات والغريض المغني المجيد ومثله الدعبب *

ولا تبابئه ولا تغازله *	باباه قال له بابي انت *
ولا تناغيه ولا تباغمه *	باغمه حادثه بصوت رخيم *
ولا تنادغه ولا ترأمه *	نادغه غازله ورئمت الناقة ولدها عطفت عليه ولزمته *
ولا تنغّره ولا ترَخُمه *	نغّر الصبي دغدغه كنغّزه ورخمت المرأة ولدها لاعبته *
ولا تهينم له ولا ترغّمه *	رغّمه مسح رَعامه اي مخاطه غير ان صاحب القاموس خصّه بالمراة بل المتبادر من عبارته انه مسح رعام الرُعْموم للمراة الناعمة فالعفو مرجو منهما على كل حال *
ولا ترزم لِرَزَمته *	ارزمت الناقة حنّت على ولدها والرزمة صوت الصبي *

ولا تتجنّث عليه * تجنّث عليه رنّمه واحبّه وتلفف على الشى يواريه *

ولا تقرّمه ولا تسمّته * التقريم تعليم الاكل والتسميت الدعآ للعاطس (۱) *

ولا تُفَدّى له ولا تُضّهيه * افدى فلان رقص ابنه واَضّهاه دهنه بالسمن ووضعه فى الشمس *

ولا تدسّم له نونته * النونة النقرة فى ذقن الصبى الصغير وكذا الفَحّصة وتدسيمها تسويدها كيلا تصيبها العين *

ولا تبدى له البجبجة * البجبجة شى يفعل عند مناغاة الصبى *

ولا الحَوْفَزَى * الحوفزى ان تلقى الصبى على اطراف رجليك فترفعه *

ولا تقول له حَلْقَةٌ * قولهم للصبى اذا تحبّا حلقة اى حلق راسك حلقة بعد حلقة *

ولا بَحْباحِ * بحباح كلمة تنبى عن نفاد الشى وفنائه *

ولا مَحْماحِ * هو كقولهم بحباح ومثله خَمْحامِ وهمهام *

ولا كِخّ كِخِ * يقال عند زجر الصبى عن تناول شى *

ولا تعنّى بدَنْعه * دنع الصبى جُهد وجاع واشتهى وطمع وخضع وذلّ ولؤم *

ولا بقَقَته * صوت يصوت به الصبى او يصوت به اذا فزع *

ولا تكترث لبأبائه ولا لببّته * بابا الصبى قال بابا وببّة حكاية صوته *

ولا لتغتغته ولا لثغثغته * التغتغة حكاية صوت الضحك والثغثغة عضّ الصبى قبل ان يتّغر *

ولا لتأتأته ولا لدأدائه * التأتأة حكاية صوت وهى ايضا مشى الطفل والدأداة صوت تحريك الصبى فى المهد *

ولا لدَعْبَعه ولا لحتارشه * دعبع حكاية لفظ الطفل الرضيع وحتارش الصبى حركاته *

(۱) فى تعريف التقريم ابهام على فان التعليم هنا يحتمل ان يكون من العلامة فيكون الاكل بمعنى الطعام ويكون المراد به ما اراده بقوله فى رسم الرَسْم خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الطعام وفى رش م رشم الطعام ختمه والّا فهو فى محلّه *

Digitized by Google

ولا لإِدْرامه * ادرم الصبى تحركت اسنانه ليستخلف أُخر *

ولا لفَصِيْصه ولا لانتداغه * فصّ الصبى فصيصا اذا بكى بكآ ضعيفا وانتدغ ضحك خفيّا *

ولا تُبالى بمِعْقاده * المعقاد خيط فيه خرزات تعلق فى عنق الصبى *

ولا بقِرْزَحْلته * من خرز الصبيان *

ولا بدُرّاجته * الدراجة الحال التى يدرج عليها الصبى اذا مشى *

ولا بحقابه * الحقاب خيط يشد فى حقو الصبى لدفع العين *

ولا بصُمْتَته * الصُمتة ما أُصمت به الصبى من طعام ونحوه ومثلها السُكتة *

فبحق عبوديتى لك ياسيدى ودالّتى عليك ألا ما وضعته يوما على ركبتك او اركبته على ظهرك * ثم لا باس فى ان تدعه يلعب مع اولاد من هم متسمون بشرف خدمتك فانه لم يزل بعدُ صغيرا لا يعلم هذه الفروق * ثم لا باس ايضا فى ان تسهر هذه الليلة فى حريمك المحترم مع بعض رجال قريتك وازواجهم ممن يتادبون فى المحاضرة بحضرة النسآء * فانى ارى صدر السيدة قد ضاق من الوحدة وما عندكم من كتب او لهو حتى ينشرح بها * ولا غرو ان تستفيدا كلاكما من مسامرة رعيتكما شيا * فان راس الفقير ليس باضيق ولا اصغر من راس الامير عن ان يشتمل على ارآء سديدة مما يخلو عنه راس غيره وان يكن اكبر عمامة منه واغلظ قذالا * وكيف ترجو لن تكون السيدة وبناتها ذوات رشد ودراية وهن مقصورات فى الدار العامرة * ام كيف ترضى لهن وحاشاك الجهل والغباوة * وانتم ياسادتى الحكام والمشايخ والكبرآ والمطارنة جربوا مرة ان تجتمعوا باهلكم وازواجكم مع اهل جيرانكم * (ولكن المطارنة ليس لهم ازواج

لتنزّههم عن الواج) وان ترفعوا فرق المذاهب من بينكم فذلك ادعى لكم الى الحظ والسرور * انما الدنيا النسآ انما الدنيا البنون * اعلموا رحمكم الله ان الاجتماع بالنسآ لا يخل بشرف المنصب * اعلموا هداكم الله ان فرق الارآء فى الاديان لا يمنع من الالفة والمخالّة * اعلموا اصلحكم الله ان فى حمل الانسان ولده على ظهره وتطوّقه برجليه اللطيفتين لَلذّةً اعظم من لذة تطويل الجُبب وتوسيع الاكمام وتكوير العمامة ومن وقوف الخدمة وايديهم على صدورهم * اعلموا فقهكم الله ان العرب لم تخصّ حركات الطفل باسمآء الا وهى تريد ان تلاحظوها وتتنبهّوا لها * حتى انها وضعت لتحدّثه حرفين غريبين فى التركيب لا ثالث لهما فى اللغة كلها وهما الصَّصَصُ والقَقَقُ * اعلموا وفقكم الله ان مستر ومسيو وهر وسنيور انعم منكم بالا واحسن حالا * اعلموا نصركم الله ان الفارياق رجع الان الى بيروت وانى انا العبد الحقير كاتب سيرته مفكّر فى انشآ مقامة تسرّ العزب منكم والمتزوج معا *

(حاشية اظن سادتنا المشار اليهم ما سمعوا النصيحة فراح كلامى معهم فى الريح)

(تنبيه قد اطلت الكلام فى هذا الفصل الموذن بالفراق ليقابل فصل الزواج)





الفصل الثالث عشر

في مقامة مقيمة

حدس الهارس بن هشام قال * سوّل لی الخنّاس * (اعوذ بالله من هذا الافتتاح) الذی یوسوس فی صدور الناس * کل غَمیس وعَمّاس * ان تزوجت امراة خرّاجة ولّاجة * هیّاجة نبّاجة * مِرغامة معذامة * لوّامة رطّامة * خُبَعة طُلَعة * خَلیعة جلِعة * تجاوب ولا سؤال * وتبارز ولا قتال * وتقترح علیّ اشیا یعجز عنها الدینار * وترمینی فی مهالك دونها النار * فكان دابی ان اصبر مرة علیها عذیرا * واخری ان اشكو الیها فلا تزداد الا شرّة ونفورا * ولا ینجع العتب فیها نقیرا * فقلت تالله لأجفرنّ عنها واوهم ان بی جفورا * او لاضربن فی الارض لاعلم هل اری لها نظیرا * فاخترت الرای الثانی * بعد التعوذ بالمثانی * وخرجت من بیتی كئیبا مبتئسا * ساخطا علی جمیع النسا * فبینا انا فی بعض الطریق * اذ مرّ بی سِرْب منهن یخطر بالثوب الصفیق * والحلی ذی البریق * وقد ارجت الارجآ بطیبهن العتیق * فرایت من بینهن الهیفآ والبدین * والغرّآ الزهرآ ضرة حور العِین * ومهنّدة العیّنین * فتاقت نفسی الی وصالهن * وتبلبل بالی بجمالهن * ونسیت ما لقیت من لكاعی فی البیت * وقلت لیتكنّ لی لو تنفع لیت * ثم انشدت

Digitized by Google

اری للنسآ الماشيات حلاوة   فهل هن حلوات كذا فی المقاصير
ولست اری فی الفتی ان مشت وان   اقامت سوی مقت وكره وتمرير
اراها بعينی حيث كانت بعينها   فهل ذو عمًى غيری يراها من الحور

فابتدرت الیّ واحدة منهن لها عنق كعنق الغزال * وحاجب كالهلال * وقالت خفف عنك فما انت وحدك فی الرجال * ان زوجی قد قال *

افكّر فی لئامة طبع زوجی   فاكره كل انثی فی النسآء
واحسب انهن مغايرات   لها فاحبّهن علی السوآ

ثم التفتت الیّ اخری وجبينها يلمع كالصباح * ولحظها يدمی كالصفاح * وقالت اسمع ما قاله زوجی فیّ * ولا تك من قارفیّ *

تخوض زوجی فی كل الفنون وما   تخشی خطآء ولا ردّا مع الظرفا
تكون غالطة فی كل مسئلة   وليس تغلط يوما ان تقول كفی

ثم تقدمت الیّ اخری وحبب عرقها كاللآلی * وحالك فرعها كالليالی * وقالت دونك ما نظمه فیّ بعلی * وانظر هل يصدق ذلك فی مثلی *

تودّ زوجی شططا اننی   عبد مخيليق لمرضاتها
وان تشهت حاجة لم تُنَل   اكون خلّاقا لحاجاتها

ثم دنت منی اخری وهی تهتز عُجبا ودلالا * وتبسم عن شنب ما رای الناظر له مثالا * وقالت هاك ما انشدنيه كفيحی من اول ليله * آذن منها بالثبور والويله *

لزوجی خلقةٌ اَضعاف مالی   من الشفتين والفم واللهاة

فكيف يُتاح لي اشباعها وهي تصرخ كل وقت هات هات
فاما أن تضعّف لي اداة والّا فارتكاب الترّهات

ثم اقبلت علىّ الخامسة * وهى من الخفر كالظبية الكانسة * وقالت انشدك ما قال فىّ شيخى فى الليلة السادسة * وهو

ان قال غيرى قد يقال زوجة فانني اقول زوجي دون ها
اذ لا ارى التانيث في اخلاقها بل الفحول فى العراك دونها

ثم تقدمت السادسة * باشّة آنسة * وقالت اروِ هذين البيتين * عن حليلى الذى اعتاد قول المين * وهما

تراقبنى زوجى عليلا وسالما نهارا وليلا نائيا وقريبا
فصرت اذا عانقت فى النوم طيف من احبّ اراها بالوصيد رقيبا

ثم دلفت السابعة * وكانت ذات حقيبة سابغة وطلعة رائعة * وقالت وفى معناهما قال زوجى المفترى * واجترا علىّ بما لم يكن رجل على امراته يجترى * وذلك قوله

تغار زوجى علىّ حتى اذا راتنى مرضت تمرض
فما راتنى فى حالة ما الّا وكانت لها تَعرّض

ثم انبرت الثامنة * وهى على ما ظهر لى رافنة زافنة * وقالت قد سمعت زوجى يتغنى بهذين البيتين * بعد اسبوعين * وهو مطرق الى الارض كمن فقد العين * وبُشّر بالحَين * وهما

تودّ زوجي ان لي   شانين من مفاضحها
هَنَ حمارٍ قازحـــا   وقرن ثور ناطحا

ثم استقبلتني التاسعه * وهي تفترّ عن لآلئ ناصعه * وقالت ونحوهما ما قاله فيّ ابو ولدي * وقد حفّظه كثيرا في بلدي وفي غير بلدي *

ان زارني عالم او جاهل بدرت   زوجي اليه وخاضت معه في الجَدَل
فان تجده خبيرًا بالبعال تقل   كل العلوم انطوت في صدر ذا الرجل

ثم تصدت لي العاشرة * وهي ذات قامة معتدلة وعين جائرة * وقالت وافظع من ذلك * ما ينشده رجلي في المنازل والمسالك * وهو قوله

ان يزرني يوما فتى ذو صلاح   افسدته زوجي فراح خليعا
او خليع مستهتَر اطمعته   وعليه غارت وحامت ولوعا

ثم دعتني الحادية عشرة * وهي متمايلة مسبكرّة * وقالت ان زوجي السيئ الظن * قد جازف الكلام فيّ بما لاح في باله وعنّ * فقال

ترى زوجي الرجال فتتّقيهم   وليس الامر عن حبّ الصلاح
ولكن خوف ان يغشى عليها   من القوم الشديد الى السفاح

ثم مالت اليّ الثانية عشرة * وكانت قصيرة حادرة * تارة حارة * وقالت عُقما وعقرا * عن مثل زوجي الهُرّا * فانه هجا النسآ طرّا * اذ قال

ليس العُفاف من النسآ سجيّة   لكنه سبب الى الافساد
كالضرس تقلعه ليسلم غيره   وعلى الذي باينت حزنك بادِ

Digitized by Google

فقلت لا جرم لاقصدنّ منتاب هولآ الشعرآ * ولاتخذنهم لى عشرآ *
فعسى ان آنس منهم رشدا * واجد عند نارهم هدى * فان من كلامهم
لَحِكَمًا * ومن أمّهم لأَمَمًا * وكان من عادتهم ان ينفردوا عن القوم * فى
كل يوم * ويتذاكروا امور الدنيا من العصر الى المسآ * ولا سيما امور النسآ *
فاستقصيت عن محشدهم * ودُللت على مقصدهم * فاذا هم بجملتهم
قاعدون على دكة عند البحر * وقد ضربوا لهم سرادقا يقيهم من الحر *
فسرت اليهم * وسلّمت عليهم * وقلت هل لكم فى ان تجالسوا من يمُتّ
اليكم بالوداد * وقد بلغه من كلامكم ما وخّاه اليكم عن رشاد * قالوا مرحبا
بالقادم * وان يكن غير منادم * فلما استقر بى المجلس * انبرى واحد
منهم ينبس * قال * لا بدّ لى من ان انهى ما شرعت فيه * وظهر لكم
مكنونه وخافيه * نَعَم لمن خُلق هذا الكون الّا لهن * واىّ رجل ما ناله
مِحالهن * وعنّاه وصالهن * ومنّاه مُحالهن * فهن المتمتعات بدرز الدنيا
ونعيمها * ولذّاتها وطعومها * وحليها وجواهرها * وتحفها ونوادرها * يقترحن
علينا الممكن والمحال * ويكلفننا امورا دونها دق اعناق الرجال *
لكل عضو من اعضائهن حَلْى يزينه * وربما اتخذن له اثنين وثلثة ولا
نزينه * ثم ابتسم كاشرا عن نابه * واستمر فى خطابه * وبكل جارحة منا
جراح منهن لا توسَى * وحزازات لا تنسَى * يتهالك فى حبّهن المالك
والمملوك * وسوآ فى الحاجة اليهن الغنى والصعلوك * وانهن يرمين
الرجال فى مهالك * ومضايق ومرابك * ليكفوهن مونة الاطيبين *
ويفيزوهن بفرص البين * فيخوضون البحار * ويقتحمون القفار * ويعرضون
انفسهم لحدّ السيف * ولحرّ الصيف * وبرد الشتا * وذلّ الاختتآ * ودهمات
الاعدآ * ودغمات الأردآ * ومقاساة الظما والسغب * ومعاناة الشقا والتعب *

Digitized by Google

ومداراة الرقيب * ومباراة المعيب * والاغضآ عن الشين * والافضآ الى الحين * وطالما قفل احدهم الى بيته فوجد فيه قفل عرضه مفتوحا * وسرّ امره مفضوحا * فراى فى موضعه ضَيّزنا وزبونا * وقرينا وقرونا * وكثيرا ما آب وقد شُتر شدقه * او وُقصت عنقه * او كسرت ساقه * او إئيف جلاقه * او ضاع ماله * وسآت حاله * فاول ما تبتدره به من الكلام * قولها له قبل السلام * اين الطُرْفة * وكم من نُحْلَى وتحفة * ولو انك كسوتها حلة بوران * واسكنتها قصر غُمدان * واطعمتها افخر الالوان * وسقيتها من الرحيق من يد الولدان * وطرّبتها بالعيدان * ونزّهتها فى رياض الجنان * وحملتها على الاكتاف * وواليت عليها الالطاف * لما رايتها عنك راضيه * ولا لحاجتك قاضيه * والويل لك ان ناهزت الخمسين * وعجزت عن التموين * او بدا الشيب فى عارضك عند الاربعين * او اصابك مرض فى بعض السنين * وهى عند ذلك تتفتّى وتصبّى * وتتصبّى مَن يرضى ومَن يأبى * فتغادرك فى الفراش منهوكا * وتلازم الشباك وتشير منه الى من يلبّيها وشيكا * اَن اغتنم من الدهر هذه الفرصه * فما من دونها غصّه * اذ هو فى الفراش لا يعقل ولا يعى * ولا يبصر من يكون معى * ثم تاتى اليه فتقول اوص يارجل فقد ازف رحيلك * وجفاك طبيبك وخليلك * وملّك عائدك ومقيلك * وانت خبير ياذا الحليله * بانه لن يعجزها فى الاجهاز عليه حيله * وانها اذا رامت ان تتخذ فى كل يوم خليلا * اَلْفته ورآ الباب عتيدا فعولا * معاودا وَصولا * فوسيلتها اليه غمزة بعينها * ومُنيتها لديه شُخبة تطفى اوام غينها * بخلاف الرجل فانه لا يزال بحرفته مشغولا * مكبّلا بهمه معقولا * او يخشى انقباضا وترويلا * اوصرف درهم لن يجد منه بديلا * فكيف يقال ان الرجل والمراة فى التكفل باَدّل

المعارم سيان * وفى التكلّف لحمل المغارم عديلان * فهل فيكم من مجيب * عن هذا الامر المريب * فتصدى له الذى هجا النسآ جميعا * وقال دونك الجواب سريعا * فكن له سميعا * وللحق مطيعا * انى انما هجوت النسآ لا من حيث انهن اسعد منا واسلم آفات * او اقدر على اللذات * وافوز بالمسرات * بل من حيث انهن خلقن لنا فتنة وضلالا * وعذابا ونكالا * فما قلته فيهن فقد قلته عن حسد * وما اقوله الان فهو عن تحرّ ورشد * ان المراة ما دامت فى بيت ابويها عانسا * لا تزال محظورة لا ترى لها اليفا ولا مؤانسا * واخوها اذ ذاك يرتع ويلعب * ويلهو ويطرب * ويسافر ويتغرب * يالف من يالف ويصحب من يصحب * وكلما زاد مرحا * زاد ابوه ابتهاجا به وفرحا * فاذا تزوجت صارت تحت حظر بعلها * وصار هو مالك ناصيتها وولىّ فعلها * فلا تكاد تخرج من بيتها الا باذنه * ولا تاتى امرا الا اذا استوثقت فيه من اَمنه * فان قال لها لك ان تفعليه * كان كالممتنّ عليها بتراث ابيه * وان قال لن تفعلى * رجعت وعبرتها كالوَلِى * وبنار حسرتها تصطلى * ثم ان عليها ان تتملقه اذا سخط مخافة بطشه * وان تقوم بخدمة رحله وحفشه * وتطبخ له كل يوم ما يقترح عليها * وتجدّد له من قديم متاعه ما يلقيه اليها * وتحفظ نَضَده * وتقوّم اوده * وتربّى ولده * فكم ليلة تبيت تداريه فيها وهو يملا المكان غطيطا * وجخيفا ونحيطا * فهى التى ترضعه وتفطمه وترشّحه وتسرهده * وترعاه وتتعهده * وتوقظه وترقده * وتلعّبه وتلهّيه * وتعلّله وتراضيه * وتوانسه وتسلّيه * وتجالسه وتمنّيه * وتنظفه وتمشطه * وتمرّضه وتحوّطه * وتمشّيه وتحمله * وتستدرجه وتنقله * وتغسله وتلبسه * وتعطره وتطوسه * وتدفئه وتُلْبِئه * ألبأه اطعمه اللبا لاول اللبن

وتدادئه وتُهدئه * الداداة التحريك والتسكين والاهدآ التسكين *

وتزقزقه وتباغمه * الزقزقة الترقيص كالزهزقة والمباغمة تقدم ذكرها *

وتربّته وتهمهمه * التربيت ضرب اليد على جنب الصبى قليلا لينام
والهمهمة تنويم المراة الطفل بصوتها *

وتهدهده وترعّمه * هدهد الصبى حركه لينام والترعيم تقدم ذكره *

وتداعبه وتطايبه * وتدندن له وتقاربه * قاربه ناغاه بكلام حسن *

وتهدّنه وتصربه * هدّن الصبى ارضاه والصرب عقد بطن الصبى
ليسمن *

وتدغره وتضبّبه * الدغر رفع المراة لهاة الصبى باصبعها وضبّب الصبى
اطعمه الضبيبة * وهى سمن ورُبّ يجعل له فى عكّة *

وتدرّبه وتذرّبه * التذريب حمل المراة طفلها حتى يقضى حاجته *

وتقرّمه وتجوربه * التقريم تقدم شرحه وجوربه البسه الجورب *

وتجلسه وتنسّسه * نسّس الصبى قال له إسّ اس ليبول او يتغوّط *
قلت والقياس ان يقال ايسه *

وتعوّذه وتنجّسه * التنجيس تقدّم ذكره فى الفصل السادس عشر من
الكتاب الاول *

وتقمّطه وترسّعه * رسع الصبى شد فى يده او رجله خرزا لدفع العين *

وتزينه وتزهنعه * هذا ولو لم يكن للمراة من غصّة فى الاجل غير الحبل لكفى *
وذلك لمقاساتها بعده اذا كان من بعلها * ما لا يقدره غير مثلها * ولافتضاحها
به من غيره * على فرض عدم شعورها بصيره * فقد قالت العلمآ ان وضع
المراة جنينها من غير حليلها غير ذى الم * لكنما يعقبه بعض السَدَم * ثم
ان المراة ممنية ما عدا ذلك باحوال عسيرة * واخطار كثيرة * وذلك

Digitized by Google

كأجمالها وجِسّها وعَيْفتها وأَفَلها وتوجيبها وكأحشاشها ودِجاقها * وإسقاطها وازلاقها * قبل الوضع وبعده (ا) * وكنفاسها مدّه * هى برزخ بين الموت والحيوة وعِدّه * وكالقرو الذى يأتيها فى كل شهر * وغير مرة يمنيها بالبُهر * لانه اذا تأخّر عن وقته اضنى ظهرها * وان قلّ او كثر اضنك صدرها * واذهب صبرها * وكوحمها وتنفّرثها وتأنّفها شهوات فى مدة الحبل كثيرة * لا يمكنها الصبر عنها وان تكن ذات مريرة * وهى ج جائشة النفس ضَبِستها * وجاشيئتها ولقستها * واهية القوى * واهنة الشَوى * وغير ذلك من العلل والاحوال * التى سلمت منها الرجال * ومَن نظر بعين الرشد والانصاف * لم يتمحّل للخلاف * قال الهارس فكانّ الخصم انكسرت شوكته * وفترت سَوْرته * فعارض بالموارِبه * ثم خشى المشاغبه * فقام احدهم وقال حسبنا يا قوم ما سمعنا * ودَعوا الفصل اذا ما رجعنا * ثم انفضّوا والادلة معتلّة * والعقدة غير منحلة * فقلت عسى ان اصادف من عنده بذلك الخبر اليقين * واكفى مؤنة السوال والتخمين * فقد رايت الاثنين كفرسى رهان * وفارسى علم وبيان * بيد انى اخالهما قد نطقا عن الهوى * ولم يتحرّيا الصدق الذى ينبغى لمن حدث وروى * واذا بالفارياق * يهرول فى بعض الاسواق * وبيده زنبيل يودعه من الماكول ما حسن لعينيه وراق * فامسكت من فرحى بالزنبيل * وقلت الدليل الدليل * قال هو جوع بُرْقوع * يُرقوع بركوع * لا ينبغى ان يقام عليه دليل ولا برهان * ولا بيّنة ولا شاهدان * وان القاضى نفسه لأَجْوع الناس الى اللُمجة * واسبقهم الى الغُمجة * وان شئت فقل الى الغَنِجة * فقلت انما الدليل على تلك * ولك الامان على ما فى زنبيلك من المِلك * قال ما خطبك * ومِمّ كربك * اهى حديث النسآ كنت تخوض مع

(ا) الاجمال ان ينزل لبن المراة من غير حبل * والجسّ وجع ياخذ النفسآ بعد الولادة * والعيفة هى ان تلد المراة فيحصر لبنها فى ثديها فترضعها جارتها المرة والمرتين * والافل ذهاب لبن المرضع * والتوجيب انعقاد اللبا فى الضرع * والاحشاش يبس الولد فى البطن * والدجاق ان تخرج رحم الناقة بعد ولادها * والتفرث غثيان الحبلى *

Digitized by Google

الخائضين * وتحرص مع الحارضين * قلت بلى لامر ما جدع قصيرٌ أنفه * وللمقدور غادر الاليف الفه * ثم اخبرته بما جرى لى فى البيت ومع النسآ وعند الشعرآ * وقلت افدنى الجواب بغير مرآ * فاطرق ساعه * وقال هاكه على قدر الاستطاعه * فان الجوع قد ابدى فىّ خراعه * ولم يغادر بى للشعر خواطر صدّاعه * وهو

تكافأ الزوجان فى اللذّات   واستويا فى أرَب الحياة
قومى اقعدى مثلُ لهاتِ هاتِ   وطاوعى ندٌ لآتِ ات
والمرء فى الصبى على النزّات   اقدر او أجْرا من الفتاة
لانها كثيرة العلّات   غير القروّء سآء من شكاة
حتى اذا ما قيل كهلٌ عات   دار لها الدّوْر الى ميقات
غايته الستّون للشطّات   وبعدها عُدّا من الرُفات
نعم يسوء المرء بين النات   ضعف له اذ ذاك فى الاداة
لكن لها من اعظم الغصّات   المجرضات جَرَض الممات
أن تبتعها ياتى من اللِدات   وهى تريده فتى الأرّات
كلٌ له سهمٌ من الهنات   مُؤرّبٌ حتى الى الممات

ثم عدا برنبيلة * وجعل يتحوّفه ويعيث فى قليله * قال فصَدَعنى بالحق أىّ صدع * وعلمت انه غير ذى ضلع * فملت الى موادعة زوجتى * وتسكين هَوَجى ونوجتى * فاتيت منزلى * فوجدتها دآئبة فى عملى * فاكببت على عناقها معانقة المشتاق * وانبانها بما قاله الشاعران والفارياق * فقالت جزاه الله عنى خيرا * ولا اراه فى غربته ضيرا * ثم اقمنا على الوفاق * وتعاهدنا على حفظ الرفاق *



الفصل الرابع عشر

في جوع دَيْقوع دُهْقوع

لما راى الخرجى ان سكناه فى بيروت لا تصلح لجسمه ولا لواسد عزم على الشخوص منها الى الجبل * فالقى فى روعه ان يسكن فى دير للروم * فسار بزوجته وبالفارياق فاقاموا فى قرية تحت الدير يومين * وكان يانس بالفارياق بعض الحسان منها ويواكلنه * فلما علمت احداهن انه صاعد فى الغد الى الدير طفقت تبكى * فكانما ظنت انه نوى الرهبانية * فظهر له انها خالفت عادة النسآ لانهن يحببن الرهبان اكثر من العامة * فان فتنة النساك العباد تتوقف على رَوْم وكيد ابلغ وهو مما يلذّ للنسآ او بالعكس * حتى اذا راينهم طوعا لهن رجعن بعد ذلك الى ما كن عليه ليختبرن جميع ضروب الحبّ فلا يفوتهنّ منه شى * والحاصل ان الفارياق بُكى على فراقه هذه ثانى مرة فى عمره حتى صار يُحسب فى عداد المحبوبين * وانه ذهب فى الغد الى الدير واتخذ له فيه صومعة بلا قفل ولا مفتاح فصار من جماعة باءِزْ باىْ (الذين ليس لابوابهم اغلاق * قلت وهو بنآ غريب) وكان ذلك الدير منتابا لجميع اهل القرى المحيطة به * فانهم كانوا يودعون فيه امتعتهم خوفا من هجوم العساكر المصرية عليهم * لانّ الدير حَرَم آمن *

Digitized by Google

وكانوا اذا جاوا اليه يدخلون جميع الصوامع من غير محاشاة ومن جملتها صومعة الفارياق * فكانوا اذا وجدوا على فراشه اوراقا فيها تفسير حلم او غيره تلقفوها وقراوها * فمنهم من كان يفهم منها قدر ما يدور به لسانه * وآخر قدر ما يدور به راسه * وآخر قدر ما يدور به جسمه كله فيوليه ظهره ويخرج * ومنهم قدر ما تدور به يده فيرفعها ليبطش بالكاتب والمكتوب معا * ومنهم من كان يسخر منها ويقول انما هي اضغاث احلام * ومنهم من كان يقول انها لا تصلح لوقت الحرب ولم يجد منهم من استحسنها * وكان يدخل ايضا مع هولآء الدامقين دامقات فيهن من يجب تلقيها باهلا وسهلا ومرحبا * وفيهن من تجدر بواحد من ذلك فقط * وفيهن من تجدر باثنين مواترة * وفيهن من لا تصلح لشي * وكل ذلك كان يمكن تحمله اذا حُمل بعضه على بعض * الّا الجوع الذى تسبّب عن تعطيل الطرق فانه كان لا يطاق * مع ان الفارياق كان قد خرج من عنآ سفر البحر الذى مناه بالصيام اياما متوالية * فكان لا بدّ له من اللمج * فمن ثم كان يذهب الى القرية وينادى يامن عندها دجاجة للبيع فتبيعنى اياها * فكان بعض النسآ يجبنه هذه الدجاجة السارحة مع الدجاج فى الحقل اريد بيعها * فان اردتها فاسعَ اليها واقبضها بيدك * فكان يسعى ورآء الدجاج ويطفر معها على الجدران * فان ساعده الحظ على كسر ساق احداها او اعيائها قبض عليها * وكان عند جريه ورآها يجرى معه خاطره فيقول فى نفسه * انا اجرى الآن ورآء دجاجة فهل زوجتى تجرى فى الجزيرة ورآء ديش * وينبغى لى ان اقف قليلا عند هذا الجرى واقول * قد ذكرت سابقا ان الفارياق كان ذا هَوَج ونزق وجزع * فكان من طبعه اذا غاب عن اهله ان لا

يزال يقابل حاله بحالهم بالمقابلة الاطّرادية وبالمقابلة الأمتيّة * مثال الاولى قوله انا اجرى ورآء دجاجة فهل زوجتى تجرى ورآء ديش * وقوله مثلا وهو لابس هل هى فى هذا الوقت عريانة * وفى حالة كونه قائما هل هى الان مضطجعة * وقس على ذلك * ومثال الثانية انا اجرى الان ورآء دجاجة فهل يجرى ورآها ديش * على ان خبز الدير والقرى ج كان مخلوطا بالزؤان * فكان الفارياق اذا اكل منه خيّل له انه لم يزل فى السفينة عرضة للتنانين * ويتاكد عنده ذلك بدخول احد الرهبان عليه وهو على تلك الحالة * فلما ضاق بها ذرعا نظم ابياتا وبعث بها الى رئيس دير غير الدير المذكور وكان يظن ان عنده غنآ * وهى

ليت شعرى ماذا يفيد البيان	مع خوآء البطون والتبيان
وفنون البديع من غير اكْل	تستشيط اللهَى بها واللسان
هاك الف استعارة برغيف	وبخسّ نخسّ تفتازان
ايها المعربون هبّوا فما من	ضرب زيد عمرا يرص الخوان
اين اين الكباب والرز والبر	غل تصغو من فيضهن الجفان
ذهبت دولة الطبيخ وجآت	نوبة الجوع امّها لبنان
يالها من معرة نبعث الدينـ	ـار ما ان يعبا به انسان
ليس بيع ولا شرآ بارض	قد قضى عيشها وعاش الزوان
طال مكثى فى الدير حتى كانى	راهب لا ترضى به الرهبان
اذ راونى وحولى الكتب والاقـ	ـلام ممّا عنه نهى المطران
انا فى وحشة من الانس وحدى	لا ترانى فلانة وفلان
عيشة لو اريتها فى منام	ما شجتنى من بعدها الالحان

فبعث اليه الرئيس بارغفة لا زوان فيها ومعها هذان البيتان

Digitized by Google

وصلتني الابيات يافرقيان　　انما نحن في الدنيا رهبان
ما عندنا طعام كما تشتهي　　ولا نبيذ ولا نسوان

فهرول اليه الفارياق ليعاتبه على تغيير اسمه * فراى في الدير احدى نسآء الامرآء كانت قد جآءت الى الدير استئمانا من العساكر * فلما رآه قال له قد شفع الخبز ياسيدي في وزن البيتين ولكن لمَ غيّرت اسمي * ثم تذكّر السيّدة فقال وقلت ايضا انكم رهبان وما عندكم نسوان * وها انا ارى عندكم سيدة زهرآء قد ملأت الطنفسة شحما ولحما * قال انما غيّرت اسمك لاجل القافية وهو جائز للشعرآء * واما قولي ما عندنا نسوان اى ليس لنا ازواج * ولكن لا ننكر ان عندنا نسآء غيرنا يزرننا احيانا للبركة * قال من ايكم يحصل ذلك * فلم يفهم لكن السيدة فطنت لذلك ودعته الى الاركيلة المعروفة فلبث عندها ساعة شفعت في تغيير اسمه ايضا وآب الى صومعته راضيا * فوجد رئيس المعبّر قد تعكبش في راسه غصن من اغصان الحلم الاول فزاده خبالا * فكان يقول اذا سمع صوت الطبول من خيام العسكر واذا ابصر بريق سلاحهم * أَلَا تسمعون طبل الشيطان * يضرب به بعض الرهبان * الا تبصرون قرون الشيطان * كيف تتقد منها النيران * اذ تحتك بها النسوان * والسيدة زوجته غير مكترثة بصراخه ولا بتخييم العسكر قرب الدير لان حب الغصن لم يدع في قلبها موضعا لغيره * ثم منّ الله تعالى باصلاح الحال فسارت العساكر من البلاد وامنت الطرق والمسالك وسكن صاحب المعبّر * فراى ان يذهب الى مدينة دمشق ويمرّ ببعلبك ليرى قلعتها العجيبة * فاكتروا لهم خيلا وبغالا وعزموا على السفر *



الفصل الخامس عشر

فى السفر من الدير

ركب كل من الفارياق والغصن بغلا وكلّ من السيدة وزوجها فرسا * وانضم اليهم ركب وساروا يقصدون دمشق * حتى اذا كانوا فى بعض الطريق اجفل بغل الفارياق لوهم خطر له فقمص به وشمص * فالقاه عن ظهره فوقع على وركه على صخر فقام يخمع مع الخامعين * فجزع عليه صاحب المعبّر اشفاقا من تعطيل مصلحة التعبير * وشمتت به زوجته اذ كانت تحسبه رقيبا عليها وعلى غصنها * وكذا مسآة الرجل قد تكون مسرة المراة * وهنا ينبغى ان تضيف الى معلوماتك الواسعة هذه القضية * وهى انه لا شى من انواع السفر اشق من الركوب على هذه البغال العاتية * فانها بلا سرج ولا لجم ولا رُكُب * وقد جعل لها هولآ المكارية الحمقى بدل اللجم حبالا تتصل بسلاسل من حديد جافية * يمسك الراكب بيده سلسلة فاذا شرد البغل وهنت يد الممسك بها عن كبحه * والعادة انه متى شرد بغل شرد سائر البغال * ثم اجفل بغل الغصن فمال عن ظهره وتعلقت رجله بحبل فتدلّى راسه يخبط على الارض * فذهب ما عند السيدة من قليل الصبر عنه * ولم يقدر احد على رد البغل * فكنت ترى عينها فى جهة وقلبها فى جهة اخرى * وكبر منها ما كبر * وصغر ما صغر *

Digitized by Google

وجف ما جف * وقق ما قف * وابتلّ ما ابتل * وانحل ما انحل * واقشعرّ ما اقشعر * وازبأرّ ما ازبأر * وتنغّض ما تنغض * وانتفض ما انتفض * وتنصنص ما تنصنص * وتلمظ ما تلمظ * وتلظلظ ما تلظلظ * وضجم ما ضجم * وشخم ما شخم * وغدت تتململ وتتلوّى * وتتقلب وتتحوى * ودخل فى راسها اول مرة فى عمرها مُنيةُ أَن تكون رجلا لتجيره * ثم هوّن الله الصعب ووقف البغل فاستوى عليه الغصن وساروا حتى وصلوا الى بعلبك والفارياق على رمق * فذهب وتفيّا فى ظل شجرة فهوّم به النسيم فنام فقام منهوكا * ثم ركبوا وبلغوا دمشق وهو مريض فاكترى غرفة فى خان وبقى اياما لا يقدر على الخروج * فلما نقه توجّه الى منزل اهل زوجته وعرّفهم بحاله ففرحوا به * ثم عاودته الحمّى ثم افاق فراى ان يذهب الى الحمام ليغتسل فلمّا رجع رجعت اليه * واتفق انه نزل يوما الى المرحاض فاغمى عليه فيه فوقع وقد دخل راسه فى شق المرحاض فجعل يصرخ ويقول * ألا انّ راسى فى الشق * الا ان الشق فى راسى * فبادروا اليه فراوه على تلك الحالة * فمنهم من ضحك منه ومنهم من رقّ له * ثم عوفى قليلا فبدا له ولصاحبه السفر * ولكن لا بدّ لى قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة ان ارهقه واغسره حتى يصف لنا محاسن نسائها اذ هو لا يحسن شيا غيره * فاما الكلام على خواصّ نبات الارض ومعادنها وهوائها وعدد سكانها وعلى الامور السياسية فليس من شانه * قال دخلت دمشق وبى حمّى صحبتنى من بعلبك * وما كدت انقه حتى سافرت منها فلا استطيع وصف نسائها الا وصفا سقيما * فان رضيتم به اقول * انى لما دخلتها نزلت فى خان يسمى خان فارس * فعيّن لى صاحب الخان عجوزا

Digitized by Google

لخدمتى فلحظت من طبّها وشمّظها اى خلطها الكلام الليّن بالشديد
ان للعجائز يدا طويلة فى المعاملات النسائية * اعنى انهن يدخلن
الديار بحيلة انهن يبعن للنسآ ثيابا ليكتسين بها * فيخرجن من
عندهن وقد تعاهدن على تعريتهن راسا * فهن السبب الاقرب والذريعة
الوثقى فى الجمع بين العاشق والمعشوق * فاما نسآ المسلمين فقد
ظهر لى فى بادى الراى انهن اجمل من نسآ النصارى * كما ان الرجال
من المسلمين اجمل من النصارى وافصح لهجة وكذا هم فى سائر البلاد
الاسلامية * ولون النسآ عموما البياض المشرب بالحمرة * والغالب عليهن
الطول والشطاط * غير ان هذا الازار الابيض الذى يتزرن به عند
خروجهن من ديارهن لا يحلو للعين كحبر نسآ مصر * وكلاهما مخفٍ
لمحاسن القد ولعلهن يلبسن ذلك عمدا لتامن الرجال فتنتهن * فلهنّ
الشكر عليه * ولكن ما هذه المغازلة والاتلاع * وما هذا التبهكن والتبدح * افليس
للقلب عينان يبصر بهما ما ورآ ذلك الازار * ايخفى الشمس غيمٌ وهى
لولاه لم يمكن لعين ان تراها * فاما زيهن فى الديار فاشوق وافتن ما
يكون * قال وقد ظهر لى ايضا وانا موعوك بالحمّى بعد ان خرجت من
الخان وشممت رائحة الزائرات من النصارى انهن موانسات حلوات
الحديث والشمائل مناطيق * حتى اعتقدت ان شفاى يكون بذلك *
ولولا انى خشيت من التبخيل بالاستغنآ عن الطبيب ولا سيما ان ابى
كان قد توفى بدمشق فالقى فى روعى انى الحق به لما احتجت الى
علاج آسٍ * وحين كنت اسارق النظر اليهن وانا على الوسادة كنت
المح فى صدورهن حين يتنفسن شيا يربو ويشبو * ثم رايت بعض
اعيان المسلمين يزورون رب الدار وينبسطون معه فى الكلام * وهم من

Digitized by Google

الهيبة والوقار بمكان * فلا ادرى ما الذى حسّن للمطران جرمانوس فرحات حتى قال فى ديوانه

فكانني حلب برقة طبعها   وكان طبعك بالغلاظة جلّق

ولهذا القائل لاحق ان يقول الحلبى شلبى * والشامى شومى * مع ان اهل الشام ارق طبعا من اهل حلب وازكى اخلاقا واطلق لسانا ويدا ومحيا واوفر سخآء وكرما * والدليل على ذلك ان دمشق مع كون النبى شرفها بقدمه وكانت مثوى لبعض الصحابة واصبحت وصيدا للكعبة وما زالت من ذلك العهد منزلا للحاج * فان النصارى فيها يتبوّأون داخلها الديار الرحيبة والمنازل الفسيحة * بخلاف النصارى فى حلب فانهم لا يمكّنون من السكنى الّا بخارج المدينة ولا يدخلونها الا للبيع والشرآء * هذا وقد حرس الله قطر الشام عن الزلازل التى يكثر وقوعها بحلب * وعن هذه الحبّة المشئومة المتسببة عن مآئها * حتى انها كثيرا ما تشوّه وجه من يصاب بها * فهل مراد المطران ان يقول ان نصارى حلب وحدهم ارق طبعا * ام يصح ان نبخس الناس حقوقهم لاجل السجع والتجنيس * فيقال مثلا الجاثليق هَنْدَليق * والمطران قَطْران * والقسيس لهّيس * والراهب ناهب * والسوقى بوقى * والخرجى دُرْجى * فاما اللغة فليس لعمرى من مناسبة بين فصاحة اهل دمشق وركاكة اهل حلب * لان حلب لما كانت متاخمة لبلاد الترك دخل فى كلام اهلها كثير من الالفاظ العجمية * كقولهم انجق بيكفى يخرجون الجيم فى انجق مخرج الجيم التركية * ويتقلّنه اى يستعمله * وخوش خيو وما اشبه ذلك * ما عدا لكنتهم ولخالختهم فى نطق الالفاظ العربية * ثم ان الفارياق سافر هو وصاحبه

Digitized by Google

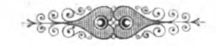
الى بيروت ومنها الى يافا * فدعاهما وربّانَ السفينة نائب قنصل الانكليز بها (هو غير الخواجا اسعد الخياط اللبيب البارع) ليشربوا عنده المآء بالسكر المعروف بالشربات * مما اشتهر ايضا بهذا الاسم عند المولفين من الافرنج واستعملوه فى كتبهم لا فى ديارهم * فساروا معه فاحضر لكل منهم كاسا تليق به بحسب ضخامة جثته * فلما فرغت الدعوة اقلعوا الى الاسكندرية ثم الى الجزيرة واقاموا فى معتزلها * فبعث الفارياق الى زوجته يخبرها بوصوله ويستدعيها للاعتزال معه * فقالت انا لا احب الاعتزال ولا الكسل * ثم وافت بعد ذلك ولما استراح الفارياق من الم السفر استروح منها رائحة النسآ *



الفصل السادس عشر

في النشوة

هى رائحة امّ دَفار * استوى فيها ما دبّ وطار * وسلك فى البحار * وتفصيلها فى العنوان فهل انت ذو استذكار *



Digitized by Google



الفصل السابع عشر

في الحضّ على التعرى

ثم دخلا البلد ورجع الفارياق الى التعبير واصلاح البخر * وبعد مدة وجيزة قدم على صاحب المعبّر رجل من العجم قيل انه كان مسلما ثم تنصّر وانه شاعر مفلق ذو شهرة بين علمآء فارس * فسار ومعه الفارياق ليسلّما عليه في المعتزل واذا به جعشوش حنزوش حزقّة أَلْحَى * فلما دخل البلد اقام في المعبّر فراى الرئيس بادى بدى ان يحلق لحيته * فجيء بالحلاق واعمل فيها الموسى فلما انتهى الى شاربيه سترهما الشاعر بيديه * فاقبل اليه صاحب المعبر وبيده كتاب ليحجّه منه على لزوم حلق الشوارب * فدار بينهما البحث والجدال حتى رضى الرئيس بنصف الشعائر * فلما كان ذات يوم من الايام المشئومة ذهب الفارياق الى المعبر فوجد الرئيس قد تعرّى من ثيابه بالكلية * وجعل يطوف في الدار على هذه الحالة ويحض الناس على الاقتدآء به ويقول * يا ايها الناس ما جعلت الثياب الا لستر العورة * ولا عورة لمن كان طاهرا بريّـا من الذنوب والمعاصى * فان آدم لما كان في الفردوس في حالة العصمة والبرآءة لم يكن له حاجة بالثياب * فلما انتهى الى زوجته ليغريها بالتعرّى قالت له ان النسآء لا عصمة لهن الا في الليل فلا بدّ لهن من الستر نهارا * فرآه

العجمى على تلك الحالة فسال الفارياق قائلا ما بال صاحبنا قد غيّر اليوم زيّه الاسود وتردّي بهذا الزيّ الاحمر * قال هو من جنود الخرج والجند هنا يلبسون اللباس الاحمر * ثم اشتد اللمم بكل منهما واستحكم * فخافت الزوجة ان يتلاقيا فى مازق وينشب ما بينهما الجدال او الجلاد * فرغبت الى الفارياق فى ان يضم اليه العجمى * وكان الغصن قد قدم اليها فى اثناء ذلك من الديار الشامية وهو مترجم عن جنى شهى * وجذع قوى * فبوّاته عندها مقاما كريما * وحاولت ان يخلو لها معه المعبّر خلوّا مستديما * ولو بدوام لمم بعلها * وفقد اهلها * فاقام الغصن فى ارغد عيش واهنا حال * وظلت هى معه اشغل من ذات النحيين فى اصفى بال * وظل زوجها يحض على التعرى * وانه من شعار المتزكى المتبرّى * ولبث العجمى فى منزل الفارياق * وانما قبله عنده لدمامته وضعفه ولغلبة السكوت عليه * فلما كان ذات ليلة وقد راى عند زوجة الفارياق نساء حسانا انحلّت عقدة لسانه ونطق بكلام دلّ على انه لم يتنصّر عن هدى * وانما اضطره الى ذلك ابو عَمْرة * ثم بات تلك الليلة وقد اضطرم الغرام فى قلبه فخرج ليلا يقصد غرفة الفارياقية * فاحسّ به زوجها فبادره بحبل وهو لا يستطيع دفاعا عن نفسه * فلما كان الغد شاور زوجته فى امره * فقالت اظن ان هذا العجمى انما جنّ لعدم الزواج وكذا سائر المجانين * الا ترى انه لما راى البنات عندنا البارحة تهلل وجهه وتكلم * قال فقلت ما ارى الحق معك هذه المرة * فان صاحبنا الخرجى جنّ من بعد الزواج * قالت لكن عقله كان قبل ذلك مختلّا بالاحلام * ولما تزوج لم يودّ الزواج حقه فاقتصّ الحق منه فليعتبر به غيره * قلت من اين علمت هذا * قالت ان المتزوج لا ينبغى له ان يكون فضوليا يتعرض لغير ما

Digitized by Google

هو فيه * قلت هذا تعطيل لمصالح الخلق * قالت لا تعطيل فانى لا امنعهم
عن العمل بل عن فضول الكلام * واللهج بالاحلام * فان التمحّل لعلم
خرق العادات * اجهد من التحمّل لعمل عادات الخرق * ألا ولو كان
الامر الىّ لداويت المجانين كلهم بالنسآ ومن النسآ وعن النسآ * قلت
اكل حروف الجرّ للنسآ * قالت نعم كل الجرّ فى النسآ * قلت قد
حذفت الحروف * قالت بل هى باقية * قلت دعينى من المطارحة
وافتينى فى امر هذا المجنون * قالت ردّه الى المعبّر وانى اكره طول
مكثه عندنا مخافة ان احبل فياتى الولد على شكله * قلت ما مدخل
الجنون فى الجنين * قالت او ليس الاولاد ياتون بيضا صباحا ووالدوهم
قباح * فلو لم يكن لعين الامّ من فاعلية عند توحّمها لما كان ذلك * قلت
هذا راى يودى الى الكفر والمحال * اما الكفر فلانك تزعمين ان للمراة
مشاركة فى خلق الانسان * واما المحال فلانّ المراة لو كان لها فاعلية فى
ذلك لاشبهت الاولاد آباهم او لجآوا كلهم صباحا * قالت اما جواب
الكفر فلا ينكر ان يكون الله عز وجل قد خلق هذه الخاصية فى المراة
وهو مسبب الاسباب * بمعنى ان القوة الوهمية التى اودعها فيها الخالق
القدير تكون موثرة فى كونية الولد * واما جواب المحال فلان المراة ابدا
تشتهى ان ياتى ولدها على غير هيئة ابيه * وما تراه منهم مشبها اباه
فالغالب انه البكر * قلت كثر الله من امثالك ما كانك قرات الكلام الّا
على الاشعرى * قالت نعم الكلام هنا فى الاشعرى لا فى الجميش ولا
النميص * قلت المجنون المجنون * ودعينى من المجون * فقد كدت
تلحقيننى به بكلامك هذا المعصود * قالت متى كنت تكره العصد *
وهو لك غاية القصد * اما المجنون فليس الا ما قلت انطلق به الى المعبر

Digitized by Google

ودعه هناك من غير ان تخبر به احدا * قال فانطلقت به وادخلته فى احدى الحجر وقفلت عليه الباب * فلما جاع طفق يعالج الباب ليخرج فسمعه الخادم فاخرجه * فتوصلت زوجة صاحب المعبر فى ان رجعته من حيث جآ وعزمت على السفر بزوجها الى بلادها * وناب عنه آخر من بلاده فى المصالح التعبيرية ولكن لم تطل مدته لاسباب ياتى بيانها * وقبل ايرادها ينبغى ان نختم هذا الفصل بما نظمه الفارياق حين كان رئيس المعبر يحض على التعرّى وهو

الا تريد صاح ان نجنّا	ونخلع اليوم الثياب عنّا
ولا ننام ليلنا ان جنّا	ولا نسيى بالنسآ الظنّا
ولا نرى متى يجى حنا	وان يغب نقل مريض منّا
وان اتانا فاسق وزنّا	نركبه الخيل فلا يعنّى
ونجعل الزوج له مجنّا	تقيه من كل معنّ عنّا
ولا نبالى ان راينا قرنا	قد طنّ فى اصداغنا ورنّا
فقد رايت العقل يضنى الطُنّا	ويحرم الحرّ الذى تمنى
ولن ينال الحظ مطمئنا	الا الذى باح بما اكنّا
مه ايها الشيخ الذى اسنّا	ما انت والغنّآ والاغنّا
تدخل فى مضايق وتعنَى	وما تبالى لو لقيت وهنا
ماذا لقيت من نذير جنّا	ومن طواف ههنا وهَنّا
وافيتنا فى شهر نحس اخنى	على المحبين فقلنا انّا
لم تخل دار بتّ فيها معنا	من حادث غارة سوء شنّا
يشكوك كل ذى عيال منا	اوردتهم من كل رزء فنّا

Digitized by Google

فمن مجانين ابانوا الهنّا ومن مصاب بالحمام أُظنی

ومن عليل دنف قد انّا حتى رثی الصدّ له وحَنّا

قدك اتّئد اوقدت فينا الحزنا وقد شحنت المصر همّا شحنا

فاظعن هداك الله وارحل عنا من قبل ان تنقطع عنه الطِحنا

وتنصب الهاً وتنفی اليمنا عن بلد من قبل كان امنا

واختر بغير ذا المكان كنّا تاوى اليه مستريحا طَمْنا

فما عليك ان اصبت غبنا ثَمّ ودَعّا او لقيت زَبْنا

او كنت تاتی هَذَرا وأَفَنا وتنظر القبيح منك حسنا

بحيث لا تبصر يوما قِرنا وكاشحا اخفى عليك ضغنا

كما اصبت ههنا خُبُنّا اصدأ منك الضرس ثم السنّا

لو استطاع لقراك سجنا تصبح فيه للرزايا رهنا

شيطانه عليك قد تجنى يقول من تبغك قد استّا

جعلت فی دار الصلوة فرنا دخانه عمّ واعمى الرعنا

وقال قوم تُفْله اصنّا ولحنه يبلغ ضرّا منا

فليبغ فی دار سواها خدنا وما علينا ان سخا او ضنّا

او ان بكی من شومه او غنّی او اخلص الدعا لنا او لعنا

اوخار من جوع وذلّ وهنا او قال صرنا بعد ما قد كنّا

انك يامغرور لم تعشقنا ولم تعرّبنا ولم تَنشُقنا

فلا جزاك الله خيرا عنا





الفصل الثامن عشر

في بلوعة

لما فرغ الفارياق من تعبير الاحلام كُلِّف ان يترجم كتابا لِلَّجنة في بلاد الانكليز * فترجمه لهم بلغتنا هذه العربية على ما اقتضته قواعدها * واتفق وقتئذ ان سافر المطران اثناسيوس الحلبي التتونجي مولف كتاب الحكاكة في الركاكة الى تلك البلاد في بعض مصالح ترتمية * فتعرف باللجنة المذكورة وافادهم ان لغة الفارياق فاسدة راسا * وذلك لخلوها مما اشترطه على المترجمين والمعربين في كتابه المذكور * وان النصارى يحبّون الكلام المسلَّط المعسطل * وانه قد ربا في هذه الصنعة مذ عهد طويل وربّى فيها كثيرين في مدرسة عين تراز وفي غيرها

وان لاسفار الكنيسة منهجا يخالف اسفار الورى ويغاير
وان لفي اللفظ الركيك تبرّكا ويُمّنا لقوم عنهم العار طاهر
وان غَناءَ اللحن في القول عندهم لكا للّحن في الايقاع والاصل ظاهر
وان نسبة المولى الى الله منكرٌ ومن ولّوا الادبار كلّ يحاذر
وان تكاة جمع متّكئٌ اتى وان مُصُونا لا مصانا لنادر
وللشعب دون القوم معنى مشّهر وفي مَلَك لا في ملاك كبائر

Digitized by Google

وان عبيدًا لا عبادا مضافةً الى الله أَولَى ما لذا الحكم ناكر
وان عذابا كالركاكات جمعه وان لم يرادف باقى الشى سائر
وما واعظيها قيل بل موعظينها ومن قال ادّوا دون ودّوا مكابر
ومن ردّ قل ان شئت صوغ اسم فاعل مُردّ كذا قال النصارى الاواخر
ويظهر يُلْغيه يبان نظيره وصرنا بُنيّنا بالتذخر كاثر
وجمع مُصَقّى للاله مسبّح وبعد كما للعطف واو تباشر
ومن بعد اذ جزم المضارع واجب ونعت المثنى باللذى متواتر
واثبات ياء الامر من ناقص كما حكاه له قس الشوير المعاصر
واثبات نون الرفع فى الفعل بعد كى وأن مستفيض هكذا نص زاخر
ومن بعد يعطى نصب نائب فاعل وجوبا وحذف الفا فى الشرط دائر

وطلب من اللجنة المذكور ان يفوضوا اليه تعريب الكتاب الذى مرّ ذكره ليحظى عند النصارى بالقبول والّا فلا * فلما راوه ذا لحية ولا سيما انه متحلّ بجلآ مطران والمطران عندهم لا يكون الّا عالما فاضلا اعتقدوا فيه الفضل والعلم وفوضوا اليه العمل * ولهذا السبب خاصة بطل المعبّر ولم يبق للفارياق الا مرتّبه من وظيفة اصلاح البخر * وهنا ينبغى ان يلاحظ ان الانكليز اشدّ الناس حرصا على الالقاب * فاذا زارهم احد من البلاد الاجنبية متصفا بلقب امير او شيخ او مطران حظى عندهم الحظوة التامة * ولا سيما اذا كان يتكلم باللغة الفرنساوية * اما لقب المطران فهو عندهم من الالقاب التى تغنى صاحبها عن توصية وتنويه * اذ ترجمة هذه اللفظة تجرى لديهم مجرى قولهم رئيس اساقفة * ومن حصل على هذه الدرجة منهم حصل على دخل اربعة الاف ذهب من الليرة * فاما طول

Digitized by Google

اللحية فهو عند العرب ليس بدليل على الحلم والنباهة كما يتبين من حكاية المامون مع الفقيه علويه * ولكن عادة العجم غير عادة العرب * ثم ان الفارياق لمّا آن وقت بطالته من اصلاح البخر وهو ثلثة اشهر الصيف في كل سنة عزم على ان يسافر الى تونس * فركب في سفينة رئيسها من اهل الجزيرة الذين هم بين السوقيين والخرجيين مرة * ومرة بينهم وبين الفلاسفة * وبعد سفر اثنى عشر يوما كلها خطر وعناآ بلغوا حلق الواد * فكان بعض الملاحين يقول في اثناآ الطريق انه انما وقع لهم ذلك بخلاف العادة لكون الرئيس سافر يوم الجمعة خلافا لسائر الرّبّانيين * فانهم لا يسافرون فيه اصلا اما احتراما له او تشاؤما منه * لكن الفارياق كان يعلم حقيقة السبب وهو هبوط طالعه * وان نيّة سفره سوآ كانت قريبة او غير قريبة لا يبلغ اليها الّا في مدة اثنى عشر يوما * وانما كتم ذلك عنهم * قال اما المدينة فانها ضيقة الاسواق صغيرة الحوانيت * غير انها طيبة الهوآ والماكول والمشروب كثيرة الفواكه * واهلها طيّبون خيّرون يكرمون الضيف ويحبون الغريب * وفيها من المغنّين والعازفين بالات الطرب كثير ومعظمهم من اليهود * ونساوهم حسان سمان بيض دعج برغم النصارى القائلين ان الله لعنهم ومسخهم بعد صلبهم سيدنا عيسى عم ونزع منهم كل حسن باطني وظاهري * غير اني اظن ان القسيسين اذا نظروا يهودية جزلة بضّة ربحلة يبدّعون صاحب هذا المذهب ويفنّدونه * وانما يقول ذلك منهم من كان لزق النصرانيات ولم يرغيرهنّ * ومعلوم ان النفس ترغب في الحاضر الموجود عن الغائب المفقود * او لعلهم يريدون ان المسخ انما نزل بالرجال دون النسآء فليسألوا * وان كثيرا من هولآء الغير الممسوخات غير بعيدات عن الغصن والهصر * ومن عادتهن

ان يمشين غير متبرقعات مكشوفات السوق * ثم لما ازف رحيل الفارياق
من المدينة قال له بعض معارفه من اهلها لو مدحت واليها المعظم *
فانه اكرم من اعطى وانعم * واكثر الناس ارتياحا الى الجود والمعروف *
قال قد نويت لان السفر فلم يعد ممكنا لى غيره * ثم رجع الى الجزيرة
وكان من جملة الركاب الذين رجعوا معه رجلان نمساويان احدهما
ابن احد التجار الاغنياء والآخر من قوّاد عسكر البابا * وكان هذا قد اخذ
من الفارياق واحدة من هذه النبخات الدقاق فردها عليه بعد يومين *
فلما استقر الفارياق بمنزله خطر بباله ان ينظم قصيدة فى مدح جناب
المولى المشار اليه * فانشا قصيدة طويلة ذكر فيها كل ما شاقه هناك من
المحاسن ولكن من دون تعرّض لذكر محاسن نساء اليهود * فلم يشعر
بعد ايام الا والمولى المشار اليه بعث له بهدية من الماس تضن بها
الملوك على ندمائهم * ومعها كتاب من ناموسه المعظم ووزيره المفخم
مصطفى باشا خزندار هذه صورته

« المحبّ الذى رعى المودة شانه * والكمال سجية قام بها عمله ولسانه *
» الاديب الاريب * الآخذ من كل فنّ اوفر نصيب * حسن الاخلاق *
» والحائز فى مضمار البلاغة قصب السباق * البارع الفارياق * لا
» زالت محاسنه نيّرة الاشراق * وبلاغته كواكب آفاق * اما بعد فان
» ولى نعمتنا ومولانا وسيدنا المشير احمد باشا باى امير الايالة التونسية *
» لا زالت بوجوده محمية * بلغ لرفيع جنابه من ادابكم * قصيدة تحلّى
» بها شعركم * واتضح بها فخركم * ويدوم بها ذكركم * فلله در منشيها *
» ومبدعها وموشيها * حيث ملك من البلاغة دانيها وقاصيها * والقت
» لديه مقاليدها ونواصيها * والمولى ايده الله حسن لديه موقع خطابكم *

Digitized by Google

» وانى على بلاغتكم وآدابكم * ووجه لكم من حضرته العلية حُكة تتذكر
» بها ودلده * واياالته وبلاده * فاقبلها من افضاله * ومن نزر نواله * والله
» يحرسكم بعين عنايته * ويسبل عليكم ستر عاقبته * وكتبه الفقير الى
» ربه تعالى مصطفى خزنه دار الدولة التونسية فى الرابع والعشرين من
» ذى الحجة الحرام سنة ١٢٥٧ * »

وفى اثناء ذلك قدم المطران التتونجى الى الجزيرة فبلغ الفارياق قدومه ولم يكن عرف ما افتأت عليه به عند الانكليز فذهب ليسلّم عليه وادبه الى وليمة اعدّها له * واقام المطران فى بعض المنازل يشتغل بترجمة ذلك الكتاب الذى زاحم الفارياق عليه * وظل الفارياق ينتابه حينا بعد حين وهو غير موجس منه شيا * فلما كان بعد ايام ثارت فى الجوّ حاصب ومتشغزبة ومنسبة منشبة ونكباء وهَبُوبة وحُرجوج وخجّوجاة ودرّوج وسَهُوج وشجوجاة وبارح وسَناخة وخنذيذ وصَرْصَر ومشتكرة واعاصير ومعتكرة وهُبارِيّة وروامس وزوابع وزعزعان وهَيْرع وجُفْجف ورَفْزاف ومسفسفة ومُسْنفة وعواصف وخَرْقا وزخْلِق وزهلق وسَهْوق وحاشكة وساهكة ورَغْبَليل وطَيْسل وعَياهل وسَهام وسَفُون ووَرْهآ ومِيْلاه وسافياء * ثم جآ على عقبها روائح هنبيّة صُماحية زنخية سنخية اِفاخيّة عَبادِيّة جَمَرية ذفرية عدارية امدرية خُنازية طَفاسيّة حُطاطيّة عفاطية عَفطانية شِياطية ناصِفيّة زَهْمَقية خبراقية صَلّية خَيْعامية صَنمية قنمية عجانية لخنية نَجْوية مختلطة بطُمْطمانية ولُخْلخانية ورُتّية ولغلغانية وقلقلانية وكسكسية وكشكشية * واذا بالمطران المزبور قد غاص فى بلوعة فوهآ فى تعريب ذلك الكتاب * ولما كان جاهلا بتصليح الطبع زيادة على جهله باللغة كان لا بد من تبليغ هذه الروائح الخبيثة منزل الفارياق * فان مدير المطبعة كان

من اصحابه فكلّفه بان يصحح غلط الطبع من دون تعرض لتصحيح الغلط
فى الترجمة * وح عرف سبب قدوم المطران ومكايده * فصرّ بعض هبّات
كريهة من تلك الروائح وبعث بها الى اللجنة المذكورة واقام ينتظر
الجواب * ثم اتفق بعد مدة ان قدم الى الجزيرة السيد المعظم سامى
باشا المفخم المشهور بالمناقب الحميدة * وكان للفارياق دالّة عليه فسار
اليه ليهنئه بقدومه * فكلفه المشار اليه بان يمكث عنده مدة الاعتزال
فاخبر زوجته بذلك * فقالت له كم مرة اقول لا خير فى الاعتزال * قال
لا باس به اذا كان مع امير فان شرف الاسم يكفى * قالت لا يغنى
الاسم عن الفعل شيا * قال فقلت بل اجتزا به كثير * قالت أمع جارٍ
له * قلت لا ادرى * قالت لو كان الاسم يغنى لكانت المراة تكتب
على موضع من جسمها لفظة امير * قلت اعوّض ما يمضى * قالت ولا
فامْض على العوض * قلت ما اعجل النسآ * قالت وما احبّهن للابطآ *
قلت قد كنت اودّ لو ان الله خلقنى امراة او انه يصيرنى امراة فاما الان
فلا اريد اذ لا صبر للنسآ كالرجال * ومن يعش فى هذه الدنيا فلا بد
وان يكون صبورا * قالت لو لم تكن النسآ اصبر من الرجال ما كنّ
يعمّرن فى الارض اكثر منهم على ما يلحقنهن من اوجاع الحبل والولادة *
قلت ليس هذا هو السبب وانما هو ان الصالح من الناس لا تطول حياته
على الارض بخلاف الطالح * قالت هل فى الرجال صلّاح وما من فساد
الا والرجال مخترعوه * هل تفسد الاناث فى الاناث ما تفسده الذكور
فى الذكور * وهل يفسد النسآ غير الرجال * ومن ذا الذى يتصبّاهن
ويتالفهن ويتنقشهن ويغازلهن ويغويهن بالمال والوداد والوفآ غيرهم *
حتى اذا استوثق احدكم باحدنا فاحرز سرّها ذهب فى الحال وباح به *

Digitized by Google

وربما سكر مع بعض معارفه او تساكر فافتخر امامهم بافشآ ما يجب كتمانه وبهتك ما يلزم صونه * الا وانّ الرجل منكم ليعتمد على ما خصّه الله به من القوة والباس فيعتقد ان له الفضل على المراة فى كل شى * ولو كان الفخر بالقوة لكان الفيل افضل من الانسان * نعم انّا ليسرّنا ان نرى الرجل شيظما أيّدا ولكن لا يليق به والحالة هذه ان ياتى امرانه الضعيفة المسكينة فيعاملها بالخيعرة والدغمرة والدنقرة والزنترة والزنخرة والزمجرة والزنهرة والشنزرة والشنصرة والشنظرة والشمصرة والعجهرة والغذمرة والغثمرة والغيثرة والخزربة والخطلبة والخظلبة والدحقبة والدعربة والدنحبة والزغدبة والسقلبة والشغزبة والشهجبة والصرخبة والصعنبة والطغربة والعثلبة والعصلبة والغسلبة والقحطبة والقرطبة والنيربة * ثم اذا ذهب الى اخرى اوهمها انه اسيرها وعانيها وقنّها ورقيقها وقَيْنها وقُنّورها وماهِنها وقُنّجلها ومملوكها وذليل حبّها ودنف غرامها وعميد عشقها وصريع هيامها وميت هواها وشهيد حبّها * وان الله تعالى لم يخلقه فى الدنيا الّا لمرضاتها * قال فقلت اذا كان الرجل مخطئًا فى ذلك فالمراة غير بريئة ايضا لتصديقها اياه وانقيادها له * قالت انما تصدّقه من صفآ سريرتها وسلامة صدرها * فان الصادق لا يرتاب فى كلام غيره وان الكريم ينخدع * ولو ان الناس سمعوا مثلا بان امراة متزوجة تحب غير زوجها لانكروا عليها ذلك كل الانكار * واستفظعوه غاية الاستفظاع * فتطبّل به الطبول وتزمر الزمور وتكتب الكتب * ولا يبقى فى البلد احد الا ويروى عنها حكاية او ترّهة * فاما اذا سمعوا عن الرجل انه يحب غير زوجته فانهم يحملون فعله على وجه مرضى ويعتذرون عنه بقولهم ان امرانه غير زافنة * او انها جُنّة منفاص * او ميراص او منشاص * او خذنفرة

Digitized by Google

او غَبوق * او زخّاخة خقوق * او فتقآ غقوق * او رتقآء غفوق * او نجّاخة فشوش * او منخار حضُون * او بخوآ انجى * او بخرآ زَهوَى * او مُبْخِرة صحيآ * او ضهوآ صهيآ * او هرعة رفغآ * او سلقلق او متكآ * او قشور او مصوآ * او ناسعة شقآ * او مهلوسة او لصآء * او لثية او لخم * او خيفق ذات عفلق او قلذم * او حمق وعفل او ذقنآ * او ميقاب او فجوآ * او لقوة او خثوآء * او قنشورة او ذنآ * او قرثع اوسلتا * او خرور او قعمآء * اوعانط او شرمآء * او عنبلة او لخوآء * او مُجبّاة او رَمِصة وغير ذلك من العيوب ولا يرون فى فعله هذا سماجة * مع ان للمراة اسبابا تحملها على الشطح اكثر من اسباب الرجل * قلت تفضلى بذكرها كى اجانبها * قالت اوّلها ما اذا لم يقم الرجل بوفآ حق زوجته * وهو حق الزواج الذى من اجله تترك اباها وامها واهلها ووطنها وبلادها وغير مرة دينها * قلت اللهمّ لطفك وعصمتك ثم ماذا * قالت ومنها اهماله امورها وقلة اهتمامه بما فيه راحتها وانشراح صدرها وتطييب خاطرها * وتلهيتها وتسليتها وترويتها وتحليتها وتدفئتها وتطريتها وناسيتها وتقويتها وتمشيتها وتغديتها وتمزيتها وتمنيتها وتمليتها وتهنئتها وتوقيتها * قلت نعم وتعريتها وتمذيتها وتمريتها وتنديتها وتنضيتها وتمسيتها وتنجيتها * قالت نعم كل هذا واكثر حالة كونها اسيرة بيته طول النهار قائمة بخدمته متعهدة لاموره * وهو يطوف فى البلد من مكان الى مكان وينتقل من سوق الى سوق * حتى اذا جآ منزله انطرح كالمغشى عليه وقال ان الشغل جهده والجهد شغله وانه عرض له كذا وجرى عليه كذا * مع انه هو الذى تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا * ومنها رقة فواد المراة والشفقة التى فطرها عليها البارى تعالى * فلا يمكن لها ان تقابل

رجلا عن مودته لها الا بالوداد او عن تملقه اليها الا بالميل اليه والاقبال عليه * وناهيك ما فى الرحم والرحمة من الاشتقاق والمجانسة * قلت واعجب من احتجاجك بهذا الاشتقاق التناسب بين معانى الكَيس* قال فى القاموس الكَيّس خلاف الحمق والجماع والطبّ والجود والعقل والغلبة بالكياسة * وبين البِرّ والسرور والبسط والشرح والبُضع والبضاعة والشعور والمشاعرة واللمج والقمط * وخصوصا بين ابى أُدّراس وابى ادريس دامت الفتهما فى اللفظ والمعنى * فقهقهت وقالت شرّف الله لغتنا الجامعة بين كل متناسبين ومتجانسين * قلت ولكن قد يلازم ذلك احيانا ما يسوء او ما لا يليق * نحو ازّ فانه بمعنى جامع ورمى بالسلح * وجخّ رمى بببوله ومسح جاريته * ومعط جامع ونتف الشعر وحبق * وجلخ جامع وبطنه سحجه وفلانا بالسيف بضع من لحمه بضعة * ومتخ جامع وبسلحه رمى * وملخ جامع وجذب الشى قبضا او عضا وتردد فى الباطل * وملق جامع وضرب بالعصا * وجظّ جامع وطرد وصرع وبالغصة كظّه * وخجّ جامع وبسلحه رمى * ولخب جامع وفلانا لطمه * ومتر جامع وبسلحه رمى * وجلد جامع وفلانا ضربه بالسوط واصاب جلده * وعصد جامع ولوى وفلانا اكرهه على الامر * وصفن جامع وبغائطه رمى * ومحن جامع وضرب * ومشن جامع وخدش * وأسوى احدث وخزى وفى المراة اوعب * وكذا حشأ وحطأ وحلأ ونجأ ورطأ وزكأ ولثأ وغير ذلك مما لا يحصى * قالت كل صعب فى جنب ذاك يهون * ولا بدّ لجانى العسل من ان تابره النحل * ثم انى فهمت من فحوى كلامك ان هذه الافعال فى لغتنا الشريفة اكثر من ان تعدّ * وان اكثر المعانى قد وضع له فيها الفاظ كثيرة تسميها العلمآ اردافية على ما ذكرت

Digitized by Google

لى سابقا * قلت لم اقل لك هذا وانما قلت مترادفة * وان هذا الفعل بخصوصه له اكثر من مايتى لفظة * فكل لفظ دل على دفع او نهز او ضغط او ادخال دل عليه ايضا * قالت فهل تستطيع ان تذكر لى حرفا يدل بالخصوص على الامتناع عن النسآ عفةً وتقوى * قلت لم يمرّ بى حرف بهذا المعنى والّا لحفظته فانى مُوَلَع بحفظ الحروف النسائية * والظاهر ان العرب لم تكن تعرف ذلك * غير ان تبتّل وبَكَمَ يدلّان عليه فى احد معانيهما * قالت فى احد لا يغنى شيا * ثم استمرت تقول ومنها وهو مستفيض عند اكثر النسآ ان المراة اذا احسّت باعراض زوجها عنها او بفدوره او بالجفوة لها مع تحبّبها اليه واقبالها عليه وحالة كونها له عطيفا هلوبا بعيجا عروبا متبعّلة رعبليبا آنسة باهشة متبشبشة متهشهشة ذات رشرشة ومشمشة ونشنشة ووشوشة مدربخة وازكة منصعة واكعة مصوصا حارقة ان لم اقل عَلُوقا وغيرَ عاذمة مالت الى غيره لتُغيره وترده الى قديم محبتها* فان من الرجال الحمقى من لا يعرف قدر امراته الا اذا راى الناس يحبونها * فتكون محبتها لغيره علاجا لمحبته هو * وهذا يسمى عندنا دغدغة وزغزغة وسغسغة * فاما عيوب الرجل فهى لعمرى اكثر من عيوب المراة ولو لم يكن به غير الزمالقية لكفى * وهل والحالة هذه يجب حلّ عقدهما او يجوز او يمتنع اقوالٌ * فالنصارى على منعه مع انهم يقولون ان المقصود من الزواج بالذات الانتاج وحفظ النسل * والطبائعيون والفلاسفة على وجوبه اخذًا بهذا القول عينه ومراعاة لادآ حق المراة الواجب على الرجل وهو امر طبيعىّ لا بد منه ولا محيص عنه * وبقى الجواز فى عهدة غريمى الزواج * ان شآا بقيا على ما هما عليه والّا افترقا وهو الاصلح * ولعمرى ان المراة التى ترتضى بان تقيم مع زوجها من دون قضآ حقها لجديرة بان يعيّد لها

عيد في راس كل سنة * اليس ان استاذك صاحب القاموس الذى تستشهد
بكلامه في كل مشكل نسوانى قد قال الرجل م والكثير الجماع * فاذا كان
الزوج غير رجل فانّى يحل له ان يحوز عنده امراة لا يودى لها حقها * ايحل
لرجل ان يقنى دابة اذا لم يقدر على علفها * استغفر الله عن هذا التشبيه * او
لصاحب ارض ان يغادر ارضه غير محروثة ولا مزروعة ولا مسقية * افلا
يجب ح على الحاكم الشرعى ان يشتريها منه ويولّى عليها من يتعهدها
ويستغلّها * واذا كان الانتاج وحفظ النسل مشتركا بين الرجل والمراة بل
جلّ اركانه مختص بها ومتوقف عليها فلمَ لا يكون الطلاق مشتركا بينهما
ايضا اذا اقتضت الاسباب ذلك * اذ الطلاق عندى من غير سبب
ان هو الّا بَطَر وسفه * واقبح من ذلك ان روسآ النصارى ياذنون في مثل
هذه الحال في فراق الزوجين * ولكن لا ياذنون لهما في الزواج وان
يكن دآء الرجل عضالا لا يرجى له علاج في مدة انفصاله عن زوجته *
فايّ حكمة في ذلك واى ضرر من تزوجها بغيره ليولدها البنين والبنات *
فلعلّما ياتى من بنيها من يفوق غيره بالكسل والركاكة فيصير راهبا او
مطرانا * وعسى ان ياتى من بناتها من تتحمّس بالوساوس والهواجس
والاحلام فتصير راهبة * هذا وقد ورد في التوراة حكاية عن البارى تعالى
انه قال تكاثروا واملأوا الارض على مبالغة فيه * فان مَلْ الارض بشرًا يوجب
خرابها لا عمرانها * وقال مار بولس ان المراة تخلص نفسها بتربيتها البنين
الصالحين * فهل تعليق الزوج والزّوجة عن الزواج مطابق لنصّ هذين
الحكمين * انظر الى اهل هذه الجزيرة فانك تجد اكثر الرجال منفصلين
عن ازواجهم وعائشين بالسفاح * وقسيسوهم مصرّون على ان ذلك اوفق
من الزواج الشرعى * مع ان القسيسين لا يعرفون الحقوق الزوجية لانهم

Digitized by Google

غير متزوجين * ايصح ترئيس روسآ على الجند ممن لا يحسنون صنعة الحرب والمبارزة * فقلت لله درّك من اين لك هذا كله وقد طالما اشتبه عليك الامرد والمحلوق اللحية عند قدومنا هذه الجزيرة * قالت ربّ شرارة اضرمت اتونا * انى كنت اعرف من نفسى انى لا البث ان ان انبغ فى هذا * وذلك لكثرة ما كنت ارى واسمع عن المتزوجين من الخلاف والمعاسرة * والشكو والمنافرة * لا سيما وقد رايت الان بلدا غير بلدى وناسا غير ناسى * واختبرت عادات جديدة واحوالا غريبة * فتوهجت تلك الشرارة التى كانت مودعة فى خاطرى تحت دمان الوحدة والانفراد حين هبت عليها نكبآ الاحوال المتغايرة والشؤون المتباينة * ولا سيما فى ليلة الرقص التى لا تنسى * ومذ ح خطر ببالى ان املى عليك كتابا فى حقوق الرجال والنسآ ولا بد من الشروع فيه * قال سافعل ذلك ان شآ الله ولكن الامير ينتظر قدومى عليه فى المعتزل غدا فلا بد من التوجه اليه قبل انشآ الكتاب * قالت قد تشفيت الان قليلا بما قلته فاذهب اليه وارجو ان لا تعاودنى هذه الاهتقاعة الا وانت هنا * فاستغاث واستوزع * واستعاذ واسترجع * ثم ذهب الى الامير المشار اليه وبعد ان قضى معه مدة الاعتزال سافر معه الى ايطاليا ثم رجع الى الجزيرة محفوفا باكرام الامير وانعامه *





الفصل التاسع عشر

في عجائب شتى

بُلَعْبيس حدَنْبَدَى * عُلَمِصَ خُزَعْبله * فِلْق فليق عِبْرة * اُدْب بُطِيْط فتَكِر * عجب فَنْك ضَحّك بُهْر * هِتْر هُكَر إِدّ بُجْر * زَوْل عَيْثَى بَجَل طِمّ أفت غُرْو فُرِيّ * ان الانسان لا يعرف نفسه * هذه سيّدتى الرسحا المسحا الرقعا الرفغا الرصعا المردا المصلا المزوا العصلا الجخا الزلّا القعوا النقوا الثطّا الضهيا الجخوا الجبّا المِزْلاج الكَروا العَصُوب المِنْدَاص الفاحسة تتهذ المرافد والحشايا وكبّة قطن تنفج به قميصها عن ثدييها لتوهم الناس انها دهساً وطباً * ولكن من اين جاءتك ياسيدتى هذه الحلية المباركة وهذا اللحم القَدِى * ونحن نرى ذراعيك كاليراعة او كعود الشُكاعَى * وعنقك كالعصا ويديك كالمشط ووجهك كالصابونة التى غسل بها القصّار ثياب القَدِيدِيينَ والفَدّادين والداجّ والداجَة * وترائبك كالقفص وكتفيك مؤلّتين مهلهلتين مرققتين مدققتين محدّدتين مقدّدتين مسربطتين مسمرطتين * فكيف غلطت فيك الطبيعة وسمّنتك فى هذين الموضعين الكريمين وعميت عن الباقى * وهذه سيدتى البُلّقوطة الدُعْشوقة الزُلُنّقطة الجَحَنْبرة الزّبازآ الجَعْبرة الحُرُنْقِفة الذِنّامة الزُفَيان العَشَبة الحُدُحّة الزُحَنة الضِرِزّة الزِوَنّة البُهْترة الجُبّاعة القُمَهْزَيَة القَهْقَزِيّة البُهْصُلة الدِرّامة القُفَنْزعة

Digitized by Google

القُرُنْبضة الفِنْبِل القنبل القَعْنَبة القُنْبُعة القَزَمة القُذْعملة الحَبَنْطاة الدَوْدَرى القُرْزحة الكَعْتة القُلّى الجلِنْز الزعْنِقة القُنْبُصة القِرْزَحْلة الحُزَقّة اذا مشت تطفر وتثب وتُهطع وتتالع وتعسج وتَهبَع وتتطالل وتشرئب وتصلهبّ وتشمعلّ وتترقص وتزمهلّ * وتحسب ان الناظرين لا يشبرونها باعينهم * ولا يفترونها ولا يذرعونها بخواطرهم * ولا يدرون اىّ فراش يليق بها * وهذه سيدتى السودا المسحّمة المدلهمّة المطرخمّة الفاحمة القانمة القاحة الدهمآ المدهامّة الحُتمآ المبرطِمة الدلمآ المدلامّة السحمآ الدجنآ الدخنآ الحُفَدْلَس تطلى وجهها بالحُمْرة والغُمرة والغمنة والحُوَر والزَيْنة * ثم تصعّر خدها للناس وتنظر اليهم شزرا * وتتيه عليهم دلالا وكبرا * فاذا حاولوا ان يروا موضعا آخر من جسمها ادارت لهم ذلك الموضع المطلىّ المحمّر * المنقش المزوّر * وجعلته شافعا فى سائر اعضائها * واوهمتهم ان المغطّى منها اشد بياضا من المكشوف وان لونها فى الليل يكون ازهى منه فى النهار * ولا سيما عند الخلوة * فانه يزداد بهآ وجلوة * وربما حكت حكاية طويلة تدل على انها لما قامت فى الغداة لم يكن لها وقت لاصلاح شانها * فلبست ثيابها على عجل وخرجت وهى لا تدرى كيف خرجت * وهذه سيدتى العجوز المتهدّمة * القَحِلة الشَهْربة * الطَهْمل اللّجبة * العَفَشْليل الصهصليق * الجلفزير الشفشليق * الخنْظير الشمشليق * الدردبيس الطرطبيس * الشَلْمَق الجحْرط * الشَمْلق الجحْرط * الجِرْبِش اللِطْلط * الهَيْعَرون الكَحْكح * الهِرْشَفة الجِلْبح * ذات القنثلة والنقثلة * والنعثلة والنغظلة (١) * لم تزل حُشْورة عِزهاة تتفتّى وتتصبّى وتحزّق ثوبها من عند خصرها * وتُهلس اذا جلس اليها فتى فى وكرها * وهذه سيدتى الجميلة البضة الغرآ * السنيعة الغضة الفرآ * الصبيحة الزهرآ *

(١) اسمآ العجوز اكثر من ان تعدّ

العبهر الغيداآ * الخُضَلّة الدعجآ * الخريدة الموقونة العجزآ * الرشوف الشنبآ * الخَنِبة الذلفآ * السَلِمة الكاعب * المصقولة الترائب * الحلوة الابتسام * الرخيمة الكلام * التى تسكر بمغازلتها * وتفتن بمباعلتها * وتصبى فواد من لم يصبُ عمرَه * وتتبله وتتيّمه * وتعبّده وتهيّمه * وان اخذ منها حذرَه * واستحضر رشده وصبره * ودينه وحِجره * تراها تمشى والخفر قد نكسَ راسها وغضّ طرفها فاذهلها عن ان تحسن خطوها * وتبدى زهوها * وليس بها شى من التغنج والتصرج والتبرّج والتغوّج والتحلّج والتدبّج والتخفج والتدعلج والتدحرج والتبغنج والترجرج والتزجج والتسرج والتموج والتنفج * مع انها لو دخلت على حضرة الملك لقام لها احتفالا * وناولها الميحار والمخصرة اجلالا * وانشدها

فديتك من مملّكة علينا يحق لتحتها تخت الخلافه
خذى تاجى بادنى لثمة من ملاغم فيك او آدنى ارتشافه

او على حضرة ناموسه المفخم * ووزيره المكرم * لدهش عن شغله اكبارا لها واعظاما * والقى اليها الخاتم استسلاما * وانشدها

اليك الفصل فى كل الامور على اُسرى اميرٍ او وزيرِ
فما الدستور الّا دسّ نَوْر اليك فهل سبيل للشغور

ولو دخلت مجلس قاضى القضاة * لاهدى اليها الكنز والدر وما ملكت يداه * وانشد

لها علىّ فى الهوى حظان لا للذكر
فان لى سؤلين منها ذا وذاك وطرى

Digitized by Google

ولو دخلت على طبيب يعالج تيتآ لوصف له مسّ رانفتها * وشم سالفتها * وانشد

دهن السقنقور والترياق للعلل رضاب فيك وللعنّين ذى الفَجَل
حتى اذا لم يدع فى الريق من وشل ارشفته الخمر نعم الخمر من بدل

ولو خطرت على منجم لرمى الاسطرلاب من يده حيرة وذهولا * وبلبلة وغفولا * وانشد

لسنا نرى الّا جمالك فى الضحى فهو المنير بجنح ليل اظلما
قد بلبل الفلكىّ منك مفلّك فعليك تقويم الذى ما قوّما

او على فيلسوف لذهبت معه حكمته سدى * ولم يجد للصبر عنها رشدا * وانشد

من حكاك الجسمين تقتدح النار كذا مذهب الذى قد تفلسف
وهى دعوى فان جسمى اذا احتك بهذى اسال ماء فانزف

او على مهندس لاشكلت عليه الاشكال * وتبلبل منه البال * وانشد

يفدى المكعّبَ منك كل مكعب ومحدّب ومقعر فى العالم
ياليت ذا الشكل الهلالى الذى فيك استقرّ على عمودى القائم

او على منطقىّ لخرج عن القياس * وخبط فى الالتباس * وانشد

على اللديدين منى ساقها وضعت ياحسن ذلك موضوعا ومحمولا
اصبحت تاليها ابغى مقدّمها اذ كان كل سرور فيه مامولا

او على نحوىّ لما ميّز الفاعل من المفعول * وراى ان معرفة ذلك من الفضول * وانشد

Digitized by Google

رويدك انني ما جئت نكرا لديك وليس لى ذنب فيذكر
برئت من النحاة وحق ربّى لقولهم بتغليب المذكر

او على عروضى لتقطع فواده * وكثر زحافه واسناده * وانشد

هنّدتنى ياذات كل ملاحة وتركت قلبى بالغرام يعلّل
ارعى النجوم الليل فيك واننى مستفعل مستفعل مستفعل

او على شاعر لدلع لسانه تلزّجا * ثم تلمظ وتمطق ثم عض بنانه قسحا * وانشد

كم تاه صبّ بفرط العجب والتيه لكن حياوك تاليهى وتوليهى
ان يولنى منك تجنيسى مجانسة احدث توريتى واخترت توجيهى

ألا ولو انها مسحت على عنق كل متّى ومنك ايها القارى لاغناهما عن الخضض * ومصح ما بهما من الورم والنُفّاخ والنَفْطة والغُدَد والعُقَد والقَمَد والقَفَد والحَثَر والعُجَر والعاذور والبُجَر والجُدَر والغبر والكُعَر والثُعَر والزَوَر والحَبَر والقصر والنَعَفة والسُلَع *والنَكَف والغَبَب والغَلَب والذِرْبة والترود والعَصَل والمَقَط والقَسَط والتشنج والتحجّن والتغضف والتغضن والتصعفر والتقبض والقَفَص والإرْدَن والتشنّن والكَنَع والتكربش والتكرش والتكمش والاشخاص والقَرَه والقَلَه والثَأى واليُجما والحَزْوة والتنبّج والذُباح والرَثية والضَواة والزَرّة والخَضعة والشاكّة والإدْل والاِجْل والجدل والصَمْغة والقروح والخُرّاج والدمّل والعِنبة والبثور والثاليل والخنازير والالتواء والهَنَع والحُبْون والنَذْب والعَثْم والوَكَس والحَبَط والأُجور والنَدَم والعَرَب والعاذِر والأثر والطَلْيا والعَلَب والعَصَب والقوباء والجَرْو والدُغام والخَدْش والجَلْف والحَشفة والحَفَت والقُطوف والزَرَف والكَدْم والنُسوف والغَلْصمة والحَوْلق والحُلاق والفَرَك والكُتاف والهَيْض والخُناق *

Digitized by Google

وهذه سيدتى الزَنَمَرْدة العَنجرد الدَلعُوس الالقة السلقة الملقاع الجفنبس الحنفس العنفص البلقع السلفع الهَرْوم المُهَضْهِضة الشنظيان البنظيان البهْرج الطَّليف المُسجل الظَلَف الفانكة المنملة المتياح المزعاج المعنَّة الخطّالة الخالجة الرّادة الزلزة المخناث الهَلوك المتهالكة المتهتكة المستهترة الباغزة الحوّاسة العواسة الدِرْدِم الدَرْدَب المتوهجة المتلعجة اللّفوت العجينة المقفاطة الجَلوط الخروط الخلطة الجليع الجَلعة الخريع الجالقة الشَبقة الشتيقة المعفاص المعقاص الجُنبثة البطريرة البظرير الدمرآ القاشرة الجلبانة العنقفيز السَحلوت السُلخوت الهمرى النعّارة الهيعرة الهيرعة الهَوْزورة الزاغية السِعْوة الساعية الخيتروع الخيتعور العسوس الضنوط المماجن النجأة الملألئة الشَرُوب القَعِرة المستعربة المستضربة المستنخبة القَفْخة الوَذاح المُدربخة المُردّة الصامد المستعقدة الفخذآ الثامدة المستدرة المستذرة المستصورة المستطيرة المستظرة الشَفِرة القَعِرة القَرُور الهَوسة المبلاس المنعظة الكَرِعة الواكعة التبعى المختلعة القَمِعة الهَكِعة الهقعة المتهقعة الضَبعة الطالع الوَتغة الهينغ المستولغة المُراغة الصارف الحَلِقيّة المستحلقة المستودقة الحارقة الشبقة المتفككة المداركة المفلّكة المستجعلة المستوبلة المُبذم المُدقم المُبلم المُهدم القَطِمة الهَدِمة العَظِمة المستحرمة الغَيلم المتوسّنة المستأنية الحانية المتسدّاة التى قد علم كل واحد من اهل البلد حين تخطر فى اسواقه وشوارعه وازقته ودروبه وردوبه انها تدعُوهم بعينيها وبجميع جوارحها الى التمشير الى القِراب الى الاشغار الى الاقلعفاف الى الاشمعطاط الى الاشتماذ الى الافضآ الى الاقتعآ الى الكفاح الى العِراض الى التلفيع الى الدهفشة الى النشنشة الى الهكاع الا السِباع الى التشيّط الى الحصحصة الى الاسوآ الى

الايعاب الى الرفش والقفش الى المحش الى المسح الى الإجفان الى الإفطآ
الى الإنقاش الى القَزْب الى الرّكّ الى البكّ الى المهك الى الهك
والهكهكة الى الرهك الى الحرث الى الهق الى الزَجْل الى الاماهة الى
الزَعْب الى الخَوْق الى الدعم الى الرّطْم الى الكَوْس الى الإقحاط
الى الوَمْس الى الدَعْظ الى الدعمظة الى السَغم الى الإكسال الى الإطمار
الى الغَفْق الى الخفق الى الوَجْس الى الإفهار الى الظَلْم الى التداوُم الى
التسنّي الى التقمقم الى التجبية الى الإبراك الى التدبيخ الى
الإنسداج الى الانسراح الى الانشداح الى التنوّخ الى الدربخة الى
الدهشرة الى المَشق الى السَلق الى الصَلْق الى السَلْقاة الى المَزْد الى
الحَرش الى الشِقّيّة الى المحارقة الى الكَشر الى النَخْب الى التفنشخ الى
الظُهارِيّة الى الترفّغ الى التفشغ الى الفِشاغ الى المُزمّعة الى القرفطة الى القرفصة
الى الكابوس الى النَخطّ الى لَخّ العرفجة الى التكويذ الى الشَفْر الى التشفير
الى التدليص الى التفخيذ الى التحييص الى الخَسَف الى التلجيف الى دحّ دح
الى أرّ ار الى ازّ از الى باظ باظ تقعد في مجلس رئيسة بنات النُقَرى وتطفق
تعيب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن ويتعطرن
ويتحلين ثم يخرجن ويمشين الخيلآ * ولكن أنسيتِ ياسيدتي يوم قلت
لشيخك ما احد يعشق الا ويتغيّر لونه عند ذكر معشوقه * فقال لك
ليس ذلك بمطرد * فكابرت واصررت على قولك فكابر هو ايضا واصرّ على
انكاره * فقلت له حتى تجيّه لو انك ذكرت لى اسم —— ثم انتبهتِ
وسكتِّ * فقال لك وقد طنّ قرن دماغه اسم مَن * فضحكتِ وقلت لا
ادرى * ويوم خرج بك ليفرّج عنك الهمّ في يوم راح فخرجت وقد كشفت
نصف صدرك ولمعت الترائب والمفاهر واللعوة وهو لا يدرى لغفلته *

Digitized by Google

فلما التفت اليك ووجدك على هذه الحالة قلت ان الريح فعلت ذلك * ويوم كان يماشيك فقلت وانت ذاهلة لغلبة الهوى افدى بروحى وجه من اهوى * فلما سالك قلت ما هو الّا انت وما انت الا هو * ويوم ارسلت خادمك * ويوم بعثت خادمتك * وغداة كتبت رقعة دعوت فيها من شاقك * وضحوة تاخرت * وعشية تعطّرت * وساعة اعتذرت * وفُنَينة فرّمت * وليلة اوهمت وجمجمت * وفَنّة همت وهمهمت وهينمت * ونوّة تزبرجت وتعلّمت * ونُفِسة أُرْنمت * وفَيْسة زممت وسلّمت * وحِيْنة استحرمت حتى دُعمت * الم تكن هذه القوافى كلها مكافئة لنظر جارتك من الشبّاك * وهذا المطران اتناسيوس التتونجى قد صار الان مترجما معربا كاتبا منشئا * وهو اضيق استا من ان يفعل * ولم يبال ان جرّ عليه بتعريبه است الكلبة * وقد حسب مضايق الحرف كلها سوآ * وتعنّى وتعمّل * ولَهْوج ولهوق * وطرمذ وطرطر * وتفيّش وتحرّش * وقرمش وفشفش * وهربج وهلج * وسفسف وهمرج * واخترص وثمثم * ونورّه وضهيا * وانهأ ونيّأ * وتكسّس وتزبّب * وتنفج ولبلب * وخرشب وخشرب * وتحذلق وتابّب * وتصوّك وتزنج * وتندخ وتزنخ * ومردل وافجس * ومرطل وغطرس * وتفيهق وتشدق * وعفك وبشك * وخرق وحزق * وربك ولبك * وعصد ولفت * وهو اعظم فى نفسه من المتّشمة (ا) اليس فى الكون من مِرآة وزجنجل وسجنجل وعِناس ومِنظار ووَذِيلة ولُجّة ومارية وزَلّقة ومُذِيّة او زجاجة او صفيحة فتنظر سيّداتى هولآ فيها وجوههن وما هنّ عليه من الاحوال * اليس فى الشرق من سيبويه فيصفع * اما فى الغرب من ابن مالك فيقدع * الا اخفش فيغار على هذه اللغة * ويرض راس هذه الوزغة * كيف يظن الانسان

(ا) المتشمة امراة وشمت استها ليكون احسن لها وفى المثل هو اعظم فى نفسه من المتشمة *

انه عالم ولم يتعلم * واديب ولم يتادب * وفقيه ولم يتفقه * نعم انه لا يرى جهله فى مرآة كما يرى وجهه ولكن اليست الكتب هى مرآة العقل * فمتى قرا كتب العلمآ ولم يفهمها عرف حدّ ما وصل اليه من العلم * غير ان المطران اثناسيوس التتونجى مطران طرابلس الشام المقيم فى جميع البلدان الّا فيها لم يطالع شيا من مولفات العلمآ * فغاية ما علمه من النحو باب الفاعل والمفعول * ومن البيان نوع التجريد * ومن الفقه باب النجاسات * ومن العروض الوتد المتحرك * ومن البديع ردّ العجز على الصدر * هذا حدّ ما عرفه وتبجح به فى مدرسة عين تراز حين كان قيّم تلامذتها * فاما سبب فراره منها الى رومية ثم من رومية الى مالطة ثم من مالطة الى باريس ثم فراره من باريس الى لندرة ثم فراره من لندرة الى مالطة * ثم فراره هذه السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه الشلّاق * وتشهيره هناك وتجريسه فى الاخبار اليومية حتى حرم من تعاطى هذه الحرفة التى الفها مذ سنين كثيرة * وتسبّبه فى زمن موسم لندرة فى ان جمع جماعة مغنّين ومغنيات من بيت اشق باش بحلب * واغواؤه اياهم على ان يقصدوا الموسم طمعا فى الربح * ودخوله معهم ومع شركائهم اولا فى شروط المصروف والتجهيز * ثم استرجاعه المبلغ الذى كان ادّاه اليهم واشتراطه عليهم اشراكهم اياه فى الفائدة من دون ان يشاركهم فى التعب * وذلك فى مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميم الذى كان سببا فى تخسير رئيسى هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه فى هذا الكتاب * وربما قال قائل هنا انك ايها المولف قد عبت على الناس جهلهم انفسهم * وقد اراك جهلت نفسك فى هذا الفصل فاوردت فيه كلاما لا يليق

Digitized by Google

بالنسآ * فقد تجاوزت ابن ابى عتيق وابن حجاج * قلت الحامل
على ذلك امران * احدهما ابراز محاسن لغتنا هذه الشريفة * والثانى
انى قصدت تشويق القارئين ممن ملأوا حيطان ديارهم من قصب
التبغ الى شرآ كتاب فى اللغة * فياقارئنا وياسامعا * وياراقنا وياعامسا *
قل للمتعنت ان من كان فى فيه مرارة لم يستطيب الحلاوة * وبعد
فانى اترامى على اقدام سيدتى المدقم وسيدتى الدعشوقة وسيدتى
الفالحسة وسيدتى المسخمة * واطلب منهن العفو عن
طغيان القلم اذ لا يمكن لى ان
ابيت هذه الليلة
وهن علىّ
غضاب
*





الفصل العشرون

في سرقة مطرانية

لما رجع الفارياق من عند الامير المشار اليه اخبر زوجته بما احسن به اليه وبانه وعده بوظيفة حسنة في مصر * فقالت انا اسبقك اذًا وانت تنتظره هنا فاني قد اشتقت الى اهلي فدعني اسافر اليهم * قال لا باس فلما ازف الفراق اخذ يودعها ويقول * اذكري يازوجتي ان لك في الجزيرة حليلا يرعاك وخليلا لا ينساك * فقالت من لي بهذا * قال فقلت ايّ هذا تعنين * قالت انما اعنيك * قلت بل المتبادر غيري * قالت هل الحقائق تتوقف على بوادركم انتم العرب * وما زال دابكم نبش ما في صدور النسآ من الاسرار * وفقس ما في يوافيخهن من الافكار * ومواخذتهن بالدثّ والوهم * ومعاملتهن بالحدس والقَسْم * ومعالجتهن بالهجس والزعم * والرضح والرجم * والتذقح واللَغم * والرسيس والوَغم * بدل الغَمْس والغَسم * والجلهزة والرأم * والحزم والوزم * والجمش والفغم * والضم والدعم (۱) ولو ان الله تعالى يواخذ العباد باللغو مثلكم لما بقي على وجه الارض من بشر * قلت اكثر هذه المشاحنات ناشي عن لغتنا فان كل عبارة منها تحتمل عدة معان لسعتها * قالت ليتها كانت ضيقة * قلت وهذا ايضا من ذاك * قالت وكذا ذاك في هذا * قلت وكذلك

(۱) الدثّ الرجم من الخبر والقسم ان يقع في قلبك الشي فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة والرضح خبر تسمعه ولا تستيقنه وتذقح له تجرّم وتجنّى عليه ما لم يذنب والوغم واللغم

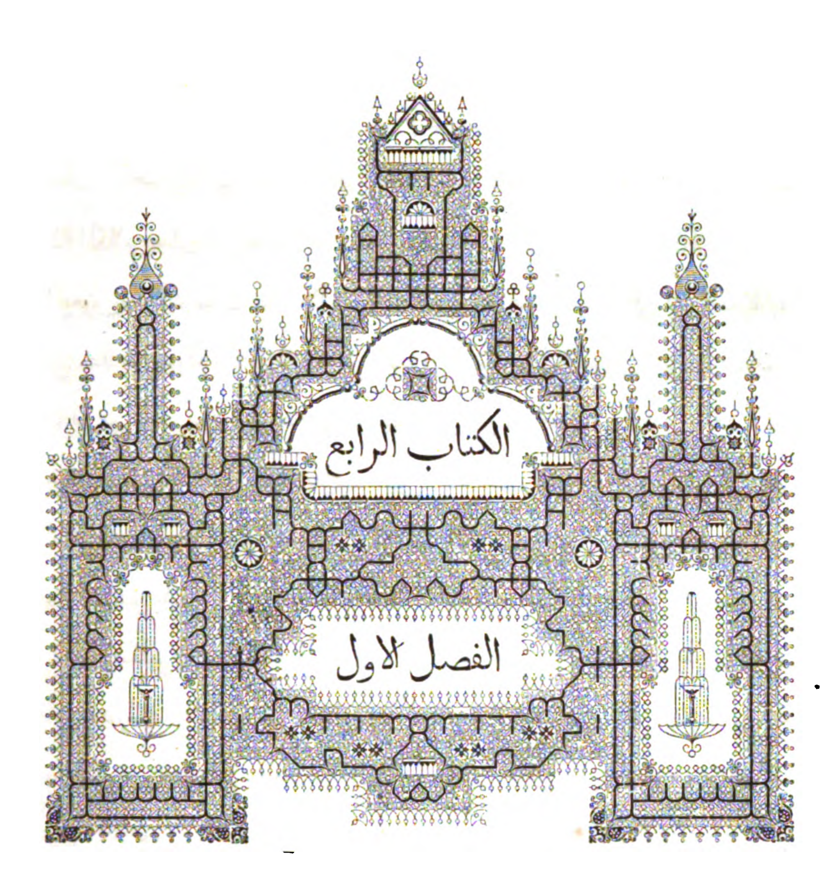
عليه * قالت ونحته ايضا فالاولى اذًا السكوت * قلت ليس عند ذلك *
قالت انتم الرجال كلكم مِنخاريّون فَطافطيون رفشيون * قلت من
اين علمت ذلك * قالت قد رجعنا الي الوهم والقسم * قلت بل
فلنعد الى الوداع * قالت نعم انى اسافر وليس لى من آسف عليه *
قلت هل انا في جملة غير الماسوف عليهم * قال ما انت كاحد
الناس * قلت وهذا ايضًا كلام مبهم السمت برجل * قالت في احد
المعنيين * قلت هل بقى لك علىّ شي * قالت جُمْعة * قلت اعندك
حساب ذلك في دفتر * قالت نعم قد غرّنا تلحزكم في الشعر
ياشعرآء فزعمناكم قوالين فعالين * فاذا بكم لا تحسنون الا الوصف *
قلت ومن يحسن الفعل * قالت من لا يحسن الوصف * قلت
واين حق الادب * قالت في مجالس العلمآ لا في مجالع النسآ *
قلت ذلك يفضى الى الانبتات * قالت وهذا الى الانبتات *
قلت كيف يمكن الفراق اذا * قالت ان شئت الوزم الان والا
فدعه الى ان تاتى مصر * قلت كيف يتاتّى وزم اعوام * في ساعات
او ايام * واشفق إن احين وعلىّ ذُبابة * قالت اذا كنت لم تخش
من الدَّين * فما اخالك تخشى من الحين * قلت لقد اذكرت
ناسيا وطالما حسبت الناس كلهم مثلى * قالت وانت انسيتَ
ذاكرة لكونى لم ارَ لى مثلا * قلت اذكرى السطح واصفحى *
قالت ليس الصفح الا من ذكر السطح * قلت انى اردت السطح
القديم * قالت انما اريد الحديث * قلت يقال في الامثال لا بركة الا في
القديم * قالت يقال في الامثال لكل جديد لذة * قلت كيف الفراق
وفي قلبك ضغن * قالت ياحبذا الضغن * قلت اذا كان بمعنى
الشوق الىّ * قالت نعم هى من الالفاظ الغريبة التي تعلمتها

Digitized by Google

منك كالعِبقَيَون والفِطْحَل والحَبْرة * قلت لعلك انست من العقيون العقيان ومن الفطحل الفحل ومن الحبرة الحِبَرة * قالت لا تانس الحِبَرة بالحِبَرة * قلت قد وقع ذلك فانهم قالوا النعمة من النعومة * قالت وقالوا ايضا التسديد من السداد * قلت لم يرد فى النهى عن ذاك امر * قالت هو مقيس على نقيضه * قلت هذا بذر فى ارض سباخ * قالت وذلك قَراح بلا حرث * قلت الكلام على البذر * قالت لا يمرؤ الطعام ما دام فى الحلق ولا يسوغ المآء الا اذا مرّ على الزلقوم * ثم تواداعا بعد مباراة الذمم وشيعها الى سفينة النار ثم رجع الى منزله كئيبا مستوحشا * لانها كانت كثيرًا مّا تدله على الرشاد وتنهج له الراى السديد * ثم لم يشعر بعد ايام الا وروائح المطران قد انتشرت وهى اشد اذى من الاولى * فبعث منها قدرا اخر الى اللجنة المذكورة وكتب لهم * ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شكاكم كل ذى خيشوم * فلما بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا ان قوله الحق * فبدا لهم ان يسدّوا مسامّ المطران عن اخراج ذلك الخبث * وان يحضروا اليهم الفارياق لاعادة ترجمة الكتاب الذى تقدم ذكره * هذا وقد كان الفارياق الّف فى احوال اهل الجزيرة كتابا وعاب عليهم فيه بعض عادات ورسوم دينية ودنياوية مما تفردوا به عن نصارى بلاده * وذلك كتغطيسهم اجراس الكنائس فى مآء المعمودية * واطلاق اسمآ القديسين عليها * وكخروجهم بالدمى والتماثيل نهارا وايقاد الشموع امامها وما اشبه هذا * وكان قد اعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد عليه * فاتفق ان زاره المطران يوما فراى الكتاب على كرسى وقد عرف خط مولفه * فغافل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع منه الاوراق التى اشتملت على ذكر تلك العادات * ثم بعث بها الى رئيس

مصلح البحر وكتب عليها باللغة الطليانية * انظر ايها الرئيس ان كان قائل هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رناستك اَوْ لا *الا ان الرئيس المذكور لما كان لا يعرف ما اشتملت عليه تلك الصحائف مع عدم قدرته على عزل المتوظفين في خدمة الدولة * كان لا بد من اعادة الاوراق الى المولف * وكان المطران قد فرّ من الجزيرة قبل اعادتها وطهر الجو من روائحه * ولو بقى بعد ذلك لعوقب على هذه السرقة معاقبة تليق بامثاله * ووقتئذ عزم الفارياق على السفر لقضآ تلك المصلحة اعنى ترجمة الكتاب وارسل الى زوجته يعلمها بما استقر عليه الراى * واشار عليها بالرجوع اذ كان يرجو انه يبقى في بلاد الانكليز بعد انهائه الكتاب * غير انه جرت العادة في بلاد الافرنج بان مدرسي اللغات في مدارسهم الجامعة لا يكونون الّا منهم وان كانوا جاهلين * وبعد ان رجعت الفارياقية تاهب الفارياق للسفر * وها هو الان يوعى القاموس والاشموني في صندوقه * وها انا منطلق لقضآ حاجة لا بدّ منها * فاسمحوا لى ان استريح قليلا *





فى اطلاق بحر

-oooo-

من لم يسافر فى البحار ويقاسِ فيه الانوآ والامواج فلا يقدر ترفه المعيشة فى البر حق قدرها * فينبغى لك ايها القارى البرّىّ ان تتصور فى بالك كلما اعوزك المآ القراح واللحم الغضيض والفاكهة الطريئة والبقول الخَضِلة والخبز الليّن ان اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله * وان سفينتهم لا تزال تميد بهم وتتقلب وتصعد وتهبط * فدون كل لقمة يسترطونها غصة * وفى كل رقدة يرقدونها مغصة * وانه متى وضع بين يديك لون واحد من الطعام فلا تفكر الّا فيه * واعتقد ان غيرك يغتذى بمثله فى تلك الساعة بل باقلّ منه * فبذلك يحصل لك التاسّى والتسلى *

Digitized by Google

فاما اذا نظرت الى قصور الملوك والامرآ وصروح الوزرآ وفكرت فيما ياكلون ويشربون فانك لا ريب تتعب نفسك وتعنّيها لغير فائدة * ولكن اتحسب ان المعتّقة التى يشربها الامير الذّ من المآ الذى تشربه انت * حالة كونك عارفا بامور المعاش والمعاد * مضطلعا بادارة مصلحة لك تكفيك واهلك المونة * وحالة كون زوجتك تجلس قبالتك او عن يمينك وشمالك * وولدك الصغير على ركبتك * تارة يغنى لك * وتارة يناولك بيده اللطيفة ما سالت عنه امّه * واذا خرجت شيعاك الى الباب واذا قدمت صعدا معك واجلساك على انظف متّكا فى الدار * فاما انت ياسيدى الغنى فالاولى لك ان تسافر من مدينتك العامرة . حتى ترى بعينيك ما لم تره فى بلدك * وتسمع باذنيك ما لم تسمعه * وتختبر احوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم وسياستهم * ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا * ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلا بلغتهم فلا تحرص بحقك على تعلم كلام الخَنَى منهم اوّلا * او تستحلى الاسمآ من اجل المسمّيات * فان كل لغة فى الكون فيها الطيب والخبيث * اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات الانسان وافعاله وافكاره * ومعلوم ان فى هذه ما يُحمَد وما يذمّ * فأُجلّك عن ان تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم الا اسمآ بعض الاعضآ وعبارات اخرى سخيفة * لا بل ينبغى لك حين تدخل بلادهم سالما ان تقصد قبل كل شى المدارس والمطابع وخزائن الكتب والمستشفيات والمخاطب * اى الاماكن التى يخطب فيها العلمآ فى كل الفنون والعلوم * فمنها ما هو معدّ للخطابة فقط ومنها ما يشتمل على جميع الالات والادوات اللازمة لذلك العلم * واذا رجعت بحمده تعالى

Digitized by Google

الايعاب الى الرفش والقفش الى المحش الى المسح الى الإجفان الى الإفطآ
الى الانقاش الى القَزْب الى الرَّك الى البلق الى المهك الى الهك
والهكهكة الى الرهك الى الحرث الى الهق الى الزَجْل الى الاماهة الى
الزَعْب الى الخَوْق الى الدعم الى الرَّطم الى الكَوْس الى الإقحاط
الى الوَمْس الى الدَعظ الى الدعمظة الى السَغم الى الإكسال الى الإطمار
الى الغَفْق الى الخفق الى الوَجْس الى الإفهار الى الظَلْم الى التداؤم الى
التسنّى الى التقمقم الى التجبية الى الإبراك الى التدبيخ الى
الانسداج الى الانسراح الى الانشداخ الى التنوّخ الى الدربخة الى
الدهشرة الى المَشق الى السَلق الى الصَلْق الى السَلْقاة الى المَرْد الى
الحَرش الى الشِقِّيّة الى المحارقة الى الكَشر الى النَخْب الى التفنشخ الى
الظُهاريّة الى الترفّغ الى التفشغ الى الفِشاغ الى المُزَمّعة الى القرفطة الى القرفصة
الى الكابوس الى النَخط الى لَىّ العرفجة الى التكويذ الى الشَفْر الى التشفير
الى التدليص الى التفخيذ الى التحييص الى الحَسَف الى التلجيف الى دحّ دح
الى أرّ ار الى ازّ از الى باظ باظ تقعد فى مجلس رئيسة بنات النَقَرى وتطفق
تعيب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن ويتعطرن
ويتحلين ثم يخرجن ويمشين الخيلآ * ولكن أنسيتِ ياسيدتى يوم قلت
لشيخك ما احد يعشق الا ويتغيّر لونه عند ذكر معشوقه * فقال لك
ليس ذلك بمطرد * فكابرت واصررت على قولك فكابر هو ايضا واصرّ على
انكاره * فقلت له حتى تجيه لو انك ذكرت لى اسم —— ثم انتبهتِ
وسكتِ * فقال لك وقد طنّ قرن دماغه اسم مَن * فضحكتِ وقلت لا
ادرى * ويوم خرج بك ليفرّج عنك الهمّ فى يوم راح فخرجت وقد كشفت
نصف صدرك ولمعت الترائب والمفاهر واللعوة وهو لا يدرى لغفلته *

Digitized by Google

فلما التفت اليك ووجدك على هذه الحالة قلت ان الريح فعلت ذلك * ويوم كان يماشيك فقلت وانت ذاهلة لغلبة الهوى افدى بروحى وجه من اهوى * فلما سالك قلت ما هو الّا انت وما انت الا هو * ويوم ارسلت خادمك * ويوم بعثت خادمتك * وغداة كتبت رقعة دعوت فيها من شاقك * وضحوة تاخرت * وعشية تعطّرت * وساعة اعتذرت * وفُيَيْنة فرّمت * وليلة اوهمت وجمجمت * وفُنّة همت وهمهمت وهينمت * وتوّة تزبرجت وتعلّمت * وتُنفة أرْتمت * وفُيّنة زممت وسلّمت * وجِيْنة استحرمت حتى دُعمت * الم تكن هذه القوافى كلها مكافئة لنظر جارتك من الشبّاك * وهذا المطران اتناسيوس التتونجى قد صار الان مترجما معربا كاتبا منشئا * وهو اضيق استا من ان يفعل * ولم يبال ان جرّ عليه بتعريبه است الكلبة * وقد حسب مضايق الحرف كلها سوآ * وتعنّى وتعمّل * ولَهْوج ولهوق * وطرمذ وطرطر * وتفيّش وتحرّش * وقرمش وفشفش * وهربج وهلج * وسفسف وهمرج * واخترص وثمثم * وتورّه وضهيا * وانهاً ونيّاً * وتكسّس وتزبّب * وتنفج ولبلب * وخرشب وخشرب * وتحذلق وتاتّب * وتصوّك وتزنح * وتندخ وتزنخ * ومردل وافجس * ومرطل وغطرس * وتفيهق وتشدق * وعفك وبشك * وخرق وحزق * وربك ولبك * وعصد ولفت * وهو اعظم فى نفسه من المتّشمة (١) اليس فى الكون من مِرآة ومِرآة وزجنجل وسجنجل وعِناس ومِنظار ووَذِيلة ولُجة ومارِيّة وزُلْقة ومُذيّة او زجاجة او صفيحة فتنظر سيّداتى هولآ فيها وجوههن وما هنّ عليه من الاحوال * اليس فى الشرق من سيبويه فيصفع * اما فى الغرب من ابن مالك فيقدع * الا اخفش فيغار على هذه اللغة * ويرض راس هذه الوزغة * كيف يظن الانسان

(١) المتشمة امراة وشمت استها ليكون احسن لها وفى المثل هو اعظم فى نفسه من المتّشمة *

انهِ عالم ولم يتعلم * واديب ولم يتادب * وفقيه ولم يتفقه * نعم انه لا يرى جهله فى مرآة كما يرى وجهه ولكن اليست الكتب هى مرآة العقل * فمتى قرا كتب العلمآ ولم يفهمها عرف حدّ ما وصل اليه من العلم * غير ان المطران اتناسيوس التتونجى مطران طرابلس الشام المقيم فى جميع البلدان الّا فيها لم يطالع شيا من مولفات العلمآ * فغاية ما علمه من النحو باب الفاعل والمفعول * ومن البيان نوع التجريد * ومن الفقه باب النجاسات * ومن العروض الوتد المتحرك * ومن البديع ردّ العجز على الصدر * هذا حدّ ما عرفه وتبجح به فى مدرسة عين تراز حين كان قيّم تلامذتها * فاما سبب فراره منها الى رومية ثم من رومية الى مالطة ثم من مالطة الى باريس ثم فراره من باريس الى لندرة ثم فراره من لندرة الى مالطة * ثم فراره هذه السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه الشلّاق * وتشهيره هناك وتجريسه فى الاخبار اليومية حتى حرم من تعاطى هذه الحرفة التى الفها مذ سنين كثيرة * وتسبّبه فى زمن موسم لندرة فى ان جمع جماعة مغنّين ومغنيات من بيت اشق باش بحلب * واغواؤه اياهم على ان يقصدوا الموسم طمعا فى الربح * ودخوله معهم ومع شركائهم اولا فى شروط المصروف والتجهيز * ثم استرجاعه المبلغ الذى كان ادّاه اليهم واشتراطه عليهم اشراكهم اياه فى الفائدة من دون ان يشاركهم فى التعب * وذلك فى مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميم الذى كان سببا فى تخسير رئيسى هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه فى هذا الكتاب * وربما قال قائل هنا انك ايها المولف قد عبت على الناس جهلهم انفسهم * وقد اراك جهلت نفسك فى هذا الفصل فاوردت فيه كلاما لا يليق

Digitized by Google

بالنسآ * فقد تجاوزت ابن ابى عتيق وابن حجاج * قلت الحامل على ذلك امران * احدهما ابراز محاسن لغتنا هذه الشريفة * والثانى انى قصدت تشويق القارئين ممن ملأوا حيطان ديارهم من قصب التبغ الى شرآ كتاب فى اللغة * فياقارئا وياسامعا * وياراقنا وياعامسا * قل للمتعنت ان من كان فى فيه مرارة لم يستطيب الحلاوة * وبعد فانى انرامى على اقدام سيدتى المدقم وسيدتى الدعشوقة وسيدتى الفاحسة وسيدتى المسخمة * واطلب منهن العفو عن

طغيان القلم اذ لا يمكن لى ان

ابيت هذه الليلة

وهن علىّ

غضاب

*





الفصل العشرون

في سرقة مطرانية

لما رجع الفارياق من عند الامير المشار اليه اخبر زوجته بما احسن به اليه وبانه وعده بوظيفة حسنة في مصر * فقالت انا اسبقك اذًا وانت تنتظره هنا فاني قد اشتقت الى اهلي فدعني اسافر اليهم * قال لا باس فلما ازف الفراق اخذ يودعها ويقول * اذكري يازوجتي ان لك في الجزيرة حليلا يرعاك وخليلا لا ينساك * فقالت من لي بهذا * قال فقلت ايّ هذا تعنين * قالت انما اعنيك * قلت بل المتبادر غيري * قالت هل الحقائق تتوقف على بوادركم انتم العرب * وما زال دابكم نبش ما في صدور النسآ من الاسرار * وفقس ما في يوافيخهن من الافكار * ومواخذتهن بالدثّ والوهم * ومعاملتهن بالحدس والقَسْم * ومعالجتهن بالهجس والزعم * والرضخ والرجم * والتذقح واللَغم * والرسيس والوَغم * بدل الغُمْس والغَسم * والجلهزة والرأم * والحزم والوزم * والجمش والفغم * والضم والدعم (١) ولو ان الله تعالى يواخذ العباد باللغو مثلكم لما بقي على وجه الارض من بشر * قلت اكثر هذه المشاحنات ناشي عن لغتنا فان كل عبارة منها تحتمل عدة معان لسعتها * قالت ليتها كانت ضيقة * قلت وهذا ايضا من ذاك * قالت وكذا ذاك في هذا * قلت وكذلك

(١) الدث الرجم من الخبر والقسم ان يقع في قلبك الشي فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة والرضخ خبر تسمعه ولا تستيقنه وتذقح له تجرّم وتجنى عليه ما لم يذنب والوغم واللغم

Digitized by Google

عليه * قالت وتحته ايضا فالاولى اذًا السكوت * قلت ليس عند ذلك *
قالت انتم الرجال كلكم مِنخاريّون فُطافطيون رفشيون * قلت من
اين علمت ذلك * قالت قد رجعنا الي الوهم والقسم * قلت بل
فلنعد الى الوداع * قالت نعم انى اسافر وليس لى من آسف عليه *
قلت هل انا في جملة غير الماسوف عليهم * قال ما انت كاحد
الناس * قلت وهذا ايضًا كلام مبهم السمت برجل * قالت في احد
المعنيين * قلت هل بقى لك عليّ شي * قالت جَمْعةٌ * قلت اعندك
حساب ذلك في دفتر * قالت نعم قد غرّنا تالحزكم في الشعر
ياشعرآء فزعمناكم قوالين فعالين * فاذا بكم لا تحسنون الا الوصف *
قلت ومن يحسن الفعل * قالت من لا يحسن الوصف * قلت
واين حق الادب * قالت في مجالس العلمآ لا في مجالع النسآ *
قلت ذلك يفضى الى الانبتات * قالت وهذا الى الانبتات *
قلت كيف يمكن الفراق اذا * قالت ان شئت الوزم الان والا
فدعه الى ان تاتى مصر * قلت كيف يتاتّى وزم اعوام * في ساعات
او ايام * واشفق إن احين وعليّ ذُبابة * قالت اذا كنت لم تخش
من الدَين * فما اخالك تخشى من الحين * قلت لقد اذكرت
ناسيا وطالما حسبت الناس كلهم مثلى * قالت وانت انسيتَ
ذاكرة لكونى لم ارَ لى مثلا * قلت اذكرى السطح واصفحى *
قالت ليس الصفح الا من ذكر السطح * قلت انى اردت السطح
القديم * قالت انما اريد الحديث * قلت يقال في الامثال لا بركة الا في
القديم * قالت يقال في الامثال لكل جديد لذة * قلت كيف الفراق
وفي قلبك ضغن * قالت ياحبذا الضغن * قلت اذا كان بمعنى
الشوق اليّ * قالت نعم هى من الالفاظ الغريبة التي تعلمتها

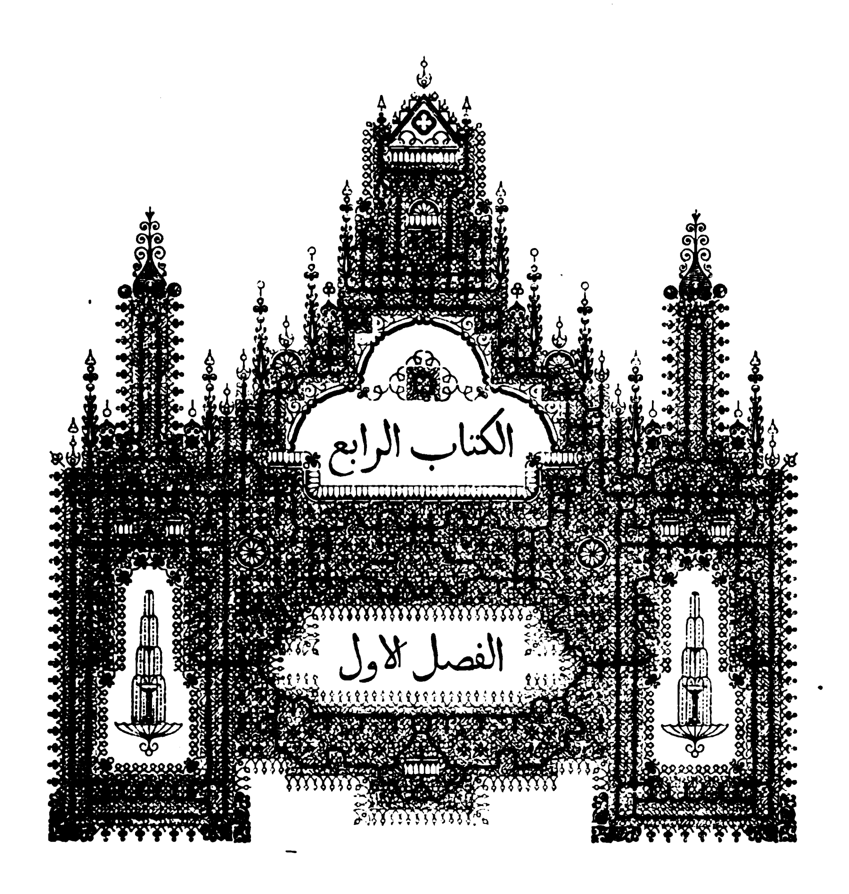
Digitized by Google

منك كالعِقْيَون والفِطَحْل والحَبْرة * قلت لعلك انست من العقيون العقيان ومن الفطحل الفحل ومن الحبرة الحِبَرة * قالت لا تانس الحِبَرة بالحِبَرة * قلت قد وقع ذلك فانهم قالوا النعمة من النعومة * قالت وقالوا ايضا التسديد من السداد * قلت لم يرد فى النهى عن ذاك امر * قالت هو مقيس على نقيضه * قلت هذا بذر فى ارض سباخ * قالت وذلك قَراح بلا حرث * قلت الكلام على البذر * قالت لا يمرؤ الطعام ما دام فى الحلق ولا يسوغ الماء الا اذا مرّ على الزلقوم * ثم توادعا بعد مباراة الذمم وشيعها الى سفينة النار ثم رجع الى منزله كئيبا مستوحشا * لانها كانت كثيرًا مّا تدله على الرشاد وتنهج له الراى السديد * ثم لم يشعر بعد ايام الا وروائح المطران قد انتشرت وهى اشد اذى من الاولى * فبعث منها قدرا اخر الى اللجنة المذكورة وكتب لهم * ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شكاكم كل ذى خيشوم * فلما بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا ان قوله الحق * فبدا لهم ان يسدّوا مسامّ المطران عن اخراج ذلك الخبث * وان يحضروا اليهم الفارياق لاعادة ترجمة الكتاب الذى تقدم ذكره * هذا وقد كان الفارياق الّف فى احوال اهل الجزيرة كتابا وعاب عليهم فيه بعض عادات ورسوم دينية ودنياوية مما تفردوا به عن نصارى بلاده * وذلك كتغطيسهم اجراس الكنائس فى ماء المعمودية * واطلاق اسماء القديسين عليها * وكخروجهم بالدمى والتماثيل نهارا وايقاد الشموع امامها وما اشبه هذا * وكان قد اعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد عليه * فاتفق ان زاره المطران يوما فراى الكتاب على كرسى وقد عرف خط مولفه * فغافل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع منه الاوراق التى اشتملت على ذكر تلك العادات * ثم بعث بها الى رئيس

Digitized by Google

مصلح البخر وكتب عليها باللغة الطليانية * انظر ايها الرئيس ان كان قائل هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رئاستك أَوْ لا * الا ان الرئيس المذكور لما كان لا يعرف ما اشتملت عليه تلك الصحائف مع عدم قدرته على عزل المتوظفين في خدمة الدولة * كان لا بد من اعادة الاوراق الى المولّف * وكان المطران قد فرّ من الجزيرة قبل اعادتها وطهر الجو من روائحه * ولو بقى بعد ذلك لعوقب على هذه السرقة معاقبة تليق بامثاله * ووقتئذ عزم الفارياق على السفر لقضآ تلك المصلحة اعنى ترجمة الكتاب وارسل الى زوجته يعلمها بما استقر عليه الراى * واشار عليها بالرجوع اذ كان يرجو انه يبقى في بلاد الانكليز بعد انهائه الكتاب * غير انه جرت العادة في بلاد الافرنج بان مدرسى اللغات في مدارسهم الجامعة لا يكونون الّا منهم وان كانوا جاهلين * وبعد ان رجعت الفارياقية تاهب الفارياق للسفر * وها هو الان يوعى القاموس والاشمونى في صندوقه * وها انا منطلق لقضآ حاجة لا بدّ منها * فاسمحوا لى ان استريح قليلا *





فى اطلاق بحر

من لم يسافر فى البحار ويقاسِ فيه الانوآ والامواج فلا يقدر ترفه المعيشة فى البرحق قدرها * فينبغى لك ايها القارى البرّىّ ان تتصور فى بالك كلما اعوزك المآ القراح واللحم الغضيض والفاكهة الطريئة والبقول الخَضِلة والخبز الليّن ان اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله * وان سفينتهم لا تزال تميد بهم وتنقلب وتصعد وتهبط * فدون كل لقمة يسترطونها غصة * وفى كل رقدة يرقدونها مغصة * وانه متى وضع بين يديك لون واحد من الطعام فلا تفكر الّا فيه * واعتقد ان غيرك يغتذى بمثله فى تلك الساعة بل باقلّ منه * فبذلك يحصل لك التاسّى والتسلى *

Digitized by Google

فاما اذا نظرت الى قصور الملوك والامرآ وصروح الوزرآ وفكرت فيما
ياكلون ويشربون فانك لا ريب تتعب نفسك وتعنّيها لغير فائدة *
ولكن اتحسب ان المعتّقة التى يشربها الامير الذّ من المآ الذى تشربه
انت * حالة كونك عارفا بامور المعاش والمعاد * مضطلعا بادارة مصلحة
لك تكفيك واهلك المونة * وحالة كون زوجتك تجلس قبالتك او عن
يمينك وشمالك * وولدك الصغير على ركبتك * تارة يغنى لك * وتارة
يناولك بيده اللطيفة ما سالت عنه امّه * واذا خرجت شيعاك الى الباب
واذا قدمت صعدا معك واجلساك على انظف متّكا فى الدار *
فاما انت ياسيدى الغنى فالاولى لك ان تسافر من مدينتك العامرة .
حتى ترى بعينيك ما لم تره فى بلدك * وتسمع باذنيك ما لم تسمعه *
وتختبر احوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم
وسياستهم * ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا *
ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلا بلغتهم فلا تحرص بحقك على تعلم
كلام الخَنى منهم اوّلا * او تستحلى الاسمآ من اجل المسمّيات * فان كل لغة
فى الكون فيها الطيب والخبيث * اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات
الانسان وافعاله وافكاره * ومعلوم ان فى هذه ما يُحمَد وما يذمّ * فاُجلّك
عن ان تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم الا
اسمآ بعض الاعضآ وعبارات اخرى سخيفة * لا بل ينبغى لك حين تدخل
بلادهم سالما ان تقصد قبل كل شى المدارس والمطابع وخزائن الكتب
والمستشفيات والمخاطب * اى الاماكن التى يخطب فيها العلمآ فى كل
الفنون والعلوم * فمنها ما هو معدّ للخطابة فقط ومنها ما يشتمل على
جميع الالات والادوات اللازمة لذلك العلم * واذا رجعت بحمده تعالى

Digitized by Google

الى بلدك فاجتهد فى ان تولف رحلة تشهرها بين اهل بلادك لينتفعوا بها ولكن من دون قصد التكسّب ببيعها * ويا ليتك تشارك بعض اصحابك من الاغنيآ فى انشآ مطبعة تطبع فيها غير ذلك من الكتب المفيدة للرجال والنسآ والاولاد ولكل صنف من الناس على حدته * حتى يعرفوا ما لهم وما عليهم من الحقوق * سوآ كانت تلك الكتب عربية او معرّبة * ولكن احذر من ان تخلط فى نقلك عن العجم الطيب بالخبيث والصحيح بالمعتل * فان المدن الغنّآ تكثر فيها الرذائل كما تكثر الفضائل * نعم ان من هولآ الناس لمن يابى ان يرى احدا وهو على الطعام * واذا اضطر الى رؤيته وهو على تلك الحالة فلا يدعوه للّوس شى مما بين يديه * لكن منهم من يدعوك الى صرحه فى الريف فتقيم فيه الاسبوع والاسبوعين وانت الآمر الناهى * وان منهم لمن يبخل عليك برد التحية * واذا دخلت دار صديق منهم وكان فى المجلس جماعة من اصدقائه لم يعرفوك من قبل فما احد منهم يتحلحل لك فى القيام ولا يعبا بك ولا يلتفت اليك * لكن منهم من اذا عرفك اهتم بامرك فى حضورك وغيابك على حد سوى * واذا ائتمنته على سرّ كتمه لك طول حياته * وان منهم لمن ينبزك بالالقاب اول ما يقع نظره على شاربيك ولحيتك او على عمامتك او يجذبك من ذيلك من ورآ * ولكن منهم من يتهافت على معرفة الغريب ويرتاح الى الرفق به والاحسان اليه ويرى اجارته وحمايته فرضا عليه متحتما * وان منهم لمن يسخر منك اذا راك تلحن فى لغته * ولكن منهم من يحرص على ان يعلمك اياها مجانا اما بنفسه او بواسطة زوجته وبناته * وعلى ان يعيرك ما يفيدك من كتب وغيرها ويرشدك الى ما فيه صلاح امرك وتوفيقك * وان منهم

Digitized by Google

لمن يحسبك قد وافيت بلاده تسابقه على رزقه فيكلح فى وجهك وينظر
اليك شزرا * لكن منهم من ينزلك فى بلده منزلة ضيف يجب اكرامه
واحترامه والذبّ عنه بحيث لا تنفصل عنه وفى قلبك ادنى اَلَم من اهله *
وان منهم لمن يستحرك ان تترجم له او تعلمه ثم لا يقول لك احسنت
يامترجم او يامعلم * لكن منهم من لا يستحلّ ان يكلمك من دون ان
يودّى اليك اجرة فتح فمك وضم شفتيك * وان منهم لمَن اذا اضطر
الى ان يدعوك الى طعامه ثم راك قد سعلت سعلة او مخطت مخطة
او فنخرت فنخرة قال لزوجته اَلا انّ ضيفنا مريض * فلا ينبغى ان تكثرى له من
الطعام * فتقوم عن المائدة متضورا ويمتنّ هو عليك بين معارفه بانه
صنع لك وليمة فى عام كذا وشهر كذا ويوم كذا فيجعل تلك الليلة تاريخا *
لكن منهم من اذا عرف انك مقيم فى احدى قرى بلاده حيث لا بيع
ولا شرآ ولا شى ينال من البقول والاثمار بعث اليك من مباقله وحدائقه
ما سدّ فاك عن الشكوى * كما كان مستر دراموند يبعث الى الفارياق
حين قدر الله عليه بالسكنى فى بعض تلك القرى فكانت شكواه منها
تسمع مع دوى الريح * ليت شعرى اليس وجود مئة كتاب بدارك
فى الاقل خيرا من وجود كذا وكذا قصبة للتبغ وكذا وكذا اركيلة * مع
ان ثمن المئة كتاب لا يوازى ثمن ثلث قطع من الكهربا * اليس وجود
مطبعة فى بلادك اولى من هذه الطيالس الكشميرية وتلك الفرآ السمورية
وهذه الآنية النفيسة والحلى الفاخر * فان الانسان اذا نظر الى الحلى
لا يستفيد منه شيا لا لبدنه ولا لراسه * وغاية فرحه به انما هو الشهر الذى
اشتراه فيه فاذا مضت عليه اشهر استوى عنده وسقط المتاع فلم يبق منه
ما يسرّه من وجوده سوى بيعه * فاما الكتاب فانه كلما مرت عليه السنون

Digitized by Google

زادت قيمته وكثرت منافعه * او ليس اطلاعك على التاريخ والجغرافية واداب الناس زينة لك بين اخوانك ومعارفك تفوق على زينة الجواهر * اليس تعليم اهلك وذويك شيا من ذلك ومن قواعد لازمة لحفظ الصحة من كتب الطب يكسبك عند الله اجرا ويومنك من مضار كثيرة تتطرق اليهم لجهلهم بها * فان قلت انه ليس عندنا كتب فى العربية تصلح للنسآ * قلت هب ما قلته حقا ولكن اليس عند الافرنج كتب مختصة بالنسآ والاولاد يولّفها الرجال الفاضلون المهذّبون * فلمَ تشترى من الافرنج الخزّ والمتاع ولا تشترى منهم العلم والحكمة والاداب * ثم انك مهما بالغت فى ان تبرقع زوجتك عن روية الدنيا فلن تستطيع ان تخفيها عن قلبها * فانّ المراة حيثما كانت وكيفما كانت هى بنت الدنيا واُمّها واختها وضرّتها * لا تقل لى ان المراة اذا كانت شريرة لا يصلحها الكتاب بل يزيدها شرّة * واذا كانت صالحة فما بها من حاجة اليه * فانى اقول ان المراة كانت اولا بنتا قبل ان صارت امراة * وان الرجل كان من قبل ولدًا * ولا ينكر احد ان التعليم على صغر * كالنقر فى الحجر * وانك اذا ربّيت ولدك فى العلم والمعارف والفضائل والمحامد يربون على ما ربّيتهم عليه * وتكون قد ادّيت ما فرضه الله عليك من تاديبهم * فتفارقهم بعد العمر الطويل وخاطرك مجبور وبالك رخى مطمئن * فلم يبق لك الا ان تقول ان ابى لم يعلمنى وكذا جدى لم يعلم ابى وانى بهما اقتدى * فاقول لك ان الدنيا فى عهد المرحومين جدك وابيك لم تكن كما هى الان * اذ لم يكن فى عصرهما سفن النار ودروب الحديد التى تقرب البعيد * وتجدد العهيد * وتصل المقطوع * وتبذل الممنوع * ولم يكن يلزم الانسان فى ذلك الوقت ان يتعلم لغات كثيرة * فكان

Digitized by Google

كل من يقول خوش كلدى صفا كلدى يقال فيه انه يصلح لان يكون ترجمانا في باب همايون * وكل من كان يكتب خطا دون خطي هذا الذى سودت به هذا الكتاب * لا الذى تقراه الآن فانى برى من هذه الحروف * كان يقال عنه انه كاتب ماهر يصلح لان يكون منشى ديوان * فاما الآن فهيهات * هذا الفارياق حين نوى السفر من الجزيرة الى بلاد الانكليز كان بعض الناس يقول له انك سائر الى بلاد لا تطلع عليها الشمس * وبعضهم يقول الى ارض لا ينبت فيها القمح ولا البقول * ولا يوجد فيها من الماكول الا اللحم والقلقاس * وبعضهم يقول انى اخاف عليك ان تفقد فيها رئتك لعدم الهوآ * وبعضهم يقول امعاك لعدم الاكل * وبعضهم صدرك او عضوا آخر غيره * فلما سار اليها وجد الشمس شمسا والهوآ هوآ * والمآ مآ * والرجال رجالا والنسآ نسآ * والديار ماهولة والمدن معمورة * والارض محروثة اريضة * كثيرة الصُوَى والاعلام * خضلة الغياض والرُبُض والآجام * ناضرة المروج * زاهية الحقول * غضة البقول * فلو انه سمع لاولئك الناس لفاته رؤية ذلك اجمع * فان خشيت ان تفوتك هناك لذة الاركيلة ولذة تكبيس الرجلين قبل الرقاد * فاعلم ان ما ترى هناك من العجائب ينسيك هذا النعيم * ويلهيك عمّا الفته فى مقامك الكريم * كيف ترضى لنفسك ان تفارق هذه الدنيا ولم ترها وانت قادر على ذلك * وقد قال ابو الطيب المتنبى

ولم ارَ فى عيوب الناس شيئا   كنقص القادرين على التمام

ام كيف تقتصر على معرفة ربع لغة ولا تتشوق الى علم ما يفكر فيه غيرك * فلعل تحت قبعته افكارا ومعانى لم تخطر بما تحت طربوشك *

Digitized by Google

بحيث انك اذا استوعبتها تودّ لو انك عاصرت صاحبها وتشرفت بمعرفته وصنعت له مادبة فاخرة زينتها بصحاف الرز والبرغل * وكيف تبلغ من عمرك ثلثين سنة ولم تولّف شيا يفيد اهل بلادك * فما ارى بين يديك الا دفاتر بيع وشرآ وفناديق دخل وخرج * ورسائل فاسدة المعانى ركيكة الالفاظ تنظر فيها فى كل صباح ومسآ * فاما اذا قصدت السفر لمجرد التفاخر فقط بان تقول مثلا فى مجلس زارك فيه اصحابك الكرمآ * واقرانك العظما * قد رايت مدينة كذا وشاهدت شوارعها النظيفة الواسعة وديارها الرحيبة ومراكبها الحسنة واسواقها البهيجة وخيلها المطهمة ونساها الرائعة وعساكرها الجرارة * واكلت فيها فى اليوم الاول كذا وشربت فى اليوم الثانى كذا * ثم ذهبنا بعد ذلك الى بعض الملاهى ثم الى احدى الملهيات * وبت معها على فراش وطى * وكان قبالة السرير مرآة كبيرة فى طول الفراش وعرضه فكنت ارى نفسى فيها كما كنت فى الفراش * ثم قمت فى الصباح وجاتنا خادمة صبيحة بصبوح او فطور * ثم عدت الى محلى فوجدت فيه فلانا ينتظرنى وكان ذلك نحو الساعة الحادية عشرة اى قبل الظهر بساعة * فتوجهنا معا الى البستان المسمى بالبستان السلطانى * وبينما نحن نمشى فيه وننظر الى الشجر الباسقة والزهور المدبجة اذا بالفتاة التى بت عندها تماشى رجلا يغازلها * فلما راتنى تبسّمت وسلمت علىّ * وكانّ سلامها لم يسوْ الرجل فانه نزع لى قبّعته فعجبت جدا من عدم غيرته * اذ لو كانت الفتاة عندى لحجبتها عن النور * فذلك كله يسمى فى العربية هُذُرا وهُرآء وهُفْتا وهَرْجا وهَلْجا وسُقطا وهَيْثا ووَتْغا وخَطَلا واخلاً ولَخى وطَفانين وهَذَيانا وثرثرة وفرفرة وحذرمة وهبرمة وهثرمة وخزربة وخطلبة وغيذرة وشمرجة ونفرجة

Digitized by Google

وهمرجة وغثغثة وفقفقة ولقلقلة ووقوقة وهتمنة وفى المتعارف عند العامة فشارا وعلكا * اذ لا فائدة فيه لاحد من الناس * بخلاف ما اذا قلت لهم ان الغيسانى من الرجال هناك اذا حضر مجلسا فيه نسآء لا يغمز احداهن بعينه ولا يتبظرم ولا يبتهر (١) * ولا يقول لها انه يزور النسآء المحصنات بعلم بعولتهن وبغير علمهم وياكل عندهن ويشرب * ثم يخلو بهن فى مضاجعهن ويرجع الى منزله مسرورا * وكايّن من مرة وضع يده فى جيبه فوجد فيه كيسا ملآن من الدنانير او كاغد حوالة على بعض الصيارفة * وانه اذا مرّ فى الاسواق تتهافت على رويته البنات من الرواشن والشبابيك والكُوَى والسِهآء والأَجْلآء * فمنهن من تشير اليه بيدها او براسها * ومنهن من تهجله بعينها ثم تضع يدها على قلبها * ومنهن من ترميه بوردة * واخرى بباقة من المنثور او برقعة فيها شعر * او انه يقول بحضرتهن قد انحلّت تكّتى او حكّنى رفغى لكون حشو سراويلى غليظا * او يحك استه او يرطل عيارة * او يتمطى ويتمتّى ويتمطّط ويتمدّد ويتمطّل ويتمتأ ويتمتّت ويتمأّى ويتنَطّط ويتمعط ويتمغط ويتبسط ويتبأّط * بل انما يكلمهن متادبا محتشما غاضّ الطرف خافض الصوت * ويسال كبيرتهن عما طالعت يومها ذاك من الاخبار والحكايات والنوادر الادبية * وانه شرع فى تاليف كتاب مفيد يشتمل على ذكر اثار الاقدمين واخبارهم * ثم يلقى على صغيرتهن احجية ادبية ليلهيها بها وبمثل ذلك يدخل مكرما ويخرج محمودا * وبخلاف ما اذا قلت لهم ايضا ان التاجر المثرى هناك لا يتختم بخواتم الماس والزمرّذ * ولا يتحلى بسلاسل الذهب * ولا يقتنى النادر من الاثاث والماعون والفرش * بل انما ينفق امواله فى سبيل البر واغاثة

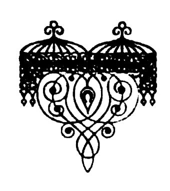
(١) تبظرم اذا كان احمق وعليه خاتم فيتكلم ويشير به فى وجوه الناس وابتهر ادعى كذبا وقال فجرت ولم يفجر *

Digitized by Google

الملهوفين وامداد الارامل واليتامى * وفى انشآ المدارس والمستشفيات * وفى تصليح الطرق وتحسين المدينة وازالة الاوساخ والعفونات منها * وفى ان يربى ولده بالادب والعلم والفضائل * فترى منهم من سنّه اثنتا عشرة سنة يكلّمك بما يكلّمك به من سنّه منا اثنتا عشرة سنة بعد العشرين * وبخلاف ما اذا تفضلت بذكره فقلت ان لكل انسان عندهم ممن لا يعدّ من الاغنيآ والفقرآ خزانة كتب نفيسة فى كل فن وعلم * وما من بيت الا وفيه اضبارة من صحف * وان الرجل منهم اخبر بالبلاد الاجنبية من اهلها * وان اكثر فلاحيهم يقراون ويكتبون ويطالعون الوقائع اليومية ويعرفون الحقوق الرابطة بين المالك والمملوك والحاكم والمحكوم وبين الرجل وامراته * وان من هذه الوقائع المطبوعة ما تبلغ عدة نسخه اربعة عشر مليونا فى العام * وما يدفع عليها لخزنة الدولة على طبع اجازتها يبلغ اكثر من خمسين الف ليرة * وانها لو عرّبت نسخة واحدة منها لجات اكثر من مائتى صفحة * وان صاحب العائلة منهم اذا جلس صباحا على المائدة مع زوجته واولاده يقبّل كلّا منهم ويسالهم عن صحتهم * ويفيدهم بعض نصائح وتنبيهات تكون لهم إماما فى ذلك اليوم * وانهم يكلمونه وهم مبتهجون فرحون ويرون حضوره فيهم سلوانا * وانهم لا يخالفون له امرا ولا يستثقلون منه تكليفا * وهم مع ذلك يُدلّون عليه بالبنوّة ويهابونه للابوّة * فهذا وامثاله اصلحك الله ينبغى ان تشنّف به مسامع اصحابك الكرام * عسى ان ينشطوا الى انشآ مدرسة او ترجمة كتاب او لارسال ولدهم الى بلد يتادبون فيه بالاداب المحمودة والمناقب الكريمة * واياك ياسيدى من ان تميل قبل هذا كله الى ان تاخذ عن بعضهم الخصال الذميمة كالطيش والنزق والبخل والفسق والكبر ومد الرجلين فى وجه جليسك *

Digitized by Google

فقد ذكرت لك آنفا ان البلاد التى تكثر فيها الفضائل تكثر فيها الرذائل ايضًا * وانه ليس من انسان الا وفيه عيب بل عيوب * غير انه ينبغى لكل منا ان لا يزال يجد ويسعى فى طريق الكمال وفى تهذيب اخلاقه وحواسه الباطنة بكل ما يبدو لحواسه الظاهرة * وكما ان لذة الحواس لا يشعر بها الانسان الا فى مقدّم جسمه دون موخره كذلك ينبغى لكل ذى جسم من الحيوان الناطق ان يعتمد على التقدّم فى المعارف والدرايه والمحامد الى الغايه * وكنت اود لو ان احدا من اهل بلادنا نقل فضيلة او مأثرة عن هولآ الناس الى اخوانه ومعارفه كما تنقل الاخبار والروايات * وبودى لو تستحيل اصناف الماس والزمرذ والياقوت والدهنج والشعثع والدر والعقيان والكهربا والمها وقلنسوة الراهب معها حالة كونها معدودة من الجواهر والتحف الى كتب ومدارس ومكاتب ومطابع *





الفصل الثانى

في وداع

لما حان سفر الفارياق اخذ يودع زوجته بعد ان اوعى القاموس والاشمونى في صندوقه ويقول * اذكرى يازوجتى انّا عشنا معا برهة طويلة من الدهر * قالت ما اذكر الا هذا * قال فقلت أَذِكْرٌ ناكرٍ ام شاكرٍ * قالت نصف من هذا ونصف من ذاك * قلت يرجعنا النحت الى الاول * قالت او يرجع الاول الى النحت * قلت اىّ اوّل اضمرتِ * قالت ما لك ولتاويل المضمر * قلت حسبى ان تُبيّنى لى حقيقة ذلك * قالت اذا فكرت فى انك لى ولغيرى كنت من الناكرين والا فمن الشاكرين * قلت انك كنت نهيتِنى عن المعاملة بالقَسْم وها انت الان تاتينه * قالت بل هو ياتينى * قلت أمَا فى فيك لفظة لا * قالت ان لفظتها كانت نَعَم * قلت ان لا من المراة اِلَّى * قالت وان نعم نعم * قلت اجعلت هذا دابك * قالت ودابت فى هذا الجَعل * قلت هذا لا يليق بذات ولد * قالت ولا تلد من لا تليق * قلت من مادة واحدة * قالت ان كانت المادة غير زيادة متصلة احوجت الى اختلاف الصور * قلت وكيف تبقى متصلة على اختلاف الاشكال * قالت لا اشكال فى كيفية الاشكال فان واحدا منها يغنى عن الجميع * وانما الكلام على رسم


Digitized by Google

الكمية * قلت ما الحدّ * قالت في الجد الهزل وفي الهزل الجد * قلت
ارايتك لو اقمت نائبا عني في ذاك مدة غيابي * فضحكت وقالت على
ما احبّ انا ام على ما تحب انت * قلت بل على ما تحبين انت *
قالت لا يرضى الرجل بذلك الا اذا كان غير ذي غيرة ولا يكون غير ذي
غيرة الا اذا كره امرأته وكلف بغيرها فانت اذاً كَلِف بغيري * قلت ما
انا بالكَلِف ولا بالطَرِف * لكن الرجل اذا كان شديد الحبّ لامرأته ودّ
لو انه يرضيها في كل شي * على ان الغيرة لا تكون دائما عن المحبة
كما نصّوا عليه * فان بعض النسآء يغرن على ازواجهن عن كراهية لهم
واعنات * مثال ذلك اذا منعت المراة زوجها عن الخروج الى بستان او
ملهى او حمّام مع عدة رجال متزوجين * وهي تعلم انهم في هذه المواضع
لا يمكنهم الاجتماع بالنسآ فهي انما تفعل ذلك تحكما عليه ومنعا له من
ذكر النسآ مع اصحابه والتلذذ بما لا يضيرها * وكذا اذا حظرته عن النظر
من شباكه الى شارع او روضة حيث يكثر تردّد النسآ * وكذا الحكم على
الرجل لو فعل ذلك بامرأته * فهذا عند الناس يعدّ غيرة لكنه في الواقع
بغضة * او ربما كان آخر الغيرة اول البغض كما ان افراط الضحك هو اول
البكآ * وكيف كان فان الرجل لا يمكن ان يحب زوجته الا اذا اباح
لها التلذذ بما شآت وبمن احبّت * قالت ايفعل ذلك احد في الدنيا *
قلت نعم يفعله كثير في بلاد غير بعيدة عنا * قالت بابي هم ولكن ما شان
النسآ ايفعلن ذلك ايضا لازواجهن * قلت لا بدّ حتى يعتدل الميزان *
قالت اما انا فلا ارضى بهذا الاعتدال فالميل عندي احسن * قلت وكذا
هو عندي في بعض الاحوال * قالت ولاحوال البعض * قلت فلنعد الى
السفر اني اسافر اليوم * قالت نعم الى بلاد فيها البيض الحسان * قلت

Digitized by Google

اتعنيهم ام تعنيهنّ * قالت اعنى نوعا ويعنينى آخر * قلت ولمَ يعنيك
وانتن المطلوبات فى كل حال ولذلك يقال للمراة غانية * قال فى القاموس
الغانية المراة التى تطلُب ولا تطلب * قالت ما احسن كلامه هنا لولا
انه قال قبل ذلك العوانى النسآ لانهن يُظلَمن فلا ينتصرن * غير ان هذه
النقطة شفعت فى تلك * قلت حبكن التنقيط داب قديم * قالت مثل
داب الرجال فى التحريف * وكيف كان فان مطلوبيّتنا هى اصل العنآ *
فان المطلوبة لا تكون الّا ذات العرض والاحصان * فويل لها ان خانت
محصنها * وويل لها ان حرمت طالبها وبانت تلك الليلة مشغولة البال
بحرمانه وخيبته وبكونها صارت سببا فى ارقه وجزعه وحسرته * والطالبة
تعود غير مطلوبة * قلت ليست اخلاق الرجال فى ذلك سوآ * قالت
انما اعنى الرجال الذين يطلبون ويكلفون بمن يطلبونه لا اولئك الطِرفين
الشنقين المسافحين الذين دابهم التذوّق والتنقل من مطلوب الى
آخر ونفع انفسهم فقط دون مراعاة نفع سواهم * ولكن هيهات هل فى
الرجال من يقيم على الوداد ولا يميل عنه كل يوم * لعمرى لو كانت
النسآ تطلب الرجال طلب الرجال للنسآ لما رايت فيهم غير مفتون *
قلت هل فى النسآ من تقيم على الوداد ولا تجنح عنه كل يوم الف مرة *
هذه الكتب كلها تشهد للرجال بالوفآ وعلى النسآ بالخيدعية * قالت مَن
كتب هذه الكتب اليس الرجال هم الذين لفّقوها * قلت ولكن من
بعد التحرّى والتجربة * قالت مَن يات الحَكَم وحده يفلج * قلت بل
اوردوا على ذلك شواهد وكفى بما ورد عن سيدنا سليمن برهانا ودليلا *
فانه قال قد وجدت بين الف من الرجال صالحا فاما بين النسآ
فلم اجد صالحة * قالت ان سيدنا سليمن وان يكن قد اوتى من

Digitized by Google

الحكمة ما لم يونّه غيره غيران افراطه فى النسآ شوش عليه الصالحة منهن من غير الصالحة * أَلَا ترى ان بائع المسك لطول ائتلافه بالرائحة القوية تضعف منه حاسة الشم بحيث لا يعود يشم الرائحة اللطيفة * واما ايراد الادلة من الرجال على النسآ دون ايراد ادلة النسآ على الرجال فمحض ظلم وبطر * قلت نعم كان الأَوْلَى مناصفة هذا الايراد ولكن سبحان الله انتن تتهمن الرجال فى كل شى ثم تتهافتن عليهم * قالت لولا اضطرار الاحوال * لما شغلن بذلك الابوال * قال فضحكت وقلت اىّ جمع هذا * قالت قسته على غيره * قلت وهل استوى المقيس بالمقيس عليه * قالت لا فرق * قلت بل كله فرق فان اللغة لا توخذ بالقياس * ولو صح ذلك لم تكن مناسبة بين الذكر والانثى ولا بين الانثى والذكر * ولا بين تذكير حقيقة التانيث وتانيث ما هو غير مقابل بمثله * قالت وهذا ايضا من بطر الرجال وتشويشهم فلا يكادون ياتون امرا مستقيما * قلت قد رجعت الى لومهم * قالت والله لقد حرت فى الرجال * قلت والله لقد حرتُ فى النسآ * ولكن فلنعد الى الوداع انى اعاهدك على ان لا اخونك * قالت بل تخوننى على عهد * قلت ما يحملك على سوء الظن بى * قالت انى ارى الرجال اذا كانوا فى بلاد لم يُعرفوا بها افحشوا غاية الافحاش * أَلَا ترى الى هولآ الغربآ الذين ياتون الى هذه الجزيرة كيف يتهتكون فى العهر والفجور * فاول ما يضع احدهم قدمه على الارض يسال عن الماخور * ولا سيما هولآ الشاميين ولا سيما النصارى منهم ولا سيما الذين الـمّوا بعلم شى من احوال الافرنج ولغاتهم فانهم يخرجون من المراكب كالزنابير اللاسعة من هنا وهناك * قلت لعلهم كانوا فى بلادهم كذلك * قالت ليس عندهم اسباب الفحش هناك * قلت او كانوا

Digitized by Google

فاسدين بالطبع * قالت نعم هو عرق فساد كامن فيهم فاول ما يستنشقون
رائحة بلاد الافرنج ينبض فيهم * ولذلك تراهم ابدا يتلمظون بذكر بلاد
الافرنج وعاداتهم واحوالهم * مع انك اذا سالت احدا منهم عن طعامهم
قال لا يستطيبه * او عن الحانهم قال لا تطربه * او عن كرمائهم قال
لم تادبه * او عن حمّاماتهم قال لم تعجبه * او عن هوائهم قال لم يلائمه *
او عن مائهم قال لم يسغ له * فيكون لهجهم بذكر بلادهم وتنويههم
بمحاسنها انما سببه الفحش * وانت من يضمن لى طبعك عن الفساد
وقد اسمعك كل يوم تُهيِّنم بذكر الرجراجة والرضراضة والبضباضة والفضفاضة
والربحلة والرعبوب والعطبول * وهى لعمرى الفاظ تسيل لعاب الحصور
وتشهّى الناسك * قلت ان هو الا كلام * قالت اول الحرب كلام *
قلت اترين اعدّى عن هذه الصنعة الشائقة * والحرفة العائقة * قالت
ان لم تتصور ذاتا بعينها عند الوصف فلا باس * قلت ان لم اتصور
ذاتا لم يخطر ببالى شى * قالت اذن هو حرام * قلت ما كفّارته *
قالت تصورك اياى لا غير * قلت ولكن انت خالية عن بعض الصفات
التى لا بدّ من ذكرها * قالت اذا كان الرجل يحب امراته راى فيها
الحسن كله ونظر من كل شعرة منها امراة جميلة * كما انه اذا احب
امراة غيرها احبّ لاجلها بلادها وهوآها ومآها ولسان قومها وعاداتهم واطوارهم *
قلت اوَ كذلك المراة اذا احبت رجلا * قالت هو فى النسآ اكثر لانهن
اوفر حبا ووجدا * قلت ما سبب ذلك * قالت لان الرجال يتشاغلون
بما ليس يعنيهم * فترى واحدا منهم يطلب الولاية وآخر السيادة وآخر
البحث فى الاديان وفى ما غمض من السفليات والعلويات * والنسآ
لا شى يشغلهن من ذلك * قلت ليتك تشاغلت مثلهم * قالت ليت

Digitized by Google

لى قلبين فى شغلنا * قلت افتنظرين فىّ الحسن كله كما زعمت *
قالت أُحْسِن فيك النظر * قلتُ فلنعد الى الوداع لا بل فلنعد الى التشاغل *
فانى اريد ان انهى هذه المسالة قبل ان افصل من هنا والّا فتكون لى
شاغل الطريق وربما افسدت شغلى عند القوم فارجع باللوم عليك وعلى
سائر النسآء * قالت اعلم ان المراة تعلم من نفسها انها زينة هذا الكون *
كما ان جميع ما فيه انما خلق لزينتها لا لزينة الرجل * لا لكونه مستغنيا
عنها بذاته اولكونها هى مفتقرة اليها لتحلو بها فى عين الناظر واذن السامع *
بل لعندم جدارة الرجل بها * فان الزينة نوع من الاخذ والتلقّى
والاستيعاب والزيادة وهى احوال انسبُ بالمراة منها بالرجل * وبنآء على
هذا اى على ان جميع ما فى الكون خُلِق لها بعضه بالتخصيص وبعضه
بالتفصيل والايثار * كان من بعض اعتقادها ان نوع الرجل ايضا مخلوق
لها * لا بمعنى انها تكون زوجة لجميع الرجال فان ذلك محال من
وجهين * احدهما انها لا تطيق ذلك لان سرّية ذلك اليهودى (على ما
ذكر فى الفصل التاسع عشر من سفر القضاة) لم تطق اهل قرية واحدة
(هى جبعة) على قلتهم ليلة واحدة * بل ماتت فى الصباح وسيدها
يحسبها نائمة * وهذه الحكاية ذُكِرت رَدْعًا للنسآء * والثانى انه اذا ثبت
لامراة حق فى حكر الرجال والاستبداد بهم ثبت الحق الباقى * ولكن
بمعنى انها اهل لان تعاشر جميع الرجال وتتعرف ما عندهم * فتتلهّى
من واحد بتمليقة ومن آخر باطرآة ومن غيره بمغازلة ومن آخر بمطارحة
وما اشبه ذلك * مما لا يمنعها من محبة زوجها والكلف به * لا بل —
قالُ فقلت انتّى هذه اللابلّية فانى اراها ترجمة لداهية من دواهى النسآ
وعنوانا على مكيدة من مكايدهن * فضحكت وقالت ربّما دلّك على

Digitized by Google

الراى الظنون * غير انى اخشى من ان تاخذك لبيانها شفشفة ورعدة فتتاخر عن السفر * او ان تظن ان هذا دابى معك * معاذ الله * انى لم اخُنْك بضَمْد ولا بغيرة * وانما علمت ما علمت من النسآ لان النسآ لا يكتم بعضهن عن بعض شيا من امور العشق واحوال الرجال * قلت أَوجِزى فقد قلقت وفرقت وعرقت * قالت اعلم ان بعض النسآ لا يتحرّجن من وصال غير بعولتهن لسببين * الاول لعدم اكتفائهن بالقدر المرتب لهن منهم * فانهم يعودونهن اوّلا على ما يعجزون عن اداته اليهن آخرا * ولا يخفى ان من النسآ المُدقِم وهى التى تلتهم كل شى * ومنهن الشفيرة وهى القانعة من البعال بايسره * ومنهن الصامد وهى التى تتخذ خليلين * ومنهن المِطْماع وهى التى تُطمع ولا تمكّن * ومنهن المَرْيَم وهى التى تحب حديث الرجال ولا تفجر وهو خُلقى * قال فقلت اللهم امين * قالت واللاعة وهى التى تغازلك ولا تمكنك * والسبب الثانى لاستطلاع احوال الرجال واختبار الابتع منهم وغير الابتع لمجرد العلم كيلا يفوتهن حال من احوالهم * ومنهن مَن تعتقد ان زوجها يخونها عند كل فرصة تسنح له * لما تقرر فى عقول النسآ ان الرجال لا شغل لهم الا مغازلتهن ومباغمتهن * فهى على هذا لا تجد سبيلا للشطح الا وتزقّ فيه * اعتقاد انها اخذت بثارها جُزْما اى قبل وقته الموقوت * ومع ذلك فلا يحلن عن محبة بعولتهن * بل ربما كان ذلك الشطح ادعى لزيادة حبّهن لهم * قلت لا متّعنى الله بحب ناشى عن مدقمية ولا ضمد * ولكن كيف يكون هذا التخليط ادعى الى زيادة الحب والمراة اذا ذاقت البكبك والعُجارم والقازح والكُباس لم تقتنع بعد ذلك بزوجها حالة كونه لا يحول عن الصفة التى فُطر عليها * وكذا الرجل ايضا اذا ذاق الرشوف والرصوف والحزنبل والعضوض

والاكبس فانه يرى زوجته بعد ذلك ناقصة * فضحكت وقالت لو كانت هذه الصفات لازمة للمراة وكان عدم وجودها فيها نقصا لما كنت تراها فى افراد قليلة من النسآء * فان معظمهن على خلاف ذلك * فاما سبب زيادة المحبة فيما زعمن مع التخليط فهو ان الزوج لطول الفته بزوجته وضراوته عليها وحالة كون مسّ احدهما الاخر لا يحدث فى جسم الماسّ والممسوس هزة ولا رعشة ولا ربوخيّة * يمكن له معها المماتنة والامعان والوقوف * بخلاف الغريب فانه لشدة نهمه ودهشته او لفرط مراوحة المراة اياه على العمل * او لكون الحرام لا يسوغ دائما مساغ الحلال تفوته الصفتان المذكورتان * فاللذة معه جلّها ناشى عن التصور * اى عن تصور كونه غير زوجها * كما ان نغصها مع زوجها جلّه ناشى عن تصور كونه غيرغريب * والّا فالواقع ان اللذة فى الحلال اقوى * غير ان التصور له موقع يقرب من الفعل * وبيانه لو اعتقد رجل مثلا ان امراة غير امرانه تبيت معه ثم باتت معه امرانه بعينها وهو لا يعلم ذلك كما جرى لسيدنا يعقوب عمّ * لوجد امرانه تلك الليلة متصفة بجميع الصفات التى تصورها فى غيرها * وكذا شان المراة * فبنآ على ما تقدم من اعتقاد المراة بان جميع ما فى الكون من الحسن والزينة والبهجة يناسبها كان تصورها صفات الحسن وتشاغلها به مطلقا عاما * غير انه اذا كان لها خاصّ قريبا منها تناولت ذلك الخاصّ متناول العام * حتى انه كثيرا ما يخطى فكرُها واحدا منهم بخصوصه * فيتجاذبه اثنان او ثلثة حتى تذهل عن الشاغل والاشغل * وهو فى الواقع تحوّف من اللذة كمن يريد ان يشرب من ثلث قلل يضعها على فيه فى وقت واحد * قلت كلامك هذا ينظر الى قول الشاعر

اذا بتّ مشغول الفواد بما ترى   من الغيد عينى والجمال مفرّق
اركّب فى وهمى محيّا يشوقنى   على قامة اولى به ثم اشبق

ولكن قد نهيتنى آنفا فى التغزل عن تصوّر ذات بخصوصها وقلت انه حرام فهلّا قلت بحرميّة هذا ايضا * قالت انما حرميّة ذاك لكونه ذاهبا فى الكلام سدى وسرفا * على ان الغزل كله كيفما كان لا خير فيه ولا جدوى * فاما فى الفعل من قبل النسآ فانه ينشا عنه صباحة الاولاد * ولذلك ترى انف بعضهم كانف زيد وفمه كفم عمرو وعينيه كعينى بكر * وهو ايضا جواب لمن قال ان فى رؤية الرجل نسآ كثيرة مصلحة تعود على امراته لاكتسابه منهن التمشير عند الاياب * بخلاف خروج المراة فان التمشير ملازم لها * فاما هولآ الحمقى الزاعمون ان تصوّر الرجل موثر فى توزيع الولد فيلزمهم ان لا يروا امراة اصلا غير نسآئهم * لئلا تاتى ذريتهم كلها اناثا او فى الاقل خناثا * وذلك لمناعفة التصوّرين من قبل الاب والام * الّا وانّ امراة لا تستبدل زوجها الا بالفكر والتخيّل لجديرة بان تكون قبلة كل مطرئ * وان لا يفكر زوجها الا فيها * قلت مقتضى كلامك ان النسآ المقصورات عن رؤية العموم لا لذة لهن مع الخصوص * قالت اما بالنسبة الى ناظرة العموم فلا * واما بالنسبة الى العدم فنعم * فان المآء مهما يكن سخنا يطفى النار * قلت وبالعكس اى ان النار مهما تكن باردة تسخن المآ * قالت يصح العكس لكن الطرد اولى * قلت الى كم قسم تنقسم اللذة * قالت الى خمسة اقسام * الاول تصورها قبل الوقوع * الثانى ذكرها قبله * الثالث حصولها فعلا بالركنين المذكورين * الرابع تصورها بعد الوقوع * الخامس ذكرها بعده * وكون لذة التصور

Digitized by Google

قبل الوقوع اقوى او بعده اقوال * فذهب بعض الى ان الاولى اقوى * لان الفعل لمّا كان غير حاصل كان الفكر فيه اجول وامعن فلا يقف على حدّ * وزعم آخرون ان الحصول يهيّئ للفكر هيئة معلومة وصورة معينة يعتمد عليها فى قياس ما يترقب من الاعادة والتكرير * وكما حصل الخلاف فى وقتى التصور حصل ايضا فيه وفى الذكر * والعبرة بحدّة التصوّر وذرب اللسان * فاما اصلح الازمنة لها فالصيف عند النسآ والشتآ عند الرجال * فاما الكمية فمن الناس الموحدون ومنهم المثنوية ومنهم اهل التشليث * قلت ومنهم المعتزلة والمعطّلون * قالت هولآ لا خير فيهم * وما هم جديرون بان يعدّوا مع النلس * قلت ما شان من يتزوج اثنتين وثلاثا * قالت هو امر مغاير للطبع * قلت كيف وقد كانت سنّة الانبيآء * قالت هل نحن نبحث الان فى الاديان او نتكلم فى الطبيعيات * الا ترى ان الذكور من الحيوانات التى قُدّر لها ان تعيش مع اناث كثيرة قُدّر لها ايضا القدرة على كفايتهن كالديك والعصفور مثلا * وغيرها انما يعيش مع واحدة ويكتفى بها * ولما كان الرجل غير قادر على كفاية ثلث لم يكن اهلا لان يحوزهن * وبعدُ فلاىّ سبب حُظرت المراة عن ان تتزوج ثلثة رجال * قلت ان فى كثرة النسآ للرجل الواحد كثرة النسل التى يتوقف عليها عمران الدنيا * وذلك مفقود فى كثرة الرجال للمراة الواحدة * على انى قرات فى بعض الكتب ان هذه العادة لم تزل مستعملة عند بعض الهمج * قالت مه مه اهولآ هم الهمج وانتم المتمدنون الكيّسون * فاما دعواك بتكاثر النسل فى كثرة النسآ فهل سكان الارض الان قليلون * الم تضق بهم البسيطة وتثقل بهم بطونها ويمزّق اديمها * فما الموجب الى هذا الاكثار سوى البطر والنهم * قلت قد عدت الى لوم الرجال فلنعد الى الوداع * انى مسافر

Digitized by Google

عنك اليوم وتارك عندك فوادى حتى اذا زارك احد أُحِسّ به * قالت كيف تحسّ وما فوادك معك * والناس يخصّون القلب بالحسّ والشعور * والحزن والسرور * قلت ان حسى براسى * قالت من اى جهة * قلت من الجانب الاعلى من الراس * قالت نَعَم الشي الى جنسه اميل * ولكن اين تتركه * قلت على العتبة كيلا يخطوها احد * قالت فاذا طفر فوقها * قلت فى الفراش * قالت فان يكن فى غيره * قلت فيك * قالت ذلك احسن مقرّا * انى اعاهدك على ما كنا عليه من الحب والوداد من ايام السطح الى الان * ولكن حين احسّ واشعر من هنا بانك تبدلت السطح بالشطح اقابلك بفعل مثل فعلك والبادى اظلم * قلت انك كثيرة الوساوس شديدة الغيرة * فلعل شعورك يكون عن وسواس * قالت بل الاولى ان الوسواس يكون عن الشعور * قلت دار ما بيننا الدور * قالت حاولْ اذًا فكّه * قلت هو فرض فلا بدّ من قضائه * قالت وقضاءً لا بدّ من فرضه * قلت ايعقَد به العهد * قالت اذا عُهد به العقد * قلت لا ارضى بهذه الصفة * قالت ومن لى بوصف هذا الرضى * قلت هل كان العقد فى الشرط * قالت وهل كان الشرط بلا عقد * قلت مَثَلنا مثل ذلك المجنون * قالت لولا الجنون ما جمعنا الزواج * قلت اكثر الناس على هذا * قالت اكثر الناس مجانين * فقلت الحمد لله رب العالمين *





الفصل الثالث

في استرحامات شتى

من كان من طبعه المين والافترآ او من كان جاهلا بالنسآ ارتاب في هذا الوداع ونسبه الى ترقيش الشعرآ ومبالغاتهم * ولكن ايّ منكر على من جعلت دابها وديدنها وشنشنتها ونشنشتها ومُهوآنها وهُذَيرباها واُهجورتها وفَعِلتها ومُطِرتها المحاضرة والمفاكهة والمساقطة والمطارحة والمحارزة والمجارزة وسرعة الجواب * بل كثيرا ما كان يجتمع بالفارياق اثنان او ثلثة من اصحابه فاذا خاضوا في حديث انتدبت لهم وجارتهم فيه وعارضتهم وماتنتهم * فكل فصيح ان تعارضه لم يُبِن وكل بليغ ان تساجله يرتكّ * وقد علم بالتجربة ان جواب المراة اسرع من جواب الرجل * وان المشتغل بالعلم يكون ابطا جوابا من غير المشتغل به * لانه لا يقدم على ذلك الا بعد الفكر والرويّة * على ان هذه العبارات التي نقلتها عن هذه المراة المبينة من غير قرآة البيان هي دون الاصل بمراحل * فاني لم اقدر في نقل الكلام على نقل الحركات التي كانت تبدو منها * وعلى ان اصوّر للمطالع عيونا تغازل وحواجب تشير * وانفا يرمع * وشفاها تزمع * وخدودا تتورد * وجيدا يلوى * ويدا تومئ * ونَفَسا يربو ويخفت * وصوتا يخفض وينبر * وزد عليه مسح الماق اشارة الى الاستعبار * وتوالي الزفرات

Digitized by Google

رمزا الى الحزن والانبهار * والتبلّد ايذانا بالاسف * والتنقل من جنب الى جنب اعلانا بالجزع واللهف * وغير ذلك مما يزيد الكلام قوة وبلاغة * وهذه ثانى مرة ندّمتنى على جهلى صناعة التصوير * والمرة الاولى كانت فى الفصل الرابع عشر من الكتاب الاول عند ذكرى الحسان على اختلاف جمالهن * ويمكن انى اندم مرة ثالثة * وهنا ينبغى ان اقف على قدمى منتصبا واستميح الاجازة من ذوى الامر والنهى لان اقول * انه قد جرت عادة جميع الولاة والملوك ما عدا ملك الانكليز بان لا يدعوا احدا يدخل بلادهم او يخرج منها ما لم يدفع لدواوينهم او لوكلائهم المعروفين بالقناصل قدرا من الدراهم بحسب خصب ممالكهم ومحلها * وذلك بدعوى ان المسافر اذا نزل بلادهم ساعة او ساعتين فلا بدّ وان يرى قصورهم الفسيحة وعساكرهم المنصورة او خيلهم النجيبة ومراكبهم الفاخرة * فيكون كمن يدخل ملهى من الملاهى * اذ ليس يدخلها احد من دون غرامة * فان اعترض احد بقوله انّا فى الملهى نسمع اصوات المغنين والمغنيات وآلات الطرب * ونرى الانوار المزدهرة والاشكال المتنوعة ووجوه الحسان الناضرة وحركاتهن الباهرة * ونضحك حين يضحكن * ونطرب حين يرقصن * ونشغف حبّا حين يغازلن * فاما فى روٌية احدى مدنكم فانّا لا نرى شيا من ذلك * بل انما ندخل لكى يغبننا تجّاركم * فتكون فائدتنا فى الدخول بالنسبة الى فائدتهم فى الدخل قليلة * قالوا قد يتفق وقت قدومكم بلادنا ان تكون عساكرنا قد شرعت فى العزف بآلات الطرب فهذا فى مقابلة الطرب فى الملهى * اما النسآ فانّا ناذن لكم فى التمتع بكل من اعجبتكم فاجروا ورآء من شئتم بحيث يكون النقد على الحافر * ومع ذلك فلا ينبغى ان تشبّه مدائننا التى تشرفت بحضرتنا



ببعض الملاهى * ولا سيما ان هذه سنّة قديمة قد مشت عليها اسلافنا طاب ثراهم * وتقادمت عليها السنون والاحوال حتى لم يعد ممكنا تغييرها * فان الملك اذا امر بشى صار ذلك الشى سنّة وحُكما * ويشهد لذلك قول صاحب الزبور ان يد الرب على قلب الملك * بمعنى ان الملك لا يفكر فى شى الّا ويد الله عاصمة له فيه * هكذا شرح هذه الاية العلمآ الربانيّون فى بلادنا ومن خالفهم فجزاؤه الصلب * وبعدُ فان الملك اذا اخذ فى تغيير العادات وتبديل السنن فربما افضى ذلك الى تغييره * فيكون مَثَله كالديك الذى يبحث فى الارض عن حبة قمح فيثير التراب على راسه * وصَغُر ذلك تشبيها * فالاولى اذًا اقرار كل شى فى محله * ثم لا فرق بين ان يكون قاصد بلادنا غنيا او فقيرا * صالحا بارّا او لصّا فاجرا * رجلا كان او امراة * فكلهم ملتزمون باداآ الغرامة وتحمل الغبن — ولكن ياسيدى ومولاى انا امراة معسرة قد اضطررت الى المرور بمدينتك السعيدة * لان زُويجى المُسيكين كان قد قدم الى بلادكم الملكية ليدير مصالحة فقضى عليه الله تعالى بالوفاة * فتركت صِبْيَة لى فى البُيَيت يتضورون جوعا وجئت لارى زويجى المويت حالة كونه لا يرانى * ومع ذلك فانى أعدّ من الحسان اللآى يحق لهنّ من امثالك العناية والالطاف * فكيف التزم بالغرامة فضلا عن نفقة السفر وفَقْد زويجى الذى كان لى سندا — ارجعى من حيث جئت فما هذا وقت الاسترحام * لان القواعد التى تقرر فى دفاتر الملوك لا تقبل التبديل ولا التحريف ولا يستثنى منها شى — وانا ايضا يامولاى رُجَيل فقيّر قد رمانى الدهر بصروفه لامر شآه الله * فوافيت بلادكم طمعا فى تحصيل وُظَيّفة تقوم بأَوَدى * وما انا من ذوى التغاوى والفتن ولا من الباحثين

Digitized by Google

فی سیاسات الملوك وایالاتهم * فقصاری منیتی تحصیل المعیشة * علی
انی اعرف شیا لا یعرفه اهل بلادکم العامرة فربما کان مقامی فیها مفیدا
لدولتکم السعیدة * ولو صدر الامر العالی بامتحانی واختباری فیما ادّعیه
لاکرمتم مثوای فضلا عن الرخصة لی فی الدخول بغیر غرامة — یاطائف
یاعسس یازبنیة یاجلواز یاشرطیّ یاعَون یاذِبّیّ یامِسحَل یافارع یاقَلّع
یاتورور یاتُؤرور یاتُؤثور یاتؤثور یاأُترور یاترتور اودع هذا السجن * ان هو
الّا جاسوس قدم یتجسّس بلادنا * فتّشوه عسی ان تجدوا معه اوراقا
تکشف لنا عن خبره — وانا کذلك یامولای وسیدی غُلَیّم مُسَیّکین قد
جئت لانظر ابی اذ بلغنی انه کان قادما من سفره فدخل بلادکم فاصابه
هواوها الحمید بمرض شدید منعه من الحرکة * فلما علمت امّی
بمرضه وهی مریضة ایضا مما شملها من الحزن والکرب لطول غیابه بعثتنی
الیه لعلی اخدمه وامرّضه فیطیب خاطره برویتی ویخف ما به * فان روْیة
الاب ابنه حال مرضه تقوم له مقام الدوآء — ما نحن بمربّی الاولاد
ولا بلادنا مکتب لهم حتی یاتوا الیها ویخرجوا منها من دون غرامة *
اذهب وکن رجلا بادائها علی الفور — وانا ایضا یاعتادی وملاذی *
وثمالی ومعاذی * وملجای وملتحدی * وسندی ومعتمدی * ورکحی ورکنی *
وعزّی وامنی * رجل من الشعرآء الادبآء کنت قد مدحت بعض امرائنا
الکرام بقصیدة فاجازنی علیها مئة دینار * فاشتریت بنصفها موّنة لعیالی *
ووفیت بربعها ما کنت استدنته لکسوتهم وبقی معی ربع * واذ سمعت
بمحاسن مملکتکم الخصیبة البهیة البهیجة وبما فیها من التحف والطُرف
التی لا توجد فی بلادنا * رمت ان اسرّح ناظری وانزه خاطری فی هذا
النعیم ایاما قلیلة * عسی ان یخطر ببالی عند رویته معانی بدیعة ما

Digitized by Google

سبقنى اليها احد فاصوغ منها بادئ بدء مديحا بليغا فى جنابك الرفيع * ومقامك السنيع * وانشر الثنآ عليك فى جميع الاقطار * فى الليل والنهار * واجيد وصف مكارمك فى الاسفار — ما اكثر الشعرآ الغاوين العاوين فى بلادنا وما اكثر اقاويلهم واقل رزقهم * اما ان تدفع الغرامة واما ان ترجع على عقبك واما ان نؤويك الى دار المجانين * ولكن هيهات ان تشرف مسامع المسترحم الحقير من سيده الجليل الخطير بمثل هذه الاجوبة السلبية * فان السلب من مقام الكبير منّة * وانما الغالب ان يكون جوابه برغم الانف او بالقفد * او باللكم على الخرطوم * او بهشم سن * او ببقر بطن * او باطنان ساق * او بانقاص ظهر * ولهذا لما عزم الفارياق على السفر وكان ممن لا يستغنى عن احد اعضآئه التمس من خمسة قناصل ان يشرفوا جَوازه بختومهم * فختم عليه كل من قنصل نابلى وليكورنه ومدينة اخرى فى مملكة البابا وقنصل جينوى وفرنسا * لان سفينة النار تمرّ على مراسى هذه المدن كلها وترسى فيها بعض ساعات * اما مدينة نابلى فهى مشهورة بكثرة ما فيها من العجلات والمراكب والحدائق والغياض * واما ليكورنه فبطيب هوائها وارتفاع بنائها وكذلك مدينة جينوى * قال وهى عندى احسن منهما * وانحس ما يكون مدينة البابا اذ ليس عليها رونق المُلك ولا الملكوت وما بها شى يقرّ العين * فلما وصل الفارياق الى مرسيلية أُخذ صندوقه الى ديوان المكس واشير اليه ان يتبعه * ثم طلب منه المكّاسون ان يفتحوه ليفتشوه فظن انهم يريدون ان يفتشوا فى كراريسه ليعلموا ما فيها فقال * انا ما هجوت سلطانكم ولا مطرانكم فلمَ تفتشون فى كراريسى * فلم يفهمه احد منهم وهو لم يفهم احدا * فلما فرغوا اشاروا اليه انِ اقفل صندوقك فثلج صدره * ثم انبرى

واحد منهم يمسح بيديه على جنبه فظن انه يتمسح به اى يتبرك لكونه وجد كراريسه بخط غريب * لكنه علم من بعد ذلك انهم كانوا يفتشونه ليعلموا هل كان مدّخرا شيا من التبغ والمسكر * ثم سافر من مرسيلية الى باريس ففتّش ايضا هو وصندوقه فى ديوان مكسها * فكانّ مكّاسى هذه المدينة كانوا يحسبون ان رفاقهم فى تلك قد ناموا عن قيام الليل * فبال الشيطان فى آذانهم فعمشت عيونهم عن رؤية ما فى الصندوق * او انهم يرتشون كسائر اصحاب الوظائف * فاقام فى باريس ثلثة ايام فى دار سفارة الدولة العلية وفيها حظى بتقبيل ايدى الوزيرين المعظمين والمشيرين المفخمين رشيد باشا وسامى باشا * ثم سافر من باريس الى لندن وسياتى الكلام على وصف هاتين المدينتين العظيمتين * ثم من لندن الى قرية فى بلاد الفلاحين وفيها القى العصا وعندها اقف انا ايضا *





الفصل الرابع

في شروط الرواية

لم يمض على الفارياق في مدى عمره مدة هي انحس واشقى من المدة التى قضاها فى تلك القرية * لان قرى بلاد الانكليز ليس فيها من محل لهو واجتماع وانس وحظ البتة * وانما اللهو والحظ فى المدن الكبيرة * وفضلا عن ذلك فليس فى القرى شي يباع للماكول والمشروب سوى ما لا احتفال به * ومن كان عنده دجاجة او طرفة بعث بها الى احدى المدن القريبة * فمن شآ ان ينقطع عن الدنيا او يترهب فعليه بها * اما النسآ هناك ففيهن من تشفى من القمه بل تمنى بالقرم * الا ان الغريب محروم منهن * اذ كل ذات ظلف ملازمة لفحلها فليس من سائب مبهل الا العجائز * ثم بعد مضى شهرين عليه وهو على هذه الحالة المشئومة انتقل الى مدينة كمبريج مصدر القسوسة وعلم الكلام * فان جل قسيسى الانكليز يمضون اليها او الى اكسفورد ليتعلموا فيها الالهيات والمناظرة * وفى هاتين المدينتين ايضا سائر طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم * ومن احدى مدارس كمبريج نبغ نيوطون الفيلسوف المشهور * فاكترى الفارياق فيها مسكنين فى دار كما هى العادة ومكث يترجم بقية

Digitized by Google

الكتاب الذى مرّت الاشارة اليه سابقا * وكان فى تلك الدار جارية دعجآ كاعب وكذا سائر الوصائف غالبا * فكان الفارياق يراها كل ليلة تطلع الى غرفة احد السكّان ثم بعد هنيهة ليست باطول من قولك عمت مسآء يسمع لها نغمة ايغافية * وكانت صاحبة المنزل تراها نازلة من عند الرجل فى الساعة العاشرة ونحوها من الليل ولا تكترث بطلوعها ولا بنزولها * فاذا جآت فى الصباح لتصلح فراش الفارياق حلق فيها وحدّق فلم يرَ فيها علامة تدل على انها كانت هى صاحبة النغمة * فيظن ان ذلك كان وهمًا منه نشا عن اللهج بالايغاف * فاذا جآ الليل عادت النغمة وعاد اليقين * فاذا كان الصباح عادت الحملقة وعاد التصاون وعاد الشك والحيرة وهلم جرا * حتى كاد ذلك يشوش عقل الفارياق ويفسد عليه الترجمة التى طالما كان يخشى عليها الخلل والفساد من قضية ما نسائية * وهنا ينبغى ان اقرفص واقول * ان هذه المزيّة السنّورية اى الاكل خفوة وان يكن وجودها ملحوظا فى النسآ على الاعمّ الا انها فى نسآ الانكليز على الاخصّ * فان المتّصفة منهن بما اتصفت به السيدة المدقم فى فصل حدنبدى تتظاهر فى النهار بصفات الورع والتقوى والنفورية والقذورية وتنظر الى تبعها نظر المتجاهل * وتوهم الناقد انها متبتلة معتزلة للرجال * وربما حفظت احاديث دينية وروايات نسكية تلقيها على الناس فيعظمونها ويعتقدون فيها الصلاح * واذا دخلتَ بيتها وجدت على مائدتها التوراة والانجيل وكتبا اخرى فى العبادة والزهد * وربما وسّخت الظاهر من ورقها لتوهم انها كثيرة الدراسة لها * ولا يمكن للرجل ان يذكر بين يديها اسم عضو من اعضائه * فتكون لذة هولآء على مقتضى قاعدة

الفارياقية غير تامة وذلك لخلوها عن ركن الذكر * وعنها ايضا ان ذكر اللذة لا بد من ان يكون مطابقا للواقع * فان كان الوقوع مثلا من ذى مقام ليلاً ذُكرت فيه لِذات مقامٍ * وان يكن من دونٍ صباحًا ذكرت فيه لدون من النسآ * وقس على ذلك سائر التباين فى الاوقات والاشخاص * اللهمّ الا ان خشى فوات الفرصة * اى اذا حصلت مثلاً ليلًا ولم يمكن ذكرها فى الليل فيصح الذكر فى الفجر او الصباح * او ان حصلت من ذى مقام ولم يتهيّا وجود نظيره فيصح ذكرها لدون ولا تفسد لذة الذكر بذلك * فاما على فرض كونها لم تجد احدا من هذه الاصناف فيصح ذكرها لنفسها * وذلك بان تدخل راسها فى زير فارغ او فى بئر او جبّ او قبوة ونحو ذلك مما له صدى وتنطق بلسان فصيح مبين بما مرّ لها * حتى اذا رجع الصدى قام لها مقام النديم الكليم * فاما اذا بقى الذكر فى صدرها فيخشى عليها من الصِدارة والذُباح * ويشترط ايضا عندها ان تكون الرواية مطابقة للفعل * فللنبرة نبرة * وللهمز همزة * وللحركة حركة * وللسكون سكون * وللمد مدّ * وللهذّ هذ * وللترخيم ترخيم * وللترسّل ترسل * وان يبلّغ التشديد على الذال اذا كانت الرواية بلغتنا هذه الشريفة * وان يكون فى العينين مغازلة * وفى اللعم فيصان * وفى اللسان بلّة * وفى اليدين تلقح * وبما تقرّر علمتَ من ان هذه الخلة المذكورة الموجودة فى نسآء الانكليز اخلال بشروط اللذة * ويمكن ان يقال ان لذة التصور عندهن قوية جدا بحيث تقوم مقام لذتين * او انهن يضعن رؤسهن فى خابية ونحوها * وعن الفارياق

ان الجمال فى النسآ على اختلاف انواعه له نطق ونِدآ ودعآ واشارة ورمز * فمنه ما يقول لناظره لست ابالى بالمراود * ومنه ما يقول ألا اغتنم الآن الفرصة — للتاخير آفات — لن تراني من الكثير ملولا — لا يغرنّك الشفون — هيتَ لك — مَن لى به الساعة — ما ارى كفايتى عند احد — ان دوآء الشقّ ان تحوصه — اين اين المشبع — اين ابن ألغز — اين ابن بنى اذلغ — لدىّ يذل الصعب — بعد جهدك لا تلام — لكل مجتهد نصيب — من اطعم اشبع — من ذاق عرف — من مسّ هرف — من سبق فقد ربح — العود احمد — من عدّ عاد — من وصل وُصل * ومنه ما يشير ان استعمل الحيلة — تلطف فى الزيارة — كن من الجار على حذر — من تانّى نال ما تمنى — بكِر بكور الغراب وغير ذلك * فجمال نسآ الانكليز هو مما عنوانه اين ابن الغز * اين اين المشبع * لدىّ يذل الصعب * فانك ترى المراة منهن تمشى وهى صُفُوح منزّة سامدة مساندة شاردة معبّدة شامرة نافرة جافلة جامزة آبزة نافزة ناقزة معتزة ساربة عاسجة طامحة جامحة شامخة خانفة مشمّة شافنة مُهْطعة مُرْشقة متتالعة هابعة متعاطفة متطلقة مخرنطمة مسحنفرة مجلوّذة مجلوّظة مذلعبّة مجرهدّة مرمئدة مشمعدّة مصمعدّة مسبنرّة مسبكرّة مسمهرّة مشفترّة مسجنرّة مسجهرّة متمهلّة متمئلّة مشمعلة مصمئلّة مقلهفّة مزلئمّة * ومع ان القدرة الخالقية قد خصتهن بالآلايا سابغة ضافية على ما روت الرواة * فانهن يتخذن لها المرافد ويعظّمنها بها تعظيما يوقف المستوفز بحيث يقف كالجابه الحيران * فلا يتماسك عن ان تصطك ساقاه

تعجبا واعظاما لهذا التعظيم * وان تحترق اسنانه ويندلع لسانه *
وتنضنض لهاته * وتلتوى عنقه * وتنتفخ اوداجه * ويحمرّ حلاقه *
ويُغان على قلبه ويطّنى * وتاخذه القشعريرة والرعدة والأفكل والهزّة
والاضطراب والرجفان والنغشان والغشيان والغميان والفشيان
والنُحَوآ والدُوار والمَيْدان واللّبَم والاختلاج والترنّح والارتعاج والارتعاش
والارتهاش والرَعْس والارتعاس والتراْد والترجيد والأصيص والبَصيص
والكصيص والأرض والعُسوم والنِفيضَى والقِلّ والإرْزيز والزَمْع والزقرفة
والشفشفة والصَعْفة والقرقفة والقفقفة * وتهيج به الاخلاط الاربعة
فيطلب كلّ خلط عظّامة * وتنهال عليه الخواطر والوساوس * وتتجاذبه
عوامل الامانى * وتجرضه مجرضات النِزّة * وتطفره خوالج الشهوة * ويميل به
مميل التشوق والتلهف على حد قول الشاعر

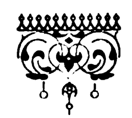
علمتك الباذل المعروف فانبعثت   اليك بى واجفات الشوق والامل

فيبقى حائرا بائرا مبهوتا مهفوتا سادرا داهلا مدهوشا ذاهلا * بحيث اذا
رجع سالما الى منزله يحسب كل شاخص فيه عظّامة او ما عُظّم بها *
وكان الفارياق اذا خرج وابصر هذه الروابى الخصيبة عاد الى ماواه وفى
راسه الف معنى يشغله * فمما انشده فى بعض هذه الفتن

يا للعجاب وكلّ عُجْب فليقل يا للعجاب
ما ان يرى فى ذا المكان سوى المرافد من روابى
كلا ولا من غوطة   من دون ذياك الجناب
كلا ولا قرموطة   تشرى سوى كُعب الكعاب

Digitized by Google

من كل ذات تبهكن   تدعو الحصور الى الدعاب
الشوق يقدم بى وخوف العجز من غَلَم ناى بى
ماذا يقول الناس عمّن خار عن مَلْء الوطاب
ام كيف تضعف معدة العربى عن قحف القعاب
مَن لى بضنبور فأُترعَه بمِنْزفة الحَباب
من لى بقبّة مرفد   فى ليلتى من ذى القباب
من لى بجتّ اُليّة   من ذى الالايا فى مآبى
هذا لعمرك شان ذى   قُطَم وهذا الداب دابى





الفصل الخامس

في فضل النسآء

وكما ان نسآ تلك البلاد اختصص بهذه المزية كذلك اختصت رجالها بالطافهم الغريب بعد معرفتهم له * فاما قبل المعرفة فانه اذا حيّى احدا منهم فما يكون جوابه الا الشزر والشصر * ولهذا لما سمع احد طلّاب العربية منهم بوجود الفارياق وكان قد قُرِئ عليه حسبه ونشبه اتى ليزوره * وطلب منه ان يذهب معه الى منزله فيقيم عنده مكرما معززا * وكان مقامه بعيدا عن كمبريج * فاجابه الفارياق الى ذلك لان اهل المدينة على كثرة المدارس عندهم والمعالم هم اشدّ الناس نفورا من الغريب * ولا سيما اذا كان مخالفا لهم فى الزيّ * فكانوا يسخرون من قبعته الحمرآ حتى كان كثيرا ما يقنبع فى غرفته ولا يخرج منها الا ليلا * وقال فى ذلك

رمتنى النوى فى كمبريج ملازما لبيتى نهارا أن ترانى اوباش
فتعبثَ بى حتى اذا الليل جنّنى. خرجت على أمْن كانى خفّاش

ولان الكلاب ايضا كانت تشم فروته وتلازمه * فقال فيها

ولى فروة تاتى الكلاب تشمّها ولم تندفع عنها اذا ما دفعتها
تهرّ على تمزيق جلدى وجلدها كانى من ابائها قد صنعتها

Digitized by Google

ولان اهل الدار التى نزل فيها كانوا يشاركونه فى طعامه ولا يشركونه فى لحمهم وشحمهم * فقال فيهم

ولى عيلة فى كمبريج خفيّة   تواكلنى من حيث ليس عيان
فعهدى باسم الآكلات فلانة   وعهدى باسم الآكلين فلان

ولانه لم يقدر على ان يجرّد الى احدى تلك القبب *   فقال فيها

وما نفع الوثير من الحشايا   وليس عليه وَثْر اذ تنهش
وما نفع الشعار بلا شعار   وحسن الحفش ان لم يُلفَ حفش
وما نفع الحياة بغير حىّ   فنعشك دونه ما عشت نعش

فسارا فى سكة الحديد وبلغا المنزل ليلا وما كاد الفارياق يدخل حجرته التي اعدت له حتى رقشها بهذين البيتين

لله درب الحديد كم كفل   ربا به والثدىّ قد رجفت
لو لم يكن غير تلك فائدة   لنا به دون أتْوه لكفت

الاتو الاستقامة فى السير والسرعة

ثم لما قام فى الغد رأى المنزل بعيدا عن الدار * فاستعاذ بالله واسترجع واصبّ على ما نفسه * لان هذه الشكوى ليس لها عند هولآء القوم اذن واعية * حتى انه لما شكا يوما طول غيبته عن زوجته قال له صاحبه بعد ايام قد فرط منك بالامس كلام فقلت انى مشتاق الى امراتى * وكان الاولى ان تقول الى اولادى * فقال له الفارياق ما المانع من ان يذكر الرجل امراته كما يذكر ولده * ولولا المراة لم يكن الولد بل لولا المراة لم يكن شى فى الدنيا لا دين ولا غيره * قال مه مه قد افحشت * قال ارغن لما اقول * لولا بنت فرعون لم ينج موسى من الغرق * ولولا موسى

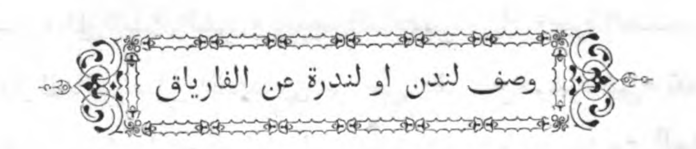
لم تكن التوراة * ولولا المراة لم يمكن ليوشع ان يدخل ارض الموعد
ويستولى عليها * ولولا المراة ما حظى ابرهيم عند ملك مصر ونال منه الصلات
والهدايا فتمهّد لليهود النزول الى مصر من بعده * ولولا المراة لم ينجُ
داود من يد شاول حين اضمر قتله وان كان ذلك قد تمّ بحيلة وضع
صنم فى فراشه * ولولا داود لم يكن الزبور * نعم ولولا المراة اعنى زوجة
نابال ما تقوى داود على اعدآئه * ولولا حيلة بت شبع على داود لم
يملك سليمن ابنه ولم يبنَ هيكل الله باورشليم * ولولا المراة لم يولد
سيدنا عيسى ولم يذع خبر انبعاثه * ولولا المراة لم يستتبّ مذهب
الانكليز كما هو اليوم * هذا وان المصوّرين عندكم يصوّرون الملئكة
بصورة النسآء * والشعرآء عندكم ما زالوا يتغزلون فى المراة ولولاها لم
ينبغ شاعر * قال إن اراك الا هائجا على النسآ وكانّ العرب كلهم على
هذه الصفة * قال نعم انا رِاموزهم وقِطاطهم وكل من ينطق بالضاد يكلف
بالصأد * فاطرق مليّا ثم قال لعلكم ارشد ممن عدل الى الميم * فقد
بلغنى ان فى بلادكم قوما ميميّين يعدلون عن سوآ السبيل الى مضايق
ذميمة وهو اقبح ما يكون * واقبح من ذلك ان بعض المولفين من العرب
قد الّفوا فى ذلك كتبا وتمحّلوا لايراد ادلّة على تفضيل الحرفة الميمية *
قال نعم ومن جملتها كتاب عثرت به فى خزانة كتب كمبريج ورايت
مكتوبا عليه عنوانه بالانكليزية كتاب فى حقوق الزواج * فكانّ شاريه لم
يفهم مضمونه * ومن اسخف ما ورد من الادلة على ذلك قول بعضهم

انا لست اجزم باللواط ولا الزنا — لكن اقول مقال من قد حررا
ان اللذاذة كلها فى اقذر الـ — جارَين فاختر ان عرفت الاقذرا

وسبب تاليف هذه الكتب من مثل هولآ العتاولة امّا للعنّينية فان النسا

Digitized by Google

يعرض عمّن يبتلى بذلك * او للبخل لان النفقة على المراة اكثر *
او لقصر اليد عن هصرهن او لفساد آخر * اما سليم الطبع فلا يميل عن
هذا المذهب اصلا * ثم ان الفارياق لبث عند صاحبه مدة فى خلالها
أُدب الى مآدب فاخرة عند بعض الاعيان * ومن عادتهم فى الولائم ان
تقعد النسآ على المائدة مكشوفات الاذرع والصدور بحيث يمكن للناظر
ان يرى المفاهر واللّبان والبادلة والبَهْو * واذا تطالل واشرابّ وكان حسن
الاهطاع راى اللغْوة ايضا اى آية الحلم * وهى من جملة العادات التى
تحمد من وجه وتذم من وجه آخر * حيث كان هذا الكشف مطّردا
للصبايا والعجائز بل العجائز عند الافرنج ولا سيما الانكليز يكتشفن
ويتفتّين ويتعيّلن اكثر من ألصبايا * ثم قلّت الدعوات وكثر قلق
الفارياق لان من نظر الى سحنته مرة لم يرد ان ينظر اليها مرة اخرى *
فراى الرجوع الى كمبريج اوفق * فسافر اليها فوجد القبب قد رَبَت
نحو ثلثة قراريط * وذلك اما لبعد عهده بها او لكون زيادة قرصة البرد
اوجبت ذلك * وهنا ينبغى ذكر فائدة وهى ان كمبريج واكسفورد لما
كانتا مشهورتين بمدارس العلم كما ذكرنا آنفا وكان جلّ الطلبة فيها من
الاغنيآ وفى كلّ منهما نحو الفى طالب * كانت البنات الحسان من قرى
الفلاحين المجاورة ينتبن سوق هاتين المدينتين لترويج ما عندهن
من الصبى والجمال * فترى فيهما من الجمال الرائع والحسن الباهر ما
لا تراه فى سائر المدن * غير انه لكل ساقطة لاقطة * فلهذا كانت
مشايخنا الطلبة ينظرون الى من زاد به عدد اهل البلد نظر الهرّة التى
يوخذ منها جراؤها * فمن ثم ترحّل الفارياق عن هولآ السنانير وهرّاتهم *
لا سيما وقد ورد فى الامثال اذا دخلتَ ارض الحُصَيب فهرول واقام فى
لندن نحو شهر *



وصف لندن او لندرة عن الفارياق

ها هي ذات التيه والدلال * الخاطرة على الفحول من الرجال * تنظر اليهم شزرا * وتجرّ اذيالها وشالها جرا * كما قلت من قصيدة

قامت تجرّ من الدلال ذيولا   جرّا اضاف الى العميد نحولا

وهي لا ترى لها من بينهم كفوًا * وتهلس منهم سخرية وهزؤا * ألا فاذكري ان بينهم الاقوى الاقدر * الاسرى الايسر * الاسرع الاعسر * الاقرش الاقشر * الاصرع الاعصر * الاسرد الادسر * الارشف الاشفر * الابرز الازبر * الذى اذا ضمّ زفر * واذا شمّ نخر * واذا هيج زأر * او غُمز بدر * واذا راى طبلا زمّر * او ذات تدهكر دهشر * اذكرى ان بينهم عربيا ذا غرام * وهيام وأوام * ومغازلة وبغام * ومداعبة وكعام * وتمشير وانكماش * واندساس فى الاعشاش * علامَ تتملّقك وانت معرضة كبرا * ونعدك فتتخذين كلامنا هِترا * الم تعلمى انّا اليك متودّدون * وعلى مثلك متعوّدون * كم من صعب رُضناه * ومتحكّم ارضيناه * وأبيّ أمْلناه * وقَرِم اشبعناه * وجامح استوقفناه * وشاكٍ اشكيناه * وعاتب اعتبناه * وكم من متعنّتة آبت وهى شاكره * ثم انثنت زائره * ألا لا يغوينّك الشطاط الى الشطط * والعَين الى الشَحط * والعَيط الى اللغط * وصهوبة

Digitized by Google

الشعر * الى انكار القدر * وتفليج الثنايا * الى ألت المزايا * وتورد الخدين * الى احتقار اللجين * وتفليك الكُعب * الى التيه والعجب * وبضاضة البشره * الى النهم والشره * وفعومة الساعدين * الى عنجرة الشفتين * وجدل الساقين * الى الاستنكاف من مِضّ لناقد عين * وعميد غين * يكفتهما ويتطوق بهما * او يعتمّ بهما على زَنبهما * وينزه زغبهما عن الحلت والنتف * والحصّ والحقّ * وعن مسّ السقف * ألا ولا يضلنّك الجاهض من ورآ * الى الازدرآ * ولا النافج من امام * الى منع التحية والسلام * ان لدينا من المِزّر والفُقّاع * ما يروى كل مَقّاع * ويسكر كل ذات قناع * ومن الشِوآ * ما يزيل الخَوآ * ومن الدينار * ما ينفث فى عقد الازار * فيحلها حلّا * ويبلّها بلّا * فمن البلّ بَلَل * ومن الحَلّ حُلَل * فبحق من اولاك هذه المحاسن * فتنة كل سامع ومعاين * الّا ما احسنت فى عشاقك الظنّ * واقللت لهم من هذا التزليق والفَتّن * فكلهم الى وصالك حنّ * ومن صلفك أنّ * وبعدُ * فان هى الّا مرّة * فان احمدت اللقآ فاجعليها عادة وانت على كل حال حرّة * والا فما اكثر طرق هذه المدينة وما اطولها * وما اوفر القادمين اليها * وما اوسع حوانيتها وساحاتها * وندحاتها وباحاتها * وحدائقها وغياضها * ومماشيها ورياضها * وما ابهج ملاهيها وملاعبها * واجرى عجلاتها ومراكبها * وما ارحب كنائسها * وما احفل مجالسها * وما اعمر مساكنها * وامخر سفائنها * فاجرى فيها حيث يعجبك من هنا ومن هنا * كل امرء يسعى ليدرك الهنا *

Digitized by Google



الفصل السادس

في محاورة

وبعد ان فرغ الفارياق من عمله في هذه المدينة الغاصة بالغواني سافر الى باريس فاقام فيها ثلثة ايام لا تكفي لمعرفة وصفها * فلهذا نضرب هنا عن ذكره فان حق الوصف ان يكون مستوعبا * ثم سافر منها الى مرسيلية ومنها الى الجزيرة * واتاح له الله بفضله العميم ان راى زوجته في نفس الدار التي غادرها فيها * وقد كان يظن انها طارت مع عنقآ مغرب او مع الغُنجول وبَنَى بها هذه المرة السادسة * فان المرة الثانية كانت بعد قدومه من الشام والثالثة بعد رجوعه من تونس والرابعة بعد خروجه من المعتزل مع سامي باشا المفخم والخامسة بعد رجوعها من مصر * ثم انشد

مَن يُرد في زوجه ينكح ازواجا عديده
فليَغِب عنها زمانا   يلقها عِرسا جديده

فقالت لكن المراة لا ترى من زوجها بعد اياب عِرسا جديدا * قال فقلت انما هو من مخالفتهن الرجال في كل شي * قالت نعم ولولا هذا الخلاف ما حصل الوفاق * قلت كيف يكون عن الخلاف وفاق * قالت كما

Digitized by Google

ان المراة خُلقت مخالفة للرجل فى الخَلق كذلك كان خلافها له فى الخُلق * وكلٌّ من هذين الخلافين باعث له على شدة الكلف بها والحرص عليها * اَلا ترى ان المراة اذا كانت تفعل كل ما يريد زوجها ان تفعله كانت كالآلة بين يديه فلا يكترث بها ولا يقبل عليها * لاعتقاد انها موقوفة على حركة يده او عينه او لسانه زيادة على حركة يده فى الآلة * بخلاف ما اذا عرف منها المخالفة والاستبداد بامرها فانه ح يعلق بها ويداريها * قلت هذا غير ما عُهد عند الناس * قالت بل هو معهود عند النسآ من القديم * ولذلك تراهن جميعهن متحليات بهذه الحلية * قلت ولكن اذا كثر الخلاف وطال * اورث التقاطع والملال * قالت ان عينى المراة لا تبرحان ناظرتين او حقهما ان تكونا ناظرتين الى موضعى القطع والوصل * والّا استطال احدهما على الآخر فوقع ما قلت * قلت بل فى دوام الوصل دوام الوفاق * قالت لا بل هو باعث على السآمة والضجر * فان الانسان مطبوع على ذلك * قلت اى سآمة من وصل الحبيب * قالت السآمة غالبة على الانسان فى كل شى بحيث يودّ تبديل حالته الحسنى بحالة سُوْأى * قلت اوَ قد سئمتِ من حالتك هذه * قالت ثم حُلت عن السآمة * قلت ما بال الناس كلهم يقولون ياقرة العين * قالت نعم ان العين تقرّ بشى ريثما يعنّ لها آخر فتطُرُف اليه * قلت وما شان القلب قالت هو متقلّب ومتحيّز معها * قلت فما شان العميان * قالت ان لهم فى بصائرهم عيونا اشد جلقة من العين الباصرة * قلت مَن اسرعُ الناسِ تقلّبَ قلبٍ * قالت اكثرهم فكرا فان العجماوات اثبت واصبر من الناس اذ ليس لها فكر * قلت فاذًا ينشا عن النفع ضرّ * قالت نعم كما انه ينشا عن الضر نفع * قلت اى

Digitized by Google

نفع فى المرض * قالت سكون العقل والدم والفكر عن الهوى والشهوات *
قلت اى نفع فى الفقر * قالت الكفّ عن الشراهة والسرف المهلكين *
فان الذين يموتون من زيادة الاكل والشرب اكثر من الذين يموتون
لقلتهما * قلت اى نفع فى الزواج بامراة دميمة * قالت كفّ رجل
جارك عن دارك وصرف عين اميرك عن مراقبة حالك * على انها لا
تعدم طالبا مثلها ولكن بعض الشر اهون من بعض * قلت اى نفع فى
دمامة الاولاد * قالت اذا علموا ذلك من انفسهم رغبوا عن اللهو الى
العلم واقبلوا على تحسين خُلقهم ليشفع فى خَلقهم * قلت واى نفع من
مشيب اعلى الانسان قبل اسفله مع ان شعر الاسفل ينبت قبل شعر
الاعلى * قالت اشعاره بان الحيوانية المطلقة اقوى فيه من الحيوانية
المقيّدة * ولذلك كان اول ما يشيب فيه راسه الذى هو محلّ الناطقية *
واقوى ما يحسّ منه باللذة اسفله * قلت وما نتيجة ذلك قالت اقلاله
من الفكر * قلت وما الفائدة فى كونه يعوز الى اوقية من اللحم يملأ
بها وجهه فيجد رطلا فى عجزه * قالت هو من النوع الاول * قلت
كانك تقولين ان الرجل لم يخلق الّا لاجل المراة * قالت نعم كما ان
المراة لم تخلق الا للرجل * قلت اى نفع فى تحتّت الاسنان * قالت
الاكل على هيّنة فيمرؤ الطعام * قلت اى نفع فى تعميش العينين *
قالت عدم روية الحسان ليلاً فانهن اروع فيه وافتن * قلت اى نفع
فى العَرَج * قالت الراحة من الجرى ورآ القرصافة الزقزاقة * قلت اى
نفع فى السدّة * قالت الذهول عن العَبقة * قلت وفى الصمم * قالت
عن الرَمْم * قلت وفى الجهل * قالت توفر الصحة للبدن والراحة للبال *
فان الجاهل لا يفكر فى الامور الدقيقة المتعبة * فاذا نام اهنأه النوم

Digitized by Google

واذا طَعِمِ شيا امرأه * لا كدابك فى الهينمة انآ الليل واطراف النهار فما اسمع منك الا تعديد قوافى * وذكر نؤىٍ واثافى * ودوارس عوافى * وظعائن خوافى * واذا جلست للطعام اتيت بالكتاب معك فجعلت الصفحة تلو الصحفة * فتاكل لقمة * وتقرا فقرة * وتكرع من الشراب كرعة وتتلو أُسطورة * ولذلك — قلت قد فهمت من هذا الاكتفآ عدم الاكتفآ * ولكن كثرة القرآة ينشا عنها كثرة التصوّر الباعثة على كثرة التشوّق * قالت ولكن كثرة التشوق ينشا عنها الترويلية او الزمالقية والمقصود الجمادية اللَحِكية * وقد طالما احوج وجود الاولى الى البحث عن وجود الثانية * ولكن دعنا من هذه الملاحك والمغامس * كيف وجدت مدينة لندن * قلت رايت فيها النسآ اكثر من الرجال واجمل * قالت لو ذهبت اليها امراة لرأت بعكس ذلك فان نسآ الانكليز فى هذه الجزيرة لسن حسانا والحسن كله فى الرجال * قلت هولا نخبة البلاد انتقتهم الدولة حسانا ليخيفوا العدو فى الحرب * قالت بل الامر بالعكس فان الجميل لا يخيف وان يكن عدوا وانما القبيح هو الذى يخيف * اَلا ترى انهم يقولون رجل باسل ومتبسّل اى شجاع وهو فى الاصل الكريه المنظر * قلت وقد قالوا ايضا راعه بمعنى اعجبه واخافه * قالت المعنى واحد فانه ماخوذ من الرَوع اى القلب فروية الجميل تصيب القلب بل وسائر الجوارح * ثم قالت وكيف رايت دكاكينها واسواقها * قلت اما الدكاكين فملآنة من الخز والحرير والتحف البديعة * قالت هل مَن هو فيها كما هو فيها * قلت فيها نسآ بيض حسان * قالت انا اسالك عن شى وانت تخبرنى عن غيره * قد عرفت انك زائغ البصر فلن اسالك بعدُ عن

الناس وما اسال الّا عيني * هذه خصلة فيكم معاشر الرجال انكم لا ترون في جنسكم حسنا * قلت هي مثل خصلتكن معاشر النسآ في انكن لا ترين في جنسكن جمالا قد تكافأنا * قالت كيف تكافأنا وبيننا خلآ * قلت كل آت قريب * قالت وكل قريب آت * قلت لا ارضى بهذه الكلية بل قولي بعض القريب * قالت اذا ساغ البعض لم يُغَصّ بالكل * ثم قالت اخبرني عن الاسواق * فقلت طويلة عريضة واسعة نظيفة كثيرة الانوار بحيث لا يمكن للرجل ان ينفرد بامراة اصلا * حتى كانّ الضباب ينجلي بها في الليل ايضا * قالت هو من بعض المنافع الضارّة * ألا ليت لي جَدّا فانظر مرة محاسن هذا المصر من قبل ان اقضي * قلت لا تقنطي فاني ارجو ان نسافر اليها جميعا بعد مدة * قالت حقق الله لنا هذه الامنية * فلما امسى المسآ وبات كل منهما ثملا بذكر لندن على ما مال اليه خاطره قامت في الغداة تقول * قد رايت لندن في المنام واذا برجالها اكثر من نسآئها * وطرقها واسعة كما قلت كثيرة الانوار * ولكن يمكن للرجل فيها ان ينفرد بامراة * وكانك انما تقولت هذا لكيلا اسيئ فيك الظن * ولكن ما كنت لاصدقك من بعد ان تحققت انك غير امين في الرواية الاولى * ثم بعد محاورة طويلة باتا تلك الليلة على اسم لندن * فاصبحت تقول * قد حلمت اني اشتريت من احسن دكاكينها ثوب ديباج احمر احمر احمر * قال انك لا تزالين لاهجة بهذا اللون واهل لندن لا يحبّونه لا في الحرير ولا في الآدميين * قالت ما سبب ذلك * قلت لان الحمرة في الناس تكون عن كثرة الدم * وكثرة الدم مظنة بكثرة الاكل والشرب * وهي دليل على الرُّغب والنَّهَم *

وانما يحبون اليلق لا الامهق * وكذلك العرب يحبون هذا اللون فقد قال اعظم شعرائهم

كبكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الحيّ غير محلّل

فقالت ان كان هذا الاستكراه من طرف الرجال فهو لخشية عزة النسآ عليهن باللون الاحمر الدال على القوة والنشاط والاشر والبَتَع والكَرَع * فيوهمهم ذلك عجزهم عن كفايتهن * وان يكن من النسآ وقد نطقن به فما هو الا مواربة ومغالطة * فان الانسان بالطبع يحب اللون الاحمر كما يشاهد ذلك فى الاطفال * وناهيك ان الدم الذى هو عنصر الحياة احمر * قال فقلت ولكن خلاصة الدم وصفوته هو فى ذلك اللون الذى يرغب فيه اهل لندن * قالت فهذا هو السبب اذًا * الان قد حصحص الحق وبان * اما انا فعلى مذهبى لن احول عنه * وللناس فيما يعشقون مذاهب * فقلت بودى لو كنت احمر احمر احمر حتى تحبينى وان كنت احمق احمق احمق * قالت وما انتفاعك بالمحبة اذا كنت احمق * وانما يعود النفع لى فى تركك اياى مع الاحمر * قلت انزعمين ان العلم يمنع المراة عن اجرآ ما تضمره وان الحمق يمكّنها منه * قالت لا والله بل ربما كان فى الحمق لها اكثر * فان الاحمق يلازم امراته ويظل محملقا فيها والعالم يحملق فى كراريسه * وكيفما كان فلم ارَ اسفه ممّن يحرّج على امراته ويلازمها * فان الرجل كلما اعنت المراة ونكنك عليها بالملازمة والكنكنة زادت هى فى تماديها فلا يردها شى عما ارادته سوى حشمتها وحيائها * واكثر الرجال حمقا وسخافة من اذا اوجس من زوجته الميل الى شخص قال لها تزهيدا فيه * ان فلانا متهتك مستهتر فاحش لا يبالى بما يقول و يفعل *

Digitized by Google

فاذا حضر مجلس ذوى الادب فاول ما يفوه به قوله قد راودت فلانة وخلبتها وفتنتها * وقد عشقتنى وعشقتها * كانه اى الزوج يحذرها من الاسترسال الى هواه مخافة ان تنفضح بين الناس * او ان يقول لها ان فلانا ورع تقىّ يتقى مغازلة النسآ اتقآ الافاعى * كانه يقول لها انك ان تعرّضت له فى الهوى جبهك وندهك وفضحك * فقد تقرر فى عقول الرجال ان كل امر من امور الدنيا والاخرة يشين عرض المراة ويهتك حجابها * مع انه لا شى يدغدغها مثل سماعها عن رجل انه مسرف مشط فى حال من الاحوال بحيث لا يلحقها منه اذى * فهى والحالة هذه تزيد حرصا على فتنته لتصرفه عن تلك الحال اليها فيرجع اسرافه فى محبتها * قال فقلت نعم ان كيد النسآ كان عظيما *





الفصل السابع

في الطباق والتنظير

الانسان كما قالت الفارياقية مجبول على السآمة والملل * ومتى ظفر بالغرض * استحوذ عليه الغرض * وما دام الرجل المتزوج جلس بيته ويسمع من زوجته هات واشترِ وجدِّد واصلح ودَّ لو انه يكون عزبا ولو راهبا في صومعة * فاذا تغرب عنها وراى الرجال يمشون مع النسآ سوآ كن حليلات او خليلات أنِف من الصومعة * وهاج به الشوق الى ان يكون له امراة يماشيها مثل اولئك وان كان مشيهم وقتئذ للتحاكم والتخاصم لدى جناب القاضي * فينبغي للزوج الملازم لِكِنّه والحالة هذه ان لا يزال متصوّرا انه غريب في ارض بعيدة عند اناس يخدعونه ويغبنونه ويهيجونه بمرافدهم * او ان زوجته قد سافرت عنه الى اناس يعاقرونها المدام * ويرقدونها على فرش من ريش النعام * ويغازلونها فتغزلهم * ويباعلونها فتبعلهم * فاذا فعل ذلك هانت عليه نغمات هات واشتر * وهذا جدول عن الفارياق بيّن فيه الاحوال التي يقول فيها المتزوج

ياليت ما عندي امراة	وياليت عندي امراة
اذا تزبرقتْ وتزبرجت وتزلقت وتبرجت وتعطرت وتبغنجت وقالت له قم بنا الى المثابة والمحافل والمحاشد والملاهي والمراقص *	اذا سار وحده الى المثابة والمحافل والمحاشد والملاهي والمراقص وراى النسآ فيها متزبرقات متزبرجات الخ *

Digitized by Google

اذا خرج معها وقد نفّجت صدرها واحكمت مرفدها ثم طفقت تتبازى وتوكوك وتميس وتزوزك وتميل عنقها وراسها *

اذا سار وحده ورای من قد نفّجت صدرها واحكمت مرفدها ثم غدت تتبازى وتوكوك الخ *

اذا مشى معها فرات نقطة مآ في الطريق فشمّرت عن ساقيها لتبدو جاناهما *

اذا مشى وحده فرای من شمرت عن ساقيها عند رويتها نقطة مآ في الطريق الخ *

اذا سار معها في يوم ذی ريح وعمدت الى كشف الثوب عن صدرها وعجزها *

اذا سار وحده في يوم ذی ريح وابصر من عمدت الى كشف الثوب عن صدرها *

اذا جعلت دابها ان توقع منديلها او تربط شراك نعليها ثم تكبّ فتبدی عجيزتها *

اذا سار وحده فرای من تكب لتربط شراك نعليها او تلتقط منديلها فتبدی عجيزتها *

اذا جعلت شيا في فمها تلوكه وهی ماشية توهم من يعجبها من الفتيان انها تشير بقبلة او اذا غمزت احدا ورمزت ولمزت *

اذا ابصر من تلوك شيا وهی ماشية وحسب ذلك اشارة اليه بقبلة ثم غدت تغمز وترمز وتلمز وتابز وتنفز وتنقز *

اذا صادفت رجلا من معارفها في الطريق فطفقت تعاتبه على طول غيابه عنها ثم امسكت بيده وغمزتها غمزا شديدا *

اذا رای امراة تعاتب رجلا على طول غيابه عنها ثم اخذت يده وغمزتها غمزا شديدا حتى احمر الغامز واصفر المغموز او بالعكس *

Digitized by Google

اذا لقيت امراة فى الطريق عليها ديباج نفيس فجعلت تسالها عن سعره وعمن يبيعه *

اذا صادفت احدا فى الطريق فاشارت اليه ان اتبعنا فاخذ يمشى عن يمينها فحولت وجهها عن زوجها وجعلت جلّ الكلام مع الزبون *

اذا رجعا الى البيت وصرّحت له او عرّضت بشرآ الديباج ولم يكن عنده دراهم تكفى *

اذا قالت له وهما على المائدة لتغصّصه ما اجمل فلانا الذى ماشانا وما الطفه وابرّه واترّه واطرّه واحرّه وادرّه *

اذا بات تلك الليلة وهو تعب موجع الراس حتى اذا اغفى قليلا احسّ بحركة منها فى جنبه فقضى دينه متكارها *

اذا سكن منزلا وكان جاره الادنى منه فتى جميلا فجعل يتردد عليه بعلة الجارية *

اذا لقى امراتين تمس احداهما الاخرى وتلك الملموسة تشير بيدها اللطيفة الى مكان *

اذا وجد رجلا بين امراتين او امراة بين رجلين ففى الحالة الاولى طلبا للمرازمة وفى الثانية ثقة بالكفاية لان طعام اثنين يشبع ثلثة *

اذا رجع الى البيت وراى ان عنده مالًا وليس من تلبس الديباج وتجلس الى جانبه *

اذا جلس للطعام وحده وجعل يفكر ويقول فى نفسه ما اجمل فلانة التى رايتها تمشى مع فلان وما الطفها واترّها واطرّها وادرّها *

اذا بات تلك الليلة وهو مستريح ناشط ثم احسّ بحركة منه فمد يده فجات على الحائط او على مسمار او وتد فدميت *

اذا سكن منزلا وكانت جارته فتاة جميلة ولم يمكن له ان يمتّ اليها بوسيلة الجارية *

Digitized by Google

اذا مرض ولزم فراشه وهو يشكو ويئن فلزمت هي الشباك وهي تمكو وتحنّ *

اذا راى جاره مريضا في الفراش يشكو ويئن وزوجته بجنبه تحنّ وتهنّ *

اذا جآ وقت الصيف ففتر وفدر وجفر وحَصِر واسترخت عروقه فاثر ان يبيت وحده *

اذا جآ وقت الشتآ فاشتدّ واستد وامتد واحتد ونبضت عروقه فاثر ان يبيت مع من تنفخ في وجهه *

اذا عنّ له سفر لا بدّ منه ولم يمكن له مصاحبة زوجته *

اذا راى جاره قد سافر وترك زوجته خبعة طلعة راغية ثاغية *

اذا غاب عن زوجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تغيره به وتكيده وتقهره *

اذا غاب رجل عن زوجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تصبّره به وتسلّيه وتمنّيه

اذا قرا في الكتب ان النسآ كلهن خائنات وان عقولهن في فروجهن *

اذا سمع عن امراة انها لم تخن زوجها وانها ردّت في حبه هدايا عشاق كثيرين *

اذا ركبه الضُعف فلم يقدر على كفاية عائلته ولم تكن امراته جميلة لتنفعه *

اذا راى امراة جميلة تماشي ولدا لها صغيرا بزيعًا فيقع في الارض فتنهضه بيدها فيبكي قليلا حتى يحمر خدّاه *

اذا جآ من محترفه وقابلته امراته بالصخب والمشارزة والنقار والضجيج والجؤار *

اذا راى جاره قد آب من محترفه فسمع له ولزوجته زَتلا وزَجَلا وهَمْسا ورِكزا ومباغمة ثم رَفشا *

اذا غاب عن بيته ورجع فوجد فراشه

اذا رجع الى بيته فائزا بوطر ووجد فرشه

Digitized by Google

مشوّشا وشعر امراته مشعّثا بعد ان
كانت اصلحتهما قبل خروجه *

اذا رآها تسارّ الخادم او الخادمة
وتانس بهما وتتساهل معهما
وتحسن اليهما *

اذا رآها تتوقف في المشي كلّما
مرّ بها جميل بدعوى ضيق نعليها
او غيره *

اذا اضطجعت حتى ينظرها من
هو اعلى منها او اسفل واشوق ما
تكون المراة ما اذا اضطجعت
على جنبها *

اذا كانت ذات هوى وصلع مع
جميل بخصوصه ولا تزال تلهج
بذكره *

اذا غاب عن بيته ثم رجع فلم يجد
امراته او اذا قرع الباب فلم تفتح
له في الحال *

اذا سمعت آلات الطرب فطفقت
تترنح وتترقص وتقول آه
اوه ايه *

موضونا وليس من تملاه شحما ولحما ثم
راى في جملة ذخائره خصلة شعر *

اذا راى امراة لا تسارّ الخادم ولا
الخادمة ولا تبتسم لهما ولا تخلو
باحد منهما *

اذا راى امراة تماشي زوجها وطرفها
اليه ولا يزعجها من يمرّ بها كائنا
ما كان *

اذا راى امراة قد اضطرّت الى
الاضطجاع وابت ذلك حيآ وحشمة
سوآ كان ذلك في حضور زوجها
او في غيابه *

اذا كانت المراة غير ذات ميل
وحذل مع احد وعندها ان زوجها
يغنيها عن غيره *

اذا راى جاره كلما رجع الى منزله
وجد امراته مقبلة على الشغل ولا يكاد
يطرق الباب الا ويُفتح له *

اذا سمع امراة تقول وقد سمعت
آلات الطرب ان صوت ابنها الصغير
اشجى منها *

Digitized by Google

اذا كانت تسهب مع الفتيان فى
الكلام وتضحك معهم حتى تقول
طيخ طيخ وعيناها اذ ذاك مغازلتان
ووجنتاها محمرّتان *

اذا كتبت على قميصها حروفا انكرها
او راى فى شفتيها اثر العض
والكعام *

اذا سمعها تذكر اسمآ رجال فى المنام
او اذا تحالمت فذكرت ما كان
يعجبه ويرضيه *

اذا رآها تكره ولدها وتلهى عنه وعن
امور البيت بزينتها وتبرجها *

اذا قعدت بالشباك لتخيط شيا
فجعلت تدرز درزة وتنظر منه نظرة
حتى جآ عملها فاسدا فاضطرت الى
فتقه واصلاحه *

اذا وضعت القدر على النار لتطبخ
شيا ثم شرعت فى الغنآ حتى تهوست
فنسيت القدر والطبيخ
فتشيّط *

اذا تمنّت ان تكون فى المواضع

اذا راى امراة تكلم الحاضرين كلّا
بحسب مقامه ولا يسمع منها طيخ
طيخ ولا يبدو فى سحنتها احمرار
ولا اصفرار *

اذا سمع ان امراة تكتب على قميصها
اسم زوجها ولم يُرَ فى شفتيها او خدّيها
اثر ما قط *

اذا بلغه ان جاره يكاعم امراته
ويشاعرها فلا تحلم له ولا يحلم
لها *

اذا راى امراة تحب ولدها وتحمله
ولا تلهى عنه ولا عن بيتها *

اذا راى امراة تخيط لزوجها او لولدها
شيا من غير ان تتخلل الدرزات
نظرات وزفرات فجآ عملها محكما
من اول وهلة *

اذا راى امراة تضع القدر على النار
ولا تلهى عنها فياتى الطعام
قديا مشهّيا معينا على الباه
والرقاد *

اذا كانت تبتعد عن المثابة ولا

التى يكثر فيها تردد الرجال كفندق وخان ونحوهما *

اذا كانت تصرّح او تعرّض لزوجها بانها تحب السمان الطوال من الرجال مثلا وهو ليس منهم *

اذا كانت تعيب على زوجها انه غير متصف بالمِلْثية ولا بالقُمُدّية *

اذا وافى منزله وقت الغدا او العشآ ساغبا لاغبا فلم يجد شيا ياكله لان زوجته لهيت عن الغدآ بتصليح ثيابها وتغيير زيّها وعن العشآ بلبسها وجلوسها بالشباك لتنظر وينظرها المارّون *

وما اشبه ذلك *

تشتهى ان تدخل فى زحام ليقرصها واحد ويغمزها آخر *

اذا كانت المراة تقول امام زوجها او غيره بانها لا تحب الطوال من الرجال حالة كون زوجها قصيرا *

اذا كانت امراة مفسّلة تعففا وشكت من ملثية زوجها وقمديّته *

اذا وافى منزله وقت الغدآ او العشآ فوجد على مائدته كل ما تشتهيه النفس فاكل وشرب وطابت نفسه ثم راى من شباكه جارته تلبس ثيابها وتنظر الى ما ورائها لتعلم هل الثوب والعجيزة هما كشنّ وطبقة اولا *

وما اشبه ذلك *

Digitized by Google



الفصل الثامن

في سفر معجّل وهُنبوم عُقميّ زهبل

وظل الفارياق معالجا للبخر وقد ضاق بهم ذرعا * اذ لم يحصل من علاجهم فائدة فاصبح يحاول التملّص من هذه الحرفة ولا سيما انه كان مطبوعا على الملل والجزع * واتفق فى غضون ذلك ان سافر الى فرنسا المولى المعظم * احمد باشا باى والى ايالة تونس المفخم * وفرّق على فقرآء مرسيلية وباريس وغيرهما اموالا جزيلة شاع ذكرها ثم رجع الى مقامه * فرأى الفارياق ان يهنئه بقصيدة فنظم القصيدة وبعث بها على يد من بلغها لجنابه * فلم يشعر بعد ايام الّا وُربّان سفينة حربية يطرق بابه * فلما دخل واستقر به المجلس قال للفارياق قد بلغت قصيدتك لجناب سيدنا الاكرم * وقد امرنى ان احملك اليه فى البارجة * فلما سمع ذلك استبشر بالفرج من حرفته وقال لعمرى ما كنت احسب ان الدهر ترك للشعر سوقا ينفق فيه * ولكن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يعقه عنه الشعر ولا غيره * ألا فاهزقى يافارياقية المِهزاق * واسلَقى فما يضرنى اليوم اسلاق * ونقّجى ما اسطعت ان تنقّجى * وضرّجى وضمّجى ودبّجى * هذا يوم يعبق فيه المكتفَن * ويشبق فيه من وهن * ويشمق منه ذو الددن * ويفاز بالغدن * هذا يوم تستحسن فيه الرّبوخ * ويُلقح

Digitized by Google

فيه من به مُلوخ * وتنتشم الجلهوب والسلقلق * وتُنجب الشريم ثم العَفَلّق * هلمّى فاتخذى مذ اليوم ظيرا * فانى ارى فى الزند إيرا * فقال الربّان وقد استعجم عليه الكلام ما هذه اللغة التى تتكلمون بها لعمر الله ما فهمت شيا مما قلتم * اهذا اللسان تحمل فى راسك الى تونس * وبهذه الالفاظ تخاطب سيدنا واهل الفضل من رجال دولته * قال لا وانما هذه لغة اصطلحنا عليها فلا نستعملها الا نادرا * فقال الربّان ينبغى ان تتاهّب الى السفر ولك ان تستصحب ايضا عائلتك اذا شئت * فان سيدنا اكرم الناس لا يسوءه ذلك * فتاهب الفارياق هو وعائلته وركبوا فى السفينة وبعد مسير اثنى عشر يوما والريح مخالفة كما جرت العادة بذلك بلغوا حلق الواد * فامر المولى المشار اليه بنزولهم فى دار امير البحر* وهنا ينبغى ان نلاحظ مزية الكرم التى خص الله تعالى بها جيل العرب دون سائر الاجيال * وذلك ان استدعآ المولى الموما اليه لم يكن لجميع من دبّ ودرج بمنزل الفارياق بل كان خاصّا به وحده* الا انه لما بلغ مسامعه الكريمة قدوم مادحه باهله لم يستأ من ذلك ولم يقل ما اقلّ ادب هذا المدعو وما اصفق وجهه لقدومه علينا مزويا * ولم يقل لربّانه قد خالفت القوانين السياسيّة والاوامر الملوكية فلننزعنّ عن كتفيك هدّاب منصبك حتى تكون عبرة لمن اعتبر * بل بقى الربان متشرفا بهدّابه * والفارياق متمتعا باهدابه * وبوّئ اكرم مبوّأ فى دار امير البحر واجرى عليه الرزق الكريم * والخير العميم * ولو ان احد اعيان الافرنج دعا شخصا واتاه ذلك الشخص ومعه غير نفسه لجبهه عند اللقآ بل لم يكن ليلقاه قط * لا بل نساوهنّ لما كنّ يدعون الفارياقية كن يقلن لها انك انت المدعوة فقط اشارة الى عدم ازوائها بخادمتها

Digitized by Google

وطفلها * وليت شعرى اين من تكرم من ملوكهم بارسال بارجة لاستحضار شاعر ولغمره اياه بالمال والهدايا النفيسة * فلعمرى ان مادح ملوكهم لا جائزة له من عندهم غير تسفيهه وتفنيده * مع انهم اشد الخلق حرصا على ان يشكرهم الناس ويمدحوهم * ولكنهم يانفون من ان يمدحهم شاعر يريد نوالهم * فلمن هذا المال الذى يدخرونه * ولاية داهية من الدواهى يُعتدونه * وهم الطاعمون الكاسون * الحاسون اللاسون * ام يخشون ان يلمّ بهم ضفف او قشف * ام يحسبون ان صلة الشاعر من السرف * ولهذا اى لكون الكرم مزية خاصة بالعرب لم ينبغ فى امة من الامم شعرآ مجيدون مفلقون كشعرائهم على اختلاف الامكنة والازمنة * وذلك من زمن الجاهلية الى انقراض الخلفآ والدولة العربية * فان اليونانيين يفتخرون بشاعر واحد وهو اوميرس (ομηρος) * والرومانيين بفرجيل (Virgilius) والطليانيين بطاسّو (Tasso) والنمساويين بشلر (Schiller) والفرنسيس براسين وموليير (Racine et Molière) والانكليز بشكسبير وملطون وبيرون (Shakspeare, Milton et Byron) * فاما شعرآ العرب المبرّزون على جميع هولاء فاكثر من ان يُعدّوا * بل ربما كان ينبغ فى عهد واحد فى زمن الخلفآ مائتا شاعر كلهم بارع فائق * وذلك لان اللُّهى كما قيل تفتح اللّها * على انه لا مناسبة بين الشعر العربى وشعرهم * لانهم لا يلتزمون فيه الروىّ والقافية وليس عندهم قصيدة واحدة على قافية واحدة ولا محسنات بديعية مع كثرة الضرورات التى يحشون بها كلامهم * فنظمهم فى الحقيقة اقل كلفة من نثرنا المسجع * وما احد من شعرآ الافرنج استحق ان يكون نديما لملكه * فغاية ما يصلون اليه من السعادة والحظوة عند ملوكهم انما هو ان يرخّص لهم فى انشاد

Digitized by Google

شعرهم فى بعض الملاهى * فاىّ هوانٍ يلحق جناب الملك المعظم من اتخاذه الشاعر نديما وكليما * ام يقال ان شعرآ الافرنج كثيرون بحيث لا يمكن للملك ان يختار واحدا منهم على غيره * ارونى اين هم هولآ الكثيرون على خزنته السعيدة * كم فى بلاد الانكليز الان من ناثر * وكم فى بلاد فرانسا من ناظم * وهنا ينبغى ايضا ان اضيف ملاحظة اخرى فاقول * انه قلما ينبغ شاعر عربى او عجمى ويعجب الناس جميعا * فان من الشعرآء من يحب الكلام الجزل الفخم دون ابتكار المعنى * وبعضهم يعنى بالمعانى دون الالفاظ * وبعضهم يتحرّى اللفظ الرقيق والعبارات المنسجمة * وبعضهم الغزل وغير ذلك * ولا تكاد تجتمع هذه المزايا كلها فى شاعر واحد او تجتمع عليها اخلاق الناس كلهم * فان من كان من بنى نَظَرى ذَبّ الرياد شَحِما لَحِما مُخضعا متصندلا زِير النسآ وخِلْبهن وشِيْعهن ونِسْأهن وجِدْثهن وطِلْحهن وطِلْبهن وخِدنهنّ وعُلّهن ورُنوّهن وحُرقوصهن (١) فاقحا اياهن حيث سرن * وكارزا لهن ايان برزن * لا تهمه الحماسة ولا منازلة الاقران * فعنده ان قول امرء القيس

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتى شقّها لم تحوّل

احسن من قول عنترة

فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافى الحديدة مِخذم

ومن يكن عِزْوا او عَزِها او حصورا او عِتْولا مُقْطَعا او مُتأبّدا او عَنْكَشا عِثْيَلا او صَيْقما صمكمكا كُيْكآ ليس به حمضة الى العُبْهرة العجنجرة * والعياذ بالله من ذلك * صرف ذهنه الى الزهديات والحكميات * انتهى ثم ان الفارياق انتقل الى المدينة وهناك تعرف بجماعة

(١) الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث حمتها كحمة الزنبور او القراد تلصق بالناس او اصغر من الجُعَل تنقب الاسافى وتدخل فى فروج الجوارى *


Digitized by Google

من اهل الفضل والادب * منهم مَن ادبه ومنهم من اترفه *
وهناك حظى بتقبيل يد المولى المعظم ونال منه الصلات الوافرة *
وساله وزير الدولة هل تعرف اللغة الفرنساوية * قال لا ياسيدى ما
عُنيت بها * فانى ما كدت اتعلم لسان الانكليز حتى نسيت من
لغتى قدر ما تعلمته منه * فقد قُدّر على راسى ان يسع قدرا معلوما
من العلم فمتى زاد من جهة نقص من اخرى * فلما اخبر زوجته بذلك
قالت له * الم اقل لك غير مرة عَدِّ عن الغزل بالنسآ وتعلم هذه
اللغة المفيدة وما كنت لترعوى عن هواك * ماذا تريد من الغزل
وعندك زافنة * قال فقلت نعم ورافنة * ثم قالت ماذا يفيدك
وصف العِين بالحَوَر * ولست منهن تقضى الدهر من وطر * اليس
ورآك منى رقيب قريب * قلت بلى والله انى ما خلوت قط بامراة
فى الحلم الا ورايتك ورآها * حتى كثيرا ما شاهدتك تمزقين ثوبها
وتنتفين شعرها ثم تتبوّاين مكانها وترسلينها فارغة * فقالت الحمد
لله على ان القى رُعبى فى قلبك فى اليقظة والمنام * قلت قد بدا
لى ان انتقل من التغزل بالنسآ الى هجوهن فعسى ان انتقل بذلك
الى حال احسن * قالت افعل ما بدا لك ولكن اياك من ان تدخلنى
فى الجملة * ولكن قف قف لا تذكر النسآ لا فى النسيب ولا فى الهجآ *
فانك اول ما تذكر اسمهن يدور راسك وينبض فيك العرق القديم *
كلّا ثم كلا * قلت ولكن فى مدح سيدنا الامير قد ذكرت اسم امراة *
فقالت وقد اتقدت عيناها من الغيظ مَن هذه الفاعلة الصانعة *
قلت هو اسم عربى * قالت آه هو من ضلالك القديم * ولو كان اسما
عجميا لقمت الان واحرقت ديوانك هذا الذى هو علىّ اشد من الضرة

Digitized by Google

لانك تصرف فيه نصف الليالى * فقلت لكن هذا النصف ليس بمانع من كله * قالت لكن ذاك الكل حق لى وضعفى مثله * قلت صدقت ما خُلق الليل الا للنسآ وما خلقن هن الا لليل * قالت سلّمتُ بالاولى ولا اسلّم بالثانية * فان النسآ خلقن للنهار ايضا * قلت نعم ولكل ساعة منه وليس للرجل همّ فى الدنيا غير امرائه * قالت الاولى ان تقول اهتمام * قلت فى كل اهتمام همّ * قالت هذا عند الرجال من فشلهم وليس كذلك عند النسآ * قلت هو من خفة عقولهن وثقل نهمهنّ فان اللذة تذهلهن عن الدين والدنيا معا * قالت بل هن يجمعن بين الثلثة فى مكان واحد وآن واحد * واما انتم فمتى كلفتم بواحدة منها اغفلتم الاخرى * وهذه من المزايا التى مزّانا بها البارى تعالى عليكم * ألا ترى ان المراة اذا سمعت مثلا خطيبا جميلا يخطب فى الناس ويزهدهم فى الدنيا تلذذت بكلامه وشغفت حبا بجماله وبكت زهدا فى العالم * قلت بودى لو كانت النسآ يخطبن على المنابر كالرجال * قالت اذا لابكينهم دما * ولكن هيهات فان الرجال من اثرتهم استبدّوا بجميع الامور المعاشية والمعادية وبمراتب العزّ والجاه * وحرموا النسآ من ان يشاركنهم فيها * فما كان ابهج الكون واعمره لو كانت النسآ تتولى هذه الرتب * وكما ان الدنيا مؤنثة وكذا السمآ والارض والجنة والحياة والروح والنفس والنبوة والرسالة والسعادة والحظوة والغبطة والعزة والنعمة والرفاهية والأُبّهة والعظمة والخطابة والفصاحة والبلاغة والسماحة والشجاعة والفضيلة والمروة والحقيقة والملة والشريعة والايالة والولاية والزعامة والرئاسة والحكومة والسياسة والنقابة والنكابة والعرافة والامارة والخلافة والوزارة والمملكة والسلطنة * واخصّ ذلك المحبة واللذة والشهوة *

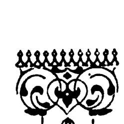
فما كان اجدرها بان تشرف بالنسآ * قلت قد نسيت العفة والحصانة * قالت لم تخطر لى ببال والّا لذكرتها * قلت ولكن البعال مذكر * قالت اين انت من المباعلة * قلت والهكهكة * قالت وما الهكهكة * قلت مضاعف هكّ هك اى هَنَى هنى اى طحز طحز اى فعل فعل * قالت هى احسن مما تقدم * قلت فقولى اذا اخيرًا والا فهو كفر وخمج * قالت على النسآ لا حرج فان منهن الفرج * قلت نَعم الفَرَج اذا ابصرن ذا فرج * قالت والارج * قلت والمَرَج * قالت وهن احقّ بذى بَرَج * قلت وبمن نيرج * قالت الجمع بينهما بلج * قلت والثانى عند تعذر الاول هو الافلج * قالت وبه اللسان الهج * ثم عزما على

الرجوع فسفرهما المولى المشار

اليه فى سفينة

النار

*



الفصل التاسع

في الهيئة والاشكال

وبعد ان وصل الفارياق الى منزله جآه بعض معارفه وساله عن سفره * فاسرّ اليه وعينه ناظرة الى باب غرفة زوجته ان نسآ اليهود فى تونس ما زلن حسانا * وانه ان يكن قد أُنزل بهذا الجيل مسخ كما تزعم النصارى فانه انما نزل بالرجال فقط * فقالت امراته من ورآ الباب قد سمعت ما تقول بل المسخ وقع على النسآء * قال حيث قد سمعت نجوانا ولا يخفى عليك منى خافية فضمى نفسك الينا لنخوض فى هذا الحديث المستحب * قالت اجل انه ما يخفى عن اذنى همهمة * ولا عن عينى سمسمة * ثم انها تصدرت فى المجلس وقالت * قد اعجبنى من زىّ الرجال فى تونس ان سراويلهم قصيرة بحيث تظهر سيقانهم * قال فقلت بل زى النسآ اعجب واشوق * فان الرجال قد يكسون سيقانهم من الجوارب ما يغطيها ومع ذلك فالسراويل تخفى خصورهم وما يليها * فاما النسآ فسوقهن بادية ولا شى يستر حقائبهن * فترى المراة تمشى فى اوان الحرّ وثوبها يشف عما تحته من مكبّب ومقبّب * ومقعب ومقوّب * ومكعّب ومكعثب * فقالت بودى لو كان زىّ النسآ كهيئة اجسامهن * قلت هذا يكون فاحشا من وجهين * لان المتزيية به ان

كانت ركراكة عندلة لقآ كانت فتنة للناس وعطّلت عباد الله عن اعمالهم * وان كانت دردحة او رسحآ كانت وبآ على الناس واجمرتهم في بيوتهم تطيّرا منها * قالت ما سبب كون الرجال في هذا البلد يتزيّون بزيّ كهيئة اجسامهم ولا لوم عليهم ولا محظور من رؤيتهم * افكل ما تفعله الرجال يسوغ وما تفعله النسآ يغصّ به * لعمرى ان هذا الزى احسن من زى رجال بلادنا * فانك ترى من له سراويل منهم يمشي ويفحج كالشاة للحلب * وكثيرا ما تلتف عليه من قدام ومن خلف فتعوقه عن المشي فضلا عن الجرى * ولو انه كان مثلا في محترفه وقال له قائل قد زارك اليوم في منزلك فتى غسّاني فرهد * ولمّا لم يجدك لبث ينتظرك وها هو الان هناك * وقد احتفلت به زوجتك وهشّت اليه وبشت وهي التي ثبّطته وامرت الخادمة بان تمرض او تتمارض حتى تنفي عنك الشبهة * اذ لو بعثتها اليك وخلا لهما المكان لرابك امرهما واعتقدت ان زيارته لها انما كانت عن موعد * وانها هي المقصود بهذه الزيارة لا التشوق الى روية سحنتك * وغير ذلك من الكلام الذى يفور به الدم وينتفخ منه الحملاق * فكيف يمكن له والحالة هذه ان يحفد الى منزله وبين فخذيه ما يذهب به هنا وهناك * ثم ضحكت وقالت نعم وترى منهم من له جبة يمشي ويكنس الارض باذيالها فيلصق بها كل ما في الارض من النجاسة والقذر * حتى اذا وافى بيته ملأه بالرائحة الخبيثة فعلق بزوجته منها ما يرد الطرف عنها وان كانت عَبِقة * لان الرائحة الخبيثة تغلب على الرائحة الطيبة كما يقال * وفضلا عن ذلك فان جبة واحدة يعمل منها كثير من هذه التى تلبسها الافرنج الى خصورهم * وليس للرجل اذا لبسها

Digitized by Google

من هيئة ولا شارة فانها تخفى قوامه كله فلا يرى له خصر ولا غيره * وما
خلق الله الانسان على هذه الصورة الا واراد ان تكون ظاهرة كما هى *
قلت قد رايت الافرنج فى بلادهم صيفا وشتآء فاذا هم يسترون ادبارهم
بهذه الجبب المزنقة * ولا يمشى احد منهم فى الخارج ظاهر الدبر كما
يمشى هولآء القوم القليلو الحيآء فى هذه الجزيرة * قالت والبطون والافخاذ *
قلت ظاهرة * قالت قد شفع هذا فى ذاك فاما سترهما معا فشنيع *
لعمرى ان الناس لم يهتدوا الى الان الى زىّ حسن يوافق هيئة الجسم
ويلائم للعمل وبه شارة * فان هذه البرنيطة لا تعجبنى وليست ملائمة
للوجه لا فى النسآء ولا فى الرجال * لانها اشبه بالقفة او الزنبيل او
القِرْطالة او السلّة او العَيْبة او العِكْم او المرجونة او الجوالق او الخُرْبة
او اللّبيد او الجُرْجة او الغَفْر او الجُفّ او القَفْعة او الجُلّة او القَشْع
او المُدارة او القَلْع او الكِنْف او القُنْبع او المِخْرف او القِنْع او الزكيبة
او الجوآء او القَوْصَرّة او الفَوْد او التلّيسة او الوَفيعة او الجِلْف او الخَصَفة
او الدَوْخلّة او السَفَط او الحَفْص او المِيْضَنة او الصُنّوت * وهذه العمائم
دونها فى القبح * وهذه الحِبَر التى تلبسها نسآء مصر لا حسن فيها فضلا
عن غلائها * واقبح من ذلك كله هذا الحزام الذى تتحزّم به الرجال فانه
يملا الخصر والصدر ويمنع الطعام عن الهضم * واقبح منه هذا الشريط
الذى يربطون به سراويلاتهم من تحت ركبهم فانه يوقف الدم عن
سريانه فى الارجل * وليس فى زى نسآء الافرنج حسن الا كونه ملائما
للمرافد * وقد طالما بتّ مشغولة البال بهذا وحاولت ان اخترع زيا يكون
فيه حسن وتشويق وخفة وطلاوة وجلالة مع موافقة هيئة الجسم ما امكن
فلم يفتح الله علىّ الى الان * وعسى ان يتّجه لى ذلك عن قريب فاكون

Digitized by Google

معدودة من جملة المستنبطين فى هذا العصر * قلت وهل لم يخطر ببالك الاقتصاد قط فى استنباطك * قالت لا فان خير المال ما انفق على المراة * قلت بل على هذه الخزانة واشرت الى سهوة الكتب * قالت اوَ تعانق الكتاب فى ليلك وتشاعره * قلت ان الرجل حين يشاعر زوجته ليلًا لا تكون متزينة باللباس والحلى بل تكون عريانة عند قوم وفُرُجا او متفضّلة او هِلّا عند اخرين * فيصدق عليها ما قيل شعر

يتفحّل الانسان جل نهاره   حتى يفوز بغادة فى ليله
فاذا استقرا فى الفراش بدت له   جهواً مثل التيس تحت ذُيَيلهِ

قالت بل فى تبرّج المراة وزينتها نهارا تشويق وتهييج لزوجها ليلاً * قلت نعم ولجارها ايضا * قالت بل ولنفسها كذلك * قلت ما فهمت هذا المعنى البديع هل المراة اذا نظرت الى زينتها تكرع * قالت لا شك فان الزينة حُسْن وكل حُسن فانما يُذكِّر بالحَسَن * حتى لو نظرتْ جوادا مطهّما او متاعا نفيسا او شيا آخر من زينة السماوات والارض لكان اول ما يخطر ببالها شخصا متصفا بالجمال * قلت فهو اذًا تصور مطلق غير معيّن * قالت ان كان الاشوق فى العيان * فهو الاسبق الى الاذهان * والا فاى كائن كان * قلت وعلى فرض حضور الزوج وشرط كونه عليه مسحة من الجمال * فهل له خطور بالبال * قالت اذا وُفّق الى التمليق والتعريب فقد يخطر ولكن لا بالصفة العينية بل بالصفة المطلقة * قلت قد لمحت الى هذا المعنى سابقا وفهمته حق فهمه * ولكن اسالك سوال متحرّ غير ذى ضَلع ولا صَغا * هلّا يجب على المراة ان تقدم زوجها فى الذكر والتصوّر من حيث ان له المزية والقفية * وحالة كونه

شيخها واباها وحليلها ونفّاحها وكميعها وكفيحها وضجيعها وعقيدها وعهيدها واكيلها وشريبها وجليسها وسميرها وحليفها وعشيرها واليفها ونجيّها وضمينها ووليّها وكفيلها وكليمها وعنيقها ونديمها وخليطها وعميلها وشريكها وخليلها * قالت نعم ورقيبها وسبيبها وشغيبها وعقيبها وغضيبها وكليبها ولتيبها ووثيبها وفحيصها وخصيمها ولزيمها وزحيمها ونبيزها ولقيسها وفقيسها وقفيسها وجاسوسها وعاسوسها وجاروسها وناقوسها وفانوسها وكابوسها وناطورها وناقورها * قلت قد قال مولانا صاحب القاموس دَلّ المراة ودَلالها تدللها على زوجها تريه جِراَة عليه في تغنّج وتشكّل كانها تخالفه وما بها خلاف * وقال ايضا تبعّلت المراة اطاعت بعلها او تزينت له * وفي موضع آخر تقيّأت تعرضت لبعلها والقت نفسها عليه (انتهى) فهذا دليل على ان حركات المراة كلها ينبغي ان يكون مقصودا بها الزوج لا غير * قالت لا غرو ان يكون صاحبك قد قيّد هذه الحركات بالزواج تفرّدا بها من عنده * او انه تابع بعض اهل اللغة المشفشفين على ذلك * فان الرجال دابهم ان يدّعوا ان المراة لم تخلق الّا لارضآ زوجها وتعليله وتمليقه * وان اللغة انما وضعوها استبدادا منهم عن النسآ وافتئاتا كما هو دابهم في غير ذلك * مع ان اللغة انثى ولو كانت من وضع النسآ وهو الاولى اذ كل انتاج ووضع لا بدّ له من ماهية انثوية لكُنّ وضعن الفاظا تدل على من لا يفكر في غير امراته * وعلى قصر طرف الرجل عن النظر الى سواها * وعلى مرضه لمرضها وزحيره لزحيرها * وعلى الباسه اياها ونضوها من ثيابها * وعلى تمشيطه شعرها واحراز مُراطة منه للنظر اليها اذا غاب عنها ساعة ما * وعلى بذل جميع ما تحت يده لرضاها * وعلى من يرى زوجته احسن النسآ * ومن يزيد حبه لها بازدياد رويته لغيرها *

او على من يغمض عينيه اذا تعرضت له اخرى او يُغشى عليه او يكبّ على وجهه او ياخذه الدُوار او الهيضة * وعلى من يتخذ صورتها فيعمّ بها حيطانه وكتبه ومتاعه * فتكون مرة قائمة ومرة مضطجعة ومرة مستلقية واخرى مكبّة * وبعد فقد تركنا لكم اللغة تتصرفون فيها كيفما شئتم فلمَ لا تتركون لنا خواطرنا وافكارنا وهي ليست من الحركة ولا السكون * فاما دعواك بالمزية والقفية فاني اخبرك خبر من لا يجمجم عليك رثآء او حيآ * انه لا مزية للرجل على المراة في شي * اذ ليس من قفية للرجل الا وللمراة مثلها * فاما كفالته اياها فينبغي ان اقول لك هنا دقيقةً قلّ من تنبه لها * وهي انه قد يجتمع مثلا شخصان في شركة او دعوة او زواج ويكون قد تقرر في بال احدهما ان له منّة على صاحبه * وذاك الممنون عليه يعتقد باطنا وظاهرا انه مظلوم * مثال الزواج ما اذا كانت البنت قبل زواجها تهوى شابا ولم يمكنها ان تتزوج به فتزوجت آخر * فرات من افعاله واطواره ما انكرته * فيخطر ببالها ذلك الذي فاتها فتقول في نفسها لعله كان مستثنى من هذه الاخلاق * فلو اني تزوجت به لكنت الان في اهنا عيش * وزوجها يظن اذ ذاك انه اسدى اليها منة عظيمة بكونه تزوجها بعد ان فاتها خليلها الاول * فكان ينبغي للرجال والنسآ ان يمعنوا النظر في احوال الزواج قبل ان يرتبقوا فيه * وعلى الرجل ان لا يتزوج من كانت تهوى آخر قبله * وعلى المراة ان لا تتزوج بمن كان يعاف الزواج خوف الانفاق والاملاق * او من كان يهوى اخرى وهو عزب * ومثال الشركة ما اذا كان احد الشريكين هو الذي قدّم راس المال من عنده والقى عبْء المصلحة على رفيقه * فكل منهما يحسب انه ذو منة على شريكه * ومثال الدعوة ما اذا دعاك احد الى الغدآ في العصر وكانت عادتك ان تتغدى في

الظهر * او اذا قدّم لك من الطعام ما تعافه * فقد ركز فى طبع كل انسان ان يحسب ما يستحسنه هو حسنا عند غيره * او اذا تكرم عليك وقت الغدآ بقُدَيرة وكُسَيرة وجُرَيعة غير عالم ان المادوب تكبر معدته عند الآدب وتتسع امعآوه * او اذا دعاك الى منزله وكان بعيدا عن المدينة فلزمك ان تكترى مركبا بما يساوى غدائين وعشائين عنده * او اذا كنت مثلا عند احد اكابر الافرنج لمصلحة له وعلم انه قد مضى عليك عدة ساعات من غير اكل فامر خادمه بان يقدم لك لهنة من الخبز ومن هذا الجبن اللَخنىّ * وبك اذ ذاك قَرَمٌ الى اكل دماغه * فايّكما والحالة هذه الممتنّ والممتن عليه * او ان يكون احد فى خدمة امير فالمخدوم يعتقد ان خادمه ممنون له لكونه ياخذ ماله * والخادم يرى ان مخدومه هو الممنون لكونه ياخذ منه شبابه وصحته * او ان يكون احد قد زار صديقا له ليسامره وبالمزور همّ وقلق * فكل من الزائر والمزور يحسب انه متفضل على صاحبه وقس على ذلك المعلّم والمتعلم والمادح والممدوح والمغنّى والمغنّى له * فمن ثم لا ينبغى للرجل ان يحسب ان مجرّد اطعامه المراة والباسه اياها منة منه عليها * فان حقوق المراة اكثر من ان تذكر * قلت قد لحنت ذلك على طوله وعرضه فقولى لى اى الرجال احب الى النسآ * قالت ان اقل لك تعربد * قلت قولى لا باس فانما هو بساط حديث نُشر فلا يطوى حتى نصل الى آخره * قالت يوم النشر اذًا * فاعلم ان الكاعب من النسآ تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حسانا * والمُعصر تحب الشبّان بالشرط المذكور * وقد تانس بالكهل اعتقاد انه يكون بها ارفق واعشق * ولكن ذلك لا يسمّى محبة لانه يوول الى نفع نفسها * ومن شرط المحبة ان تكون مجردة عن الاستنفاع * ولكن هيهات فان كل محبّ

Digitized by Google

اذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به ملّه بل ربما كرهه فعلى هذا فالمحبة عندى لفظ يرادفه الفائدة * فقول القائل انا احب فلانة حقيقة معناه انا استفيد منها * فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين ومن جاوزهما فى السنّ قليلا بالشرط المذكور * واما النَصَف فتحب الثلثة والكهل ايضا بذلك الشرط * واما العجوز فتحب الجميع * قلت ما قولك فى الشوارب * قالت هى زينة الفم كما ان الحواجب هى زينة العيون * قلت وفى اللحى * قالت حلى الشيوخ * قلت وفى العارضين * قالت بخ بخ هما زينة الناظر والمنظور اليه * قلت اى حسن فيهما وخصوصا مع حلق الشاربين * قالت هما بمنزلة الاكمام للزهر * او الورق للغصن * او القطيفة للثوب * او السياج للحديقة * او الهالة للقمر * وبينما هما فى الكلام واذا بطارق يطرق الباب * ففتح له واذا برجل معه كتاب من اللجنة المذكورة سابقا يتضمن استدعاء الفارياق واهله اليهم * فلما طالع زوجته بذلك كادت تطير فرحا وسرورا * وقالت ما ابرك صباح هذا اليوم وما ايمن شمسه * ثم قامت الى الصندوق فاوعت فيه لوازم السفر ما عدا القاموس * فقال لها الفارياق رُوَيدك فان دون هذا السفر امورا كثيرة * فاقعنفزت وقالت اذكرها لى جُملةً حتى اُلِج بنفسى جُلّها * قال اطمئنى واصبرى فانك قد شوّشت عقلى بكلامك الاخير * واعوذ بالله من ان يكون سببا فى فساد ترجمة الكتاب * فتركته واشتغلت بامرها * وانا كذلك اتركه الى وسواسه فى العارضين اذ ليس علىّ ان اشاركه فيه *

* * *



الفصل العاشر

في سفر وتفسير

من جملة ما لزم لهذا السفر ما عدا القاموس كان هذا الشرط * وهو ان يغيب الفارياق عن الجزيرة عامين واذا رجع يُوظَّف فى وظيفته الاولى * فمن ثم كتب عرضا للحاكم واقام ينتظر الجواب * وبعد ايام ورد الجواب بقبول هذا الشرط * فوجد كل شى ناجزا للسفر لان زوجته لم تكن فى تلك المدة تهمل شيا * فلم يبق عليهما الا تشريف الجواز بختم القناصل وادآ الغرامة الختمية الحتمية * الا انه بقى غير مختوم عليه من قنصل ليكورنه * فلما بلغوا مرساها اراد الفارياق ان يدخل البلد فاعترضه صاحب ديوان المكس * فقال له انا اعطيك هنا ما كان يحق ان اعطيه للقنصل فى الجزيرة * قال لا بل تعطى هنا ضعفين فابى وعزم على الرجوع الى السفينة * فرآه وزوجته رجل يدير زورقا فلما علم بقضيتهما قال لهما انا ادخل بكما البلد بنصف ما طلب منكما هذا المكّاس الحرامى * فركبا فى زورقه وعرج بهما من مكان خفىّ حتى دخلا البلد * ثم رجعا الى السفينة فسارت بهما الى جينوى ثم الى مرسيلية ثم سافرا الى باريس * وفيها اجتمع بمسيو دُ لامرتين الشاعر المشهور فى اللغة الفرنساوية * واقاما فيها اياما تحوّفت من الكيس جانبا * (فائدة اذا كنت فى بلاد فرنسا

Digitized by Google

فلا تنزل خانًا للانكليز واذا كنت فى بلاد هولآ فلا تنزل خانًا لاولئك)
ثم سافرا الى لندن المحلوم بها * فلما راتِ المدينة وما فيها من التحف العجيبة * والرغائب الغريبه * ومن الانوار المزدهرة * والحوانيت النضرة * قالت ايه ايه لقد قصرت الاحلام عن اليقظة * نعمَ الدار هى مقاما * وحبذا العيش فيها دواما * غير انى رايت من نسآئها امرا بدْعا * قال فقلت الحمد لله على انك بدأت بالنسآ فهو من جدّ طالع الكتاب الذى يراد ترجمته * ولكن ايّ بدع هو * قالت كنت اسمعك تحكى عن بعض الائمة ان عقول النسآ فى فروجهن * وقد ارى نسآ هذه الدنيا الصغرى عقولهن فى ادبارهن * قلت فسّرى فانى لم افهم ما اردت * قالت اذا كانت المراة توقع نفسها بين تهاتر الصنعة والفطرة مع الاستهتار * اى انها تفخم شيا بالصنعة وهو فى الخلقة غير عظيم المقدار * وتهيج الناس على اكباره والفضل كله للحجار * اى اذا كانت تقول بلسان الحال ان لدىّ عنصر عِصار كالإعصار * لا يجدى معه الاعتصار * وطبلا فيه زمّارة لكل زمّار * وصفّارة فى حالتى الشبع والصُفار * ودنًّا مِقعارا * يحتاج الى صِمام اذ قد ملئ الى الأَصمار * وزَوْرآ تستدعى بالزيار * وخَرتًا حريّا بالدِسار * وجُحْرا او دَخْلا ينجحر فيه الحاذر ايّ انجحار * وحشّة ذات اكوار واوكار * ووَرْبًا ياوى اليه من ليس له وجار * ووأبة مؤنّبة فى الليل والنهار * ونُقرة ذات تنقير ونقر على ابتدار * وصرّة فوث ذات صَرير وصِرار * وانقوعة اشتملت على صلّة ولا سيما عند الإهجار * وعَزْلآ لو انحلّ وكاؤها لَمَنَت بالدمار * ووَطْبا لو فُشّ لاكفهرّ منه الجو ايّ اكفهرار * وكيْرا يتطاير من نفخه الشِرار * وهَيْفًا اذا هبّت فى الصيف قال الناس الفرار الفرار * اى اذا كانت خلقت وما تارَبَها احد فاتخذت لها تِرْبا ورآها * ليغنى غَنآها * اى اذا جعلت دابها

كله في تسنيم المسطح * وتقبيب المفلطح * اى اذا استحمقت الناظرين اليها * واشارت اليهم ان عندى قعيدة او نضيدة يقعد عليها * اى اذا رمزت اليهم ان الرِكاز * تحت الجَراز * اى اذا استحقبت المصادغ ثم جعلت تمشي وتنظر الى حقيبتها وتعجب منها وتزهى بها وتنافس فيها وتحرص عليها وترتاح لها وتشوّق اليها * فوجدت اخرى تفخرها في ذلك ثم وجدت هذه ايضا من غلبتها في الاستحقاب فاجدر ان يقال ان عقولهن في الحقائب * هذا معنى ما قالته والجراز عبرت عنه بالقرع * والترب بالردف والحقيبة بالعِدل * ولفظة اى في الاصل * قلت هذه عادة لهن فلا تشاحنى في العادات فان لنسآئنا ايضا عادات كثيرة مكروهة في هذه البلاد * وذلك كالتكحيل والتزجيج والتخضيب والتحنئة واليرنئة والثمغ والتسيير والتوقيف والاغتماس والترقن والترثن والتقفز والتطريف والوشم والتنور والامتهاش والجَمش والتحفف والنمص والحلت والاستعانة والتفريب والصِياق والفَرْم والالهاط والاستطابة والتصنيع والتسمين وعقص الشعر وتقليم الاظفار وتدريمها * وكشف الصدر وتحريك الخصر لمن قُرصت او قرزت او مُرصت اومرزت او غمزت * والحقى به ايضا العُقر وبيضة العقر والاختفاض والاهتجان وغير ذلك * قال فما كدت اتمّ كلامى هذا الوجيز حتى استشاطت غيظا واحرنفشت * ثم قالت لقد أبسلك الى التهلكة مقولك * وفضحك عندى وعند الناس فضولك * من اين علمت انهن لا يغنجن * اذا خُلجن * ولا يرقصن * اذا قُرصن * ولا يستعملن الصياق والفرم * اذا كان الفَلْهم ذا لَهم * او اذا كان قُوّأبا * ذا بقبقة مقبقبا * او اذا كان العفلق * يسمع له جَلَنْبَلَق * والخُنُق * احب الى الهُقُق * لولا انك جرّبت منهن ذلك * قلت هذا امر شائع مستفيض نَبَهٌ مشهور

Digitized by Google

منوّه به ذو دالّة وبُثلة وتشرير لا يخفى على احد * فهو كقول القائل السمآ فوقنا والارض تحتنا وهو عند النحاة ليس بكلام افتغضبين مما لا يصح ان يسمى كلاما * قالت ما لى وللكلام انما غضبى عن الفعل * انك عندى قوّال * وعند غيرى فعّال * ما هذه صفة المتزوجين * ما هذا شان المحصنين * ياللعجب انت لا تستحى ان تطلب * وانا استحى ان أطلَب * الا ليت قاضيا يقضى بين الرجل وامراته حتى يبين للناس كافة مَن الظالم والمظلوم منا * قلت فقولى اذًا ليت قاضية * لان القاضى من حيث كونه والحمد لله ذكرا يحكم للرجل على المراة * قالت بل الامر بعكس ذلك فان القاضى لا يرى الحق الا للمراة على الرجل ولا سيما اذا جاشت اليه واجهشت وكذا كل رجل الا امراة نفسه * قلت لله درك من امرأة خبيرة بامور الرجال ومن رجل خبير باحوال النسآ * انى على مذهب سيدنا القاضى * فانى حين كنت احضر خصام رجل وامراة وارى الرجل منتوف اللحية مخرّق الجيب ما كنت لانظر الى المراة الا نظر المبرّى * ولا سيما اذا اجهشت فكنت اودّ لو افديها بروحى * ولكن رويدك لا تزبئرّى ولا تزمخرّى * ولا تجذئرّى ولا تجظئرّى * ولا تحزئرّى ولا تقدحرّى * انى لم يبق لى الان الا النظر فاما التفدية فلا حكم لى اليوم على نفسى * ولكن اخبرينى ما هذه الخصلة الغريزية فيكن معاشر النسآ * انكن تبكين وتضحكين ايان شئتن من اى شى كان * ونحن معاشر الرجال لا نبكى الا منكن ولا نضحك الا لكنّ ومن اجلكن * قالت سبب ذلك هو كون النسآ ارق طبعا * واكرم خلقا * وادق فهما والطف تخيّلا * وارأف قلبا واحنى فوادا * والين جانبا واسرع سمعا ونظرا * وانفذ فكرا واعجل تاثرا * واخف يدا واعلق

بالدنيا والدين * واقبل للتلقين * وابدر الى الرسيس * والقف للعلق النفيس * قلت مهلا مهلا * قالت واروق بالا * قلت وبعالا * قالت وابلغ جيلا * قلت وتململا * قالت واوفى صلة * قلت وغربلة * قالت واعجل الطافا * قلت وايغافا * قالت واكثر ترفقا * قلت وشبقا * قالت واوفر كرما * قلت وغلما * قالت واطول حبّا * قلت وقنبا * قالت وابقى وجدا * قلت وزردا وعصدا * قالت واشهى عتابا * قلت وقرابا * قالت وابدع شمظا * قلت ولمظا * قالت وارخم منطقا * قلت وحفقا * قالت واسبق شعورا * قلت وشعورا * قالت واحلى تحدثا * قلت ورفثا * قالت واغرب رتلا * قلت وعفلا * ثم قلت قد كان حديثك اولا فى الحقائب بما يذهب بصبر ايوب * وينزّى المشمود والمنجوف والمنجوب * والان اخذت فى تفضيل النسآ على عادتك وفى تعداد محاسنهن وستنتهين الى كشف المغطّى منهن * فهل تريدين ان اقدم على صاحبنا مجنونا او ذا لمم فتفسد ترجمة الكتاب * قالت ان كنت تجنّ هنا فلا يكون لك فى البيت قرصعة كما فى الشام * فان المجانين الذين هم فى بيوتهم هناك اكثر من الذين هم فى اديار الرهبان * قلت لعل ذلك هو الذى اغراك بهذا التشويق المعذب * فكفى عن هذا الحديث الملهب المحرّب * بحق من اعطاك هذا اللسان الذرب * وتاهّبى للاشخاص الى من يكون عنده شغلى * قالت اليس هو بلندن * قلت لا بل هو فى الريف * قالت ويلى على الريف وعلى الفلاحين * من يطيق السفر من هذه المدينة ليسكن بين الهمج * فان الفلاحين فى جميع البلاد سوآ * قلت ثم ننتقل من هنالك الى مدينة غاصّة بالرجال * قالت فيها رجال بلا نسآ * قلت بل فيها نسآ وانما هن قليلات

Digitized by Google

بالنسبة الى كثرة الرجال * قالت ان القليل من النسآ كثير * ثم انهما سافرا فى غد ذلك اليوم واذ كانا سائرين فى درب الحديد ذكر المنبّه اسم القرية التى كانا يقصدانها فلم ينتبه الفارياق لاشتغال باله بتلك المساجلة * حتى اذا سارا طويلا وسال احد السكوت عن رُحلته قال له قد فاتتك * فخرج ج وهو آسف على غفلته عن تذكير المنبّه * وما بلغوا القرية الا بعد مشى مسافة طويلة وتعب كثير *

تنبيه دروب الحديد فى بلاد الانكليز مثل خطوط الكف يسير فيها المسافر الى اى موضع شا طولا وعرضا شرقا وغربا

*



Digitized by Google



الفصل الحادى عشر

في ترجمة ونصيحة

ثم لبثا فى تلك القرية وشرعت الفارياقية فى تعلم لسان القوم * فقال لها زوجها ذات يوم انى اريد ان انصح لك فى امر يختص بتعلم هذه اللغة الجليلة * قالت هات ما عندك فهى لعمرى اول نصيحة خرجت من فمك الى مسمعى * قال ومن قلبى ايضا * قالت قل * قال من شان المبتدئين بعلم اللغات الاجنبية ان يتعلموا بادئ بدء ما يؤول الى جسم الانسان من العروق والعضلات والربلات الى اخره * قالت قد لحنت ما تعنيه فما هذه بنصيحة * قال فقلت سبحان الله خلق الانسان من عَجَل * انما اريد ان اقول لك ان من شآء ان يتعلم هذه اللغة ينبغى له اولا ان يبتدى باسمآء من فى السماوات لا بمن على الارض * فان القوم يتظاهرون بالتقوى والصلاح * حتى ان البغيّ منهم تجأر وهى مستلقية بالدعآ مرة وبالرَفَث اخرى * قالت وقد قلقت أوَ هنا بغايا * قلت لا فان اهل القرى الصغيرة فى هذه البلاد يتزوجون كسائر الناس ولا يمكنهم السفاح * ولكن المراد ان اقول انهم جميعا يبدون التورّع * فلا ينبغى الان والحالة هذه ان تسالى عن اسمآ الربلات * وستعرفين ذلك كله بعد قليل * بل لا ريب عندى فى انك تعرفينه دون معرّف وتحفظينه

Digitized by Google

دون محفظ وذلك بطريق الافتحار او الالهام * فان لقنك وحدّة ذهنك وقوة قريحتك يسهّل عليك كل امر عسير * قالت لعمرى لو كان مثل هذا الكلام نصيحة لكانت الحكمة ارخص ما يكون * اناشدك الله كم بلغت من السنين * قلت ما هذا الاستفهام عقب هذا الكلام * قالت اى فصل هذا الذى نحن فيه * قلت فصل الخريف * قالت فالذنب اذًا على الفصل * قلت اتزعميننى قد خرفت * قالت والّا فما هذا القول الذى زجرت به وتحسبه نصيحة * قلت فافعلى ما بدا لك فلقد وعظت من لم يتّعظ وزجرت من لم ينزجر * ثم لما مضت ايام جآت ذات غداة تقول للفارياق * اَلَا ما احسن هذه اللغة موقعا فى السمع والخاطر وما اخفّها على اللسان * فلقد حفظت اليوم منها بيتى شعر من دون تكلف غير انى لم افهم معناهما * فهل لك ان توقفنى عليه * قال اهلا بك اليه ان شئت الان فابرقى حتى امطر * قالت اى لُقَعة انت ما عنيت الا المعنى قال فقلت وما المعنى الّا ما عنيت فانى اعلم عين اليقين انك لم تضمرى غيره * ولكن انشدينى ما حفظت فقالت

Up up up thou art wanted,
She is weary and tormented,
Do her justice she is hunted
By her husband, she has fainted.

اَپ اپ اپ ظاوْ آرت وانتِد — شِى از وِيرى اَنْد طُرْمانتِد
دُوهَرْ جسْتِس شِى از هَنْتِد — بَىْ هر هُزْبَنْد شِى هَز فانتِد

فقلت ان الشاعر هنا يشكو من شطط امراة عليه * ولكن لست ادرى اية امراة هى فيقول ما معناه

تبغى لكاعى سَدّ سمّيها معا — اذ يفتح الثانى لسدّ الاول
كالاذن ان حكت تهيّج اختها — وتظل هائجة اذا لم تفعل


Digitized by Google

فتمعّر وجهها غيظا وقالت ما هو الّا تقوّل منك * فانكم معاشر الرجال ابدا لهجون بالسدّ * فقلت كما انكن معاشر النسآ ابدا لهجات بالفتح * قالت ان القوم لا يقولون هذا الكلام وليس في اشعارهم فُجر وفحش كما في اشعار العرب * قلت اليست اجسامنا واجسامهم سوآ * قالت الكلام هنا على الكلام لا على الاجسام * قلت من اين ياتى الفحش الا من الاجسام * فحيثما وجد الجسم وجد منه الفعل * وحيثما وجد الفعل وجد عنه القول * هذا دِين سويفت مع انه كان في درجة هي دون درجة الاسقف فقد الّف مقالة طويلة في الاست * وكذا استرن فانه كان قسيسا والّف في المجون * فاما جون كليلاند فانه الّف كتابا في اخبار فاجرة اسمها فِني هِل جآ فيه من الفحش والمجون بما فاق به ابن حجّاج وابن ابى عتيق وابن صريع الدلآ ومولف كتاب الف ليلة وليلة * فممّا ذكره عن فحش اهل لندن ان زمرة من اعيانها كانوا قد انشأوا ماخورًا جمعوا فيه عدة زواني * وكان بعضهم يفجر ببعضهن بمراى من الباقي مناوبة * واول من نهج طريقة المجون فيما اظن كان ربلي الفرنساوي المشهور وهو ايضا من اهل الكنيسة * قالت الم تقل لي آنفا انهم متلبّسون بالورع والتقوى * قلت بلى ولم ازل اقول غير ان هذا التلبس قد جرى عندهم مجرى العادة * فان الملبّس عليه يعلم ما انطوى عليه الملبِّس * ليت شعرى لو ان احدا لبس مثلاً عشرة اثواب ليوهم الناس ان ليس له قُبُل ولا دبر افيخفى علم ذلك عن الناظر * قالت لا فاذًا هم مدهونون بالدِهان * قلت نعم هذا النوع ينمى في هذه الارض كثيرا * فتاوّهت وقالت ويلى على المداهنين * كيف اطيق عشرتهم وانا كسائر اهل البلاد المشرقية منبسطة النفس واللسان * لا اكتم ما في

Digitized by Google

صدری عن عشیری * قلت ایاك وذلك * وانما ینبغی لك التکتم والتحرز دایما * وایاك ایضا والاهزاق فان ضحك القوم إهْمات وغتّ واهلاس واهناف وارْنَآء وانتداغ وارتاك وزقزقة وهرنفة وانتاغ وهنبصة * والّا فکونی من التاغیات * قالت کیف تامرنی ان اکون من الطاغیات * وانت لا تزال تشکو من النسآ طرّا حتی من العادلات * قلت بل المراد ان تغالبی الضحك یقال تغت الجاریة — فابتدرتنی وقالت یکفی یکفی ما ارید ان تذکر لی الجاریة ولا الجارة * قلت نعم واکلهم ناج وتدلّس وتوجّس وهَمْس ومَدْش وتبرّض وهرمزة ومَطّع وتذوّق وتطعّم وتغذّم * وشربهم غنثرة ولماظ وترشّف وتزحّن وتزنّح وترنّح وتقنّح وترمق وتمقق وتمزّز وتمزّر وتمصص * ومتی تکلمت یجب ان تغضی طرفك وتخفضی صوتك وتبدی غایة ما یکون من التوزّن والتوقر * والتحرز والتحذر * والتظرّف والتکیّس * والتلطف والتنطس * والتادب والتخضع * والتعزف والتخشع * والتخفر والتقزز * والتعوّذ والتعزز * والتنزه والتقرش * والتمنع والتجهّش * والتنسك والتنقع * والتاوّه والتنطع * والتحوّب والتذمم * والتحرج والتأثّم * والتحنث والتحشم * والتدلس والتکتم * والتخنث والتانق * والتودد والتملق * والتحسب والتحری * والتوقی والتحشی * والتوخی والتخشی * والتبرّی والتذکی * والتحذلق والتحصی * والتوقف والتحمی * والتصلف والتکلف * والتاسف والتلهف * والتحشف والتحنف * والتعفف والتانف * والتخیف والتخوف * والتنطّف والتنظف * فقالت ویك ویك ما هذا العَلك اتیت بی الی هذه البلاد لتسبکنی وتصوغ منی امراة اخری * قلت فدیتك فاسمعی ولا یکن کلامك فی هذا الفصل من السنة الا اخفاسا ای قلیلا * وفی الفصل القابل تزیدین

Digitized by Google

عشرين في المئة * وان حدثك رجل او امراة وجب عليك ان تستحسني المحدث وتحبّذيه عند ختام كل جملة * وتومّني له وتهيمني اى تقولى له آمين آمين بَسْلا بسلا * وتنعّميه اى تقولى نعم نعم * وتبجّليه اى تقولى بَجَل بجل * وتوجّليه اى تقولى اَجَل اجل * وتبسّليه اى تقولى بَسَل بسل * ولا ينبغى لك فى يوم الاحد ان تطبخى شيا وانما ناكل مما فضل من يوم السبت باردا كما تفعل اليهود * لان الطعام السخن يسخن الدم ويهيج الحرارة * ولان سيدنا موسى رجم رجلا وُجد يجمع حطبا فى السبت * ولا ينبغى لك الحركة فى يوم الاحد اية حركة كانت اَلَحنت ذلك * قالت لحنت * قلت ولا ترفعى فيه الستائر عن الشبابيك لئلّا يراك الناس فيكون ذلك باعثا ايضا على الحركة * الحنت هذا ايضا * قالت قد لحنته وزكنته * وفهمته ولقنته * وعلمته ودريته * وادركته ووعيته * ولكن ما سببه وهذا اليوم عندنا يوم الفرح والسرور * والتزاور والحبور * قلت انهم يموتون فيه لكون سيدنا عيسى اُنشر فيه من الموت * ثم ان عليك ان لا تفترى من ذكر يوم السبت اى الاحد * فان المسمّى قد يتغيّر بتغيير اسمه * وذلك بان تقولى مثلا ما كان اشرف السبت الماضى وما اجلّه * من لى بالسبت القابل حتى اخلو فيه مع ربّى * ياليت كل يوم فيه ساعة من ساعات السبت * الّا ان يوم السبت ليوم عظيم * مهيب كريم * جليل وسيم * كيف كان الناس يعيشون ولا سبت لهم * كم من سبت فى السنة * وكم فى ساعات السبت من دقائق * وكم فى دقائق السبت من ثوانى * الّا ما ابهى شمس السبت وقمره * وغلسه وسحره * وازهاره واطياره * وحره وازمهراره * واذا انكرت فَعلة من فعلاتهم فاياك وان تذكريها لهم * واطرئى ما امكن على عاداتهم واطوارهم

Digitized by Google

ومعالمهم ومشاعرهم ومآكلهم ومشاربهم ومآدبهم وملابسهم * وعلى طول اظفارهم واظفارهنّ وعلى عظم مرافدهن وعلى تفتيل سوالفهن * وعلى المنفش من شعرهن اعنى على قُذُلهن * وعلى كشف ادبارهم للاصطلآ * وكلما رايت شيا في بيوتهم من اثاث وغيره فاستحسنيه واعجبي به فقولى وانت مدهوشة * آه ما احسن هذا * آه ما اجمل ذاك * آه ما ابهى هولآ * اه ما املح تلك * ألا ما اذكى مراحيضكم * واشذى بواليعكم * وانقى مرافقكم * وآنق مثاعبكم * وانظف اعتابكم ووُصُدكم * وابهج نَفَقكم وسَرَبكم * فهذه هى الذريعة التى يتذرع بها الغربآ هنا لاستجلاب مودتهم وكسب رضاهم * واعرف كثيرين قد استعملوها ونجحوا بها * ثم ينبغى لك اذا دعينا الى وليمة عند احد اكابرهم ان تاكلى هنا من قبل ان تذهبى * فان المدعوّين لا ياكلون عند آدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى ياكلوا * وكما ان ادب الآدب عندنا ان يغصب ضيفه على الاكل ويحلفه براسه ولحيته وشواربه ان ياكل فخذ دجاجة او ست كُبَيبات او يلقمه اياها فى فمه * كذلك كان ادب الآدب عندهم ان يراعى حركات فم الآكل ويديه ليعلم هل هو سرطم او ذو لَقَف ونقف * وكلما تحرك فم او يد على المائدة — قال فابتدرتنى وقالت وخصر * قلت وكفل بل اى عضو كان * وجب عليك ان تقولى لذى العضو المتحرك انت مشكور على ذلك * انت ممدوح * انت محمود * انت مفضل * انت محسن * انت بَرّ * انت ذو منّة وما اشبه ذلك مما يوذن بضعة المادوب ولَمّده وحقارته وهَوانه وذلّه وخساسته وهَطْرته وكَفْره (١) وتسكسكه * فى مقابلة رفعة الآدب وعظمته وجلاله وابهته وشرفه وكرمه وبذخه وعزّته * والحذر الحذر من ان تمدّى يدك الى زجاجة الخمر او الى جفنة الطعام فتاخذى منهما ما شئت * فان

(١) الهَطْرة تذلّل الفقير للغنى والكَفر تعظيم الفارسى ملكه *

ذلك يكون انتهاكاً لحرمة المائدة والمجلس والقرية بل وللمملكة بأسرها * وانما ينبغي ان تنتظري من كرم الآدب ان يوعز اليك في ذلك * واذا قُدّم لك بُضيعة من ارنب قد خنق مذ شهر وعلّق في الهوآ حتى انتّن فاثني على الارض التي نشا فيها جنس هذا الحيوان النفيس وعلى خانقه وطابخه * واذا رايت شيخا ذا وقار وهيبة يخدم عجوزه فلا تنكري ذلك كما انكره بعض الشعرآ المفرّكين بقوله

وربّ عجوز تحاكي السّعالِي   تُشير وتنهَى وتامر امرا
يقابلها شيخها بآمتثال   ويسعى لخدمتها مستمرّا
وتقعد تحكي كلاما سخيفا   ومستمعوها يقولون سحرا
تقول بداري كلب وهرّ   وللهرّ ذعر اذا الكلب هَرّا
ويرقبني الهرّ ان كنت اكل يُمنَى ليمني ويُسرَى ليسرى
وبنتيَ ليزَى تؤاسيه مما   لديها فمنها يلازم حجرا
وقد كان عندي من قبلُ جروٌ   تلوّن بطنا وصدرا وظهرا
وكنت عليه لفي غاية الحر   ص اسقيه ملء كؤوسيَ دَرّا
فجآت عزيزة قوم الينا   فرامته مني والعين شَكْرى
وكان ينام على فخذيّ   ويلحس رُفغي اذا ما اسبطرّا
وكان فلان اتانيَ عام كذا بجُرَيّ فما عاش شهرا
وتسأل ان تنسَ تاريخ ذاك النهار المعظم زيدا وعمرا

الى ان قال * فاما النسآ فمما اختصصن به اكل ما اشبه التين نحرا
وياكلن والراح منهن بالجلد مستترات ويمضغن سرّا
وتسمع للشاى قرقرة من   معاهن تحكي هنا قرّ قرّا
وتاخذ في صحنها بالمشكّة قدرا من اللحم يشبه ظفرا
فيتعلكبه برهة من زمان   ليمرأ من بعد ان يتهرّا

Digitized by Google

وزوج المضيف تقول له خذ　　عزيزى مما امامك وذرا
فيشكرها ويقول لقد كثر الفضل منك علىّ ودرّا
وتجلس تقسم اكل الضيوف　　فتعطيك من ذاك نزرا فنزرا
وفى كل نزر تنال تطاطى　　.راسك رغما وتشكر شكرا
وان يك لونان قالت لك اختر　　نصيبك مما هنّا وتحرّا
كان لم يجز بين ذينك جمع　　كانك ناكح اختين تترى

فقالت هذا تكليف فوق الطاقة فما انا بالذائقة عندهم شيا ولو كان المنّ والسلوى * قلت ومع ذلك فهم ذوو محامد شهيرة * وفضائل كثيرة * ليست فى غيرهم من الافرنج * منها انجاز الوعد وصدق الوفآ فى الحضرة والغيبة * وتوفية اجر من يعمل لهم ومراعاة حرمته اى اكرامه لا انهم يعفّون عن زوجته * قالت لا تتكلف التفسير فما ذلك بشذوذ عن القاعدة * قلت ومنها انهم قليلو الكلام كثيرو الفعل * حسنو المعاطاة للامور بالترتيب والسياسة * والرشد والكياسة * ومن يات الى بلادهم فلا يسال عن جواز ولا اجازة * ولا يهمّه ان كان جاره قاضى القضاة او وزير الوزرآ او شرطيا او جلوازا * ولا يخاف ان يسكن دارا او يدخل مثابة فيها بعض الشرطة فيرهقوه بكلام ونحوه مما يكون سببا فى سجنه او غرامته * فكل الناس فى الحقوق البشرية عندهم متساوون * هذا وانهم يحبّون الغريب ما خلا اوباشهم * ويشفقون على الفقير ويغيثون المحتاج * ويكرمون ذوى السيادة والمجد ويعرفون قدر ذوى العلم * ويعينون على ادراك العلوم والمعارف فى البلاد الاجنبية * وعندهم جمعيات منعقدة لاجرآ كل نفع وخير * وازالة كل شر وضير * وكثير من الاطبآ هنا يداوون المرضى مجانا ما عدا المستشفيات المبثوثة فى كل

Digitized by Google

قطر وصقع من بلادهم * ومن ينزل نزلا لديهم او يستاجر غرفة فى منازلهم فان صاحبة المنزل تؤانسه وترفق به وتحفّه وترقه وتمرّضه * وتدعوه الى مسامرتها ومجالستها من غير ان يستآء زوجها لذلك * واذا اتفق وقتئذ ان زارها بعض معارفها تعرّفهم به وتنوّه باسمه * وانه اذا قدم الى بلادهم احد بكتاب توصية احتفل به الموصّى ودعاه الى منزله وجعل اسمه نَبَها عند اخوانه ومعارفه * ولا يدع شيا فى وسعه الا ويبذله لراحته ورفاهيته ونحله له الود والنصح حاضرا وغائبا* فرُقعة وَصاةٍ بيد صاحبها تفيزه عندهم باب وام واهل واخوان* وفى الجملة فان كفّة محامدهم ترجح كفّة مذامّهم * وليس الكامل الا الله وحده سبحانه وتعالى * وليس شى من هذه المزايا الحميدة موجودا فى غيرهم من الافرنج لان غيرهم متحاحون ملثيّون مراوغون * ذوو ايادى مغلولة والسنة مطلقة* فهم ليسوا كاصحابنا فى الرشد والاستقامة ولا مثلنا فى الانس والكرم * قالت قد فهمت هذا كله فينبغى ان نعود الى تفسير البيتين بشرط ان لا تاتى بشى من عندك فانى اعرف تزيّدك فى الكلام * قلت كانك تقولين انى ذو فضول غير فعول كما ذكرت ذلك غير مرة * قالت اذا كنت قد الفته فما يضرك الان والّا فعدّها فلتة * قلت دونك تفسيرهما من دون تزتّب

قم عجلا قم سؤلى عندك وابلغ اربا منها جهدك
فلقد ضجرت ولها بعل يبغى ان يعسلها بعدك

فقالت انت قلت ان الشاعر يشكو من امراة وها هو يشكو من نفسه * وليس المراة بملومة على ضجرها فى مثل هذه الحال * قلت لمثلك تلقى مقاليد الشرح * قالت ومنه يرجى تخفيف البرّح *



الفصل الثاني عشر

في خواطر فلسفية

ثم لما مضت مدة على الفارياقية في بلاد الفلاحين حيث لا انس للغريب ولا حظ غير خضرة الارض عيل صبرها وضاق صدرها وعرتها السآمة والقلق * فقالت لزوجها ذات يوم * ياللعجب من هذه الدنيا ومن احوالها * واعجب ما فيها هذا الحيوان الناطق الماشي على ظهرها * كيف تمر عليه الليالى والايام والامانى تغره * والامال تشغله وتعلله * وكلما جرى وراها ليدركها تقدمته وبعدت عنه كظله * وكل يوم يحسب انه فى يومه اعقل منه فى امسه * وان غده يكون خيرا من يومه * قد كنت احسب ونحن فى الجزيرة ان الانكليز احسن الناس حالا * وانعم بالا * فلما قدمنا بلادهم وعاشرناهم اذا فلاحوهم اشقى خلق الله * انظر الى اهل هذه القرى التى حولنا وامعن النظر فيهم تجدهم لا فرق بينهم وبين الهمج * يذهب الفلاح منهم فى الغداة الى الكد والتعب ثم ياتى بيته مساء فلا يرى احدا من خلق الله ولا يراه احد * فيرقد فى العشآ ثم يبكر لما كان فيه وهلم جرا * فهو كالآلة التى تدور مدارا محتتنا فلا فى دورانها لها حظ وفوز ولا فى وقفها راحة * فاذا جآ يوم الاحد وهو يوم الفرح واللهو فى جميع الاقطار لم يكن له حظ سوى الذهاب

الى الكنيسة * فيمكث فيها ساعتين كالصنم يتثآب ساعة ويرقد اخرى ثم يعود الى بيته * فليس عندهم مثابة ولا موضع للسَمَر والطرب * وليست ايضا عيشة المتموليين في الريف بانعم من عيشة الفلاحين اذ لا يعرفون من المطاعم غير الشِوآ وهذا القلقاس * ولكن هيهات اين المتمولون في القرى * فانك لا ترى فيها مثريا الا القسيس وخوليّ الارض وهو الذى يضمن المزارع والحقول من مالكها * وهما ايضا بمثابة الفلاحين * ومع ذلك فاذا دخلت قصور الملوك وطفت في اسواق المدن وعاينت ما فيها من الصنائع البديعة والتحف العجيبة والالات الظريفة والفرش النفيس والثياب الفاخرة والاواني المحكمة ولا سيما مدينة لندن * علمت ان صناعها هم القائمون بالدنيا وهم منها محرومون * فان داب الصانع كداب الفلاح من جهة انه يشقى ويكدّ النهار كله ولا حظّ له في الليل سوى اغماض عينيه * فكيف يزين هذا الصنف من الناس هذه الدنيا ويبهجونها ويعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها * والمترفون فيها لا يحسنون عمل شي وربما لم يكونوا ايضا يحسنون الكلام * واذا كان الناس عباد الله في ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم الواحد باختلاف ما فيه من الاعضآ الجليلة والحقيرة فلمَ لا يجرى العدل بينهم كما يجرى بين الاعضآ * فان الانسان اذا اكل شيا او لبس شيا فانما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله * ام يزعم المثرون اذا وسّعوا على هولآ الضِناك الصعاليك * ونفّسوا عنهم الكرب الذى يكابدونه من جهد المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم انهم يحملونهم على اهمال شغلهم وعلى تركهم الارض بورا فتتعطل وتمحل فيهلكون جوعا * فما بال ذى الدولة اذا يولى المبالغ الجسيمة والجوائز الجزيلة لمن يقلّده عملا

ويرقيه مرتبة ولا يخاف ان يفسد عمله بكثرة ما يعطيه * لا بل ان الفقير اذا كفاه وإليه او سيّده المونة وهو شي بالنسبة اليه هيّن فانه يودى ما ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس * ويدعو له بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يبيت الليالى شابحا يديه بالدعآ عليه * لتيقّنه ان حقه ضائع عنده وان هزاله وضواه ذاهب فى تسمين غيره * وفى حمله على البطر والعتو واقتنآ ما لا تلزم قنيته من الخيول المطهمة والمراكب النفيسة والاثاث المنضد * فياكل الغنى لقمته والحالة هذه مغموسة بدعآ الفقير عليه * ام يحسبون ان الله تعالى انما خلق الفقرآ لخدمتهم فقط * لعمرى ان حاجة الغنى الى الفقير اشد من حاجة الفقير الى الغنىّ * ام يانفون من النظر من مقامهم الرفيع السامى الى ذوى الضعة والخمول خشية ان يسرى اليهم من بؤسهم ما يسوءهم * كمن ارتقى شرفا باذخا وتحته هوّة عظيمة فهو يابى من ان يتطاطا وينظر اليها لئلّا يلحقه من ذلك دوار او غشيان فيهبط من شرفه * ليت شعرى هل جرّب الاغنيآ حينا من الدهر ان يسعدوا الشقى بمالهم وينعشوه برفدهم * ثم وجدوه مقابلا نعمتهم عليه بالكفران والبطالة وباهمال ما فرض عليه من قبل الله والطبيعة * وانما هو محض وَهْم دخل فى روسهم مع الرحيق فخرج هذا ولم يخرج ذاك * ألّا فليمكّنوه من ان يذوق لذة العيش ويرى الدنيا كما هى عليه شهرا واحدا فى عمره فى الاقل او يوما فى العام حتى يموت راضيا قرير العين * واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسله وتعطّله فخوفهم من فساد نيته لفقره ومن كراهته اياهم أَوْلَى * لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة * ألا ترى الى هولآ الالوف من البنات اللاى يجرين فى اسواق لندن وجميع المدن العامرة باخلاق من

الثياب * كيف يتهافتن على الرائح والغادى رجآ ان ينلن ما يتقوّتن به ويتجمّلن به من الثياب * ولا سيما هولآ النواشى اللاى لم يبلغن بعدُ من العمر خمس عشرة سنة * فهذا لعمرى لاهتجان بعينه * فكيف يعيبون علينا هذه العادة فى بلادنا وهى مستعملة عندنا على وجه الحلال وعندهم بالحرام * فلو كنّ مكفيات المؤنة لما فعلن ذلك * لان البنت فى هذا الحدّ من السنّ لا تكرع الى الرجال * ولا تضبع للبعال * ولا سيما فى البلاد الباردة * ولَسَلِم من كيدهن وتهافتن جشعا الى المال اناس كثيرون جلب عليهم شرههم اليهن مضارّ كثيرة * وما عدا ذلك فان هولآ البنات الحسان لو كانت الدولة واهل الكنيسة يُعنَون بتجهيزهن بما يقدرهنْ على الزواج الشرعى بعد تربيتهن وتهذيبهن * لكُنّ يلدن لاولاد الصباح فيزيّنّ المملكة بائمار ارحامهن كما تقول التوراة * بخلاف ما اذا بقين على حالة السفاح فما يتولد منهن الا الخبائث والرذائل * فهن كالشجرة الناضرة التى فضلا عن كونها لا تثمر تُلْثَى بالسمّ الناقع لمن تذوّقها * وكم لعمرى من بنت حبلت اوّل مرّة من مبادى شوطها فى ميدان العهر * ثم اسقطت جنينها خوف الفقر * وان منهن لمن تلد فى طرق المدينة فى ليالى الشتآ الباردة لعدم ماوًى لها * او انها تبيت مع بنت اخرى على فراش واحد وهى عادة مستفيضة فى لندن * وذلك لعدم قدرتها على ان تستقلّ بفراش وكِنٍّ خاصّ بها * فلا تامن والحالة هذه من ان يلحقها اذى من ضجيعتها ليلًا * نعم ان اولاد الزنا ياتون فى الغالب شياطمة جبابرة كيفتاح الجلعادى الذى حلّ عليه روح الرب فانقذ اسرائيل من بنى عمون * وكوليَم الفاتح الذى فتح هذه البلاد اى بلاد الانكليز * الا ان النفع الاكثرى مع الاقتصاد والاعتدال * احق

بالمراعاة والتقديم من النفع الاندرىّ مع الاسراف والإرْغال (١) اليس يعاب صاحب ارض اريضة يغادرها بورًا ومتمرغا للوحوش * او صاحب اشجار مثمرة يتركها دون سياج ولا ناطور عرضة لنهم كل متفكّه * نعم لا ينكر ان وجود الغنى والفقير فى الدنيا لا بدّ منه كوجود الجميل والقبيح * ولولا ذلك لوقف الكون عن الحركة وتعطلت المصالح كما افاده المتكلمون * الا ان الكلام هنا فى الفقر الذى لا يقال فيه انه عيش مؤدٍ الى الشره والبطر * لا فى الفقر المدقع الذى يلقى الهموم والاحزان الدائمة فى قلب صاحبه * فيفضى به مرة الى الانتحار ومرة الى الاغراق او الخنق كما شاع فعل ذلك فى هذه البلاد * اليس من العار على الرجال فى هذه الارض ارض العلوم والصنائع والتمدن والتحضّر انهم لا يتزوجون المراة الا اذا كان عندها الجهازان * واقبح من ذلك ان الكبرآ هنا لا يتزوجون عن حبّ بل عن طمع فى زيادة المال * فان من كان دَخْله مثلاً مائة دينار فى كل يوم يريد ان يتزوج من دخلها مائة دينار ايضا تماما * ولو كان تسعة وتسعين لم يصح * ولذلك فكثيرا ما ترى شابا جميلا قد تزوج نَصَفًا شوهآ * وهيهات فان الرجال هنا اكثرهم مصاييف * اى لا يتزوجون الّا اذا دخلوا فى حيّز الكهول * فيقضون شبابهم فى السفاح ومن حدّ الثلثين الى الاربعين فى البحث عمن عندها جِدَة وغنى * وتبقى الجميلة الفقيرة كاسدة وما عليهم من الاضافة من عار * مع ان مراعاة الولد فى حق الزوجة من اعظم الاسباب الباعثة على الزواج على ما ذهب اليه الربانيون * وان يكن توزيعُ الولد يتمّ بمرة واحدة فى مدة تسعة اشهر * اعنى ان اولاد النَصَف الشوهآ لا ياتون صباحا اصحّآ كاولاد الفتيّة الجميلة * وفضلا عن ذلك فان من

(١) الإرغال وضع الشى فى غير موضعه وهى لعمرى جديرة بالاشتهار والاستعمال

Digitized by Google

تزوج وهو فى سن ثلثين سنة مثلا امراة فى سن ثمانى عشرة فمتى بلغ الخمسين وكانت امراته بعدُ لَفُوتا متلعجة كان له من ولده رقيب عليها * فلاى شى زيادة المال لمن اغناه الله بفضله * ومن يكن له فى كل يوم مائة دينار فما الفرق بينه وبين من له خمسون او عشرون * فان من لم يكتف بهذا القدر لم يكفه ملء الارض ذهبا * هذا وان المراة اذا كانت غنية فلا بدّ وان يتبع غناها عناً * لانها تتعمّد ج الولائم والمآدب والمحافل وان تزور وان تزار * وان تتخذ لها من الخدّام من تقر عينها بترارته وبصاصته * وكلما اختلج فيها عضو تمارضت وتوحّمت على السفر او الارافة * وهناك حالة كون زوجها فائر الدماغ بالامور السياسية او البواعث المالية فى مقره تخلو بمن تخلو * وتلهو بمن تلهو * وبيد خادمها من الدينار ما يعمى عينه ويصمّ اذنه ويقطع لسانه * اليس هولآ الاغنيآ يُمنَون بالامراض والادوآ كالفقرآ * اليس الموت يفاجئهم وهم فى غمرة لذاتهم منهمكون * وان كثيرا منهم لسرفهم ورُغبهم ونهمهم وفسادهم واستهتارهم فى الشهوات يموت عن غير ولد * او انه اذا رزق ولدا يعيش ما عاش ضاويا نحيفا شقوة له وكمدا على ابويه * وقد قال احد مولّفيهم ان من ترى من اولاد الاعيان والامرآء هنا تارّا قويا فانما هو من القاح بعض الحشم * وترى اولاد الفلاحين صباحا اقويآ يلهمون الرطب واليابس * ولعمرى لو لم يكن لهم هذا الجزآء من الله تعالى اى رؤية اولادهم حولهم معافين محبّبين لكانوا فى عداد الموتى * كيف بُنى هذا العالم على الفساد * كيف يشقى فيه الف رجل بل الفان ليسعد رجل واحد * واىّ رجل * فقد يكون له قلب ولا رحمة * ويدان ولا عمل * وراس ولا رشد ولا نهية * وكيف يقع هذا فى هذه البلاد التى

ضربت بعدلها الامثال * لا جرم ان فلاحی بلادنا اسعد من هولا
الناس * بل التجار هنا اشقيآء على غناهم وثروتهم * فان احدهم يقضی
النهاركله وهزيعًا من الليل واقفا على قدميه * وقد سالت واحدا مرة
فقلت له لمَ لا تقعد على كرسی وعندك كراسی كثيرة * فقال لی انها
للذين يشوفوننا بالزيارة ليشتروا من عندنا * فاذا قعدت مثلهم صرت
منهم * فاما فی يوم الاحد فيلبشون خَدِری الابدان والافكار * سَدری
البصائر والابصار * فاين هذا من التاجر عندنا يعقف احدی رجليه
على الاخرى بعض ساعات على اريكته * ثم اذا حان العصر كبّب جبته
ورآه وذهب الى بعض المنازه وهو يمشی الخُيَلاَ * فان كان التمدّن
والعلم قد سبّب هذا فالجهل اذًا سعادة * غير ان الفلاحين هنا فی غاية
الجهل زيادة على بؤسهم * ومن اين ياتيهم العلم وهم ملازمون للكدّ
والترقح وليس عندهم مدارس * قد كنت اظن انهم جميعا يحسنون
القرآة والكتابة فاذا هم لا يحسنون النطق بلغتهم * فانی اقرا فی الكتاب
شيا واسمعه منهم مخالفا لحقيقة استعماله * وناهيك ان اكثرهم لا يعرف
اسم بلادنا ولا جنسنا * وقد قيل لاحدهم مرّة ان الملك امر بتسفير خيل
فی سفن لحرب العدو * فقال انی اعجب كيف يقاتل الناس فی
البحر على الخيل * وكانّی بهم لجهلهم يحسبون ان سكان الارض باسرها
دونهم * او يظنون ان الرجال فی غير البلاد يبيعون نساهم او ياكلونهن
اكلا * او انهم يتقوّتون بالجذور والبقول * ولو انهم عرفوا احوال الامم
وخصائص البلدان لعلموا انه لو كان لهم من لذات العيش اضعاف ما
لنا مع شدة بردهم ومنكر هوائهم ودكنة جوّهم لما وفی ذلك لهم * وان
غنآ الصنعة عندهم لا يقوم مقام غنآ الطبيعة عندنا من طيب الهوآ والمآء

Digitized by Google

وصفآ الجوّ وزكآ الارض وعذوها ومرائتها ولذة المطعوم والمشروب والتنزه في الرياض والحدائق * والاكل عند المياه الجارية تحت الاشجار الناضرة * والتردّد على الحمامات والسهر في السَمَر واستماع آلات الطرب * يعرف ذلك منهم من زار بلادنا وأَلِف حظّنا ونعيمنا * غير ان اللبيب مَن استخرج من كل ضرّ نفعا * واعتبر بكل ما جرى عليه فاستفاد وارعوى * قد تعلمت الان مما لقيت من الوحشة والتقشف في بلادهم كيف اعيش في بلادنا ان رجعت اليها سالمة * وكيف ان الطخطخة والقرقرة والهزر والكركرة والتجلق والهرهرة والاغراب والكدكدة والأهي والهزرقة والانزاق والزغربة وطيخ طيخ وعيط عيط وتغ تغ وهاه هاه لَأفرّج للهمّ عن القلب من اواني موضونة ومباني مرصونة * فخير البلاد ما الفت هوآها والفيت فيها مخلصا لك ودّه * وكيف يكون خلوص الود من دون كشف السرائر * وكيف تنكشف السرائر وتعلن الضمائر من دون اطلاق اللسان في ميدان الكلام * والمقوم هنا يتكتّمون ويرون ان في ذكر الانسان ما يحسّ به وما يحبه وما يكرهه طيشا وهوجا * انما مَثَلي كمثل الثعلب الذي كان يسمع لطبل تضربه اغصان شجرة صوتا عظيما * فلما اتاه وعالجه حتى شقّه وجده فارغا * لا جَرَم لا عدت املك خاطري سمعي * او كراكب البحر وهو ظمآن يرى المآ حوله ولا يمكنه ان يروي غليله منه * اني اري وجه الارض هنا اخضر ولكن لا شي من هذه الخضرة يبيّض الوجه عند الاكل * اذ ما به من الطَعْب شي * لان كل ما ينبت عندهم فانما تغصب الارض تنبيته غصبا من افراط التدميل * فلو كان احد هنا من اللّاطة لسالناه عن طعم بقولهم ما هو * هذا ما عدا خلطهم الماكول والمشروب وغشّهم وافسادهم ما منّ الله تعالى

Digitized by Google

به عليهم سائغا طيبا * وناهيك ان الخبز الذى هو قوام هذا البدن لا طعم له * فانهم يخمّرونه برغوة نبات ويخلطونه بهذه البطاطة ثم يخفقونه بعد الاختمار خفقا * فماذا يفيد القائل قوله انى كنت فى بلاد الافرنج وهو لم يجد فيها الا الوحشة والنكد * بل ذكر ذلك له فيما بعد غصّة * الى مصر الى الشام * الى تونس ذا العام * فهناك تلقى من يزورك او تزوره * وهناك تلقى البِشر دون تصلّف والفضل دون توقّف وتكلّف * الى آخر ما ذكرت لى من التانّف والتافف * لا يطيب العيش للانسان الا اذا كان يتكلم بلغته * ليس العيش بطول الليالى ولا بكثرة الايام ولا برؤية ارض خضراً ولا بمشاهدة ادوات وآلات * وانما هو باغتنام انس الاحباب * وعشرة ذوى الآداب * الذين تصفو منهم السرائر فى الحضرة والغياب * وتخلص لك مودتهم فى الابتعاد والاقتراب * انما الدنيا مفاكهه * قال فقلت ومناكهه * قالت ومنادمه * قلت ومشامّه * قالت وملآمه * قلت ومطاعمه * قالت وملاينه * قلت وملاسنه * قالت ومطايبه * قلت ومراضبه * قالت ومخادنه * قلت ومحاضنه * قالت ومرآمه * قلت ومفاغمه * قالت وملاطفه * قلت وملاغفه * قالت ومخالقه * قلت ومعانقه * قالت ومحاضره * قلت ومخاصره * قالت ومباغمه * قلت ومكاعمه * قالت ومعاشره * قلت ومشاعره * قالت ومؤانسه * قلت وملامسه * قالت ومساجله * قلت ومباعله * قالت ومخالطه * قلت ومخارطه * قالت ومطارحه * قلت ومشارحه * قالت ومجارزه * قلت ومراهزه * قالت ومداعبه * قلت ومزاعبه * وهنا كان ختام الملاعبه *



الفصل الثالث عشر

في مقامة ممشية

حدس الهارس بن هشام قال * كنت سمعت كثيرا عن النسا * حتى كدت أُمنّىَ بالنّسا * فمن قائل ان المحصن اطيب عيشا من العزب * واسلم عاقبة من المزاحمة على منهل دونه مِذَب * او المكابدة لِلّوب واللهب * او التعرّض للتجبيه والعطب * وانه كلما صدى قلبه من الكُرَب * جلاه بابتسامة من زوجه عن شنب * وارتشافة من رضاب كالضَرَب * وسماع نامة تغنى عن آلات الطرب * ومدام ذات حبب * فان مما خصّ الله تعالى به المراة من المزايا * وفضلها به من السجايا * ان صوتها الرخيم لا يمرد عليه نكد * ولا يبدو معه همّ وكمد * فاول ما تحرك شفتيها * تسكن القلوب اليها * وعند مغازلة عينيها * تنهال المسرات على من هو بين يديها * فيحنبش ويمحّش * ويحفّش وينتعش * ويدركل ويدرقل * ويسجّل ويدوقل * ويبحشل ويدربل (١) وحين تمشي في بيتها متبدّحة * تقول لها الاقدار فديناك من مغناج مَرِحة * ان شئت رفعنا زوجك الى قرن الغزالة * لينعم بالك باحسن حاله * وان شئت بقاءه عندك الليله * لم تُعْيِنا في ذاك حُوَيلة * وان شئت ان نزيّن له السفر * عاما او اكثر * الى طَرح

(١) حنبش رقص ووثب وصفق ونزا ومشى ولعب وحدث وضحك * والمحش شدة النكاح وشدة الاكل * والتحفيش لزوم البيت الصغير * ودرقل رقص وتفحج وتبختر ونحوه دركل وبحشل رقص رقص الزنج *

Digitized by Google

ذى أَمْن او خطر * فانت لدينا اكرم من نهى وامر * فما عليك الّا نضنضة لسان * او اشارة بنان * وحسبنا بطرفة عين من بيان *
قال وان الزوج متّعه الله باحصانه * وهنّاه بنضرة بمتانه * وجنى تفاحه ورمانه * وزاده من آلآئه واحسانه * يعبث بحضرة زوجه باللذات كما شا * ان توخّى مسًّا مسّ وان اشتهى نشوة نشا * وان شآ داعب ولاعب * وان أَبَى الا الجِدّ فالجَدّ طوع له كما احبّ * وان له منها منزها (ولكن غير بعيد عن المآ) تغيب فيه الاتراح * وتطلع منه الافراح * وبشائر النجاح * وبرا تُزَفّ به الدنيا اليه بمعرض بشر * ومُهْدَى كِشْر * ان التوى عليه امر قوّمته بمهارتها * وسددته باشارتها * وانها اذا تدعّبت عليه وتنقيّات * وتبعّلت له وفيّات * زاده الله نضرة ونعيما * وزادكِ صبرا وجموما * خُيّل له انه مَلَكَ الدنيا بحذافيرها * وفاز بجميع لذاتها وحبورها * وانه قد قام مقام العاهل الاعظم * خليفة بارى الامم * فلو راى وقتئذ قاضى القضاة مارًا على بغلته * حسبه من اتباعه وخدمته * ولو راى كافها او وافها * لانف من ان يكلمهما مشافها * فبعث مكانه الى جناب الاول وصيفا والى حضرة الثانى وصيفة * وقال لهما انى لدىّ لكل فاتح قاهر ولاية شريفة * ولكل سائل شاكر وظيفة * ولو ان امرءا اغلظ له وحاشاه فى الكلام * وسفه فبادره بالتقريع والملام * او راى والعياذ بالله ان يمس له قذالا * ويسومه عليه قَفْدا واذلالا * فزع الى زوجته اعزّها الله فنفت عنه كل كرب * وامّنته من كل رعب * وردّت عليه حجْره من حجرها * وصدارته من صدرها * وقالت له لا تخش من كيده وغِلّه * فانما يدفع كل استحصاف بمثله * فرجع الى ما كان عليه من الانفة والفخار * والعِزّ والذرار * حتى لو راى قَيْلا

او ردفا * لهاء بنفسه عن ان ينظر اليهما نظر الاكفآ * فهو الرائع المفنّق * المترف المتملّق * الآكل وتلقآءه من درر الثنايا ومرجان الفم * ما يخيّل اليه ان الكامخ خير مطعم * والمسيخ اهنأ مغنم * وان الاجاج والزعاق * اشهى من مدام الاغتباق * الّا ولو انه بات معها على فرش حشوه شظايا * وماسّ منها زغابة لكان له من اوطأ الحشايا * فكل ضرّ معها يستحيل الى فنَع ونفع * وكل شظَف بقربها فهو قصوف ورَتع * ومن قائل لا بل عيش العزب اهنا * وللّذات اجنى * فان السيدات يحسبنه فى كل وقت ذا جموم * وعندهن ان نبّة واحدة منه تنفى جميع الهموم * اذ ليس له من تلزّه كل ليلة للعظال * وتورّقه هزيعا من الليل على مثل ذى الحال * ليتذكر دائما انه محصن ذات قُرطَق وخلخال * فهو على هذا محبّب عند البنات * محروص عليه من السيدات المتزوجات * مشار اليه بالبنان من الارامل الهائجات * وانه اذا رجع الى منزله رجع ويده خفيفة * ورانفته نظيفة * فلا من تقول له هات * او تلومه على ما فات * ولا من تستوحيه عن المستقبل * وتستفتيه فى مصالح المُهبل * ولا من تزجره عند قَيق غيرها له وحاجه اليها بحَفّ حَفّ * او تنجفه قبل مفارقته اياها اىّ نجف * او تقول له نَزاف نزاف * والّا فالازهاف (١) * ولا من يبكى بين يديه * وهو عاجز عن كفالته كما يحق عليه * فتراه ابد الدهر ميّاحا مفراحا * متعرضا للنسآ متياحا * شرّاحا سدّاحا * رفيقا بالمُجحّ منهن بساحا * وقد قيل فى الامثال السائرة سير العَجاج * فى كل فُجاج * من لم يكن ذا زوجة كان ذا ازواج * قيل فمن ثم كانت خطوات العزب اوسع * وحركته اسرع * وكلامه انجع * واناؤه اترع * ونغمته ارخم * ونهمته اضرم * ونهزته اقوى *

(١) القَيْق صوت الدجاجة اذا دعت للسفاد وحلج الديك نشر جناحيه ومشى الى انثاه للسفاد وحف حف زجر للديك والدجاج والنجف منع التيس حتى لا يقدر على السفاد وذلك بان يشد جلد بين بطنه وقضيبه وذلك الجلد يسمى النجاف ونزف ماء البئر نزحه كله وازهف القى شرّا — وعليه اجهز وبالشر اغرى — والخبر زاد فيه وكذب ونمّ *

Digitized by Google

ومَزّته اروى * وسنانه اذلق * وسهمه اخسق * ونشره اعبق * وحبه اعلق * وطُعمته اطيب واوفر * ومادته اسكب واغزر * وقد نسوا ان تُبعّق حوضه في غير سِقّى واحد هو عين السبب في تنكيز نزّة ونِزّته * وتفتير شَرزه ولزّته * الى غير ذلك مما لا يليق ان تقابل به مومسة ولا حَصان * ولا يوصف به دالف ولا تَيّقان * قال الهارس فلما تراجع المذهبان * وتكافح المطلبان * قلت في نفسي من لنا اليوم بالفارياق * فيفتينا في هذا الامر الرّباق * فانه اعلق بالنسآء من الريبة * واعرف باحوالهن من ذي شيبة وشبيبة * فلقد ذاق منهن الحلو والمرّ * ولقي من حبهن النفع والضر * فلو كان حاضرا لدينا * لَجلا عنّا ما التبس علينا * فسرت الى بعض اصحابي * لاطلعه على ما بي * فما كدت اقرع الباب * حتى هوى اليّ وبيده كتاب * ثم قال بشرى بشرى * فهذا كتاب من الفارياق بلغني امس ولم يحوِ الا شعرا * فتلقفته من يده فاذا فيه * اما بعد فان

القرطبان هو الذي يقرو البلاد بعرسه
وبها الحسان الغيد يستنشين نفحة فلسه
من كل ذات تدهكر شحاذ نابي ضرسه
شدّاد رخو فقاره نعّاشه من تعسه
وبها الفحول الهائجو ن الى تسدّي عَنْسه
والى اشتفاف جميع ما في قعبه او عُسّه
ولربما نبزوه بالاد ساف اقبح رجسه
حتى يعود وما له آسٍ لمعضل اَلْسه
ان اللبيب من استشا رمنجّذا في لَبْسه
لا سيّما شان الزوا جَ وحمل فادح وَقسه

Digitized by Google

من شاقه تمويهه ومذاق لذة رُغسه
فليبعلن فى قَسّة كى يستبد بجلسه
حيث السفاح مغصّص من يشرئبّ لحسه
ان الغريب اضرّ من متهتك فى جنسه
أَوْ لا ففى حال العزو بة وهو مالك رأسه
صون لدرهمه وحر مته وراحة نفسه
بل من تزوج يومه خير له من امسه
اذ كان فى حال التعزّ ب موحشا من انسه
لكن بشرط نفوره عن ريبة فى حِدسه
فالبضعَ ثم البضعَ لا تتشاغلن عن قَسّه
ما ان يضر ختام ما قد طاب نافع رَسّه
لكنما يجب التحرّ ز من بواعث نحسه

قال الهارس فلما تصفحت الابيات * وزكنت ما فيها من الاشارات * قلت لله دره ما افصله لامور النسآ ناظما وناثرا * وما احوجنا الى استفتائه فيهن غائبا وحاضرا * لكنه لم ينبس عن حاله الا فيما هو من مشكل الزواج * فكانه راى كل امر دونه فانما صوانه الاعفاج * ثم انصرفت مثنيا عليه * وقد زاد تشوقى اليه *

(حاشية صغا الهارس مع الفارياق فلذلك لم يعب عليه بعض ابياته فانها مضطربة العبارة * وليس من شانى التدليس على القارى فقد صار بيننا صحبة طويلة من اول هذا الكتاب * فليتنبّه لذلك)



الفصل الرابع عشر

في رثاء ولد

قد غُرس في طبع كل والد ان يحب ولده كلهم على كثرتهم وبرقحتهم وعيوبهم * وان يراهم احسن الناس * وان يحسد كل من يفوقه في المحامد والمكارم الا اباه وابنه * ومتى شاخ الرجل وضعف عن التمتع بلذات الدنيا فحسبه ان يرى ابنه متمتعا بها * ولا لذة للمتزوج اعظم من ان يبيت مع امراته على فراش واحد وبينهما ولد له صغير لا يورّقه ببكائه وصراخه ولا يبلّه ببلبله * كما انه لا شي اوجع لقلبه من ان يراه مريضا غير قادر على الشكوى بلسانه ليعلم ما ينبغي ان يداوى به * بل الاطبآ انفسهم يحارون في مداواة الاطفال وقلّما يصيبون الغرض * وكان الاولى ان يعيّن لعلاجهم اطبآ اختصوا بمزاولة ذلك عهدا طويلا * وان ينوّه بمن نبغ منهم فيه في كل كلام مستطر ومطبوع * ويجب على الوالد اول ما يرى ولده قد مرض ان يتعهده ويراعي احواله وما يطرا عليه ويقيد ذلك في كتاب ليخبر الطبيب به اخبارا مبينا * فربما اغنى ذلك عن كثير من الدوآ الذي يجازف به الاطبآ احيانا لامتحان حال المريض * ومن اهمّ ما يستنهض عناية الوالدين في حق ولدهما امر الطعام * لان الطفل لما كان لا يدري حدّ الشبع الذي يقف عنده الراشد كان اكثر

اسباب مرضه من الاكل * فليس من الحنوّ والشفقة ان تطعم الام ولدها كل ما يشتهيه * وانما الاولى ان يلهّى عنه باشياآ من اللعب والصور المنقشة والالات المزوقة وما اشبه ذلك * وما احلى الولد يطلب شيا من ابيه وقد حمّر الخجل وجنته او غض الوجل طرفه * وما احبّه وهو مطوق عنق والده او والدته بيديه اللطيفتين ويقول انى اريد هذا الشى لآكله * ومن سوء التدبير ايضا ان يحرم ما يشتهيه * ويبكى لاجل ما لا ضرر فيه * ولعمرى ان من اغفل رضى ابنه حتى ابكاه واجرى دموعه لغير تاديب كان بمعزل عن الابوة * وينبغى ان يدرّب الطفل على الخفيف من الطعام بعد ولادته بستة اشهر مع بقآء الارضاع قليلا * فان الطعام يغذّيه ويقوّيه فضلا عن انه يحفظ صحة والدته * بل ربما مناها طول ارضاعها اياه بمرض ولم يفده شيا كما هو مذهب الافرنج وهم اكثر الناس ذرّية * ولا ينبغى ان ترضعه وهى غضبى او مذعورة مضطربة او مريضة * ثم انه ما دام الرجل عزبا او كان لم يربّ ولدا قط لم يشعر حق الشعور بالحنو على اولاد غيره * بل لم يقدر والديه اللذين ربّياه حق قدرهما الا بعد ان يصير هو والدًا مربّيا * والامّهات اللاى يرضعن اولادهن يكُنّ بالضرورة احنّ فوادا عليهم من اللاى يستاجرن لهم المراضع * ولا جرم ان من كان له ولد وقرأ قول الشاعر * وربّ امّ وطفل حيل بينهما كما تفرّق ارواح وابدان * لم يتمالك ان يذرف الدمع لوعة وتحسّرا * وكذا لو قرا قصصا فيها فجع الابآء بقتل اولادهم الصغار الابرنآ كقتل اطفال مدين بامر موسى على ما ذكر فى الفصل الحادى والثلثين من سفر العدد * سوآء كان ابوا الطفل مومنين او كافرين * ومن لم يكن قد تحلّى بصفة الابوة كالراهب وامثاله ودعاك يابُنىّ او ياولدى فلا تثق بكلامه ولا تعول على

دعائه * لانه لا يعلم معزة البنوّة الا من كان ذا ابوّة * وكان الفارياق ممن اذاقه الله حلوآء البنين ثم تجرّع مع ذلك مرارة الثكل * فقد كان له ولد بلغ سنتين وكأنّه كان قد سُبك فى قالب الحسن والجمال فجآء لم يَعْدُه شي مما تقر به العين * وكان على صغر سنه ينظر نظر المميز بين المؤنس والموحش ويالف من تملق له ولو باشارة * فكان ابوه اذا رنا اليه ينسى فى الحال جميع اشجانه وهمومه * ولكن لم يلبث ان يغشاه عارض من الكآبة اذ كان يوجس انه لا يدوم له على عين الدهر اللامّة * ويرى نفسه انه غير جدير بان يتملى بتلك الطلعة الناضرة * وكان يحمله على ساعديه مسافةً ساعة وهو يناغيه ويغنى له * حتى اَلِفه الطفل بحيث لم يعد يشا ان احدا غيره يحمله او يلهيه او انه ياكل وحده على انفراد * الى ان قدر الله ربّ الموت والحياة ان اخذ الصبىّ سعال فى تلك القرية * ولما كانت قرى الانكليز الصغيرة كغيرها من قرى البلاد من انه لا يوجد فيها اطبآء مهرة وكان لا بدّ من مشاورة طبيب على اية صفة كان * استشار ابواه احد المتطببين هناك * فاشار عليهما بان يتداركاه بالاستحمام بالمآء السخن الا راسه * فعملا بوصيته اياما * ولم يزدد الصبى الا سقاما * حتى كان اذا انزل فى المآ بعدها يُغشَى عليه ويُرَى فوق قلبه لطخة حمرآ كالدم على شكل القلب * ثم اشتد به الدآء حتى احتبس السعال فى صدره وخفت صوته * وكان يعاوده مع ذلك الرعدة والهزّة * وبقى فى حالة النزع ستة ايام بلياليها وهو يئن انينا ضعيفا وينظر الى والديه كالشاكى لهما مما يقاسيه * فاستحال الورد من خديه عبهرا * وغارت عيناه النجلاوان * ولم يعد شي من الغذآ والدوآ يسوغ فى حلقه الا تكلّفا * وكان الفارياق فى خلال ذلك يذرف

العبرات ويجأر بالدعآ الى الله ويقول * ربّ اصرف هذا العذاب عن ابنى الىّ ان كان ذلك يرضيك * انى لا مأربَ لى فى الحياة من بعده ولا طاقة لى على مشاهدته فى هذا النزع الاليم * فأمِتْنى قبله ولو بساعة حتى لا اراه يجود بنفسه * آه عظمت ساعةً * وان كان لا بدّ من نفوذ قضائك به فتوفّه الان * ولعل الفارياق هو اوّل والد دعا على ابنه بالموت عن شفق وحنوّ * فان رؤية الطفل يغرغر ستة ايام مما لا يطاق * وبعد ان تُوفّى الولدُ * وابقى فى قلوب والديه الحسرة والكمد * استوحشا من مقامهما اذ كان كل شى فيه يذكرهما فقده ويزيد فى لوعتهما * ففصلا منه الى لندرة على حين غفلة وقد وضعاه فى صندوق فلما دفناه واستقرا فى منزل قال ابوه يرثيه

الدمع بعدك ما ذكرتك جارِ	والذكر ما واراك تربٌ وارِ
ياراحلا عن مهجة غادرتها	تصلى من الحسرات كل اوار
خطأً وهمتُ فاين بعدك مهجتى	ما فى حشاى سوى لهيب النار
رِفقًا اقلّ الجسمَ منى فادحا	فكأنّه وِقر من الاوقار
ما كان ضرّ الدهر لو ابقاك لى	عينا على الآثار والاذكار
ما بعد فقدك رائعى او رائقى	شى من الظلمات والانوار
سيان ان جنّ الظلام علىّ او	طلع الصباح وانت عنى سار
يابئس ذاك الليل اذ لم يبقَ لى	من مطمع فيه الى الاسحار
ارّقتنى من قبله ستًا وفيه	حُرِمْتُ خمسى واستطبتُ شِعارى
أبُنىّ ما يجدى التصبّر قولهم	حكم المنيّة فى البرية جار
كلّا ولا بى قرّ بعدك من حمى	ما هذه الدنيا بدار قرار

Digitized by Google

كم قد حملتك فوق راحي اذ غدو ... ت ورحت ثُمّتَ حُرْتَ خير صحار
ولكم سهرت الليل من جزع فما ... اغنى بكاى عليك او اسهارى
ولكم جأرت لبرء دائك ضارعا ... ولغير نفع كان طول جُؤارى
ولكم حضنتك فى الحنادس خوف ان ... يطرا عليك من الحوادث طارى
وجمال وجهك لى يخيّل اننى ... فى روضة أُنُف ضحاً نهـار
ان لم يصوّرك المصوّر لى فقد ... صُوّرتَ بالمائور من اشعارى
او ان يكن واراك لحد ضيّق ... فالارض عندى اليوم اضيق دار
او ان تكن عنى حُجِبتَ فانما ... بَقِيَتْ جِلاك خوالج الافكار
لا انسينّك او احين فما اتى ... حين علىّ خلا من استذكار
ولارثينّك ما بقيت وان أُمت ... فليتلونّ رثاك عنى القارى
ياحسرةً عُدم التصبّر بعدها ... عَدَمَ التبصّر فى احتمال خَسارى
كثر المعاين لى وقلّ معاونى ... وكوت حشاى شماتة الزوّار
فرويتُ بيتا قاله من ذاق ما ... قد ذقت من ثكل ووحشة جار
جاورت اعدآى وجاور ربّـه ... شتان بين جواره وجوارى
يافجعة نزلت فحطّم كاهلى ... تأويقها وابان قصم فَقارى
فى ليلة فارقت فيها ناظرى ... ابدا وفارقنى على اجبـار
لا غرو ان يك قد سرى جنح الدجى ... عن ناظرىّ فكل نجم سـار
قد كنت اطمع ان يعيش مهنأً ... بعدى ويبلغ اطول الاعمـار
ووددت لو ان ذقت حتفى قبله ... لكن خيار الله غير خيـارى.
وسّدته بيدىّ رَغْمًا ليته ... هو كان وسّدنى على ايثارى
عينى اليه رنت وما لى حيلة ... ياليت من نَظَرٍ مُنى انظـار
قصرت يدى عن كف ما أَوْدَى به ... ان القصور مظنّة الاقصـار

لهفي عليه وطرفه لي يشتكي اذ كان لم يقدر على الإخبار
لهفي عليه على السرير موسّدًا ولو استطعت لكان فوق يساري
لكنّ ادنى اللمس كان يزيده المًا فكان يؤوّه من اشعاري
ويئنّ انّة مستجير واجفًا كالطير قُرّ فبات دون قَرار
حتى خشيت الدمع يولم جسمه لمّا عليه همى كوَدْق جار
يا رعشة اودت به قد اورثت قلبي الوجوب ولوعة التذكار
ليت النفوس اقرّ عيني بعد ان سخنت بنفض فيه ذي اقرار
لهفي عليه في الظلام معانقي وكراىَ من شفق اليم غِرار
لهفي عليه والغناء ينيمه واذا سكتّ صبا الى الاكثار
لهفي عليه وهو ياخذ من يدي ويعيد ما يعطوه لاستغزار
لهفي عليه وهو لائكٌ رُدْنه بلآلئٍ وضّاحة ودراري
يا يومَ انشبت المنيّةُ فيه طفلًا لا يطيق عوالق الاظفار
يا خطّةً عالت فسوّت بين حتفي والحياة الى مدى مقدار
قد كان يحلو العيش حين يلوح لي والآن مرّ فصار ذا امرار
لا البعد يسليني ولا طول المدى وتخالف الاعصار والامصار
ما تنقضي الحسرات او اقضي اسًى فبذا عليّ جرى قضآء الباري
كلّا ولا تطفى اواري عبرتي ولئن هَمت في الصبّ كالامطار
فالنار الّا نار ثكل تنطفي والمآء الا الدّمع ضدّ النار
ياليت راهي العيش يوما راجعٌ وفدآء مربوب ابوه الهاري
فاكون فادىَ عمر نجليَ لاقيا حتفي لقآء القانع المختار
داريتُ ما لا ضير فيه لاجله فاليوم لست لما يضير اداري
ان المنية والاماني بعده سيّان مستويان في استشاري

Digitized by Google

فلتفعل الايام بى ما تشتهى   ما بعد هذا الخطب من اضرار
ولتذهب الامال عنى اننى   لم يبق لى فى العيش من اوطار
من ذاق ثكلا مثل ثكلى فاجعا   فليُقصرنّ اليوم عن اِصْبارى
وليبكينّ معى ويحملنى على   فرط البكآء بمدمع بِدرار
ما هدّ ركنَ الصبر مثلُ الثكل او   حَسْم المطا كحسامه البتّار
الطفل يقضى مرة لكنما   يقضى ابوه قبله بمرار
تعروه فى نزع ابنه وخفوته   ادوار حَيْن ايّما ادوار
هيهات مَن قد اشبهت اطواره   فى فقده اوطاره اطوارى
او انّ فى سوء الاسى لى اسوة   او ان فى طول الحياة قُصارى
لن ينفع الانسان شيا حرصه   كلٌّ الى اُجَل على مقدار
الموت غاية كل حىّ يستوى   فيه ذوو الايسار والاعسار
والسابقون يضمهم يوم مع المتاخرين الى ثرًى منهار
لكن يوم الطفل افجع حيث لم   يعرف له مضمار سعى دار
ما لذّ طعمَ العيش الّا من عدا   ه الثكل لا من كان ذا ايسار
فالرزء فى الاموال مثل الشعر تر   زأه فينبت خِلْفة الاطوار
فليَهْنِ من عاشت بنوه عيشه   وليَصفُ مورده عن الاكدار
بعض الرزايا قد يساغ وبعضها   يبقى شجا يشجى مدى الاعصار





الفصل الخامس عشر

في الحِداد

ثم لمّا لم يكن بدّ للفارياق من السكنى بالقرب من تلك القرية المشؤمة سافر باهله الى كمبريج * وبقوا مدة طويلة يمشون وجفونهم ما بين منطبقة ومنفتحة * لان شدة الحزن تصرف القلب عن الشهوات او بالعكس * ثم تراخت عقدة الحزن قليلا عن العيون لا عن القلوب * لان العينين لا تطاوعان القلب دائما * كيف وقد قيل وضعيفان يغلبان قويا * فاستحلّ كل منهما اوّلا الصأصأة والوصوصة والتيصيص والتيضيض والتجصيص والتبصيص والوَبْص والتبصير والتفقيح * ثم اللوح واللمح والنَقد والخزر والتخازر والشُطور والمخاوتة والمخاوصة والملاوصة والتحشيف والعِرَضّنة والرَمْق والحَدل والزَرّ والايماض واللحظ والالتفات والدنقسة والتشاوس والمغاصنة والمخاوتة * ثم الايشام والنظر والبَغْو والصَرْو والاجتلآ والتجلية والرَنْ. والبصر والمعاينة والمشاهدة والرؤية والبَغى والبَقاوة والبَقى * ثم الرأرأة واللألأة والتبريق والبَشَق والتحديج والتحديق والتجحيظ والتبجيم والتجيم والتجهيم والتحميج والحملقة والعسحرة واللَتّ. والضَبْز والتبحّص والاسفاف والارغاف والورورة والحتر والطنفشة والإتآر والحدقلة والطرفسة والزنهرة والبندقة والبنق والتجنيص

Digitized by Google

والتفصيص والتهصيص والارشاق والرّعام والبرشمة والبرهمة والجرسمة * ثم الشُخوص والطمس والجمم والاشصآ والتطاول والتطالل والاشرئباب والاسلنطآء والاشتياف والاستيضاح والاستشراف والاهطاع والتدنيق والترنيق والحثّ. والحتش والصَدْء والاسجاد والتامّل والتكلئة والتفرّس والتطلّع والرنوّ والترنّي * ثم تصالحت العيون والقلوب * فغدت تلك تترجم عن هذه والكمد مع ذلك مخيم في اطرافها * غير ان الانسان خُلق من نطفة امشاج وركّب من عدة اخلاط وجواهر واعراض مختلفة * فهو لا يزال ابد الدهر ماشجًا هذا في ذاك وخالطا جدّا بهزل وفرحا بترح * فتراه ساعة قانطا واخرى كأشعب * وآونة مفراحا واخرى مبتئسا * ويوما طربا شنِقا ويوما او بعض يوم عَزِها * فهو بشر خَلقا وغول خُلقا * واكثر ما ترى منه غُمّلجيّته هذه في امر النسآ * فانه ان تزوج بمليحة قال ليتني كنت تزوجت بقبيحة وسلمت من ضيزنية معارفي وجيراني * وان تزوج قبيحة قال ليتني تملّحت بمليحة لاكون ذا وجاهة ونباهة * وان كانت امرانه بيضآ قال ليتها كانت سمرآ * فان السمر اخف حركة واسخن في الشتآ * وان كانت سمرآ قال ليتها بيضآء فان البيض ارطب ابدانا في الصيف * وان كانت كمكامة مكتنزة قال ليتها كانت ممشوقة هيفآ * فان الهيف اقل مونة * وان سافر عنها قال ليتها هي التي سافرت وبالعكس * الّا في مدة وضعها فانه لا يتمنى ان يكون في موضعها وقس على ذلك من الاحوال النسائية ما لا يمكّن حصره * اذ اخفى شي من المراة انما هو بحر لا يمكن البلوغ الى قعره * والحاصل ان للقلب شوونا كثيرة واحوالا متباينة لا يزال يتقلب بها * او لا تزال هي تتقلب به * وعلى كلٍ فتسميته قلبا دالّة عليه * ويستثني

Digitized by Google

من هذه القاعدة شي واحد وهو ثبات الانسان في كل حال وشان * واصراره في كل زمان ومكان * على تفضيل نفسه على غيره * فلو كان فاجرا حسب ان لا برّ عند الله الا برّه * وان كان فظّا غليظا راى كل كيّس ربيز دونه * وان كان بخيلا ظن ان كل حرف يفوه به هو منّة كبرى * وان كان دميما ذميما لم ير اللوم الا على نظر الناظرين له * وكما ان عين الانسان تنظر كل ما واجهها ولا ترى نفسها كذلك كانت بصيرته مبصرة بعيوب الخلق كافة الا عيب نفسه * ولو طاف الدنيا باسرها لما راى فيها من المحاسن ما في مدينته او قريته * ثم ليس من المحاسن في بلدته ما في بيته * ولكن ليست هي في احد من اهله كما هي فيه * فتحصّل من ذلك انه افضل منَ العالم كله * ولو انه كان شاعرا او بالحرى شعرورا لا يحسن الا الاطرآ على بخيل او التغزل بهند ودعد * ثم راى علمآء الرياضة والهندسة يخترعون من الادوات مثلا ما يطوى شقة خمسمائة فرسخ في يوم واحد * لحسب ان شعره انفع من ذلك والزم * ولو كان مغنّيا او لاعبا بآلة من الات الطرب وراى جارا له طبيبا نطاسيا يداوي في كل يوم خمسين عليلا ويبرئهم باذن الله لاعتقد ان صنعته اشفى وانفع * ولم يخطر بباله قط ان الانسان يمكنه ان يعمّر في الارض دهرا طويلا من دون سماع غنآ او عزف بآلة * فمتى يتعلم الانسان ان يعرف نفسه * وان يفرق بين الحق والباطل * وان لا يخلط الحزن الكامن في القلب بالتحديق والحملقة * واقبح من ذلك ان كل واحد من الناس يظن ان غيره ايضا يفعل كذلك فهو معذور عند نفسه بكونه حاذيا حذو غيره * ومثله قباحةً شان من تلبس الحداد على ميّت لها وهي في خلال ذلك يزدهيها الزنا ويستخفها

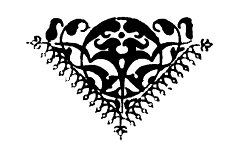
Digitized by Google

ذكر الذكران * وترتاح الى رؤية غير اللون الاسود وتطربها نغمة القائل لها ان فلانا مشغوف بحبك * وانك جديرة بان تقعدى على منصّة وتامرى وتنهى الوصائف من حولك او بالحرى الوُصفآ * وان لا تتناولى شيا بيدك هذه الرخصة * وان لا تخرجى من دارك ماشية على رجلك هذه اللطيفة * وان لك فى كل مكان عشاقا كثيرين بحيث لا تعدمين فى كل وقت من يحوطك ويخدمك ويلاطفك وينسيك حزنك * وغير ذلك من الكلام الذى هو انتهاك لحرمة كلّ من الموت والميّت * قال الفارياق قد رايت كثيرا من النسآ الحوادّ فى بلاد الانكليز وغيرها وهن اكثر خفة وطربا وازدهآ وضحكا من العروس وامّها * ولم ارَ بينهن من كانت تنظر الى ثيابها السود اذا ضحكت لتتذكر ان كركرتها فى غير محلها * اما فى امر الزوج فربما يطلب لهن الحليم عذرا بان يقول مثلا * لعل زوجها كان يخونها فى الليالى الحالكة فترديها بالسواد انما هو لتتذكر سوء افعاله معها فى سواد تلك الليالى * او ان ايامها معه كانت كلها سودا كالليالى * فاما فى امر الولد والاب وغيره فلا عذر لمن احدّت وهى مرارئة مهزقة * ثم ان المحدّ عند الافرنج مطلوبة للرجال مرغوب فيها بمنزلة العروس * اذ الفحول يتزاحمون على تسليتها وتلهيتها لعلمهم بما تحت ذلك السواد * وبان هذه العادة هى من جملة العادات التى خالف استعمالُها وضعها * والظاهر ان لفظة المُحدّ فى لغتنا هذه الشريفة مشتقة من حدّ السكين واحدّها وحددها اى مسحها بحجر او مبرد فحدّت تحدّ * فكانّ لابسة الحداد تحدّ شهوة الناظر اليها اذ يرى عليها آثار الحزن والكآبة والانكسار وهو اشوق ما يكون فى النسآء * ويؤيّده ان صنفا من الثياب السود يُسمّى إسْبادا * وهذا الحرف يجى ايضا بمعنى حلق الشعر

كالسَّبَد وانت بتمام المعنى ادرى * وتسمى ايضا سِلابا والسليب هو
المستلب العقل * فكانّ المراة اذا تسلّبت اى احدّت ولبست السِلاب
سلبت عقل ناظرها * فاول ما يقع نظره عليها يقع قلبه معه فيقول لها او
فى نفسه * فديتك * بابى انت وامى * لله انت * وقاك الله * وهبنى
الله فداك * ان شئت ان اكون اول من توسّل لمحو هذا الحزن من
صدرك فعلت * فانى انا اَقْدَر منك على تحمل المكاره * فالقِ علىّ
هذا الهمّ القادح وكونى انت مهنّاة مسرورة * ان لدى آلة طرب عظيمة
وخزعبيلات كثيرة تفرّج عنك هذا الكرب * فلو زرتنى مرة او سمحت
لى بان ازورك لم يَعُد يخطر ببالك شى من الاشجان * انك رخصة رعبوبة
وارى هذا الخطب قاسحا عليك فلا يزول الّا بقاسح مثله * ليتك تعلمين
ما عندى من الأَسَى والوجد لاجلك * وانى عتيد لان احرم نفسى من
جميع المسرّات بحيث اراك تفترّين عن ذلك الشنب الاشهى *
وتبدين فى خديك عند الضحك تلك النقرة التى طالما نقرت قلوب
العشاق * اىّ قلب لا يذوب لهذا الانكسار * واية عين لا تنزف الدمع
على هذا الازار * قَدْنى حزنا لحزنك وحسبى ان اجلو عنك صدا هذا الهم *
وكذلك المراة المحدّ فانها تعلم وهى ماشية ما يخطر ببال ذلك المشفق
عليها فتقول له او فى نفسها * نعم والله انى محتاجة اليك لتخفف
عنى ما اجده اليوم من الوحشة والسدم * وقد بت البارحة وانا غريقة
فى بحر الافكار والاكدار * واراك جديرا بان تعاقرنى وتسامرنى وتعاشرنى
وتبادرنى وتباكرنى وتجاورنى وتحاضرنى وتخاصرنى وتذاكرنى وتسارّنى
وتسايرنى وتداورنى وتشاعرنى * فالحمد لله الذى هدانى اليوم اليك
وهداك الىّ وقيّضك لى * لانى امراة منكسرة الخاطر ولا بدّ لى ممّن ينفس

Digitized by Google

عني ويونسني * حتى اذا نسيت ما اكابده والمّ بك كرب كان عليّ ان
افرّج عنك فان عندي مصدر اشتقاق الفَرَج * ومنى تنال اتمّ الحبور*
واعمّ السرور * فهلمّ اذًا الى المخالطة والمراوحة * والمساجلة والمكافحة *
فهذا ما ينشا عن لبس الحِداد * ولذلك كان كثير من النسآ يوثرنْ
الثياب السود ثقة بانها تقوم في تشويق من يلاقينهٔ من الرجال
مقام الحِداد * ولذلك كانت الافرنج ايضا يحبّون اللون
الاسود في الملابس ولا يتجاوزونه *
ولذلك كان لباس القسيسين
والائمّــــة
اسود
*



Digitized by Google



الفصل السادس عشر

في جور الانكليز

لما فرغ الفارياق من عمله في كمبريج سافر الى لندرة على عزم ان يرجع الى الجزيرة واستصحب معه حمّى نافضا * غير ان احد الاطباء الخيّرين في هذه المدينة نفضها عن ظهره ولم يتقاضه شيا * ثم اصيبت الفارياقية بخفقاني القلب واللسان * فانها كانت وقتئذ مهرت في لغة القوم * ثم اصيب هو بخفقاني العقل والراى * وذلك انه لما تصرمت مدة غيابه عن الجزيرة وازف وقت رجوعه راى ان العود اليها غير احمد * لان احوالها تغيرت عما كانت عليه من الخصب والبحبحة في المساكن * وتلك عادة للفارياق انه لا يدخل بلدا خصيبا الا ويفارقه ممحلا كما تقدمت الاشارة اليه * ولانه فاته فيها بعض فوائد فحرم منها لطول غيابه * فمن ثم قصد مدينة اكسفورد ومعه كتاب توصية الى احد اعيانها وعلمائها وهو من اهل الكنيسة * فراى الوصول اليه متعذّرا فان العلماء في هذه المدينة ليسوا كعلماء مصر في رقة الجانب وبشاشة اللقاء * بل هم اشد فظاظة من العامة * وعندهم ان الغريب لا ياتي الى بلادهم الّا والشلّاق على عاتقه * ولذلك لما ذهب الفارياق ذات ليلة ليرى بعض هولاء العلماء صادفه احدهم بباب المدرسة

Digitized by Google

فقال له من تقصد * قال فلانا * قال اين تسكن * قال في محل كذا * قال اعندك دراهم لتفي اجرة المسكن * قال ما انا بمطران ولا راهب حتى تزعمني اني قدمت اليكم متسوّلا * ثم لما تعذّر عليه الوصول الى جناب ذلك القسيس المعظم ولم يجد فيها اهلا للخير سوى رجل من الطلبة يسمى وليم سكولتك (Williams Scoltock) وآخر من التجار كان الفارياق اشترى منه قطعة حبلٍ ليربط بها صندوقه فابى التاجر ان يأخذ منه ثمنها فكانه ظن ان الفارياق لم يشترها الا بعد ان استخار الله في ان يخنق بها نفسه * رجع الى لندرة وفاوض زوجته في ذلك * فقالت له ان الجزيرة اقل خيرا من اكسفورد واني مللت منها كل الملل * فقد اضعنا فيها زهرة عِمرنا ولم نحصل منها على ثمرة * فما الراى ان نعود اليها * فقرّ رايه ج على ان يستعفي من خدمته فيها وكتب كتابا الى كاتب سر الحاكم يوذن بذلك * ثم اشتد بالفارياقية الخفقان فرأى ان مقامهما بباريس خير لهما * وذلك لما شاع عند الناس ان هوآ باريس اصح من هوآ لندرة * وان المعيشة فيها ارخص والحظ اوفر * وان الفرنسيس ابش بالغريب من الانكليز وابر * وان لغة العرب عندهم اكثر نفعا واشهر * وغير ذلك من الاوهام التي تدخل احيانا في رؤس الناس ولا تعود تخرج الا مع خروج الروح * ولكن ينبغي قبل سفر الفارياق من هذه المدينة ان نعيد عليك بعبارة وجيزة وصف ما فيها من المحاسن والجور على اهلها اي على اهل الجمال * لتعلم هل رحيل الفارياق منها حلال او حرام * وليكون لك ذلك وداعا من الانكليز * فان الكتاب قارب ان يتمّ ولم يبق من مجال للاسهاب * لاني اخشى من ان ياتي هذا الكتاب الاخير اكبر من الاول فيكون ذلك موجبا

Digitized by Google

للقدح فى من وجهين * احدهما ان مطالعيه يقولون ان المولف كان يولف الفصول فى اوله قصيرة والان ينشئها طويلة * فكانّه كان اوّلا غير ذى دربة بالتاليف او انه يريد ان ينسب اليه مضمون قولهم جرى المذكّيات غِلآ * والثانى انه كاد ان يلحق نفسه بالطرّادين وهو لم يشعر ولم يدر * فلقد مللنا من كلامه واعادة قوله قيل وقال وكان وصار * فهو قد تبوّا صهوة الجَدَل منه واليه * ولم يغادرنا نراجعه ونعترض عليه * فما جزآ الثرثار من المولفين * الّا القآء كتابه فى القمين * قال الفارياق تصوّر فى عقلك انك ساكن فى حارة من حارات لندرة ذات صفين متوازيين * متصاقبين متناوحين * فى كل صف عشرون دارا * ولكل دار باب * ولكل باب عتبة * وامام كل عتبة درج او وصيد مبلّط * ثمّ مثّل لعينك هداك الله اربعين بنتا من الرُمُم النواهد * والجُشُم الخرائد * والعُبْن المواغد * والرُّجُح الثوامد * ذوات التبهكن والمرافد * والمراصب والمشانب * والصلوتة والسجاحة * والاسولة والصباحة * واللباقة والملاحة * والكثمة والترارة * والوثامة والنضارة * والوضآة والبشارة * والقسامة والشارة * والطلاوة والوثارة * والوسامة والبضاضة * والطراوة والغضاضة * والغرض والمسالة * والمَلَد والعبالة * ومن الزُهْر والغُرّ والفُرّ والصهب والصُبح والصُحْر والعُفر والفُضح والمُغْر والأُدم والخُلس والبُره والوده والعِين والنُجل والشُهل والبُرّج * والشُكل والدُعج والجُود والبُج والفُرق والزُجّ والجُبه والبُلج والبُلد والذُلْف والخُنس والشُمّ واللُعس والحُوّ واللُمى * ومن كلّ

رُعبوبة شطبة تارّة او بيضآ حسنة رطبة حلوة او ناعمة * وكان حق هذا الحرف ان يوضع فى جدول الكتاب الثانى لكن رايت الحكّاكات اولى به لتحقق معناه فيهن *

وَلَبَّة لطيفة *

وذات وجه مُصَفَّح المصفح من الوجوه السهل الحسن *

وبُهْصُلة شديدة البياض *

ورَبِلة عظيمة الرَبَلات والرَبْلة ويُحرِّك كل لحمة غليظة والربالة كثرة اللحم *

ورِبَحْلة ضخمة جيدة الخلق طويلة *

ورَيْبَل ناعمة لحيمة *

وذات شعر رَجِل بين السبوطة والجعودة *

ورَفِلة اى تجرّ ذيلها جرّا حسنا *

وزَوْلة خفيفة ظريفة فطنة *

وذات عين سَبْلاً طويلة الهدب *

وذات صوت خريد ليّن عليه اثر الحياء *

وسِبَحْل ضخمة كالسبحلل *

واسْحلانيّة المراة الرائعة الطويلة الجميلة *

وطَفْلة رخصة ناعمة *

وعَبْلة عَبْلة ضخمة فخمة *

وعَيْطل طويلة العنق فى حسن جسم *

وعُطْبول فتيّة جميلة ممتلئة طويلة العنق *

وعَيْطَبول طويلة القدّ *

وعَمَيْثلة البطيئة لعظمها وترهّلها ومن تسبل ثيابها دلالا *

ومكتّلة مدورة مجتمعة *

وهَيْضَلة الضخمة الطويلة *

Digitized by Google

وهيكلة عظيمة *

وهُوّلة المراة تهوّل بحسنها *

وَعَيْهل طويلة ومثلها العَيْطَبول والغِلْفاق والعنشطة والعَنَطْنطة والعَلَّهبة والسَلَّهبة *

وعَنْدَلة ضخمة الثديين وهى ايضا الطويلة *

وعُرطُويلة حسنة الشباب والقدّ *

وعَرَنْدَلة طويلة صُلبة شديدة *

ومُجدولة لطيفة القصب محكمة الفتل *

وخَثْلة ضخمة البطن *

وهِرْكَيْل حسنة الجسم والخلق والمشية كالهِرْكَولة *

ومأرومة حسنة الخلق مجدولته *

وجَريمة عظيمة الجسد ونحوها الجسيمة *

وجَمّآء العظام كثيرة اللحم *

وحَمامة جميلة *

ودَرْمآ لا تستبين كعوبها ومرافقها (من تغطية اللحم لها)

ورُعْموم ناعمة *

وسَلِمة ناعمة الاطراف *

وشُغْموم طويلة مليحة كالشغمومة *

وضِخَمّة عريضة اريضة ناعمة *

ومطهّمة السمينة والبارعة الجمال والمدوّرة الوجه المجتمعته *

وفَعْمة استوى خلقها وغلظ ساقها *

وقسيمة جميلة وكذا الوسيمة *

وكَثمة ريّا من شراب وغيره *

ومكلثمة مجتمعة لحم الخدين بلا جهومة *

وكمكامة قصيرة مجتمعة الخلق *

ووثيمة مكتنزة لحما *

ومُوشِم اوشمت المراة بدا ثديها *

وهضيم الهَضَم خص البطن ولطف الكشح *

وبَثْنَة حسناآ بضّة *

وبَخْدن ناعمة

وبادن معروف كبادنة *

وبَهْنانة الطيبة النفس والريح او اللينة فى عملها ومنطقها والضحّاكة الخفيفة الروح *

وبَهْكَنة شابة غضة ويقال للعجزآ تبهكنت فى مشيتها *

وجُهانة شابة *

وحَبْناآ ضخمة البطن

وذات شعر جَجِن متسلسل مسترسل *

وخَليف المراة التى اسبلت شعرها خلفها *

وراقنة حسنة اللون *

ومسنونة الوجه حسنته سهلته او فى وجهها وانفها طول *

ومُشْدونة العاتق من الجوارى *

وذات عَسَن الطول مع حسن الشعر *

وعكّناآء تعكّن بطنها *

وغيْسانة ناعمة *

Digitized by Google

وفِينانة	كثيرة الشعر *

وقَتِين	جميلة *

وملَسَّنة القدمين	الملسّنة من الاقدام والنعال ما فيها طول ولطافة كهيئة اللسان *

ووَهْنانة	بها فتور عند القيام *

وبَرَهْرَهة	البيضآء الشابة والناعمة او التى تُرعَد رطوبة ونعومة والبره الترارة

وذات رَهْرَهة	الرهرهة حسن بصيص لون البشرة ونحوه وترهره جسمه (والاحرى جسمها) ابيض من النَعمة وجسم رَهْرَاه ورُهروه ورَهْره ناعم ابيض *

وفارهة	الجارية المليحة والفتيّة *

ووَدهآ	المراة الحسنة اللون فى بياض *

ومُوَهْوهة	التى ترعد من الامتلا *

وسَجْوآ الطرف	ساجيته اى ساكنته *

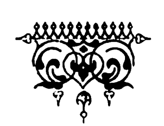
وعابية	حسنآ من عبا يعبو اى اضآ وجهه *

وحسنة العَرْية	اى المجرد والمعارى حيث يُرَى كالوجه واليدين والرجلين *

تاخذ بيديها اللطيفتين مكشطا وصابونة ودلوا فيه مآء حميم * ثم تجثو على ركبتيها المدملجتين وتطفق تحك عتبة الدار ووصيدها وهى تتذبذب وتضطرب وتتحثحث وتتعثعث وتتمثمث وتتبعج وتتحلج وتتخلج وتترجرج وتتمخج وتتمعج وتتجنج وترنجح وتتضحضح وتتاوّد وتتخضد وتترعد وتميد وتتأطر وتتدهكر وتتزرزر وتسجهرّ وتتمرمر وتتململ وتمور وتتحيّز وتترجز وتتلزلز وتتمزمز وتتهزز وتتحسحس وتترقّس وتتمخس وتترخش وتتنغش وترنعص وتترقّص وتتلصلص وتتنصنص وتُوخِص وتتخضخض وتلصلص

وتتمحص وتتنغص وتترقّع وتتريّه وتتسيع وتتنوّع وتتغضف وتترقرق وتتريق وتتركرك وتروه وتريه وتتلوّه وتتلوّى وتصّرى * وربما اتفق مع روية ذلك سماع آلات الطرب يعزف بها فى الشوارع فياحسن ذلك منظرا ومسمعا * ولكن ياأغنيآ لندن واعيانها الم يكن لكم من وسيلة لمشاهدة هذه الشواخص والجواهص الا باذالة عزة الحسن المصون * ايحل لكم انتهاك حرمة الجمال وامجال ايدى هولآ الحسان وركبهن لتملاسّ اعتابكم * ما بال جيرانكم الفرنساوية لا يفعلون ذلك وانما يسومون خدمتهم تنظيف درج الديار من داخل فقط * فيضع الخادم شيا كالقبقاب او النعل فى رجله ويكشط به ما قدر عليه وما لم يقدر عليه يتركه الى المرة الثانية او الثالثة * ونحن كذلك لا نكلف نسآنا هذا التنطّس الذى لا معنى له * وانما نَكِل اليهنّ ما آل الى القفش والرفش اى الطعام والفراش * ومع ذلك فتزعمون انكم تحترمون النسآ وتعرفون قدرهن اكثر منا * لقد كَبُر ذلك قولا * فاما تسريحهن فى الليالى الحالكة ليطفن فى كل زقاق وشارع وتسفيرهن الى البلاد الشاسعة وحدهن فلا يعدّ عندنا من الاكرام لهن فى شى * بل هو احرى ان يكون دَيْبوبيّه وقَرْطَبانية وقلطبانية وكلتبانية ودُوثية وديّوثية وقمعوثية وقوّادية ونُوريّة وسُقْرية وصُقْرية وعَزْورية ولياسيّة وطَزعية وطَسِعية وقُنْدعية وقنذعية ودُسْفانية وإدْسافية وإمذائية ومُمانويّة وشَغْنبيّة وشقحطبيّة وادفائية وارفحيّة * ليت شعرى كيف يكون قلب الخادمة حين تامرها مخدومتها فى كل يوم قائلة حكّى العتبة * او حين تسالها رفيقتها هل حككت اليوم عتبة سيدتك * نعم لو كانت العتبة وردت عندكم بمعنى المرأة كما هى فى لغتنا هذه الشريفة لكان لا يبعد ان يسبق وهمها عند السوال الى ذلك * الا ان لغتكم يابسة

قاسحة لا تحتمل التاويل ولا التخريج * ولست ارى لهذه العادة المشطة من سبب سوى ان احد كبرائكم كان قد اتخذ خادمة رعبوبة والله اعلم منذ ثلثمائة وخمسين سنة * وكانت امراته دميمة فغارت السيدة منها فكلفتها حك العتبة والوصيد فى كل يوم اذلالاً لها فى عين سيدها * كانّ القلب لا يعلق بهوى الجميلة المسكينة كما يعلق بهوى الفُنُق * او كانّ الشى المجمج يحتاج الى مرفد * او الشى المتدملك الى وشيعة من القطن * او الغَيْل الى غلالة من الخز * او المكْرة الى جوارب من حرير * فسرت هذه العادة الذميمة فى جميع كبرائكم الى عصرنا هذا عصر التمدّن والرفق بالنسآ * وانتم اسارى العادات والتقليد * فمتى الفتم فَعلة لم يمكنكم ان تنتقلوا عنها * وذلك كتكليف الفتيان من خدمتكم ذرّ رماد ابيض على رؤسهم حتى يكونوا كالشيوخ من فوق * وككشف عجائزكم فى الولائم عن ترائبهن واذرعهن * مع انه لا مناسبة بين اوقات القصوف والحظ ورؤية ترائب منجردة تمنى القوم بالقَمَه * فاما مواطاة الناس على ما اخترعه الامرآء والاعيان على اجرآء العادات السيّئة فهو غير خاصّ بكم * بل هو عام ايضا عند سائر الامم الافرنجية *



Digitized by Google



الفصل السابع عشر

في وصف باريس

كان وصول الفارياق الى هذه المدينة الشهيرة في ليلة ذات ضباب فكانت عيناه معمشتين عن روية ما فيها من الخصائص * فلما اصبح اخذ يطوف في شوارعها كالمتفرّغ المتبطّل فاذا بها ملآنة من المزالج والمزالق والروامج والروامق (١) والجرآى والاَطْنآء والرّبآى والمَلْموآت والجَذابات والرُجَب والرُوب والفُخوت والجِراج واللُبَج والبَيّاحات والنِصاحات والمصايد والفخاخ والشواصر والنواميس والقُحّازات والدّحاحيس والمفاقيس والشصوص والبيصاوات والقُفّاعات والمجازف والخواطيف والعواطيف والكُفَف والرِبَق والطِبَق والعوادق والنُشَق والعلاليق والاوهاق والشباك والأشراك والشُوْذكانات والاحابيل والكوابيل والشهوم والمصالى * فظهر له ان قوام كل شي وعتاده وملاكه وقطبه في هذه العاصمة متوقف على وجود امراة * فجميع الصُوب والكُلَب والحوانيت والكُفَت والقرابج والكرابج والكناديج والمفاتح والمحاسب والمثابر والانبار والمخازن والمحارف والمصانع والفناتق والفنادق والدكاكين والقرابق والبلّانات والمنامات والحانات والخانات والافدية والمطاعم والمشارب تديرها نسآ واى نسآء * وما من كَعْب او تأريج

(١) الرامج مِلواح يصطاد به الجوارح وكذا الرامق *

او أوارجة او أنجيدج او بُرْجان اوجُذآ.(١) او بَرْنامج او عهدة او محضر او جُذر او وِصْر او قِطّ او فُنداق او صَك او فذلكة او سَيّال او ترقيم او ترقين او جُدآ. لا وتتعاطاه المراة هنا * واللبيب من الرجال مَن اتّخذ فى حانوته او محترفه رامجا مايحا يلوّح به للشارين والمجتازين فى السبيل * ولا فرق بين ان يكون ذلك الرامج من اهل بيته او غريبا وانما العبرة بانفقاس الفخ على اعناقهم * هذا وقد اختصت نسآ باريس بصفات لا يشاركنهن فيها احد من نسآ الافرنج * فمن ذلك انهن يتكلمن بالغنّة والخنّة والنشيج والهَزَج والهُزامج والترنّج والتطريب والسَكت والحَبْرة والنبرة والاجْش والتعثيث والترجيع والاضجاع والقُطْعة والتغريد والتهويد والمدّ والترسيل والترتيل والفصل والوصل والزَجَل والهلهلة والادغام والترخيم والتدنيم والترنيم والرَوْم والاشباع والتفخيم والامالة والتنعيم والتنغيم والتحزين والحنين والجُدَن والتلحين والطَنّ والشجو والترنية * حتى ينتشى السامع فلا يعلم بعد ذلك هل هن يفككن ازراره او فقاره * ومن ذلك تغيير الزى فى كل برهة وبهن تقتدى سائر النسآ * فلو لبست احداهن مثلا عَبْعبا او حزّقت ثوبها لعبّ الناس حبّ ذلك العبعب وصار التحزيق سنة فيهم * وعنهن يوخذ ايضا تقصيب الشعر وسَبْته وتسريجه وتسريحه وتسميده وتجميره وضفره وتطريره وتنفيشه وعقصه وتصفيفه وزرقلته وتشكيله وفرقه وكَدّحه وكدهه وادّرآؤه وجدله وتفتيله وتغبيته ومشطه الكُعْكُبَة والمُقدِّمة واتخاذ قُصّة منه او قزّعة او قُنْزعة وجعله مكرهفا او مسبلا * ومن ذلك انه لطول ترددهن على مواضع الرقص يحسبن كل مكان يطأنه مرقصا * فترى المراة منهن تمشى فى الاسواق والشوارع وهى تميد وتميل وتتخلع وتتفكك * ويااليت مولانا صاحب

(١) عبارة القاموس فى ب رج وحساب البُرجان قولك ما جُذآ كذا فى كذا وما جذر كذا فى كذا فجذاؤه مبلغه وجذره اصله الذى يضرب بعضه فى بعض وجملته البرجان انتهى غير انه لم يحك فى باب اليآ غير الجدآ بالدال المهملة وعبارته الجدآ كغراب مبلغ حساب الضرب ثلاثة فى ثلاثة جداؤه. تسعة * واضرب عن ذكر الضرب بهذا المعنى فى موضعه *

Digitized by Google

القاموس كان يعرف البُلْكى والمازُركى والسّوتشكى والكدريل والريْدُوفى والقلس وغيرها من ضروب الرقص حتى كنت ارويها عنه هنا فى حق الماشيات فى باريس * ومن ذلك تحكّمهن على الرجال وتعزّزهن عليهم فى كل حال وبال * فترى الرجل يماشى المراة وقلبه بين رجليها * واذا خلا معها فى البيت فهى الآمرة الناهية المستعلية القاضية * وهو المُصحِب المِصحاب المُدَربج المُدَلبج المدمّج المكبوح المكفوح المعنوج المصوّب المدبّج المتزيّج المختضَد المُسجد المعتسَر المشروس المتّضَع * ولا يزلن طول الدهر وِحامًا ولا حَبَل * ويرمن ان يكون لهن كل شى صِهابيّا موّزبا مرفّلا موفّرا موقّلا مسبغا ضافيا مرتبزا وافيا تامّا كاملا * حتى ان اللغة الفرنساوية مبنيّة على هذا الوحم * وذلك انهم يحذفون فى اللفظ اواخر جميع الالفاظ المذكرة وينطقون بها فى المونثة * وعلى ذلك قول الفارياق

عند الفرنسيس المونث واجب تبليغ آخره الى الاسماع
وهو الدليل على تؤوق نسآئهم طبعا على التبليغ والاشباع
او انه صفة الكمال لهن ان يك ممكنا يوما لذات قناع

وكانّ احد التيتاتّيين من نحاتهم غاظه ذلك فجعل من بعض قواعد لغتهم تغليب المذكر على المونث * ولكن هيهات فان امراة واحدة هنا تقوى على عشرين ذكرا * ومن ذلك ان عنوان جمالهن مكتوب على جباههن نظما ونثرا * فمن النظم

مُلكُ الجمال اعزّ من ملك له جند واعوان وعرش ارفع
ذو المُلك تتبعه الجنود تكلفا ولذى الجمال الناس طوعا تتبع

Digitized by Google

ومنه

من حارب العين خانته مضاربه وليس يجديه شحذ السيف عن جلده
فمضرب السيف مشحوذ على حجر ومضرب الطرف مشحوذ على كبده

ومن النثر * الكلام بالغنة * شفاء من العنة * فرط التنهيد * ابلغ في التهنيد * الخدل * جلاء المقل * ضخم الحماة * يفتح اللهاة * صغر الاقدام * يقزح الادام * كم صريع في السوق * من كشف السوق * ان ابراز الترائب * كاشف غم النوائب * ان العبعب * املا للعين واحب * ان الاعجان * داعي الافتتان * ان النوق * اصل الشنق * لا تفكن * الا ويزيله التبهكن * التهيم * ادعى للتهييم والتتيم * المغاضنة * دليل المحاضنة * غلائل الصيف * امضى من السيف * لا فرار بعد الافترار * لا عاصم * بعد كشف المعاصم * توهج الطيب * اشوق للحبيب * رب ابتسامه * جلبت غرامة * العين غزالة * والقامة فتالة * الحسن معبود * والدينار منقود * الدينار * فكاك الازرار * من اكثر من الصله * نال ما امله * البضع لذى الدنيا * والدنيا لذى البضع * من ذاق عرف * ومن غازل هرف * الى الملهى الى الملهى * فبادر ثم لا تلهى * وعللها بكاس ثم عما شئت فاسالها * والحاصل ان الفرق بين عنوان جمال الفرانساويات وجمال الانكليزيات هو ان الاول من قبيل التداوى من الشي بضده * والثاني من قبيل التداوى منه بجنسه * وذلك ان العنوان الاول هو ناطق عن الونى والفتور والترهل والترنح والاسترسال والاسترخا والاسترخاخ والاسترخاف والرشرشة والنشنشة والانخرار والثملطة والثلمطة والخثث والهنبتة واللوثة والهلاث والابثجاج والطرشحة والامرخداد والترنرة والتختر والفيشوشة والتعة والخراعة واللخع

والطِرّيقة والرهوكة والثرطلة والغَدَن والانشطآ المستدعية لنقائضها من الاشتداد والتصلّب والانمرار والتاتّب والتقسّح والتقسّب والتوتّر والتعلّب والتعرّد والتعلّد والانزاز والتادّد والعَصّ والاستعراز والتأيّد والكأن والاتكاع والتكلّد* وجمال اولئك عنوان على هذه الصفات المستدعية لنظائرها وكلاهما في المراة حسن * ومن ذلك انهن يرين التقليد في الحبّ والزيّ معرّة * فكل واحدة منهن تجتهد في فنّها حتى تصير قدوة لغيرها * اما في الزي فمنهن من تقبّب صدرها بقدر ما تقبّب نسآ الانكليز بتائلهن * ومنهن من تتّخذ لها قبّتين من قبل ومن دبر * حتى تكون اذا مشت عائقة لسانها ومواجهها * وكشف الساق لابراز الحماة ونظافة الجوارب مطّرد لهنّ * فاما في الحبّ فمنهن من تزيد على صفات المدقم الصفة التي ذكرها ابو نواس في الهمزية * ومنهن من توثر التجضّم الكمرى او الامتلاج القنبى * واكثر الناس حرصا على هذا الشيوخ المحنكون * فإنصاصهم وتبظيرهم ليس من السب في شي * ومنهن من تجمع بين اللذتين الخرنوفية والفنقورية ولها سعران * ومنهن من تزيد على ذلك ما اراده الشيخ جمال الدين بن نباتة من شوص الفرخ وله ثلثة اسعار * ومنهن من تزيد عليه الشوص بالاخصين وله اربعة * ومنهن من تمكن من قفط النَوْدلين وثغر ما بينهما مجردا * ومنهن من تضيفه الى اللذتين المذكورتين مع شوص الفرخ بانامل واخامص وهو اغلى ما يكون * ومنهن من تتفاحل وتتقمّد على اخرى مثلها * وهذا النوع عزيز لا يراه الا الموسرون * ومنهن من تتعاطى الحرفة التترّسية وهو قرع الترس بالترس * ومن اغرب ما يكون ان بعض شيوخ الفرنساوية الذين يشب فكرهم وتخيلهم لهرم اجسامهم ووهن حركتهم يوثرون على جميع

Digitized by Google

لانواع المذكورة التلمّظ بالعُذرة * وذلك بان يضطجع احدهم وهو عريان ويامر من تستوى فوقه وتملأ فمه * ومنهم من يستغنى عنه بشرب الزغرب من مشخبه زُغلةً زُغلةً او بمص القنب * وقد يجتمع رجال بواحدة فيقيمونها بين ايديهم عريانة ويقعد لدى قبلها ودبرها اثنان * وياخذ آخر فى صبّ الشراب من فوق صدرها وظهرها * فيبادر اليه الرجلان وهما فاغران افواههما ويشربانه عند مروره على السّمّين * والنسآ المثريات المغتلمات يستعملن رجالا يقودون اليهن كل من راوه ابتع من الرجال ولا سيما من اهل الريف * فيدخلون عليهن فى بعض الديار وهن متبرقعات كيلا يُعرَفن ثم ياجرنهم على ذلك * وفى الجملة فان كل ما يخطر ببال النحرير من امور الفسق يراه الانسان فى باريس بعينه بالعَين * واعلم ان اهل باريس قد اصطلحوا على امور فى المعاش والنسآ تميزوا بها عمن سواهم * اما فى امر المعاش فان من ياكل منهم فى المطاعم الشائعة فانه يشارط صاحب المحل او بالحرى صاحبته على ان يعطيها فى الشهر قدرا معلوما وياكل عندها شيا معلوما * فتعطيه تذاكر توذن بعدد المرات فيدفع ثمنها ثم يعيدها عليها فيودّى اليها عن كل غدآ او عشآ تذكرة * فيتوفر عليه فى ذلك ربع المصروف * وقس عليه الحمامات والملاهى وما اشبهها * فاما فى امر النسآ فان اصحاب البيع والشرآ لمّا كانوا قد اتخذوا لادارة اشغالهم نسآ حسانا كما سبقت الاشارة اليه * فاذا خرجن فى الليل بعد انقضآ اشغالهن ترصدتهن الرجال ودعوهن الى مواضع الاكل والقهوة والرقص واللعب * فتذهب كل واحدة مع من تحب * فمتى رافقته الى احد هذه المواضع علم ان حقه عليها صار ضربة لازب * فاما ان يستوفيه منها تلك الليلة فقط او

Digitized by Google

يوافقها على اعادة الوصل فى كل اسبوع مثلا مرتين او ثلاثا وان يعطيها في آخر الشهر اجرة معلومة * وما بقى لها من الساعات فانها تؤجره لآخرين باجرة معيّنة * فترى للواحدة منهن عدّة عشاق تواصلهم فى اوقات مختلفة من الليل والنهار * ومع ذلك فلا تزال تلقب بدُمْوازل وهى كلمة تطلق على الابكار على وجه التعظيم * ومعناها سيّدة غير ذات بعل * ومنهم من يتصدى لمعرفة هولآ البنات من المراقص * فيعمد الرجل الى بنت ويدعوها للرقص * فاذا اعجبته واعجبها دعاها للشراب فى موضع مخصوص فى المرقص وعقد عليها عقد الزيارة الشهرى * ومن عامل واحدة منهن مشاهرة لم ينفق عليها نصف ماينفقه لو قضاها على كل مرة على حدتها * وللنسآ رخصة فى باريس ان يدخلن جميع المراقص العمومية من دون ان يدفعن شيا اجتذابا للرجال بكثرتهن * ولكن عليهن ان يرقصن معهم اذا استرقصوهنّ * الا اذا اعتذرن لهم بعذر يقبلونه كأنْ تقول المدعوة مثلا قد دعانى آخر من قبلك فلا بد لى من ان ارقص معه او نحو ذلك * ثم انه لا حرج ايضا على من اكترى فى منزل بيتا مفروشا كان او غير مفروش ان تزوره صاحبته فى مسكنه * سوآ كانت من النوع الذى ذكرناه اعنى من النسآ اللآتى بمنزلة بين الحرائر والزوانى او من غيره * وان تبيت عنده على علم من الجيران والسكان * فان منزلة هذا عند اهل باريس كمنزلة المتزوج * ولا فرق عند اهل باريس بين امراة متزوجة لها سبعة بنين وسبع بنات تربيهم فى تقوى الله وطاعة الملك وبين قحبة تبيع عرضها لكل ابن سبيل وتتفنشخ لكل مجتاز فى الطريق كما تقول التوراة * وهناك اسباب اخر كثيرة للفساد فى الديار * وذلك انه لما كانت جميع الاشغال فى

باريس تديرها النسآ وكان منهن غسّالات وخدامات لهنّ ياخذن ثياب السكان وخياطات وفرّاشات وبياعات للماكول والمشروب والملبوس * امكن للرجل ان يصاحب واحدة منهن فتاتيه مياومة اذا شآء بحجة انها تقضيه شيا او تبيع له حاجة * او ملايلة او مشاهرة او مساوعة او محاينة وذلك ممنوع في لندرة * بل ربما صاحب الرجل امراة من نفس الدار التي يسكنها * لان ديار هذه المدينة العامرة لما كانت تشتمل على عدة طبقات وكان اصغرها يحوى في الاقل عشرين نفسا ما بين رجال ونسآ * امكن للرجل ان يعاشر احدى جاراته * بل المتزوجون المقيمون في هذه الديار لا يامنون على نسائهم وبناتهم * لان الرجل اذا خرج من بيته وخالفه فيه جاره الى زوجته مئة مرة في اليوم لم يمكنه ان يعلم ذلك لقرب ما بين المسكنين * ولهذا كان اهل باريس اقلّ غيرة على نسائهم من جميع الناس * لانهم ربوا على هذا ولا مناص لهم منه * ولا يمكنهم ان يربوا اطفالهم عندهم خوفا من تضجر الجيران منهم * وانما يبعثونهم الى الريف من اول اسبوع ميلادهم فيربون في احجار المراضع * وهي عادة حميدة من جهة ان الاطفال يتقوّون هناك بطيب الهوآ * وهناك سبب آخر وهو ان المُطْفل بترشيحها ولدها وتربيته تخسر من نفع حرفتها اكثر مما تعطيه للظئر * لان نسآ باريس يباشرن جميع الحرف ولا يزرين في التكسب عارا باىّ وجه كان * وهنّ في البيع والشرآء اشط من الرجال * ومن تكن جميلة تتقاضَ على النظر الى جمالها شيا زائدا على الثمن * ثم ان حالة الرجال مع النسآ على المنوال الذى ذكرناه تعدّ عند هولآ الناس من المصالح المهمّة المرتّبة المطردة * بمعنى انه ليس من دار الّا ويحصل فيها وصال بين الرجال والنسآ مع

مراعاة حرمة كلّ من الزائر والمزور * ومع عدم الاخلال بالوقت الموقوت لكيلا يحصل تعطيل للمزور فى شغله * ومع مجانبة ما يسوء الجيران من لغط وعربدة * ولا تكاد ترى فى باريس كلها فقيرة او مومسة تطوف فى الليل وهى سكرى كما ترى فى لندرة * وندر وجود احداهنّ فى متاخر الليل * وقلّ من آذت زائرها او قاصدها * وهناك فرق آخر بين نسآ الفرنسيس والانكليز من جهة الخُلق لا الخَلق * فالظاهر من نسآ الانكليز فى الغالب الكِبر والأَنَفَة والصَلَف * والظاهر من نسآ الفرنسيس اللين والبشاشة * الا ان نسآ الانكليز لا يتدللن على الرجال ولا يجشّمنهم التَرَف والتحف والولائم والملاهى والمنازه والفرج * فاكلة من الكباب وكرعة من المزر تكفيان فى استجلاب رضاهن * وليس عندهن من الرّوم والمِحال * والخَلب والاختتال * والدها والنكر والاحتيال ما عند نسآ باريس * فامّا ان تحب احداهن مثلا شخصا وترضى معه بالكثير والقليل واما ان تصرمه * فاما نسآ باريس فمعما يظهر منهن من الملاينة والمباغمة * والملاطفة والملآمة * فاذا عاشرت واحدة منهن وشعرتْ بانك ارتبقت فى هواها ورُقبت تبغنجت عليك وتدللت * وتصلّفت وتمحّلت * واوهمتك ان مجرد كلامها معك منّة * وان ارضآها والخضوع لها سنّة * وان كثيرا فى عشقها متيمون ناحلون * هائمون ناسمون * حتى تستقلّ عليها كل كثير من الصِلات والهدايا فتقبل منك ما تقبل وانت لها من الشاكرين * واذا دعوتها لوليمة فلا بدّ من اروائها من الرحيق المختوم * وتوحيمها بافخر المطعوم * فتلتهم ما تلتهم وتشتق ما تشتق وهى متشبعة متعففة * متمنعة متظرفة * فاذا ضَحِكتْ حَسِبَت ان ليس لضحكها من نظير * واذا مشت ودت

لو كان خطوها على الديباج والحرير * حتى ان هذا التصلّف ايضا صفة ملازمة للمتزوجات * فان المراة المتزوّجة فى باريس تغرّم زوجها على كسوتها فقط ما ينفقه المتزوج من الانكليز على جميع اهله * فداب الرجل فى باريس وهمّه وشغله ارضاء زوجته وهيهات ان ترضى وما احسن ما قيل فى هذا المعنى

لا يعجب الزوج الا ان تكون بمن   تحبّ محفوفةً أوّ لا فاعنات
وكيف يرضى امرء يحمى حقيقته   بالقِرن والقَرن افتوا ايها الناتُ

وقال

وداخلة الانسان تفسد كلها   اذا اصبحت زوج له امّ خارجَه
ويخرج عنه الحلم لو قيل مرة   له هى فى البيت الفلانى والِجَه

ولهذا يقال فى المثل السائر عند الفرنساوية ان باريس نعيم النسآ ومطهر الرجال وجحيم الخيل * ولما كانت حالة الرجال مع النسآ هكذا كان ثلثة ارباع سكان باريس مسافحين * ونصف الربع الاخر متزوجين زواجا شرعيا والباقى منقطعون عن النكاح * كذا اخبرنى من يوثق بكلامه * ثم ان المومسة من الانكليز تعرف نفسها انها غير حرّة وتعرف ايضا ان الناس يعرفونها كذلك * فلا تكلفهم احترامها * ولا تسومهم اعظامها * فاما البغىّ من الفرنسيس فعندها ان مجرّد استبضاعها للبضع يؤهّلها لان يكرمها الناس ويداروها * ويجلّوها ويسانوها * وذلك لعدم استغنائهم عنها * وجرّهم النفع منها * وقد تقدّم ان الفرنساوية لا يفرقون بين الحرة والبغىّ وبقى هنا ان نقول انهم اشد الناس شبقا الى البعال * واقرمهم الى السفاح * وناهيك انهم فى الفتنة الكبيرة التى حدثت فى

سنة ١٧٩٣ اقاموا امراة عريانة على مذبح احدى الكنائس وسجدوا لها * فصوّر لخاطرك ايها القارى كيف تكون الرجال والنسآ فى هذه المدينة فى ليالى الشتآء الباردة الطويلة * وكم من ملهى يغصّ بهم وبهن وكم من مآب * وكم من مائدة تميد لهم بالطعام والشراب * وكم من سرر تهتزّ * ومضاجع تأزّ * واجناب تلزّ * واوطاب تمزّ * واوتار تنزّ * انشدنى الفارياق لنفسه فى وصف باريس واجازنى روايته

وفى باريس لذات كما فى   جنان الخُلد جَيْرِ وحور عِيْن
ولكن شانهن دوام طمث   لكلٍ اربعون من القَرين

وقال فى الراقصات

لله در الراقصات لنا على   نغم المثانى حيث تُجلَى الكوبُ
لو كان يوما وطؤهن علىّ لم   تثقل لدىّ من الزمان خطوب

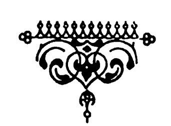
وقال فى رامج

ذى الباريزية طلعتها   كالصبح بها قلبى مغرم
فى الليل اريد تحيتها   فاقول لها بُن جُوّر مادم

قال وكما ان الغريب المسكين ينشرح صدره وينجلى بصره بمشاهدة تلكم الحكاكات للاعتاب فى لندرة على الصفة التى تقدم ذكرها * كذلك تقرّ عينه برؤية امثالهن فى باريس طائفات فى الشوارع والاسواق من دون غطآ على روسهن ولا ساتر لخصورهن وما يليها * بخلاف عادة النسآ فى لندرة فانهن لا يخرجن الا ملتحفات * قال وعندى ان هاتين الخلتين وهما حك الاعتاب والخروج من دون التحاف

Digitized by Google

هما السبب فى قلة وجود العميان فى هاتين المدينتين السعيدتين *
وقلما ترى فى رجالها احول او ازور او احوص او اخوص او ارمص او
اكمس او اعشى او اخفش او اعفش او اعمش او اغبش او اغمش او
ارمش او امتش او ذا دَوَش او مدش اوطَخَش او غطش او غفش او
طَفَنْشاً او غطَمّشا او مغطرشا او مطغمشا او مطرفشا او مطفرشا او مطنفشا
او مدنفشا او مدنقشا * فعلى كل من كان فى بلادنا اعمش ذا عين ان
يقصد هذه البلاد ليجلو بصره بهذه المناظر الانيقة * وليستصحب معه
ايضا لهذا الجلاء جلاء اى لقبًا ينبى عن شرف وسيادة * فان القوم يعظمون
هذه الزَنَمة ولا يرون للانسان فضلا بغيرها * وعلى فرض تحرّجه من الانتحال
والتزوير فان غناه يكسبه اياها من عندهم * لانه متى كان غنيا وجعل دابه
ان يتردد على مواضع اللهو والحظ لم يلبث ان يتعرف بزمرة من الكبرآ
السعدآ وان يزورهم فى مغانيهم * وح يسمونه بسمة شرف تشريفا له
وتشرّفا به اذ لا يزورهم الا الشريف مثلهم * فاما حرص النسآ على هذه
الزنمة وخصوصا نسآء الانكليز فهو اوسع من ان يحصر فى هذا الكتاب *



Digitized by Google



الفصل الثامن عشر

في شكاة وشكوى

ثم رام الفارياق ان يستاجر شقة دار ليسكنها هو واهله فراوا عدة اماكن لم تخل من عيوب * وكانت الفارياقية في خلال ذلك تتمعّص من ارتقآ الدرج فان بعضها كان يشتمل على مئة وعشرين درجة فاكثر * حتى اذا تبواوا محلّا وجدوا موقده رديئا * فلم يمض على ذلك ايام حتى طفقت تشكو وتقول * ياللعجب كيف تنخدع الناس احيانا بشي وتنوّه به دون تحقق معرفة حاله * ومتى يستقر ببالهم وجوده على حال من الاحوال يُعَد تغيير وهمهم عنه محالا * حتى ان تغيير الوهم من الخاطر يكون اصعب من تغيير اليقين * لان من تيقّن شيا فانما يتيقّنه عن علم * ومن طبع العالم ان ينظر دائما في الحقائق واضدادها ولا يزال باحثا عن الصحيح والاصحّ * فاما الوهم فلا يدخل الا راس الجاهل * ومتى دخل فلا يكاد يخرج منه * مثال ذلك وَهْم الناس ان مدينة باريس هي اجمل مدينة في الدنيا * مع اني رايت فيها من العيوب ما لم ارَه في غيرها * انظر الى طرقها والى ما يجرى فيها من الدم والنجاسة ومن المياه المتنوعة الالوان * فمن بين اخضر كمآء الطحلب واصفر كمآ الكركم واسود كمآ الفحم * ويتلاحق بها جميع اقذار

Digitized by Google

المطابخ والمرافق * ورائحتها ولا سيما فى الصيف اشدّ اذى من رويتها * فهلّا جُعل لها مثاعب تحت الارض او ابياب تنفذ منها الى نهر او غيره كما فى لندن * وانظر الى مبلّط هذه الطرق حيث تجرى المراكب والعجلات * فانك ترى حجارته قد اختلت وتباعد بعضها عن بعض حتى عاد سير العجلات عليها كطلوع عقبة او درج فهى لا تزال تهتز وتضطرب * وسبب ذلك ان البلاط هنا يفرش فرشا غير مرصوص ولا منضم بعضه الى بعض فاذا اتت عليه سنون زاد تباعدًا وتخاخلا * فاما فى لندن فانه يرص بعضه الى بعض قائما فتسير عليه العجلات سيرا سريعا سهلا بلا قرقعة ولا اضطراب * وانظر ايضا الى برازيق الطرق هنا اى حيث تمشى الناس * فما اضيقها واقذرها واقل جدواها * ففى كثير من الحارات لا يمكن لاثنين ان يمشيا معا على حافة واحدة منها * بل هى لا توجد راسا فى كثير من الطرق او توجد غير كاملة من الاول الى الاخر فتراها قد تعطلت فى موضع واختلّت فى آخر * وانظر الى هذه الانوار القليلة فى الاسواق والى فوانيسها البارزة من الحيطان والى بعد المسافة ما بينها * فقد يمشى الانسان فى اكثر الطرق من فانوس الى آخر اكثر من مئة وعشرين خطوة * وانظر الى صغر هذه الحوانيت وقلة انوارها وبوس اهلها وشحّهم * فقلما تجد عند احدهم نارا * مع ان هذا الشهر هو من ابرد الشهور * وتامل هذه الديار وعلو طبقاتها وكثرة درجها ووسخها وفساد ترتيب مرافقها ومراحيضها * فقد تجد فى الدار الواحدة عدة مراحيض بجانب المساكن وعدّة مصاب للمآ والاقذار * وناهيك ما يخرج منها صباحا من الروائح الخبيثة * ومع كون هذه المراحيض قذرة نجسة خالية عن لوالب الماء

فليس لها مزاليج من داخل ليامن الانسان فى حال خلوته من انبعاق احد عليه * فكثيرا ما يدمق عليه دامق ولمّا يكن اتى على اخر ما عنده فيلحقه بالبذغ والأمْدر او الماصع او الجازم او الراطم او المزرّم (١) وقد سالت عن سبب ذلك فقيل لى ان صاحب الدار اذا كان متورّعا يتحرج من وضع المزاليج خيفة ان يدخل بعض الساكنين والساكنات معا ويتحصنوا بها * ومن اقذر ما يرى فى حيطانها آثار اصابع مختلفة فكانّ الفرنساوية يستطيبون الاستطابة باصابعهم * وحين ينظّفونها ليلاً تخرج رائحتها الخبيثة وتنتشر فى الحارة كلها * فلا يمكن للانسان ان يبيت الا مسدود المنخرين * ثم ان هذه الديار ما عدا كونها تشتمل على ست طبقات فاكثر * وعن ذلك وعن فساد التبليط يسمع لمرور العجلات قرقعة زائدة كما لا يخفى * وما عدا كونها تحوى سكّانا كثيرين ما بين فاجر وفاجرة ومستهتَر ومستهترة * فان كثيرا من مساكنها لا يصلح للسكنى لخلوه من النور والهوآء * ولا يكاد الانسان يستريح فى محل منها * فانه اما ان يجده قريبا من المرحاض * او يجد موقده رديّا * او يجد فيه فارا او جرذانا * او يجد جاره ذا صخب ووقاحة يغنّى النهار والليل او يعزف بآلة طرب * او يخلو بالمومسات على هَرْج ومرج وقرقرة وكركرة * وان من داخلها ما يضحك ويبكى * فالمضحك ما يرى من الخلل فى هندمة الابواب والشبابيك وفرش المبلّط بالآجّر واتصال بعض المساكن ببعض * والمبكى رؤية هذه المواقد فانها مبنية على شبه القبور وذلك اول ما يخطر ببال الداخل الى مسكنه * فهى جديرة والحالة هذه بان تكون صوامع للرهبان المتبتّلين لا مضاجع للناس المتزوجين * واغرب من ذلك ان ابواب الديار لا تزال مفتوحة *

(١) البذغ الخارى فى ثيابه ونحوه الامدر ومصع بسلحه على عقبيه اذا سبقه من فرق او عجلة وجزم بسلحه اخرج بعضه وبقى بعضه ورطم السلح حبسه وازرمه قطع عليه بوله

وان البوابين يتعاطون الحرف والصنائع فى كنّ لهم يلزمونه ليلا ونهارا * فمنهم من يشتغل بالخياطة ومنهم بحذو النعال ونقلها وغير ذلك * بحيث ان كل انسان يمكنه ارتقآ الدرج بلا مانع * وقلّ ان يبصر البواب من كنّه احدًا لان عينيه ابدا ملازمتان للابرة او الإشفى * ولذلك كانت دواعى الفساد فى باريس اكثر منها فى لندن * وما يرى هنا من الديار البهية والطرق الواسعة الحسنة فانما هو حديث عهد * فكيف كان لباريس شهرة فى الزمن القديم وديارها العتيقة وطرقها العهيدة مما ينبو عنه الطرف وتقذره النفس * فاين هذا من شوارع لندن الرحيبة الوضيئة ومن دكاكينها الواسعة الظريفة المزجّجة باحسن الزجاج وانفسه * ومن ديارها النظيفة المهندمة * قال فقلت ومن حكّاكات اعتابها * فقالت ومن إعتاب حكّاكاتها * ثم استمرت تقول ومن مساكنها الانيقة ومن درجاتها الحسنة التى لا تزال مكسوة بالزرابى الفاخرة * أَيْم الله ان صعود خمسين درجة منها لاهون علىّ من صعود عشر درجات هنا * واين تلك المواقد البهية المصفّحة بالحديد اللمّاع المجلو فى صباح كل يوم * وتلك الشبابيك والطيقان المحكمة التزجيج * واين تلك المطابخ التى لا يزال فيها نور الغاز متوقّدا والمآء السخن عتيدًا للسكّان * وكم فيها من وصائف خُرَّد يتمنّى اعظم المخدومين عندنا ان يكون لاحداهن خادما او طبّاخا * قلت بل لامحًا * قالت او لاحسًا * أَلا واين حسن نهر تامس وما فيه من سفن النار التى تسير الى ضواحى لندن فى الصيف وفيها الآت الطرب * فتراها ملآنة من الرجال والنسآ والاولاد فكانما هى رياض مزيّنة بالازهار * واين تلك الحدائق الكثير وجودها فى كل جهة فى المدينة وهى التى يسمونها ترابيع * ومن

يسكن فى غرفة مطلة عليها يخيّل له انه مُريف * فاذا مشى بعض خطوات ورآءها راى الناس وازدحامهم اقبالا وادبارا * ثم اين تلك الانوار المتوقدة فى كل من الطرق والدكاكين * بحيث انك اذا كنت فى اول الشارع وسرّحت نظرك الى اخره أدهشك حسنها وازدهارها * وظننت انها نسق كواكب قد نظمت فى سلك واحد * وانما يمدح باريس من لم يكن قد راى لندن او من راها بعض ايام ولم يعرف لسان اهلها * ثم اين ملاطفة مكريات المساكن ورفقهن بالنازل عندهنّ غريبا كان اَو لا * فان الغريب اذا تبوّا منزلا عندهن يصبح وقد صار واحدا من اهل البيت * لان كلّا من صاحبة المنزل ومن الخادمة * وما ادراك ما الخادمة * تلاطفه وتوانسه وتقوم بخدمته وتطبخ له وتشترى له ما شآء من السوق * وتطلع اليه كل يوم بالمآء السخن وتضرم له النار وتمسح نعاله * لعمرى ان النازل عندهن يمكنه ان يتعلم اللغة الانكليزية بمحاورته معهن فى اقصر مدة * فاما فى باريس فان النازل فى احد هذه المساكن قد يموت فى ليلته ولا يعلم به احد * فان بينه وبين البواب بُعْدا باعدا * وفى اكثر المساكن هنا لا يجد الانسان جرسا ليطنّه فيتحرك له البواب * ثم اين استقامة تجار لندن وصدقهم فى البيع والشرآ وتودّدهم الى الشارى واناتهم معه من تجار باريس الذين لو قدروا على سلخ جلد المشترى ولا سيما اذا كان غريبا لما تاخروا * وانهم قد حاكوا تجار لندن فى وضعهم بطاقة الثمن على البياعات * ولكن هيهات * فان مَن سعّر حاجة بمئة افرنك مثلا يبيعها بثمانين * وقد يضعون فى وجوه الحوانيت اصنافا من البضاعة مسعّرة فاذا اردت ان تشترى شيا من ذلك الصنف جآك بصنف دونه فى

الجودة * وحلف لك انه من عين ذلك الراموز * ولا يزال بك مبربرا ومثرثرا وحالفا وحانثا حتى تشتريه حيآء او خصما للنزاع * وغير مرة يعطون الشارى فلوسا او دراهم زائفة * فاما باعة الماكولات والمشروبات فانهم اكثر غشا وشططا فى هذه المدينة من سائر الناس * ولهم فى الوزن لباقة لم ارها عند غيرهم * وذلك ان من باعك شيا موزونا يطرحه فى كفّة الميزان بعجلة وهوج كالغضبان من روية سحنتك او على الميزان* واول ما تميل به الكفّة يرفعه بلباقة ويسلمه لك * ولو ارسلت اليه خادمك او ابنك لباعه نفاية ما عنده وكان على السّنجة اشدّ غضبا * هذا ما عدا غشّهم الماكول والمشروب وتغييرهم الاسعار بتغيير الاوقات والاحوال * وهذه اللباقة معروفة ايضا عند باعة الاصناف كيلا وذرعا * فاما ما يقال فى مواضع التنزه والحظ فى باريس وذلك كحديقة قصر الملك وما يليها فلعمرى ان من راى حدائق كريمون وفكس هال وروجقيل (Crémorne Gardens, Vauxhall, Rosherville) التى فى ضواحى لندن ما عدا حدائق كثيرة فى حاراتها فلا يطاوعه لسانه بعدها على ذكر غيرها * نعم ان حديقة القصر هنا حسنة على صغرها لكونها فى قلب البلد وتلك منحازة عن الوسط * ولكن آه من قلب هذا البلد * كم من فاسدين وفاسدات تجمع هذه الحديقة فى كل يوم فهى عبارة عن حابور * لان النسآ ينتبنها ليتصيّدن منها الرجال * اذ تجلس المراة على كرسىّ بجنب رجل ممّن اعجبها وهى لا تعرفه * ويكون بيده كتاب يطالعه وبيدها منديل تخيطه او نحو ذلك * فيطفق هو يقرا فى الكتاب كلمة وينظر اليها نظرة وهى كذلك تمل ملّة وتهجل هجلة فلا يقومان الّا وهما متعاشقان * حتى اذا كان اليوم القابل تبدّل

Digitized by Google

كل منهما مقامه وعشقه * اما الجمال فليس من مناسبة بين جمال نساء باريس ونساء لندن فالذأبة او الخَفُوت هناك تعدّ هنا عَبْهرا (١) ولعزة الجمال هنا صار عزيزا فان الشي متى عزّعزّ فكان كلف الناس به اكثر وتنافسهم فيه اشد * ومن اعجب العجب عندى ان الجميلة الرائعة فى لندن تطوف باخلاق من الثياب * والدميمة الشوهآ فى باريس ترفل بالحرير والكشميرى * فاما مواضع الرقص فانها فى لندن تفتح كل ليلة وفى باريس ثلث مرات فى الجمعة لا غير * وفى اكثر شوارع لندن تسمع الغنآ من جوارى حسان وآلات الطرب ليلا ونهارا من دون غرامة ولا كلفة * وليس كذلك فى باريس الا ما ندر * وغاية ما يقال فى التنويه بباريس وفى تفضيلها ان فيها مواضع للشراب والقهوة ظريفة يجلس داخلها وخارجها الرجال والنسآ متقابلين ومتدابرين * فهل لمجرد القعود على كرسى يحكم لها بالفضل وتشهر عند الخاصة والعامة من اعصر متعددة بانها اجمل مدينة فى العالم * ثم اين حشمة فتيان الانكليز وتادبهم مع النسآ سوآ كانوا فى البيوت والشوارع من فتيان الفرنساوية هولآ الهصاهيص الذين يهصهصون و يهصّصون (١) فى وجوه النسآ حرائر كن او بغايا * ومتى ينظروا امراة مكبّة لربط شراك نعلها يطيفوا بها فيصيروا لحلْقتها حلقة ولحِتارها حتارا * ولا سيما حين ياتون الى هذه المناصع ويبدون فيها منادفهم — قال فقلت استمرى فى الحديث وقولى ما شئت بحيث لا تقفين على المنادف * قالت اتغار علىّ ايضا من الوقوف بالكلام * وانما وقفت بُهْرًا من هذه الدنيا المبنية على النادفية والمندوفية * لا جرم لو انى كنت فى مقام ملك او امير لما اكلت ممّا مسّته ايدى الرجال شيا * وبينما هما فى الكلام اذا برجل يطرق الباب *

(١) الخَفُوت المراة تستحسن وحدها لا بين النسآ *

(١) الهصهاص البرّاق العينين وهصهه غمزه *

ففتح له الفارياق وهو مستعيذ من دخوله على ذكر المنادف * واذا به يقول * قد سمعت بقدومك فاتيتك رغبة فى ان اقرا عليك فى العربية شيا واعطيك فى مقابلة ذلك خمسة عشر افرنكا فى الشهر * فلما سمعت الفارياقية اغربت فى الضحك على عادتها وقالت لزوجها * دونك اوّل دليل على كرم اصحابنا هولآء الذين طبّل بذكرهم العالم وزمّر * فقال له الفارياق ما اريد منك مالاً وانما تبادلنى الدرس فى لغتك عن لغتى * فرضى بذلك * ثم زاره احد علمآء باريس بعد ايام وقال له قد بلغنى قدومك وانك مُولّع بالنظم * فلو نظمت ابياتا على باريس وذكرت ما فيها من المحاسن لقام ذلك عند اهلها مقام توصية بك * لان الناس هنا يحبّون الاطرآء والتمليق اى يحبون ان الدخيل فيهم يطرّيهم بالاطرآء * واذا كانوا هم دخلآ فى غير بلادهم اطرآوا على حكام تلك البلاد ونالوا عندهم الوجاهة والمكانة * فاجابه الفارياق الى ذلك ونظم قصيدة طويلة فى مدح باريس واهلها سمّاها الهرفية لانه مدحهم مجازفة من قبل ان يعرفهم * وستاتى مع نقيضتها الحرفية ومع نبذة مما نظمه بباريس فى الفصل العشرين * فلما وقف العالم المومأ اليه على معانيها استحسنها جدا وترجمها الى لغته * وتوصل فى ان طبع الترجمة فى احدى الصحف الاخبارية وجآ بنسخة منها الى الفارياق وهو يقول * قد طبعت ترجمة قصيدتك فى هذه الصحيفة وقد وعدتنى جمعيّة العلم الآسياوية (نسبة لاسيا) بان تطبع الاصل العربى فى صحفهم العلمية * لكونك اول شاعر مدح باريس باللغة العربية * فشكره الفارياق على ذلك وقال له انى اريد نسخة من هذه الترجمة * قال انها تباع فى مكان كذا بنحو ثلثى افرنك فسار واشترى نسخة * ثم قدم عليه بعد ايام بعض من قرا تلك

Digitized by Google

الصحيفة وهو يقول * قد قرات ترجمة قصيدتك واعجبتني * فهل لك
في ان تبادلني الدرس * قال هو كما اريد * فاستمرّ يتردد عليه اياما
في خلالها عرّفه بالعالم المشهور مسيو كترمير (QUATREMÈRE) وهذا العالم
عرّفه بمدرّس اللغة العربية مسيو كُسّان دُ پرسُقال (CAUSSIN DE PERCEVAL)
ثم تعرف ايضا بالمدرّس الثاني مسيو رينو (REINEAUD) ولكن كانت
معرفته بهم كاداة التعريف في قولك اذهب الى السوق واشترِ اللحم * ثم
زاره ايضا احد الاعيان الذين يتقدم اسماَهم اداة دُ وهي علامه النبالة
والشرف * وهو مسيو دُ بوفورت (DE BEAUFORT) وكان له اخت في دارها
مدرسة تعلم فيها بعض بنات الكبرآ * فلما حان وقت امتحانهن في
العلم صنعت مادبة في بعض الليالي وادبت اليها الفارياقية وزوجها *
فقال الفارياق لزوجته * هاكِ مثالا على كرم القومْ فقد مضى عليك
مدة وانت تشكين من الوحدة ومن بخل من تعرّفتُ بهم وتقولين
انهم لم يادبوك قط * وقد كان يادبك في بلاد الانكليز من كان يعرفك
ومن لم يعرفك * حتى انك كثيرا ما كنت تتضجر من ذلك * لما انه
كان يلزمك له تغيير زيّك ووقت غدائك وحرمانك من الدخان *
فابشري الان ان اصحابنا بالخير قميـنون حريّون * قالت نعم كل
منهم قَمين حرِيّ * ثم سهرا تلك الليلة عند اخت الدّ الموما اليه على
احسن حال واصفى بال * فرجعت الفارياقية الى منزلها بقلب آخر وهي
تقول * نعم لقد تفضل بوفورت واحسن كل الاحسان * وقد رايت من
نسآ الفرنساوية من البشاشة والطلاقة ما لم اكن اصدّقه * نعم ويعجبني
منهن هذه الغنّة والخنّة التي تكثر في كلامهن وهذا هو الذي جعل اللغة
الفرنساوية فيما اظن مستحبة * وهي من الاولاد اشجى واطرب * قال

Digitized by Google

فقلت الظاهر ان العرب ايضا تحبّ هذه الخنخنة * فقد قال سيدى صاحب القاموس نَخِم وتَنخّم دفع بشى من صدره او انفه * ونَخَمَ لعب وغنّى اجود الغنآ * فضحكت وقالت اظن صاحبك كان يهوى مخنخنة وانى اشفق من انك لا تلبث ان تسرى اليك عَدْواه * سلّمتُ بان الغنّة بل اللُثغة بل اللدغة تستحبّ من الغلمان والجوارى * ولكن هل يطيق فتى ان يسمع عجوزا خفخافة تخنخن عليه فى انفه * وهل تطيق شابة خُنّة شيخ هرم فى خياشيمها * نعم ويعجبنى من العامّة فى باريس انهم لا يسخرون من الغريب اذا راوه مخالفا لهم فى زيه واطواره * بخلاف سفلة لندن فانهم يسلقونه بالكلام * بل ربما تكلف الواحد منهم ان يناديه من مكان بعيد حتى يبحّ * وما ذلك الّا ليقول له انك ياغريب دمِوىّ ملعون * ولعلى فى ذلك مخطئة * قال فقلت بل مصيبة فان جميع الناس يثنون على ادب الفعلة وسائر العامة فى باريس وعلى حسن كلامهم * ثم لبثا مدة وهما يقابلان محاسن باريس بمحاسن لندن * فمما كرهت الفارياقية فى باريس غاية الكراهة هو ان النسآ يرخّص لهن فى دخول الديار مهما يكن من تخالف انواعهما * وزعمت ان ترتيب الديار فى لندن بهذا الاعتبار احسن * فقال لها الفارياق لا ينكر ان ديار لندن احسن ترتيبا باعتبار ان درجها قليل وان سكانها قليلون ملازمون للسكون * وان اعتابها تحك فى كل يوم * وان فى مطابخها ربلات قَدِية * وان داخلها مهندم مفروش بالبسط الجيّدة الا انها بُلْو النار * فاما ديار باريس فانها ابقى على الاحوال ومنظرها فى الخارج ازهى * فاما منع المومسات عن دخول تلك وترخيصهن فى دخول هذه فهو فى ظنّى دليل على اتصاف المومسات

Digitized by Google

في باريس بالادب * بخلاف مومسات لندرة فانهن يتهتكن في الشرب والومس * ولذلك منعن من الدخول الى السكان * وهناك سبب آخر وهو ان بغايا باريس معروفات في ديوان البوليس واسماوهن مقيدة فيه * فلا يتجرأن على التفاحش والتهتك وان كن فواحش * فاما بغايا لندرة فقد خُلّين وطباعهن * ثم مضت مدة على الفارياقية وهي تقاسي من الخفقان ألما مبرّحا * فكان يلازمها اياما متوالية ثم يخف عنها * وفي خلال ذلك أُدبت مرة اخرى عند اخت الدّ * فسارت مع زوجها وهما متعجبان من هذا التكرم الذي لم يجدا له في باريس نظيرا * ثم اشتد بالفارياقية المرض ولزمت الفراش فاحضرلها طبيبين من النمساوية فعالجاها مدة حتى افاقت قليلا * وكانت اخت الدّ قد تزوجت برجل اسمه (Ledos) فلما جآ اخوها ذات يوم الى الفارياق على عادته وجد الفارياقية تئنّ وتشكو من بلوغ الالم منها * فقال لزوجها لو استوصفت صهري دوآء لزوجتك فانه خبير بخصائص النبات وقد ابرا كثيرين من هذا الدآء * فسار اليه الفارياق وساله ان ياتي معه ليرى زوجته * فقال له اني غير مرخّص لي من الديوان في مداواة المرضى ولكني لا آبى ان آتي معك رجآء ان يحصل شفا امراتك على يدي * ثم اتى ووصف للفارياقية ان تشرب مآ بعض اعشاب تغلَى وبعث لها من ذلك بستة قراطيس * فلما فرغت وطلب الفارياق غيرها جآت اخت الدّ اعني زوجة المتطبّب تقول * ان زوجي يتقاضاكم خمسين افرنكا ثمن القراطيس * فلما سمعت الفارياقية ذلك تراجع اليها نشاطها وبادرتها اجمع وقالت لها * اما تستحيين ان تطلبي هذا المبلغ على ستة قراطيس من العشب وزوجك ليس بطبيب * فقال لها

زوجها ولكن اذكرى ان المراة أَدَبَتنا الى شرب القهوة والشاى مرتين
وقد تخللناهما باشياً من الحلوآ والكعك فلا ينبغى مقابحتها * ثم بعد
جدال طويل ونزاع وبيل رضيت اخت الدّ بان تاخذ نصف
المبلغ المذكور فاقبضها اياه الفارياق فولّت وهى مدمدمة وانقطع
اخوها عن الزيارة * ومن هولآ المتطببين من اذا راى غريبا بشّ
فى وجهه واحتفى به ودعاه الى منزله وواصل زيارته الى ان يراه يشكو
من سعال او غيره فيصف له دوآ * ثم يتقاضاه غرامة رابية على كل
زيارة جرت بينهما من اول تعارفهما * وياتى بجيرة المحل شهوداً على الرجل
فى انه كان كثير التردّد على منزله وادعى ان مرضه كان مزمنا * وحامل
لوآ هذه الزمرة اللئيمة هو دَلِكْس (D'Alex) المتطبب المقيم فى لندرة فى
Berner's street, n° 61, Oxford street ثم رجع الطبيب النمساوى
الى مداواة الفارياقيه * فلما نقهت اشار عليها بالسفر من باريس فاستقر الراى
على تسفيرها الى مرسيلية * فقالت لزوجها قد طاب الان لى السير * من ارض
ما فيها خير * هولآ معارفك الذين اتيتهم بكتب توصية من لندن والذين
تعرفت بهم بعد ذلك هنا بوسيلة علمك لم يدعُك احد منهم الى الجلوس
على كرسى فى بيته * وهذا الامرتين الذى ابلغته كتاب توصية من
الشيخ مرعى الدحداح فى مرسيلية كتبت اليه تساله عن امر فلم يجبك *
مع انكَ لو كتبت الى الصدر الاعظم فى دولة الانكليز لاجابك لا محالة
سوآء بالسلب او الايجاب * وهذا المتطبّب صهر الدّ غرّمنا على ستة
قراطيس خمسة وعشرين افرنكا * مع ان هذا الطبيب النمساوى وصاحبه
قد عالجانى مدّة وعُنيا بى ولم يتقاضياك شيا * وكذلك تفعل اطبآء
لندن جزاهم الله خيرا * افكل الناس يكرمون الغريب ويرفقون به

Digitized by Google

لا اهل باريس * لقد كنت اسمع انه يوجد فى الدنيا جيل ملآذون ملآئون ملّاقون ولآذون ولثيّون مَحاحون مُرامقون ذُمُلّقيّون مماذقون غُمُلّجيّون مبذلخون مطرطرون مطرمذون خُيَتْعوريون مُبهلقون مُرامقون مذّاعون طُرفون خَيْدعيّون قُشِعون مِقْطاعيّون أَعفكيّون مِجْذاميّون جُذامِريّون كُمُوصيّون هُمُلّعيون مُنَبجيّون تِلِمّاظِيّون بَذْلاخيّون وما كنت ادرى ايّ جيل هم * فالان اغنى الخُبْرعن الخَبَر * وتحققت ان هذه الصفات التى كنت استكثرها ان هى الّا بعض ما يقال فى اهل هذه المدينة * فان مودتهم يقطينية اى تنبت سريعا كاليقطين ولا تلبث ان تذوى * ومواعيدهم عرقوبية طالما وعدوا فاخلفوا * ومنّوا فازهفوا * وحالفوا فحنثوا * وعاهدوا فنكثوا * يبشّون بالمغترّ بهم ويهشون * ثم هو ان لازمهم ملّوه * وان غاب عنهم نسوه * وما ينجزه غيرهم بنعم ولا فهم يرتبكون فيه اياما وليالى * يبداونه باساطير طويلة * ويختمونه بتهاتر وبيلة * فاما بخلهم على غير المراقص فيضرب به المثل * وناهيك ان نارهم فى الشتآء كنار الحباحب * ولو انهم اوقدوا نارا كنار الانكليز لرايت جوّهم اكثر دُجنة ودُكنة من جوّ اولئك * وانهم فى الصيف لا يستبسرجون * وما عندهم غيرهذين الفصلين من فصول السنة * فاما برد عارم * واما غَتّم ملازم * الّا وان احدهم لينزّل الافرنك اجرة من يعمل له منزلة الدينار عند الانكليز * على ان بلدهم اغلى اسعارا من لندن فى لوازم المعيشة او مثلها * ارايت انكليزيا يعمل حسابه بالفلس كما يعمل اهل باريس حسابهم بالصنتيم * بل ان كثيرا من الانكليز لا يعلمون كم فى صلديّهم من فلس * نعم وان احدهم (اى اهل باريس) ليكتب اليك مكتوبا فى شان مصلحة تقضيها له ولا يدفع جُعْله * ولقد يضحكنى من فخرهم

Digitized by Google

انهم ياكلون ابشع الماكول ولا تزال امعآوهم ملأى من شحم الخنزير * ثم هم اذا خرجوا الى المحافل والمثابات بالغوا فى التفخل والزّفلان غاية ما يمكن * وان كثيرا منهم يغلقون فى الصيف كواهم وشبابيكهم ولا يفتحونها ابدا * يوهمون الناس انهم قد ساروا الى بعض منازه الريف ليصيفوا فيه كما تفعل كبرآوهم * وان كثيرا منهم ليتقوتون بالخبز والجبن نهارا ليبدوا فى الملاهى والملاعب ليلاً * وان اشرافهم وذوى الدّ منهم ياكلون مرتين فى اليوم ويفطرون على محار البحر * والناس كلهم ياكلون ثلث مرات والانكليز اربع مرات * ولكن معاذ الله ان تكون الفرنساوية كلهم كاهل باريس * والّا فياخُسْرَ ما ضاع الثنآء عليهم كما ضاع مآء الورد فى غسل مرحاض * فاما نسآ باريس المضروب بادبهن وظرافتهن المثل فلعمرى انهن بُخُر مجمرات (١) واكثرهن لا يستوغلن ولا يتلجمن ولا يعتركن ولا يشمذن ولا يستنجين ولا يتخذن الفِرام ولا المعابئ ولا الفِراص ولا الثُمَل ولا الجدائل ولا الماحى ولا الرِبَذ * وليس لهن من نظافة الا على ما ظهر منهن من نحو قميص ومنديل وجورب * ولذلك تراهنّ ابدا يكشفن عن سيقانهنّ وهن ماشيات فى الاسواق صيفا وشتآء * بدعوى رفع اذيالهن عن ان تمس النجاسة فى الارض * فمن تكن منهن سوقآء افتخرت بساقها وبجوربها معا * ومن تكن نَقْوآء افتخرت بالثانى * وليس فى نسآ الارض كلها اكثر منهن تيها وعُجبا وزهوا وارّبا وتعنفصا وخداعا ومجابّة وغطرفة وتبغنجا * سوا كن قباحا او ملاحا * طوالا او قصارا وهو الغالب فيهن * عجائز او صبايا * حرائر او بغايا * ذوات لحىً وشوارب او نقيات الخدّ * مذكّرات الطلعة والسحنة اوّ لا * على انى لم ارَ فى جميع النسآ تذكيرًا الا فى نسآ باريس وارلندة

(١) البَخَر محركة رائحة مكروهة فى قُبل المراة وهى بخرا واجخر غسل دبره ولم ينقَ فبقى نتنه واستوغل غسل مغابنه والتلجام ما تشده الحائض وقد تلجمت واعتركت احتشت بخرقة وشمذت المراة فرجها حشته بخرقة خشية خروج رحمها والفرام دوا تتضيق به والمعباة خرقة الحائض والفراص جمع فرّصة وهى خرقة او قطنة تتمسح بها المراة من الحيض ونحوها الثمل جمع ثملة والربذ والجدائل جمع جديلة وهى شبه اتب من ادم تاتزر به الحيّض والمماحى جمع ممحاة وهى خرقة يزال بها المنىّ ونحوه *

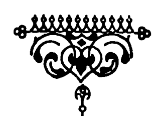
Digitized by Google

غير ان هولآء لسن مزهوّات مغانيج كالباريسيّات * وانما الذى صيّرهن الى ذلك هو شدة شبق الرجال عليهن * وقرمهم اليهن * فترى الفرهد الغسانى مخاصرا لسعلاة منهن ومتذللا ومطيعًا لها * فلقد اصاب الذين يتزوجون منهم فى بلادنا الجوارى السود تخلّصا من اسرهنّ وسرفهن * وقد رايت عامتهن لطّاعات اى يمصصن اصابعهن بعد الاكل ويلحسن ما عليها * فاما ذوات الشرف فانهن يغسلن ايديهن فى فنجانة على المائدة بحضرة المدعوّين ويتمضمضن بالمآ ثم يقذفنه فيها * فهل ذلك يعد من الظرافة والادب * اليس فعلهن هذا افظع من التجشّى عندنا * وانما يمدح محاسنهن ويهيم بهن من الفت عينه النظر اليهن بعد مدة * وهب ان نسآ باريس ظريفات كيّسات ولكن ما شان هولآ النسآ اللاى يقدمن من السواد والبراغيل والراذانات والرساتيق والمَذارع والدساكر والفلاليج * فمنهن من تغطى راسها بمنديل فلا يبين منه الّا شُعَيرات من عند فُوديها * ومنهن من تلبس طرطورا من القماش على راسها * حتى ان اهل باريس لا يتمالكون ان يضحكوا حين يرون واحدة من هولآ الباديات * واقبح من ذلك لهجتهن * وفى باريس كثير من النسآ يكنسن الطرق ويتعاطين اعمال الرجال * وفى بولون وكالى ودياب وهافر وغيرها من الفرض تجد النسا يحملن اثقال المسافرين على ظهورهن ورؤسهن * وليس فى بلاد الانكليز كلها من حمّالات الّا لاصحاب الاثقال * وزيّهن كلهن سوآء * فكيف يزعم الفرنساويون انهم جميعا متمدنون * ولعمرى لو كانت النسآ فى بلادنا يخرجن فى الاسواق سوافر ويبدين قوامهن وخصورهن وسوقهن كنسآء باريس * لما تركن لهن ان يذكرن معهن بالجمال والظرافة اصلا *

Digitized by Google

الى مصر الى مصر بلاد الحظّ والأَرَب * الى الشام الى الشام معان الفضل والادب * الى تونس نعم الدار فيها اكرم العرب * كفانى من الافرنج ما قد لقيته وعندى ان اليوم فى قربهم عام * اَلَا دعنى اسافر من بلاد اسقمت بدنى * بماكلها ومشربها وبرد هوائها العَفِن * فقال لها الفارياق ان كنت تطيقين السفر فشانك * فقالت لَمَوْتى فى الطريق الىّ اشهى من التخليد فى دار اللئام * فمن ثم تاهّبت له * غير انه حصل لها فى غد ذلك اليوم من الضعف والالم ما منعها عن الحركة * وتفصيل ذلك ياتى فى الفصل التالى

*





الفصل التاسع عشر

في سرقة مطرانية ووقائع مختلفة

لمّا نُكبت نصارى حلب وجرى عليهم من نهب المال وهتك العرض ما جرى * اجتمعت روسآؤهم فى الدّين وارتأوا ان يبعثوا من طرفهم وكلآء الى بلاد الافرنج ليجمعوا لهم من دولها وكنائسها ومن اهلها الخيّرين مددًا يقوم باودهم * فاختارت الكنيسة الرومية الارثودكسية الخواجا فتح الله مرّاش * واختارت الكنيسة الرومية الملكية المطران اتناسيوس التتونجي مولف كتاب الحكاكه فى الركاكه * ورجلا آخر معه يقال له الخواجا شكرى عبود * فاقبلوا يجولون فى البلاد حتى انتهوا الى مملكة اوستريا فجمعوا منها مبلغا * وكان معهم منشور من مطرانى الكنيستين المذكورتين فى حلب يوذن بوكالتهم من الطائفتين فى هذه المصالحة * فلما فرغوا من بلاد النمسا قدم الخواجا فتح الله المزبور ورفيقه الخواجا شكرى عبود الى باريس ومعهما ذلك المنشور* وبقى المطران هناك على عزم ان يجتمع بهما فى بلاد الانكليز* وانما لم يقدم معهما الى فرنسا مع انه هو وكيل الكنيسة الملكيّة وهى على مذهب الكنيسة الفرنساوية * لما انه كان سابقا ارتكب فيها من اسآءة الادب

وتعدّى طور امثاله ما اوجب حبسه ثم طرده منها مدحورا * فخشى والحالة هذه ان يشهر امره هذه المرة فيها فيحيق به سوء عمله * فلما ابرز رفيقاه منشور الوصاة لمطران باريس والتمسا منه المعونة عجب من رؤيته اسم المطران التتونجى مذكورا فيه دون رؤية سحنته * فقال لهما ما بال وكيل الكنيسة الملكية لم يحضر معكما * فاعتذرا عن غيابه باعذار لم يقبلها منهما المشار اليه * وتذكر ما كان فعله التتونجى من قبل فردّهما خائبين * وكان الخواجا فتح الله مراش ورفيقه يترددان على الفارياق مدة مكثهما فى باريس * لكن تردد الاول اكثر * وانما انس به الفارياق مع علمه بانه رفيق التتونجى لكونه رآه من ذوى المعارف والدراية ما عدا كونه متزوجا وله عيال * وقلّ من كان على مثل ذى الحال وانطوى على غش ودَخَل * لان العلم يلطف العقل والعيال ترقق القلب * ثم ارتبك المطران فى رُطْمة فى بلد من بلاد اوستريا وهو فيما اظن بولونيا * ففصل منه على نكظ وخزى وسار الى بلاد الانكليز مجتديا * ويومئذ ارسل الى رفيقيه المذكورين ان يلحقا به * فما مضت بعد سفرهما ايّام قليلة حتى ورد الى الفارياق كتاب من كاتب اللجنة (اى جمعية اخويّة) وفى ضمنه كراسة من كتاب كان قد عربه الفارياق من كتب العجم وفيها ما يسوء اللجنة * فايقن حينئذ بان احد رفيقى المطران عند ترددهما عليه سرقها من مخدعه باشارة المطران * وانه لما اجتمع به فى لندن سلمها له فاهداها المطران الى اللجنة طمعا فى ايصال الضرر من جانبهم الى الفارياق * غير ان اللجنة المذكورة لما كانت منطوية على اخلاق كريمة ردّت الكراسة على الفارياق * اذ لم يكن لهم بحفظها من مصلحة * وكان ورود

Digitized by Google

الكراسة يوم عزمت الفارياقية على السفر * فبلغ منها الغيظ والحزن كلّ مبلغ حتى لزمت الفراش * فاما المطران فانه تصدّى له فى لندرة بعض روسآء الكنيسة الباباوية ومنعوه من تعاطى الحرفة الساسانية * حتى ان شنعته وشهرته هناك عطّلت ايضا على غيره ممن كان يجتديهم لمصلحة من مصالح الكنيسة * فحسبوا كل قادم اليهم من بلاد الشرق منافقا * امّا الفارياقية فانها نقهت بعد ايام وصممت على السفر * فكتب لها زوجها كتاب توصية الى المولى المعظم سامى باشا المفخم فى مدينة القسطنطينية * ثم شيّعها وسفّر معها اصغر اولاده تسلية لها * ولما حان الفراق توادعا وتباكيا وتواجدا حتى اذا لم تُعدِ العين تجيبهما بالدمع وهى العَسْقفة والعَسْقبة والتغبيض رجع الى منزله مستوحشا مكتئبا * وسافرت هى الى مرسيلية فزال ما كان بها وشفيت اتمّ الشفآء * لكنها لم تغيّر نيّتها عن السفر الى اسلامبول * ثقة بان هذا الفراق يكون سببا فى وشك اللقآء * فلما بلغت مقام المولى المشار اليه وادّت كتاب التوصية لولده النجيب الحسيب صبحى بيك، اذ كان والده حينئذ غائبا * اكرم مثواها واحسن اليها غاية الاحسان * وهذا مثال آخر على الكرم الشرقىّ ينبغى ان يبلّغ مسامع الامرآء الغربيّين من الافرنج * وفى غضون ذلك نظم الفارياق للمومى اليه قصيدة يمدحه بها على كرمه ومعروفه * ولزوجته ابياتا اودعها ذكر ما لقى من وحشة النوى وستاتى كلها فى الفصل التالى الذى هو خاتمة هذا الكتاب * ثم انتقل من منزله ذاك الى غرفة وجعل دابه فى كل يوم نظم بيتين على بابها * ثم بلغه قدوم السيد الاكرم الامير عبد القادر الى باريس فاهداه ايضا قصيدة وتشرف بمجلسه * ثم عيل صبره

Digitized by Google

من الوحدة فاستماله بعض معارفه الى اللعب بهذه الاوراق المزوّقة فصار من زمرة المقامرين * لكن جهله بها كان غير مرّة يبعث شريكه على العربدة عليه * فكان يرضى بان يكون حُرْضة فقط * (الحرضة امين المقامرين) ثم تعرّف برئيس تراجم الدولة وهو الكونت ديكرانج فاما غيره من التراجمين وشيوخ العلم ومدرّسى اللغات الشرقية فلم يطأ لهم عتبة * لانهم نَفِسوا عليه بمآتهم وبِصُيّتهم وبودّهم وكلامهم ولقآئهم حتى انهم ابوا ان يطبعوا له قصيدته التى مدح بها باريس بعد ان وعدوا بذلك *

وما كان خُلْفهم

الّا حسدًا

ولؤما

*



Digitized by Google



في نبذة مما نظمه الفارياق من القصائد والابيات في باريس
على ما سبقت الاشارة اليه

اى فارياق * قد حان الفراق * فان ذا آخر فصل من كتابى الذى اودعته من اخبارك ما املّنى والقارئين معى * ولو كنتُ علمت من قبل الاخذ فيه بانك تكلفنى ان ابلّغ عنك جميع اقوالك وافعالك لما ادخلت راسى فى هذه الربقة * وتجشمت هذه المشقة * فقد كنت اظن ان صغر جثتك لا يكون موجبا لانشآء تاليفٍ كبير الحجم مثل هذا * واقسم انك لو تأبّطته ومشيت به خُطًى على قدر صفحاته لنبذته ورآك وشكوت منه ومن نفسك ايضا اذ كنت انت السبب فيه * وما تمنعنى صداقتى لك اذا وقفت على احوالك بعد الان ان اولّف عليك كتابا آخر * ولكن اياك وكثرة الاسفار * والتحرش بالقسيسين والنسآ فى الليل والنهار * فقد مللت من ذكر ذلك جدًا * ولقيت منه عنآ وجهدا * والان قد بقى علىّ ان اروى عنك بعض قصائدك وابياتك * ولكن قبل الشروع فيه ينبغى ان اذكر حكاية حالى * وهى انى لما كنت فى هذه السنة بمدينة لندرة وشاعت اراجيف الحرب بين الدولة العلية ودولة روسية نظمت قصيدة فى مدح مولانا المعظم * وسلطاننا المفخم * السلطان عبد المجيد ادام الله نصره * وخلد مجده وفخره * وقدّمتها لجناب سفيره المكرم

Digitized by Google

الامير موسورس * فبعث بها الى جناب فخر الوزرآء سيدى رشيد باشا بلغه الله ما شا * فلم تمض ايام حتى بعث المشار اليه الى الامير السفير يخبره بانه قدّم القصيدة للحضرة السلطانية فى وقت رضى وقبول ووقعت لديها موقعا حسنا * وانه صدر الامر العالى بتوظيفى فى ديوان الترجمة السلطانى * فكان هذا الخبر عندى اسرّ ما طرق مسمعى * فينبغى لى الان ان اتاهّب للسفر لاتشرف بهذه الوظيفة * ولكن اعلم ايها القارى العزيز انه لما كان همى وقصارى مرامى كله انجاز طبع هذا الكتاب قبل سفرى الى القسطنطينية وكان مكثى فى لندرة موجبا لتاخيره * لان اجزآءه المطبوعة كانت ترسل الىّ فيها لاصححها آخر مرة قبل الطبع * اشار الىّ الخواجا رافائيل كحلا الذى ولِى طبع الكتاب بنفقته ان اسافر الى باريس تعجيلا لطبعه فاجبت الى ذلك * وكان وقتئذ فى مرسى لندرة سفينة نار للدولة العلية يراد تسفيرها بعد مدة * فالتمست من صاحبى الخواجا نينه الذى قدم مع الخواجا ميخائيل مخلع فى مصلحة متجرية بان يراقب وقت سفر السفينة ويخبرنى بذلك لئلّا تفوتنى فرصة السفر معها * وكان للخواجا نينه المذكور بعض حاجات ومآرب فى باريس جُلّها يختص بامراته فوكّل بشرآئها بعض معارفه هناك * حتى اذا اشتراها له اوعز اليه فى ان يسلّمها لى وكتب الىّ كتابا يقول فيه ان السفينة لا تلبث ان تسافر فالاولى سرعة رجوعك الى لندرة * فصدقت قوله واقبلت اسعى الى لندرة وانا موجس من ان تكون السفينة قد سافرت دونى * وتركت التصليح على عهدة الخواجا رافائيل المومأ اليه * فلما وصلت الى لندرة تبيّن لى ان نصح صاحبى لم يكن مقصودا به حاجة بحضورى ولكن احضار حاجته معى ليتوفر عليه بذلك جُعلها ومكسها ولتتزيّن بها زوجته قبل

انقضآ اوانها * فان السفينة بقيت فى المرسى مدة طويلة لتصليح آلاتها على علم من ناصحى * فكان قدومى الى لندرة هذه المرة الثانية سببا فى تاخير الطبع ايضا لاجل لزوم ارسال الصحائف الىّ لانظرها قبل الطبع كما سبقت الاشارة اليه * ولولا ذلك لنجز الكتاب سريعا * غير انى احمد الله تعالى على انه لم يعرض له من الامور النسائية الا ما اوجب تاخير طبعه فقط دون ابطاله ونسخه بالكلية * فقد طالما اشفقت عليه من ذلك كما كان الفارياق يشفق على فساد ترجمته من امثال هذه العوارض * وهذه القضية مصداق على ما قالته الفارياقية فى الفصل التاسع من الكتاب الرابع من انه قد يجتمع اثنان فى زواج او شركة او غير ذلك ويكون قد تقرر فى بال احدهما ان له منّة على صاحبه * فمتى وردت على سمعك ياصاحبى نصيحة من احد فانشر طيّها واسبر غورها لتعلم هل الغرض منها نفعك خاصة او نفع ناصحك وحده او نفعكما معا * ولكن لا تبتدئ بنصيحتى هذه فانى لم اقصد بها الّا مجرّد نفعك فقط * واعلم يافارياق انه قبل تشرّف قصائدك وابياتك بادماجها فى هذا الكتاب يجب علىّ ان اشرّفه والقارئين ايضا بالقصيدة المشار اليها وهى

الحق يعلو والصلاح يعمّرُ	والزور يمحق والفساد يدمّرُ
والبغى مصرعه ذميم لم يزل	آتيه عرضة كل سوء يشبر
والوغد تبطره من النعم التى	يغنى بها الحرّ الكريم ويشكر
طغت الطغاة الرّوس لما غرّهم	فى الارض كثر سوادهم وتجبّروا
كادوا ويرجع كيدهم فى نحرهم	فظُلاهم دون القواضب ينحر
المعتدون ولا نُهًى تنهاهم	الظالمون القاسطون الفجّر

نقضوا العهود وكان ذلك دأبهم | لوما وللعدوان بغيا اضمروا
حتى راى بعض المآثر راسُهم | بخس الحقوق وساء من يستاثر
ايظنّ ان الدولة العُليا السويد وانّه هو بطرس المتاخّر
كلّا ليرتدعنّ ثمّ ليعلمنْ | أن ربّها من يبتغيها يثأر
يامسلمون تثبّتوا ان جاءكم | نبأ عن الروس العدى وتبصّروا
لا يغررنّكم كثير جموعهم | فالحق ليس يضيره المستكثر
يامؤمنون هو الجهاد فبادروا | متطوعين اليه حتى تؤجروا
هذا جهاد الله يحمى عرضكم | فاسخوا عليه بكلّ علق يُذخر
فى لَنْ تَنالُوا ٱلبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا | مِمَّا تُحِبُّونَ الدليل الاظهر
وتمسّكوا بالعروة الوثقى من الصبر الجميل على القتال وذمّروا
يغنيكم التكبير والتهليل عن | ان تعملوا فيهم سلاحا يبتر
فالقوْهمُ بهما كفاحا تظفروا | وعليهم صولوا وطولوا وانفروا
واغزوهمُ بحرا وبرّا واحشدوا | ركبا وفرسانا ونسرَهمُ آنسروا
لو لم يكن منكم سوى نفر لما | غُلبوا فكيف بكم وانتم اكثر
من كل فتّاك اذا اعترضت له | يوما شُعوبٌ بل شَعوبُ يدسّر
انتم عباد الله حقا فاعبُدوا | للدّين فهو بكم يعزّ ويجبر
واحموا حقيقتكم فحفظ ذماركم | فرض عليكم ليس عنه تاخّر
غاروا على الاسلام حتى ترفعوا | اعلامه فلكم به ان تفخروا
لا تُسْمَعِ الاجراس فى اوطانكم | بدل النداء ولا ينجّسْ منبر
وليُسمعنّ اليوم فى ارجائكم | قرع القوانس بالظُبى او تخدروا
فَلَذاك اشجى من غناء مطرّب | بمسامع القوم الذين به ضَرُوا
لكن يد الله القوية معكمُ | توليكم أيْدًا فلن تتقهقروا

ما ان يقاويكم بهم من عسكر　　لو ان ملء الارض طرًّا عسكر
قد قال في الذكر المفصّل ربكم　　حقًا علينا نصرهم فتذكروا
ما الله مخلف وعده لعباده　　ان هم بعصمته اتّقوا واستنصروا
قد كان مولاكم وها هو لم يزل　　وَزَرًا لكم ايانَ كنتم يخفر
ولربما شرعوا الرماح عليكم　　لكن على انفاذها لن يقدروا
لن يعمل البتار الا ان يشا　　ء الله ما شئ سواه مؤثـــر
والنار منهم ان يُرد اطفآها　　برد فلا تلظى ولا تتسعّر
واذا يشآ يثلّ عرشهم فلن　　يستقدموا عنه ولن يستاخروا
غاروا على حُرَم مخدَّرة لكم　　قد طالما أُحْصِنّ عمن يعهر
ايقودهن اليوم علج فاجر　　وسيوفكم بدمائهم لا تقطر
ولئن يكن نجسا ورجسا مَسُّها　　فبخوضها قد حلّ ان تتطهروا
الصبر محمود ولكن حين تُنتَهك المحارم لا أَرَى ان تصبروا
لا خير في عيش يقارف ذلّة　　حاشاكم ان تفشلوا او تدبروا
شهد الاله بانه مولاكم　　ونصيركم فبحمده فاستظهروا
والله قد وعد المجاهد منكم　　فتحًا مبينا في الكتاب فأبشروا
ويبوّء الشهدآء خير مبوّأ　　جنات عدن ملكها لا يغبر
الحرب بينكم سِجال فاثبتوا　　والنصر عقبى امركم فاستبشروا
في اهل بدر عبرة لكم الا　　ياقوم فليتذكّر المتذكّر
أَبْلَوا ليرضى ربكم عنكم فمن　　أَبْلَى فعند اللائميه يُعذَر
كم بين مَن ياتي القتال تطوّعا　　ومسخّر كرْهًا عليه يُجبَر
يقتاده ويسوقه مولىً له　　فظّ زنيم غاشم متغشمر

Digitized by Google

ويبيعه لو شآء للنخّاس مع ولدٍ له وبزوجه يتسـرّر

لا عرض يمنعهم ولا كرم لهم يثنيهم فى الناس عن ان يفجروا

يتترّعون الى الفواحش حيث مع اهل المحامد فاتهم ان يُذكَروا

وكذا الطَعَام اذا عَدَتْهم مِدحةً ودّوا بايّة شهرة ان يُشهَروا

سعدوا ولكن ربّ سعد ذابح للفائزين به اذا لم يشكروا

ولعل نسرهم المدوّم واقع فمن الهلال علاه ضوء يبهر

لن يفلح العائون ما عاشوا ولا العاتون ما رغدوا ولن يتيسّروا

أوَ لم يَعُوا ما جآهم عمن طغى من قبلهم بطرًا وانّى دُمّروا

ام يعجزون الله اذ يُملى لهم عن ان يغار لقومه أن يُنصَروا

او أن يُمدّهمُ بجند لا تُرَى وبمنشئات مُخَّرٍ لا تُبْحِر

او ان تخرّمهم وهم مرحون فى أمن رخيّو البال ريح صَرْصَر

او يرسل الطير الابابيل التى قد اهلكت امثالهم لا كُثِروا

ما كان عبّاد البعيم ليغلبوا قوما على ايّاك نعبد يحشر

من كان يُرضى اللهَ خالص سعيه فى الناس فهو بكل خير يجدر

من لم يصخ اذنا لنصح وليّه ركب الضلال ولم يُفدْه المنذر

من ابطرته نعمة المولى عتا عَسْفا وغشمرة يمين ويغدر

من لم تكن تقنيه قسمة رزقه فاذا اشرأبّ الى الزيادة يخسر

من يتكل سفها على جند له دون الاله يَحِق به ما يحذر

من ظن ان يقوى بقوة باسه وسلاحه وذويه فهو مغـرّر

من غالب القهّار عاد مخيّبا مستضعفا وَكلاً يُذلّ ويقهر

من سرّه فى يومه كفرانه وافاه فى غده العذاب الاكبر

من كان يوما راغبًا فى عاجل عن آجل أُوْدِى به ما يوثر
من كان من بين الورى سلطانه عَبْدُ المَجِيْدِ فانه لمظفّر
سلطاننا الاسمى الذى سعدت به ايامنا وزهت فدته الاعصر
نشر العدالة فى البلاد فكلنا مستأمن فى ظله مستبشر
ولكلّ جيل فى ممالكه يدٌ منه وآلآء تعمّ وتغمر
ما ان عداهم عدله وامانه سيان ان هم اعسروا او ايسروا
انّا اذا اتّخذ العدى طاغوتهم ربًّا لنأتمر الذى هو يامر
لسنا نروم بغير طاعته الى الرحمن من زلفى ولا نتخير
كلّا ولا فى غير خدمتنا له عِرْض واخلاص لنا وتبرّر
كفر المبايعُ غيرَه والمعتدى بغيا وطغيانا عليه اكفر
من ذا يحاكيه عُلًى ومناقبا ومن الذى فُضْلَى جلاه ينكر
لو انه اقترح الوجود تحكّما ما زاد فيها غير ما نتنظر
من جوهر الاخلاص صوّر ذاته رب قدير كيف شآء يصوّر
ولّاه امر الدين والدنيا معا فهو الامام الحاكم المتامّر
وهو الذى بين الملوك مقامه الاعلى يكرّم هيبةً ويوقر
وهو الذى بين العباد محبّب ومعظم ومبجّل ومعزّر
يستدفعون الضر فيهم باسمه وعلى المنابر جده المتكرّر
ان قال لم يستثنِ مما قاله احد وان يفعله فهو مخيّر
ليس الفرنج مشايعى اعدائه ما هم لهم حزب ولا هم معشر
افمن يكون على هدى من ربّه كغويّ استهواه جِبْتٌ منكر
ام من له الخلق الكريم يقاس بالنكد اللئيم جبلّةً وينظّر

ام يستوى فى العرف والامكان من　　يهب الجزيل ومن يشح ويصمر

ايه امير المومنيين ومن دعا　　ايه امير المومنين فقد سُروا

سُدْ بالمعالى فائقا كل الورى　　مجدا وشانئك البغيض الابتر

وَسِعَت عوارفك العميمة سولنا　　الاقصى وما بالبال منا يخطر

حتى لقد كلّت خواطرنا بما　　اقترحت وانت منفّل لا تضجر

نطق العييّ بفرض مدحك مفصحا　　حتى الجماد يكاد عنه يعبّر

ولقد اضآ الكون مجدك كلّه　　حتى استوى فى ذا العَمِى والمبصر

نظر الطغاة اليك نظرة حاسد　　فتجرّعوا مَضَضًا بها وتحسّروا

ان يُجلبوا فالله ماحق جيشهم　　او يمكروا فلَمكرُ ربك اكبر

ان المِحال من المُحال اذا جرى　　بخلاف طِيّته وحقّ مقدّر

ما كان جمعهم سوى كِسَف هُبَت　　والشمس ليست بالهبآء تستّر

ليست فُروق لغير عرشك وهى ما　　بقيت عن الفرقان ليست تنفقر

لقب قسطنطينيّة

انت الذى بمديح وصفك تنجلى　　عنا الهموم وافقنا يتعطر

وتصحّ احلام الامانى فى غد　　اللّاهى بها والدهر انكد اعسر

ما ان يفى نظم اللآلئ مدحةً　　لك باللهى من سحب كفك تنثر

لم يبقَ ما بين الورى من ناطق　　الّا وعن آلآء فضلك يخبر

حرس الاله جنابك الاعلى ولا　　زالت عبادك فى حماه تخفر

وادام دولتك العلية ما سرى　　نجم وما زخرت كجودك ابحر

انشدت تاريخين هجريّين فى　　ختمى مديحك وهو حظى الاوفر

عَبْدُ المَجِيْدِ الله اَزكَى صده　　سلطاننا خير بجدّ يُنصَر

سنة ١٢٧٠　　سنة ١٢٧٠

Digitized by Google

القصيدة الهرفية فی مدح باریس

اذی جنّة فی الارض ام هی باریس
ملائكة سكّانها ام فرنسيس
وهل حُور عين فی منازهها تُرَی
والّا فكل حين تخطر بلقيس
وهل ذی نجوم ترجم الهمّ فی الدُجَی
عن البال ان يخطر به ام نباريس
وهل زَهرة الدنيا تری فی هوادج
تمرّ كبرق خاطف ام طواويس
نعم انها خُلْد النعيم وشاهدی
رياض وحوض دافق وفراديس
ونهر وعلّيون فيها كواعب
على سرر مرفوعة واعاريس
وفاكهة مع لحم طير ونضرة
وراح ورَيحان ورَوح وترغيس
واعمدة تحبو السحائب دونها
كان لها فوق السماكين تاسيس
هنيئًا لمن منها تبوّأ منزلا
وطوبى لمن فيها له تاج تعريس
اذا شدّة او كربة بك برّحت
فحجّ اليها فهی للكرب تنفيس

القصيدة الحرفية فی ذمها

اذی عَبْقَرٌ فی الارض ام هی باریس
زبانيةٌ سكّانها ام فرنسيس
وهل ذی نسآء فی مواحلها تری
والّا فكلّ حين تخطر جاموس
وهل ذا شرار يجلب الهمّ فی الدجی
الى البال ان نبصر به ام نباريس
وهل زفرة الدنيا تری فی هوادج
تمرّ كعير ظالع ام مطافيس
نعم انها ماوی الجحيم وشاهدی
شقيّون فی ساحاتها ومناحيس
وفسق وعلّيون فيها فواجر
على سرر مرصوعة وتناجيس
واكل من الزقّوم يخبث طعمه
وشرب من الغِسْلين يسقيه ابليس
واعمدة تلقى الشياطين عندها
كان لها فوق الخبائث تاسيس
شقآء لمن منها تبوا منزلا
وتعسا لمن فيها له تاج تعريس
اذا شدة او كربة بك برّحت
بها فانأ عنها فهو للكرب تنفيس

Digitized by Google

فتونس منها وهي تونس غبطةً
فبين المقامين اتحاد وتجنيس
وان تكُ يوما قانطا من لُبانة
فروُيتها اطلاب ما منه ميئوس
بها ما يقرّ العين من كل اربة
وما تشتهي نفس وما تالف النوس
وفي ذكر ما فيها تلَذّ لذاذةً
تطيب بها عن غيرها وهو محسوس
هي المنهل المورود من كل ظامئ
وللزائريها الخير اجمع مبجوس
هي الامن من جور الخطوب فما على
عزيز بها ضيم يُحاذَر او بوس
نعم هي من عين الزمان تميمة
فما امّها ذو عسرة وغدا في سو
فما نعمة فيها نشان بحاسد
ولا صفو لذات يقانيه تسجيس
ولا بخس ذي حقٍّ من الناس حقه
فياحسن دار حيث لا حقّ مبخوس
فلا ذامّ فيها يستبين لعائب
سوى هادم اللذات ما دونه طوس
عليها بهآء المُلك والعز والعُلى
ومنها سنآ المجد والفخر مقبوس
الى مثلها يُنضى الرشيد مطيّه

وبرّز عليها ان يفتك مبرّز
فبين المقامين اتحاد وتجنيس
وان تك يوما طامعا في لُبانة
فروُيتها ياس لما هو محدوس
بها ما يسوء العين من كل اربة
وما تجتوي نفس وما تكره النُوس
وفي ذكر ما فيها يسوء اساءة
تفوق على ما خفته وهو محسوس
هي المنهل المسموم حتف لظامئ
وللزائريها الشرّ اجمع مبجوس
هي الخوف من كل الخطوب فما على
عزيز بها الا المخاطر والبوس
نعم هي في عين الزمان قذًى فما
اتاها امرؤٌ الا ومنها غدا في سو
فما نعمة فيها خلت عن محسّد
ولا وطر الا وقاناه تسجيس
وتبخس ذا حق من الناس حقه
فياقبحها دارا بها الحق مبخوس
فلا رَوْح منها يستبين لناصب
سوى هادم اللذات ما دونه طوس
عليها ظلام الكفر والظلم والخنى
ومنها اُوار الفسق والفحش مقبوس
وعن مثلها ينضي الرشيد مطيّه

Digitized by Google

اذا كان يُلفى مثلها وتجى العيس

هو العيش فاغنم طيبه في ربوعها
فانك فيها ما اقمت لمرغوس

وانك منها لست يوما بواجد
بديلا ولو امسى وراك برجيس

وانك فيها ضارب كُرَة الأسى
بمجن بشر ليس يتلوه تعبيس

وانك منها مجتن ثمر المنى
فان بها اصل الفوائد مغروس

اذا رثّ ثوب العمر منك فانّ من
قشيب حِظاها ريّق العيش ملبوس

فبتْ آمنا فيها وقم باكرا الى
مراتع لهوٍ لم تشبه وساويس

ولا ترغبنْ عنها الى غيرها تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس

فدهرك فيها ما اقمت مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس

فآثِرْ بها ليلاً على عام غيرها
على فرض ان الليل اذ ذاك ادموس

ولا غرو ان تزداد في العمر حقبة
ففي الصفر للفرد العقيم تخاميس

لقد كنت اخشى الحَيْنَ في غير منشأى
فقدني بها بشرى اذا انا مرموس

اذا كان يُلفى مثلها وتجى العيس

هو العيش فاغنم طيبه في سوآئها
فانك فيها ما اقمت لمنحوس

وانك لا تلتقي لها من مُشابه
برجسٍ ولو امسى وراك برجيس

وانك فيها ضارب كرة المنى
بمجن ياس تلوه الدهر تعبيس

وانك منها مجتن ثمر الاسى
فان بها اصل المحارم مغروس

اذا كان ثوب العزّ عندك معلَما
فمن نغص في عيشها هو مطلوس

فبت صابرا فيها وقم باكرا الى
نعيم سواها لم تشبه وساويس

ولا ترغبن فيها ولو ليلة تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس

فدهرك في دار سواها مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس

فآثر بها ليلا على عمر بذى
على فرض ان الليل اذ ذاك ادموس

ولاغرو ان تزداد في العمر حقبة
ففي الصفر للفرد العقيم تخاميس

لقد كنت اخشى الحَين في غير منشاى
فياشقوتي فيها اذا انا مرموس

Digitized by Google

وقد طالما عللت نفسي برغدها
فبتّ ولي احلام خير وتغليس
فالفيتها يربو على الوصف حسنها
فما ثمّ اشباه لها ومقاييس
وفيها من الغرّ الكرام اعزّة
جحاجحُ ضرّابون يوم الوغى شوس
لقد فُطروا طبعا على الودّ والوفا
جميعا فما يعروهما عوضُ تلبيس
لئن سُبقوا سَبْق الوجود فانه
لَيسبقُ جسمًا ظلّه وهو مدعوس
لهم في سماء العلم شمس براعة
وفي الادب الطامي العباب قواميس
فكم فيهم من عالم متقن له
لتطليس آثار المعارف تطريس
اذا اغطشت آفاق امر فانما
يجلّيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل ذي استقامة
تقيم قوام الدهر اذ هو منكوس
وتمسكه ان لا يجور كانما
تُعدّل في كلتا يديه قساطيس
وربّ خطيب لفظه فوق منبر
يُبين ولو بُلِّغته وهو معكوس
يشقّ خفيّ الغيب عما يقوله

وقد طالما حذّرت نفسي فسادها
فبت ولي احلام سوء وكابوس
فالفيتها يربو على الوصف قبحها
فما ثمّ اشباه له ومقاييس
وفيها من القوم اللئام ثعالب
ولكنهم ان يوذَبوا اسد شوس
لقد فطروا طبعا على الغدر والجفا
جميعا فلا يغررك في ذاك تلبيس
لئن سبَقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسما ظلّه وهو مدعوس
لهم في بحور الشك خوض وطالما
تغشّتهم منه ضلالا قواميس
فكم فيهم من مدّع صَلِف له
لتطريس آثار المعارف تطليس
اذا ما انجلت آفاق امر فانه
ليخفيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل من فضوله أعـ
تدال قوام الدهر احدب منكوس
يحاول لوما ان يميل به فلا
تعدّل في كلتا يديه قساطيس
وربّ عَييّ لفظه فوق منبر
يسوء ولو بلّغته وهو معكوس
يشقّ خفيّ العيب عما يقوله

فيبصره مَن طرفه بعدُ مطموس
وكم فيهم من خيّرٍ صالحٍ له
اناآ الليل تسبيحٌ طويل وتقديس
وكم فاتحٍ منهم وما بارح الحمى
كتائبه اقلامه والقراطيس
وكم بينهم من ليث حرب اذا سطا
جرى له فيها احتناك وتضريس
حِمام اذا هيجوا حياة اذا اتّقوا
اسود اذا صالوا جبابرة هيس
اذا سمحوا لانوا وان جُسوا قَسَوا
ويَرْبُون فضلاً ان بغيرهم قيسوا
اولو همّة دانت لها هِمَم الورى
وفخرهم في ذاك كالدهر قُدموس
بشاشتهم للضيف خير من القِرَى
وما لقراهم لو تاخّر تبنيس
واكرامهم مثوى الغريب سجية
فيغدو وقد اقناه اهل وتانيس
مديحهم يشدو به كلّ رائحٍ
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
لقد اكرموا هذا اللسان واهله
فما زال يحظى عندهم وهو مدروس
وقد الّفوا فيه تآليف جمّة
وجلّت لهم فيه شيوخ وتدريس
يعزّ الفتى بالمال عند سواهم

فيبصره مَن طرفه بعدُ مطموس
وكم فيهم من فاسق عاهر له
انا الليل تجديف طويل وتنجيس
وكم طامع في الملك منهم سفاهة
كتائبه اقلامه والقراطيس
وكم من طفيليّ لكل وليمة
جرى له فيها احتناك وتضريس
حمام اذا زيْروا حياة اذا اجتدَوا
اسود اذا لاسوا جبابرة هيس
اذا سألوا لانوا وان سُئلوا قَسَوا
ويربون شحّا ان بغيرهم قيسوا
اولو جَشَع من دونه جشع الورى
وصيتهم في ذاك كالدهر قدموس
بشاشتهم للضيف في زعمهم قرى
وفي وعدهم مَيْنٌ ومطل وتبنيس
واكرامهم مثوى الغريب سجية
اذا كان ذا زوج وبالزوج تانيس
هجاؤهم يشدو به كل رائح
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
لقد جهلوا هذا اللسان واهله
فما زال يخفى عنهم وهو مدروس
وقد لفّقوا فيه اساطير جمّة
وشطّت لهم فيه شيوخ وتدريس
يعزّ الفتى بالعلم عند سواهم

Digitized by Google

وعندهم تغنيك عند الكراريس
فقل للمباريهم تحدّوا لغيرهم
فان مجاراة المجلّين تهويس
شعارهم حرّية واخوّة
وتسوية كلّ بذلك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون في القضا
وارئيسهم في اليُسر والرَفه ارّيس
ترى كلّ فرد منهم كيّسا له
مشاركة في العلم والفضل ما كيسوا
وان لهم من سيمياء وجوههم
دلائل ان الخير منهم مانوس
وان لهم رزقا كريما رضوا به
فما هم مسفّي مارب فيه تدنيس
فتحسب كُلّا حلّ صَرْحا ممرّدا
تحيّته فيه سلام وتقليس
فما نظرت عيناى فيهم صاغرا
ولا من عن الخيرات والرشد مرجوس
اراني سعيدا مُحْبَرا في جوارهم
ومن لم يزر هذا الحمى فهو منحوس
عفوت عن الايام سالف ذنبها
فقد شفعت فيها وفي الناس باريس

وعندهم ليست تفيد الكراريس
فقل لذوي الدعوى المبارين منهم
لعمري مجاراة المجلّين تهويس
شعارهم حرّية واخوّة
وتسوية لكن عدا ذاك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون في القضا
وارّيسهم في الامر والنهي ارّيس
ترى كل فرد عاتيا طاغيا له
مشاركة في الحكم مع انهم خيسوا
وان لهم من سيمياء وجوههم
دلائل ان الشرّ منهم مانوس
وان لهم رزقا حراما رضوا به
فشانهم إسفاف ما فيه تدنيس
فتحسب كلّا حلّ ماخور ريبة
تحيّته فيها سلام وتلقيس
فما نظرت عيناى فيهم فاضلا
ولا من عن الآثام والرجس مرجوس
اراني كئيبا نادما في جوارهم
ومَن زار يوما ارضهم فهو منحوس
وجدت على الايام عتبا بعيشها
فقد اخبثته والبريةَ باريس
وقد كنت في مدحي لها قبلُ مخطئا
فهذا له كفّارة وهو مركوس

Digitized by Google

القصيدة التى امتدح بها الجناب المكرم الامير عبد القادر بن محيى الدين المشهور بالعلم والجهاد

ما دام شخصك غائبا عن ناظرى ليس السرور بخاطر فى خاطرى
يامن على قرب المزار وبُعده حبّى له والشوق ملء سرائرى
ان كنتَ لى يوما فديتك وافيا ما ضرّنى ان كان غيرك غادرى
فاذا رضيت فكلّ سُخط هيّنٌ واذا وصلت فلم ابال بهاجر
واذا بقربك كنت يوما نافعى لم اخشَ شيا بعد ذلك ضائرى
يافاتنى بدَلاله وشِماله وكماله وجماله ذا الزاهر
عقلى سلبتَ ومهجتى فارددْهما لاجيد مدح شمائل لك باهرى
وليعلمَ العذّال انى صادق فى وصف حسن حلاك وصفة شاعر
يامحرقى شوقا بفاتر جفنه ارايت قبلى مُحرَقا بالفاتر
يابدر تمّ لاع قلبى حبّه ياشمس حسن قد تملّك سائرى
ياظبى انس شاق عينى شكله لكن له طبع الغزال النافر
هلّا رثيت لحالتى ورفقت بى ووعدتنى عدةً ولو فى الظاهر
كَلَمَ الحشا منى وعيدك قَسْوةً قبل الفراق بان تكون معاسرى
وفطرت قلبى بالجفا عَمْدًا فلا عجب اذا ما قلت انك فاطرى
افهكذا فعل الحبيب بحبّه ام صرت بعدى عاذلى لا عاذرى
لوكنت تدرى ما لقيتُ من النوى لرحمتنى وودت انك زائرى
مذ غبتُ عنك ارتدّ عن طرفى الكرى من بعد ما هُدىَ ارتدادُ الكافر
وازداد سقمى واستُثيرت لوعتى وبدا بحبّك ما تكنّ ضمائرى

Digitized by Google

اني وحقِّ هواك غاية مطلبي   وسنا محيّاك الصبيح الناضر
من يوم لُحتَ لناظري ما لاقني   شيءٌ ولم يملأ جمال ناظري
ما كان حسن سواك يوما شائقي   كلا ولا لحظ لغيرك ساحري
أهْوَى لاجلك مَن حكاك بشكله   لا شكله اذ ذاك دون النادر
كيف اصطباري اليوم والاجل انقضى   وابيت ارضاني بطيف زائر
وبمهجتي انّي اراه ساعة   قبل الممات معانقي ومسامري
هَبْه اتى فلقد يراني ساهرا   والطيف ليس براقد مع ساهر
انسيتَ عهدي حيث ملت مع الهوى   ولقد عهدتك ما ذكرتك ذاكري
اما انا فكما علمت على النوى   والقرب صبّ فيك غير مغاير
شيآن لست اطيق صبرا عنهما   ذكرى هواك ومدح عبد القادر
هو ذلك الشهم الذي شهدت له   كل البرية بالفَعال الفاخر
ومناقب محمودة وشمائل   مرضية ومحامد ومآثر
هو ذلك المولى الممدّح سعيُه   عند الاله وعند كل مفاخر
هو ذلك الفرد الذي افعاله   أُمدوحة البادي وفخر الحاضر
وهو المهيب لدى الملوك نزاهةً   والنازح الصيت الكريم الطاهر
من معشر العرب العريق نجارُهم   اهل المكارم كابرا عن كابر
العاملين بمحكم التنزيل في   التحريم والتحليل حزب الحاشر
الناصرين اذا دَعَوا واذا دُعوا   يا للبراز فنحرهم للناحر
المؤثرين على خصاصتهم وقد   نظروا الى الدنيا كشيء غابر
ولَرُبَّ قوم يحسبون خَلاقهم   فيها وغابرَ لهوها كالغابر
ولديهم ردّ التحية مِنّة   كبرى بها احياء عظم ناخر
يُحيي الليالي بالدعاء تهجدا   فيميت في الاعداء اي جماهر

Digitized by Google

ويروع افئدة الرجال لقآؤه حتى يخوروا عن ندآء الناصر
فى قلب كلّ محنّك من رُعْبه ما عنه يجم كلّ ليث زائر
وبكل حرف من بليغ كلامه حرف يفلّهم كحرف الباتر
الفضل شيمته وسيمته التقى للّه واسترباح اجر الصابر
يولى الندى قبل السوال وبشْره للزائريه موذنٌ ببشائر
يغنيهم عن ان يمتّوا عنده بضرورة وَخَتّهم وأَواصر
جهد الزمانَ غِلاؤه فكبا ولم يبرح لديه وفيه سَوْرة آفر
ولقد يكون النسر يومًا واقعا ويعود بعدُ الى مطير الطائر
فالله ينصر مَنْ يغارُ لدينه والله يخذل كل عات فاجر
والله عزّ يداول الايام ما بين العباد لسابق ولقاصر
سكن الامير وطار فى الدنيا اسمه ورَوَى المعالىَ عنه كل معاصر
فالعجم بين موقّر ومبجّل والعرب بين مُفاخر ومنافر
ياناصر الدين العزيز وحزبه ياخير صبّار واعظم شاكر
ياخير ناهٍ عن تعاطى مُنكَر وبخطّة المعروف افضل آمر
لا تخشَ من بأس فربّك قاهر بدعائك الميمون جيش الجائر
كن كيف شئت فانّ اجرك ثابت فى اللوح وهو اجل ذخر الذاخر
لك حيث شئت عناية صمديّة ترعى حماك ونصر ربّ قادر
فاذا مدنت فانت اعظم خادر واذا ظعنت فانت اكرم سافر

القصيدة التى امتدح بها الجناب المكرم النجيب الحسيب صبحى بيك في اسلامبول

اری الدهر صافانی ومال الى الصُّلْحِ ومن بعد حرمانی اتانی بالنُّجحِ
واصغى الىَّ الجَدُّ حين دعوته ولاحت تباشير المُنى لى من صُبْحى
اتانى على الابحار والبَرّ بِرّه باسرع من شكوى احتياجى الى سَمْحِ
فلم تكُ الاّ دعوة فاجابنى اجابةَ صِنْوٍ وهو لى سيّدٌ لَحّ
ولو لم يُجِزْنى من زمانى بفضله لاصبحت فى بؤس واسيت فى بَرْح
وجنْتُ باشجاء التمنّى فان لى لَجَرْجا مُمِضًا دونه اَلَم الجُرح
فلى فى نهارى جهد سَبْح وحرفةٍ وفى ليلتى حبس وحُرْف عن السَّبْح
اذا كنت لا اشكو اليه فمن عسى يكون اليه مشتكى الضرّ والتَّرح
ومن ذا الذى تلقاه فى الناس مُسْجحا سواه اذا اضطُرّ المضيم الى السَّجْح
خلائق لا يوفى الثناء بوصفها ولو كنت حسّان البلاغة والفَصح
اغار على اوصافه الغر انها تشاركها اوصاف آخر فى المدح
هدانى له جَدّى وقد كنت غاويًا مع الشعراء البائرين ذوى الكسح
وكان زمانى مازحا فمزحته فلمّا تعاطى الجدّ ملت عن المزح
فصار لشعرى رونق وطلاوةٌ وحُقّ له الاملاء فى ملاٍ فُصح
وقد كان فى سوق الاعاجم كاسدا مقالى واطرآء عليهم بلا ربح
فكم بتُ أُنضى خاطرى لمديحهم فقمت وبى زَنْح واعييت كالطِلْح
ولم يُغن عنى ما مدحتهم به فتيلاً وماازدادوا سوى البخل والشح
ولم ينقدوا كفّارة الكذب الذى علىّ باعلى اللوح ما هو بالمَمْحى
ولو اننى راسيّن عصرى فيهم ومِلْطن ما استسقيت منهم سوى النشح

اعظم شعراء الفرنساوية — اعظم شعراء الانكليز

فهـا انا ذو ربح ولست بمفتـر ثنآء واطـرآء وكـنت بـذا اُلحى
فحُلّ يازماني بين فوزي ومطلبي ان آسْطعتَ واستعِد الخطوب على فدحي
فلي باسمه استفتاح كلّ قضية ويمناه اقاليد السعادة والفتح
اَلا فَلْيزرني اليوم من كان مزرياً بشاني يجد كوخي اعزّ من الصرح
علا بمعاليه مقامي ورتبتي وصرت الى اقصى الامانى ذا طمح
اذا ابصرت عيناى مَن هو مُخْفق كدأبي من قبل انتحلت له نصحي
وقلت له ابشرْ بما انت طالبٌ فمن يدعُ يوما باسمه فاز بالسنح
هو الماجد النآى مدى الدهر صيتُهُ قريبٌ من الداعي على القرب والنزح
فليس على بُعد يوخّر رفده وليس على قرب يملّ من المنح
هو الحازم النحرير طلّاع اَنجُد كريم نزيه النفس ذو خلق سُجح
سليل اجلّ الخلق سامي الذرى الذى مناقبه الغرّآء تغنى عن الشرح
اميرى ومولاى الكريم وسيّدى ومَن هو بعد الله لى سند الرُكح
تظنّيت فيك الخير والفضل كلّه فحقّقت ظنّي فهو دونى فى صُحّ
اتانىَ وعدٌ عنك انّك منزلى لديك كما انزلت اهلى فى نَدْح
ولا ريب عندى ان وعدك مُنجَز وانى لا احتاج معه الى فَسْح
فهآك منى المدح خدمة مخلص فجدْ بالرضى عنه فديتك والصفح
ودم كهف عزّ للذليل وملجا لقاصده ما انجاب ليل من الصبح

شبه الجواز يقال فسح له الامير فى السفر كتب له الفسح

وكتب الى الفاضل اللبيب الخوري غبرائيل جبارة ارسلها اليه من باريس الى مرسيلية وهو اول شعر مدح به قسّيسا

قِفْ بالطلول ان استطعتَ قليلا واسال عن الركب المغذّ رحيلا
ساروا وابقوا وحشة لك دونها غصص المنون وحسرة ونحولا
طللٌ عهدت به الخلاعة والصبى وشربت فيه سلسلا مشمولا
وجررت اذيالي وتهت على المُنى واقتدت منها ما استعزّ ذليلا
وخلعت من نعم ولذّات على اهل الهوى ما كنت منه مَلولا
واحسرتاه متى يعود العيش في عرصاته والذّ فيه مقيلا
لم يبقَ الّا ذكر افراحي به ومضى كاسٍ نعيمُه مبتولا
ان غيّرت آثاره الايام او ان عطّلت اعلامه تعطيلا
فبخاطري تذكاره متجدّد ولقد يظلّ بانسهم مأهولا
من بعض حسّادي عليه الريحُ قد حامت لديه بكرة واصيلا
تبدي الحنين به وانّةَ ثاكل فازيد فيه زفرة وعويلا
تسفي تراب فنائه وكانما تهفو به لتحلّه الاكليلا
عجبا وقد بلّته مني عبرة أن صار فوق عِنانها محمولا
ام قد درت نكب الرياح بانه أوْلَى بان يثوى السمآ مقيلا
ام مثل عيني اعين الجوزآء قد رمدت فتستشفي به تكحيلا
ما كدت ادري رسمه لولا شذا عَرْفٍ اليه كان منه دليلا
نوى الحبائب للمحب اعزّ من صرح لديه لا يصيب خليلا
وسُوَيعة مع من تحب اجلّ من دهر به تلقى اخاك عذولا

قلبي السَّمَنْدل يصطلي نار الهوى وسلوّه العنقآ عزّ وصولا
لله كم منه يعذّب عاشق ولكم به يمسى البرىّ قتيلا
لو رقّ من عشقٍ كلامُ رتّل القرّآءُ قولي في الدجى ترتيلا
او لو تداوَى الناس منه بالبكا لشفيتُ كلَّ شجٍ يبيت عليلا
حاولتُ قلب القلب عن علل الهوى فاجاب انك قد ضللت سبيلا
مني ابتدآ الشوق كان وختمه بي لست عن دابي احول حوّولا
قد قانني المولى عليه كما على حبّ المكارم قان غبرائيلا
هو ذلك الحبر المهذّب خُلقه وعليه يبدو خَلقه دِلّيلا
الطيّب الاصل الكريم الفعل لن تلقاه الّا مرشدا ومنيلا
يهب الجزيل وعنده كالجزل ما يجوه جزلا غيره منفولا
المرتدى ثوب العفاف مطرّزا بتقًى يقي التحريم والتحليلا
طلق المحيا واللسان طلاقة تَدَع الاسى من قيده محلولا
يستدرك الاشكال فصل خطابه وبعلمه يستخرج المجهولا
فلكل ريب قضية ما زال مسئولا وللراجي ندًى مامولا
صافي السريرة حيث آيُ وفائه لن تقبل التحريف والتبديلا
ما ان يزال اذا دنا واذا نأى برّا نصوحا واصلا مسئولا
كانت مشورته هدى وسعادة للمستشير ونصحه منخولا
ودعاؤه في الضرّ اعظم عاصم لك فاطمئنّ به وكن بمكفولا
ليس المنيخ ببابه قَنِطا ولا من يستغيث بجاهه مخذولا
مولى تحرّى الزهد في الدنيا وقد دانت له لو شآها تبتيلا
فنجاره ما زال ملجأ لاجئ يلقى الاماني عنده والسولا
جبر الخواطر من جبارة يرتجي وبفرعه كل الفِخار انيلا

سمح الزمان بقربه لى سُبّةً ما كان احلاها وعاد بخيلا
حتى ارى قِصَر الايادى بعده ومَن آستطال بفضله مفضولا
ولقد علمتُ اوانَ كان الطرف مة صورا عليه ذلك التاويلا
مارست دهرى واختبرت صروفه فاذا به لا يستفيق غفولا
هلّا اتانى سائلا من قبل ان يقضى الفراق وكان فيه عجولا
هل من ممارٍ ان شخصا واحدا يحوى الفضائل كلّها تكميلا
ام منكر ان ليس يُذكَر سيدٌ مع ذكره الا وكان ضئيلا
ولئن أُفِض فى ذكر الآء له فاضت علىّ أُمِلّ عنه طويلا
ادب واحسان وبشر دائم وسماحة تستغرق التمثيلا
ما كنت فى مدحى له بمبالغ ما قلت الّا بعض ما قد قيلا .
ولو استطعت لكنت انظم كل درّىّ له مدحا او التنزيلا
من حاول الاسهاب فيه فانما هو موقد وقت الضحى قنديلا
بشرى لمن يحظى بقرب جنابه ولمن يقبّل ذياله تقبيلا
ولمن له يهدى التحية والثنا والحمد والتعظيم والتبجيلا

القصيدة القمارية

جمعتنا الشيوخ ما بين اصّ وكولّ وفرشخ هو شِقصى
فى مقام جيرانه لا يبيحو ن هُتاف المغلوب او بعض نبص
بعضنا شاطر وآخر غِرّ خصمىّ اثنين غابن ثم لصّ

لم اقم قطّ غالبا غير ليل   بات فيه للاصّ ظفرى كشِصّ
ظلّ سعدى يقوى على النحس حتى   خلتنى فى القمار شيخ ابن بعص
وشريكى له نشاط الى قنص   ملوك يدينها اىّ قنص
فانثنى ساحر المزوق حيرا   ن عليه تاليفه متعصّى
وبه من سماته ما يحاكى   بعضه خاتما وبعض كفصّ
بلغ اللعب منه ما يبلغ الجِدّ   والهاه عن مداراة خِلّص
فغدا بالكلام يقرص والاصبع   مَن جاد رميه كل قرص
لم يبت ليله واصبح يشكو   من دُوار امضّه مع مغص
جاره ذو السزلّات وهو انا لم   يبدُ منه فى الرمى خطة نقص
بعد ستّ واربعين ولم يبلغه   عن بندة احتجاج بنصّ
ما عليه ان كان يُغلب او يُغلَب   او لزّه الشريك بشِرص
فكره فى اختلاق اكذوبة عن   ذى علآء ما ان يجود بحِمص
يسهر الليل مطرنا فاذا ما   اصبح الصبح خار من فرط خَمَص
لو اطاق المسير من هذه الار   ض لما حلّ غير بلدة حمص
ربما ينفع التغفّل يوما   ويضرّ الانسان زائد حرص
ليس يدرى ما اللعب الا بشِعر   عنه ما عاش ليس بالمتفصّى
وبشعر من شاربيه اذا حا   ول شعرا ينحى عليها بنمص
واذا سامه امروٌ سهَرَ الليل   اتاها من غيظه بالمقصّ
لم يدعها تطول حتى تحاكى   نصّة الخود ذات ضفر وعقص
عن قريب يخضّب البيض منها   بمدادٍ او زعفران وحُصّ
ليس ينفكّ ذا ملال وشكوى   وعلى كل نعمة ذا غمص
وشريك له تربّع فى الدست   كشيخ مسائل العلم يُحصى

Digitized by Google

او كمن ينقد الدراهم للسلطان من شانه تمام التقصّى

ان يجدْ هفوة يصحْ و يولول ويُقم للجدال قيّم فحص

يبذل الاصّ بذله المال لكن ثمّ فرق فى بذل هذين اُصّى اصلى

حيث فى الاول اضطرارًا وفى الثا نى اختيارا لغير كسب ورُبص

اخذ العلم عن شيوخ مشاهير ذوى حكمة ومُحّص ولحص

لا كبعض الغواة خرّيج بصّا قين كلّ اعتمالهم عن خُرْص

ليس يدرى سوى الخديعة والمكر وما يجمُل الخداع بشخص

يفرز الغالبات فى اللعب لكن يتعاطى جدّ الامور بخبص

ليس فى حارة اليهود سواه من يُجيز الحرام والحقّ يعصى

قد حكاهم فى اكله ذات ظِلْف فوق ساق وفى الدهاء الاخصّ

ان يكن غالبا تجده طروبًا ضاحكا ذا غمز وقرص ورقص

واذا فاز خصمه ودّ لو كلّ خبير سواه باللعب مخصى

ولذات الثلث يعطو بكلتا راحتيه وللثمانى بقبص

فاغرا فاه كالذى لاح ماء ثم لم يروَ منه غُلّا بمصّ

ما لعمرى دهاؤك اليوم مُنج لك ان كدتّ شيخنا او محصّى

قد حباك المزوّقات ولكن ليس يعفيك من نكال مغصّ

انّ بعض العطاء حلو شهىّ ثم من دونه مرارة عفص

يالها زمرةً قماريّةً ما عابها جهبذ ولا حبر قص

غير كون اجتماعها خارجا عن غرفتى فالحرام فيها بقُفّص

شكلها شكل بيضة ولهذا فالمعاصى من جوفها ذات فقّص

مَن بناها اوصى بهذا وشانى كل حين امضاء عهد الموصّى

الـغـرفـيّات

انا الـولىّ على كل المـفـاليـس　　وغـرفـتـى ذى مزار للـمـنـاحيس
ياتى بهم زُحَل القوّاد سدّتـهـا　　وثمّ تصرعهم ريح الكراريس

ومنها　لا يدخلنّ مقامى ذو حجى ابدا　　فـانـما هو مـنـتـاب المـآفيك
يلفون فيه اكاذيب المديح على　　زمّارة او على نذل من النُّوك

ومنها　ياطالعا درجات قدرها مئةً　　الىّ ماذا ترجّى بعد ذا الدرج
ان كنت من حركات طالبا فَرَجا　　فانني بسكون طالب الفرج

ومنها　ما زارنى الّا خليع ماجن　　فدع الحياء اذا حضرت حصيرى
ان الحياء اخو النفاق وما صفت　　دون المجون سريرة لعشير

ومنها　يازائرى راسك آحْفظ　　من ضرب زيد وعمرو
فما بكِسرى هذا　　يصاب جابر كسر

ومنها　ايها الزائرى لفائدة لا　　ترم المستحيل ما ذاك عندى
راح علمى فى طلب الجدّ والجدّ شرود فضاع علمى وجدّى

ومنها　للناس نار بلا دخان　　ولى دخان بغير نار
فها انا اليوم منه قار　　ضيفى وفيه ابيت قارى

ومنها　ان للصالحين معجزةً ان　　يجعلوا ان شآوا الضرير بصيرا
عكسُ ذا اليومَ معجزاتُ دخانى　　انه يجعل البصير ضريرا

ومنها　تجود علىّ زوارى ولكن　　اكافئهم بَوآء وهو شانى
تُقِلّ نعالهم لى تربَ كُحْل　　فاكحلهم بشئٍ من دخانى

ومنها نَعَمْ لى غرفة عُلْيا ولكن باسفل سافلين هبوط نجمى
فكيف اطيق اصعد مرتقاها واحمل حمل اشجانى وهمى

ومنها من يكن مثلى رفيع الدرجات فهو اولى بمفاعيل السَّراة
من معاطاة فصول الشعر فى فاعلات فاعلات فاعلات

ومنها كل زوّارى ذكــــور ليس فيهم من اِناث
انما فى الكون من انثى ولا جنس الخِناث

ومنها قُصِرت عن الورى وامنت منهم سُبّة غَدْرا
فلا عجب اذا ما قلت صارت غرفتى قصرا

ومنها اذا زارنى مُلْوِ نظيرى امنته وان يك ذو جَدّ حذرتُ مِحاله
فانى أَدْرَى بالمناحيس كلهم وما فيهم مَن اجهل اليوم حاله

ومنها مَن أَوى الى بيت مثل بيتى الحَرِج
ضاق صدره سدما وانزوى مع الهمج

ومنها ولى داخل البيت جثة قطّ وخارجه صيت فيل عظيم
وقد كنت احسب أن بالعظام تكون العظام واهل العلوم

ومنها تعالوا وافقهوا عنى ثلثا تعلّمكم مراعاة النظير
خُلاقى ثم جسمى ثم بيتى صغير فى صغير فى صغير

ومنها امسى بيتى قبرا حرجًا لكن زوارى احياآء
مع انى لست ارى فيهم حيّا لى منه اِحياآء

ومنها اذا عصفت ريح ونارت زوابع وهدّت رعود والغيوم مواطر
ومادت زوايا غرفتى وتزلزلت علمت بان عندى يشرّف زائر

ومنها ارفعوا لى حاجاتكم فانا اليو مَ رفيع المقام والدرجات
ان يكن مُفْلسون فليستعيروا مُدْيتى لانتحارهم او دَواتى

ومنها يقولون انى لضنك وجارىَ قد رك شعرى وصار ركيّا
واجدرْ بشى اذا ما تبعّث من ضيّق ان يكون قويّا

ومنها مُقامى بذى الغرفه لحرمان ذى الحِرفه
فمن زارنى فيها فلا يرجُونْ تُرْفه

ومنها اصبحت فى غرفتى رهن الهموم فما يعتادنى غير اشجانى واوطارى
ارى لكل امرء انثى تؤانسه وليس عندى من انثى سوى النار

ومنها الا لا يطمعن احد لكونى صاحب الغرفه
بانّ لدىّ مادبةً له من فيضها غرفه

ومنها حقّ المُزور على الزوّار انهم يُؤتمنون له فى الصدق والكذب
وما عليه لهم حقّ ولو جلبوا اليه من سبأ وسقا من الذهب

ومنها ولى حرفتان فلا احذر البطالة عندى ان ترسخا
اصوغ القوافى فى ليلتى وفى الصبح استقبل المطبخا

ومنها طبخ المحاشى رائج فى عصرنا لكنما طبخ القوافى كاسد
من اجل ذلك صرت طباخا فما انا شاعر فالشعر شى فاسد

ومنها حوت غرفتى كتبى ورزقى كله فبرنطتى فيها عزآء وسلوان
اذا غبت عنها خلتنى افقر الورى وان جئتها اُوهمت انى سلطان

ومنها يفوح من حجرتى عَرْف الشوآء على عرف القريض ومعه عرف مَيّان
فمن يكن جائعا ينعشه اوّلها ومن يكن كاذبا ينعش من الثانى

ومنها ارى فى الحلم انى ساقط من مهدّم طاقتى فى مثل غار
فاصبح فى الفراش ولا قوًى لى فلست الى المعبّر ذا اضطرار

ومنها بينى وبين دخانى اُلفة ثبتت ان نمت نام والا فهو لم ينم
وان يزرنى امرؤ غطّى على بصرى اذ عنده رؤية الزوّار كالسقم

Digitized by Google

ومنها لى غرفة ملأى من الكذب الذى انفقته فى مدح كل بخيل
لم يبق فيها من محلّ فارغ للزائرىّ ولا مقيل خليل

ومنها قالوا نزورك حيث كنت خليلنا فاجبتهم لا ريب فيه زور
قد محّص العرفان عن اخلاقكم وخَلاقكم فلكم بذا التعزير

ومنها اقول لزائرىّ قفوا قليلا الى ان البس الثوب القشيبا
فانى فى الخليع ارى خليعا وفى لبس القشيب أُرَى اديبا

ومنها لبابى صريفٌ حين يفتح هائل يقول لزوّارى دعونى مغلقا
فهذه عَدْوَى كفكم فىّ قد سرت ولم يُعْدِكم داب افتتاحى مطلقا

ومنها كانت مقاما للكواعب غرفتى والآن صارت معدن التشبيب
ما زال فيها من عبير العشق ما هاج المحبّ الى عناق حبيب

ومنها يرانى الناس فى كِرح حقير فيحتقرون منزلتى احتقارا
فهل ياقوم عندكم المعالى علوّ مباءة تحوى حمارا

ومنها من زارنى وراى مكانى ضيقا فلبرّه صدرى يكون رحيبا
اهلا به للنار والاصلاء مع كِسَف الدخان ونعم ذاك نصيبا

ومنها طوّقت بابى بابيات منمّقة لمّا بدا عُطُلا من خير زوّارى
فصار كنز علوم غير ذى رصد تنقير اظفاره فى نقر اظفار

ومنها الا ياداخلين الىّ مهلا لاسالكم سوالا عن مزارى
االعجبكم له شكل فجئتم لتبنوا مثله دار القِمار

ومنها نعمَ المهندس مَن بنى كوخى باشكال وهندس
هو كالمثلث والمربّع والمخمس والمسدس

ومنها من جآنى تَعِبا وابصر سدّتى نسى الذى قاساه من اتعابه
فالناس تعرف من تزور اذا هم نظروا ولو لمحا الى اعتابه

Digitized by Google

ومنها لا يطلعنّ الىّ اليوم مشئوم فطالعی بضروب الشؤم موسوم
ومن يكن واحدا مثلی فليس له لطالعين احتياج قاله البوم

ومنها يحسدنی الناس علی غرفتی لشبهها اعينهم ضيقا
مع انها تحوی جهازا له طول وعرض بلغا الشيقا

ومنها قَرَوْتُ المصر بيتا ثم بيتا فلم ارَ مثل مجلسی الشريف
يردّ الشمس انْ تدخلْه كبرا لرؤيته لها فوق الكنيف

ومنها ولی فی غرفتی ادوات طبخ علی مقدار اسنانی جميعا
وان يُكسَرْ من الادوات شی اصاب الكسر اسنانی سريعا

ومنها ليس بالرفس فتح بابی ولا بالقرع فاعلم لكن بنقر خفيف
فهو من جوهر الزجاج لطيف لا يسنّی الا لكل لطيف

ومنها مقامی اوّل فی القدر لكن اتی فی الصفّ عن خطأ اخيرا
فلا تلووا علی شی سواه اذا جئتم اليه ولو كبيرا

ومنها اذا صعدت فی درجات كوخی وجاوزت الاخيرة وهی اعسر
يخيّل لی بانی طالع كی اوذّن صارخا الله اكبر

ومنها لا يرانی الناس فی غرفتی لا اری من غرفتی الناسا
ربّنا يعلم مَن لذّ من بيننا البَيْن ومَن قاسی

ومنها سمّوا علی منزلی قبل الدخول ولا تستعجلوا بعد فتح الباب واحتشموا
فانه حَرَم ذو حُرمة ولئن لم يُلفَ لی حرمة فيه ولا حُرَم

ومنها ان قلت سمّوا علی مقامی فلست اعنی سمّا يميته
وانما القصد ان تقولوا تبارك الله عزّ صيته

ومنها لا تنظرنّ ملاوصا يازائری من نَقّب مفتاحی الی اَعراضی
كالعِرْض لی عَرضی ومن ينظر الی الأعراض لم يامن من الاِعراض

Digitized by Google

ومنها بشرى لمن ينظر المفتاح في بابي دليل انى موجود بأثوابي
او لا فانى فى فرشى اغطّط او انى خرجت وامن الله اشعى بى

ومنها انا ساكن فى غرفتى متحرّك لزلازل العجلات تجرى تحتها
لكن بحمد الله ليس بواطئ من فوق راسى مَن يحاول نحتها

ومنها الى الله اشكو ما ارى تحت طاقتى امورا غدا تكليفها فوق طاقتى
ارى كل يوم الف ماش مخاصرا لانثى على انى مخاصر فاقتى

ومنها لى غرفة ما شانها شى سوى ان ليس تجرى تحتها الانهار
وغنيت عن هذا بما يجرى من العجلات تحسد مَن بها الاقمار

ومنها عجبت لكم ياقوم مع ضعف دينكم وشدة برد كيف لم تعبدوا النارا
كانى بكم تلهون عنها بحرّ من تذيقكم فى حبّها النار والعارا

ومنها شرط الزيارة من بعد الطعام على حكم المزور وان لا تمنع الشغلا
ومن يزرنى صباحا فهو فى خطر ان لا اقول له اهلا ولا سَهْلا

ومنها راوا دخان قمينى صاعدا فجرى بالماء قوم ليطفوا سورة اللهب
فقال بعض أقَيْنٌ انت قلت نعم اقين شعرا وعندى معمل الكذب

النراقيات

خليلىّ لا تستنكرا عائل الوجد اذا كنتما ممن درى لائع البعد
ولا تعذلانى فى الغرام فاننى على غير ما اهوى غريم له وحدى
ومن ذا الذى يرضى البلاء لنفسه وتزكو له حال مع الحزن والسهد

Digitized by Google

وهل ينعمنّ عيشًا مكابدُ وحشةٍ مشتّت شمل ضائع السعي والقصد
ناى سَكَني عني وعوّضت عنهم بجيرة مقت ليس قربهم يجدى
كانّ زماني شاء في كل حالة يراني فردا يالشاني من فرد
فماضي نعيمي لم يكن من مضارع له حيث هم في الحسن جلّوا عن الندّ
فماذا دهاني بعد حظ غنمته وقد كنت في عيش بقربهم رغد
وماذا على الايام لو كان طُولها له لا سواد من مطالعها يُعدى
افي الناس مثلي في مقام فوادُهُ وفي غيره جُثمانه واجدَ الفقد
وغيري اراه فاقدَ الوجد وهو في نعيم له جَدّ مُعين بلا جِدّ
وهل في سبيل الله راحم لوعة تعاودني لا بل غرتني كالجلد
وهل مبلغ عني النسيم تحية اليهم وما بي من غرام لهم يبدى
اهيم بما كانت تراه احبّتي وان يكُ من بعض الجماد او الضد
والهج بالقول الذى لهجوا به فتذكاره ذكرى وايراده وِردى
يحق لي التشبيب ما دمت شاعرا بهم لا بهند او بمية او دعد
ولو لم يكن لي مطمع في لقآئهم لآثرت توسيدي مذ اليوم في لحدى
ولكنني ارجو زمانا يسرّني بهم عن قريب وهو اشهى المنى عندى
يقولون لى صبرًا وكيف تصبّري ولست الى نور التبصّر استهدى
لعمرك سلطان الهوى قاهرٌ فما نجا من مغاويه الرشيد ولا المهدى
الا ليت دمعي حيث هم واقفون قد جرى ولدى اقدامهم قام كالسد
فيمنعهم عن ان يسيروا ويبعدوا فحسبي من سير وحسبي من بُعد
احبابنا هل ودّكم بعدُ سالمٌ وهل انتم باقون مثلي على العهد
ارى بكم الدنيا ولست اراكمُ بها انّ شاني اليومَ حَيْرة ذى الرشد
اتى العيد بالافراح للناس كلهم وما اعتادني فيه سوى الهمّ والنكّد

وما لى لا اشكو وقد طال بُعدُكم وما بيننا ما ليس يُبلَغ بالوخد
وماذا الذى ارجوه بعد فراقكم وعندى استوى شأنا الترفّه والجَهد
فياحبذا عيد انبعائى اليكم كما يُبعَث الطيرُ الغليل الى الوِرْد
ولو زارنى قبل اللقآء خيالكم وعانقته ليلاً فذلك من جدّى
اذا نظرت عينى البريد فانّ لى لَقلبًا من الايجاس يخفق كالبند
فان كان لى منكم كتابٌ لثمته واقررته من بعد ذاك على كبدى
فما كان من آثاركم فهو مؤثر على العين والعينين والعَين والنقد
فليس سواه اليوم عندى تعلّة وما غيره أُلفى لحرّى من برد
وان لم يكن تجر الدموع لما جرى وارتدّ عند كالعديم عن الرفد

وقال

اوَ ما كفانى اليوم طول تنآء عمّن احبّ ولاتَ حينَ لقاء
ياراحلين وفى الفواد مقامهم كم ذا اقول سكنتم احشآى
ولكم اعاتب سوء حظى فيكم لكن دهرى لا يجيب ندآى
سافرتم للبرء مما نالكم فمتى يكون بقربكم ابرآى
ومتى يتيح لى الزمان لقآكم ويكفّ كفّ البين عن ايذاى
شرّقتم فانا بغصّة غربتى فى الغرب ذو شَرَقٍ وذو اشجآء
يامن يرق لذى جراحٍ مدنفٍ انا ذو الجراح ملازم الادوآء
فصِفَنّ لى ما انت واصفه لمن اشفى وكن فطنا الى الاشفآء
لا يغررنّك ما ترى من بزّتى تحت القشيب طهاملُ الاعضآء

الطُهْمُل الذى لا يوجد له جم اذا مسّ

انا والذى يحيى ويفنى لست فى الهلكى أُعَدّ ولا مع الاحياء

انا ان سلت عنى الاحبّة لم اكن اسلوهم فى البوس والضرّاء

انى على ما بى ارقّ لعاشق مثلى وان هو كان من اعدائى

ما البعد يخمد نار شوقى انما بُعْد الغزالة علّة الاحماء

ما ان يحلّ حشاشتى من بعدهم حبٌ وليس يحلّ نسخ وفائى

حال الورى طُرًّا تحول وحالتى هى ما تَرى فى غدوتى ومسائى

الدمع موقوف على جَرَيانه والعين مُعفاةٌ من الاغفاء

وارى الذى مثلى بكى من فرقة مع من مناه بُعده ببكاء

عجبا لدهرى لم يزل بى مُبّصرا وصناى وارانى عن الرقباء

عجبا لدمعى مدنفى استحمامُهُ والناس يشفيهم حميم الماء

عجبا لعمرى كيف طال من النوى والارض ضاقت عن مدار رجائى

عجبا لليل الناس يسرع صبحه وصباح ليلى دائم الابطاء

تبنى الرجاء خواطرى فيه على اسّ المحال فبئس اسّ بناء

ويخيّل الشوق المقيم باضلعى لى اننى مُغْف وهم صحعائى

حتى اذا اصبحتُ بانتْ انها لى لم تكن الّا حبالَ هباء

يااهل ودّى ليس من دائى لكم عَدْوَى فعودوا وأْمنوا من دائى

سقمى من الطرف السقيم ومنحلى الخصر النحيل عَداكم اِعدائى

ما ان اكلّفكم سوى ذكر اسم مَن اهوى فحسبى ذاك عن اِسماء

لوكان يجدى الفال كنتُ اليوم من احظى الانام واسعد السعداء

اذ كل غاد باسمهم متفوّة ام ذاك وسواس الهوى الغوّاء

ام بعض ماذا الوجدُ يوجد انّه يُلْهى بمعدوم من الاشياء

ياليت قلب الناس لى او جُدّهم ان عزّ ظعنٌ فالتزام عزاء

اوليت احبابى بما بى قد دروا   فيسارعوا شفقا الى انجاى
حاشاهم ان يهجروا كلفا بهم   يكفيه ما يلقى من الاقصآء
ومع النوىّ يُرَى النوى سهلا كما   ان الدنوّ مع الجفوّ تنـآء
لهفى على زمن تولّى وانقضى   معه السرور لديهم وهنـآى
فلاىّ بثّ بعدها ورزيـة   ابقتنى الايام شرّ بقـآء
كيف التصبّر للفراق وما ترى   عينى شبيههم من الارنـآء
ان اشكُ لم اجدِ آمرًا لى مشكيا   وشماتة المشكين شرّ بلآء
واذا سكتّ توهّم السلوان بى الرّآى وذلك دون فعل الرآى
ياليت شعرى ما امال احبّتى   عنى من التحذير والاغـرآء
بَخِلوا علىّ بنفحة من فيهم   تاتى الصبا نحوى بها لشفآى
انّى استمر حديد قلبهم على   نار الهوى بى لم يَلِنْ لدعآى
العلّهم وجدوا علىّ ملامة   فارتهم الحسنى من الاسـوآ
هبنى اسات فها انا مستغفر   والعفو مامول من الكرمـآء
بُرْئى عليهم هيّن وهو الرضى   سيّان فيه من دنا والنـآى
ان لم يصرّح فيه قول فلينب   اضمار ذكر عنه فهو كفـآى
انّى بحسن القصد منكم قانع   ولئن يكن قد فاتنى ارضآى

وقال فى المعنى

اتانى كتاب من خليل منمّقُ   على كل حرف منه حسن ورونقُ
تنشّيّتُ وجدا اذ تنشّيت عَرْفه   ولِمْ لا ومنه عاطر الورد يعبق

Digitized by Google

فياحبّذا ذاك العبير وحبذا	نسيم به نحوى التباشير يسبق
الى الله اشكو ما لقيت من النوى	وحرّجوى كادت به النفس تزهق
اقمت واحبابى ابرّوا وابحروا	على غير ما اهوى وشملى مفرّق
فما زلت مذ بانوا حليف صبابة	اذا حان سُبْح كدت بالدمع اغرق
ففى قلبى الماسور ادّخر الهوى	ومن طرفى المسجور دمعى انفق
كئيب نحيل واجدٌ متشوّق	غريب عليل فاقد متشوّق
ولست بذى صبر فيُؤمَّل اجرُه	ولست بذى سلوى اليه موفق
وليس بمامون زمانى على اللقا	وهل يؤخذَنْ يوما على الدهر موثق
احنّ الى لقياهم متلهفا	اذا ما سميرى النجم لاح واقلق
وان ذرّ قرن الشمس اُوهِمْتُ انها	تبلغنى عنهم سلاما وتنطق
فانى ارى فيها علامات حسنهم	وفى كل حسن ذكرُما القلب يعشق
اعلّل قلبا بالامانى هائما	ولم يبقَ فيه للتمنّى مصدّق
يطير اشتياقًا بى اليهم واننى	اسير هوى فيهم ببينى موثق
ويخفق من ذكر اسمهم فكانما	يخيّل لى ان مضجعى منه يخفق
واسكب دمعا كان يجرى بقربهم	فكيف وباب الوصل دونى مغلق
متى يجمع الله المحبّين ساعة	وجيب النوى بعد الوصال تمزق
وربّ بعاد كان منه دوام ما	يومّل من قرب لاحبّة شيّق
فلله اسرار يعزّ بيانها	وللدهر اطوار تسوء وتونق

هذا المعنى مسروق من الفارياقية وقد تقدّمت لاشارة اليه

وقال

اموّدعى والدمع كاد يحولُ	ما بيننا ولظى الغرام تهولُ
كيف التصبّر بعد بُعْدك موحشا	وبقيتُ لا اربٌ ولا مامول

Digitized by Google

قد كان يشجينى غيابك ساعةً واخال ان قد عزّ منك قفول
والآن غبتَ على حساب صبابتى دهرًا فليل المبتلَيْنَ طويل
إن تنسَنى اذكرْك او ان تشجنى اشكرك لستَ الدهرَ عنك احول
ياليت طيفك فى الكرى يعتادنى او كان يغفى الطرف حين أُلَيْل
فلَزورةٌ منه احبّ الىّ من لذّات وصلٍ من سواك يطول
أُذهلتُ فى حُبّيك عن أَلَم النوى ولقد يريح العاشقين ذهول
انسانُ عينى انت جَيّر ومهجةً للقلب ما لهما لدىّ بديل
لوفى رضاك بذلتُ كل جوارحى كنتُ الضنينَ وما بذلتُ قليل
القاك فى كل الجمال مصوّرًا فيطول فيه منى التأميل
واذا سمعتُ بمفرد فى حسنه ايقنتُ فى هذا لك التاويل
وأَبيتُ اسال عنك سيّار الدُجَى لو كان ينفع سائلا مسئول
يافاتنى بدلاله لم يبقَ لى فى العيش بعدك بَتّةً تعليل
ما كان غيرك مالئًا طرفى ولا اعتقدَ الضمير بأَنّ سواك جميل
واذا الورى شغلتهم دنياهُمُ فانا الذى بك دائما مشغول
فيك الدليل على توحّد مبدعٍ ان عزّ عند الفلسفىّ دليل
ارسلتُ دمعى مع كتابى عالمًا ان لا ينوب عن الحبيب رسول
ياعاذلين على الهوى لا تعذلوا فبلاىَ هذا اصله التعجيل
سبق الفوادُ الطرفَ منى فى الهوى فهويت فيه فعاذلى معذول
اسفًا على وقت الوصال فيا تُرَى للبين يغدو مثله تاجيل
لولا ادّكار نعيمه لقضيتُ من وجدٍ فكم بالوجد طُلّ قتيل
ساعُ التعانق ليس يُنسى ذكرُها وخطورُها بالبال قطّ جوول
ولربّ يوم مسرّةٍ يغنيك عن عمر باكدار البعاد يطول

فَلأفطمنّ النفس عن لذّاتها وليشجنى بعد الغناء عويل
يامنكرًا لحقيقة الغول اعتقدْ انّ النوى هى فى الحقيقة غول
من لم يُذُقْ أَلم الفراق فما له يومًا الى عتب الزمان سبيل
فلكل رزءٍ غيره سلوى لذى رشد وطبٌّ بالعزاء كفيل
يالوعةَ الشوق اسكنى فى مهجتى ما فاتنى ممّن احبّ وصول
خفقانُ قلبى من سكونكِ دائم ولعلّ عن كثبٍ بلاىَ يزول

هذا ما انتهى الينا من اخبار الفارياق * مما اقتضى الان ايداعه بطون الاوراق * فمن شاء ان يدعو له او عليه فجزاؤه يوم تلتف الساق بالساق * ويقال الى ربك يومئذ المساق * فامّا من دعا له بعود زواجه هذه المّرة وفى الحياة ارماق * فانى اضمن له ان يدعوه الى مادبة حولها وفيها كل ما شاق وراق * مما ذكر فى هذا الكتاب بالانتساق

على سرر

واطباق

*



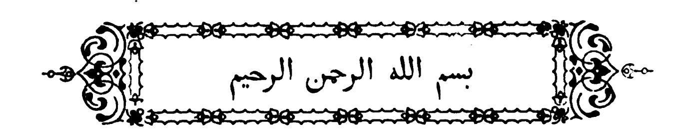
الخاتمة

تم الجزء الاول من كتاب الساق على الساق في ما هو
الفارياق ويتلوه الجزء الثاني بعد رجم
المولف او صلبه بمن الله
وكرمه امين

*



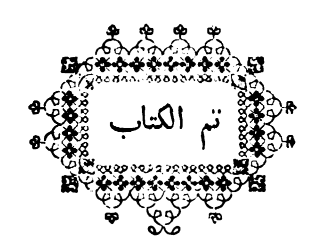
Digitized by Google



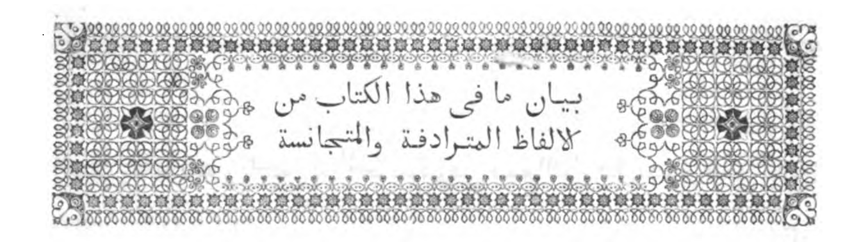
بسم الله الرحمن الرحيم

ياسيدى الشيخ محمد ياسيدنا المطران بطرس ياابونا حنا ياابونا منقريوس ياصير ابراهام يامستر نكتن ياهر شميط ياسنيور جوزتّبى هادينى انا عملت الكتاب دى يعنى الّفته لا طبعته ولا جلّدته وحطّيته بين اياديكم انا اعرف طيّب ان سيدى الشيخ محمد يضحك منه اذا كان يقراه لانه يعرف من روحه انه يقدر يعمل احسن منه ولانه يعتقد انه شى فارغ وان كنت مليته بالحروف لكن سيدنا وابونا وصيرنا ما يقدروش بل ما يقدروش يفهموه وعلى شان دى اطلب منهم انهم قبل ما يولّعوا النار حتى يحرقوه يسالوا عن الطيّب فيه وعن غير الطيّب فان كان الطيّب انقل يخلّوه لى والا يحرقوه بجلده واذا كانوا يجدوا فيه بعض هفوات فما يكونش من العدل انهم يحرقوه لان كل واحد منا فيه هفوات كثيرة والله تعالى لا يحرقنا بنار جهنم بسببها ياابونا حنّا انا احلف لك انى ما ابغضكش ولكن ابغض تكبّرك وجهلك لانى لما اسلّم عليك تلقمنى ايدك حتى ابوسها فكيف ابوسها وانت جاهل وعمرك كله ما عملت كتاب ولا موّال روحى ياسيدى الشيخ محمد انا اعرف ان كتب الفقه والنحو اجلّ من كتابى دى لان الواحد لما يقرا كتاب من دول يقطّب وجهه ويعبّس حتى يقدر يفهم معناه ومعلومك ان الهيبة والجلالة ما تكونش الا فى

التعبيس ولكن كتب الفقه ما تقولش ان الضحك حرام او مكروه
وانت ما شا الله كيّس لبيب قريت من كتب الادب اكثر مما اكل
سيدنا المطران بطرس من الفراخ المقمّرة وفي كل كتاب ادب ترى باب
مخصوص للمجون فلو كان المجون ضدّ الادب ما كانوا دخّلوه فيها
واهون ما يكون عليّ ان اقول في آخر كتابي دي زيّ ما قال غيري
ومن الله استغفر عما طغى به القلم وزلّت به القدم فنحن دي الوقت
والحمد لله صلح فاما مسيو ومستر وهر وسنيور فما همّاش ملزومين ان
يطبعوا كتابي لان كلامي ما هوش على البقر والحمير والاسود
والنمور بل هو على الناس بني ادم ولكن
هذا هو والله اعلم سبب
غيظكم مني



Digitized by Google



Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google



ذنب للكتاب

ينتظم به لآلى اغلاط الروس العظام الاساتيذ الكرام مدرّسى اللغات العربية
فى مدارس باريس

قال الكسندر شُدّزْكو (Alexandre Chodzko) فى فاتحة كتاب الّفه فى
نحو اللغة الفارسية سنة ١٨٥٢ ما ترجمته « حصلت بلاد اوربا منذ زمن طويل
» على كل ما يلزم لعلم اللغات الشرقية اذ فيها خزائن كتب ومدارس
» وعلماء جديرون بادارتها حتى انه باعتبار فن ادب لغات اسية وما يلحق
» بها من الفلسفة والتاريخ اصبح استاذ الفرس ومعلّم العرب وبراهمىّ الهند
» وبهم افتقار الى ان يتعلموا من اساتيذنا كثيرا » (انتهى) وانا اقول ان هذه
الدعوى كذب ومين وافك وافتراء وترّهة وتزوير وبهتان وابعاط وشحط
وشطط وفُرُط وهِتر وعضيهة واختلاق وزغف وتزهّف وتصلّف وتزبّب *
وان قائلها ينبغى ان يدمج مع من جهلوا انفسهم فى فصل حدنبدى لانه
جهل نفسه بل حمل غيره ايضا على الجهل بنفسه * اما اوّلا فلانه اى قائل
هذه المقالة لا يعرف اللغات الشرقية ولا يعرف مقدار ما نتف منها هولآء
الاساتيذ حتى يشهد لهم بالفضل والبراعة * وانه فى نقله للرسائل الفارسية

Digitized by Google

التى اثبتها فى كتابه ارتكب اغلاطا كثيرة فاضحة سوآء فى النقل والترجمة * فمن ذلك قوله فى صفحة ١٩٨ قانع صفصف وهى فى الاصل قاع صفصف اقتباسا من قوله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبالِ قُلْ يَنْسِفُها رَبّى نَسْفًا فَيَذَرُها قاعًا صَفْصَفًا * فلما جهل المعنى بدّل قاع بقانع وترجمه باللغة الفرنساوية بقوله ويُقنع نفسه برمل البرّية * فكيف استحلّ هذا العالم ان يملأ الكلام بالرمل واستكبر ان يسال احدا من اهل العلم عن المعنى * لكنها عادة له ولاسلافه ولاساتيذه فى انهم حين يشتبه عليهم المعنى يعمدون الى الترقيع والترميق والتلفيق * والثانى ان هولآء الاساتيذ لم ياخذوا العلم عن شيوخه اى عن الشيخ محمد والملاّ حسن والاستاذ سعدى وانما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا توثّبا * ومَن تخرّج فيه بشى فانما تخرج على القس حنا والراهب توما والخورى متّى * ثم ادخل راسه فى اضغاث احلام او ادخل اضغاث احلام فى راسه وتوهم انه يعرف شيا وهو يجهله * وكلّ منهم اذا درّس فى احدى لغات الشرق او ترجم شيا منها تراه يخبط فيها خبط عشوآء * فما اشتبه عليه منها رقّعه من عنده بما شآء * وما كان بين الشبهة واليقين حدّس فيه وخمّن فرجّح منه المرجوح وفضّل المفضول * وذلك لانه لم يوجد عندهم من تصدّى لتخطئتهم وتسوئتهم * وقد قال ابو الطيب

واذا ما خلا الجبان بارض   طلب الحرب وحده والنزالا

ولانهم انما اعتمدوا على اتصافهم بنعت مدرسين فاجتزأوا بالاسم عن الفعل وعن حقيقة ما يراد من التدريس * فان المتصدى لهذه الرتبة الجليلة ينبغى ان يكون صادق النقل متثبتا فى الرواية * متحرّجا من التهافت على ترجيح ما استحسنه هو دون مراد المولف * متروّيا فى

Digitized by Google

سياق الحديث وسباقه وقرائنه وعلائقه * مضطلعا باللغة والنحو والصرف والادب * فاين هذه الصفات كلها من هولا الاساتيذ الذين يفسدون عبارة المولف ويحمّلونها معانى بعيدة ياباها الطبع والذوق * ويوردون ما يوردون من شرحها مزابنة ومجازفة * ولعمرى لو انهم كانوا من ذوى التورّع لما تصدّروا فى هذه المراتب ولما اقدموا على ترجمة شى مرقّع مزوّر * فان كان كلامك ايها الشيخ الرمليّ فى حق هولا الاساتيذ كلام ذى جدّ فقد وجب عليك بعد قراة جدول اغلاطهم الفاضحة ان ترجع عمّا تبهلقت فيه وتزببت من دون علم * وان تكذّب نفسك فى طالعة كتاب آخر تولّفه فى نحو اللغة العربية ان شا الله * والّا فان اثم افجاسك هذا فى عنقك * فاما ان كان مزاحا واردت به السخرية من هولآء الاساتيذ المشاهير والاساطين المذاكير فهم اولى بان يجيبوك * غير انى اراهم قد سكتوا عنك * فكانّ دغدغة هرفك هذا لهم قد اعجبتهم * فما مَثَلك ومثلهم الا مَثَل ذلك الابله الذى عشق امراة ولم يقدر على وصالها حتى ادنفه عشقها وهيّمه فلم يستطع بعده حراكا * فعاده رجل داهٍ مشلك واخذ يهنّئه على قصآ وطره منها * فقال له الابله كيف وانا مغرم بها وكلما زدت شوقا اليها ووجدا زادت اعراضا عنّى وصدّا * قال قد رايتك بعينى تعانقها بالامس ثم خرجت من دارها وانت مبتهج متهلل * وراك غيرى ايضا وهم كثيرون * فان انكرت فها هم كلهم يشهدون لى * وما زال به حتى اقنعه وحمله على ان يسلوها فافاق من مرضه * الا ان بينك وبين هذا الداهى فرقا عظيما * وذلك انه انما استعمل دهآه للاصلاح * وانت انما استعملته للافساد * لان كتابك هذا ربما يقع فى يد بعض ارباب السياسة الذين يجهلون

Digitized by Google

الفارسية والعربية * ولغفلته يظن ان مشايخ مصر واساتيذ الفرس محتاجون
الان الى اخذ العلم عن اصحابك * ومتى تهوّر احد هولآء الوجوه فى ضلال
تهوّرت معه الرعية باسرها * فاما قولك ان فى البلاد الافرنجية خزائن
كتب كثيرة * كانك تقول انه يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد فى
بلادنا * لان نوّاب الدول لا يزالون يشترون من بلادنا انفس الكتب *
فهو ليس بدليل على وجود العلم عند وجود الكتب * فاين حمل الاسفار
هداك الله من العلم * لان العلم فى الصدور لا فى السطور * ولكن افدنى
ما بال هولآء الاساتيذ لم يولّفوا فى اللغات الشرقية شيا قطّ * فغاية ما
صنعوا انما هو ان احدهم ترجم من لغتنا لغة الاطيار والازهار فخمّن فيها
وحدس ما شآ * واخر ترجم محاورة يهودى سمسار واحق من التجار *
وآخر مسخ امثال لقمن الحكيم الى الكلام الركيك المتعارف فى الجزائر *
وآخر تعنّى لطبع اقوال سخيفة من رعاع العامة فى مصر والشام * وترك ما
فيها من اللحن والفساد كما هو استذراعا بقوله كذا رايتها فى الاصل *
فيظن بذلك انه تنصل من تبعة اللوم والتفنيد * فما سبب هذا التهافت
على ترجمة مثل هذه الكتب وطبع مثل هذه الاقوال من لغتنا الى اللغة
الفرنساوية سوى توحّم ملفقيها على الانخراط فى سلك المولفين * ولمَ
لم يتعنّ احد منهم لترجمة شى من الكتب الفرنساوية الى العربية ليظهر
براعته فى هذه حالة كونه شيخ طلبتها وإمام آمّيها * على ان فى اللغة
الفرنساوية كتبا جليلة القدر فى كل فن * واعجب من ذلك انه لم يخطر
ببال احد منهم قطّ ان يترجم نحو لغتهم الى لغتنا * فهل من سبب اخر
غير التحذّر من ان يعرّضوا انفسهم للتحميق والتفنيد والتحمير * فان
عبارة النحاة والمعرّبين لا بدّ من ان تكون محرّرة صحيحة ولا عذر

Digitized by Google

لهم معها ان يقولوا كذا وجدناه في الاصل * ويا ليت شعري ما الفائدة
في كون احد هولآء الاساتيذ يولّف كلاما معسلطا فاسدا في لغة اهل
حلب ويسمّيه نحوا * ثم يذكر فيه انجق بيكفي وايشلون كيفك خيّو
وهلكتاب وقوى طيب * وفي كون آخر يكتب بلسان اهل الجزائر كان
في واحد الدار طوبات بالزاف الطوبات كشافوا وكيناكل وراهي وانتينا
وانتيّا ونقجم وخمّم باش وواسيت شغل المهابل ويوالم اى يلائم وماجي
اى جآء وكلّي اى كانّه وحرامي اى بستاني والستّاش اى السادس
والدجاجة ترجع تولّد زوج عظمات وما اشبه ذلك من المشوّ * فما بالكم
ياالاساتيذ لا تولّفون كتبا بكلامكم الفاسد الذي تسمونه پتوَى * وهل
تشيرون على عربيّ اقام بمرسيلية مثلا ان يتعلم كلام اهلها او كلام اهل
باريس * ولو كان فعلكم هذا فعل رشيد لوجب ان تقيدوا جميع
الاختلافات والفروق الموجودة عند المتكلمين بالعربية * فان اهل الشام
يستعملون الفاظا لا يستعملها اهل مصر * وقس على ذلك سائر البلاد
الاسلامية * بل ان لاهل صقع واحد اصطلاحات شتى * فكلام اهل بيروت
مثلا مخالف لكلام اهل جبل لبنان * وكلام هولآء مخالف لكلام اهل
دمشق * وذلك يفضي بكم الى الهوس والى افساد هذه اللغة الشريفة
التي من بعض خصائصها انها بقيت ثابتة القواعد قارّة الاساليب
على انقراض جميع ما عداها من اللغات القديمة * وان المولفين فيها
يومنا هذا لايقصّرون عن اسلافهم الذين انقرضوا مذ الف ومايتي سنة *
فهل حسدتمونا على ذلك وحاولتم ان تحيلوها وتلحقوها بلغتكم التي
لا تفهمون ما الّف فيها مذ ثلثمائة سنة * ويا ليت شعري هل تاذن
ارباب السياسة عندكم لرجل اراد ان يفتح مكتبا يعلّم فيه الصبيان في ان

Digitized by Google

يتعاطى ذلك من دون ان يُمتحن اوّلا * فمن الذى امتحنكم انتم ووجدكم اهلا لهذه الرتبة التى هى ارفع من رتبة معلم كتاب * ومن ذا الذى عارض ما ترجمتم ولفقتم ورمّقتم بالمترجم منه * وكيف رُخّص لكم فى ان تطبعوا ذلك من دون الوقوف على صحته * ولعمرى ان مدرسا لا يحسن ان يكتب سطرا واحدا صحيحا باللغة التى يعلّمها لجدير بان يرجع الى المكتب من ذى اُنُف * على ان من هولآ الاساتيذ من لا يفهم اذا خوطب فضلا عن جهل التاليف * ولا يفهم اذا قرا * ولا يقوّم الالفاظ فى القرآة * وقد سمعت مرة بعض التلامذة يقرا على شيخه فى مقامات الحريرى ولا يكاد ينطق بحرف واحد نطقا بيّنا من هذه الحروف التى خلت منها لغتهم * وهى الثآ والحآ والخآ والذال والصاد والضاد والطا والظا والعين والغين والقاف والهآ * وشيخه ساكت لما انه يعلم ان تصحيحه له لا يكون الّا فاسدا * فكيف يمكن لمن لم يسمع اللغة من اهلها ان يحسن النطق بها * كيف لا وان من الّف منهم فى نحو لغتنا شيا فانما بنى نحوه كله على فساد * فانهم يترجمون عن الجيم بلساننا بحرفى الدال والجيم بلسانهم * وقد جهلوا انه ليس عندنا فى العربية حروف مركبة كما فى اليونانية * فان الابتدآ بالساكن مرفوض عند العرب اذا لم نقل انه ممتنع * ويترجمون عن الثآ بالتآ والسين وعن الذال بالتآ والزاى وكذا عن الظآ * فاما سائر الحروف فالعين والهآ والحآ عندهم همزة والخا كاف والصاد سين والضاد دال والطآ تآ والقاف كاف * وينطقون بالسين اذا تقدمتها حركة كالزاى وعلى ذلك قول ذلك المطران الخطيب اقطعوا الازباب كما مرّ * فاما الهمزة فانها وان وقعت عندهم فى اوائل الالفاظ فلا تقع متوسطة ولا متطرفة ولا يمكنهم النطق بها الا

Digitized by Google

مليّنة * بل اعظم مولفيهم لا يدرى ان الالف فى اول الكلام لا تكون الا همزة * وليس الغرض هنا تعليمهم الهمز فانهم همّازون * وانما الغرض ان ابيّن لهذا الرملىّ الهارف المتملّق مناضلة عن شيوخى الذين اخذت عنهم من العلم ما اخذت ان شيوخه لا يُحسَبون فى عداد العلمآء * وانه ليس من علمآء مصر وتونس والغرب والشام والحجاز وبغداد مَن هو محتاج لاخذ حرف واحد عنهم * نعم انّ لهم باعًا طويلا فى التاريخ فيعرفون مثلا ان ابا تمام والبحترى كانا متعاصرين * وان الثانى اخذ عن الاول * وان المتنبى كان متاخّرا عنهما * وان الحريرى الّف خمسين مقامة حذا بها حذو البديع وما اشبه ذلك * الا انهم لا يفهمون كتبهم * ولا يدرون جزل الكلام من ركيكه * وثبته من مصنوعه * ولا المحسنات اللفظية والمعنوية * ولا الدقائق اللغوية * ولا النكات الادبية ولا النحوية * ولا الاصطلاحات الشعرية * فغاية ما يقال انهم نتفوا نتفة من علوم العرب بواسطة كتب الّفت بالفرنساوية * فهل يسلّمون لعربىّ تعلّم لغتهم من كتب لغته بانه كعلمائهم وانهم محتاجون الى التخرّج عنه * ثم لا ينكر ايضا ان مسيو دساسى (De Sacy) حصّل بقوة اجتهاده ما اقدره على فهم كثير من كتبنا بل على الانشآء فى لغتنا ايضا * ولكن ما كلّ بيضآء شحمة * على انه رحمه الله لا يُنظَم فى سلك العلمآء المحرّرين * فقد فاته اشيآء كثيرة فى الادب واللغة والعروض * وانى طالما والله اثنيت على براعته واعظمت علمه وفضله * الا انه لما صارت مهارته وبراعته هذه سببا للفساد فانها هى التى جرّأت غيره على التصدّر للتدريس بلغتنا وسوّلت لهذا المفترى ان يتطاول على اهل العلم * كان من الواجب علىّ رعايةً لحقّ العلم واهله ان اُسطر اسمه من بين اسمآء الشيوخ فى البلاد الاسلامية كافّة * قدعا لمن تترس باسمه

Digitized by Google

واستذرع بعلمه عن الدعوى والانتحال * ولولا فحش قول هذا النقاع
المتحذلق وكذب دعواه لما تعرّضت لتخطئة احد منهم * فانى اعلم انهم
لن يرعووا عن غيّهم وما يزيدهم كلامى هذا الا غرورا * بل الشيوخ الذين
قضوا عمرهم فى طلب العلم يتورّعون من ان يقولوا مقالته * لان الانسان
كلما زاد علمه زادت معرفته بجهله * ولعل كتابى هذا يقع فى يد استاذ
فارسىّ او هندى فيكون باعثا لهما على الانتداب لتخطئتهم ايضا فى
هاتين اللغتين * لانى اعلم عين اليقين انهم فيهما اشد جهلا * لان الذين
سافروا منهم الى بلاد العرب اكثر من الذين سافروا الى غيرها * ومع ذلك
فلم يتعلّموا منها سوى الركاكة والخطل * واعلم ايها القارى العربى انى لم
اجد من بين جميع ما طبعوا بلغتنا جديرا بالانتقاد سوى مقامات
الحريرى * وانى لضيق وقتى حالة كونى على جناح السفر لم يمكن لى
النظر الا فى ابيات الشرح فقط * وقد وكلت غيرى فى نقد الباقى
كما وكلنى العلماء فى نقد الابيات * ثم عثرت بعد ذلك برحلة العالم
الاديب الشيخ محمد ابن السيد عمر التونسى مطبوعة على الحجر عن خط
مسيو پيرون وقد شحنها كلها بالتحريف والغلط مما لا تصح نسبته الى
ادنى تلامذة الشيخ المذكور * ايمكن لاحد من الطلبة فضلا عن
العالم ان يقول جوده ناسخ لكل الوجود اى لكل الجود - وان يكتب العصا
بالياء غير مرة - واعلى افعل التفضيل بالالف نحو عشرين مرة - ونجا باليا -
واتعمى المعالمون عن الضيا اى ايعمى العالمون - وامنين مطمئنين حالة
كونهما مرفوعين - وفلاحين مصر - ومحمودين السيرة - واستوزر الفقيهَ مالك -
ولا يعصا - ولا ارى سوء رايك اى لا ارى سوى رايك - و يتعدّا رايه - واثنى
عشر ملك - ومن حيث ان ابادیما والتكنياوى متعادلين لمَ اى متعادلان فلمَ -

*

وتجد الرجال والنسآ حسان - ودَعَى لنا - وعجوبة - وصواحبتها وصواحباتها - ولغة فيها جاس - وانهما متقاربتى المعنى - وحتى تاتى ارباب الماشية فيقبضون - فهل احدى منكم - ويرفعون اصواتهم بذلك حتى يدخلون - وماشيين - والمسمّيين - وحتى يشقون - ومنحنيون - وانهم يكونوا - ولا اعتاض - اى لأعتاض * او انه يجهل بحور الشعر فيجعل الكامل هزجا والطويل مديدا وما اشبه ذلك * ومن العجب ان الشيخ الموما اليه اورد هذين البيتين وهما

ابرك الايام يوم قيل لى هذه طيبة هذى الكُثُبُ
هذه روضة طه المصطفى هذه الزرقا لديكم فاشربوا

قال والياء فى هذى بدل عن الهآء * فلما قراهما بعض التلامذة على مسيو كُسّان دُ پرسُفال (Caussin De Perceval) احد المدرّسين العظام اصلح قوله طه بوطا وفسرها بوَطْ الرجْل * وابدل الهآء من قوله هذه الزرقا يآء وذلك لقول الشيخ والياء فى هذى بدل عن الهآء فانكسر الوزن * وترك لفظة الزرقا غير مصححة فان مسيو پيرون وضع بعد الالف همزة فانكسر بها الوزن ايضا * وحق وط ان تكتب بغير الف * فانظر الى الناقل والمصحح والى هذا التخليط وتعجب *

بيان ما وجدته من تحريف الالفاظ العربية فى نقل الرسائل الفارسيّة فى كتاب الشيخ الكسندر شدزكو الرملى (Alexandre Chodozko)

صفحه	سطر		
١٦٢	١	فى ما	صوابه فيما كما هو باصله *
—	٤	التيام	صوابه التئام كما فى الاصل *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
١٩٢	٩	شخامت	صوابه شهامت كما فى الاصل *
—	٢٢	به مملكت	صوابه بمملكت كما فى الاصل *
١٩٣	٠٦	عظّام	صوابه عظام كما فى الاصل *
—	١٧	استخضار	صوابه استحضار كما فى الاصل *
١٩٦	٢٣	جناب اقدسى الهى	صوابه جناب اقدس الهى كما فى الاصل
—	٢٦	خلافا الاخفش	صوابه خلافا للاخفش كما فى الاصل *
١٩٧	٤	براءُ الساعة	صوابه برءُ الساعة كما فى الاصل *
١٩٨	—	قانع صفصف	صوابه قاع صفصف وقد تقدم ذكر ذلك *
٢٠٠	—	(اول الرسالة) ومبارك سلطانه	صوابه وتبارك ليقابل قوله اوّلاً تعالى شانه *
٢٠١	١٨	مولات	صوابه موالات *

على انى لم انقصّ معارضة هذه الرسائل كلها بالاصل اذ الغرض اظهار كذب هذا المدّعى وفيما اوردته كفاية *

جدول اغلاط ابيات الشواهد فى مقامات الحريرى التى طبعت ثانية بعد وفاة دساسى (De Sacy) بتصحيح الشيخين الجليلين رينو ودرنبورغ (Reineaud et Darenbourg) وذلك سنة ١٨٤٧ فاما غلط الشرح فاكثر من ان يعدّ

صفحه	سطر		
٥	١	تَرب فى موضعين والصواب بالضم *	
—	٤	المجلَس	وصوابه بالكسر *
—	١٠	غضاباً	صوابه بغير تنوين لانه وقع قافية *

صفحه	سطر		
ح	٤	قالوا العواذل	الوجه قال العواذل فان العواذل جمع عاذلة *
—	٩	خَدَرَت	والوجه خَدِرَت *
—	١٣	في النثر ذميما	والصواب دميما *
	١٠	في صفحة العنوان تكتب	والاعرف نكتب *
٦	..	وان اصدق بيت	الاظهر احسن بيت *
١١	١٧	الكرا	والوجه الكَرَى لانه يآئي *
١٨	..	ثنّي	الاعرف ثُنَى *
٤١	..	فيُظلموني	حقه فيَظلموني *
٤٩	١٧	ياطلحَ اكرمُ من	والوجه اكرمَ من
٥١	١٥	فانه بَنتٍ	والوجه يُنَثّ *
٥٢	..	اقترحتُ العشآء عليه يوما	وصوابه اقترحت العشآ. يوما عليه *
—	..	قال لِيَ ٱلعشا	والوجه لى اَلعشا لانه اخرج مخرج الامثال فلا تتغير كقوله الصيفَ ضيّعتِ اللبن *
٢٩	..	مبرّاء	وصوابه مُبرّءا *
٧٠	..	نراه	وحقه تراه *
٧١	..	احسنُ من	وصوابه احسنَ لانه خبر ليس *
٧٥	١٣	نيل المنا	وصوابه المُنَى لانه جمع مُنية *
٧٦	١٠	الأفلاس	وصوابه الإفلاس *
—	١٢	في عُسْروفي يُسَر	وصوابه ويُسُر*
٧٨	٢١	سُلَمًا	صوابه سُلّما بغير تنوين لوقوعه قافية *
٨٠	٨	في ما	الوجه فيما *
—	—	سبيلُ	صوابه سبيلُ ومثله دليل في البيت الثاني *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
٨٢	..	رَكِدَ	صوابه رَكَدَ *
٨٤	..	وكونٌ	حقه بغير تنوين *
٨٦	١٠	جُمَّةٌ	صوابه جَمَّة *
—	—	امرءِ	الوجه امرأ *
—	١٧	فانيًا	صوابه فانيا بلا تنوين *
٨٩		ومن يلقَ ما لاقيتُ لا بد يارقُ ارقتُ فلم تخدع بعيني نعسةً	والصواب تقديم المصراع الثاني وتاخير الاول والعجب ان هذه النعسة اغمضت عين كل من دساسي ومن هذين الشيخين الجليلين فهل سمعتم يامعاشر العرب ويا امة الثقلين ان الفعل المضارع يقع عروضا من غير تصريع وان التنوين فى نعسة وامثالها نحو تعسة وجقة وحبقة وسلحة وفقحة يقع قافية اليس قوله ومن يلقَ مفرّعا على المصراع الاول ومخرجا مخرج المثل *
٩٢	١٩	البلاقعُ	صوابه البلاقعا بالاطلاق لكونه قافية *
٩٣	١٣	بدنًا	صوابه بدنا بغير تنوين وهلّا انتبه المدرسون لذلك بقوله فى العروض أنا *
٩٧	٢٢	اليهُم	ما سبب هذا التبلتع*
١١٠	١٨	يغدوا	صوابه يَغْدو وفيه مهمومٍ ومهدومٍ وكلثومٍ والصواب حذف التنوين منها *
١١١	٧	ارءف	حقه أَرْأَف *
—	٩	بُنَةُ	صوابه آبِنة *
—	١١	مجذب	صوابه مجدب *
١١٣	١٧	مراحًا ـ مفاحًا	صوابه بغير تنوين *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
١١٥	..	متيّمٌ اثرُها	صوابه اثرَها اذ كيف يصح نسبة التتيّم للاثر واعجب من ذلك تنوين متبول ومكبول فكيف تفعلون يااساتيذ بالغول ارايتم كيف يُوقع التحذلق فى المخازى مع ان قصيدة كعب اشهر من نار على علم *
١٢٣	١١	شيًا	والصواب شيّا ليوافق قوله يديّا وحيّا *
١٢٤	..	الآدبُ	والصواب الادبَ لانه مفعول لقوله لا ترى *
١٢٥	..		جميع قوافى القصيدة المسمّطة ينبغى ان تكون مقيدة
١٣٢	..	دَنى	الوجه دنا لكونه واويّا *
١٣٤	٥	كتمانى	صوابه كتمانِ *
١٣٧	..	ناصبِ	صوابه ناصبِ *
١٤٦	١٦	نُثنى	صوابه نَشنى *
١٤٧	..	أسْفار	صوابه أَشْفار فما للأسفار هنا وللعين يا ايها المبصرون *
١٥٢	..	حسرانًا	صوابه حسرانا بغير تنوين *
١٥٨	١٦	صَناعة	صوابه بالكسر *
—	٢٥	مظهرًا	صوابه بغير تنوين *
١٥٩	٢٦	سَنّا	صوابه سَنّى *
١٦٩	١٢	ورُبّتْ	حقه وربّتَ *
١٧٤	١٣	خُمْسُ كفّك	صوابه خَمْس *
١٧٧	..	بُكور	صوابه بالضم وفيه ايضا تشميتًا وصوابه بغير تنوين
١٧٩	..	فى الدعوةِ — الى الجفوةِ	والصواب الوقوف على الهاء *
١٨٣	١٧	خِيارهم	صوابه بالكسر *
—	١٨	تَسْأَلْ فَسَلْ	الوجه تسألْ وَسَلْ *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
١٨٣	٢١	وعُجبه	صوابه بالفتح *
١٨٥	١٣	المنطَق	صوابه بالكسر *
—	١٦	عنه	الوجه منه *
١٨٩	..	البَصْرِ	الوجه البَصَرّ *
—	..	نجئ مكررة مرتين	صوابه نجئ *
—	..	فطورا	صوابه وطورا *
—	—	بحمئة	صوابه بحماة *
١٩٥	١٣	دنى	صوابه دنا *
١٩٩	..	المِشتاة	صوابه الفتح *
—	..	ينتقرُ	صوابه ينتقرّ *
٢٠٤	٧	جُمّة	صوابه جُمّة *
—	..	غمامِ — زنامِ	صوابه بغير تنوين *
٢١	١٢	لاقِى لاحبّةِ	الوجه لاقَى لاحبّةَ *
—	١٥	أبغِض	صوابه أُبْغِض *
—	١٨	اليهِمُ	هى من التبلتع بمكان *
٢١٥	..	إن	الوجه أن *
٢١٨	٢٤	صروفه	الوجه صروفها الا اذا كان الضمير يرجع الى مذكور قبله
٢٢١		قُنبُرة	الاولى قُبّرة * البيت فى اخر الصفحة *
٢٢٢	١٨	يمنعَ — فترتعَ	صوابه يمنعُ فترتعُ *
٢٣٢	١٧	يصنعُ	حقه يصنعِ *
—	١٨	بدوه	صوابه بدُوّه *
٢٣٦	..	أَرْبِهِ — أَدْبِهِ	صوابه أَرَبِهِ أَدَبِهِ *

صفحه	سطر		
٢٣٧	..	وانّ منّى لوّا الوجه وان لوّا عنآه وكانه ظن ان عنآء هنا جار ومجرور وان تاخيرها عن لوّا يكسر وزن البيت فابدلها بمنّى وجعل الضمير مفردا *	
٢٣٩	١٣	ياعابثَ الفقر	حقه ياعائب الفقر مع ان لفظة العيب المذكورة في المصراع الثاني تهدى الاعمى الى فهم البيت ولكن اساتيذنا يحبّون العبث *
٢٤٥	٢٣	انّما	حقه أنّما *
٢٤٧	١٤	قوسًا	حقه قوسًا *
٢٤٨	١٢	منَ آبن	حقه منِ آبن *
—	—	مامةَ كعب	حقه مامةِ للاضافة *
٢٥٢	..	ولَهًا	صوابه ولَها اى ولها عليه رنين *
٢٥٥	..	المقانعَ	صوابه المقانعا *
٢٥٨	١٩	تَسْلمْ مِنْ أنْ	صوابه تَسْلَمْ منَ آن بحذف الهمزة للوزن
—	٢٣	تُجَرّبْ سبيل القصد	حقه تُحَرّ فتصحفت الكلمة على الجميع والذى اوقعهم فى ذلك قول الشاعر فى البيت الثانى لم تجرّبْ * وقوله ولا تُنسىَ الظنا حقه تسيّىَ فينكسر الوزن وقوله لدى الخَبر حقه الخُبْر اى الاختبار
٢٦٠	..	ضَلّتْ	صوابه ضَلّتِ *
—	..	بَرغوثا	صوابه بُرغوثا — لولّتْ صوابه لَوَلّتِ فليراجعها الاساتيذ فى محلّها فاما فتح البرغوث فهو عجيب من امثالهم اذ ليس فى الكلام فَعْلول الّا صَعْفوق *
٢٦٢	..	تَهامة	صوابه تِهامة بالكسر *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
٢٦٣	٧	الكاسِ	صوابه الكاسِى *
—	٨	فانك انت الآكل اللابسُ	صوابه اللّٰبِسى من لسا اى اكل اكلا شديدا فكيف يمكن ايها المدرسون العظام ان تكون اللابسُ قافية مع الكاسى مع انهما بمعنى واحد فان الكاسى هنا من كسِىَ لازمًا ولو كان من كسا المتعدى لكان مدحا وهو غير مراد افلا تشعرون *
—	٢٤	يحفِظ	صوابه يحفَظ *
٢٦٤	١٨	ممكِنا	صوابه ممكّنا *
٢٦٧	١٨	وهَنُ	صوابه بالفتح *
٢٦٩	٢٣	قُلِبَ	حقه قُلبا *
٢٧١	١٥	شتّانِ	حقه شتانَ *
٢٧٦	٢٠	اللهُ	صوابه اللهَ *
٢٧٩	٢١	قبلُنا	صوابه قبلَنا *
٢٨٠	٢٣	لا يستقيم البيت بقوله وتُنقَب فلا بد من ان تكون وتنتقب *	
٢٨٧	١٩	وعَمرى	الاولى بالضم فان الشاعر غير متنطّع *
٢٩٣	٢٢	وشُرب	صوابه بالفتح *
—	٢٤	لجهنّمُ	صوابه فى جهنّمٍ فليراجع *
٢٩٥	١٤	المُغزّل	صوابه المِغزَل *
—	١٥	ويَعرى استه	الاولى ويُعرى استه *
٣٠١	—	فانك الطاعم	صوابه فانك انت الطاعم *
٣٠٣	١٩	والدَرّ	صوابه والدُرّ *
٣١٢	..	ضَبارم	صوابه بالضم *

**

صفحه	سطر		
٣١٦	..	قبلُهُ ــ بَعْدُهُ	صوابه قبلَهُ ــ بَعْدَهُ البيت بآخر الصفحة *
٣١٩	..	دُرْنا دُرْنى	الاولى الاقتصار على احداهما *
٣٢٣	٢٧	جلاجلَ	صوابه جلاجلِ فان ذا الرمة لم يكن من المتبلتعين
٣٢٤	١٢	جلاجلَ	عين ما تقدم من اللهوقة وفى البيت الاول نظر
٣٢٦	١٦	ويُسهِرُ	صوابه ويَسْهَرُ . وحَرّاها الظاهرانه جرّاها *
٣٢٩	١٧	صَيْلة	صوابه صَيْلة *
٣٣٢	١٩	مُنْجا	صوابه مُنْجَى *
٣٣٨	١٢	حُنانَيْك	صوابه بالفتح *
٣٣٩	..	الى خيبرا	لا يستقيم به البيت فلا بد من ترقيعه بلفظة سوق او نحو ذلك *
٣٤٢	١٨	مرتهِن	صوابه مرتهَن بالفتح *
٣٤٣	١٨	غُرَّب	صوابه غُرَّبِ *
٣٤٤	٢٠	فآخَر	صوابه فآخِر بالكسر *
٣٤٦	٨	ظَفرت	صوابه ظَفِرت بالكسر *
—	٩	القرونُ	الوجه بالفتح وقوله مَنآبِيا ملفوت *
٣٤٧	..	فى ابيات المتنبى لهوقة كثيرة *	
٣٤٨	..	وقبلُك	صوابه وقبلَك قد تكرر ذلك غير مرة ولا ادرى كيف يصح رفع الظرف عند الاساتيذ *
٣٤٩	..	ايّما	صوابه ايّما وقوله الرزّ لعله بالفتح وهو صوت السماء
٣٥٠	٥	أَوْ أَشْرَخَ	حقه أَوَ آشْرَخ *
٣٥٣	..	غَنِيت فى الخدر عُشرا	الظاهر غُيّبت فى الخدر عَشْرا *
٣٥٣	..	والأنس	صوابه والإنس بالكسر *
—	..	عنه	حقه منه *

صفحه	سطر		
٣٥٨	٢١	يغشون حتى ما تهرّ	صوابه تهرّ *
—	—	السّواد	صوابه بالفتح *
٣٦١	١٣	إنّ	صوابه أنّ *
٣٦٦	..	امن تذكر جيّرانَ	صوابه جيّرانٍ *
٣٦٨	..	النُّعما	صوابه النُّعمى *
٣٧٠	١٨	يسلِم	صوابه بفتح اللام *
—	٢٥	اِنى	الوجه اُنى *
٣٧٣	٩	ركَبت	صوابه ركِبت *
٣٧٨	..	سريعةُ	حقه سريعةِ البيت بآخر الصفحة *
٣٨٧	٣	محتقِرا	صوابه محتقَرا اسم مفعول *
—	٥	إنّ العزّ	صوابه أنّ *
—	٦	بلوغُ	صوابه بالفتح اسم انّ *
٤٢٥	٢١	اغيدَ	صوابه أغيدِ للوزن وكان ينبغى للاساتيذ ان يفطنوا لذلك لقول الشاعر فى القافية احورِ *
٤٣٣	١٢	ظفرِكَ — امرِكَ — بقدرِكَ	والصواب فيها كلها الوقف بالسكون على الكاف *
—	٢٣	فالنَّعْشُ ادنى لها من ان اقول لَعا	والصواب فالتعس فان مراده أنّ اقول لها تعسًا اولى من قولى لَعا وانما تهور الاساتيذ فى ذلك لذكر النعش قبله حيث قال ويقال لا لعا لفلان اى لا اقامه الله من عثرته ولا نعشه غير ان العبارة صريحة فى ان لعا ونعشا بمعنى واحد فكيف يتخرج قوله اذا فالنعش ادنى لها من اقول لعا *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
٤٣٨	١٥	نَسبتى	صوابه بالضمّ او بالكسر *
٤٥٢	١٣	وحُبَّ بها مقتولةٍ	صوابه مقتولةٌ *
—	٢٥	فاظهِرَ فى الالوان مِنْ أُلدَّمِ الدَّمُ	وهى عبارة مختلة لا يستقيم بها وزن البيت فلا بد من ترقيعه بلفظة ذا بعد قوله مِن او نحو ذلك والا فكيف يسوغ تسكين نون من وبعدها اداة التعريف *
—	٢٧	آدَمُ	صوابه آدمِ للوزن وفى المصراع الثانى نظر *
٤٥٥	٥	أغلى السّبآء	صوابه بالكسر *
—	—	خَتامها	صوابه خِتامها *
٤٥٩	١٩	كُلَّا	حقه كلّا *
٤٦٣	١٨	زُبرقان	والصواب بالكسر *
—	..	قبلُك	والصواب بالفتح وهذه خامس مرّة فهل تتورّكون على الطبّاع كما هو شانكم اليوم وفى قوله عَوّلَ نظر *
٤٧٧	١١	تعاقَبْ	صوابه تعاقِبْ *
—	١٩	الأُنثى	حقه التليين للوزن *
٤٨٠	٢٥	ضُوء	الوجه بالفتح *
٤٨٤	٢٤	البُسَيْطة	صوابه البَسيْطة فاما المصغّرة فلا يدخلها ال *
—	٢٥	زُجاج	الوجه بالضم وكذا قوله سابقا الضَرّ *
—	٢٨	قبلُه	صوابه بالفتح لكونه ظرفا لكونه ظرفا لكونه ظرفا فهل تتورّكون على الطبّاع *
٤٨٧	١٩	يبدو محاسنه	حقه تبدو *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
٤٩٣	١٩	مناهِلُ	صوابه مناهلَ لكونه وقع عروضا فليراجع *
—	..	وفى البيتين الاخرين تلهوق وخروج عن الفصيح *	
٤٩٤	..	فى بيت المتنبى تنطّع * ويالكِ من خد اسيل فى البيت الاخر صوابه ويالكَ *	
٥٠١	..	اشتوا	صوابه شَتَوا وقوله مثلُ حقه بالرفع *
٥٠٣	١٣	جَنابِى وخَياره	صوابه جناىَ وخِياره *
٥٠٨	٢٢	لِذُوى الالباب وذى	صوابه لذَوى الالباب او ذى *
٥٠٩	١٢	والنّجح	صوابه بالضم *
—	١٣	تُنقاذف	صوابه بالفتح اصله تتقاذف حذفت التآ الاولى للتخفيف *
—	١٩	وكلَّ يوم	صوابه وكلّ منصوب بحذف الخافض *
٥١٥	..	خِندَف	صوابه خِندِف البيت بآخر الصفحة *
٥١٦	٦	يُفنى	صوابه يَفنَى *
—	١١	معتَب	صوابه معتِب *
—	٢٢	كِثرة	صوابه كَثرة *
٥١٧	١٥	بنُ	حقه بنَ *
٥٢٠	٢٢	فُنّ	صوابه فَنّ *
—	٢٩	نُفذت	حقه نَفذت *
٥٣٢	٥	خَدَع	الوجه خُدَع *
—	١٠	وعصرةُ	صوابه وعصرةٍ *
٥٣٥	٦	نَساق	صوابه تُساق *
—	١٠	مِثلَ فِیء	صوابه مثلُ فَیْءٍ *
٥٣٥	١٤	قنَعوا	صوابه قنِعوا *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
٥٣٨	..	عُزَى	صوابه عُزّي *
—	..	•الشّرك تعلِمه	صوابه الشِرك تعلَمُه *
—	..	عِماها	صوابه عَماها العَمَى بالفتح يااسانيذ *
٥٣٩	..	تُجهَل	صوابه تَجهل *
٥٤١	١٩	كانوا الاكارمُ	صوابه الاكارمَ * وفى البيت الثانى لهوقة *
٥٤٢	..	المغيظ المحنَق	حقه المحنِق بمعنى الحاقد فاما المحنَق فانه بمعنى المغضَب فيكون بمعنى المَغيظ *
٥٤٨	..	فُمى	صوابه فَمى البيت بآخر الصفحة *
٥٤٩	٩	تُنْكَر	صوابه تُنكِر *
—	—	ابتَلَيْت	صوابه ابتُلِيْت *
—	١٩	غدتْ بنتَ	الوجه بنتُ *
—	٢٤	قَبلُ	صوابه قبلَ لكونه ظرفا لكونه ظرفا لكونه ظرفا وهذه سابع مرة فهل تتوركون على الطبّاع *
—	٢٥	الزَبْد	صوابه الزُبْد وقوله ياعقارُ فيه نظر *
٥٥٥	..	أَنس	صوابه إِنس *
—	..	يحمَدُ	صوابه يحمُدُ وقوله خِمسا قبله فليراجعْ *
٥٦١	..	فوق رؤسِهِمُ	حقه رُؤسِهِمِ ومثله كثير فى هذا الكتاب *
—	..	جلّال	حقه اجلال *
٥٦٦	..	لم يَلُذّ	صوابه يَلِذّ لان المضاعف اذا جاء لازما تكون عينه مكسورة الا فى احرف نادرة *
٥٦٨	..	لأَسْقيهِمْ	صوابه لأَسْقِيَهُم البيت بآخر الصفحة *
٥٦٩	..	فيعرُض	حقه فيعرِض *
٥٧٠	٢٣	كِلامَ	صوابه كَلام *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
٥٧٥	١٤	وزهد	صوابه وزُهّد *
—	..	يساوي	صوابه يساوِى *
—	..	نحومبرّد	حقه المبرّد *
—	..	هاكها	صوابه هاكَها *
—	..	تطنّ	الوجه تطِنّ *
٥٩٠	..	تفهموا	صوابه تفهَموا *
—	..	ذوو	صوابه ذَوُو وكانّ الاساتيذ قاسوا الجمع على المفرد
—	..	بالِ	حقه بالْ فان القوافى كلها مقيّدة *
٥٩١	١٣	تعلمِ	صوابه تعلَم *
٥٩٧	..	بالمُشرفىّ	صوابه بالفتح *
٦٠٨	٢٣	أرْحَمْ	صوابه ارْحم *
٦١٠	٢٢	ويُحْسَنُ دلّها	صوابه ويَحْسُنُ دَلّها *
٦١١	..	اكارعَه	حقه اكارعُه *
٦١٤	١١	قبلَ الاَجَلِ	صوابه من قبلِ الاجل ليستقيم الوزن *
—	١٣	لَيْلاً	الوجه لَيْلَى *
٦٢٦	..	جُعِلنا عوارضُ	صوابه عوارضُ البيت باخر الصفحة *
٦٢٧	..	يُنْضَحان	صوابه يَنْضَحان *
—	..	واصبُرْ	صوابه واصبِرْ وكذا فى الثانية *
٦٢٨	..	يجيءُ	صوابه يجى مليّنة للوزن *
٦٣٣	١٠	جَسْم مكررة مرتين	والصواب جِسْم *
—	..	فى الابيات الاخيرة منع مسلم من الصرف اولى من كسر البيت	
٦٣٣	١٠	وقوله باردِ	صوابه بالتنوين والطّهور بالفتح لا بالضمّ *
٦٣٥	١٥	الاشقينَ	حقه الاشقِينَ *

Digitized by Google

صفحه	سطر		
—	..	مطبخه	صوابه مُطَبَّخَة وساباطَ حقه بالكسر او بالالف *
٦٣٩	..	نائلكَ	حقه نائلكم لانه واقع عروضا *
٦٤١	..	سعادُ	صوابه سعادُ واثرُها صوابه بالفتح وهذه ثانى مرّة
٦٤٥	١٠	ضُرغام	صوابه بالكسر *
—	١٣	ومصابحُ	صوابه مصروفا لوقوعه عروضا *
—	١٩	ودارَ وفارَ	حقهما السكون للقافية *
٦٤٦	..	السِعلات	حقه السعلاةِ وعمرُو بنُ مسعود شرارُ الوجه فيها كلها النصب *
٦٤٩	١٥	اربعةً	ص اربعةً وفى جبرئيل تلهوق ونَصْل حقه فَصْل *
٦٥٠	..	تزوّجَ ابنُ	الرواية نزوّجُ ابنَ *
٦٥٣	..	مُعاذ الله	صوابه مَعاذ *
٦٥٨	..	شديدُ	الوجه بسكون الاخر *
٦٦٠	..	تريْنَ	صوابه ترَيْنَ واعلِم صوابه واعلَم *
—	..	من الحرفةِ	الوجه من الحِرفَةْ *
٦٦٢	..	وطيًا	حقه وطيسًا *
—	..	فقصرُكما	صوابه فقَصْرُكما اى غايتكما ومصيركما
—	..	وتَلِدَ	صوابه تَلِدا *
٦٦٢	..	فتًى هواحيا	الرواية كان احيا *
٦٦٤	..	لعلّ اللهُ	صوابه اللهَ البيت بآخر الصفحة *
٦٦٨	..	يُخزنى	صوابه يُخزنى *
٦٦٩	..	مزيدُ	صوابه مزيدٍ لوقوعه عروضا *
٦٧٢	..	أحَبَّ	صوابه أُحِبَّ *
٦٧٤	..	شوامش	صوابه شوامس وشوامس الثانية ينبغى ان تكون

Digitized by Google

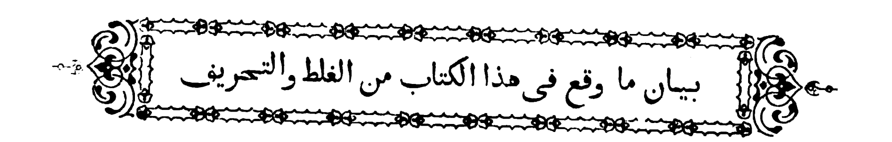
صفحه	سطر		
		مجرورة بالكسرة او بالف الاطلاق *	
٦٧٨	..	خُبزُهُ	صوابه خُبزَهُ *
٦٧٩	١٤	شيا تُجَرّ	حقه يُجَر *
—	٢٢	اخفّ	صوابه اخفَّ *
—	٢٣	وابصُر	صوابه وابصَر *

وما زال الشيخان ماشيين على هذه الطريقة الى آخر المقامات ولو تقصيت كل ما وقع من الغلط والتحريف فى المتن والشرح لكان مقدارا عظيما وكفى بما اوردته شاهدا على علميّة المشار اليهما وكذب دعوى صاحبهما فاما ما انتخبه الاستاذ الاعظم مسيو كُسّان دُ پرسْقال من قصة عنتر وما الّفه فى كلام اهل حلب وما نقله غيره ايضا من الحكايات السخيفة الركيكة فغير جدير بان يضاع فى نقده الوقت اذ كله فاسد *

تم الذنب

تنبيه من عادة الاساتيذ المزبورين ومن اشبههم ممن الّف فى العربية شيا ان يعتذروا عن اغلاطهم الفاضحة بالتورّك على الطباع او على صفاف الحروف بان يقولوا ان وقوع الغلط انما ينشأ عن جهلهما باللغة كما ذكر لى ذلك الكنت الكس دكرانج (Alix Desgrange) نقلا عن الاستاذ كسان دُ پرسقال وهو عذر اقبح من ذنب فان الصفّاف كيفما وجّهته اتجه ومهما ترسم له يمتثله ألا ترى ان مسيو پيرو (M. Perrault, rue de Castellane, 15, Paris) مع كونه لم يعرف من اللغة العربية شيا فقد امتثل كل ما رسمنا له فى كتابنا هذا من التصحيح والتبديل بغاية التانّى وبذل مجهوده فى صف الحروف وجودة الطبع حتى جآ بحمد الله احسن ما طبع بلغتنا فى البلاد الافرنجية فلهذا ننوّه باسمه عند كل من شاء ان يطبع شيا بالعربية ولا شك انهم يحمدون سعيه ويرضون عن صنعه وان لم يكن فى المطبعة السلطانية وكفى بحسن العمل وصاة *

***



بيان ما وقع فى هذا الكتاب من الغلط والتحريف

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
٣	٣	السبل	السبيل *
على الحاشية ١١		الفيرزابادى	الفيروزابادى *
١٣	١٤	فدير	قدير *
١٥	٢	طُفئت	طَفئت *
—	٣	بحيت	بحيث *
٢٣	٨	الدينا	الدنيا*
٢٥	١٢	بوه	توه *
٣٤	١١	فد	قد *
٣٨	١٤	الياك	اليتاك *
٥٩	١٠	حى	حتى *
٦٤	١٤	عَتْول	عِتْول *
٧٩	١٠	هنشا	هنيئا *
٩٤	١٥	بحسث	بحيث *
٩٥	٨	فبيحة	قبيحة *
١٠٤	٤	رؤمة	رأمة *
—	—	نشزة	نشرة *
١٠٦	١٨	الرَتْم	الرَتَم *
١١٨	٢١	الباقر	البَقّار *
١٤٢	٩	وأُعفيت	وأَعفيت *
١٥٣	٢٠	الجَلاهق	الجُلاهق *
١٦٧	٣	هُبَيْخاها	هُبَيَخاها *
—	٤	جَيَضاها	جيضاها *
—	١٢	ورَسْمها	ورَسَمها *
—	١٣	عتكانها	عيكانها *
١٦٨	٧	معرزنما	معرنزما *
١٧٦	٥	الوجوع	الرجوع *
١٧٧	٤	وانما	فانما *
١٨٤	٢١	النجثيين	النجشيين *
١٩١	٤	هُزْمة	هَزْمة *
١٩٦	١٤	اقضى	اقتضى *
٢٠١	١٣	والجحش	والجحش *
٢١٠	١٧	كانّ	كانّ *
٢١١	٧	الى	لى *
٢٢٣	٢٠	المقصود	المعصود *
٢٣٠	٦	امّ دِفار	امّ دَفار *
٢٤٣	٢٠	وهَبَّيخة	وهَبَيّخة *
٢٥١	١	الستطبة	السَنْطبة *
٢٥٣	٤	دَعْصا	دِعْصا *

Digitized by Google

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
٢٥٣	١٠	ابو بَراثل	كذا هي في نسخة القاموس التى عندى بالفتح الان قوله البُراثل كعُلابط ما استدار من ريش الطائر حول عنقه يقتضى انه مضموم *
٢٦٥	٨	الباقر	البَقّار *
—	٢٠	العرز	والعرز *
٢٦٩	١٦	والطِبْن	والطُبْن *
٢٧٢	٤	فيطبج	فيطبخ *
٢٧٥	١٥	والقيصائة	والقيصانة *
٢٨٢	١٥	السَكركة	السُكركة *
٢٨٤	٢٠	صفيطية	صِفيطية *
٢٩٥	٥	والنُطفة	والنُطَفة *
٣٠٠	٤	والنَذل	والمَنْدَل *
٣٠١	١٠	والقَدا	الى النَّدا *
—	١٤	الصُراحيّات	الصُراحية *

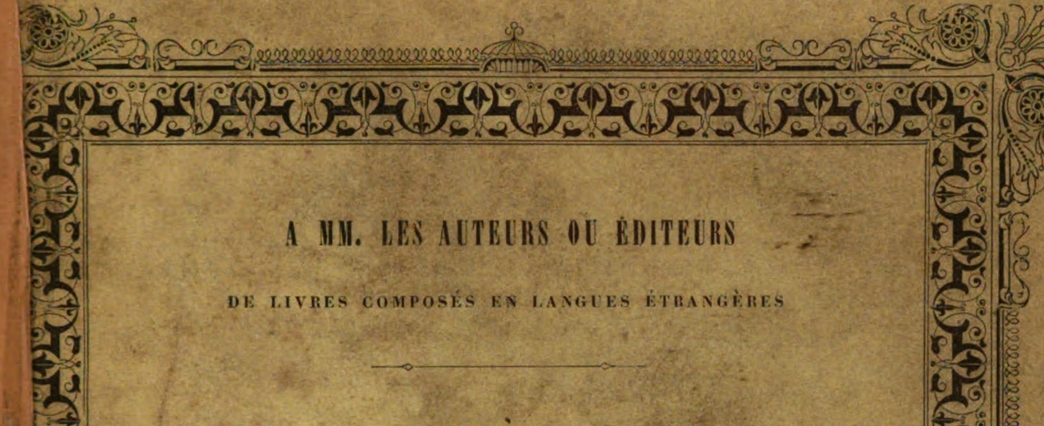
صفحة	سطر	الغلط	الصواب	
٣٠١	١٦	كالاباريق	كالابريق *	
٣٠٦	١٤	البَلَنّط	البَلَنّط كجعفر *	
٣١١	١١	الثوب المخطط	ثوب مخطط يمان	
٣٢٧	١٥	مآمما	مآهما *	
٣٣٣	٨	تملقهلها	تملقهاله *	
٣٤٥		والنَّظَف	والنَّطَف *	اخر سطر
٣٧٥		سِيفَنية	سِيفَنّة *	على الحا
٤٤٣	١٣	البادىّ	البادئ *	
٤٤٤	١٧	تبجحهم	تبجحهم *	
٤٥٥	٧	كل ما	كلما *	
٤٦٤	٢	عمناس	عَماس *	
٤٦٩	١٢	تصبّى	تصبى *	
٤٨٩	١	مَضافة	مضافة *	
٥٠٥		الا	الى *	اخر سطر
٦١٠	٩	جِدسه	حَدسه *	
٦٨٢	٦	لُجَرَّجا	لجرجا *	

لقد تم والحمد لله طبع هذا الكتاب البديع وكان ذلك
في مدينة باريس المحميّة سنة ١٨٥٥ مسيحية
الموافقة لسنة ١٢٧٠ هجرية *

MONTMARTRE. — TYPOGRAPHIE DE PILLOY ET COMP.

Digitized by Google

Digitized by Google



A MM. LES AUTEURS OU ÉDITEURS

DE LIVRES COMPOSÉS EN LANGUES ÉTRANGÈRES

M

J'ai l'honneur de vous informer que je viens d'établir un atelier spécialement consacré à l'impression des livres composés en LANGUES ÉTRANGÈRES, telles que : le *Grec*, le *Russe*, le *Polonais*, le *Syriaque*, l'*Arménien*, le *Moldave*, le *Cophte*, le *Samaritain*, le *Chinois moderne*, etc. ; et principalement l'**Hébreu** et toutes les langues orientales, **Turque, Arabe**, etc.

Combien d'auteurs et d'éditeurs n'ont-ils pas reculé devant les difficultés sans nombre et les *frais énormes* que nécessitait la publication des livres de ce genre exceptionnel dans les imprimeries non organisées pour cette spécialité, et manquant, par conséquent, d'ouvriers aptes à ce travail, qui demande des connaissances plus spéciales que celles que l'on exige des typographes ordinaires. Et encore, ceux que ces difficultés ne rebutaient pas, ne trouvaient-ils que bien difficilement un imprimeur qui consentît à se charger de telles impressions, même à des prix très-élevés. D'un autre côté, quand, à force de démarches, ils rencontraient un imprimeur qui voulût bien accepter la responsabilité d'un travail aussi difficultueux, à quelle lenteur fallait-il se résigner avant d'arriver au terme de l'impression, qui, en fin de compte, était défectueuse et fourmillait de fautes. Découragés par tant d'obstacles et par de si graves inconvénients, les auteurs réduisaient le plus souvent en petite brochure un ouvrage conçu d'abord dans de larges proportions, et c'est ainsi que nous nous trouvions privés de livres très-curieux et scientifiques. Aussi, par suite de l'aplanissement de toutes ces difficultés, jusqu'à ce jour si difficiles à surmonter, plusieurs auteurs, quoique résidant à l'étranger, se sont-ils décidés à me confier plusieurs ouvrages importants à la publication desquels ils avaient entièrement renoncé, et dont la parfaite exécution m'a valu des félicitations de la part de Messieurs les auteurs.

Dans le cas, M , où je serais assez heureux pour vous paraître digne d'obtenir votre confiance, et que vous ayiez quelques ouvrages en *langues orientales* à publier, vous trouverez dans le livre de M. Faris Chidiac le spécimen de mes caractères (entièrement neufs) *Turcs*, *Arabes*, etc., que je puis mettre à votre disposition. Soyez persuadé que vous trouverez avec moi, outre une exécution parfaite et une grande économie de temps, celle d'au moins *vingt-cinq pour cent* sur les prix que sont forcés d'exiger les quelques imprimeurs possédant de ces caractères aussi rares que coûteux.

Tous les ouvrages qui me sont confiés sont imprimés avec le plus grand soin, revus et corrigés (si on le désire) par des personnes exclusivement adonnées à ce travail ardu.

En attendant vos ordres, je suis, M ,

Votre très-humble serviteur,

A. PERRAULT

Rue de Castellane, 16, Paris.

Montmartre. Typ. de Pilloy et Comp.

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Library of

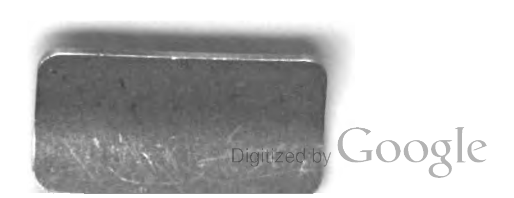


Princeton University.

PURCHASED FROM FUNDS

GIVEN BY

THE GRANT FOUNDATION



32101 076413127